July—December 1927

يوليو الى دسمبر سنة ١٩٢٧

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الحادي والسبعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

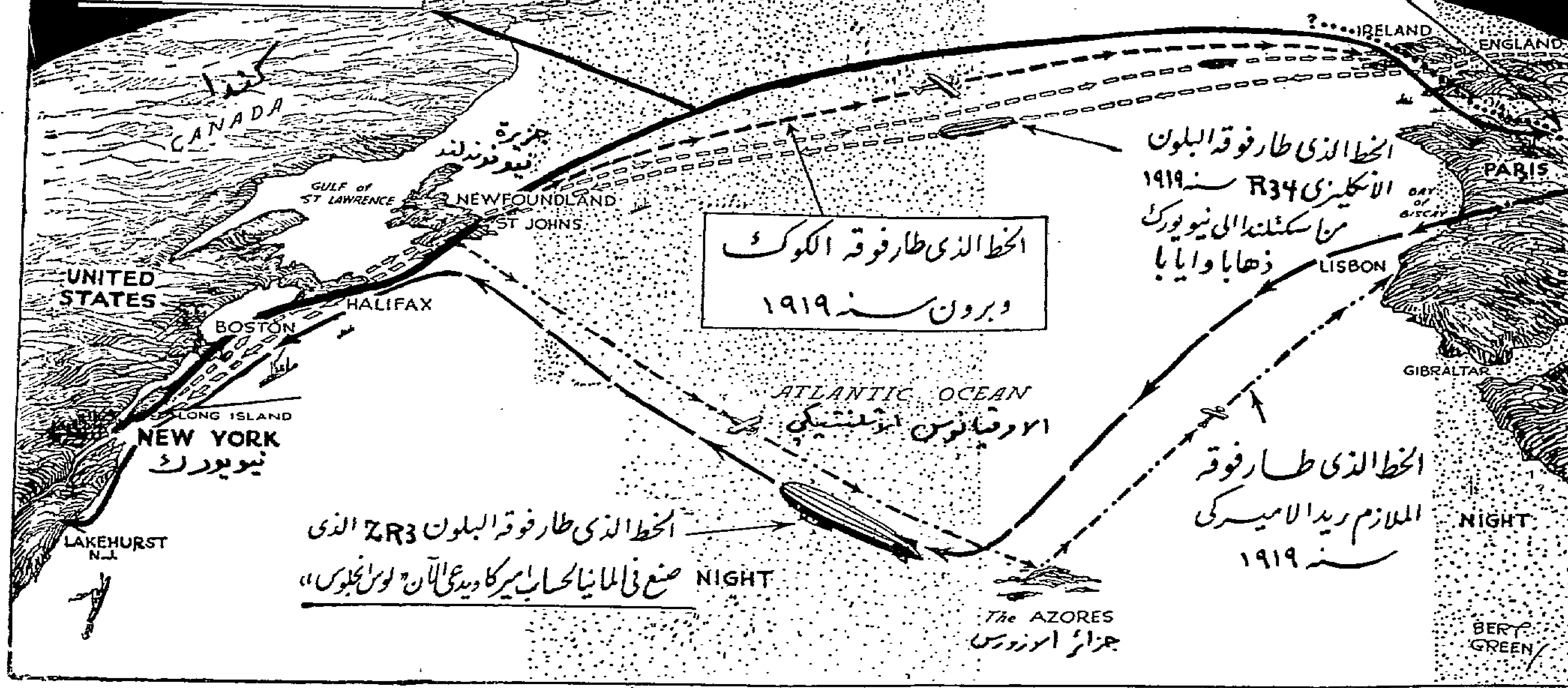
VOL. LXXI No. 4

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد الحادي والسبعين

وجه





تمثل هذه الخريطة اجتياز الجانب الشمالي من الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة والبلون ما عدا الخط الذي طار فوقهُ تشمبرلين من نيويورك الى المانيا · اما الجانب الجنوبي فقد عُبِر ثلاث مرات بالطيارة في اكثر من مرحلة واحدة، عبرهُ اولاً الطياران كبرال وكوتنهو سنة ١٩٢٢ ثم الكومندر فرنكو في اوائل سنة ١٩٢٦ ثم الكولونيل ده بنيدو هذه السنة

مقتطف يوليو ١٩٢٧

امام الصفحة الاولى

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والسبعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٢ محرم سنة ١٣٤٦

غلب النسر على دولته

الطيران البعيد المدى واثره في العمران

اتجهت انظار الامم في الشهرين الماضيين الى شؤون الطيران على اختلافها. فالصحف حافلة باخبار الطيارين وفعالهم، واحاديث المجالس تدور على جرأتهم واقدامهم، والجو يعج بطياراتهم وضجيج محركاتها. فانك كيف أجلت نظرك في هذا الفضاء الفسيح تسمع عن جماعة من الطيارين الشجعان يغامرون بنفوسهم لتمهيد سبل الجو والقبض على زمام الهواء. ان اقبالهم على هذه الرحلات الحافلة بالمشاق والمخاطر واقدامهم على التعرض لانواع المكاره والصبر عليها يعيدان الى الذهن ما دوَّنهُ التاريخ في طيَّاتهِ عن عصور الارتياد الذهبية — عصر كولمبوس ومجلان وفاسكودي غاما في ارتياد البحار وعصر لفنستون وستانلي وسبيك وشوينفورت في كشف المجاهل الافريقية وعصر ننسن وبيري وسكوت وشاكلتن وامندصن في اقتحام الاصقاع المتجمدة حول قطبي الارض والانتصار عليها

كان الطيران في مهدهِ منذ ١٧ سنة لا تتجاوز المسافة التي يستطيع الطيار قطعها مائة من الاميال وكانت قوة المحرك من محركات الطيارات لا تزيد على عشرين حصاناً او ثلاثين وكانت نكبات الطيران يتلو بعضها بعضاً بسرعة تدمي القلوب وتثير الريب في امكان النجاح. ولكن ماذا نرى اليوم؟

دع عنك حديث الطيران التجاري وتقدمهِ في اوربا واميركا عامة وفي المانيا خاصة بل دع عنك حديث الطيران حول الارض الذي قام بهِ جماعة من الطيارين الاميركيين

سنة ١٩٢٤ والطيران الى القطب الشمالي والطيران من لندن الى مدينة الكاب ثم من لندن الى استراليا ذهاباً واياباً دع عنك كلّ هذا وما هو من قبيلهِ واحصر نظرك في حوادث الشهرين الماضيين ترَ في لمحة الشوط البعيد الذي قطعهُ الطيران في حقبة وجيزة من الزمان لا تحسب شيئاً يذكر في تاريخ ارتقاء العمران فينطلق لسانك بابيات شوقي مخاطباً فرنسا سنة ١٩١٣ لما جاء الطيّار ڤدرين الى مصر

غُلِبَ النسر على دولتهِ وتنحى لك عند عرش الهواء
وأتتك الريح تمشي أمةً لك يا بلقيس من اوفى الاماء
رُوِّضت بعد جماح وجرت طوع سلطانين علم وذكاء

***

في ٢٠ مايو الماضي طار الكابتن لندبرغ من نيو يورك الى باريس بطيارة من ذوات السطح الواحد تسير بمحرك واحد قوتهُ ٢٢٠ حصاناً غير مصطحب معهُ سوى قطعتهِ واربع قطع من الصندوتش وزجاجة من الماء فوصل باريس بعد ما طار ثلاثاً وثلاثين ساعة ونصفاً قضى عشراً منها في مجالدة عاصفة هوجاء لقيها فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي بعد مروره فوق جزيرة نيوفوندلند . ولما وصل الى باريس أُستقبل فيها استقبال الملوك وكبار الفاتحين وانهالت عليهِ رسائل التهنئة واوسمة الامتياز ودعوات التكريم فكان فوزهُ التام في هذه الرحلة الجوية الصعبة المراس اعظم مظهر للعزيمة الصادقة التي قبضت على زمام الهواء فاخضعتهُ لمطالبها

وقبيل وصول لندبرغ الى باريس نزلت في خليج فارس على ٥٠ ميلاً من بندر عباس طيارة انكليزية تقلُّ ضابطين من ضباط الجيش الانكليز — كار وجلمان — صدرت اليهما الاوامر من رؤسائهما ان يطيرا من انكلترا الى الهند دفعة واحدة فغادرا كرنول بانكلترا يوم ٢٠ مايو وطارا فوق اوربا من غربها الشمالي الى شرقها الجنوبي ثم اجتازا اسيا الصغرى وبادية الشام وبلاد العراق فاشرقت عليهما الشمس مرتين وغابت مرتين وهما محلقين في الجوّ الى ان اصيب محرك طيارتهما بخلل حملهما على النزول في خليج فارس بعدما اجتازا ثلاثة آلاف وثلاثمائة ميل دفعة واحدة

وبعيد وصول لندبرغ الى باريس قام المركيز ده بنيدو الايطالي من جزيرة نيوفوندلند على طيارتهِ الى جزائر الازورس عائداً الى ايطاليا بعد رحلة جوية طويلة الشقة جمة المخاطر قام بها من روما الى جنوب اميركا مجتازاً الاوقيانوس الاتلنتيكي بين جزائر

الرأس الاخضر وشواطئ البرازيل . وبعد ما جوّل في اميركا الجنوبية بطيارته اتجه شمالاً الى اميركا الوسطى ثم الى الولايات المتحدة الاميركية فاحترقت طيارتهُ بعيد وصولهِ الى ولاية اريزونا ونزولهِ على سطح بحيرة فيها . فطار منها الى نيو يورك بطيارة اميركية ولبث ينتظر وصول طيارة ايطالية ارسلت اليهِ من ايطاليا ليكمل بها رحلتهُ فحالت دون ذلك عاصفة شديدة ثارت في وجههِ قبيل وصولهِ الى جزائر الازورس فنزل على يمّ ثائر متلاطم الامواج ولبث بين الموت والحياة الى ان انتشلتهُ باخرة دانماركية

وفي ٢٢ مايو اي بعد وصول لندبرغ الى باريس عادت الى مطار هليوبوليس الطيارات الاربع التابعة لفرقة الطيران الانكليزية المعسكرة في مصر وكانت قد غادرتها بضباطها الى مدينة الكاب في جنوب افريقية في ٣٠ مارس الماضي . ومما هو جدير بالذكر ان قيادة فرقة الطيران في مصر كانت قد وضعت بياناً لهذه الرحلة ذكرت فيهِ اسماء البلدان والمحطات التي تمرُّ بها الطيارات وتحط فيها ومواعيد وصولها اليها وقيامها منها فجرت هذه الطيارات في ذهابها وايابها على هذا البيان من غير ان تحيد عنهُ قيد شعرة

نكتب هذه السطور بعيد ورود الانباء البرقية عن قيام الطيّار الاميركي تشمبرلين من نيو يورك على طيارة من ذوات السطح الواحد تدعى كولومبيا قاصداً الى برلين ومعهُ مسافر اميركيٌّ من ارباب الاموال رضي ان يقوم بنفقات هذه الرحلة وان يغامر بنفسهِ ثقة منهُ بنجاحها. وقد جاءت الانباء انهُ وصل الى المانيا ونزل على مقربة من برلين سالماً بعد ما نفد منهُ البنزين ولكنهُ كان قد قضى في الجو ما يزيد على ٤٢ ساعة واجتاز نحو اربعة آلاف ميل فتفوّق على كل الطيّارين الذين سبقوهُ في الطيران الطويل المدى

وفي اليوم الذي طار فيهِ تشمبرلين من نيو يورك قام طيّاران فرنسويان من باريس قاصدين ان يطيرا الى طوكيو عاصمة اليابان دفعة واحدة مجتازين اوربا وجبال الاورال وسيبيريا ولكنهما نزلا قرب طوبولسك بعد ما اجتازا نصف المسافة تقريباً بين باريس وطوكيو في ٢٩ ساعة ونصف ساعة

كذلك نرى ان تاريخ الاكتشاف والارتياد بل تاريخ العلم يعيد نفسهُ . نرى الروّاد يسير بعضهم في اثر بعض يفوزون آناً و يفشلون آونة ولكنهم مهما تعددت وجوه الفشل والفوز فانهم يتخذون من الفوز مرتبة يرقون عليها الى فوز آخر و يتربصون للفشل حتى يثأروا لاخوانهم منهُ بفوز جديد . اخفق نجسر ورفيقهُ كولي في عبور الاتلنتيكي من باريس

الى نيو يورك واخفق ده بنيدو في اتمام رحلتهِ الجوية الواسعة النطاق قبيل نهايتها واخفق الطيّاران الانكليزيان قبل بلوغ الهند واخفق الطياران الفرنسويان قبل بلوغ طوكيو ولكنهم كلهم اخفقوا بعد ما تجاوزوا ما سبقهم اليهِ الطياروت من قبل وجاء طيران لندبرغ ثمَّ تلاهُ طيران تشمبرلين فكان انتصارهما تامًّا باهراً وستتلوهُ انتصارات اخرى يثأر بها الطياروت لاخوانهم من الفشل الذي كان نصيبهم

***

نطلع على انباء هذا المغامرات فنعجب باصحابها وتهتزُّ اعطافنا طرباً وفخراً بما يبدونهُ من الجرأة والعزيمة والاقدام . ثم نخلو الى نفوسنا فنسألها « ... ولكن ما هي الفائدة التي تجنى من طيران برد الى القطب الشمالي او من طيران لندبرغ وتشمبرلين من اميركا الى اوربا او من طيران كوبهام وده بنيدو ونجسر وغيرهم غير لذة التحدث بفعالهم وما يلقونهُ من ضروب الحفاوة والاكرام » ؟

سؤال وجههُ المتشائمون في كل عصور التاريخ الى كل اصحاب الاكتشافات العظيمة والاختراعات المفيدة لما كانت في مهدها. على ان تاريخ ارتقاء العلم من فجر التاريخ الى الآن جواب واحد متسلسل بليغ مؤداهُ ان كل عمل يبدأ صغيراً اولا ينتظر ان تجنى منهُ فائدة عملية ما ثم يتقن ويرتقي فتتعدد وجود الافادة منهُ وتكثر نواحي تطبيقهِ على شؤون الحياة ومقتضياتها. من كان يقول ان المباحث الاولى في الكهربائية وتقرير قواعدها وكشف حقائقها تؤدي في القرن العشرين الى ما نرى من عجائبها وغرائبها التي نشاهدها بامّ العين كلَّ ساعة. التلفون والتلغراف والترامواي والنور الكهربائي والتلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي ليست سوى امثلة قليلة من المستنبطات المفيدة التي بنيت على مباحث فاراداي وهرتز واوهم وغيرهم في الكهربائية

كذلك في الطيران . قلنا ان الطيران كان في مهدهِ منذ ١٧ سنة . ففي سنة ١٩١٠ حاول الطيار لاثام ان يجتاز بحر المانش فسقط فيهِ ثم نجتهُ سفينة اتفق مرورها على مقربة منهُ . وتلاهُ الطيّار بلريو فطار من كاله الى دوفر مجتازاً بحر المانش في ٢٣ دقيقة وكانت الطيارة التي طار بها من ذوات السطح الواحد وقوة محركها ٢٥ حصاناً والمسافة بين طرفي جانحيها ٢٠ قدماً . فاثار فوز بلريو هزة كهربائية في انحاء العالم المتمدن واتجهت الانظار الى امكان تنظيم وسائل الطيران بين لندن و باريس . على ان للمتشائمين نصيباً من القول في كل مقام فيبقى صوتهم مرتفعاً حتى تبدّد الحقائق اوهامهم وتفتح عيونهم .وها هي



كلارنس تشمبرلين (يمين الصورة)
الطيّار الاميركي الذي طار من نيويورك الى المانيا

مقتطف يوليو ١٩٢٧
امام الصفحة ٥

الطيارات الفرنسوية والانجليزية تطير كلَّ يوم بين لندن وباريس وبين باريس ولندن مجتازة بحر المانش تنقل على متنها الرسائل والركاب وامتعة الركاب ايضاً . وقد انقضت السنة الماضية كلها من غير ان يصاب احد المسافرين بمكروه . وليس الطيران بين لندن وباريس الخط التجاري الجوي الوحيد في اوربا بل ان خطوط الطيران التجاري المنتظمة منتشرة فوق اوربا انتشار شبكة من الشباك

وفي مايو سنة ١٩١٩ طار الكابتن ريد من ترابامي بجزيرة نيوفوندلند وقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي الى البرتغال بطريق جزائر الازورس ثم طار منها الى لسبون عاصمة البرتغال ومنها اتجه شمالاً الى مدينة بلوث ببلاد الانكليز . وكان معهُ طيارتان عدا طيارته اكتنفهما الضباب فتعذر عليهما السير فاضطرتا ان تنزلا الى البحر ونجا ركابهما

وتلاهُ الملازم هوكر الانكليزي الاسترالي محاولاً ان يطير من نيوفوندلند الى ايرلندا فاختلت طيارتهُ واضطرَّ ان ينزل في عرض البحر . ثم جاء الكبتن الكوك والملازم برون فطارا من طرف نيوفوندلند الشرقي في ١٤ يونيو سنة ١٩١٩ الى كلفدن بارلندا والمسافة بينهما ١٨٨٠ ميلاً اجتازاها في نحو ١٦ ساعة

وفي هذه الرحلات الجوية الثلاث عرف الطيارون ومن ساعدهم في اعداد معداتها اموراً كثيراً تتعذر معرفتها بالبحث النظري . فقد استدعت الحاجة مثلاً وجود آلتين احداهما لمعرفة اتجاه الرياح والثانية لمعرفة موقع الطيارة والحاجة تفتق الحيلة فاشتغل المستنبطون في استنباطها وتجدهما الآن في كل طيارة تجوب الآفاق لانهما تمكنانها من السير على هدى سواء في ظلام الليل او في رائعة النهار

وفي اكتوبر سنة ١٩١٩ طار الملازم مينار الاميركي من شرق الولايات المتحدة الى غربها ثم طار من غربها الى شرقها مسافة خمسة آلاف وخمسمائة ميل في خمسين ساعة من الطيران الفعلي ولكنهُ وقف في ذهابه وايابه في اماكن كثيرة فكانت رحلتهُ مقدمة لرحلة الملازمين كلي ومكريدي من نيويورك الى سان فرنسسكو سنة ١٩٢٣ فاجتازا المسافة بينهما وهي ٢٥٢٠ ميلاً في ٢٦ ساعة من غير ان ينزلا الى الارض وكان طيرانهما هذا اساساً لانتظام البريد الجوي بين نيويورك وسان فرنسسكو ونقله بطيارات لا تقف في الطريق . وكان من اظهر آثار هذه الرحلة اثارة خواطر الناس الى الاهتمام بشؤون الطيران ومطالعة الكتب التي وضعت في هذا الموضوع وقد ظهر ذلك جليًّا في سجلات المكاتب العامة في كل انحاء اميركا

واطول رحلة جوية تمت الى الآن هي رحلة الكابتن سمث والملازمين ارندن ونلسن وهاردنغ وويد والسارجنت اوجدن الاميركيين. فانهم طاروا سنة ١٩٢٤ بثلاث طيارات من صنع دوغلاس في كل منها محرك واحد قوتهُ ٤٠٠ حصان . طاروا ٢٨ الف ميل في خمسة اشهر و٢٤ يوماً وكانت اطول مراحل الطيران بين جزيرتي اسلندا وجرينلندا مسافة ٨٣٠ ميلاً . وكانت الطيارات حين تطير فوق البحر تربط بها عوامات تحلّ محل العجلات حتى اذا حدث لها ما جعل نزولها في عرض البحر لا مندوحة عنهُ كان النزول في حيز الامكان من غير تعريض الطيارة وركابها للغرق . وقد تمّ هذا الطيران في احوال جغرافية ومتيورولوجية مختلفة فوق السهول والجبال والبحار والادغال الاستوائية في الصحو والمطر وفي كل ذلك كان لا بدّ من اختيار المحطات المناسبة لنزول الطيارات فكانت الخبرة التي جنيت من هذه التجربة كبيرة الفائدة في الرحلات الجوية التي تلتها . ومثل هذه الرحلة في الطول رحلة السر الان كوبهام الجوية من لندن الى استراليا واوبتهُ منها في ٣١٠ ساعات من الطيران الفعلي وكان متوسط سرعتهِ ٨٧ ميلاً ونصف ميل في الساعة

ويجب ألّا نغفل ذكر البلونات الكبيرة والرحلات الجوية التي قامت بها. ففي ٢ يوليو سنة ١٩١٩ طار البلون الانكليزي R34 من انكلترا الى اميركا وعاد اليها . وتلا ذلك طيران البلون الالماني ZR3 الذي صنع في المانيا لحساب اميركا سنة ١٩٢٤ فانهُ طار من همبرج الى نيوجرزي باميركا في ٨١ ساعة و١٧ دقيقة اجتاز في اثنائها خمسة آلاف ميل وستين ميلاً

وتلا ذلك سنة ١٩٢٦ طيران البلون روما الذي اقلّ بعثة امندسن القطبية من روما الى فرنسا الى انكلترا الى روسيا. الى نروج الى جزيرة سبتسبرجن ثم فوق القطب الى الاسكا . واذا ذكر طيران البلون روما فلا بدّ من الاشارة الى الطيارة جوزفين فورد التي طار عليها الكومندر برد من سبتسبرجن الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً في ١٦ ساعة من غير ان يقف

***

لقد نقدم طيرانُ بلريو من كاله الى دوفر انتظامَ السفر الجوي بين لندن و باريس ومهد لهُ السبيل . ونقدم طيران الملازم مينارد من نيويورك الى سان فرنسسكو انتظام البريد الجوي السريع بينهما ومهد لهُ السبيل . ونقدم طيران الكوك وهوكر وريد المحفوف بالمخاطر طيران لندبرغ وتشمبرلين ومهد لها الطريق . ونقدم طيران فدرين

وكوبهام وضباط الجيش الانكليزي في مصر والعراق انتظام السفر الجوي بين هليوبوليس وبغداد واثبت امكان انتظامهِ بين لندن وهليوبوليس . ومن يدري فقد يكون طيران كوبهام الى مدينة الكاب اولاً ثم من لندن الى استراليا ثانياً ، وطيران امندصن ونوبلي من سبتسبرجن الى الاسكا ، وطيران لندبرغ وتشمبرلين من اميركا الى اوربا ، وطيران المركيز ده بنيدو من روما الى اميركا الجنوبية وطيران كوست من باريس الى طوبولسك — قد تكون كل هذه الرحلات الجوية مقدمة لانتظام خطوط السفر الجوي البعيد المدى فترتبط البلدان المختلفة باسباب سريعة للمواصلات يصح الاعتماد عليها . بل نتجاوز حدَّ التخمين الى حدِّ الترجيح بانها ستكون كذلك

***

ما اشبه اليوم بالامس ! قبيل كتابة هذه السطور كنا نطالع في الانسكلوبيذيا البريطانية فوقع نظرنا اتفاقاً على مقالة عنوانها تاريخ شركات الملاحة . فذهب بنا الفكر حالاً الى المقارنة بين السفن التجارية الاولى التي اجتازت الاوقيانوس الاتلنتيكي في اوائل القرن التاسع عشر والبواخر الفخمة التي تجتازهُ الآن

كانت الباخرة الاولى التي اجتازت الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا تدعى سافانا اجتازتهُ سنة ١٨١٩ ولم يذكر ما كان محمولها ولكن كان قد انقضى على سفرها ١٩ سنة لما سافرت الباخرة « سيريوس » وكان محمولها ٧٠٠ طن . اقلعت من مدينة كورك بارلندا في ٤ ابريل سنة ١٨٣٨ ووصلت الى نيويورك في ٢٣ منهُ اي بعد مسيرة ١٧ يوماً

قارن بين هذه الباخرة التي اجتازت الاتلنتيكي منذ تسعين سنة وبين البواخر الاميركية والانكليزية التي تمخر عبابهُ الآن . ان تفريغ الباخرة مجستك ٥٦ الف طن وقوة آلاتها ٦٣ الف حصان واسباب الراحة والرفاهة فيها على اكملها والباخرة موريتانيا تجتاز المسافة بين شربورج ونيويورك في اربعة ايام ونصف يوم

من كان يحلم سنة ١٨٣٨ ان عبور الاتلنتيكي بالبواخر يبلغ هذا المبلغ من السرعة والانتظام والاتقان وتوفير اسباب الرفاهة والراحة

على ان تقدم الطيران كان اسرع واهم فانهُ لم تنقض الاَّ سنوات قلائل على عبور بلريو لبحر المانش بطيارتهِ حتى قرأنا ما قالهُ لندبرغ : «ظهر لي الاوقيانوس الاتلنتيكي كانهُ مضيق ضيّق من الماء » . فماذا تكنهُ لنا السنوات العشر القادمة من هذا القبيل !

طريقة جديدة للرؤية عن بعد

من غرائب التقدم السريع في اتقان الفنون اللاسلكية استنباط طريقة او اكثر للرؤية عن بعد (التلفيزيون) . فقد وصفنا في مقتطف مارس الماضي صفحة ٢٤٤ الطريقة التي ابتكرها المستر بايرد الانكليزي وامتحنها امام جماعة من علماء الانكليز . واليوم جاءتنا السينتفك اميركان وفيها وصف موجز لطريقة اميركية جديدة جرّبت في شهر ابريل الماضي فوفت بالغاية المرومة مع انها في مهدها

يتألف الجهاز المرسل من مصباح قويّ النور موضوع في صندوق لا ينفذ النور جدرانهُ وفي احد هذه الجدران قرص يُدارُ فيهِ خمسون ثقباً يخرج نور المصباح منها فيقع دوائرَ صغيرةً على سطح الجسم الذي يراد ارسال صورتهِ ولنفرض انهُ وجه انسان . والثقوب تخترق هذا القرص في اتجاهٍ لولبيّ حتى اذا دار القرص دورة كاملة تغطت كل بقعة من الوجهِ بدوائر النور . والقرص يدور ١٥ دورة في الثانية فلا بدّ ان يغطّى سطح الوجه بالنور ١٥ مرة في الثانية فيعكس النور عنهُ قويًّا او ضعيفاً حسب مواقع الظل عليهِ . و بعد انعكاسهِ يقع على بطاريات تولّد تياراً كهربائيًّا لدى وقوع النور عليها وهذا التيار يختلف قوة وضعفاً باختلاف قوة النور الواقع على البطرية وضعفهِ . وبعد تقوية التيار يمكن ارسالهُ سلكيًّا او لاسلكيًّا الى حيث توجد آلة معدة لالتقاطهِ

اما الجهاز المستقبل فلوح عليهِ خمسون مصباحاً كهربائيًّا صغيراً كل منها متصل بسلك يوصل اليهِ مقداراً من الكهربائية يوازي في قوتهِ مقدار النور المنعكس عن البقعة النورية التي تقابلهُ على وجهِ الانسان في محطة الارسال . وهكذا ينير كلٌّ من هذه المصابيح نوراً يختلف قوة وضعفاً باختلاف قوة النور المنعكس عن البقعة المقابلة لهُ في وجه الانسان . وادقّ اجزاء هذه الطريقة واكثرها نفقة هو الذي يربط الجهازين المرسل والمستقبل على وجهٍ من الدقة حتى ينير كل مصباح نوراً مثل النور المنعكس عن البقعة التي تقابلهُ وان تنير كل المصابيح كذلك في وقت واحد . ولما كانت هذه المصابيح تنير وتنطفي ١٥ مرة في الثانية ففي امكان العين ان ترى وجهاً حيًّا ومتحركاً كما ترى الصور المتحركة

والظاهر ان نفقات هذا الجهاز كبيرة تثير ريبة الكاتب في امكان استعمالهِ قريباً على وجهٍ تجاري

الحداد

يا صبا هيّا ارفعي ستر الغمام القاتمِ عن محيّا القمرِ
واعيدي للدراري كلَّ ثغرٍ باسمٍ كابتسام الزهرِ
مبسم زاهٍ شنيب زانهُ الدرُّ الرطيب شبَّ في قلبي اللهيب اذ زها بالدّررِ

يا ثغورَ الشهب هلاّ عاد ذاك الابتسامْ فيعود الصفوُ لي
فاميطي يا جواري عنك مسودَّ اللثام واسفري للمجتلي
مزّقي سترَ السحابْ وارفعي عنك الحجابْ واطلعي بعد الغيابْ والمعي كالشررِ

تحسب البدرَ مليكاً فالدراري خوَلُ جلست خلف الستار
فقضى الملْك بان يُقتَل منها الاعزلُ بالخفا والاستتار
فانطفى منها الضرام بسنا البدرِ التمام ثم واراها الغمام ماحياً للاثرِ

وترى المزنةَ نطعاً بسطت للتاعسات من بنات الشهبِ
فالسهى نعشٌ قتيلٌ تحملُ النعشَ البنات خلف ستر السحبِ
لبس الجوُّ الحداد وتردّى بالسواد وبكى حزناً وجاد بدموع المطرِ

ودمُ الانجم اعني ضوءها لما جرى لطّخ الكفَّ الخضيبْ
من نجيع ضرّج النطع فامسى اغبرا فهو الجون الرهيبْ
انما الودْق دمُ اهرقتهُ الانجمُ أمهاها مجرمُ ليت شعري ام بري

هكذا سنت لنا الأكوان محو الضعفاء ببقاء الانسبِ
فاذا ما طلع البدر محا منهُ الضياء لامعات الشهبِ
واذا الغيم بدا وبهِ الجوُّ ارتدى ذهب البدر سدى بمحيّاً اغبرِ

طهران ميرزا عباس الخليلي

النهضة الشرقية الحديثة

اظهر مظاهرها وابقى آثارها

١ — رأي الاستاذ عباس محمود العقاد

ما هي النهضة ؟ هي الخروج من حالة الجمود الى حالة الحركة ، او هي الانتقال من المحاكاة والتقييد الى عهد الاستقلال والحرية. فاذا اردنا ان نقوّم نهضة بقيمتها الصحيحة فلنبحث عن دلائل الحرية فيها فثم النهضة وثم يكون اظهر مظاهرها

بيد انني اقسم الحرية الى نوعين : نوع اسميهِ الحرية المادية واعني بهِ الحرية الاضطرارية اي الحرية التي لا نكون احراراً في طلبها بل نصمد اليها مكرهين مدفوعين بحكم الاحوال القاهرة و بواعث المعيشة ، وتلك حرية ناقصة مبتورة لانها حرية من لا حرية لهُ في الاختيار . فاذا تبدلت احوال المعيشة فضاقت بنا عاداتنا وعقائدنا في احوالنا الجديدة فبرمنا بها ونفضناها عنا فتلك حركة مباركة وحرية طيبة ولكنها على هذا حرية تعلوها حريات ومنزلة لا تغبط الامم على الوقوف لديها ، وليس يصعب عليك ان ترى مثيلاً لها في الحيوان يضيق بهِ الحبس فينطلق منهُ او يثقل عليهِ القيد فيعالج كسرهُ او في الجماد يتقدم لانهُ لا يستطيع ان يقف مكانهُ ويتحرك لانهُ محمول على الحركة

ونوع آخر هو الحرية الروحية او هو الحرية التي لا تدفعك اليها الضرورات المألوفة والمطالب السوقية وانما يدفعك اليها اتساع افق النفس وسمو معاني الحياة والطموح الى غايات من الرفعة والجمال يشتاقها الانسان الكامل وهو موفور الجسد مكفي المؤنة . فهذه الحرية هي الحرية النفيسة الغالية وهي مقياس النهضات الشريفة وفضيلة الانسان على سائر المخلوقات ، وهي الحرية التي تترجم عنها الآداب والفنون والفلسفة الروحية وما اليها من التعبيرات « الجميلة » عن اشواق الحياة

***

ولقد سألتموني : «ما هي أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وأبقى آثارها ؟ » فرأيي اذن ان اظهر مظاهر نهضتنا وابقى آثارها هو « حرية الآداب » او هو حركة التجديد في الشعر والكتابة والفن لانها الحركة التي لا تتقيد بمحاكاة قديم ولا بمحاكاة حديث ،

ولانها ترجمان تلك الحرية التي نحن احرار في طلبها بقدر ما يكون الانسان حرًّا في هذا الوجود، وليست بترجمان حرية نحن مدفوعون اليها بدوافع الاضطرار الكثيف والمطالب التي يشبهنا فيها الحيوان وقد يوجد لها مثيل في الجماد

على ان هذه الظاهرة — بعد — ضعيفة الاثر قليلة المحصول ، فاذا هي بلغت اشدها واوفت على تمامها فهنالك تبحث في الشرق عن جميع ظواهر النهضات التي عرفتها الامم فلا يعوزك منها دليل ، بل هنالك لا يعوزك حتى الدلائل على النهضة « المعيشية » التي تعوزنا الآن لاننا نتمشى مع البواعث الوقتية مسخرين خطوة بعد خطوة ولا ننبعث الى الحرية بشوق في النفس وحب للجمال . فالحقيقة اننا اليوم لا نضارع غيرنا في الاختراع والابتكار ومجاراة حاجات المعيشة لاسباب خلاصتها انهم يفهمون الجمال ونحن لا نفهم الجمال ، لا انهم خلقوا بمعدات واعضاء ونحن خلقنا بغير معدات واعضاء

عباس محمود العقاد

—o:o—

٢ — رأي الاستاذ حنا خبّاز

(١) الظاهرات والحقائق

امام الباحث في دائرة الوجود امران ، هما الظاهرات والحقائق. فالظاهرات هي اعراض الحقائق واعلاناتها ومقاييسها . مثال ذلك اللهيب والدخان والحرارة ، هذه الاشياء هي ظاهرات الاحتراق ، اما حقيقتهُ فهي اتحاد اكسجين الهواء بكربون المادة المحترقة. وكذلك شروق الشمس كلّ صباح ، وغروبها كلّ مساء ، وسيرها نهاراً من الشرق الى الغرب ، ظواهر ، والحقيقة التي وراء تلك الظواهر وقد سببتها ، هي دوران الارض على محورها ، من الغرب الى الشرق ، مرّة في كل ٢٤ ساعة . ولسنا نعرف الحقائق الاَّ بظاهراتها ، ولا الجواهر الاَّ باعراضها . فالحقائق كائنة بذاتها ، اما الظاهرات فلا تقوم بذاتها ، بل تقوم بالحقائق والجواهر ، التي نجهل ماهيتها . فتنحصر معرفتنا في الظاهرات والتغيرات . وبذلك ندرك الكهربائية مثلاً والمغنطيسية ، والحياة ، والمادة اجمالاً ، وبالظاهرات والاعراض نميّز بين النائم والمستيقظ ، وبين الحي والميت . وبها نعرف الناهضة من الامم، لان للنهضة كما للحياة اعراض وظاهرات

(٢) النهضة الشرقية

في وادي النيل ، ووادي الفرات ، وفي محيطي هذين القطرين، ام كان لها في صفحات التاريخ صفحة لامعة. على انها بعد ذلك هجعت ، فعفت رسوم مجدها ، وخبت انوار يقظتها .وصارت تغط في نومها غطيطاً ازعج الناس والالمة . ولا يزال كثيرون ، في هذا الشرق المحبوب يغطون ويزعجون ، وهم يحسبون انهم يحسنون، ولا نؤاخذهم لانهم هاجعون. ثم جاء دور اليقظة والنهوض، ففتحت الامم العربية عينيها ، بعد نومها الطويل . ورفعت رأسها في مراقدها ، ونهضت مع ناهضات الامم . وقامت لطلاب المعالي بما اوتيت من همة وذكاء . فشادت المدارس والمكاتب ، وانشأت الصحف والمجلات ، وعقدت الشركات والجمعيات ، وشكلت المجالس واللجان ، وسنت الدساتير والنظامات . وامّ ربوع الغرب الوف من ابنائها وبناتها في طلب العلوم والفنون ، فلم تبقَ ثمّت ريبة في نهضتها ، بدليل ظاهراتها العديدة وعليّ ان اثبت هنا اظهر تلك الظاهرات

(٣) المراد باظهر الظاهرات

لست افهم بكلمة « اظهر » الظاهرات اكثرها ظهوراً ، واعمها شيوعاً ، كالملابس الفرنجية ، والابنية الاوربية ، والرغبة في المراقص والملاهي والسيارات والازياء. لا. لا ليست هذه اظهر ظاهرات نهضتنا . انما هي ظاهرات ثانوية. والمراد على ما ارى ، باظهر الظاهرات « ادلّها » على حقيقة تلك النهضة . ولتبيان الفرق بين الظاهرات الاكثر ظهوراً ، وبين الظاهرات الاكثر اظهاراً اقول : ان درس زيد الطب مثلاً ، واحرازهُ الشهادة — الدبلوما — وانشاءه مستوصفاً ، ومعالجتهُ المرضى ، وربحهُ الوفير ، هي ولا شك ظاهرات نهضة . ولكنّ تنازل عمرو ، الطبيب الاخر ، عن دخلهِ الوافر ، وتضحيتهُ براحتهِ الشخصية ، وتطوعهُ في خدمة الانسانية ، لغير مكافأة ، واحياءهُ الليالي الطوال ساهراً على المرضى ، من فقراء وغرباء وايتام — هذه الاعمال — هي ظاهرات ادلّ على النهضة دون ادنى ريب . واليك مثلاً آخر . ان نظم بكر الشاعر القصائدَ والموشحات ، وانتشار منظوماتهِ في الاقطار العربية ، واكبار الادباء امرهُ وامرها ، واجماعهم على اكرامهِ ، بالهدايا والحفلات والتقاريظ ، نظماً ونثراً ، هذه الامور ، هي ، ولا شك ، ظاهرات نهضة لا يجوز انكارها . ولكن اقدام اخيهِ عبدالله ، الباحث النزيه ، على تأليف كتاب يغاير بهِ تقاليد قومهِ ، ويثبت فيهِ من الحقائق ما يصدم راسخات العقائد والعوائد والآراء في قومهِ ، قصد خير الامة وابناء الامة ، متحملاً سخطها عليهِ ، ومناوأتها اياهُ ،

ومصادرتها كتابةً ، والحط من كرامته ، وسوقه الى المحاكم ، وتهديده بقطع موارد عيشه ، اقول ان اقدام المؤلف على ذلك ، هو ظاهرة «ادلُّ» على وجود النهضة في نفسه من تصرُّف اخيه الشاعر . فاري ان تآليف قاسم بك امين ، وامثال قاسم بك امين ، في مصر وسورية والعراق ، هي ادلُّ على النهضة من خمسمائة قصيدة ، لخمسمائة شاعر ، في خمسمائة حفلة ، مع ان هذه ظاهرات مفيدة . لان اقدام المؤلف على تحمُّل سخط الامة التي يخدمها لا يقوم به الاَّ مستيقظ النفس ، معافى الذهن ، مفتوح العينين ، ثاقب الرأي ، نزيه العاطفة ، طاهر الوجدان ، حجة امته وعصره ومحيطه ، على الامم والاعصار والامصار

(٤) فلسفة النهضة

وليست النهضة عمل الفرد الواحد من الامم ، مهما يكن من امر ذلك الفرد الواحد . انما هي حياة كامنة في نفس الامة ، برزت الى حيز الظهور ، لما تسنَّت لهـا العوامل والملائمات . فهي ممثلة بثوران البركان ، الذي اتحدت العناصر في جوفه فالتظت نيرانها ، وتولدت ابخرتها ، وصدمت جدران مجوَّف الارض شديد الصدام فزلزلت الارض حولها زلزالها ، وانبثقت قشرتها حيث رقَّت ، فاخرجت اثقالها ، قاذفة بها الى الجو لهيبًا ودخانًا ، ثم صبَّت مصهوراتها على سفوح البركان ، على ما هو معلوم جيولوجيًا . فليست فوهة البركان علة ثورانه ، مهما تكن تلك الفوهة عالية او كبيرة ، انما هي مظهر ذلك الثوران او مفعوله ، وحقيقتهُ وراء تلك الظاهرة . هذا هو موقف الرجال في نهضات الامم . فجورج وشنطن في اميركا ومصطفى كمال في تركيا ، وغيرهما في غيرهما ، ليسوا خالقي النهضة ، بل آلاتها ومظاهرها . فهم كفوهة البركان مفعول به او فيه ليس الاَّ . اعني ان الاميركيين والاتراك ، وكل امة نحت نحوها ، لما نضجت في نفوسهم عوامل النهضة ، اوجدت زعماءها . واقول مع الاحترام ، ان مقتطفنا العزيز ، وامثالهُ من المجلات التي تستحق الذكر في هذا الموقف ، قد خدمت النهضة خدمة تذكر ، وكانت فوهات صدرت منها عوامل النهضة ، ولكنها لم توجد النهضة ، بل النهضة اقتضتها فاوجدتها

(٥) اظهر ظاهرات نهضتنا

ليس من غرضي ان اسرد ظاهرات نهضتنا الكثيرة . وليس المطلوب كل الظاهرات بل « اظهرها » فقط . ولا يحسن ان آتي على ذكر اضعفها واهمل اهمها . لذلك

حرصت على اثبات ثلاثٍ من تلك الظاهرات وهي ١ً : اتساع دائرة النظر ٢ً : نسخ التقاليد ٣ً : الاعتماد على الذات

سعة الاطلاع وبعد النظر

كلما ارتفع الناظر بعدت افاقهُ فاتسعت دائرة نظره . والمسألة هندسية لا تحتاج الى ايضاح . وليس من ينكر اتساع دائرة النظر ، في رجالنا ، في كل فن وهو اظهر ظاهرات النهضة . وكان يمكنني ايراد كثير من الامثلة في هذا الموقف ، على انني لا ارى الكاتب في احتياج اليها وهو يرى ادلتها محسوسة حولهُ في كل دوائر الاعمال كانشاء الشركات والبنوك والاقدام على معالجة الاعمال الحرّة من مالية وصناعية وزراعية وتهذيبية وفنية. وبعد النظر من اشهر صفات الانجليز ، وافعلها في نجاحهم وثبوت ملكهم، وهو من اوضاع كل امة ناهضة . وبعيدو النظر وان يكونوا اقلية في كل امة ،فعليهم يتوقف رسوخها في ميدان العمران ، وعلو كعبها في دوائر الاقتصاد والسياسة والفن وكل ملابسات الارتقاء. فان بعد النظر مقدمة لا بدَّ منها في كل مشروعٍ حيوي انساني مفيد

نسخ التقاليد

ليس الهدم غرض النهضة ، بل البناء . ولكن نقض القديم عمل سلبي يستلزمهُ التجديد ، فالهدم والبناء هما كل ما في الطبيعة من الظاهرات ، سواء في ذلك الاجسام العضوية ، والاجرام الفلكية ، والهيئة الاجتماعية . بل وملابسات الهيئة من عادات ونظم وشرائع . وسنّة الله هي — كل ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال — ولن تجد لسنّة الله تبديلا . هذه هي سلسلة النشوء غير المعدودة الحلقات

***

ايها ، المتشبث بالقديم ! . رويدك ، لا تغضبنَّ . لقد شخت وبلغت الهرم فانت بارح . وسيخلفك ابنك كما خلفت انت اباك

نزل الدنيا اناس قبلنا رحلوا عنها واخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا وسنخليهــا لقوم بعدنا

فاعلم ان الامم كالافراد ، وكالاشجار ، يدركها الهرم بعد نضارة الصبا. ثمَّ تزول ـــ ويخلفها غيرها . هكذا جرى لامم فينيقية وقرطاجنة وبابل ونينوى والبتراء وغيرها . فاسمح لي ان اقول لك : ان الشرائع والنظامات والفلسفات ، وكل ملابسات الاجتماع — لا يستثنى منها شيء — هي ايضاً جارية على هذا السنن. تشيخ وتهرم وتنسخ،

و يحل غيرها محلها . وكما يغير الاحياء ثيابهم ، تتناول الهيئة شرائعها ، بالتعديل والتجديد والابدال والالغاء — ولاجل ذلك وجدت المجالس التشريعية . فكل ما عليها فان ، و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . أو يفوتك انهُ جلّ جلالهُ ، وهو رب الطبيعة والنشوء ، ينسخ آية فيأتي « باحسن منها » . اولا يؤيد اختبارك الشخصي ذلك . فان ثوبك طفلاً لا يسترك رجلاً ، فابدلتهُ باوسع منهُ ، وسريرك ولداً لا يسعك راشداً فابدلتهُ باكبر منهُ . وسائر اشيائك متغيرة بتطورك . وليست الحياة ، وكل الوجود ، الاّ سلسلة تطوُّر وتغيُّر ، فما ساغ اليوم فقد ينكر غدا ، وما نفع في الامس فقد يضر اليوم . هذا هو النشوء . اما الجمود فهو البقاء على سنن واحد . وهو ضد الطبع . هو جمود . هو موت . هو عار على الامم . هو مزالق دمارها . فمن اظهر ظاهرات نهضتنا العربية « نسخ التقاليد » . هذا هو الجهاد الادبي في الامم

و يجب عليّ التخصيص بعد التعميم ، والايضاح بعد الابهام فاخص بالذكر من ذلك منزلة المرأة

منزلة المرأة في الامم الناهضة غير منزلتها في الامم الهاجعة . ففي هذه الامم تعدّ المرأة من سقط المتاع ، مقيدة مستعبدة منحطة . فلما نهضنا هبّت مرأتنا ومرآتنا ، لاخذ مقامها الطبيعي في هيئتنا . فدخلت الجامعات ، وسابقت الشبان في مضمار الطلب ، فاحرزت العلوم ، ودبّجت يراعتها المفيد من المقالات ، وحضرت الحفلات ، و بزّت الرجال ، تالية على رؤوس العلماء آي بيانها ، وطرقت المجالس تبغي الى دست الاحكام سبيلاً ، اسوة باخواتها في ربوع اوربا واميركا . ان هذه ادل على نهضتنا من ركوب السيارات ، والتحليق بالطيارات . والادل منها ، مناصرة كثيرين من ابناء الضاد شعراً ونثراً ، حركة المرأة ، والاخذ بيدها اللطيفة ، في وسط التيار العظيم . واري ان الانفاق على تهذيب البنات اقدس ما عمل الوالدون . ونصرتهنّ ابلغ ما نظم الناظمون ، وتحريرهنّ اعدل ما شرع الشارعون . واية منفعة يرى المرء في اغماض احدى عينيهِ ، وغلّ احدى يديهِ ، هذا هو الغر الذي يقيد المرأة و يستعبدها و يحجزها ، فيخسر تسعة اعشار قوتهِ ، وتسعة وتسعين في المائة من سعادتهِ وهنائهِ .

الاعتماد على النفس

الجنين في رحم امه كلي الاعتماد عليها لاجل حياتهِ . وهكذا بعد ولادتهِ الى حدّ ما . ومتى بلغ الرشاد قام لاحراز حاجاته ، وادراك غاياتهِ . هذا هو حال الامم ، تعتمد على

غيرها هاجمة ، فاذا استيقظت قامت للانتاج . فمنتوج الامم مقياس نهضتها . والوضع الطبيعي ان تنتج الامة ما تستهلكهُ . وتجوز مبادلتها غيرها ، ما زاد عن استهلاكها بما نقص في منتوجها. كبادلة مصر اوربا الاقطان والبصل بالمنسوجات والاثاث. ولا غضاضة في ذلك . فاذا زاد استهلاك الامة عن منتوجها ، فهي متقهقرة وصائرة الى الفناء . كل ذلك مألوف ، وهو راجع الى الزراعة والصناعة والتجارة . واكتفي هنا بالاشارة اليهِ . هذه هي اظهر ظاهرات نهضتنا ، وهي سعة الاطلاع ، نسخ التقاليد ، زيادة المنتوج . وواضح اننا في الثلاث اطفال . ولكننا غير ما كنا قبلاً

واذا رأيت من الهلال نموهُ   ايقنت ان سيصير بدراً كاملا

(٦) ابقى آثارها

ليس دك الحواجز والسدود ، وتخريب الارياف والمدائن ، كل ما يترك فيضان نهر المسسبي من الآثار ، في ولايات اركنسس ولويزيانا ومسسبي وتكسس وغيرها. انَّ لذلك الفيضان آثاراً ابقى ، يعرفها الفلاحون والمزارعون . وابقى آثار نهضتنا العربية ليست الهدم والتدمير — معاذ الله — « فالحياة الروحية » هي غرض التطورات الاجتماعية . وللامم كما للافراد شخصيات . وتعظيم الشخصيات هو غرض التهذيب والارتقاء في عرف الفلاسفة . وذلك التعظيم متناسب مع ما تبلغهُ من الحق . فكل ناموس كشفهُ المكتشفون هو زيادة في قوة البشرية ، او هو تعظيم لشخصيتها . فالشخصية الخالية من الحق هي صغيرة. والمملوءة بالحق هي عظيمة . وسيادة الحق هي سيادة الله . وسيادة الله هي كل العظمة . فشخصياتنا تعظم أو تدنو بما تربحهُ من الحق او تخسرهُ . ومستوى الامم في ميدان العظمة يقاس بما في حياتها من الحقائق ، علمية او فنية او روحية . فالذوق الفني ، والنواميس الرياضية والطبيعية ، ونضوج التشريع ، هي العوامل التي سوَّدت امم الانجلوسكسون واللاتين . ونحن نقتفي آثارهم في نهضتنا . ولكننا مسبوقون . فابقى آثار نهضتنا « التقدُّم » في مضمار الارتقاء وراء الامم الناهضة

مصر   حنا خباز

التجديد في اساليب التعلم

آراء الاستاذ ديوي الاميركي

لناموس التجديد سلطان نافذ الحكم على شؤون الانسان المادية والمعنوية واوضاع الاجتماع . ومع زيادة التنبُّه لهذه الحقيقة الساطعة في انوار العلم الحديث ومشاهدة آثارها في احداث التاريخ بأم العين ، لا يزال اكثر الناس يتعاصون على الخضوع لاحكام هذا الناموس في ما ورثوهُ من تقاليد والفوهُ من عادات وآراء ، حتى ان الفئة الغالبة القائمة على قيادة الشعوب في طريق التربية والتعليم لا تنفك عالقةً باذيال القديم البالي من خططها ومناهجها واساليبها تعضُّ عليها بالنواجذ ولا تحيد عنها قيد انملة الاَّ بعد ان يذهب في سبيل جمودها وصلفها ما يذهب من ضحايا العقول والاجساد ، وبعد ان يناصبها النضال من تقيمهم الايام اعلاماً من دعاة الحقائق وقادة التجديد ورسل الاصلاح

هذا فن التربية والتعليم لم يَقُم على تجديدهِ في هذا العصر الاَّ علَمان فيهِ الاول سيدة ايطالية هي المربية (منتسوري) . فانها عكفت بروحها الانسانية الاحسانية ثلاثين عاماً على درس طبيعة الولد العقلية والجسمية من سن الثالثة الى السابعة وبعد ان قامت بنفسها بالتجارب العلمية الشاقة من سيكولوجية وفيسيولوجية وانشأت مدارس خاصة تجرب فيها تجاربها بتعليم الاطفال على طرقها المستنبطة ، اخرجت الى عالم التربية من الوجهة العقلية والجسدية مجلداً ضخماً في الايطالية وقد ترجم الى الانكليزية (ثم الى العربية على يد كاتب هذه المقالة) بسطت فيهِ خلاصة اعمالها وآرائها . وقد عُرِفت طريقتها باسمها

والعلَم الآخر هو (ديوي) الاستاذ الفيلسوف الاميركي الشهير في الفلسفة وفنّ التعليم . فقد استهواهُ فنهُ وعلمهُ الاجتماعي من درس الولد وصلتهِ بحياة الاجتماع فابرز لاعوام قليلة كتاباً اسماهُ « الولد والاجتماع » . وما لبث اهل النور والنجدة والاصلاح في اميركا حتى تناولوهُ بالدرس والتمحيص فاعتمدوهُ في اصلاح طرق التربية والتعليم واصبحت مبادئهُ من المقرَّرات وشهدت لما كان لهُ من حسن الاثر في دوائر التعليم اقطاب العلم المحققون فاحلّوهُ ما يستحق من مقام الاجلال والاعظام

وقد قيّض لكاتب هذه السطور نقل هذا الكتاب الى العربية في العهد الاخير . ولما اوقف الاستاذ امير افندي بقطر ، على الاصل والمترجَم رأى من حق الامانة لفضل

موءلفهِ واستاذهِ الذي درس عليهِ العلم في جامعة كولومبيا ان يكتب للمقتطف ترجمةً ممتعة لهُ فنشرها المقتطف في جزء يونيو الماضي ورغب اليَّ محرّرهُ في تلخيص ما يهمّ نشرهُ من مبدإ الموءلف الجديد وطرقهِ المستحدثة فلم يسعني الاَّ الاجابة بكتابة هذه المقالة قبل ان يتسنى نشر الكتاب

بواعث التجديد

افتتح الموءلف كتابهُ بدواعي التجديد في باب التربية والتعليم بمقتضيات التغيُّر في احوال الاجتماع قال

لقد اعتدنا ان ننظر الى المدرسة من موقف التلميذ الفرد حاصرين علاقتهُ بينهُ وبين المعلم او بين المعلم ووليّهِ فكان اعظم ما يهمنا من امرهِ تقدمهُ الشخصي في نموّهِ الجسميّ ومبلغ محصلاتهِ العقلية وتحسُّن آدابهِ ورسوخ ملكاتهِ الاخلاقية دون الالتفات الى موقفهِ ازاء المجتمع واعدادهِ للقيام بالشوءون الاجتماعية في مستقبل الحياة

على ان نظرنا الى المدرسة ينبغي ان تتسع دائرتهُ و يبعد مداهُ فان ما يريدهُ افضل والدٍ لولدهِ يجب ان يكون مراد الامة من اولادها وان تكون غاية امورهم عائدةً اليها . والاَّ كانت تلك الاغراض الشخصية ضيقة النطاق مقصرة عن المطلوب في الحياة الاجتماعية فاذا كانت هي مدار العمل وغاية الغايات مات من الامة روح الديمقراطية فذهبت ريحها ونكست اعلامها

ان كل ما تحرزهُ الامة من اسباب التقدم والفلاح يتصل بابنائها عن طريق المدرسة وافضل ما تتمناهُ من الاماني ترجو تحقيقهُ بالممكنات الجديدة التي فتحت ابوابها ومهّدت سبلها لمستقبلها العتيد . وهنا يلتقي الفرد والمجموع في نقطةٍ واحدة . وحينئذٍ فليس هناك عاملٌ كالمدرسة في ادراك الاماني الحيوية وتحقيقها على حدّ ما قيل « في كل شأن يعدل الموءسس المربي الف مصلح »

ولما كانت هذه الحقيقة تقتضي التجدد في مبدإ التهذيب وخططهِ فمن الضروري ان يكون مجال النظر فيها اوسع والبحث اعمق . والاَّ فمهما يكن من شأن التغييرات في نظام المدرسة وتقاليدها فليس يتعدى الامور الفرعية الخارجية التي لا تمسُّ الجوهر ولباب الاصلاح المطلوب . واذ كانت التطوُّرات في الحالة الاجتماعية تستلزم تغيير خطة التربية والتهذيب في نسق التعليم و برنامج الدروس ، جاز لنا ان نسمّي هذا التغيير « التهذيب الجديد » . وهنا افاض المؤلف في دواعي هذا التغيير ومقتضياتهِ

الاجتماعية ومن ذلك قوله «بهذا الانقلاب المشار اليه تبدل وجه الارض حتى في اشكالها الطبيعية فزالت الحدود السياسية وامحت من سطحها كأنها لم تكن الا خطوطاً على خريطة من الورق وتقاطر السكان الى المدن من جميع الاقطار و به دخل التغيير على عادات الامم في معايشها على وجه مدهش من السرعة والشمول والاتقان . و به نهضت الامم نهوضاً بلغ الغايات بما استجلت من مكنونات الطبيعة ، فعاد استخدامها في شؤون الحياة من الضرورات . وقد تعدى هذا الانقلاب الى ارائنا الادبية من بعض الوجوه على كونها من اقوى الامور على الثبات لرسوخها من فطرتنا الانسانية في الاعماق

« ولما كان هذا الانقلاب على ما وصفنا من عمق الغور واتساع النطاق لم يكن بدٌّ من دخوله الى دائرة التهذيب والتعليم . ذلك ان مناهج مدارسنا وسياق برامجنا في معظم شأنها لا تزال باقية من ميراث العهد الذي كان فيه حفظ بعض مداخل العلم غاية الغايات . واما اغراض هذا العهد الحاضر ومطالبهُ فلا تزال رهن القيود في كثير من الاحوال حتى في ما حصل من التغيير في الاساليب الخارجية وتجديد الدروس . فانّا لا تزال نسمع ان ادخال التعليم اليدوي للمدرسة الابتدائية بل الثانوية مع الفنون التأسيسية والعلوم الحيوية مما يؤسف له . ويكاد التهذيب في مدارسنا الى اليوم تسود فيه تصوُّرات القرون الوسطى . لانهُ انما يتوخى في معظم شأنه الوجهة العقلية المجرَّدة ، دون ان يُقصد فيه الترغيب في العمل واثارة حبّ الابتكار والانتاج سواءٌ أكان في النفع المادي ام في باب الصناعة والفن

« و بينا نرى زعماء تعليمنا ينادون بان الغاية القصوى من التعليم تثقيف العقل وترقية الشخصية وما شاكل نشاهد اكثر من تظلّهم سقوف تلك المدارس و ينهلون من مواردها لا يعدُّونها الاّ اداةً قليلة الجدوى في ميدان الحياة ومنتجع الرزق . فاذا توخينا ان ندخل في برامج التربية والتدريب الاعمال الملائمة لمن تملَّك غرائزهم حبُّ العمل فحينئذٍ نجد اسم المدرسة لديهم اكرم واسمى ومادة الثقافة اغنى واجدى» . ثم قال المؤلف :

« وعلامَ هذا العناء الشاق في هذا البيان والحقيقة ماثلةٌ للابصار . وهي ان حياتنا الاجتماعية قد داخلتها عوامل التغيير في الاصول والفروع ، فان كان لتعليمنا اقل دخل وصلة بالحياة ، فلا مناصَ من ان تدخل عليه كذلك عوامل التبديل والتحويل . على ان هذا التطوُّر ليس من شأنه سرعة الظهور المفاجئ بين ليلة وضحاها ولكنهُ لحسن الطالع آخذٌ في النماء . وان التعديلات في النظام المدرسي على كونها تغييرات خارجية

فرعية هي في الحقيقة دلائل وطلائع تبشّر بالانقلاب . فان ادخال الاعمال اليدوية ودرس الطبيعة ومبادئ العلم والفن، والتاريخ، وتنزيل الامور الصورية المحضة ذات الشكل الخارجي الى درجة ثانوية في برامج التعليم، وتبديل الموقف الادبي المدرسيّ بالنظر الى التلامذة والاساتذة — من حيث التأديب — مع ادخال عوامل تزيد النشاط والاقدام وحسن التدبير — كل هذه الاحوال — لم تحدث من طريق الصدفة والعرَض، وانما كانت نتائج ضرورية لانقلاب اجتماعي بعيد الغور واسع النطاق. ولم يبق الاّ تنظيم هذه العوامل بشكل حيوي ووضع الخطط والاقتراحات — المبسوطة في هذا الكتاب موضع الاجراء وادخالها في النظام المدرسي على قاعدة ثابتة لا تردّد فيها ولا تنازل عنها

على ان تحقيق هذه الرغائب لا يتمّ الاّ بان تجعل المدرسة صورة مصغرة للحياة الاجتماعية ملأى نشاطاً ونزوعاً الى ما يمثّل اعمال الحياة الكاملة تبثّ في اعضائها روح الفن والتاريخ والعلم. ومتى ربّت المدرسة كل ولدٍ من الامة ونشأتهُ على مبدإٍ اجتماعي وادخلتهُ في عضوية جمعيتها الصغيرة مشرباً روح الخدمة مجهزاً بعدد التدبير الذاتي الفعال — فقل انها احرزت الضمان الاقوى للحصول على هيئة اجتماعية خليقة بالمحبة والاحترام متناسبة الاعضاء متلائمة الاجزاء تسطع فيها من العزّ والفلاح انوار البهاء

اركان هذا التجديد

(١) ان الحياة المدرسية لا يقوم كيانها الحيوي الاّ على اساس اجتماعيّ على وجه تتخلّل الحياة جميع اجزائهِ (٢) ان التعليم والتهذيب الذي ترسخ في النفوس مبادئهما هما ما اتيا عن طريق الحياة نفسها. وان ما نتعلمهُ بالاختبار انما هو عدة ندخرها للاستعمال ونورٌ يضيءُ في سبيل الاعمال — وان حالة المدارس الراهنة الآن بعيدة عن هذا السبيل السويّ منفصلة عن شؤون الحياة ومطالبها لتعذّر حصول ذلك الاختبار في اوضاعها الشائعة . (٣) ان المجدّد لروح المدرسة تجديداً كلياً حيوياً هو ادخال العمل المادي المتنوّع وقد اوضح المؤلف هذه الاركان الثلاثة بما أُوتي من عميق التحقيق وسعة الاختبار ورائع بيان. وقد قال في ذلك : —

«ان في ذلك العمل الحيويّ الذي يجري في المدرسة تتحد عناصر الحياة الاجتماعية كما تتحد العناصر الكيماوية فتكوّن مادةً واحدةً . وتصبح المدرسة موطناً طبيعياً وتجْراً مغذياً لقوى الطالب حيث يتعلم الحياة بطريق الحياة، لا مكاناً يحفظ فيهِ دروساً هي صور ذهنية خيالية ليس فيها الاّ اشارات بعيدةٌ الى ما عسى ان يكون لهُ مقام في مستقبل الحياة .

فتلك المدرسة المنشودة يتأتى لها حينئذٍ ان تكون نسخةً مصغرةً لصورة الامة وجنيناً لنشأتها . هذه هي الحقيقة الاساسية والينبوع الاصلي الذي تجري منهُ مناهل التعليم والتهذيب والتدريب الصافية الزلال» . ثم تقدم الى ذكر ما في الاوضاع المدرسية الشائعة من العبث والفساد في تنظيم درجاتها ، ومقاعدها ، وموادّ دروسها ، واسلوب تدريسها وما يتصل بذلك مما نشير اليهِ على وجه الايجاز دائراً على الامور الآتية

(١) التقسيم الشائع لانواع المدارس من ادناها الى اعلاها ومبدإ تأسيس كلٍّ منها التاريخي والغرض التهذيبيّ المقصود منهُ حسب زمانهِ ، وخلوّ الرابط المتسلسل العلميّ الحقيقي لتلك الانواع مع بيان فساد هذا التنظيم . (٢) تعديل النظام المدرسيّ حتى يضمّ انواع المدارس كلها ويربطها بروح الوحدة الاجتماعية على وجه التسلسل او التنظيم الطبيعي و بيان هذا التعديل برسمٍ يوضح ذلك الارتباط وموقع كل من المدارس وملحقاتها من مكتبةٍ ومختبر ، وهو من مستنبطات المؤلف الرائعة . (٣) النعي على وضع المقاعد المدرسية المعدة للتلامذة المعتمدة الى اليوم و بيان ما فيها من الاضرار الجسمية والخلل في اصول التدريس الحرّ . مع بيان الاوهام القديمة في حقيقة منزلة الولد من المعلم باسطاً ذلك كلهُ على طراز بديع من التعليل العلميّ المؤيّد بحقائق الاختبار وهو جدير بحسن النظر وصادق الاعتبار . (٤) تقبيح طريقة « الالقاء والتدريس» المألوفة وفساد ما فيها من دواعي الجمود واتلاف مواهب التلاميذ الشخصية وسلب الحرية العقلية وما تؤدي اليهِ هذه الطريقة الجامدة من عقم ناشئتها في التفكير والاستنباط ومواجهة الصعاب

ومن ابدع ما جاء للمؤلف قولهُ في الختام — ان «مركز الجاذبية» في التعليم في نظر السابقين هو خارج التلميذ . اي في المعلم ، وكتاب التدريس ، واين شئت وفي ايّ اردتَ ما عدا كونهُ في غرائز الولد الكامنة في نفسهِ وفي قواهُ التي هي مصدر حياتهِ وقوامها . وعلى هذا الاعتبار لم يبقَ لحياة الولد نفسها من مجال في كلام ذي شأن وان التغيير القادم على تهذيبنا ليس الاَّ « تحويل مركز تلك الجاذبية » . وهو انقلاب غير بعيد الشبه بالانقلاب الذي جرى على يد كوبرنيكوس العظيم الذي نقل مركز النظام الشمسي من الارض الى الشمس ، فيصبح الولد بهذا التغيير شمساً تدور حولهُ عوامل التهذيب لانهُ المركز الذي اليهِ تنتهي وبهِ تنتظم شكلاً يجري عليهِ نظام الحياة . . وصفوة القول انهُ اذا اجدبت العقول في فساد طريقة التعليم سقطت الهمم وذلّت الامم

متري قندلفت
عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق

الفينيقيون في البرازيل

منذ ثلاثة آلاف سنة

[نشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٦ صفحة ١٥٩ مقالة عنوانها « العربية في اميركا قبل كولمبوس » قلنا في مطلعها ما يأتي : « أن يكون الناس قد دخلوا اميركا وسكنوها قبل كولمبوس وقامت لهم دول فيها اينع عمرانها حتى فاق عمران الاسبانيين فاتحيها امر لا جدال فيهِ . واما ان يكون العرب قد وصلوا الى اميركا وسكنوها قبلما قصد اليها كولمبوس فامر قلما خطر على بال احد . لكن نشر في السنوات الاربع الماضية كتاب كبير في ثلاثة مجلدات الفهُ عالم من علماء جامعة هارفرد اسمهُ ليو وينر عنوانهُ «افريقية وكشف اميركا» اثبت مؤلفهُ فيهِ وجود كلمات عربية في لغات هنود اميركا » ثم اجملنا الكلام على الادلة التي جاء بها لاثبات قولهِ . وقد جاءَنا المقالة التالية من كاتب محقق نقلها عن عالم الماني محقق فاذا ما فيها اكثر غرابة من رأْي الاستاذ وينر فاذا صحَّ ما فيها كشف الستار عن كثيرٍ من الغوامض التاريخية]

***

إنَّ ما يأْتي نبأٌ غريبٌ انقلهُ الى قراء المقتطف بكل تحفظ وهو ان الفينيقيين اكتشفوا البرازيل وهاجروا اليها واسسوا فيها متاجر ، في القرن الحادي عشر قبل المسيح ومتى حصلت على معلومات جديدة اكتب ثانية بقلبٍ اشد

في الجمعية التاريخية في ولاية پَرَايِيبَا (البرازيل) اعلن الاستاذ لدْوغ شفنهاغن Ludwig Schwenhagen انهُ اكتشف في شمال البرازيل طرقات ومناجم يرجع تاريخها الى القرن الحادي عشر ق . م . وكلها من آثار الفينيقيين . والمرء شفنهاغن هذا استاذ علم الآثار في جامعة ڤينا

اكتشف الاستاذ نقوشاً متعددة على صخور متفرّقة في ولايات البرازيل الشمالية : الكتابة فينيقية تشرح مواقع المناجم وتعين مسافاتها ، والصخور قائمة على جانب طرقات تخترق شمال البرازيل كلهُ ، وتمتدُّ واحدةٌ منها غرباً بجنوب الى خدود ولاية ماطوغروسو على نهر پرغواي

والاستاذ لهُ الرأي الآتي في الحوادث التاريخية : « في ١٢٥٠ ق . م . اسس

الفينيقيون مستعمرة قادش للسيطرة على مدخل البحر المتوسط ، ومنها امتدوا فأسسوا مستعمرات كثيرة على سواحل اوربا وافريقية الاتلانتية . من هذه المستعمرات دَكَرْ Dakar ومعنى الاسم بيت قار . وقار هو ابو الشعوب القارية

« وفي سنة ١١٠٠ ق . م . خرجت عمارة فينيقية عظيمة من دَكَرْ الى جزائر الرأس الاخضر وقطعت المحيط الى البرازيل . والمؤرخ ديودورس الذي عاش مدة طويلة في قرطاجنة الافريقية يذكر الحادثة كما يلي :

« بعد ما انشأ الفينيقيون مستعمرات ومدناً كثيرة على سواحل افريقية الغربية سيّروا عمارةً منها الى الجزائر (جزائر الرأس الاخضر) فقذفت الرياحُ المراكب عن الجزائر وبقي الملاحون يسيرون في عرض المحيط اياماً كثيرةً الى ان وصلوا الى جزيرة عظيمة سواحلها جميلة جداً ، تخترقها انهار صالحة للملاحة ، هواؤها معتدل ، وسكانها دمثو الاخلاق يسكنون بيوتاً تحاكي مصايف اغنيائنا

«ويذكر ديودورس ايضاً ان الفينيقيين وجدوا صيداً كثيراً ، وفاكهة لذيذة ، وطيوراً بهيّة الالوان واخشاباً ملوّنة عطرة ، وذهباً وفضة وحجارة كريمة »

والاستاذ شفنهاغن يقول ان الجزيرة الكبيرة التي يذكرها ديودورس هي البرازيل ولا عبرة بقوله « جزيرة » لان المؤرخين القدماء كانوا يطلقون اسم جزيرة على كل ارضٍ واقعة في البحر الكبير

« وفي ايام حيرام ملك صور وصلت عمارة فينيقية الى البرازيل وصعدت في نهر الامازون . وانشأ القادمون مستعمرة سوليموئنز (Solimoes) الباقية الى اليوم . وسميت هكذا تكريماً للملك سليمان الحكيم صديق حيرام . ومن المعقول ان يكون جانب كبير من الفضة والذهب والجواهر التي قدمها حيرام الى سليمان ، مستخرجاً من مناجم البرازيل

« وكثرت مهاجرة الفينيقيين الى البرازيل حتى ان مجلس اعيان قرطاجنة منع المهاجرة الى « جزيرة المحيط العظيمة » لان اعضاءه خافوا من تناقص السكان

« وقام الفينيقيون بأعمال عظيمة في داخلية البرازيل . وكانوا يكلون أشغالهم الى مهندسين مصريين مأجورين ، ويستخدمون من سكان البرازيل الاصليين ، كما تدل النقوش على الصخور

« وكانت اول محطة بحرية لهم بالقرب من راس مار روكو في ولاية ريوغرانده الشمالية (Rio Grande do Norte) ومدّوا من هذه المحطة طريقين احداهما تتجه

الى الجنوب الغربيّ حتى بلاد براغواي ، عند محطة السفن الصاعدة في نهر لا پلاتا

« على جانب هذه الطريق وعلى ابعادٍ مختلفة مائة « كتابة» تعين الجهات، والمسافات بالمقاييس المصرية ، ومن هذه الطريق تتوزع طرقات فرعية الى المناجم المختلفة

« والطريق الثانية تمتدّ من مار روكز غرباً ، قاطعةً ولايات ر يوغرانده وسيَاراه، و پيأُوِي ومَرَنْيُونْ وبرَاه حتى أ كْرِي .واقسام كثيرة من هذه الطريق باقيةٌ الى اليوم صالحةً للاستعمال

« وفي جبل إِيبيَا پابا آثار شلالات اصطناعية لاعمال الري ، وفي ولايتي سياراه و پيأوِي آثار احواض هائلة الاتساع

« اما المدن التي بناها الفينيقيون في الشمال فهي :

مَكَاپاه ، طو پاوُن ، طُوطُويَهْ ، كاموسِينْ ، جَرِيْكُوَارا ، أُراكاتِيه ، طورس (الارجح انها تحريف تِيرس اي صور) و پياصابا

« وفي سنة ٣٣٢ ق . م . دمّر ذو القرنين مدينة صور . وفي سنة ١٤٦ ق . م . دمّر الرومان قرطاجنة ، فانقطعت الملاحة بين البرازيل والبحر المتوسط

« ولمّا انفصل الفينيقيون ورفقاؤهم المهندسون المصريون عن اوطانهم سار فريقٌ منهم شمالاً فاسس المدنية المكسيكية ، وتوجّهَ فريق غرباً فأوجد المدنية البيروانية »

والاستاذ شفنهاغن ، على ما رُوِيَ ، يصل البحث بالبحث في كل ولايات الشمال آملاً ان يميط اللثام عن اسرار تاريخية كثيرة

ومن محادثاتي لبعض الادباء من الشمال صرت ميّالاً الى الاعتقاد بصحّة هذا النبإ . وقد وعدني احدهم بكراريس وكتب تحوّل الميل الى اعتقادٍ راسخ . فاذا قام بوعدهِ وافيت قراء المقتطف بوصف قفار الداخلية في شمال البرازيل وما فيها من الآثار الفينيقية . والذي استخلصتهُ ان عادات كثيرة في شمال البرازيل شرقية محضة يعود اصلها الى ما قبل مجيء البرتقاليين الى اميركا الجنوبية

***

اذا ثبتت صحة هذه الآثار جاز لي ان افرض ان «اتلنتيدا » المشهورة هي البرازيل. وعندي ان هذا الفرض اقرب الى التصديق من فرض وجود قارّة ، في وسط المحيط الاتلانتيّ ، غاصت بمن عليها

اتلنتيدا ذكرها افلاطون وذكرها كثيرون بعدهُ ، وتعدّدت المذاهب والآراء

بشأنها. ومن الذين ذكروها الشاعر دانتي، فالي القارئ ما جاء في النشيد السادس والعشرين من الجزء الاول (الجحيم) من روايته العربية الاصل .

عولس (حكيم الاغريق في حرب طرواده) يخاطب دانتي من النار :

« سرت حتى وصلت الى ايبيريا ومراكش فشاهدت شواطئهما ، وشاطئ سردينيا و بقية الجزر التي يحيط بها ذلك البحر . وكان الشيب قد كلّل رؤوسنا لما بلغنا الى المضيق جعله هرقل حدًّا لا يتعدّاه الناس (جبل طارق) فخاطبت رفقائي قائلاً :

(ايها الاخوان ، قد وصلتم الى الغرب بعد معاناة اهوالٍ لا تحصى ، فلا تبخلوا على البقية الباقية لكم ، من العمر ، بمعرفة العالم الواقع في متجه الشمس . تذكّروا الارومة التي منها نشأتم وانكم لم تخلقوا لكي تعيشوا عيشة البهائم ، بل لكي تتبعوا الفضيلة والعلم)

« قلت هذا ثمّ حوّلنا ظهورنا للشرق واتخذنا من مجاذيفنا اجنحةً للطيرة الجنونية ، فكنا نسير الى الغرب منحرفين الى اليسار . وصرنا نشاهد نجوم القطب الآخر ونجوم قطبنا لا ترتفع فوق الافق . خمس مرّات ذرّ قرن الهلال وتكامل ضوء البدر ونحن في البحر الكبير . ثم لاح لنا عن بُعدٍ جبلٌ حسبتهُ أعلى جبال الارض . فطرنا فرحًا بهِ . ولكن سرعان ما تحوّل فرحنا الى غمّ لان زوبعةً هائلة هبت علينا من الارض الجديدة وصدمت مقدّم سفينتنا ، ثم برّمتها ثلاثًا مع ما حولها من الامواج ، وفي البرمة الرابعة رفعت المؤخّر وغطّست المقدّم فابتلعنا اللجّ »

فسيرة مائة وخمسين يومًا غربًا بجنوب من جبل طارق، وقطع خطّ الاستواء يدلاّن على اميركا الجنوبية اكثر مما يدلاّن على جزيرة كبيرة في وسط المحيط الاتلانتيّ

زِدْ على هذا الآثار التي اكتشفها النقّابون في البرازيل، افلا يجوز ان نفرض ان الاقدمين دوّنوا في كتبهم اخبار اميركا الجنوبية تحت عنوان « اتلنتيدا » ؟

والذي يقرأ الكتب القديمة ووصف دانتي لخطّة السفر (وهو بالطبع اخذها عن الذين تقدّموهُ) كيف يقدر ان يصدّق ان كولمبوس حاول السفر الى بلاد الهند بحرًا ليُنقذ الانسانية من تعب التحميل على الجمال ؟ انا لا اتصوّر كولمبس و پدرو ألفرس كبرال (مكتشف البرازيل) الاّ كتاجرين مغامرَين اطلعا على سرّ الملاحة القديمة فأقدما على عملهما حافظين للسرّ كما تقتضي كل تجارة كبيرة

انني لا اتجاوز حدّ الفرض في الوقت الحاضر ، وفوق كلّ ذي علم عليم

كوريتيبا — البرازيل توفيق داود قربان

التذكار المئوي لمرسيلان برتيلو

تأسيس رواق الكيمياء الدولي

منهاج التركيب الكيماوي — الحرارة الكيماوية — الوحدات الحرارية — المتفجرات — اغلال الازوت — تاريخ الكيمياء

ازال رجال الثورة الفرنسوية هامة لافوازيه عن جسده ولافوازيه هو ابو الكيمياء الحديثة . فلم ينقض ثلث قرن على هذا الحادث حتى انجبت فرنسا مرسيلان برتيلو صنوهُ في الكيمياء المعدنية وواضع قواعد الكيمياء العضوية وربَّ نجدتها فكان ذلك فاتحة عهد جديد اديل فيهِ للصناعة من الطبيعة

وقف الكيماويون قبل برتيلو حائرين امام مفاعيل للطبيعة دعوها « مظاهر الحياة » وحسبوا ان الصناعة مهما دق مسبارها وتلطف حذّاقها ونعمت ملامسة ادواتها وآلاتها وتنوعت كواشفها فانهُ ليس بوسعها ان تبلغ الى موضع السرِّ من ضرتها ومكان التفاعل فيها فيظل والحالة هذه للطبيعة سر الابتكار والتجديد وللصناعة اساليب الاقتداء والتقليد

ولقد كان الناس من عهد هرمس الى عصر جابر بن حيَّان الى جيل لافوازيه يرون ان النواميس الكيماوية في الجمادات والكيمياء المعدنية هي غيرها في النبات والحيوان اوالعضوية منها فاذا ببرتيلو يفتح امامهم رتاج هذه الاخيرة على مصراعيهِ مثبتاً ان دقائق المادة تتفاعل في الجماد كما تتأثر جواهرها في النبات وكما « تتركب » خلاياها في الحيوان متى تمت لها شروط معينة موافقة وبيئات خاصة من النور والكهربائية (القوس الفولطائي مثلاً) والرطوبة والحرارة وان النواميس العامة هي هي في ممالك الطبيعة الثلاث

فكان ذلك ثلمة في معقل الحياة الموصد انهارت منهُ على الطب والصيدلة والصناعة والزراعة والتجارة خيرات لا يأخذها الاحصاء ومواد جديدة ومركبات لا عهد للناس بها من قبل عجزت اغزر الموسوعات العلمية مادة عن ايجاد اوضاع ومسميات لها

قلت (تتركب) لان ميزة العصور التي خلت قبل برتيلو كان (التحليل) analyse اما هو فقد وضع التركيب والتأليف synthèse فكانت احدى نتائج منهاجهِ الجديد ان الاجسام الدسمة تجاوز ما نعرفهُ منها حتى الآن الالوف من الانواع بينما كان اباؤُنا منذ نصف قرن لا يتجاوز سردهم منها العشرات دون المئين والآلاف على حد القول المأثور (ان المعمل وليد المختبر) . ولقد كتب هو نفسهُ في حق منهاجهِ الجديد ما محصلهُ: « ان

منهاج التركيب الكيماوي يستحضر لديك الاجسام الطبيعية و يستلّ من العدم كل يوم الوفًا من المركبات لا عهد للطبيعة بها من قبل وهـذه المركبات هي مصدر ثروة الامم ونجاحها تساعد دون انقطاع على اسعاد النوع البشري ورفاهيته» واليك ما قاله في الكيمياء بوجه التعميم وهو خير وصف لها « ان الكيمياء تخلق موضوعها وهذه الخاصة المبدعة تجعلها شديدة الشبه بالفن وتميزها عن العلوم الوضعية الباقية »

وسلك العلماء بعدهُ السبيل الذي جاب فاذا الزيوت العطرية تحمل شذا الازهار المختلفة وهي لا عهد لها باصول تلك النباتات ولا بسوقها ولا باوراقها . واذا الصباغ النيلي وضروب الالوان التي امتازت بها المعامل الكيماوية الغربية تستخلص من فضلات معامل الغاز واذا عطر القرنفل مصدر شذا الثانيلا فلا نقل بعدها : « فنسيم الصباهبت بربا القرنفل » واذ المورفين يخدر الاعصاب ولم يسر في جذع الخشخاش ولا شوهد في اقراص الافيون واذا الكينين علاج البرداء (الملاريا) لم تمتصها الجذور ولم تسكن في اللحاء

***

لقد كان من الراسخ في يقين برتيلو الاعتقاد بوحدة النواميس الطبيعية ومن هـذه البؤرة كانت تشع انوارهُ

فبينما كان يحاول يومًا اصطناع الحامض الفورميك جريًا على منهاجهِ التركيبي وقد جمع بين عنصري الماء واوكسيد الكربون اذ استرعى انتباههُ امر وهو الحرارة التي يتطلبها تأليف هذا الجسم المركب فكان هذا وامثاله باعثًا على درس الحرارة الكيماوية Thermochimie وشطر متعدد تراكيب الاجسام الى قسمين منها ما يستورد الحرارة عند تأليفهِ او تحليلهِ وهو Endothermique ومنها ما يصدرها وهو Escothermique وهنا اشرف من علٍ على الوحدات الحرارية calorie كبيرها وصغيرها التي عرفها الكيماويون قبلهُ بقليل ولكنهُ كساها اللباس الكوني الذي كانت تبرز فيهِ مخدرات افكاره وملحوظاتهِ واغناها بكثير من مقاييس الحرارة Calorimètres التي لا يزال بعضها يحمل اسمهُ

ولما كانت ضروب الاطعمة والاشربة التي نتناول ليست الأ مركبات لا قوام للحياة الأ باحتراقها احتراقًا منتظمًا وارسال دخانها زفيرًا اتضحت لك هنا عظمة فكرة برتيلو وكيف ان علماء وظائف الاعضاء عمدوا الى اساليبهِ في قياس الحرارة واتخذوها دستورًا للعمل فوضعوا قواعد للطعام الكامل من الغذاء وللمقادير اللازمة فيها من المواد النتروجينية (كاللحم والبيض) والنشوية (كالسكر) والدهنية (كالاسمان والزيوت) وما تطلبهُ

ساعات عملٍ ما من مجموع وحداتها الحرارية لان العمل والحرارة مظهران من مظاهر نشاط المادة الكامن

وقاده اهتمامهُ بالحرارة الكيماوية ومفاعيلها الى الاشتغال بطائفة المتفجرات منها وهي تلك المركبات التي اذا نفثت ما في جوفها من الحمم فلا عاصم لها ولا واقٍ فعرف ان سرعة انفجارها متوقفة على درجة حرارتها وعلى تكاثف الغاز فيها فما زال بها حتى هذَّبها وازال سوء خلقها وراضها فكانت بعد ذلك بين ايدي المهندسين ورجال المناجم والمعدنين سهلة القياد يطلقونها متى ارادوا و يمسكونها متى شاؤُوا وفي تضاعيف الاهتمام بهذا النوع الاخير اكتشف احد مساعديهِ طريقة تحضير البارود دون دخان

وكأَنما سئمت نفسهُ صحبة الازوت (النتروجين) في المركبات العضوية فاحب ان يشارفهُ و ينازلهُ في ميدانهِ الفسيح وهو الفضاء وكان الجدال قد احتدم يومئذٍ بين الكيماويين من جهة وبين المهندسين المزارعين من جهة اخرى عن مصدر الازوت ومركباتهِ في الارض المزروعة وادعى كلٌّ منهما رأياً . فوفَّق برتيلو بين الخصوم باكتشافهِ الجديد وهو ان الازوت ومركباتهِ التي لا غنى للتربة المزروعة عنها انما هي مواد تُمكن من جرها الى جوف الارض واثباتها فيها ملايين من مليارات البكتيريا تنوع حول جذور النباتات فوعاناً وهي اشبه شيء باغلالٍ وقيود للازوت ومركباتهِ العديدة فكان من وراء ذلك للزراعة فوائد جمة . كذلك كان شأْنهُ في اكتشاف بعض الخمائر السكرية وسواها من مولدات الاختمار والتطور في افرازاتٍ عديدة

وادار ببصرهِ فرأَى تاريخ الكيمياء مبعثراً متقطعاً تحوم حولهُ الظنون والناس لا يرون فيهِ الاَّ تخرصات اوهام فلم يشاء نظرهُ الشامل ان تظل الصلة بينهُ و بين اسلافه منقطعة. وكان ان رفيق صباهُ الفيلسوف الشهير رينان قد علَّمهُ العبرية مقابل تثقيفهِ اياهُ في العلوم الطبيعية الحديثة فاستفادَ من معرفة تلك اللغة مع لغات شرقية قديمة وجاء الى مصر ووقف على كثير من تاريخ الكيمياء في مخطوطات عديدة واصدر في ستة مجلدات ضخمة وبمساعدة كبار المستشرقين في باريس وفي مكتبتها الوطنية تاريخاً للكيمياء والكيماويين من قدماء المصريين والعرب والسريان والكلدان والافرنج من عهد هرمس الى عصر خالد بن يزيد وجابر بن حيان الى جيل لافوازيه كشف فيهِ القناع عن الرموز القديمة في الصناعة واثبت ان ما كانت تحسبهُ بعض العقول السطحية هراء كالحجر الفلسفي مثلاً لم يكن إلاَّ الخطوة الاولى — التي خطاها المتقدمون — في سبيل المعرفة

والاختبار وهي مجهودات ومحاولات يجب ان تقابل بالتشجيع لا التقريع

ولقد عقد الكاتب الفاضل اسماعيل بك مظهر مقالاً عن جابر بن حيان في مقتطف مايو ١٩٢٦ جاء في صدرهِ اشارة الى ما نحن بصددهِ ما هو نصهُ « ولقد قال في جابر بن حيّان الاستاذ برتيلو المؤلف الفرنسوي وصاحب كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق . فكأن جابراً عند برتيلو اول من وضع لعلم الكيمياء قواعد عملية تقترن باسمهِ في تاريخ الدنيا»

ولقد سبق لكاتب هذه السطور ان ذكر اشياء عديدة عن جابر وعن برتيلو في اطروحتهِ الطبية (Thèse) عام ١٩٢٢ بكلية باريس وموضوعها« حظ الطب العربي في تطور الطب الافرنسي » والكتاب المذكور يصدر قريباً في حلّتهِ العربية

***

عيدت باريس امس في حفلة رائعة التذكار المئوي لمرسيلان برتيلو ولكن العبرة من هذا الحادث لم يكن الاحتفال التذكاري وفي النية اعادتهُ في اكتوبر القادم بل فكرة تأسيس رواق الكيمياء الدولي في قلب عاصمة الفرنسيس على رمية سهم من الاوبرا

ان الرواق المذكور يشمل مكتبة وابنية ومختبرات فسيحة هي آخر ما وصل اليهِ الاتقان والعظمة في الفن في هذا العصر وسيكون قبلة الكيماويين وارباب الصناعة كبيرها وصغيرها في الجهات الاربع كما كان برتيلو مطمح ابصارهم والنجم اللامع الذي يهتدى بهِ في الظلماء

يأوي الى هــذا الرواق « الاتحاد الدولي للكيمياء النظرية والعملية » وهو الفرع الكيماوي « لهيئة الابحاث الدولية» وتلقى فيهِ محاضرات عمومية في اوقات ومواعيد معينة تدور حول تطبيق العلم على العمل تستفيد منها التجارة والصناعة والزراعة والطب والصيدلة في مشارق الارض ومغاربها كما استفادت كلهــا من اكتشافات برتيلو في الطريق المعبد الذي خلفهُ ذلك الرجل الفذّ قطب الصناعة في عصرهِ وامام من جاء بعدهُ فيها . ذلك الرجل الذي وجد متسعاً من الوقت فشغل منصبي وزير خارجية ووزير معارف في امتهِ والذي قال فيهِ الاستاذ اميل فيشر كبير كيماويي المانيا عام ١٩٠١ « كي لا يصبح العلم فئات ينتهبها الاختصاصيون يلزم لهُ على الاقل دماغ اوحد جدير ان يحيط بهِ ويلم بجذافيرهِ و برتيلو كان ذلك الدماغ واخشى ان لا يعقبهُ دماغ آخر من طبقتهِ»

الدكتور يوسف فرج حريز
لوريا كلية الطب بباريس

اثر المهاجرين السوريين

في النهضة الشرقية الحديثة

قرأت ما كتبهُ حضرة الباحث المدقق الاستاذ محمد كرد علي في مقتطف فبراير الاخير عن هذه النهضة واثر المهاجرين السوريين فيها . ثم قرأت ما خطتهُ ايضاً يراعة الكاتب الكبير الامير شكيب ارسلان في ذلك الجزء نفسهِ من المقتطف فكدت احجم عن استئناف البحث في هذا الموضوع لان كلا الكاتبين الفاضلين وفّاهُ حقهُ من الشرح والتفصيل

ولكن طالباً لا يرد يرى « انني من المهاجرين الذين درسوا احوالهم واحاطوا باثرهم في تكوين هذه النهضة ولذلك فلا مناص من تحبير فصل خاص عنهم اتماماً للفائدة »

فوفرة عدد المهاجرين السوريين ، وما احرزوهُ من مال وعلم واختبار ، مع ما تعلم من شدة تعلقهم بوطنهم الاصلي — كل هذا يجعل المهاجرة عاملاً لا يستهان بهِ في تكوين هذه النهضة وفي انعاشها وتقويتها

وتمهيداً لما احاول بسطهُ في هذا المقال اذكر ما قرأتهُ من عهد قريب لعالم خطير من علماء الاجتماع الاميركيين وضع قاعدة بشأن المهاجرة والمهاجرين ورد فيها ان المهاجرين من اي جنس و بلاد يكونون في اغلب الاحيان اشدّ وطنية من المتخلفين . ومما استشهد بهِ ما رآهُ في المهاجر البريطاني والطلياني والالماني والفرنساوي وغيرهِ وخصوصاً في اثناء الحرب الكونية الاخيرة

ليس من السهل على كاتب عربي مثلي ان يقول بصحة هذه القاعدة او فسادها ولاسيما فيما يتعلق بالمتخلفين . ولكن من السهل عليهِ ان يجاري الشاعر العربي فيردد قولهُ الخالد

كم منزلٍ في الارض يألفهُ الفتى وحنينهُ ابداً لاول منزلِ

كذلك ارى انهُ ليس من السهل على الكاتب سواء أكان مهاجراً او متخلفاً ان يثبت او ينفي كون سورية لنا وطناً بالمعنى الدولي المعروف. ولكن ليس من الصعب عليهِ ان يتمنى؟

ان انسَ فلن انسى تلك القشعريرة التي اخذتني ساعة قرأتُ لاستاذي المحقق سعادة السر سعيد شقير باشا ان السوري لا وطن لهُ . (راجع في المقتطف خطبتهُ النفيسة في الجامعة الاميركية ببيروت في احتفالها السنوي مجلد ٦٧ ص ١٢١ و٢٥٧) على انني ممن يعللون النفس بالآمال — وما اضيق العيش لولا فسحة الامل — فما على الله شيءٌ عسير

والشرق كان وما يرح بلاد العجائب والغرائب . ولطالما فوجيء العالم بالانقلابات دينية وسياسية واجتماعية قام بها ابناء الشرق في مختلف العصور فغيروا الظنون بهم — وغيروا مجرى التاريخ

على انهُ مهما اختلفنا في هل المهاجر اشد وطنية من المتخلف ، او في هل للسوري وطن ام لاوطن لهُ ، لكننا لا نختلف في حقيقة راهنة هي ان النهضة الحديثة الشرقية امر واقع ملموس ، وان للمهاجرين السوريين اثراً بيناً فيها ، ماديًّا ومعنويًّا

وما الكلام على المهاجرين في هذا المقام سوى استمرار الكلام عن الاحتكاك بالاجانب الذي اوجزت شرحهُ في مقالي السابق في مقتطف ابريل الاخير . وانت تعلم ان حياة المهاجرين واسباب معايشهم تضطرهم الى ذلك الاحتكاك يوميًّا . والحوادث المختلفة التي تقع كل ساعة على مرأى منهم ومسمع . في كل مهاجرهم من اليابان والفيلبين في الشرق الاقصى الى اوربا والقارتين الاميركيتين غرباً مما يزيد في حنينهم الى وطنهم الاصلي . ومما يدفعهم الى مشاركتهِ مشاركة فعلية بالسراء والضراء . ان لم يكن بفعل الشعور والعواطف فبفعل الغيرة والتقليد والاقتباس

ما لنا ولذكر العواطف في هذا المقام رغماً عمَّا هو معلوم عن الشرقيين عموماً انهم اسهل انقياداً واسرع خضوعاً لسلطان « القلب » منهم لسلطان العقل . ولنحصر الكلام في اتقان السوري التشبه والاخذ عن الغير

فما الذي يشاهدهُ السوري يا ترى في ديار غربتهِ (في اميركا) مما يحملهُ على تمادي السنين محبًّا لوطنهِ راغباً في اسعادهِ وساعياً جهدهُ لانهاضهِ

يرى المهاجر السوري صباح كل يوم وهو في طريقهِ الى عملهِ الوفاً مؤلفة من الطلبة بين ذكور واناث واقفين في ساحات المدارس العمومية امام اعلامهم الوطنية يحيونها باحترام يقرب من العبادة و ينشدون امامها اناشيد حماسية تغرس في افئدتهم حب وطنهم وتفضيلهُ على سواه

يرى الالوف من الفتيات والفتيان يصغون في اعيادهم الوطنية الى خطباء يشرحون لهم فضائل الابطال الذين تسمت تلك الاعياد باسمائهم وتحبب الى هذا النشء الجديد التجمل بتلك الفضائل والمميزات واولها حب الوطن والتضحية في سبيلهِ

يرى منهم المباهاة بوطنهم ولو كان من الجمهوريات الصغرى التي لا شأن يذكر لها في المجتمع السياسي والعائلة الدولية

يرى في اعيادهم الاستقلالية جماهير لا تحصى ولا تعد تموج في الشوارع والحدائق والساحات وامام بنايات الحكومة وعليها كلها « لباس العيد » تترنح اعطافها طرباً وترقص افئدتها سروراً وجذلاً وهي تنشد ابلغ ما انتجتهُ قرائح المجيدين من شعرائها من الاغاني الوطنية . وتميل رؤُوسها سكراً امام اجواق متعددة من موسيقيين ماهرين يعزفون و ينشدون و يكررون اغاني وانغاماً هي افعل من المدام — هي ارقى ما وضعهُ الفنيون الاختصاصيون من موسيقى تستهوي كما بسحر ساحر فتتلاعب بالقلوب — و بالعقول — وتجعل تلك الموجات البشرية كأنها سكرى تحلق بالروح في سماء الوطنية وتخرج من اعماق القلوب اصواتاً تصل الى عنان السماء وهي تكرر تلك اللفظة الحلوة العذبة : بلادي ! بلادي !

اعرف رجلاً سورياً عندما شاهد لاول مرة عيد الاستقلال الاميركي اخذ يبكي...

لست الآن في موقف يسمح لي بتحليل عواطف ذلك السوري وشعوره (دقيقتئذٍ) تحليلاً علمياً بسيكولوجياً ولكنني في موقف يجيز لي ان اعبر فيهِ عن فكر كل مهاجر واقول بلسانهِ

« بلادي . وان جارت عليَّ .... عزيزة »

هذا شيء من المؤثرات الايجابية التي تحمل السوري المهاجر على التشبه والتجدي . اما المؤثرات السلبية فافعل وابقى لانها امرُّ وأدهى

***

وقع نظري قبيل كتابة هذه السطور على ترجمة (اوجين شن) وزير الخارجية حالاً في الصين فزدت رسوخاً في عقيدة بنيت عليها كلامي في هذه المباحث وهي ان احتكاك الشرقي بالغربي من اقوى العوامل على إنماء الوطنية فيهِ ان لم يكن اقواها وافعلها

قضى هذا الزعيم الشرقي معظم حياتهِ في بلاد الغربة حيث رأى في المستعمرات بأم العين تلك الاساليب المنكرة التي تمادى الغربيون في الجري عليها ضد الشرقيين فثار ثائر غضبهِ وعاد الى بلادهِ ملتزماً حتى التضحية في سبيل تحريرها وانهاضها

وترجمة غاندي في المقتطف حديثة العهد نوعاً ومنها يستنتج القارئ اللبيب الباعث الجوهري الذي بعث ذلك الرجل العظيم الى التضحية بما ضحى بهِ لاجل الهند بلاده

والمطلع على تاريخ مؤسس النهضة الصينية الحديثة المرحوم الدكتور (صن يات سن) يرى ان اقوى سبب في دفعهِ الى العمل هو مكثهُ مدة طويلة في اميركا الشمالية حيث

تلقي علومهُ في كلياتها مع امرأتهِ . وهذه لا تزال حتى الساعة اذا ما خطبت في قومها يكون عدد السامعين ثلثماية الف نسمة فما فوق حسبما نشرت التيمس آخراً ورسمت

ويعوزني المجال لاذكر ولو موجزاً ما فعلهُ ابطال تركيا الجديدة ولكنني اجمل فاقول ان احتكاكهم بالغرب وبالغربيين كان اقوى عامل في نهضتهم الحديثة

والسوري لا يقل استعداداً للعمل وحبًّا للحرية والاستقلال عن التركي والهندي والصيني والياباني وغيرهِ من الشرقيين . ولا اقول انهُ ربما فاقهم في هذا المضمار لانهُ ارجح عقلاً واعزّ نفساً واوفر استعداداً بمفردهِ لئلا أُتهم بالتحيّز . ولكنني لا اجد بدًّا من القول ان السوري رقيق الشعور رقيق الاحساس يحب الحرية ويعشق الاستقلال . وانهُ في مهاجرهِ يرى يوميًّا كما المعت آنفاً ما يوقظ فيهِ هاتيك العواطف . ومن كان مثلهُ قويًّا ولو بمفردهِ لا يمكن ان يبقى ابد الدهر جاهلاً معنى التضامن القومي والاتحاد الوطني الذي بهِ وحدة المجموع وقوتهُ . لا يمكن ان يجهل فائدة القاعدة « الكل للواحد والواحد للكل » — لا يمكن ان يبقى الى ما شاء الله مستكنًّا مستنيماً وغيرهُ من الجيران مستيقظ مستبسل . بل لا بدّ لهُ يوماً من السعي والعمل ان لم يكن اقتناعاً فاقتباساً واقتداء

ولما كان الكلام مقصوراً في هذا المقال على المهاجرين الى اميركا اقول ان اسباب الاقتداء والتشبه والغيرة بين المهاجرين متوافرة . فالمهاجر السوري يرى اينما حلّ ان حكومة البلاد التي يستوطنها لا تقبل الاجنبيّ في مناصب الحكومة مثلاً حتى الحقيرة منها ولو كان هذا على اتم الكفاءة لها

يراها في المدارس تجعل التعلم بلسانها القومي اجباريًّا ولا تنصّب اساتذة الاَّ من الوطنيين الصميميين . يرى اللغة الوطنية هي السائدة . يرى ارباب المناصب والمستخدمين في الشركات الاجنبية والمصارف الاجنبية جلّهم من الوطنيين . وهذه ايضاً كالمدارس والجمعيات والنقابات خاضعة لسيادة الحكومة المحلية خضوعاً كليًّا

يرى « الروح » الوطنية ترفرف على الوطنيين خاصة وتميز بينهم وبين الاجانب في الاندية والجمعيات العلمية والادبية والفنية والرياضية والاجتماعية — ولا يحسبني القارئ الشرقي مبالغاً اذا قلت بان تلك « الروح » تميز بين الوطني والاجنبي حتى في امور العبادة وشؤون الدين . ولو كان الوطني والاجنبي كلاهما من مذهب ديني واحد

يرى الحكومة تجهر علناً بحماية المصنوعات الوطنية ولو كانت لا تضاهي المصنوعات الاجنبية . يراها تحمي الطبيب الوطني والمهندس الوطني والمحامي الوطني بما ترسمهُ على

الاجنبي من امتحانات ونفقات لا قبلَ لايٍ كانَ بها لان القصد منها حماية الوطني من مزاحمة الاجنبي بكل الوسائط

يرى الشوارع والساحات والحصون والقلاع والقرى والمحطات والمدارس مسمّاة كلها باسماء وطنية بحتة لا أثر فيها لاسماء اجنبية الا فيما ندر والنادر لا يُقاس عليهِ

يرى الحكومة والشعب والصحافة والاحزاب تتحد باقل من لمح البصر حالما تبرز معضلة خارجية تهمّ البلاد. والويل ثم الويل للاجنبي الذي تسوّل لهُ نفسهُ التعرض والتدخل . فانهم حتى في ثوراتهم الداخلية وهم يعملون السيوف بعضهم برقاب بعض ينسون حالاً ثاراتهم ومنازعاتهم الداخلية و يتفقون على الاجنبي المتدخل. واتفاقهم هذا متين لا تشوبهُ شائبة ولا يزعزعهُ وعد او وعيد من الخارج . وهكذا فلا يجسر اجنبيٌّ مهما كان قويًّا او معتزًّا بسطوة دولتهِ وجاهها على الافتكار بمثل ذلك ولا على التدخل بايّ شأن من شؤون البلاد . وخصوصاً الحيوية منها

يرى السوري المهاجر هذه الامور واشباهها كلّ يوم فيقابل بينها و بين ما يعلمهُ عن حالة وطنهِ مستضعف يتوكل و يُذم فلا يتمالك من التأوه والتحسر و بضدها تتبينُ الاشياء

و بديهيٌّ ان العواطف كالبركان لا بدّ لثائرها يوماً من ان يهيج فيظهر منهُ ما بطن. ومثل هذه العواطف النبيلة الوطنية ظاهرة للعيان في جرائد المهاجرين ومجلاتهم ومؤلفاتهم وخطبهم واشعارهم — في صحافة قوية مهما تباينت آراؤها وتضاربت غاياتها واختلفت في نزعاتها ومناهجها فانها كلها بلا استثناء متفقة على الامر الرئيسي الذي انا بصددهِ وهو حب الوطن وتشويق المهاجرين الى التضحية في سبيل إنهاضهِ واسعادهِ ورقيهِ

واذ ان الشيء بالشيء يذكر اقول انك قلما تدخل بيتاً من بيوت المهاجرين في هذه الايام ألا تجد فيهِ المقتطف او الهلال او المباحث او مجلة السيدات والرجال وغيرها من المجلات العربية التي اشتهرت بخدمة اللغة والقومية وهذا ايضاً لهُ نصيبهُ من الفعل المعنوي

زد على ذلك ما اقرأهُ حيناً بعد آخر عن سخاء فريق من افاضل المهاجرين في اميركا الشمالية والجنوبية في سبيل العلم . ففي كليات بيروت واميركا عدد غير قليل من الشبان السوريين يتعلمون على نفقة اولئك الافاضل

ومثل ذلك اقول عن المدارس السورية في المهجر ففضلها على اللغة والقومية لا يقلّ عن فضل الصحافة . ولقد دهش سمو البرنس محمد علي يوم زار هذه البلاد في العام الماضي من وفرة المعاهد العربية وحثّ على الاستزادة منها

والجمعيات السورية للمهاجرين منتشرة حتى في القرى والدساكر وهي ترمي الى غرض شريف هو خدمة الاسم السوري . ولها كلها فضل عظيم في اسعاف الوطن السوري عند الملمات وحلول المصائب — وما اكثر حلولها في تلك البلاد المنكودة الحظ — والاعانات المالية الطائلة والمتتالية التي ارسلها المهاجرون في ايام الحرب العظمى وبُعيد تلك الحرب وفي الثورة الحالية دليل محسوس ليس على اريحيتهم فحسب بل على صدق وطنيتهم ايضاً

ولا حاجة الى ذكر الاموال الوفيرة التي انفقها المهاجرون في التشييد والتجديد يوم كانوا يعودون الى سوريا فآثارها في التحسين والاصلاح بادية للعيان . هذا فضلاً عمّا يأخذهُ المهاجرون معهم من افكار حرّة · وآراء عصرية . ومبادئ مستجدة مستحبة . ومعلومات جديدة ومعارف نافعة — فذلك كلهُ يعين على تعميم الاستنارة بنور العلم والعرفان . وعلى التحرر من قيود الجهل والتعصب والتواكل والاستسلام

واني لعلى يقين بان الكثيرين من المهاجرين لا يترددون لحظة في امر الرجوع نهائيًّا الى سورية فيما لو اتاح الله لها حالة مستقرة مرضية . اعتبر ذلك بما بدا منهم يوم اعلان الدستور العثماني وحال انتهاء الحرب الكونية الاخيرة . ولطالما جاهر السوري في مختلف المواقف برغبتهِ في استثمار امواله في وطنهِ الاصلي في مشاريع زراعية او تجارية او صناعية فضلاً عن رغبتهِ في مناصرة المشاريع الخيرية والتهذيبية والعلمية

واراني غير مخطيء اذا ما قلت ان كثيرين من المهاجرين يعودون الى العزم على اتمام هذه الرغبة حالما يوقنون بان القاعدة الاساسية للحكم التي وضعها الفيلسوف سقراط معمولٌ بها وهي (الامن · والعدل) . فهل يقيّض الله للسوري المهاجر ان يعود يوماً الى وطنهِ فينفعهُ بمالهِ وعلمهِ واختبارهِ ام هل يبقى ذلك الوطن المفدّى كرةً تتقاذفها صوالجة المطامع الخارجية والمنازعات الداخلية ذلك في علم الله وحدهُ . وهو علاّم الغيوب

سان باولو . برازيل — الدكتور سعيد ابو جمره



[المقتطف] وبديهي ان كل ما ذكرهُ حضرة الكاتب في هذه المقالة انما خصّ بهِ المهاجرين الى اميركا ونحوها لا المهاجرين الى القطر المصري لان هؤلاء يحسبون سورية ومصر شقيقتين او بلاداً واحدة كما كانا في كثير من عصور التاريخ وكما نرجو ان تعودا يوماً ما

الكسوف الكلي المقبل

قلنا في باب الاخبار العلمية من مقتطف ابريل ان الشمس ستكسف في ٢٩ يونيو كسوفًا يظهر تامًّا في البلاد الانكليزية. وسيصدر هذا الجزء قبلما يحدث هذا الكسوف وترد اخباره ولكن الموضوع شائق من وجه تاريخي . فقد كنا بالامس ننظر في تاريخ ابن اياس فرأينا في الجزء الاول منهُ ان الشمس كسفت في خلافة الامام المستعلي بمصر (بين سنة ٤٨٧ و٤٩٥ هـ) « وغابت جميعها واظلمت الدنيا حتى ظهرت النجوم وقت الظهر واقامت على ذلك الى آخر النهار حتى انجلت » ولم يذكر اليوم الذي حدث فيهِ ذلك ولا السنة ولكن لا شبهة في ان الكسوف كان كليًّا حتى استطاع الناس ان يروا النجوم وقت الظهر اما قولهُ « واقامت على ذلك الى آخر النهار حتى انجلت » فان كان مرادهُ ان الكسوف الكلي دام كل ذلك الوقت فغير صحيح لان انحجاب الشمس كلها لا يدوم الاَّ دقائق قليلة اكثرها سبع دقائق والغالب ان يكون دقيقتين الى اربع .وابن اياس ناقل لا مشاهد لانهُ ولد بعد ذلك باكثر من ثلثمائة سنة

وقرأنا في الجزء الثاني من هذا التاريخ في حوادث سنة ١٤٦٢ ان الشمس « كسفت كسوفًا فاحشًا من بعد الضحى الى قرب العصر حتى اظلمت الدنيا في اعين الناس »

***

وقد كسفت الشمس كسوفًا كليًّا في هذا القطر مرتين في عهد المقتطف الاولى في ١٧ مايو سنة ١٨٨٢ وكان المقتطف لا يزال في سورية فكتبنا عنهُ في الصفحة ٥٩ من مقتطف يونيو تلك السنة ان السر ملِت القنصل الجنرال لانكلترا في مصر بعث الى حكومتهِ برسالة برقية قال فيها ان الرصد الانكليز الذين جاءوا الى مصر قد تيسَّر لهم رصد الكسوف الكلي على اتم المراد في ١٧ مايو (ايار) فصوروا اكليل الشمس وطيف الاكليل وطيف النتوات ايضًا تصويرًا شمسيًّا ولما نظروا في الصورة رأوا فيها صورة نجم ذي ذنب موقعهُ قرب الشمس

والكسوف الثاني حدث في اغسطس سنة ١٩٠٥ وقد كتبنا عنهُ كثيرًا في مقتطف تلك السنة ولاسيما في مقتطف اكتوبر حيث قلنا ما نصهُ

« حسب علماء الفلك ان كسوف الشمس سيكون تامًّا في اصوان فاوفدوا الوفود لمراقبتهِ

من روسيا واميركا وانكلترا فالوفد الرومي ورئيسهُ الدكتور دوبنسكي جاء لاجل الارصاد المغنطيسية اي ليرى هل تقلُّ مغنطيسية الارض باحتجاب نور الشمس عنها فاعطتهُ مصلحة الآثار المصرية مدفناً رحباً حيث وضع آلاتهِ بعيدة عن سائر آلات الرصد لكي لا يؤثر فيها شيءٌ منها . والوفد الاميركي فيهِ الاستاذ هسي والاستاذ وست وهو من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت و يرصد معهُ . وارسل وفدان آخران من اميركا الواحد الى لبرادور والآخر الى اسبانيا . وغرضهم رصد الاكليل الذي يظهر جلياً حول الشمس وقت كسوفها وما يظهر فيهِ من المشاعل والنتوات ورؤية السيَّار الذي زعم البعض انهم رأوهُ قرب الشمس وهو اقرب اليها من عطارد . والحكمة في جعل الوفود الاميركية ثلاثة في اماكن مختلفة ان ترى حركة المشاعل وسرعتها فاذا رأى الوفد الذي في لبرادور مشعلاً ورآهُ الوفد الذي في اصوان فتكون رؤية هذا لهُ بعد رؤية الاول بنحو ساعتين ونصف فيعلم كم يطول او كم يقصر في هذه المدة و تعلم سرعتهُ وكذا يُعلم ما يحدث في الاكليل من التغيرات مدة الكسوف بين حدوثهِ في لبرادور وحدوثه في اصوان . وفي الوفد الانكليزي الاستاذ ترنر والمستر بلي وغرضهُ قياس اشراق الاكليل على ابعاد مختلفة من مركز الشمس وقياس ما فيهِ من النور المنعكس او المستقطب

« ولما حدث الكسوف كانت السماء صافية والريح هاجعة او تهب نسيماً وحدثت الماسة الاولى الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ واحتجب وجه الشمس كلهُ الساعة ٤ والدقيقة ٣٦ و بقي محجوباً دقيقتين و٢٤ ثانية وظهرت نجوم كثيرة ولاسيما المريخ وكان الاكليل واضحاً جداً والمشاعل كبيرة في مناطق الكلف والغربية منها اقصر من الشرقية وطول الاطول مضاعف قطر الشمس وظهرت مشاعل قصيرة من قطبي الشمس الشمالي والجنوبي وكانت النتوات كبيرة ولاسيما الناتئة من طرف الشمس الغربي . وشاهدنا الكسوف في العاصمة فابتدأ الساعة ٣ والدقيقة ٩ ولما بلغ اشدهُ بقي من الشمس هلال صغير كالقمر وهو ابن ثلاثة ايام ولكن نورها بقي ساطعاً لا تحتمل العين النظر اليها من غير زجاجة مدخنة او ملونة و بقيت الغربان والحدآن محلقة في الجو على جاري عادتها لكن العصافير الصغيرة سكنت »

ورُئي في القطر المصري في القرن الماضي كسوفان كاملان غير كسوف سنة ١٨٨٢ الاول سنة ١٨٣٩ والثاني سنة ١٨٦٠ وحبذا لو رأى احد وصفاً لهما فاتحف المقتطف بهِ

الاحوال في جزيرة العرب

نظر تاريخي في تقسيمها الجغرافي والسياسي الحديث

ان كلمة الباحثين في شؤُون جزيرة العرب والمتتبعين لسير الحوادث في ربوعها متفقة على ان هذه الجزيرة التي لا يزال جانب منها مجهولاً لم يرتده رائد والتي عجز الفاتحون والغزاة عن تدويخها في التاريخ القديم ولا تزال ابوابها مقفلة حتى الآن في وجه التمدن الحديث تتحول الآن تحولاً ذا شأن يعدها لاستقبال حياة جديدة غير الحياة التي عرفتها قبلاً

﴿ بدء هذا التحول ﴾ ولا يخفى ان بلاد العرب كلها او هذا القسم الذي يطلق عليهِ اسم شبه جزيرة العرب كان جزءا من السلطنة العثمانية التي هوت في ختام الحرب العظمى وتفككت اوصالها كما تفككت اوصال امبراطورية آل هبسبورغ في اوربا وقامت على انقاض هذه كما قامت على انقاض تلك حكومات ودول مختلفة اقتسمت تراثهما وحلت محلهما

وفي الواقع ان خضوع هذا الجانب من بلاد العرب للترك (والمقصود بهِ هنا اليمن والحجاز وبلاد نجد) كان صوريًّا اكثر منهُ حقيقيًّا وذلك لان في هذه البلاد اسراً كبيرة ما برحت تتولى الحكم فيها منذ قرون طوال لم يقوَ العثمانيون على مقاومتها ولم يستطيعوا التخلص منها . فكانت في الحجاز العائلة الهاشمية التي اعتادت الدولة العثمانية ان تسند منصب الشرافة (شريف مكة) الى احد فروعها . وقد انحصر التنافس على تبوء هذا المنصب في القرون الاخيرة بين ذوي زيد ومنهم الشريف عبد المطلب والشريف غالب وقد اشتهرا في حروبهما مع الوهابيين في غارتهم الاولى على الحجاز . وذوي عون ومنهم الشريف حسين وبهِ ختمت الشرافة التي الغيت على اثر المناداة باستقلال الحجاز في سنة ١٩١٦ وانشاء حكومة عربية في ربوعهِ

وكان لشريف مكة مقام عظيم في السلطنة العثمانية . فكان يأتي بعد الصدر الاعظم وخديوي مصر في التشريفات وكان يتصل بالباب العالي مباشرة اي انهُ لم يكن يرجع في شؤُونهِ الى وزير الداخلية كبقية الولاة. وكان ذا نفوذ واسع في داخل الحجاز اذ كان الحاكم الحقيقي. اما الوالي العثماني فلم يكن يذكر بجانبهِ مع ان الاصل في اختصاص الشريف ان يكون موكلاً بالنظر في شؤُون عربان بادية الحجاز وحل ما يطرأ بينهم من خلاف والعناية باجور الحج والحجاج والاشراف على كل ما يتعلق بذلك من توطيد الامن والسهر

عليهِ وتدبير الجمال اللازمة . اي ان النظر في شؤون سكان المدن الحجازية لم يكن من اختصاصهِ الاَّ ان كثيرين من الاشراف وفي جملتهم الملك حسين نفسهُ تدخلوا في الجليل والحقير من الامور وبسطوا نفوذهم على جميع المصالح والدوائر مما كان سبباً في اختلافهم مع الولاة مما لا يتسع المجال للافاضة فيهِ هنا

وفي اليمن كانت الاسرة المتوكلية التي تنحصر فيها زعامة الزيود الدينية والسياسية ولا تزال تحكمهُ حتى الآن. وحسبك ان الحكم العثماني الذي استمر نحو اربعة قرون لم يتغلب عليها ولم يزحزحها. ويلقب القائمون بالامر من هذه العائلة بلقب أمير المؤمنين وهم يبايَعون مبايعة شرعية يشترك فيها العلماء والقواد وكبار البلاد ويشترط في المبايَع ان يكون حائزاً على رتبة الاجتهاد في العلوم الشرعية ومستجمعاً للشروط التي نص الفقهاء على وجوب اجتماعها في الخليفة اي ان يكون قرشيًّا بالغًا عاقلاً يحمي الثغور ويدافع عن الذمار

وائمة هذه العائلة هم الذين قاتلوا العثمانيين في اليمن وهم الذين استنفروا الناس للجهاد وللدفاع عن كرامة الشريعة وقد ظلت الحروب متواصلة بين الفريقين زهاء قرنين تمَّ في خلالها للامام الضحياني في القرن الثامن عشر الاستيلاء على اليمن كلها واخراج الترك منها. ويقال انهُ لما بلغ الحديدة (ميناء صنعاء) ضرب البحر بعصاهُ وقال لهُ «اشهد ايها البحر انني طهرت ارض ابائي واجدادي من الترك» ولكن هؤلاء عادوا بقوة كبيرة واستأنفوا الحرب فكانت سجالاً بينهما حتى سنة ١٩١١ فعقدت الدولة اتفاقاً مع الامام يحيى (الامام الحالي) اعترفت فيهِ بالمذهب الزيدي وقبلت ان لا يعين والي اليمن الاَّ بموافقة الامام ورجالهِ وان يكون في المحاكم الشرعية قضاة من الزيود اي انها منحت اليمن شبه استقلال داخلي فاستقرت الامور حتى ختام الحرب العظمى والى ان جلا الترك عن هذا القطر العربي نهائيًّا وسلموهُ لاصحابهِ الشرعيين فانشأ فيهِ الامام دولة عربية مستقلة كما سيجيء بيانهُ

وتختلف الحالة في نجد عما كانت عليهِ في الحجاز واليمن لعدم وجود اسرة كبيرة تتوارث الحكم فيها كالاشراف الهاشميين الذين يسودون الحجاز من قبل الاسلام وكالاشراف المتوكلين الذين يحكمون اليمن منذ عشرة قرون . وكانت في نجد امارات وقبائل متفرقة متنازعة لا رابطة ولا اتصال بينها دأبها الغزو والغارة حتى قام المصلح الشهير الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر للهجرة (واليهِ ينسب الوهابيون) فهالهُ ما كان عليهِ قومهُ من التأخر والانحطاط والجهل فدعا الى الاصلاح ونبذ التقاليد والعادات الضارة والبدع والخرافات فانضمت اليهِ طائفة وقاومتهُ اخرى . ولم يعلُ

شأنهُ ويلمع نجمهُ الاَّ حينما ايَّدهُ الامير سعود (امير الدرعية) فاقبل عليهِ الناس من كل صوب وكثرت شيعتهُ وازداد انصارهُ فازداد بذلك نفوذ الامير سعود. وكان من اثر ذلك الغارة التي اغارها هؤلاء على الحجاز في اوائل القرن التاسع عشر واستيلاؤهم على اكثر مدنهِ وامصارهِ وزحف الجيش المصري بقيادة محمد علي باشا لقتالهم وفتكهُ بهم وبلوغهُ عاصمتهم وقبضهُ على زعيمهم مما لا نحاول التوسع فيهِ هنا . فضعف شأن الوهابية على اثر هذه الضربة وتقلص ظلها . وما زال الترك يعملون على اضعافها ومقاومتها حتى تم لهم القضاء على امارة الرياض بمساعدة صديقهم وحليفهم ابن الرشيد امير حائل فلجأ الامير عبد الرحمن الفيصل السعود ومعهُ آلهُ واولادهُ ومنهم عبد العزيز الملك الحالي الى الكويت واقاموا فيها ضيوفاً على اميرها ابن الصباح وذلك في اواخر القرن الماضي . ولما بلغ عبد العزيز اشدهُ اغار بعدد قليل من رجالهِ على الرياض (عاصمة بلاده القديمة) فاحتلها وطرد عامل ابن الرشيد منها ووطد اقدامهُ فيها وما زال يجدُّ و يدأب حتى تمَّ لهُ في سنة ١٩٢٠ الاستيلاء على حائل والقضاء على امارة آل الرشيد والحاقها ببلاده

﴿ اثر الحرب العظمى ﴾ اعانت الحرب العظمى في بلاد العرب ثلاث قوات كبيرة لا يستهان بها : قوة الاشراف الهاشميين في الحجاز، والمتوكلين في اليمن، وآل السعود في نجد . فاتجهت انظار البريطانيين الذين انفردوا بالعمل في هذه الديار على اثر الحملة التي ارسلوها من الهند لغزو العراق وعلى اثر استعداد الترك في الشام للغارة على مصر — الى الاستفادة من هذه القوى فدارت مفاوضات بين معتمدهم في مصر السر هنري مكماهون والشريف حسين انتهت في سنة ١٩١٦ باعتراف الحلفاء باستقلال الحجاز استقلالاً تاماً فانضم اليهم وخاض غمار الحرب العظمى في صفوفهم وجنَّد الجند بقيادة انجالهِ لقتال الترك في الشام

وفي تلك السنة نفسها تم التوقيع على معاهدة القطيف وقد اعترفت فيها انكلترا بابن السعود اميراً على نجد وملحقاتها مقابل شروط . وقد نسخت احكام هذه المعاهدة بمعاهدة جدة الجديدة فلذلك لا نتكلم عنها

ودارت في سنة ١٩١٥ مفاوضات في القاهرة بين سلطان لحج السابق والمندوب البريطاني لانضمام الامام يحيى الى الحلفاء مقابل الاعتراف باستقلال اليمن التام و بالامام يحيى ملكاً عليها سهلها وجبلها فلم يوافق الانكليز على طلب الامام فوقفت المفاوضات وظلَّ كل شيء في اليمن على حالهِ . ومما لا ريب فيهِ ان اشتراك الحجاز اشتراكاً فعليًّا في الحرب العظمى وجلاء الترك عن اليمن في نهايتها وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد

بعد ذلك بقليل وما اعلن في خلالها من مبادئ جديدة وقطع من عهود — ان كل هذا عجل في هذا التحول الذي يدور عليهِ بحثنا

﴿ الامارات العربية في نهاية الحرب ﴾ : انتهت الحرب وفي بلاد العرب خمس امارات تتجاذب النفوذ : امارة الوهابية في نجدوامارة آل رشيد في حائل وحكومة الملك حسين في مكة وامارة الادريسي في صبيا (عاصمة تهامة) وحكومة الامام يحيى في صنعاء

وكان التنافس في اواخر الحرب الكبرى قد بلغ اشدهُ بين النجديين والملك حسين الذي كان يخشى على ملكهِ من الدعوة الوهابية التي كانت تبث بهمة زائدة في شرق الحجاز حتى استمالت اليها معظم قبائلهِ كما اشتدّ التنافس بين الملك حسين والادارسة من جهة اخرى لانهُ كان يعدهم دخلاء ويطمع في الاستيلاء على البلاد التي يسيطرون عليها لان سكانها من اتباع المذهب الشافعي وهو مذهب اهل الحجاز ، و بين الادارسة والامام يحيى ايضاً لانهم يستولون على الحديدة (ميناء صنعاء) و بين النجديين وامارة حائل من جهة اخرى . اي ان التنافس كان على اشدهِ بين امراء العرب فخاف العقلاء سوء المغبة وتطيّروا من نتائج هذا التطاحن فارتفعت الاصوات بالدعوة الى انشاء اتحاد عربي يضع حدّاً لهذه الاحن و يعيد السلام والهناء الى هذه البلاد فتصدى الملك حسين للقيام بهذا العمل العظيم لانهُ الملك المعترف بهِ دوليًّا والزعيم الاكبر المنادي باستقلال العرب فكتب الى الامام يحيى مقترحاً عليهِ الدخول في الاتحاد العربي فلبى هذا الدعوة مبدئيًّا وارسل اليهِ رسولاً من كبار رجالهِ اسمهُ السيد محمد بن زباره فهبط مكة واجتمع بصاحب الامر فيها مراراً ثم انقلب الى بلادهِ وهو قانط من الاتفاق يائس من انشاء هذا الاتحاد لان المبادئ والقواعد التي وضعها الملك حسين لتحقيقهِ تجعلهُ الآمر المطلق في هذا الاتحاد لو تمّ وتجعل الامراء الآخرين اتباعاً لهُ من غير ان يعوضهم شيئًا

وتوسط المتوسطون بينهُ و بين ابن السعود فطلب الحسين ان يتنازل ابن السعود عن جميع البلاد التي فتحها او ضمها اليهِ وان يعيدها الى اصحابها الاصليين وان يعود الى ما كان عليهِ آباؤهُ الاقدمون من امراء نجد ومعنى ذلك ان يصبح تابعاً لامراء الحجاز يدفع لهم جعلاً سنويًّا. ونحن في غنى عن القول ان ابن السعود رفض الاتفاق على هذه القاعدة كما رفضهُ الامام يحيى فباء مشروع الاتحاد العربي بالفشل التام مع ان مشروع المعاهدة التي عرضتها الحكومة البريطانية في سنة ١٩٢٣ على الملك حسين ينص على ان تتعهد هذه الحكومة ببذل مساعدتها لدى اميري عسير ونجد لتحقيق فكرة الاتحاد العربي

﴿ الوحدة العربية ﴾ ولما رأى المشتغلون بالشؤون العربية ان لا امل يرجى بتحقيق فكرة الاتحاد العربي لتباين اراء الامراء واختلاف نزعاتهم ومشاربهم. وعرفوا ان تعدد هذه الامارات وبقاءها على ما هي عليهِ يحول دون ادخال الاصلاح الى هذه الاقطار وانقاذها مما هي فيهِ — وجهوا همهم الى ضم هذه الامارات وتوحيدها في ظل حكومتين احداهما في الشمال وهي حكومة نجد والثانية في الجنوب وهي حكومة صنعاء فتضع الاولى يدها على الحجاز وتسود بلاد العرب الشمالية خصوصاً وامارة حائل في قبضتها من قبل وهي تحتلُّ جزءًا من عسير ويسطو الامام يحيى على حكومة الادارسة في تهامة فيضمها الى بلادهِ فيكون التقسيم الجديد للجزيرة على المنوال الآتي

نجد وحائل والحجاز والجوف والبلاد الاخرى التابعة للرياض حكومة مستقلة قائمة بنفسها . وصنعاء وتُضم اليها امارة الادريسي حكومة مستقلة ايضاً على ان يعقد اتفاق سياسي بين هاتين الحكومتين في المستقبل

ومن غرائب الاتفاق انهُ بينما كانت جيوش الاخوان تغزو الحجاز لتقويض دعائم الحكومة الهاشمية كانت جيوش المتوكلين تتوغل في تهامة مستصفية المدن والديار وهكذا انهار بنيان هاتين الحكومتين في وقت واحد تقريباً وان كانت الثانية احتفظت بجزء قليل من بلادها وضعتهُ بموجب معاهدة مكة المعقودة في شهر اكتوبر سنة ١٩٢٦ تحت حماية الملك ابن السعود وان لم يكن هنالك اتفاق سابق بين صاحبي الرياض وصنعاء

ان ما كان خيالاً ووهماً في سنة ١٩٢٣ صار حقيقة ثابتة في سنة ١٩٢٦ ففي هذه السنة اندمجت امارات الجزيرة بعضها ببعض وقامت مقامها حكومتان مستقلتان كلّ الاستقلال فقد اختصّ ابن السعود بالحجاز وحدهُ وانقسمت تهامة بينهما فاخذ الامام يحيى الجانب الاكبر منها . ودخل الجانب الآخر تحت حماية ابن السعود كما قلنا آنفاً

وقد اعترفت الحكومتان الايطالية والتركية باستقلال اليمن وبالامام يحيى ملكاً لها واعترفت كل من انكلترا وروسيا وفرنسا وهولندا وتركيا بابن السعود ملكاً على الحجاز ونجد وباستقلال هذه البلاد استقلالاً تامًّا . وان كان بعض هذه الحكومات لم يعترف حتى الآن باستقلال اليمن فما ذلك الاّ لان حكومتها لم تخاطبهُ رسميًّا ولم تبلغهُ ما تم طبقاً للقواعد المقررة في حقوق الدول . غير ان هذا لا يؤثر اقل تأثير في جوهر الاستقلال فاعتراف الحكومات ليس من الشروط الجوهرية في تكون الدول وقيامها

القاهرة امين سعيد

الحرب المقبلة

الناس في حرب خوفاً من الحرب كما انهم في فقر خوفاً من الفقر. فقد اعتقد كثيرون ان الحرب العالمية هي آخر الحروب لكن ظهر الآن ان الاستعداد قائم على ساق وقدم لحرب اخرى اعظم منها . نعم ان الكتاب السنوي الذي تصدره جمعية الامم يقول ان عدد الجنود في ثكنات اوربا (اي الجيش العامل فيها) قلَّ مليوناً عمَّا كان سنة ١٩١٤ ولكننا اذا استثنينا المانيا والنمسا والمجر والبلغار فجنود الدول الكبرى التي اشتركت في الحرب لم يقل عددها كما ترى في الجدول التالي. وقد ذكرنا فيه ثروة الامة بالجنيهات وعدد جيشها العامل وعدد جيشها الاحتياطي

البلاد	مقدار ثروتها			عدد جيشها العامل	عدد الاحتياطي
الولايات المتحدة	٦٥١٦١	مليون جنيه		١٢٧٥٦٩	٠٢٧٧٩٧١
بريطانيا	٢٢٠٠٠	»	»	٢٥٠١٠٣	٠٣٠٩٣٥١
فرنسا	١٢٣٢٠	»	»	٥٠٧٧١٥	٤٦٠٩٩٥١
ايطاليا	٠٦٠٠٠	»	»	٢٥٢٧١٤	٣٩٦٩٥٠٠
اليابان	٠٨٠٠٠	»	»	٢١٠٠٠٠	١٦٦٣٠٠٠

ففرنسا وثروتها نحو نصف ثروة بريطانيا جيشها العامل اربعة اضعاف جيش بريطانيا. وايطاليا وثروتها نحو ربع ثروة بريطانيا جيشها مضاعف جيش بريطانيا . ومعلوم ان فرنسا وايطاليا لا تحتملان نفقات جيشيهما على قلة ثروتهما الاَّ خوفاً من حرب مقبلة. والجند العامل في تشيكوسلوفاكيا نحو ١٠٠٠٠٠ وفي رومانيا نحو ١٥٠٠٠٠ الفاً وفي بولونيا نحو ٢٥٠٠٠٠ الفاً والتجنيد اجباري فيها كلها

اما المانيا فان شروط الصلح فرضت عليها ان لا يزيد عدد جيشها على ١٠٩٠٠ ولكن الذين جالوا في بلادها وبحثوا البحث المدقق وجدوا فيها جمعيات كثيرة لتعليم الشبان وتدريبهم فيما يجعلهم من اقوى الجنود وامهرهم . ورجال البوليس هناك جنود مدربون في كل الفنون الحربية حتى اطلاق المدافع وبعضهم من ضباط الجيش القديم . وهناك اناس من الاشراف يستخدمون جنوداً كاتباع لهم كما كان اصحاب الاقطاعات يفعلون في العصور الغابرة ويزحفون بهم الى القتال اذا استصرخوا . والمرجح ان في المانيا الآن

لا اقل من ثلاثة ملايين من الرجال المدربين على حمل السلاح وان فيها من الطيارين والطيارات ما يكفيها زمن الحرب

وجيش روسيا العامل ٦٢٥٠٠٠ والمحلي ٤١٠٠٠٠ والاحتياطي ٥٠٠٠٠٠٠ وهو يزيد سنة فسنة فان لم يقوَ العقل على كبح جماح الشهوات فالحرب التالية ستكون شرًّا من الماضية

***

وبالامس اقرَّ مجلس النواب الفرنسوي انهُ يجب على كل الرعايا الفرنسويين من سكان فرنسا وسكان مستعمراتها كباراً وصغاراً ذكوراً واناثاً من غير استثناء ان يشتركوا في الدفاع عن وطنهم اما بحمل السلاح في الجيش او باعداد ما يلزم لهُ من ذخيرة ومؤونة وما اشبه. وكل ما في البلاد من معامل ومصانع وبنوك وشركات يجب ان ينصرف الى الاعمال الحربية حينئذٍ. ولا يبعد ان يحذو سائر دول اوربا حذوها فتصير اوربا كلها على قدم الاستعداد للحرب

ولكن هل نسي ابناء هذا الجيل ما لقوا من المضض والمشاق في الحرب الماضية؟ هل نسوا القيام في الخنادق نصف اجسامهم في الماء والطين وشبح الموت مخيم فوق رؤوسهم. وان كانوا لم ينسوا ذلك فهل يحتمل ان يخرجوا الى الحرب مرةً اخرى ولو دعاهم الوطن الى ذلك. نعم ان مجلس النواب الفرنسوي قرَّر ذلك وقد تقتدي بهِ مجالس النواب في البلدان الاخرى ولكن النواب قلما يكونون من الذين تقع عليهم كل مساوىء الحرب

ثم انهُ رسخ في نفوس العمال في اوربا ان الحرب الماضية اغنت رجالاً كثيرين من الموردين للجيش واصحاب المعامل وانهُ لولا انتفاع هؤلاء لما طال زمن الحرب حتى قال احد النواب الفرنسويين في المجلس الذي قرَّر وجوب التجنيد العام ان الاكتساب من الحرب من اقوى الوسائل لاثارة الحروب. وهذا نفس ما جاهرنا بهِ منذ سنوات كثيرة(١) وعليهِ فقلما يحتمل ان يطيع العمال اوامر حكوماتهم ان دعتهم للخروج الى الحرب قبلما ينقرض هذا الجيل ويأتي جيل آخر لم يكابد المشاق التي كابدها رجال هذا الجيل

(١) فاننا ابنا رأينا في الرد على المستر كارنجي المالي الاميركي المشهور ان الربح من الحرب هو المسبب الاكبر لاثارة الحروب سواء كان هذا الربح ادبياً كالرتب التي ينالها القواد او مادياً كربح اصحاب معامل الاسلحة وربح اصحاب الاموال الذين يدينون الحكومات وما اشبه . وايدنا رأينا بامثلة نعلمها ونشرناه في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٦ بعنوان «اسباب الحرب ووسائل السلم»

الامومة

الى سرّ المنفلوطي رحمهُ الله

لك الله من مفجوعة بحبيبها
قتيلة شوق غير ملحقها وصما
(للمتنبي يرثي جدّته)

فجع ابراهيم الراعي في امهِ صبيًّا .. وكان ابوهُ شديد الضنّ بها جميل الرعاية لما بينهُ و بينها من العهود فاغتمّ لمنعاها وضاق صدرهُ بهِ ضيقًا شديداً حملهُ على هجرة مصر وكان مقيمًا بها . غير انهُ عهد قبل هجرتهِ في امر ابراهيم الى صديقةٍ لامهِ كانت تحبهُ حبًّا جمًّا وكان لها ابن يدعى خليلاً و يبلغ من العمر مبلغ ابراهيم منهُ

وكلنا يعلم مقدار ما يشقى اللطيم[1] في الحياة. فانهُ لا يخطو خطوةً إلاَّ ويشعر بضعفهِ وضعتهِ وان عالهُ احد استثقل ظلهُ . ولكن هذا لم يكن من شأن ابراهيم فانهُ وان كان فقيراً ما شكا حالهُ يومًا ولا تذمّر منها اذ عُنيت بهِ كفيلتهُ عنايتها بوليدها . وكان ابراهيم يحلّها من نفسهِ محل امهِ حتى صرّحت لهُ بحقيقة امرهِ فشكر لها مع صغر سنهِ اليد التي اتخذت عندهُ ووائقها المحبة والاخلاص ما دام حيًّا

وكان ابراهيم وخليل اخوي وفاء والبني مودة وكأنّ الله قد صبّهما في قالب واحد من الحب والطهارة.وكانا قد تصافيا على المحبوب والمكروه الى ان ائتلفت ارواحهما ائتلاف زهرتين تعانقتا فنورتا معًا في كمٍّ واحد. ثم انهما قضيا عهد الصبا في ظل عيش ظليل وهما يبسمان للحياة و يسترسلان اليها بنجوةٍ من الهم والحذر و يجنيان منها اللذيذ الشهي من دون ان يجرّا كبيرة ولا صغيرة . وما كان ليسبق الى ظنهما اذا هما جاريا الطير من غصنٍ الى غصنٍ واسراهُ جذلين لعبين ان الدهر سيسعى بينهما و يأمر احدهما في حين

وظلّ هذا شأنهما حتى بلغا اشدهما وتخرّجا في مدرسة من مدارس العاصمة ثم احترف كلاهما الحرفة التي انبسطت لها نفسهُ . ولم يبرحا متلازمين في عهد الشباب ملازمتهما في عهد الصبا حتى كان يوم فجّهُ الله من يوم احسّ فيهِ ابراهيم ان خليلاً قد تغيّر حالهُ واضحى يهيم في عالم الغيب الى ما شاء الله ثم يفيق فاتر الطرف . وكان خليل ان تحدث

(١) اللطيم من فقد اباه وامه

واطال الحديث خانهُ رشدهُ فهذَر وان ضحك كان ضحكهُ خدعة وان اوى الى فراشهِ قضى ليلاً ساهراً فذهب الارق ببريق عينيهِ ورد وجههُ كاسفاً متضمراً مصفر اللون بارز الوجنتين

فاهمَّ الامر ابراهيم الى ان صحت عزيمتهُ على استيضاح ما وراء ذلك الامر ولم يزل بهِ حتى وقع اليهِ ان خليلاً كلف براقصة فرنسية ترقص في مسرح من مسارح القاهرة فاقبل ابراهيم على نفسه يشاورها ماذا يصنع لحداثتهُ بان يعترض سبيل خليل

ثم ان ابراهيم قصد ذات اصيل الى المسرح المذكور ليستخبر عن تلك الراقصة واذا بها على الحال التي عليها غيرها من النساء الفرنجيات اللاتي يقدمن الشرق ليستثمرنهُ فيتوددن الى اهلهِ حتى اذا قضين منهم حاجهن انصرفن عنهم عابثات ساخرات

وكانت هذه الراقصة الفرنسية جامعة لجمال الخلق واعتدال القد ورخامة الصوت فتلمس ابراهيم بعض العذر لصديقهِ بيد انهُ عزم على ان يقف في وجههِ ويحبسهُ عن نيتهِ . وبينما هو يفكر بباب المسرح فيما يفكر اذ بَصُر بخليل مقبلاً نحوهُ فانزوى ناحيةً . فدخل خليل المسرح لا يثني على احد وكان قابضاً على طاقة من الزهر ثم انهُ ما لبث ان خرج هو والراقصة وكانت تعتمد على يدهِ تارةً وتستروح الزهر اخرى

ولما كان المساء عاد خليل الى دارهِ وكانت امهُ راقده فخلا الى ابراهيم ثم قال لهُ ألا ابثك ذات سرٍ يا اخي فقال ابراهيم اكففِ نفسك الامر افتظن سرك مكتوماً وقد نمَّت عليهِ حالك وشهدت بهِ عيناك من زمن بعيد ؟ فاضطرب خليل ثم قال وكيف ذلك فبسط لهُ ابراهيم ما وقع اليهِ وخليل ينكس رأسهُ كصبي أُخذ بذنبهِ فاطرق خجلاً . ولما فرغ ابراهيم من حديثهِ قال لهُ خليل ما كنت لاخالك ترقبني يا اخي افما تربأ بنفسك عن مثل هذا قال ابراهيم بلى والله وانما رقبتك غيرةً واخلاصاً واردت ان اتعرف شأن المرأة التي همت بها حتى اذا جهلت حقيقة امرها كنت انا حذيرك منها . قال اخبرني يا اخي أو ما رأيتها اجمل النساء والينهن عريكةً واصدقهن محبةً ؟ فانغضَ ابراهيم اليهِ رأسهُ ثم قال ارى الحب قد ختم على بصيرتك فعدت لا تميز الخير من الشر شأن كل مغروم مفتون ألا ويحك يا خليل لا تطرح بنفسك ذلك المطرح من الغرور فان هذه المرأة لشيطان تسحرك بصوتها الحنون وجمالها الرائع ثم انها — وحياتك — تتملق لك كيما تملك قلبك فان ظفرت بهِ استعبدتك واتلفت مالك سريعاً ثم لم تبطئ ان تهزأ بك وتذهب عنك . فعبس خليل مغضباً ثم قال كذبت علي الله فلو عرفتها ما وقعت فيها مثل ما وقعت

واعلم انني عالقها حتى العبادة وانني ازمعت السفر واياها الى باريس غداً وفي جرابي مال كثير. فاهتال ابراهيم للخبر وصاح في وجه خليل لقد والله اتيت امراً منكراً يُنزلك الناس من اجلهِ منزلة الفاسق فيضيع حظك ولن تزال ذاك الذي فرَّ وراقصة وان احتلت ان تجادل عن نفسك او تصلح من سمعتك

ثم طفق ابراهيم يشير على صديقهِ بما هو اجمل في السيرة واحمد في العاقبة . الاَّ ان خليلاً استبدَّ برأيهِ فبكى ابراهيم ضياع مشورتهِ. فقال لهُ خليل لا تبكِ يا اخي انهُ يشقُّ عليَّ الفراق مشقتهُ عليك . قال انني لا ابكي لفراقك ولكنني ابكي على حال امك التي تنام الان مطمئنة هادئة فان استيقظت ودرت بما فعلتَ قتلت نفسها غمًّا والاَّ عاشت شقيةً بائسة. وها انا اناشدك الله ان تعدل عن سفرك رحمة بها واشفاقاً عليها واذكر انها ولدتك وربَّتك واحبّتك فان عدت عليها هذه الامور فاعصها واشطر عليها الى حيث يرميك الهوى

بلغت تلك الكلمات من خليل فعاود الامل ابراهيم ولكن سرعان ما خاب ذلك الامل اذ ظهر الحب الفاسق على الحب الخالص وصرع حب العاشق لمعشوقتهِ حب الابن لامهِ وفي ذلك من العبرة ما فيهِ

***

انسلَّ خليل من بيت امهِ في تلك الليلة مسترقاً خطاهُ خشية ان يسمعهُ احد . وكان قد كتم الامر من امهِ مع وعدهِ ابراهيم ان سيكاشفها بهِ . الاَّ انهُ خطَّ رسالة وداع على بطاقة دسها الاَّ اقلها في مزلاج الباب الفاصل بين مخدعهِ و بين مخدع صديقهِ

وما اصبح ابراهيم حتى نهض من مضجعهِ وفي صدرهِ اشياء من حال خليل فاستبق الباب المذكور ونقر عليهِ باصبعهِ النقرة بعد النقرة . وانهُ لكذلك اذ فاجأتهُ كفيلتهُ فرابها الامر فعمدت الى الباب وفتحتهُ واذا البطاقة مشرئبة من المزلاج. فاخذت بها وقرأتها في خفوت ثم ادارت بعينيها من حولها واقامت لا تطرف كانما دُخل في عقلها ثم صاحت خليل وسقطت لوجهها مغميًّا عليها . فاحتملها ابراهيم الى فراشها مشفقاً ولم يزل بهـا حتى استفاقت ثم نامت نوماً متقطعاً الى ان اعيت فهجعت ملءْ جفونها . ثم انها لما تنبهت دعا ابرهيم بالطبيب واخبرهُ بالامر ففحص الطبيب عن دائها ثم وصف الدواء وانصرف . . . .

تأمل ابراهيم تلك المرأة المسكينة مكروب النفس ساعةً ولم يسعهُ إلاَّ ان سأل الله

ان يلطف بحالها و يختصها برحمتهِ الواسعة.ثم اعمل النظر في خطر الامومة وجلالتها وفكر كيف تشقى الام كيما يهنأ ابنها وكيف تحمل على نفسها في سبيل ظمأ نيلتهِ وهي تبذل لهُ ذات يدها وتفديهِ بحياتها وكيف ينبغي للناس ان يطأطئوا لها الهامات اكباراً لها لانها ارفعهم مرتبة واجلبهم منفعة . ثم عاد ابراهيم وقال فيما بينهُ و بين نفسه ان الاخ يميل عن اخيهِ والابن يخرج على ابيهِ والعاشق يسأم إلفة عشيقهِ والام لا تجفو ابنها ولا تبرم بهِ . فما اسعدها ان هي فازت بالاماني التي عقدتها بابنها وقت ان كان لا يملك لنفسهِ نفعاً ولا ضرّا وما اشقاها اذا كذبتها تلك الاماني وخدعتها .ومثلها مثل الذي يغرس غصناً رطباً و يتعهدهُ بالحرص عليهِ والعناية بهِ زماناً عسى ان يزكو الغصن و ينوّر . فإن خبث الغصن على غير الظنّ بهِ كان غارسهُ أخيب الناس مسعى ..... ألا ان الامومة تطوي بين بُرديها ما تضمهُ الحياة من شقوة وسعادة وامل

***

مرّ اربعة اسابيع على اليوم الذي فرّ فيهِ خليل من مصر وكانت امهُ قد مرضت مرضاً طواها واضناها.واما ابراهيم فما فتئ يبحث عن مصير صديقهِ حتى وافاهُ هذا الكتاب

من باريس في ١٩ ابريل سنة ١٩٢٤

صديقي

اعتذر اليك من اخلافي ما وعدتك بهِ فاني لم أُنبئ امي بسفري مخافة ان تحول بيني و بينهُ.ولعلك هوّنت عليها وطأة الامر فلم يقع في نفسها الاّ الوقع القليل

اجل انا مذنب ولكني راضٍ عن ذنبي ومغتبط بهِ وان علمت انهُ نال منكما كثيراً . انا سعيد ولا اخفي عنكما سعادتي. ولربما تلومني يا صديقي في ما فعلت ولكن لا لوم في الحب لان الرجل الذي لا يحب شبيه بغصن لا يحمل ورداً ولا شوكاً .واعلم ان الله خلق الرجل ثم سوّى قلبه وخصّهُ بالحب فلا خير في قلب يخفق بعاطفة غير عاطفة الحب والسلام

. .

من ابراهيم الى خليل

من القاهرة في ٣ مايو سنة ١٩٢٤

صديقي

ورد عليّ كتابك وامك طريح الفراش يقيمها الالم و يقعدها البكاء .فطويت كتابك

دونها خشية ان يزيد في علتها . ثم اني رأيت الاثرة تمشى بين سطور كتابك شأن كل امرىء ملكت الشهوة على جوارحه فعاد لا يبالي اساء صنيعه ذويه ام راقهم

قلتَ إنهُ لا لوم في الحب والامر غير ما تقول ما دام بين جنبيك حب لا تسكن اليه نفسك ولا يطمئن بالك اليه . واني اراك في هذا تنحو نحو بعض اهل الغرب ظناً منك ان عملهم هو المدنية الحقة

اي خليل ان قساوة قلبك بلغت بك مقداراً جعلك لا ترفق بشعور امك فما من شفقة بين جناحيك ولا ايمان . ولا شك ان رقيق عواطفك قد حالت حباً يستعبدك الاستعباد كله

صديقي بالله تدبرْ حالك واتق الله في ضعف امك ولا يفوتنك انهُ قد اثقلها المرض وان الموت يدب فيها قليلاً قليلاً حتى لأني والله اخشى ان ينتزعها من بين يديَّ من دون ان أقوى على ردهِ . فبما بيني وبينك من مواثيق وذكريات لترجعنَّ الى امك وان شككت في عفوها عنك فاعلم ان حب الام يملأ قلبها عطفاً والسلام

..

من خليل الى ابراهيم
من باريس في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٤

صديقي

قرأت رسالتك ففعلت فيَّ افاعيلها ولعمرك لو انبتني لشهر مضى مثل ما تفعل اليوم ما اكترثت لتأنيبك ولكنني تبصرت فيما فعلت فرأيت انني واهم في امري وانني اقترفت اثماً عظيماً واحتفرت لنفسي بيدي حفرة لا خلاص منها

صديقي انكرت عليَّ حبي ورغبت اليَّ ان اكفَّ عنهُ بيد اني اسير بين يديهِ لا استطيع ان أدافعهُ

عزيزي انني شقي : استطيب حبي وابغضهُ ثم اريد الفرار منهُ وانا راغب فيهِ ... انني تعس : اذا انزويت في مخدعي شعرت باني جانٍ على نفسي وعلى اهلي . وان حاولت التفكير في غير ذلك لم افلح كمحموم يتقلب في فراشهِ ظهراً لبطن علَّ ان يرقد وهيهات ان يغمض لهُ جفن

اي صديقي تتمثل امامي صورتك وصورة امي فابصر ملامحكما واسمع صوتكما واشعر

بودّ كما وكانكما تقبلانني فازداد لهفاً وحنيناً . ثم يتراءى لي الماضي فكأني في حما كما ابسط اليكما ذراعي والمسكما واحدثكما ثم انني لم البث ان افيق من حلمي واعود الى الحقيقة فيتهشم قلبي كأنهُ سقط من علٍ فاخرج الى الفلاة هائماً على وجهي حتى يقعد بي التعب فارجع في طريقي مكفأ الوجه منقبض الصدر

اليك حالي وما اشقاها فارثِ لها مع عظم ذنبي ولقد كفاني حب يسترقني وان طال بي صرعني .... ألا رعى الله اياماً قضيتها سعيداً بين ام رؤوم نصبت حياتها لترعاني بعين ساهرة و بين اخ حنون لو وُهبت لي الدنيا وما فيها فداءهُ لأعرضت عنها قانعاً بهِ راضياً والسلام

قبل عني يديّ امي شفاها الله

• •

من ابراهيم الى خليل

القاهرة في ٦ يونيو سنة ١٩٢٤

تضرع الى الله في شفاء امك وهي لن تشفى الاّ اذا حققت املها الذي وصلتهُ بك وانت بهِ اعلى عيناً مني وابصر . على انها تحيا بهذا الامل فان بقي بين جوانحك شيء من الرحمة فتنبَّه

صديقي ما رأيت احداً قط يصبر على الشقاء والسعادة طوع يدهِ . انت تشقى في باريس فغادرها وارجع الى امك تضمن لك من نفسها السعادة وان اعظمك الرجوع فاعلم ان الامر ايسر مما في نفسك واذكر الابن الشاطر الذي شرد عن بيت ابيهِ ثم انتهى عما كان فيهِ فعاد تائباً من ذنبهِ نادماً على ما فرط منهُ مهيناً منكسراً لما جنى على نفسهِ . فأنِس بهِ ابوهُ واوسعهُ اماناً والسلام

***

مضى شهران على تلك الرسالة وابراهيم لم ينفك ينتظر الجواب عنها . ففطن ان خليلاً عاجز عن ان يفلت من حبهِ مع كرههِ لهُ ثم انهُ خبَّر كفيلتهُ بذلك وحملها على الصبر وعلّل نفسها بقرب اللقاء ولكنها كانت قد يئست من الامر فدنفت دنفاً شديداً حتى امست وهي تتمنى على الله ان يستأثرها برحمتهِ . وانها على هذه الحال اذ فاجأ ابراهيم هذه الرسالة

• •

باريس في ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٤

صديقي

انبأتني احلامي ان امي على خروج الروح فانيتك مقسماً عليك بكل عزيز عندك الأ وقفتني على حالها . بالله اخبرني هل أسجن الحزن عينها ثم استهل دمعها فوسم البكاء وجهها وخلّف بين عارضيه اثراً مثل الذي يخلف السحاب اذا اجتاز بالسماء ؟ أو لم تشعل حرقة الفراق شعرها شيباً ؟ او فقدت عيناها نظرة الحنان التي طالما كان لها وقع في قلوبنا ؟ وهل لوجنتيها تلك الحمرة التي كنا نقبلها فنزيدها احمراراً ؟ او لا يزال الابتسام يزين ثغرها كما كان يزينهُ حينما كانت ترمقنا بعين ملؤها العطف ونحن نلعب ونرتع ؟ وهل لصوتها العذب ذلك الرنين الذي كانت تهمهم بهِ في رؤوسنا فنهجع آمنين ؟

آه ! اني احنُّ الى قبلة من قبلاتها واهوى الى توسد حجرها لانام وادع النفس مطمئن القلب . فالآن الآن علمت ان حب الام اخلص حب واصدقهُ واما ما نعقدهُ يد الشهوه فهو كاذب يفنى مع الشهوه كنار رفعتها فعلا سعيرها ثم امسكت عنها فخمدت

صديقي ! توقعت الدعة في الشهوة فالفيتها في الخلوة والسكون . وتوهمت انهم يحبونني لنفسي وانما هم يحبونني لغيرها . وحسبتني منفرداً بحبي فوجدت لي فيهِ شركاء . يا ليتني استمعت لك عند ما نصحت لي

عزيزي : خلت العيش بين اهل الغرب في استطاعة الشرقي فوجدت الامر شديد المطلب لان طبيعتنا نحن الشرقيين تختلف اختلافاً بيناً عن طبيعة اهل الغرب فان لم يفطر احدنا على اخلاقهم شق عليهِ ان يألفها . او لست ترى الي كيف قدمت باريس كريم النفس عالي الهمة ثم ما عتمت ان اعتدت عادات انتهت بي الى الافلاس والسأم ؟

صديقي ! ذلك ما وصلت اليهِ فليس لي مخرج من ان انبذ حبي واحضر وطني لكي استعطف امي لعلني اصادف منها جانباً رحباً فتقيل عثرتي باذن الله والسلام

• •

لما تلقى ابراهيم تلك الرسالة قرأها على ام خليل فانتعشت روحها واخذت ترغب في الحياة مقدار ما كانت ترغب عنها . الأ أن المرض كان قد هاج بها فبعث ابراهيم برسالة الى خليل يبسط لهُ كيف اثر كتابه في نفس امهِ و يسألهُ القفول لئلاّ يسبقهُ القضاء اليها

***

مالت الشمس الى الغروب وهبّت الريح كانما تزمع طرد الشمس من السماء والطبيب

يحاول ان ينقذ امخليل من قبضة الموت. وكانت ام خليل تسأل ابراهيم من حين الى آخر هل اتى !! وكانت عند سكوت ابراهيم تتأوه وتبكي ثم انها قالت لهُ ان لم يتح الله لي ان اراهُ فبلغهُ انهُ آخر من فكرت فيهِ قبل موتي وانني عفوت عنهُ العفو الجميل . ثم قبلتهُ وقالت لهُ اليهِ هذه القبلة فهي آخر عهد لي من الحياة !! ثم غُشي عليها فاقبل ابراهيم والطبيب ينعشانها وهما كذلك اذ سمعا وقع اقدام في ساحة الدار فخفَّ ابراهيم اليها واذا امامهُ .. خليل !! فوقف كلاهما صامتاً جامداً كالخشب المسندة لحظة ثم تعانقا طويلاً ونظر خليل الى ابراهيم نظرة الوجل الباطن . فبادر ابرهيم الى طمأنينتهِ وقال لهُ . امك حية تنتظرك لتضمك الى صدرها فتطاير قلب خليل فرحاً ودخل مخدع امهِ ولما رآها مغشيًّا عليها اشار الى الطبيب ان تنحَّ ففعل فشرع خليل يقبل امهُ ويناجيها في رفق وأين :

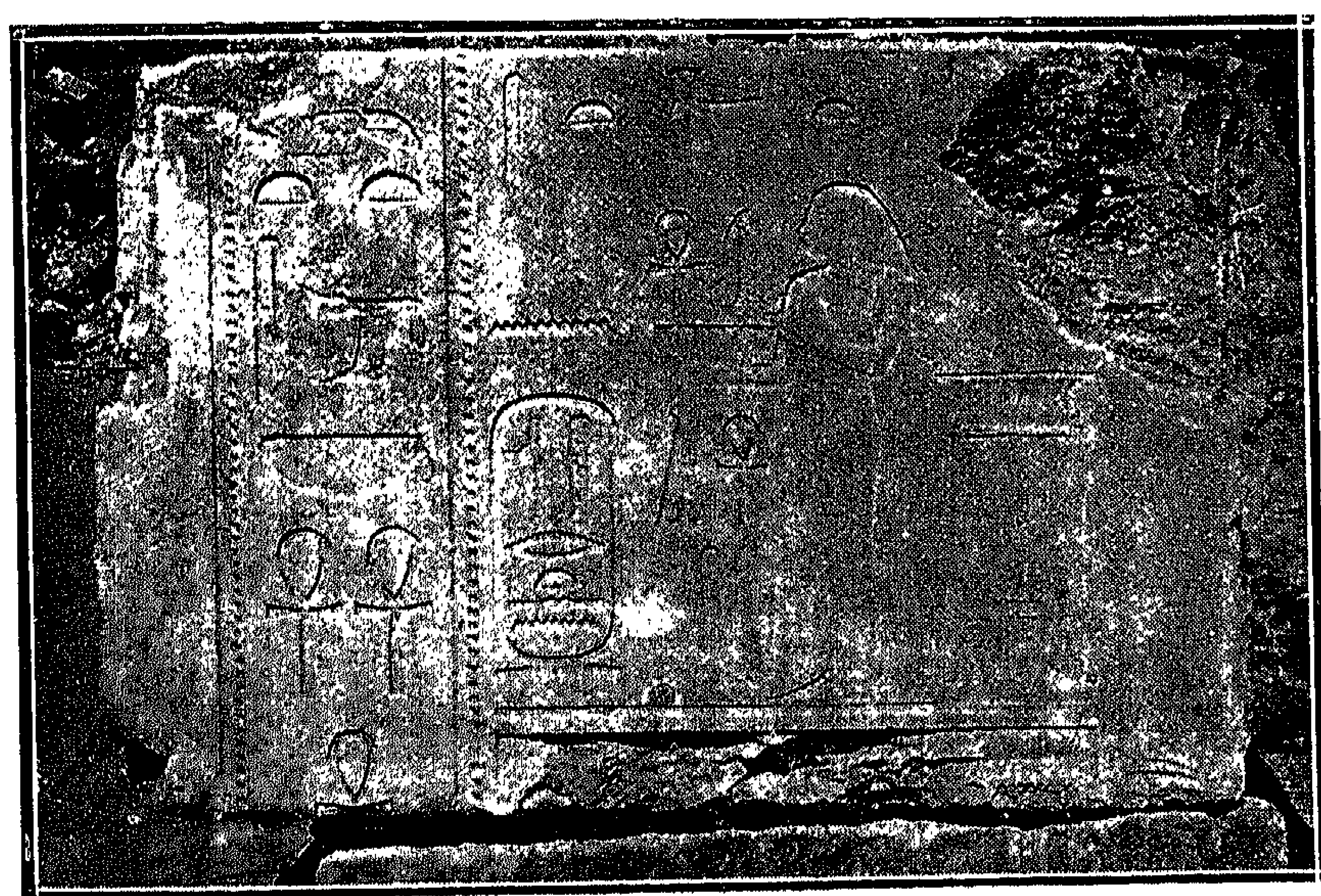
اماه !! ها بين يديك ابنك الذي اذنب اليك فتاب .. اماه ! انني لمَّا اكاشفك بما اضمر لك في قلبي ولعلني ما كاشفت نفسي بذلك من سلف لان الانسان لا يقدر شدة حبهِ قدرها الاَّ متى فجع بمن يحب او كاد .. اماه . أَلي سبيل عن حبك وانت التي كانت ابتسامتها نوراً يبعث فيَّ النشاط والشعور وانت التي كانت ترسل العبرات من قبل ان ابكي وتستضحك من قبل ان اضحك كأَنا روحان في جسم واحد انت الصوت وانا الصدى؟.. اماه ! لا تظنيني كتوماً للنعمة كفوراً بها .. اماهُ ! اني استدررت درك وحييت بحياتك وشببت في حجرك فتأملت الدنيا من وراء عينيك وتعرفتها خلال بكائك . فان ضللتك يوماً اذاً لا بد ان اهتدي اليك في غيره

فكانت ام خليل تفيق شيئاً فشيئاً حتى راجعتها نفسها واذا بها تحدق الى خليل كانما قد غمَّت عليها معرفتهُ لشدة المرض عليها ثم انها عرفتهُ فاحتضنتهُ وصاحت بهِ انت انت خليل !!! .... آه يا بني : الحمد لله انهُ اذن في ان أراك قبل ان يقضي قضاءهُ فيَّ . فقال خليل باكياً اماه ! لقد زللت عندك زلة تقطَّعت نفسي حسرات من اجلها واخطأت اليك خطيئة لا ادري أمغضية انت عنها ! قالت بنيَّ لا بارك الله في ام ليس لابنها موضع رحمة في قلبها فإني عفوت عنك في اليوم الذي اذنبت فيهِ اليَّ ثم قبلتهُ قبلةً طويلة كان آخر وترٍ من قلبها موقوفاً عليها

ادوار فارس







العليا : صورة جدران معبد منتو والبحيرة المقدسة في مدمود . الوسطى : قطعة من



رأس تمثال للملك سنوسرت الثالث كشف حديثاً في مدمود



منظر جانبي لتمثال الاله منتو وقد كان اله الحرب في طيبة



الالاهة راتوي رفيقة الاله منتو

آثار الاقصر المكشوفة حديثا

كان تاريخ مصر القديم من عهد الدولة الثانية عشرة الى السابعة عشرة غامضاً لقلة ما كشف من اثاره مع انهُ يمتد نحو ١٢٠٠ على رأي الاستاذ بتري. لكن المسيو بسون ده لا روك الموفد من قبل اللوفر للبحث في الاقصر كشف في هيكل مدمود الى الشمال من الكرنك تماثيل للملك سنوسرت الثالث وكتابة لهُ يظهر منها ان ذلك الهيكل هو من هيا كل الدولة الثانية عشرة التي كانت على عرش مصر من سنة ٢٤٦٦ الى سنة ٢٢٦٦ قبل المسيح فان النقب استدعى اولاً رفع انقاض الهيكل الذي بني هناك في زمن البطالسة ثم ما اضيف اليهِ في زمن الرومانيين وهذا الهيكل طولهُ ١٢٠ متراً وعرضهُ ٥٢ متراً بدئ فيهِ في عهد طيبار يوس قيصر واستمرَّ الى عهد اوسبسيانوس وتمَّ في عهد انطونيوس البار

ووجد هناك في اواخر سنة ١٩٢٦ تماثيل لا مثيل لها في الآثار المصرية تمثل منتو (المقابل للمعبود مارس عند الرومان) ومعهُ رفيقتهُ المعبودة راتوي وهي المرسومة في الاشكال المقابلة وهذه التماثيل هي الاولى التي كشفت لهذين المعبودين . والظاهر ان عبادة المعبود منتو والمعبودة راتوي دامت من عهد الدولة الثانية عشرة الى عهد الرومان او نحو ثلاثة آلاف سنة فكانت اطول اقامة من عبادة را . ومما يؤيد ذلك انهُ وجد هناك لوح من الحجر نقشت عليهِ صورة اسرة رومانية مؤَّلفة من الاب والام وولدين كأَنهم جاءوا ذلك الهيكل للزيارة في عيد من اعياد مدمود وجلسوا لتناول الطعام في وليمة . وكشفت هناك جدران بركة قديمة · ووجد بين البركة والبئر المقدمة قطعة من عتبة من الغرانيت الاحمر عليها اسم امنوفس الثاني (امنهوتب) وقطعة اخرى عليها صورة المعبودة سثيت الاهة الرماية

والباحثون في الاثار المصرية مختلفون كثيراً في طول المدة من زمن الدولة الثانية عشرة الى زمن الدولة السابعة عشرة وقد يبلغ هذا الاختلاف نحو الف سنة فكشف هذه الآثار قد يزيل هذا الاختلاف · وقد يرينا اموراً كثيرةً عن دولــ الرعاة (الهسكوس) لانها قامت في تلك المدة . ولعل قلة آثار الرعاة ناتجة عن انهم من القبائل العربية التي قلما تُعنى بتخليد آثارها .

عصر المأمون

تقدم البحاثة الفاضل احمد فريد رفاعي المفتش بوزارة الداخلية الى نيل شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية برسالة موضوعها « عصر المأمون » عكف على وضعها في اوقات فراغهِ من اعمالهِ الادارية المختلفة مدة ١٣ سنة . والرسالة في نحو الف صفحة تنقسم الى ثلاثة اقسام.الاول في العصر الاموي وما لهُ من العلاقة بالعصر العباسي عامة . والثاني يتناول عصر الانتقال من العهد الاموي الى العهد العباسي . والثالث وهو الجانب الاكبر من الرسالة يتناول عصر المأمون من جميع وجوههِ السياسية والمالية والادارية والعلمية والادبية والدينية . والرسالة اقرب ان تكون سجلاً تاريخيًا منها رسالة من الرسائل التي تقدَّم عادة في مثل هذه الاحوال لما فيها من البحث المستفيض والجمع لشتات اقوال المؤرخين الخاصة بذلك العصر ومقارنتها بعضها ببعض ، فاعجب اساتيذ الجامعة بها ومنحوا صاحبها لقب « دكتور » من درجة فائق بعد مناقشتهِ فيها علنًا . وقد اطلعنا على بعض ما فيها من الجمع والتحقيق والتحليل فاقتطفنا فقرتين من فصل عقدهُ المؤلف لتحليل شخصية المأمون فتكلم فيهِ على كرمهِ وسخائهِ وتقديرهِ لرجال الدولة وعدلهِ وانصافهِ وعفوهِ وعلمهِ وبصرهِ بالادب وسياستهِ ومذهبهِ الديني . وقد بدأت المطبعة الاميرية بدار الكتب المصرية تطبع هذه الرسالة وستصدر قريبًا في مجلدين كبيرين

سياسة المأمون

كان المأمون سياسيًا وسياسيًا فذًّا. وليس ادل على دهائهِ السياسي (دبلوماطيقيتهِ) من خطتهِ التي لا تجد في عصرهِ ما هو احكم منها ولا اسد مع ركونهِ الى مشاورة شيعتهِ وانصارهِ اذا حزب بهِ امر

ولا ادل على كياستهِ وكبير مهارتهِ من تصرفاتهِ مع سفراء اخيهِ الامين مما وقفنك على طرف منهُ في فصل النزاع بين الاخوين

ولقد كان سياسيًا وسياسيًا فذًّا في تزوجهِ من بوران بنت الحسن بن سهل ليكتسب الحزب الفارسي وفي تزويجهِ علي بن موسى الرضى ابنتهُ ام حبيب ومحمد بن علي بن موسى ابنتهُ ام الفضل ليكتسب الحزب العلوي راميًا بذلك كلهِ الى ضمان تأييد الاحزاب لهُ ، عارفًا لنفسيات الجمهور وامزجة الجماعات

وكان سياسيًّا وسياسيًّا فذًّا مصيبًا لباب الصواب في قولهِ لاحمد بن ابي داود عن اهل بغداد «الناس على طبقات ثلاث في هذه المدينة (يعني بغداد) ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم فاما الظالم فليس يتوقع الاَّ عفونا وامساكنا واما المظلوم فليس يتوقع ان ينصف الاَّ بنا ومن كان لا ظالمًا ولا مظلومًا فبيتهُ يسعهُ »

وكان سياسيًّا وسياسيًّا فذًّا في مداراتهِ لعمالهِ وليس ادل على ذلك من تصرفهِ مع ابراهيم بن السندي صاحب الاخبار وقد رفع اليهِ خبرًا عن حادثة بمصر فكذبهُ عبدالله ابن طاهر فعنفهُ المأمون آلم التعنيف امام ابن طاهر ثم بعث اليهِ وقال لهُ « اني آمر وأداري عمالي وعمالهم مداراة الخائف. والله ما اجد الى حملهم على المحجة البيضاء سبيلاً فاعمل على حسب ما تراني اعمل، ولئن لهم تسلم لك ايامك و يقض دينك »

وكان سياسيًّا وسياسيًّا فذًّا حينما رفع اليهِ صاحب خبره « انا اصبنا يا امير المؤمنين رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة، وفيها تهديد ووعيد، و بعضها عندنا محفوظة الى ان يأمر امير المؤمنين فيها بامرهِ فكتب المأمون بخطهِ، هذا امرٌ ان اكبرناه كثر غمنا بهِ واتسع علينا خرقه، فمرْ اصحاب اخبارك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة ان يمزقوها قبل ان ينظروا فيها فانهم اذا فعلوا ذلك لم ير لها اثر ولا عين. ففعلوا ذلك فكان الامر كما قال »

***

وتعالَ ننظر نظرة تحليلية قصيرة فيما يرويهِ لنا زيد بن علي بن الحسين قال « لما كان في العمد بعد قدوم المأمون سنة اربع ومائتين والمأمون يتغدى وعلى مائدتهِ طاهر ابن الحسين وسعيد بن سلم وحميد بن عبد الحميد، وعلى رأسهِ سعيد الخطيب وهو يقرظ و يذكر مناقبهُ و يصف سيرتهُ ومجلسهُ، اذ انهملت عينا المأمون بالدموع فرفع يدهُ عن الطعام فامسك القوم حين رأوهُ بتلك الحال حتى اذا كفَّ قال لهم : كلوا ، قالوا يا امير المؤمنين وهل نسيغ طعامًا او شرابًا وسيدنا بهذا الحال . قال اما والله ما ذلك من حدث ولا لمكروه هممت بهِ بأحد ولكنهُ جنس من اجناس الشكر لله ولعظمتهِ وذكر نعمتهِ التي اتمها عليَّ كما اتمها على أبويَّ من قبلي، اما ترون ذلك الذي في صحن الدار يعني الفضل ابن الربيع وكانت الستور قد رفعت ووضعت الموائد للناس على مراتبهم وكان يجلس الفضل مع اصحاب الحرس. قال المأمون : وكان الفضل بن الربيع في ايام الرشيد وحالهُ حالهُ يراني بوجه اعرف فيهِ البغضاء والشنآن، وكان لهُ عندي كالذي لي عندهُ ولكني كنت ادار بهِ خوفًا من سعايتهِ وحذرًا من اكاذيبهِ فكنت اذا سلمت عليهِ فرد عليَّ اظل لذلك فرحًا و بهِ

مبتهجاً وكان صغوهُ الى المخلوع فحملهُ على ان اغراهُ بي ودعاهُ الى قتلي وحرك الآخر ما يحرك القرابة والرحم الماسّة فقال :اما القتل فلا اقتلهُ ولكني اجعلهُ بحيث اذا قال لم يُطَع واذا دعا لم يجب ، فكان احسن حالاتي عندهُ ان وجه مع علي بن عيسى قيد فضة بعد ما تنازعا في الفضة والحديد ليقيدني بهِ وذهب عنهُ قول الله جل وعز «ومن بغي عليهِ لينصرنَّهُ الله » فذاك موضعهُ من الدار باخس مجالسها وادنى مراتبها·وهذا الخطيب على رأسي وكان بالامس يقف على هذا المنبر الذي بازائي مرة وعلى المنبر الغربي اخرى، فيزعم انى المأفون ولست بالمأمون ثم هوالساعة يقرظني تقريظهُ المسيح ومحمداً عليهما السلام · فقال طاهر بن الحسين يا سيدنا فما عندنا فيهما وقد اباحك الله اراقة دمائهما فحصنتها بالعفو والحلم .قال فعلت ذلك لموضع العفو من الله . ثم قال المأمون مدوا ايديكم الى طعامكم فاكل واكلوا....»

***

أليس بمستساغ لنا ان نستنبط مما قدمناهُ لك ، ان المأمون كان سياسيًّا ذهناً حذقاً في تصرفهِ مع الفضل . الم يكن للفضل مكانة عند الرشيد ونفوذ بعيد المدى في الدولة ؟ ألا يجوز ان سعايتهُ بالمأمون واكاذيبهُ عليهِ ان لم يدارهِ قد تجد آذاناً صاغية وانها قد تجر عليهِ من الشرور ما ليس لهُ بهِ يدان ؟ الم يكن خير سبيل لاتقاء شانئهِ ان يداويهُ عملاً بقول ابي الدرداء « انا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » ؟

فهل ترى سياسة احكم وبصراً بالامور احزم من تصرف المأمون ومداراتهِ .ثم انظر ما كان من مداراتهِ للفضل بن سهل كما صرح بذلك لولي عهدهِ علي بن موسى الرضي ومداراتهِ لطاهر بن الحسين قاتل اخيهِ وما كان من تصرفاتهِ مع الوفود الامينية ، فإنك لا محالة تؤمن معنا ان المأمون كان سياسياً .ولعل لاطلاعهِ على ما ترجم من المؤلفات اليونانية والفارسية مع استعدادهِ الخاص ونزوعهِ الى البحوث الكلامية عامة وحبهِ للمشاورة واكتنافهِ بالرؤوس المفكرة الناضجة — لعل لهذا وامثالهِ الفضل في تكوين المأمون على ما رأيت وتخريجهِ على ما شاهدت

تقديرهُ لرجال الدولة

ولقد كان المأمون اكثر توفيقاً من اخيهِ الامين في كفاية بطانتهِ وقدرة قادتهِ وحزم مشيريهِ وبصر ولاتهِ، وكان مع ظفرهِ بالناصحين من خاصتهِ، كثير التأمل لما يجري في ملكهِ من مظاهر الضعف والقوة ، حريصاً على تدبر ما يمر بهِ من مختلف الشؤون مجتهداً في تعرف الشخصيات القوية التي يرجو ان يشتد بها الملك ويتأيد بها النظام

ولقد حدثنا الطبري في تاريخهِ عن اسحاق بن ابراهيم ان المعتصم قال لهُ : « يا اسحاق في قلبي امرٌ انا مفكر فيهِ منذ مدة طويلة، وانما بسطتك في هذا الوقت لافشيهُ اليك. فقلت يا سيدي يا امير المؤمنين فانما انا عبدك وابن عبدك. قال : نظرت الى اخي المأمون وقد اصطنع اربعة أنجبوا واصطنعت انا اربعة لم يفلح احد منهم. قلت ومن الذين اصطنعهم اخوك؟ قال طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وعبدالله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثلهُ ، وانت فانت والله الذي لا يعتاض السلطان عنك ابداً ، واخوك محمد بن ابراهيم واين مثل محمد . وانا فاصطنعت الافشين فقد رأيت الى ما صار امرهُ واشناس ففشل رأيهُ وايتاخ فلا شيء ، ووصيف فلا غنى فيهِ . فقلت يا امير المؤمنين جعلني الله فداك اجيب على امان من غضبك. قال قل . قلت يا امير المؤمنين اعزك الله نظر اخوك الى الاصول فاستعملها فانجبت فروعها واستعمل امير المؤمنين فروعاً لم تنجب اذ لا اصول لها . فقال يا اسحاق لمقاساة ما مرّ بي في طول هذه المدة اسهل عليّ من هذا الجواب ». فكان الى هذه الخبرة بما يحتاج اليهِ من صفوة الرجال بصيراً بما في مملكتهِ من الوان المكر وصنوف الرياء

قال ابن طيفور عن ابراهيم المهدي قال : قال المأمون يوماً وفي مجلسهِ جماعة هاتوا من في عسكرنا ممن يطلب ما عندنا بالرياء . قال فقال كل واحد بما عندهُ اما ان يقول في عدو بما يقدح فيهِ او يقول بما يعلم انهُ يسر خليفتهُ. فلما قالوا ذلك قال :ما ارى عند احد منكم ما يبلغ ارادتي، ثم انشأ يحدث عن اهل عسكره اهل الرياء حتى والله لو كان قد اقام في رجل كل واحد منهم حولاً محرماً ما زاد على معرفتهِ. قال : فكان مما حفظت عنهُ في ثلب اصحابهِ ان قال حين ذكر اهل الرياء وما يعاملون بهِ الناس تسبيح حميد الطوسي وصلاة قحطبة وصيام النوشجاني ووضوء المريسيّ وبناء مالك بن شاهي المساجد وبكاء ابراهيم بن بريهة على المنبر وجمع الحسن بن قريش اليشامى وقصص منجا وصدقة على بن الجنيد وحملان اسحاق بن ابراهيم في السبيل وصلاة ابي رجا الضحى وجمع علي بن هشام القصاص. قال حتى عددنا جماعة كثيرة فقال لي رجل من عظماء العسكر حين خرجنا من الدار بالله هل رأيت او سمعت بملك قط اعلم برعيتهِ واشد تنقيراً من هذا قلت اللهم لا . فحدثت بهذا الحديث رجلاً من اصحاب الاخبار والعلم فقال وما نصنع بهذا قد شهدت رسالتهُ الى اسحاق بن ابراهيم في الفقهاء يخبر بمعايبهم رجلاً رجلاً حتى لهو بها اعلم منهم بما في منازلهم. وفي نوع هذه الاخبار عن المأمون دليل على عنايتهِ بنشر

دعوة الملك الموطّد الذي ييأس الخائلون من التنكر لهُ والخروج عليهِ فان ظهور الملوك بالنفاذ الى سرائر الرعية يزيدهم قوة الى قوة وسلطاناً الى سلطان

***

وانَّا اذا نظرنا الى من استوزرهُ واعلى مكانهُ واستخلصهُ لنفسهِ من رجالات دولتهِ وقواد ملكهِ لم نتردد في الحكم بمصلحة المأمون وانهُ كان الموفق المسدد في اختيار اهل الكفايات والنبوغ

وقد كان الى جانب هذا يقدر الكفاية في خصومهِ . ولننظر فيما رواهُ الطيفوري عن الحسن بن عبد الخالق خاصًّا برأي المأمون في الفضل بن الربيع وهو الذي تعلم مقدار اساءتهِ اليهِ فقد قال عنهُ « كان يدبر الخطأ فيقع صواباً و يبعث بالجيش الضعيف فيقع بهِ النصر وادبّر انا فيقع بغير ذلك فلما وقفت على البصيرة من امري وفكرت في نفسي وعملت بالاحزم في ذلك ملت الى الحزم فوردت العراق وان الفضل بن الربيع بقية الموالي فلا تخبرهُ بذلك عني فاني أكره ان يبلغهُ عني ما يسرّهُ »

و يؤيد صحة هذه الرواية ما قالهُ بشر السلماني من المعاصرين قال : سمعت احمد بن ابي خالد يقول كان المأمون اذا امرنا بامر فظهر من احدنا فيهِ تقصير يقول : اترون اني لا اعرف رجلاً ببابي لو قلدتهُ اموري كلها لقام بها. فقال بشر فقلت لاحمد بن ابي خالد يا ابا العباس من يعني قال الفضل بن الربيع

ويظهر ان خطة المأمون في تقدير الكفايات التي وُجدت قد اتبعها قادة المأمون نفسه فان الطيفوري يحدثنا انهُ لما ولى طاهر بن الحسين على شرطة المأمون سنة اربع ومائتين وكان عليها من قبل العباس بن المسيب بن زهير كتب طاهر الى الفضل ابن الربيع : ان في رأيك البركة وفي مشورتك الصواب فان رأيت ان تختار لي رجلين للجسر. فكتب اليهِ بن الربيع قد وجدتهما لك وهما خيار السندي بن يحيى وعياش ابن القاسم فولاهما طاهر الجسرين

ونظن ان في هذا القدر الكفاية في اثبات تقدير المأمون ورجالات المأمون لاهل الكفاية

—o;o—

امهات الكتب العربية القديمة

وعلماء المشرقيات في المغرب

٢

[اشرنا في مقتطف يونيو الماضي الى الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق في دار المعلمين العليا بمصر وموضوعها « اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » ونقلنا منها ما جاء فيها عن امهات الكتب العربية التي نشرت في فرنسا وسويسرا وبلجيكا وجرمانيا وهولانده ومن مِن المستشرقين نشرها وعلق حواشيها . وفي هذا الجزء ذكر ما نُشر من هذه الكتب في انكلترا والولايات المتحدة وايطاليا واسبانيا وروسيا و بولونيا وغيرها]

﴿ في انكلترا والولايات المتحدة ﴾ من اول ما نشر الانكليز من الكتب كتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ونشر (بوكوك) مختصر الدول لابي الفرج الملطي ونظم الجوهر لسعيد بن بطريق و (كورتون) الملل والنحل للشهرستاني وعقيدة اهل السنة للحافظ النسفي ورحلة البطريرك مكاريوس و(لومسدون) مقامات الحريري ونفحة اليمن لاحمد الشرواني وشرح المعلقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي و(ناسو) الكشاف للزمخشري وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونوادر القليوبي وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ونخبة الفكر لابن حجر العسقلاني . ونشر (هاريس خون) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم و(همر)شوق المستهام في حل رموز الاقلام لابن وحشية و(بالمر)ديوان زهير المصري و(صموئيل لاي) الاشارات في معرفة الزيارات للهراوي و(ريت)الكامل للمبرد ورحلة ابن جبير ومجموعة سماها جُرزة الحاطب وتحفة الطالب فيها ديوان طهمان بن عمرو الكلابي تأليف ابي الحسن السكري وتلقيب القوافي لابن كيسان وصفة السرج واللجام لابن دريد والسحاب والغيث واخبار الرواية . و(اميد روس) تاريخ الوزراء للصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي و(برونو) كتاب الموشي للوشاء والاتباع والمزاوجة لابن فارس . و(كارلايل) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي . و(مرجليوث) معجم الادباء لياقوت الحموي والانساب للسمعاني ونشوار

المحاضرة للتنوخي ورسائل المعري وديوان التعاويذي . و(فنكل) ثلاث رسائل للجاحظ فيها الرد على النصارى وذم اخلاق الكتاب ورسالة القيان و (ارنولد) كتاب المنية والامل للمرتضي فيّ ذكر المعتزلة . و(كاسل كاي) مجموعة في تاريخ اليمن لعمارة والمختصر من العبر لابن خلدون واخبار القرامطة في اليمن للجندي ، و(هرشفيلد) ديوان حسان بن ثابت و(كركنتوف) قصيدتين لمزاحم العقيلي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث ابن حلزة اليشكري والطرماح والصحاح للجوهري و(مهرمان) معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي و (ليَل) ديوان عامر بن الطفيل وعبيد بن الابرص وعمرو بن قميئة والمفضليات للضبي مع شرح ابي محمد القاسم الانباري والمعلقات العشر بشرح التبريزي ، و(نيكلسون) كتاب اللمع و(بفن) نقائض جرير والفرزدق ، و(مرجليوث) مع جبر الالماني حماسة البحتري ، و(ستورى) الفاخر للمفضل بن سلمة ، و(مكارنتي) ديوان ذي الرمة بشرح الانباري ، و (منغانة) الدين والدولة لابن ربّن ، و(ستروبج) فتوح الحبشة لاحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان و(روس) ظفر الواله في تاريخ كجرات للالنجاني ، و(كوست) تاريخ مصر وولاتها للكندي و(هويت) كتاب عبد اللطيف البغدادي

ونشر (يوبر) الاميركي النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي و (كوتهيل) الاميركي تاريخ قضاة مصر للكندي وكتاب المطر لابي زيد و(كرنيليوس فانديك) الاميركي رسالة في مرض الجدري والحبة للرازي و(طورى) الاميركي فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم و (جوث) الاميركي الجزء الثامن من تاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي و (كونيج) الاميركي تاريخ حكام مصر للكندي ، و (جاسترو) الاميركي كتاب ابي زكريا يحيى بن داود هيوج

﴿ في ايطاليا واسبانيا والبرتقال ﴾ كانت ايطاليا اول الامم الغربية التي ذهبت بفضل السبق في نشر الكتب العربية فقد احيا علماؤ ها المستعربون في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ تأليف يحيى بن ماسويه الاصغر الحراني في الطب والفلسفة وطبعوا قانون ابن سينا في الطب مع كتاب النجاة في سنة ١٥٩٣ وبعدها نشروا رسائل اخرى في المنطق والطبيعة والكلام للرازي وطبعوا تحرير اصول « أقليدس » للطوسي . وانت ترى ان ما مما الايطاليون الى نشرهِ اولاً كتب العلوم المادية فتداركوا من الضياع بعض ما ابقتهُ الايام من هذه الكتب الممتعة. وقد وضع السويسري سوتر من علماء المشرقيات كتاباً فيمن اشتغلوا من العرب بالعلوم الرياضية والفلك فقط فكان عدد من وصل الى

تراجمهم نيفاً وخمسمائة رجل فقدت الآن اكثر كتبهم

ونشر (آماري) المكتبة العربية الصقلية وفيها جميع ما ورد في كتب العرب عن جزيرة صقلية وطبع الشروط والعقود السياسية بين جمهوريات ايطاليا وسلاطين مصر وغيرهم وكتاب الاشارات للهروي ونشر (لانزوني) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف وكتاب النخلة للسجستاني ، و(ربيزو) كتاب الارصاد الكلية ، و(كايتاني) تجارب الامم لابن مسكويه ، و (جويدي) شرح « بانت سعاد » لابن هشام وكتاب الافعال لابن قرطبة والاستدراك لابي بكر الزبيدي ، و (كيسب فللا) كتاب ديوان مصر وزاد المسافر ورسالة لقسطا بن لوقا و (سكيابارللي) ديوان ابن حمديس الصقلي وجزءاً من انس المهج وروض الفرج ومرشدة المطالب في اسمى المطالب لابن بسام وعلم الشعر لابي العباس احمد ابن يحيي ثعلب و (نللينو) زيج البستاني في الفلك والبيان لابن رشد ، و(غريفيني) فقه زيد بن علي وديوان الاخطل والطبقات لابي بكر الزبيدي ونصوصاً عربية في صقلية وقصيدة منسوبة لامرىء القيس وقصيدة قدم بن قادم وقصيدة الاعشى « ما البكاء » واعد للطبع لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية للامير عثمان بن ابراهيم النابلسي ، ونشرت الآنسة (كودنس) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لاسحق بن حسين المنجم ،و (بو يجي) مقامات أبي طاهر التميمي و (روميو) كتاب الفرغاني في الطب ، و (برتولوميو) كتاب النحل للسجستاني و (كوزالوستي) و (لاغوميتا) الصكوك المعينة على تاريخ استيلاء العرب على جزيرة صقلية ملحقاً للمكتبة الصقلية التي نشرها آماري

ونشر (بانكري) الاسباني كتاب الزراعة لابن العوام (وكازللا) لغز قابس . واهم ما نشره علماء المشرقيات الاسبان المكتبة الاندلسية نشرها كوديرا و (ربيرا) وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس والمعجم لابن الأبار والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار أيضاً وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خليفة الاشبيلي و (اميليو لافونت) اخبار فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم و (كيروس) علم ما بعد الطبيعة لابن رشد (وآسين) المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس ، و(كنساليس) تقويم الذهن للداني (وربيره طرغوه) القضاة بقرطبة للخشني القروي . (وشانجاس) اختصار الجبر والمقابلة لابن بدر (وغسبار) ريحانة الكتاب للسان الدين بن الخطيب والجزء الثاني والعشرين من نهاية الارب

للنويري و (هويتي) كتاب التواريخ لابن بسام (وكلارزا) فلسفة الاسلام والغربيين ونشر (لوبيس) البرتقالي كتاب احوال البرتقاليين في مالابار الهندية للشيخ زين الدين وكتابات عربية متعلقة بالبرتقال (وصوصه) الصكوك العربية المتعلقة بتاريخ البرتقال

﴿ في روسيا وبولونيا وفنلندا وهنغاريا وتشكوسلوفاكيا ﴾ اولع الروسيون بنشر بنشر خلاصات من كتب العرب فكانوا أشبه بالافرنسيين في هذا المعنى. ومع هذا نشر من ابنائهم (كركاس) الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري و (غوتولد) تاريخ ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني ومعجماً للقرآن والمعلقات ،و(كولسون) الاعلاق النفيسة لابن رسته ، و (خانيكوف) ميزان الحكمة للخازني و (بتروف) طوق الحمامة لابن حزم و (روزن) تاريخ الذيل الذي صنفهُ يحيي بن سعيد بن يحيي الانطاكي ومصنفاً في الجبر لابي جعفر الخوارزمي (وكراتشقوفسكي) ديوان الوأواء الدمشقي .

ونشروا رحلة ابن فضلان والصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر الصوفي و يعرف بكتاب الكواكب الثابتة ونشر (كوفالسكي) البولوني ديوان قيس بن الحطيم و(رودلف دفوراك) ديوان ابي فراس الحمداني ونشر (ولين) الفنلاندي حائية ابن الفارض (أوميض برق بالأبيرق لاحا) مع شرح عبد الغني النابلسي عليها . ونشر (تلكويست) الفنلاندي المغرب في حلى المغرب لابن سعيد

ونشر (غولدصهير) المجري كتاب المعمرين للسجستاني وفضائح الباطنية للغزالي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول ابن أوس ومعاني النفس ومقالة لكاتب اسرائيلي في اسماء الله الحسنى وصفاته تعالى

﴿ في الدانيمارك والسويد ونروج ﴾ نشر (مهرن) الدنيمركي عجائب البر والبحر لشيخ الربوة وعدة تآليف لابن سينا منها رسالة حي ابن يقظان ورسالة في اسرار الحكمة المشرقية.ونشر (تورنبرغ) السويدي تاريخ الكامل لابن الاثير والانيس المطرب لابن ابي زرع الفاسي و (كرلولندبرغ) السويدي الفتح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين الاصفهاني وديوان زهير بن أبي سلمى للاعلم الشنتمري ، ونشر (موبرج) السويدي دَرج الغرر ودُرج الدرر للميكالي ، و (نيبرج) ثلاث رسائل لابن عربي وهي انشاء الدوائر وعقلة المستوفز والتدبيرات الالهية وكتاب البهجة لابراهم الشبستري ونشر (بروخ) المفصل للزمخشري و (سترستين) السويدي تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وامرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من كتاب تهذيب اللغة للازهري ونشر

(تورنبرغ) السويدي الانتصار في الرد على ابن الراوندي

﴿ الخلاصة ﴾ هذا بعض ما احياهُ علماء المشرقيات في الغرب من اسفار اجدادنا وهذه الجريدة ادنى الى ان تكون قائمة غير مستوفاة لان بلاد الغرب كبيرة والاستقصاء متعذر بعد عمل القوم هناك قروناً طويلة . وما زالت هذه اللغة كما قلنا مرة من لطف الله بها يخدمها الاعاجم او يغار عليها من ليسوا من ابنائها وقد يحسن الدخيل خدمتها اكثر من الاصيل . خدم الاعاجم حضارة العرب كثيراً في العهد القديم والاعاجمُ في العهد الحديث ما خرجوا معها عن هذه السنة

و بعد فلو لم يسرع الغربيون بنشر كتبنا منذ القرن الخامس عشر للميلاد لتأخر النور عنا مدة ولضاع جانب من ثروتنا العلمية . ولو حدث الانتباه في الغرب للحصول على كتب العرب في القرن العاشر للميلاد لحفظت كنوز كثيرة تبعثرت بالحروب الصليبية في الشام ومصر ونكبة هولاكو في بغداد وبجائح البربر والاسبانيين في الاندلس وغير ذلك من الخطوب المدلهمة التي اصيبت بها كتب العرب من احراق واغراق وتمزيق وتفريق . ومع هذا فان هذه المادة الصالحة التي تلقفها الغربيون من اسفارنا بعد زمن نهضتهم قد أحيت معالم حضارتنا ولولا عنايتهم البالغة لضاع اكثر ما أبقتهُ الايام لنا لان ما حفظ من كتبنا في بلاد الغرب الاقصى والادنى ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن والهند وفارس وبخاري والاستانة وغيرها هو بقايا ضئيلة من تلك التركة العظيمة

توفر المستعربون على طبع ما ظفروا بهِ من كتبنا ورأوا مصلحة للعلم والآداب أو للسياسة والاستعمار غرضاً في احيائهِ قبل غيرهِ ، وقلما طبعوا كتاباً او رسالة الأ عن فكر ولمقصد ، موفرين العناية بمعارضة النسخ بنسخ مثلها أو الرجوع الى المكان المنقول عنها يجعلون ذلك في الهوامش و يحشونها بالفوائد والاستدراكات والملاحظات وحل المشاكل والمفردات وكانوا يكتبونها لاول الامر باللاتينية لغة العلم عندهم ، ثم اخذ كل واحد يكتبها بلغتهِ أي لغة الناشر . و يفردون لكل كتاب فهرساً بل فهارس للاعلام من البلدان والاشخاص والجبال والآثار والطرق والجسور والجوامع والمدارس والشوارع والدروب والابواق والاسواق والقبائل والامم واسماء الكتب التي وردت في هذا الكتاب ويشفعونها بفهرس القوافي والامثال أيام العرب ان كان السفر من كتب الشعر والادب او بفهرس المفردات ان كان الكتاب في اللغة والطب والهندسة والطبيعة والحكمة والجغرافية والفلك والحيوان والنبات الى غير ذلك مما يجزل الانتفاع من

مطبوعاتهم و يقرب منالها على الطالب . وقد ينشرون الاصل من كتاب و ينقلونهُ الى لغة من لغاتهم أو يقدمون لهُ مقدمة فيها مزايا الكتاب وما يمكن ان يستفيد منهُ العلم الآن وكم من مقدمة حملت روح الكتاب وارواحاً جديدة مع روحه

وكل ما طبعهُ اولئك الاعلام يدلّ على صبر طبيعي ، ودؤوب غريب ،وامانة يصفق لها ، وتحرٍ للحق ، وتحرج من التلفيق ، حتى غدت مطبوعاتهم الاّ ما ندر منها مثال النظر البليغ ، والطبع الجميل ، واكبر معوان على المراجعة والمطالعة والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع . وكم من كتاب عظيم ظهر في الشرق غفلاً من الفهارس التي تقرب منالهُ فما هو ان نقل الى الغرب حتى تصدى بعض علمائهِ ووضعوا لهُ الفهارس ليتم الانتفاع بهِ كما فعلوا بكتاب الاغاني وآمالي القالي وغيرهما

و بعد فما برح العارفون منا يقدرون عمل المستعربين قدرهُ ، بل يعجبون بهِ ويمجدونهُ، قال لي استاذي علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري : أليس من الغريب ان يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في المانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الاستانة ؟ وسمعت استاذي العلامة الشيخ محمد المبارك يقول : لاحظت مع الجماعة الذين تجتمع واياهم على قراءة سيرة ابن هشام ان الطابع الافرنجي عُني بطبعها وخدمها اكثر من عناية المصححين لها في المطبعة الاميرية في مصر اه . وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم يحسنون طبع تفسير قرآننا وسيرة رسولنا اكثر مما نحسنها ، على حين نحن لم نحرص في كل عصر على شيءٍ حرصنا على علوم الدين ومقوماتهِ واغفلنا ما عداها من العلوم الاّ قليلاً

لولا عناية المستعربين باحياء آثارنا لما انتهت الينا تلك الدرر الثمينة التي اخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الادباء وابن جبير وابن بطوطة ومعجم ما استعجم وفتوح البلدان وفهرست ابن النديم ومفاتيح العلوم وطبقات الاطباء واخبار الحكماء والمقدسي والاصطخري وابن حوقل والهمداني وشيخ الربوة الى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فسحت امامنا معرفة بلادنا في الماضي ووقفنا على درجة حضارتها . لولا احياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الاثير وابي الفدا واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابي شامة وابن الطقطقي وحمزة الاصفهاني وامثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح واصبحنا في عماية من امرنا . ولو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر وكتب الادب والعلم التي احيوها لطال بنا المطال ففي الذي اوردناهُ من اسمائها فيما سلف غنية ،والمقصود بيان تلك المزايا والاشادة بالايادي البيضاء التي اسداها القوم لآدابنا

مطالب الشرق

قرأنا في مجلة « العالم اليوم » الانكليزية مقالة قيّمة للدكتور جوزف هول وصف فيها شكوى الشعوب الشرقية من السيطرة الاجنبية . وهو رحّالة ومؤلف مشهور وقد طاف في اسيا مراراً ولهُ من المؤلفات « تاريخ الصين » و« ثورة اسيا » « و بلاد بوذا » وكان من اركان الحرب مع الجنرال الصيني و يوپاي فو . وقد عاد حديثاً من اسيا بعد ان حادث زعماء شعوبها من الاستانة الى طوكيو ووقف على ما يجول في نفوسهم نحو حكومات اوربا واميركا فرأينا ان نقتطف من مقالتهِ ما منهُ فائدة لقراء المقتطف وجعلنا عنوان ما اقتطفناهُ « مطالب الشرق » لان هذا مفاد مقالتهِ

بدأ مقالتهُ بقولهِ ان الاوربي الذي يسير في اسيا الآن مسافة عشرين الف ميل من يوكاهاما الى القسطنطينية ومن كنتون الى القاهرة ويقف على احوالها بنفسهِ لا يستطيع الاّ ان يصارح اهل بلادهِ بما رآهُ وسمعهُ من غير ان يقال عنهُ انهُ من المرجفين

ليس من المرجح ان شعوب اسيا تتضافر الآن على محاربة الامم الاوربية ولكن من المرجح ان ما يحرجها ويدفعها الى ذلك من السيطرة الاوربية اذا استمرّ على ما هو عليهِ الآن سوف يحملها على الاتحاد وابطال هذه السيطرة ولو اضطرّت ان تقاوم القوة بالقوة. وكل الذين حادثتهم من مواطنيّ الذين في الشرق وتدعوهم وظائفهم الى تأييد سلطة الغرب بوجه من الوجوه يرون رأيي . فمن الصين الى تركيا وجدت الناس كلهم على رأي واحد متجهة جهودهم الى التخلص من سيطرة الاجانب عليهم يقودهم الى ذلك زعماء اقوياء. وقد لا ينالون مبتغاهم في هذه السنة ولا بعد سنين قليلة وقد لا يحاولون نيلهُ بالقوة الآن ولكنني متأكد انهم لا ينفكون عن السعي الى نيلهِ ولاسيما اذا ظلوا يرون ما يحرجهم من معاملة الاجانب لهم

للحرب الثائرة الآن في الصين شأن كبير جدّاً لا من حيث تغلّب فريق من الصينيين على فريق آخر ولا من حيث ما يقتل فيها من النفوس و يخرب من البلاد بل من حيث انها احيت في الصين روحاً جديداً روحاً كانت الدلائل كلها تدل على ان الصين خالية منهُ وهو روح الوطنية اي اعلاء شأن الوطن والدفاع عنهُ . وقد رأيت التجار بين مشتركين كلهم في ذلك ومتفقين عليهِ مهما اختلفوا في سائر الامور. فان الصينيين المشهورين

يحب السكينة والبعد عن الخصومات جريًا على وصايا فيلسوفهم الاكبر كنفوشيوس صاروا الآن اهل حرب وجلاد خاصتهم وعامتهم رجالاً ونساء واتفقوا كلهم على رفض السيطرة الاجنبية ومقاومتها بالقوة حتى سفراؤهم الذين يضطرون ان يجاملوا لم يسعهم الأ ان يجاهروا بهذه المقاومة . مثال ذلك ان سفيرهم في اميركا وهو من خريجي جامعة كورنل الاميركية ومن الحزب المحافظ في الصين قال ما ترجمتهُ : —

« ان الشعب الصيني متأكد انهُ من السخافة ان ينتظر بلوغ امانيهِ القومية بالوسائل السلمية اي ان يقنع الدول الاوربية بمسالمتهِ لها قبلما تغيّر المعاهدات التي بينها و بينهُ . لانهُ عالم تمام العلم ان ما يطلبهُ حق وعدل وهو مستعد لكل تضحية في سبيل الحصول عليهِ »

واستطرد الكاتب الى ما رآهُ في سيام وانام و برما وجاوة وجزائر فيلبين وممالك الهند وافغانستان وايران وتركيا والشام والعراق وتونس والجزائر وقال انها كلها متفقة على الرغبة في ابعاد السيطرة الاجنبية عنها . ومن رأيهِ ان بريطانيا ادركت هذا الامر ولذلك قال وزير مستعمراتها حديثًا « لسنا ذاهبين لنحارب الصين فان آخر ما يفعلهُ الانسان ان يقتل زبائنهُ » .

وخلاصة ما نستنتجهُ من مقالة الدكتور هول انهُ يجب على فرنسا وايطاليا وهولندا ان تحذو حذو انكلترا وتعامل شعوب الشرق الخاضعة لها معاملة المواطن للمواطن والصديق للصديق والأ فالعاقبة وبيلة وما كان يسهل احتمالهُ والرضا بهِ منذ خمسين سنة صارت النفوس تأباهُ الآن حتى يصدق على كثير من ابنائها ما قالهُ الشاعر الاميركي مركام في قصيدة موضوعها رجل في يدهِ رفش يقلب بهِ الارض وقد ترجمناها شعراً ونشرناها في المجلد الحادي والثلاثين من المقتطف وهذا نصها

على عاتقيهِ رزايا الدهورِ فلا تعجبنَّ لظهرٍ حُني
رزايا ازالت نضارة وجهٍ فلا يُستَفَزُّ ولا ينثني
فاين السرور واين الرجاءُ وكل بهيج ومستحسنِ
واين الهموم واين الغموم وكل شعور بها قد فني
فمن دسَّ فيهِ سموم الخمولِ واطفأ منهُ الضياء السني

اهذا براهُ الله البرايا ومن قاس ذا الكون شبراً فشبرا
اهذا خلاصة كل الوجودِ عميد الخلائق برًّا وبحرا

امامُ العلومِ ومحصي النجوم وجالي الغوامض بطناً وظهرا
اهـذا عناهُ اله السماء اهذا قضاهُ فاحكم امرا

بوجهٍ كئيبٍ وظهرٍ حديبٍ وعقل عقيم ورأي سقيمٍ
خلاصة ظلم وزبدة غُرْمٍ وعنوانُ كل صنيعٍ أثيمٍ
ولكنَّ في الصخرِ ناراً وفيهِ بوادر شرٍّ وهمٍّ مقيمٍ
ولا بدَّ للنار ما تلتظي وللشرُّ عقبى لكل ظلومٍ

فاين الملائك منهُ وقد صا ر عبداً لزفش وعبداً لفاسِ
واين العلوم واين الفنون مبادي الحساب وحكم القياسِ
جمالُ الرياض وظل الغياض ومجع الطيور وحب الاناسِ
عصور المظالم فيهِ تجلَّت وقد شاب فوداهُ مما يقاسي

عظام من الظلم لانت فأضَّت جموع من الجور باتت تنادي
ملوكَ الانام قضاةَ الزمانِ بماذا تجيبون يوم المعادِ
اهـذا وديعة رب السماء يبيت على مثل شوك القتادِ
بجسم ضئيل ووجه كئيب رفيق الوحوش حليف السهادِ

بماذا يقوّم ظهر حناهُ بماذا تنيرون وجهاً عبوسا
وايُّ فؤاد يلاقي مسروراً ولم يلقَ في العمر الاَّ نحوسا
بماذا تزيلون ذكر المخازي وقد عمَّت الارض من قبل موسى
مخازٍ توالت وصالت فصارت على اللحم دوداً وفي العظم سوسا

ملوكَ الانام قضاةَ الزمانِ اتدرون ماذا يقول الزمانُ
بماذا يجيب اذا القوم ثاروا فثلوا العروش وجاروا وشانوا
بماذا يجيب اذا الناس قاموا وعادوا الى الله حتى يدانوا
وناداهم الحقُّ قولوا فقالوا وحُلَّ من الصمت هذا اللسانُ

ولكن الشعوب لا تنتظر يوم الدينونة ولاسيما الشعوب الشرقية التي رأت قيام اليابان وفوزها وسترى قريباً فوز الصين في نهضتها. فعسى ان يرى المسيطرون هذه الحقيقة ويعملوا بها

الاحتفال بذكرى صموئيل كرمتن

انكلترا تكرم رجلاً كان اختراعهُ من اسباب ثروتها

اية صورة من صور الحياة ابعث على الشجو والاسى من صورة رجل كبير الهمة ذكي الفؤاد يقضي الليالي سهراً على استنباط آلة جديدة يحسب انها سبيلهُ الى الشهرة والثروة، فيفوز في استنباطهِ، ولكن فقرهُ المدقع يحول بينهُ وبين تسجيلها وحصر صنعها فيهِ فيضطر ان يبيحها لجمهور المناظرين فتبدر عليهم اموالاً ضنت بها على مبدعها وبدلاً من ان يساعدوهُ حتى يزيدها اتقاناً ينقلبون عليهِ يهزأون ويسخرون ويتلمسون الى معرفة اسرار صناعتهِ كل طريقة مهما سفلت، فيقضي الرجل حياتهُ فقيراً في ادنى دركات الحاجة والفاقة حتى يضطر بعض اصدقائهِ ان يجمعوا لهُ قليلاً من المال ليعيش من ريعهِ الى حين وفاتهِ

كذلك كانت حياة صموئيل كرمتن مستنبط آلة غزل القطن التي مكنت بلاد الانكليز من التفوق في صناعة المنسوجات القطنية وكان تفوقها هذا ركناً لتفوقها المالي والسياسي

هذا هو الرجل الذي تحتفل بلدة بولتن الانكليزية في ٢٦ يونيو بانقضاء مائة سنة على وفاتهِ، وهو الاحتفال الذي دعي اليهِ جلالة ملك مصر لما للقطن المصري من الشأن في الصناعات القطنية الانكليزية

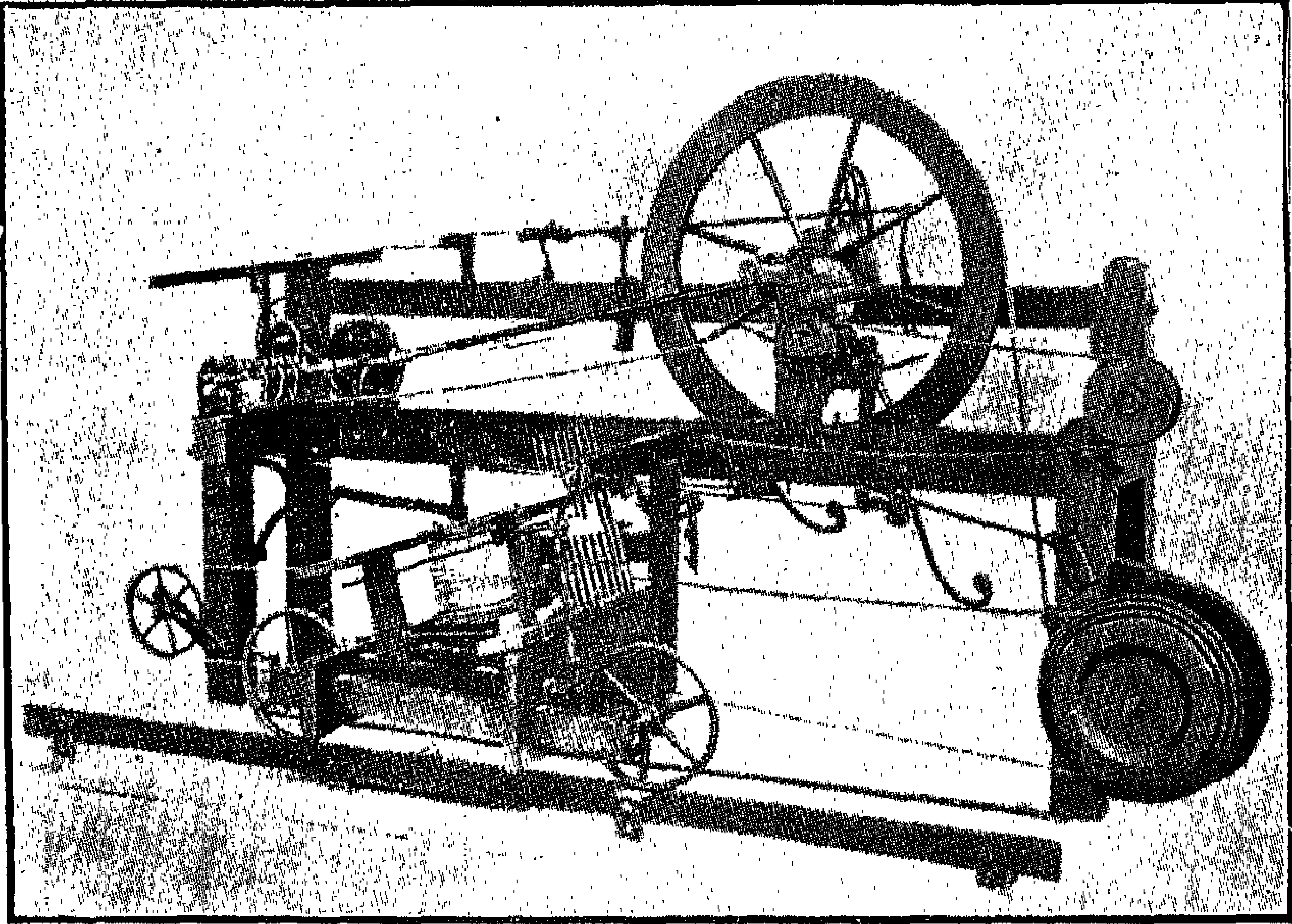
***

كان اهل الهند وغيرهم من امم المشرق يزرعون القطن ويحلجونهُ ويغزلونهُ وينسجونهُ ويصبغونهُ قبل المسيح باكثر من خمسمائة سنة . وقد بلغت منسوجاتهم في الدقة والمتانة مبلغاً لم تبلغهُ منسوجات اوربا حتى الآن مع كل آلاتها ولكنهم اقتصروا على اعمال ايديهم وعلى آلات بسيطة جداً اخترعوها في سالف الزمن ثم لم يزيدوا عليها شيئاً. ولذلك لما وردت عليهم منسوجات اوربا البخسة الاثمان لسهولة نسجها بالآلات صار اكثر اعتمادهم عليها وليس كذلك اهل اوربا الذين اخترعوا في القرنين الاخيرين من الآلات ما يعجز القلم عن وصفهِ وتغني الآلة منهُ عن الوف من العملة

والقطن لا ينسج ما لم تجرِ عليهِ اعمال كثيرة اشهرها الحلج والندف والغزل. اما الحلج فيراد بهِ تنقية القطن من بزرهِ وكانت آلتهُ يد الانسان فقط ولم تزل كذلك في بعض



صموئيل كرومتن
Samuel Crompton



مثال لآلة كرومتن محفوظ في متحف كنسنغتون العلمي بانكلترا

مقتطف يوليو ١٩٢٧

امام الصفحة ٦٨

ممالك المشرق ثم اتصل بعض المشارقة من زمان طويل الى اصطناع المحلجة المستعملة الآن في بعض انحاء سورية ومصر . واجزاؤها الجوهرية اسطوانتان تدور احداهما فوق الاخرى بدولاب يديره الحلاَّج برجلهِ ويزج القطن بينهما فيفرز البزر منهُ لان البعد بين الاسطوانتين اقل من ان يدخل البزر منهُ فيقع البزر على الجانب الواحد والقطن على الجانب الآخر . وهذه المحلجة بطيئة العمل لا تفي بطلب الانوال السريعة النسج ولا بطلب آلات الغزل التي اخترعت في اوربا في القرن الثامن عشر . الاَّ ان رجلاً اميركياً اسمهُ هوتني اخترع سنة ١٧٩٣ آلة لحلج القطن فيها اسطوانتان تدوران الى جهتين متضادتين في احداها حزم كالمكانس وفي الاخرى اسنَّة كاسنة المنشار فالاسنان تفصل البزر من القطن ثم تمر عليها المكانس فتنزع القطن منها وتطرحهُ على مائدة مجنبة فينزل عنها ويتكوَّم بعضهُ فوق بعض . ثم اصلحت هذه الآلة واتقنت وكثرت اجزاؤها وصارت دواليبها المختلفة تدور بآلة بخارية وهي الآلة الشائعة الآن

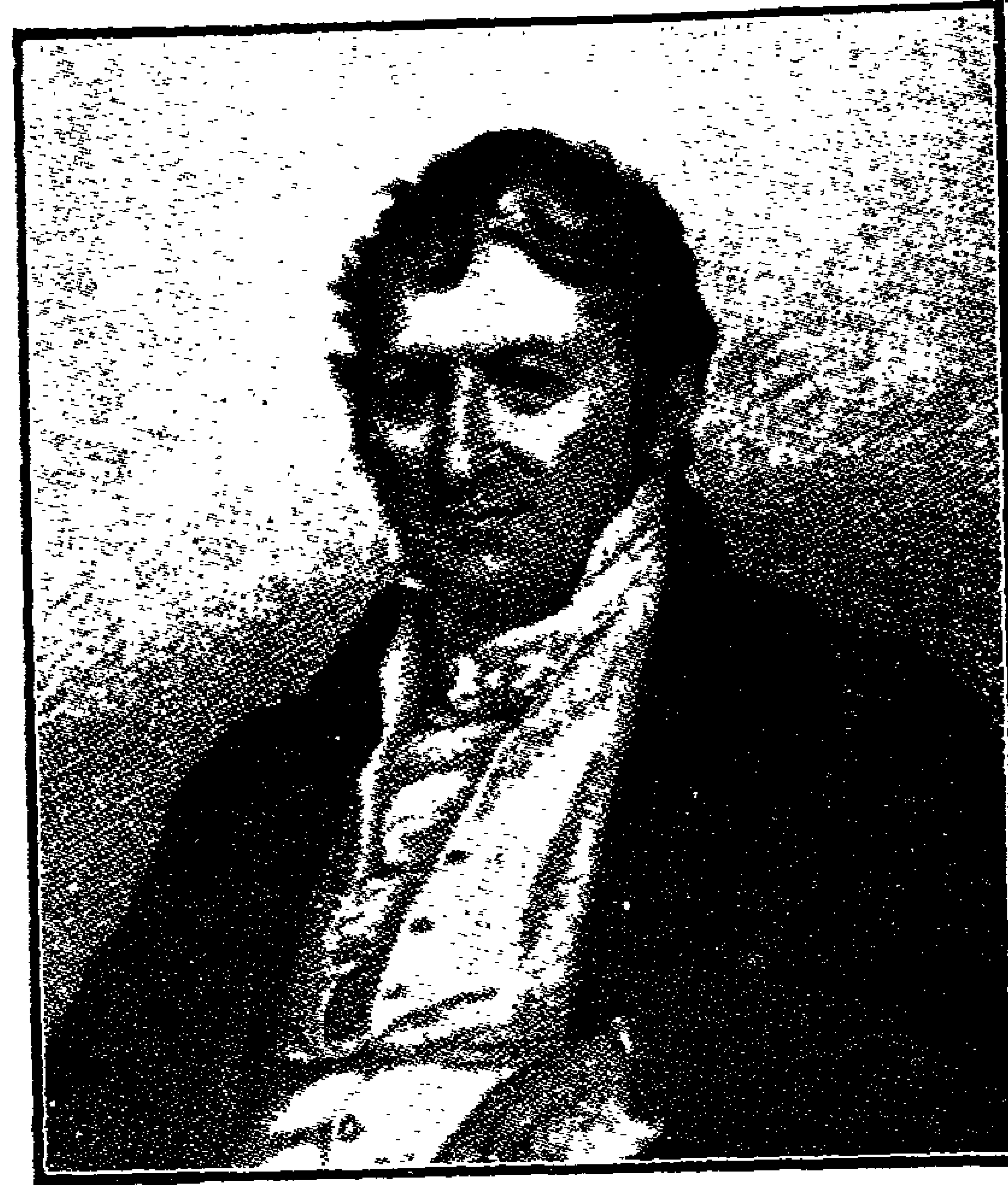
ويلي الحلج اعمال كثيرة لندف القطن وتهيئتهِ للغزل وكلها تتم الآن بآلات متقنة كثيرة التفاصيل لا يفهم تركيبها الاَّ من يراها بعينهِ ويعمل بها . وكل هذه الاعمال كان القدماء يستغنون عنها بالقوس والوتر على ما هو مشهور عندنا . ولكن لو اجتمعت كل اقواس الندافين ما كادت تفي بمطلوب معمل واحد من معامل منشستر مثلاً . ويلي الندفَ الغزلُ وكانت آلتهُ الوحيدة عند كل القدماء المغزل ولبثت كذلك قروناً عديدة ولم يزل المغزل مستعملاً في هذه البلاد وفي اكثر البلدان . وكان الهنود يغزلون بهِ خيوطاً من القطن لا مثيل لها في الدقَّة . والظاهر انهم هم الذين اخترعوا دولاب الغزل واخذهُ عنهم العرب فاهل اوربا وكان يستعمل اولاً لغزل الصوف ثم استعمل لغزل القطن ولبث آلة الغزل الوحيدة حتى سنة ١٧٦٧ للميلاد

ويقال ان رجلاً انكليزياً اسمهُ هرغريفس كان عندهُ دولاب مثل هذا وفيما كان يبرم قلبهُ واحد من اولادهِ فلبث يبرم كما كان مع ان مغزلهُ وقف عمودياً وكان هرغريفس قد حاول قبلاً ان يضع في الدولاب الواحد مغازل كثيرة فلم يتهيأ لهُ ذلك لان المغازل كانت افقية فلما رأى المغزل يبرم وهو واقف عمودياً خطر لهُ ان يصنع المغازل عمودية فصنع آلة فيها ثمانية مغازل تغزل دفعة واحدة ويديرها دولاب واحد ثم صار عدد المغازل ثمانين . الاَّ ان الغزل الذي كان يغزل بهذه الآلة

واهن لا يصلح للسدى بل للحمة فكان الحاكة يُسَدّون بالكتان والصوف ويلحمون بالقطن. وبما ان الانوال كانت قد اتقنت وكثر الطلب على الغزل المناسب للسدى ايضاً قام رجل آخر انكليزي اسمهُ اركرَيْت واخترع آلة تغزل القطن غزلاً متيناً يصلح للسدى ثم توالت على هذه الآلة ايدي الصنّاع فاتقنوها اتقاناً بليغاً فصار غزل السدى يصنع بآلة اركرَيت وغزل اللحمة بآلة هرغريفس . وسنة ١٧٧٩ قام رجل آخر انكليزي اسمهُ كرمتن وصنع آلة للغزل جمع فيها كل ما هو حسن في آلة هرغريفس وآلة اركرَيت واجتنب كل نقائصهما ولم يطلب بهــا امتيازاً فاجازهُ البرلمنت الانكليزي بخمسة آلاف جنيه انكليزية وهي الآلة المعوّل عليها اليوم . وقبل آلة كرمتن لم يكن يصنع من ليبرة القطن خيط اطول من ١٦٨٠٠٠ يرد مع ان اهل الهند كانوا يغزلون من الليبرة خيطاً طولهُ ٤٥٠٠٠٠ يرد والآن يصنع بآلة كرمتن بعد اتقانها من الليبرة خيط طولهُ اكثر من ٤٧٧٠ ميلاً وكان في آلة كرمتن في اول امرها نحو ثلاثين مغزلاً فقط واما الآن فقد صار فيهــا نحو الفي مغزل

***

ولد كرمبتن على مقربة من بولتن من اعمال لنكشير سنة ١٧٥٣ وكان والداهُ فقيرين فاضطر ان يرتزق من غزل القطن منذ حداثتهِ . وفي عملهِ هذا كان جل اعتمادهِ على مغزلي هرغريفس واركريت، وكان حاد البصر نافذ النظر فرأى ما في هذين المغزلين من النقائص وانس من نفسهِ اندفاعاً الى استنباط آلة تحتفظ بمميزات هاتين الالتين وتجتنب نقائصهما . وكان قد علم بالمصاعب التي تعرّض لها هرغريفس واركريت ، وما استهدفا لهُ من غضب الغزالين الانكليز الذي ظنوا ان الآلات صنعت لكي تسابقهم الى الرزق فاخذ يشتغل ليلاً لكي لا يراهُ احد وكان الناس يمرّون بغرفتهِ في ساعات متأخرة من الليل فيرون الانوار تشعّ من كواها حتى شاع انهُ من السحرة او من المشتغلين بفنونهم . ولكنهُ وفق الى صنع آلتهِ سنة ١٧٧٩ فجمع فيها بين اسطوانات هرغريفس ومغازل اركريت . فغزل بها غزلاً يفوق كل انواع الغزل الاخرى جودة حتى ضاهى بهِ اجود انواع الغزل الهندي ، فكثر الطلب عليهِ ولكن افكار مزاحميهِ اتجهت الى معرفة اسرار طريقتهِ بكل وسيلة شرفت او سفلت ، فبثوا عليهِ العيون والارصاد وجعل هؤلاء يتجمهرون حولهُ في ساعات العمل فلم يقوَ على ردّهم ولم يكن في سعة من العيش تمكنهُ



ايلاي هوتني
Eli Whitney



السر رتشرد اركرت
Sir Richard Arkwright

مقتطف يوليو ١٩٢٧
امام الصفحة ٧١

من تسجيل آلتهِ وحصر صنعها فيهِ فآثر ان يبيحها للجمهور على ان يحطمها حنقاً، وخصوصاً لما تقدم اليهِ جماعة من كبار الصناع والتجار ووعدوهُ بان يكتتبوا بمبلغ من المال جزاء لهُ فاخلف اكثرهم بوعدهِ ولم ينل من هذا المبلغ سوى ستين جنيهاً

وانقطع بعد ذلك الى الغزل لحسابهِ الخاص فلم ينل نصيباً من النجاح . وفي سنة ١٨٠٠ أُكتتب لهُ بمبلغ ٥٠٠ جنيه وسنة ١٨٠٩ استنبط الدكتور ادمند كارترايت نول للحياكة يُدار بالماء او بالبخار فاجازهُ البرلمان الانكليزي بعشرة آلاف جنيه فعزم كرمتن ان يطلب مثل هذه المساعدة فطاف في البلدان التي شاعت فيها صناعة غزل القطن وجمع من الادلة ما أثبت شيوع مغزلهِ اذ وجد ان الصناع يستعملون من مغزلهِ ٦٥٠ الفاً ومن مغزل هرغريفس ١٥٠ الفاً ومن مغزل اركريت ٣٠٠ الف

ويقال ان المستر سپنسر برسيڤال رئيس الوزراء كان قد نظر في طلبهِ وعرف قيمة استنباطهِ فاعدَّ اقتراحاً ليطرحهُ على البارلمان يقضي باجازتهِ بعشرين ألف جنيه . وفيما هو ذاهب الى اجتماع البرلمان هجم عليهِ احد المفتونين واطلق عليهِ الرصاص فارداهُ قتيلاً . فنُسيت مسألة كرومتن الى اجل ولما اعيد النظر فيها وهبهُ البرلمان خمسة آلاف جنيه فاشتغل بها بغزل الاقطان وتجارتها من غير نجاح . ولما خسر هذا المبلغ من المال عاد الى بيتهِ كاسف البال كسير القلب فزاول صناعتهُ على آلتهِ البسيطة بكل ما اوتيهِ من حذق ومهارة وفن وكان الفقر وكبر السن قد نالا منهُ فتوسط بعض اصدقائهِ لدى اعضاء البرلمان ليهبوا الرجل الذي احيا في انكلترا صناعة واسعة النطاق مبلغاً من المال يستعين بهِ على مطالب الحياة ، فلم يُعِر البرلمان هذا الطلب اذناً واعية فاجتمع نفر من اصدقائهِ سنة ١٨٢٤ واكتتبوا بمبلغ من المال ريعهُ ٦٣ جنيهاً في السنة وقفوهُ لهُ ليعيش بهِ . وبقي في ضعة من العيش الى ان توفي في ٢٦ يونيو سنة ١٨٢١

فهبَّ سكان بولتن بعد وفاتهِ الى تكريمهِ ورفعوا لهُ تمثالاً في احدى ساحاتهم العمومية وها هم اليوم يعدُّون المعدات للاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاتهِ وقد طبعوا طابع بريد عليهِ صورتهُ وحملوا انكلترا باسرها على الاشتراك معهم في هذا الاحتفال

—٥:٥—

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

نقد على نقد « حرية الفكر »

مصوّر اعتيادي يدخل الى متحف فيهِ من آثار المصوّرين المشهورين وينقل احدى بدائع الفن نقلاً نقول عنهُ انهُ جيد . ثم يعرض الصورة المنقولة على الجمهور فيعجب بها احد الناقدين في الفنون الجميلة فيقول فيها : « انها لتحفة رائعة تذكّرك بآثار رفائيل وفانديك ورامبرانت ويحق ان توضع في صف آثارهم الفنية »

ماذا تقول ايها القارئ في هذا النقد حتى وان لم تكن ذا المام بفن التصوير

وهناك شاب شرقي متعلم سافر الى اميركا وتعلّم فيها صناعة المصابيح الكهربائية ثم رجع الى وطنهِ وانشأ معملاً يصنع فيهِ المصابيح الكهربائية الجيدة وفوق هذا فهو ذو المام بجميع الآلات الدقيقة . يقول في هذا الشاب احد المعجبين بهِ : « في هذا الشاب شاهد على ان الذكاء الشرقي لا يقلّ عن الذكاء الغربي اذا اتيحت لهُ الفرصة لاظهار نبوغهِ الكامن . فاننا نعجب بنابغتنا هذا ونفتخر بان تكون اعمالهُ هذه في صف اعمال المخترعين المشهورين ومن جملتهم اديصن نفسهُ مخترع المصابيح الكهربائية »

وماذا تقول في هذا النقد ايضاً !

هاتان حادثتان خياليتان ولكن اليك امر واقع :

شاب شرقي ذكي مجتهد درس بعض مؤلفات الفلاسفة الشرقيين والغربيين ومن بعض هذه اقتطف وجمع كتاب « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » فكتب فيهِ احد الناقدين من « كتابنا الضليعين في الادب الواسعي الاطلاع على منتجات الذهن الشرقي

والغربي » ولم يشأ ان يظهر فوقع اسمهُ بامضاء « باحث » تقريظاً بليغاً . وهذه نُتَف من التقريظ المشار اليهِ :

« .... لانهُ (اي الكتاب المشار اليهِ) من ذلك النوع النادر في الثروة العقلية والمعاني السلسة الرائعة والاسلوب المصري العصري ...... وانا لا نعدو ما هو حق وواقع اذا قلنا عن كتاب حرية الفكر الذي نحن بصددهِ والذي هو كتاب الشهر بل كتاب السنة وكتاب الشباب الوثاب وكتاب النهضة العلمية ،وكتاب التحرير العقلي ، انهُ كتاب خليق بالدراسة والتفهم وهو خير مثال للاقتصاد اللفظي ،والغنى العقلي ، وانهُ بلا ريب نتيجة اطلاعات واسعة المدى متنوعة الفنون والمناحي ..... »

الى هذا الحد نقد الناقد مديح ، مقبول . ولكن اقرأ ما يلي :

« ..... فان كنت في خلال ما تقرأ وتلتذ بهذه الثروة العقلية التي تواتيك مهلة معبَّدة بلا كلفة ولا تمنّع ولا غلوّ ثمن من كد قريحة في المعنى واحجية في اللفظ تذكر موءَلف فورد عن « ارازمس » او ترجمة هزلت عن « لوثر » او محاضرات التربية والحياة التي القيت في تورنتو وجمعها وال ، او تلمح طرقاً تحليلية على آخر طراز في التعليم المنطقي فتذكر جون ستوارت مِلْ وسبنسر في موءَلفاتهما ثم تذكر بنيامين كد في كتابهِ « مبادئ التربية الغربية » و« التطور الاجتماعي » . وتلمس في كل ناحية التنظيم العقلي المطرد الذي يلقي في خلدك ان صاحب الموءَلف قد « هضم » وهضم تماماً آخر الموءَلفات الجامعية التي دعا اليها امثال تليارد و سيرجون ادامس و بلسبري وجد وجونس لما الف في سنة ١٩٢٦ و« منرو » وكلباترك ممن الفوا في سنة ١٩٢٥ وصفوة القول تجد امامك العالِم العصري الطراز — المتواضع حقاً والذي لم يتعب رأسك بذكر مئات المراجع مما قرأ ودرس و « هضم .... »

وبيت القصيد في هذا التقريظ هو الخاتمة . « ... لست اريد ان اكتب بحثاً منظماً عن هذا الكتاب المنظم في طريقتهِ ومنحاهُ ولفظه ومعناه — وانما قصاراي ان اقول : اذا كان كتاب فورد عن تاريخ حياتهِ ، وكتابا كليف بجام عن تاريخ ساسة انجلترا قد اعتبرت خير ما اخرج للناس عن تاريخ الابطال في العصر الاخير — فان كتاب سلامه موسى خليق ان يكون في صفها . وخليق ان يوصي بهِ جماعة الدكتور اليوت ليكون ضمن مقرراتها ومقروءاتها » انتهى نقد الكتاب

موضوعنا في هذه المقالة هو هذا النوع من النقد الشائع في الادب العربي. وقد نقلنا

بالحرف نُتَفاً من نقد واحد يمثل نوع هذا النقد تمثيلاً جيداً . من المزايا البارزة في هذا النقد : الغلوّ في المدح . فالنقد لا يبين من مضمون الكتاب المنقود اكثر مما يدل عليهِ اسم الكتاب . ومنها عدم التمييز بين النقل والابتكار ووضع الواحد في صف الثاني

وقبل ان نتوسع في كلمتنا هذه نودّ التصريح باننا لا ننقد الكتاب المشار اليهِ بل ننقد النقد . وعرَضاً نقول ان الكتاب جيد ، جيد جدًّا ، في معناه وفي لغتهِ . ونتمنى سعة انتشارهِ

الغلوّ في المدح واكثار الاصطلاحات والعبارات الخاصة بهِ يجعل في المدح تصنعاً لا يروق ذوق محبيّ الحقيقة المعرضين عن الظواهر . ومن هؤلاء هم انصار حرية الفكر في العالم . خير المدح وابلغهُ ليس في الكلام الموجَّه بعبارات المدح الفصيحة ولا هو الفكر الرئيسي في المقال . انما هو لاحق لازم للاخلاص والاحسان في وصف المحاسن البارزة في الممدوح . كم مدح موجّه مقصود يكون في نتيجتهِ تنقيصاً وذمًّا . وافضل المدح ليس عليهِ مسحة المدح. اقرأ خطاب مرقس انطونيوس على اثر مقتل يوليوس قيصر . يقول: « ما جئت لامدح قيصر ولكني لادفنهُ. وما قصدي ان اجرّم بروتس فان بروتس رجل شريف وطنيّ غيور .... الخ » وكانت النتيجة ان بكي على قيصر الذين تلطخت ايديهم بدمهِ وقاموا على بروتس وارتدّوا عليهِ . وفي الشعر العربي امثلة لا تحصى من المدح المصطنع ومن المدح الممتاز غير المقصود

المقصود من النقد ان يُعرّف القارئ ماهية الكتاب المنقود وموضوع بحثهِ والافكار التي فيهِ ، ثم اتقان الصنعة فيهِ وتقدير قيمتهِ واذا امكن فيحسن نقل نُتَف من الكتاب المنقود الى متن النقد ليمكّن الناقد حجتهُ في نقد الكتاب ويجعل للقارئ مجالاً لموازنة ما يقولهُ المؤلف وما يقوله الناقد

لا يتّسع المجال في المجلات العربية الشهيرة لنقد كل الكتب على هذه الصورة. ولكن الكتاب القيّم — خصوصاً اذا كان كتاب السنة كما يقدّر الناقد لكتاب حرية الفكر — يستحق ان يخصّص لهُ ما لا يخصص لغيرهِ من سعة على صفحات المجلة

التمييز بين النقل والابتكار هو اهمّ ما في نقد الكتب وتقدير قيمتها . المبتكر لهُ منزلتهُ العليا والناقل لهُ مكانتهُ ونفعهُ وفي كلا الصنفين طبقات . ولا يجوز ان نضع الناقل في صف المبتكرين ولو كان شيخ الناقلين

الشائع اليوم بين ادباء العربية وكتّابها درس لغة غربية واحدة على الاقل ونقل بعض الادب الغربي الى اللغة العربية او على الاقل اقتباس شيء من مواضيعهِ واسلوبهِ. وقد اصبح هذا ضرورة لا يستغنى عنها لدى شيوخ الادباء. ومثل الادب العلم. لا بل كل العلم الذي نتعلمهُ اليوم منقول عن الغرب بخلاف الادب فان من الادب العربي القديم ولا يزال يُستقى منهُ بخلاف العلم القديم الذي حلّ محلهُ شيء جديد

كان اوّل من اقتبس الادب الغربيّ والعلم ونقلهُ الى اللغة العربية في اول نهضتنا هذه يعدّ مبتكراً بالنسبة الى من يشرح على شرح الشرح و يعلّق الحواشي على الرثّ القديم ولكنهُ بالنسبة الى القوم الذين ينقل عنهم لم يكن مبتكراً بل ناقلاً . والناقل ما زال ناقلاً فلا يفوق الاصيل ولا يصل الى درجتهِ . الاصيل هو الحدّ الذي يتقارب منهُ الناقل على قدر جودة النقل

والناقد المشار اليهِ يعترف بان موّلف كتاب « حرية الفكر » قرأ كثيراً وهضم جيداً قبل ان جاء بمؤلفهِ هذا الى العالم العربي . والمؤلف نفسهُ يعترف صريحاً بانهُ اخذ مادّة الكتاب عن عدد من المؤلفات الانجليزية والعربية . فالكتاب اذاً هو من صف المؤلفات التي تجمع المتبعثر والمنثور من هنا وهناك وتنظمهُ في كتاب واحد يسهل على القراء درس الموضوع . هذا النوع من التأليف شائع في الغرب وفي الشرق ولهُ مكانتهُ ونفعهُ . فلو قال الناقد ان كتاب حرية الفكر هو من صف هذه المؤلفات وانهُ من احسنها في الشرق وفي الغرب لما أُخذ عليهِ في تقديرهِ ولكنهُ وضعهُ في صف غير صفهِ وهذا ما يوأخذ عليهِ

من كل الكتب التي عدّد اسماءها الناقد المشار اليهِ ما قرأنا الاَّ كتاباً واحداً هو كتاب هنري فورد عن حياتهِ واعمالهِ الذي وضع الناقد في صفهِ كتاب حرية الفكر متوّجاً بذلك نقدهُ والكتاب المنقود . وربما كانت بقية الكتب المشار اليها من المبتكر وربما كانت من المجموع المنقول او كان بعضها من هذا والبعض من ذاك . لا يجوز لنا مناقشة الناقد في ما يختص بها لاننا نجهلها ولكن لنا كلمة في ما يختصّ بتقديرهِ لكتاب حرية الفكر ازاء كتاب هنري فورد

قرأنا كتاب حرية الفكر على عقب الانتهاء من كتاب هنري فورد وكان ذلك اتفاقاً قبل ان نقرأ النقد الذي نحن في صددهِ . وما خطر لنا خاطر على الاطلاق في ان الكتابين

من صف واحد ولا من درجتين متقابلتين في صفين مستقلين . والآن على اثر قراءة النقد يزداد في نظرنا البعد بين الكتابين . وهذا معنى ما نقصدهُ في قولنا ان المدح الموجه المقصود يكون في تأثيره تنقيصاً للمدوح لا اكباراً لهُ

لهنري فورد فكرة اساسية في الصناعة والانتاج بنى عليها اعمالهُ وصناعتهُ المشهورة التي وصلت آثارها الى كل اقطار العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب . وقد جاء في كتابهِ على هذه الفكرة وعلى فلسفتهِ في تنظيم الاعمال . وهذه الفكرة وهذه الفلسفة هي خاصة بهنري فورد . هو ابتكرها وفي حياتهِ واختبارهِ نمت ولا يزال نموّها يتكامل . والبرهان على صحة فكرتهِ هو النجاح المطرد الذي كان نصيبها سيّان في حالة الرواج العامّ او في اشد حالات الكساد

فهنري فورد واعمالهُ حقيقة عظيمة عمّت كل شعوب البشر. وكتابهُ عن حياتهِ نقابلهُ في درجتها ، انما بصورة مصغّرة ، احسنُ بدائع الفن لرفائيل مثلاً . وكتاب حرية الفكر نقابلهُ الصورة المنقولة في المتحف عن اثر لرفائيل . المصورون الذين ينقلون عن آثار رفائيل كثيرون جدّاً لا يحصون ودرجاتهم متفاوتة . اما رفائيل فهو واحد في عصرهِ وفي عصور عديدة من بعدهِ . وكذلك هنري فورد

نكتفي بهذا القليل . ونترك الكثير في هذا الموضوع لتأمّل القارئ . ونختم بالرغبة الى النقّاد ان يميزوا لا بين الغث والسمين (فهذا اصطلاح قديم بالي) بل بين النقل والابتكار

عن سوق الغرب بلبنان اميل ضومط

جان جاك روسو وحكايات لافونتين

سيدي الاستاذ صاحب المقتطف الاغر

تحية واحتراماً وبعد فارجو نشر ما يلي ولكم مزيد الشكر :

الدكتور محمد حسين بك هيكل رئيس تحرير جريدة « السياسة » من كبار الادباء واشدهم ولعاً بالادب الغربي وخصوصاً الادب الافرنسي ، وقد كتب اخيراً كتاباً عن الفيلسوف الافرنسي جان جاك روسو حلل فيهِ آراء روسو تحليلاً علميًّا جميلاً ونقدها نقداً ادبيًّا حديثاً

ولما كان لي ولع خاص بكتب هذا الفيلسوف ، أحببت ان اتصفح كتاب الاستاذ

هيكل لاقابل بين جمال اسلوب روسو الافرنسي وترجمة اديبنا العربي فسحرتني بلاغة الدكتور هيكل و براعتهُ في نقل افكار روسو الى العربية والباسها حلة قشيبة من البيان العربي الساحر الذي اختص بهِ الدكتور دون كثيرين من كتابنا العصريين

قرأت الجزء الاول ونحو مائة صفحة من الجزء الثاني وكلما توغلت في الكتاب ازددت بهِ شغفاً وولعاً و بمؤلفهِ الفاضل اعجاباً وتقديراً الى ان وصلت الى صفحة مائة وفيها يتكلم الاستاذ هيكل عن الكتب التي يستنسب لتلميذهِ « اميل » قراءتها عند ما يبلغ الثانية عشرة من عمرهِ فيقول

«الى هذه السن لم يقرأ اميل كتاباً الاّ كتاب الطبيعة الذي لا يكذب ابداً ، وهو في هذا يختلف عن روسو الذي كان ولا يزال في السادسة من عمرهِ يقضي الليل كلهُ يقرأ هو وابوهُ روايات كانت امهُ قد خلفتها قبل وفاتها . الاّ ان روسو كان شديد الرغبة عن الكتب لانهُ كان يعتقدها مثالاً للبيئة الاجتماعية كافياً ليفسد على الاستاذ كل تعاليمهِ ونجاحهِ اذا قرأها الطفل ولما تتكوّن عندهُ ملكة الحكم ولكنهُ اذا بلغ الثانية او الثالثة عشرة من عمرهِ كان في من تسمح لهُ بالتدبر بعض الشيء ولذا وجب التسامح معهُ في قراءة بعض الكتب على شريطة ان تكون في متناول عقلهِ وان يستطيع الحكم عليها حكماً صحيحاً

« وخير الكتب التي يقدر عليها الاطفال في هذه السن حكايات لافونتين . ولا شك في ان هذه الاقاصيص التي تنسب الى ايزوب اليوناني والتي نقلها لافونتين الى الفرنسية هي ببساطتها وبسوْقها على لسان الحيوانات والافكار والحكم التي تحتويها خير ما يصلح لرياضة عقل الطفل ، وطفل روسو يستطيع حسن تقديرها والحكم عليها

« لكن اقاصيص لافونتين لا تكفي وحدها غذاء لنفس الطفل المحتاجة الى الغذاء العقلي ولذلك سمح روسو ايضاً لطفلهِ بمطالعة كتب التاريخ » (١)

اعتراني الذهول عند ما قرأت هذه الفقرة وأخذت اشك في تدقيق الاستاذ ودرجة تحقيقهِ واطلاعهِ لاني كنت اذكر من مطالعتي السابقة لكتب روسو بالافرنسية ما يناقض تماماً هذه الفكرة . فرجعت حالاً الى الاصل الافرنسي وقرأت البحث في « اميل » Emile فوجدت ان الحق كان بجانبي وان روسو يضحي بعشر صفحات من كتابهِ «اميل»

(١) جان روسو وحياته وكتبه . لحسين هيكل ص ١٠٠

ليثبت ان اقاصيص لافونتين صعبة مبهمة لا يفهمها الاطفال ولذلك فهو لا يسمح لتلميذهِ « اميل » بقراءتها فيقول

«انهم يعلمون الاطفال حكايات لافونتين مع انهُ لا يوجد طفل واحد يدرك معناها، ولو ادرك الاطفال معاني هذه الاقاصيص لكانت الحالة اسوأ اذ ان المغزى الذي ينبغي ان يدفع الاطفال الى الفضيلة ، يقودهم دون ان يشعروا الي ارتكاب الرذيلة وما ذلك الاَّ لان المغزى غير متناسب مع سن الاطفال العقلية » (١)

ثم يأخذ روسو احدى اقاصيص لافونتين « الغراب والثعلب » و ينتقدها انتقاداً مرًّا مملوءًا بالسخرية والتهكم ويستغرق هذا الانتقاد نحو خمس صفحات من كتاب «اميل» وبعد ذلك يخاطب الفيلسوف روسو الشاعر لافونتين قائلاً :

«انظم يا مسيو لافونتين فاني اعدك بأن اقرأك وأحبك واتثقف من أقاصيصك لاني آمل الاَّ اخطأ الهدف الذي ترمي اليهِ من كتابتها ، اما تلميذي اميل فاسمح لي بأن لا ادعهُ يدرس حرفاً واحداً منها مالم يثبت لي ان تلميذي يستفيد من دراسة اشياء لا يفهم منها سوى ر بعها ! الخ » (٢)

وانا لنرجو من حضرة الدكتور هيكل ان يبدي رأيه خدمة للحقيقة والعلم

بيروت عبد الله مشنوق
بمعارف العراق سابقاً

معاني الشهور العربية
الموضوعة للسنة الشمسية

سيدي محرر مجلة المقتطف الاغر

سأل احد القراء الكرام في مقتطف شهر نيسان ١٩٢٧ عن معاني الشهور العربية وسبب تسميتها باسمائها الحالية فاجبتم على البعض منها واهملتم البعض من معاني شهور السنة الشمسية — وبما اننا نلمُّ بعض الالمام ببعض اللغات السامية اخوات العربية نثبت هنا ما نظنهُ سبباً لاطلاق هذه الاسماء على اقسام السنة الاثني عشر وهي كما يلي : —

---

(١) « أميل » لروسو جزء ١ ص Emile J.J. Rousseau P. 166 Vol.I
(٢) » » » » » 173 ,, ,, ,, ,,

تشرين وتشرين ومعناهما بالكلدانية (شرا) كما قلتم اي ابتدأ واستأنف وهما بداية السنة او اليبوسة والبرد — كانون وكانون: مأخوذان من (كانونا) وهو الموقد او الكانون كما نقل الى العربية لان فيها يعمل الناس الكوانين للدفء — شباط: وتفسيره سوط لان فيهِ تضرب الشمس الارض بحرارتها بعد جمود الارض في برد الكانونين — آذار: ومعناهُ الذرّ لان فيهِ تذر الغيوم المطر على الارض — ونيسان: ومعناهُ التجربة لان فيهِ تمتحن السنة وتعرف احوال الاشجار والزروع من اقبالها او عدمهِ — وإيار: ومعناهُ اليقظة او الموقظ لان فيهِ يستيقظ الفلاح لجمع غلاله والمسكين لجمع مؤونتهِ — وحزيران: ومعناهُ الجهد فان فيهِ يقف الفلاح مجاهداً امام الشمس الى ان يحصد غلاله— تموز: ومعناهُ التكديس ففيهِ يكدس الفلاح حصيده او بيدرهُ (جرنهُ) — وآب وهو التمر فان فيهِ تنضج الاثمار وانهُ ابو الفاكهة — وايلول: ومعناهُ الولولة والبكاء سمي كذلك لانقطاع اسباب المؤن فيهِ وانذارهِ بضيق الشتاء لمن لم يذخر لهُ ما يحتاج اليهِ

ويحسن بنا ان نذكر في هذا الصدد ايضاً بعض كلمات كلدانية نقلت الى العربية لمثل هذه الأسباب . فمثلاً كلمة شهر او (سهرا) هي كلدانية ومعناها القمر فنقلت الى العربية بمعنى آخر اي سمي وقت الذي يستغرق القمر دورتهُ شهراً اي ان المدة المعينة لهذه الدورة قامت مقام اسم هذا السيار فابدل اسم العلم باسم زمان

ومثلها كلمة (الفرقان) وهي أحدث من الاولى كما يظهر فيعنى الفرقان الخلاص كما في الكلدانية (پورقانا) فانها تقابل كلمة البشارة اي الانجيل او هي مرادفة لها

ومثل ذلك كلمة عنان او عنان السماء فعنان مأخوذة من (عنانا) الكلدانية ومعناها الغيم والسحاب فتغير المعنى الى موضع وقوف الغيم من السماء فاشارت العرب الى ذلك العلو اي العنان وارتفاعهِ الى ذلك الموضع ، وكثير من مثل هذه الكلمات دخلت في اللغة او نشأت فيها مما لا يسع المقام ايرادها لكنها معلومة عند المدققين

البصرة يوسف هرمز

—o:o—

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللون الاحمر

قصة صحية تجمع كثيراً من الفوائد الطبية والقواعد الصحية
في قالب روائي

احبَّ جورج بارتن الآنسة مرل اندروز منذ حداثتهِ وكانت جل امانيهما ان يتزوجا وان يبنيا بيتاً يكونان فيهِ طائرين غردين ويكون لهما وكنة يحنّان اليها ويجدان فيها كلّ سعادة وامان . فلما اكمل جورج علومهُ وجد لديهِ مبلغاً من المال في البنك فعزم ان يبني بهِ البيت المنشود . و بعدما اتمّ بناءهُ وتأثيثهُ تزوج فانفق كثيراً من النفقات التي لا يحسب لها حساب قبل الوصول اليها فلما رصد حسابهُ وجد نفسهُ مديناً بمبلغ الف جنيه ، وكان راتبهُ يكفيهِ للقيام بنفقاتهِ ونفقات زوجتهِ الشهرية فلم يستطع ان يقتصد شيئاً من المال ليوفي بهِ جانباً من الدين الذي عليهِ

واخذت بخناق التجار والشركات ازمة مالية شديدة فاخذ مديرو الاعمال يستغنون عن كثيرين من عمالهم وكتابهم. لكن جورج كان عاملاً نشيطاً اميناً فناداهُ مدير العمل وقال لهُ انهُ ضاعف لهُ مرتبهُ واضاف الى عملهِ عمل اثنين من العمال الذين استغنى عنهم فطار جورج فرحاً لهذا النبأ وحسب ان الدهر قد اخذ يبسم لهُ وان زيادة مرتبهِ تمكنهُ من توفير مبلغ من المال يوفي بهِ ديونهُ. ولكي يثبت كفاءتهُ جعل يشتغل ليلاً ونهاراً حتى لا يتأخر عمل من الاعمال بين يديهِ وكان يطمئن نفسهُ بقولهِ «امامي يوم الاحد من كل اسبوع انال فيهِ نصيباً كافياً من الرياضة والراحة»

وانقضت عليهِ بضعة اشهر على هذه الحال يشتغل كل النهار من غير راحة يصيبها او رياضة يزاولها ، فزالت من ثغرهِ تلك البسمة التي اشتهر بها بين اصحابهِ ونقص وزنهُ عشرين رطلاً وكان اذا وصل الى البيت بعد مزاولة العمل نهاراً وجانبا من الليل لا

يأنس من نفسهِ ميلاً الى شيء سوى النوم ومع ذلك كان نومهُ متقطعاً فاذا صحا في الصباح احس بان الليل لم يذهب الاَّ بجانب قليلٍ من تعبهِ

فتطرق الهم والغم الى نفس زوجتهِ، لانها عرفت ان هناءة البيت وسعادتهُ رهن صحة زوجها، فعزمت انهُ تصارحهُ الكلام فيما يتعلق بعملهِ وصحتهِ ولكن كلامها لم يجدِ نفعاً لان زوجها اصرَّ على ان لديهِ عملاً يجب القيام بهِ والاَّ عُهد بهِ الى غيرهِ ثم ذكّرها بان عليهِ ديناً لا بدَّ من ايفائهِ وانها حاملٌ ويُنتظر ان تزداد نفقاتهما بازدياد العائلة

وفي صباح اليوم التالي نهض جورج باكراً وذهب الى الحمام ليستحمَّ ويحلق وفيما هو ينظف اسنانهُ وحلقهُ لاحظ ان بصاقهُ مشوب بلون احمر فوقف يتساءل امسلول انا ؟ ثم تذكر ان حلقهُ كان ملتهباً في اليوم السابق على اثر زكام اصيب بهِ فضحك، على ان الريبة كانت قد تطرقت اليهِ فلما سعل سعالاً خفيفاً بعيد ذلك لم يرَ مندوحة من امتحان بصاقهِ فلم يجدهُ احمر اللون فسرّي عنهُ بعض الشيء. وبعدما امتحن بصاقهُ مراراً على هذا المنوال قرّر انهُ افسح مجالاً للوهم يتسلط عليهِ. ولما فتح الخزانة الصغيرة التي في غرفة الحمام ليتناول منها آلة الحلاقة وقع نظرهُ على زجاجة حمراء صغيرة عليها ورقة حمراء وقد كتب عليها بحروف واضحة سوداء كلمة «سم» فارتعش لرؤية اللون الاحمر وازاح الزجاجة من امامهِ . ولما انتهى الى غرفة الطعام رأى زوجتهُ تتعهد الازهار و بينها نبات القرنفل وقد تطرق اليهِ الذبول فاقترب منها ليسألها عن سبب ذبولهِ فلاحظ ان القرنفل في أصص احمر اللون فعاودتهُ الرعشة ولكنهُ تجلد واخفى عن زوجتهِ اثر اللون الاحمر فيهِ

ثم تناول طعام الفطور مع زوجتهِ وودعها ونزل الى الجاراج ليستقلَّ سيارتهُ الى مكتبهِ فلما فتحهُ وجد نور سيارتهِ الخلفي منيراً وهو احمر اللون فثبت لهُ انهُ نسي ان يطفيهُ بعد عودتهِ في الليل السابق ولكن رؤية النور الاحمر فعلت بهِ فعلاً اهاج اعصابهُ فتطرق اليهِ شيء من الهم والغم لم يعرف لهُ سبباً . وفي طريقهِ الى مكتبهِ رأى كثيراً من المصابيح والرايات الحمراء قائمة في بعض انحاء الطريق لتدل على الخطر وكأنهُ لم يرها في الايام السابقة فزاد خوفهُ وهياج اعصابهِ

وصل الى مكتبهِ وهو في حالة اعياء عصبي فجلس اليهِ وفيما هو يقلب اوراقهُ عثرت يدهُ بزجاجة من الحبر الاحمر فانصبَّ الحبر على مكتبهِ فتعوذ بالشيطان من اللون الاحمر وذهب الى مديره وقال احسُّ باعياء عام فارجو ان تسمح لي بنصف ساعة اذهب في اثنائها الى الطبيب لارى ما بي . فسمح لهُ المدير فذهب الى طبيب في البناية التي فيها مكتبهُ

حيَّاهُ الطبيب وعلى ثغرهِ بسمة لطيفة تذهب بنصف الم المريض وقال تفضل يا مستر بارتن ماذا تريد ؟

فقال احسُّ باعياء عصبي عام

الطبيب : هلمَّ نبحث عن منشإِ العلة. انك في الثالثة والعشرين من العمر، وقد انقضى عليك ستة اشهر متزوجاً تقوم بكل اعمالك في مكتبك و يندر ان تروض جسمك في الهواء الطلق . هل خسرت كثيراً من وزنك في الاسابيع الاخيرة

فقال بارتن نعم خسرت نحو ٢٠ رطلاً في الاشهر الثلاثة الاخيرة لازدياد مشاغلي

الطبيب : وهل فقدت كثيراً من قوتك ونشاطك

فقال احسُّ بتعب عام مستمر، حتى في الصباح حين النهوض لا اشعر بنشاطي العادي

الطبيب : وهل مواعيد طعامك منتظمة

فقال لا آكل الاَّ حين اعود في الليل الى البيت

الطبيب : وهل تدخن

نعم نحو ٢٠ سيكارة في اليوم

الطبيب : واي مرض اصبت بهِ قبلاً

الحمى القرمزية والحصبة والانفلونزا

الطبيب : هل اصبت بداء ما في صدرك

كلاَّ ولكني اشعر في بعض الاحيان بضيق في صدري

الطبيب : هل اصبت بالتهاب في الحلق وهل تزكم بسهولةٍ

يظهر لي اني لا اشفى من زكام حتى اصاب بآخر

الطبيب : هل تعرق ليلاً

اعرق بعض الاحيان كثيراً حتى لاستطيع ان اعصر ملابس النوم عصراً

الطبيب : هل جلدك سليم

جلدي سليم الاَّ اني اشعر انهُ كثير الجفاف في بعض الاحيان

الطبيب : هل ساكنت احداً مصاباً بالسل

كان فتى يدعى جون كابل يسكن معي ومع امي ثم اشار عليهِ الطبيب ان يسافر الى الارياف وذلك منذ سنة تقريباً

الطبيب : هل تحس بالم شديد في صدرك كوخز السكين

اشعر بعض الاحيان بالم من هذا القبيل في الجانب الايمن من صدري

الطبيب : هل تسعل كثيراً

اسعل في الصباح غالباً. واما في اثناء النهار فاسعل سعالاً خفيفاً لا اكاد اشعر بهِ

الطبيب : هل يمازج الدم بصاقك حين السعال

اتفق لي انني لاحظت اليوم بقعة حمراء في بصاقي فحسبتها دماً ومنذ تلك الدقيقة جعل كل لون احمر يفعل بي كأنهُ شبح الموت واقفٌ يرصدني ولذلك اتيت اليك الآن لتفحصني . انا اعلم ان هذا الخوف وهميّ ولكنني اريد ان اؤيد ذلك برأيٍ طبيّ

الطبيب : هل تتنفس بسهولة

حينما اجري احسُّ ان نفَسي قصير جدّاً

الطبيب : هل همومك كثيرة

نعم لاني مدين بمبلغ من المال وحتى الآن لم اتمكن من توفير شيء من مرتبي اسدّد بهِ جانباً من هذا الدين، وقد برّح بي التعب حتى ليصعب عليّ الآن ان اقوم باعباء عملي خير قيام

الطبيب : اي متى تستريح من عناء العمل وكم ساعة تنفق في الرياضة الجسدية

ان دواعي عملي الكثيرة تمنعني من الرياضة الجسدية

الطبيب : هل تحمرّ وجنتاك بعد الظهر

نعم وقد اخذ اصحابي يهزأون بي و يدّعون زوراً اني ادهن وجنتيّ حتى تحمرّا

و بعد ما وجّه اليهِ الطبيب اسئلة كثيرة من هذا القبيل فحصهُ فحصاً طبيًّا مدققاً مبتدئاً برأسهِ ثم فحص عنقهُ وصدرهُ ولسببٍ ما وقف في فحص الصدر اكثر من فحص سائر الاعضاء و بعد ما انتهى قال لهُ

الطبيب : هل تشعر انك لا تستطيع ان تحرّك الجانب الايمن من صدرك بمثل السهولة التي تحرك بها الجانب الايسر

فقال لم اشعر بذلك من قبل اما وقد نبهتني اليهِ فاحسّ انهُ واضح كالشمس

الطبيب : هل تشعر كأنّ الجانب الايمن من صدرك فارغ من اعلاهُ وفي اسفلهِ

نعم اشعر بذلك

الطبيب : وهل تلاحظ ان الترقوة على الجانب الايمن اكثر بروزاً منها على الجانب الايسر وخصوصاً حينما ترفع ذراعيك وتمدهما الى الامام

فقال بارتن لقد يكون سبب ذلك اني استعمل ذراعي اليمنى اكثر من استعمالي لذراعي اليسرى فقويت عضلات الاولى وغطت الترقوة

***

قبلما غادر بارتن عيادة الطبيب وعدهُ ان يجيء اليهِ كلّ يوم قبل الظهر و بعد الظهر في ساعات معينة لكي يقيس حرارتهُ ويفحص بصاقهُ وخصوصاً بصاق الصباح و يصوّر حلقهُ باشعة اكس. فثبت من هذه الامتحانات ان حرارة بارتن في الصباح تحت الدرجة الطبيعية ثم ترتفع بعد الظهر الى فوق الدرجة الطبيعية. وثبت من فحص ضغط دمهِ انهُ تحت الدرجة الطبيعية التي تتفق مع سنهِ وفحص البصاق ستة ايام متوالية فلم يظهر فيهِ اثر ما لمكروبات ضارة ولكن في اليوم السادس دعا الطبيب مريضهُ الى مختبرهِ البكتريولوجي وقال لهُ لديّ شيء اريكهُ فلقد وجدنا هذا الصباح مكروبات في بصاقك تعرف بمكروبات كوخ ووجود هذه المكروبات مع ما عرفناهُ من وسائل البحث الاخرى يثبت لنا انك مصاب بمرض كوخ

انظر الى هذا المكرسكوب . اغمض عينك اليسرى وانظر بعينك اليمنى تشاهد ان اكثر هذه المكروبات التي على لوحتهِ زرقاء اللون واذا انعمت النظر وجدت بعض مكروبات عصوية الشكل حمراء اللون . وسبب ذلك قائم في جسم المكروب ذاتهِ . ذلك اننا نلون كل المكروبات اولاً باللون الاحمر . ثم نزيل هذا اللون ونعيد تلوينها باللون الازرق . وهذا المكروب الاحمر الذي امامك كشفهُ كوخ سنة ١٨٨٢ وثبت لهُ انهُ بعد تلوينهِ باللون الاحمر يبقى احمر فلا يزرقّ مثل سائر المكروبات و بذلك نستطيع ان نميز بينهُ و بين المكروبات الاخرى

فصاح مارتن ها هو اللون الاحمر اللعين يتبعني ايضاً !

فقال الطبيب ولكي تتخلص من هذا اللون اللعين يجب ان تتبع العلاج الذي اصفهُ لك . لقد تحدثت مع رئيسك وهو يظن ان هذا الداء نشأ من اصرارهِ عليك بان تقضي كل وقتك في المكتب والمعمل ولذلك تراهُ قد تكفل بكل ما تحتاج اليهِ من النفقات حتى تنال الشفاء التام وحينئذٍ تسدد ما عليك . فعليهِ يجب ان لا تهتمّ بامورك المالية . وقد حادثت زوجتك وهي مستعدة ان تبقيك في البيت وتخدمك احسن خدمة حتى يثبت لي انا انك قد شفيت وفي امكانك العودة الى العمل . فاذهب الآن الى البيت ولازم سريرك في غرفة تدخلها الشمس اكثر ساعات النهار وسنكون كلنا في خدمتك الى ان تشفى

كان همّ بارتن ان ينال الشفاء في اسرع ما يكون فجرى على اوامر طبيبهِ من غير ان يحيد عنها قيد شعرة و بعد ما انقضى عليهِ شهر في سريرهِ صارت حرارتهُ طبيعية ولكن الطبيب لم يسمح لهُ بالنزول والمشي في البيت بل كل ما سمح لهُ بهِ هو القعود قليلاً في السرير ومطالعة ما يريد مطالعتهُ من غير ان يجهد نفسهُ

وفي احد الايام عادهُ احد اصدقائهِ واهدى اليهِ كتاباً فنظر اليهِ بارتن فاذا غلافهُ احمر اللون فتعوّذ بالشيطان وجعل يتذكر الحوادث التي مرت بهِ منذ ذلك الصباح حينما رأى كل شيء احمر . وكان موضوع الكتاب « القدرة على البيع » وتحت العنوان العبارة التالية وعليها بُني فن الاعلانات الحديث « لا يستطيع احد ان يشتري بضاعة لم يسمع بها»

فطرأ على بالهِ خاطر جديد . وهو لو ان الناس يعرفون عن جودة البضاعة التي نصنعها في معملنا لزاد رواجها وزاد ربح المعمل . فقرأ الكتاب من اولهِ الى آخرهِ ثم دعا مديرهُ واقنعهُ بانهُ يستطيع ان يبيع بضاعتهُ بالمراسلة ما زال لا يستطيع ان يتعاطى عملاً ما في المكتب

وانقضى على بارتن شهران تقدمت فيهما صحتهُ تقدماً محسوساً وصار الطبيب يسمح لهُ بان يروّض جسمهُ ساعتين في اليوم . وكان يقضي اكثر الباقي من ساعات النهار يعدّ فيهِ منشورات مختلفة عن بضائع المعمل الذي يعمل فيهِ ليرسلها الى الزبائن . وكان هذا العمل قد اتسع اتساعاً لم يحلم بهِ وامتدّ اثرهُ الى الناس في ولايات غير الولاية التي يقيم يقيمون فيها فعاد ذلك على المعمل بالربح الوفير ولذلك جاءهُ المدير وعرض عليهِ مرتباً شهرياً يزيد على مرتبهِ السابق عشرة اضعاف . وعينهُ مديراً لفرع الاعلانات

وفي احد الايام دعي الطبيب الذي عالجهُ الى بيت بارتن لان زوجتهُ كانت في المخاض . وفيما هو جالس الى مريضهِ يحدثهُ قال بارتن «لم اسمع قبلا ان احداً قبلي اصيب بمرض كوخ هذا» فضحك الطبيب وقال لهُ انهُ كان مصاباً بالسل وانما دعاهُ بمرض كوخ لكي لا يهولهُ الامر ثم قال « وها قد شفيت الآن وقريباً تعود الى عملك . ان منشأ مرضك يعود الى الفتى الذي سكن عندكم فقد كان مصاباً بالسل ولكن المكروبات التي اتصلت بك حينئذٍ لم تقوَ عليك حتى اخذت تجهد نفسك في العمل . فعليك من الآن فصاعداً ان تتبع الخطة المثلى وهي ثماني ساعات من العمل وثماني ساعات من النوم وثماني ساعات من الراحة والنزهة وتناول الطعام»

فقال بارتن والطفل ء اعليهِ خطر ؟

فقال الطبيب كلا . ليس السل وراثياً ولكن يجب ان تعنوا بالطفل وخصوصاً يجب الامتناع عن تقبيلهِ على ثغرهِ

ودخل الطبيب الى غرفة مسز بارتن ولبث فيها نحو ساعة ثم خرج وفي يديهِ طفل اشقر الشعر الى حدة الحمرة فنظر اليهِ والدهُ وقال مبتسماً — شعرهُ احمر !

الماء والحمى التيفويدية

من المحقق ان الحمى التيفويدية من الامراض القليلة التي يصل مكروبها الى الانسان بالماء الذي يشربهُ اذا كان موجوداً في ذلك الماء. وليس لدينا احصاء يعتمد عليهِ عن فعل هذه الحمى في مدن القطر المصري حينما كان سكانها يشربون من ماء النيل والترع قبل ترشيحهِ ولا بعد ما صاروا يشربون منهُ مرشحاً ولكننا نعلم عن ثقة ان هذه الحمى انتشرت في مدينة بيروت واماتت الوفاً من سكانها على اثر وصول مكروبها الى المجرى الذي يجري فيهِ الماء الى مدينة بيروت كما اثبت المرحوم الدكتور ورتبات في مقالة نشرت في مقتطف ابريل سنة ١٨٩٦

ولا يخفى ان مدينة لندن اكثر المدن سكاناً وسكانها يشربون من مياه ملوثة اصلاً بكل نوع من الاقذار ولكن هناك شركات ترشح هذه المياه وتعالجها بما يميت مكروبات الامراض منها وقد اطلعنا الآن على ما يثبت فائدة هذا الترشيح وهذا التطهير فمن سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٠ كان متوسط الوفيات فيها بالتيفويد ٣٣٢ في المليون فصار ٢٥ فقط في المليون من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٥ اي ان هذا المرض كاد يتلاشى تماماً بتطهير الماء و بالامتناع عن اكل المحار النيء

واكثر الماء الذي يشربهُ سكان لندن كان يرشح بمرشحات من الرمل ثم اضيف الى هذا الترشيح حفظ الماء في صهاريج كبيرة زمناً طويلاً ثم اعتمدوا اخيراً على التطهير بالكلور منذ سنة ١٩١٦ فيطهر بهِ كل يوم ٧٦ مليون جالون من ماء نهر التمس بعد ترشيحهِ وتوزع في بيوت يسكنها مليون نفس وما من احد منهم يشكون اختلافاً في طعمهِ فالترشيح والخزن والتعقيم بالكلور وفى بالمراد تماماً حتى قال السر الكسندر هوستن مدير مجلس ماء لندن ان المكروبات الضارة في الاوقية الواحدة من ماء نهر التيمس كانت قبل معالجتهِ اكثر مما صارت في الف اوقية منهُ بعد معالجتهِ

فعسى ان يكون في ذلك منبه لكل المجالس البلدية في مدن هذا القطر حتى تعنى بترشيح ماء الشرب وتطهيرهِ بالكلور ان امكن وللحكومة حتى تعني بنشر احصاء عن عدد الوفيات السنوي بهذا المرض وغيرهِ

عصير الخضار
وتأثيره في افراز المعدة والمضم

كان معلوماً الى الآن ان عصير الخضار وشوربة الخضار يطهران الامعاء من السموم التي تتكون عادة في اعضاء المضم من فضول الطعام واختمارها يحول دون انماء الجراثيم العفنة وتكاثرها، وان فائدتهما تتضح في الاحوال المعدية المعوية الحادة او المزمنة والحميات العفنة والنزلات المعدية في الاطفال على الاخص . غير ان التجارب التي اجراها الدكتور اورلوسكي مؤخراً تدل على ان لعصير الخضار شأناً في تنبيه الافراز المعدي وتعجيل حركة الهضم واكثار عصارة المعدة . وعلى ذلك يمكن اعتبار عصير الخضار أيًّا كان نوعها منبهاً لشهوة الطعام ومحركاً للافراز المعدي، وان الاشخاص الذين فقدوا شهية الاكل بسبب نقص الحامض المعدي ينتفعون به اكثر من سواهم . اما اذا كانت بالمعدة قروح فيجب اجتناب شوربة الخضار لان افراز عصارة المعدة يكون في هذه الحالة على اشده
(عن مجلة صحة العائلة)

فوائد صحية

شاع استعمال الاسبيرين في معالجة الزكام والصداع . ولا ينتج في الغالب ضررٌ ما عن استعماله كذلك . ولكن مجلة «هيجيا» الصحية التي تصدرها الجمعية الطبية الاميركية تشير بعدم استعماله الاَّ باشارة طبيب

استعمال الانسولين لا يمكّن المصاب بمرض البول السكري من أكل كلّ ما يشتهيه وعليه فلا بدَّ له ان يجري على ارشادات طبيبه فيما يتعلق بالغذاء ولو استعمل الانسولين

ثبت من تجارب واسعة النطاق في اميركا ان الجرذان تنقل مكروبات كثير من الامراض المعدية منها الطاعون كما هو معروف ونوع من التسمم يشبه الطاعون وغيرهما . وقد جمع القائمون بهذه التجارب ٧٧٠ جرذاً من انحاء مختلفة من مدينة سان فرنسسكو فوجدوا ان ثمانيةً وخمسين منها مصابة بمرض معد وبعضها باكثر من مَرَضٍ واحد . وهذا يثبت وجوب التعاون على قطع دابر الجرذان بكل الوسائل الممكنة

باب الزراعة

الارز واصنافه الزراعية

﴿ توطئة ﴾ الارز من بين محاصيل الحب اي الغلال جميعها يعتبر اعظم محصول في العالم اذ يقدر منتوجهُ السنوي بنحو مائتين وعشرين بليون كيلو جرام من الارز غير المقشور (الارز الشعير) الذي يعطي مقدار غلتهِ اكثر من مائة وخمسين بليون كيلوجرام من الارز المقشور · وهو يفوق القمح ولا يوجد غذاء آخر للانسان ينتج بمثل مقدارهما

والارز يقوم بتغذية اكبر عدد من النوع البشري · والناس يعيشون عليهِ وحدهُ اكثر مما يعيشون على اي غذاء آخر . وهو معتبر عند ثلث سكان الارض اعظم غذاء يقوم باودهم . ولا يزال كما كان منذ ازمان غابرة غذاء معظم سكان الصين والهند واليابان وما جاورها من البلدان والجزر

﴿ الاصناف الزراعية ﴾ ان اصناف الارز الزراعية المصرية تختلف في مقدار الزمن الذي تمكثهُ في الارض من وقت بذرها الى ان تدرك بلوغها وينضج حبها . كما انها تتفاوت في مقدار غلة الحب باعتبار الفدان قبل تقشير الحبة وازالة قشرتها و بعد الازالة، وفي جودة الحبة وقيمة كل صنف ودرجة الاقبال عليهِ في المتجر وغير ذلك من الوجوه الزراعية الاقتصادية

والارز المصري يمكن تقسيمهُ الى قسمين :—

(١) قسم لا يطول مكثهُ في الارض فلا يزيد على ثلاثة اشهر

(٢) قسم يطول مكثهُ في الارض فيمكث بها من ثلاثة اشهر ونصف او أربعة الى خمسة اشهر ونصف او ستة

واصناف الارز المصري تتفاوت ايضاً في زمن زراعتها ، فمنها ما يزرع زراعة صيفية وهي الاصناف التي يطول عمرها في الارض . ومنها ما يزرع زراعة نيلية وهي الاصناف التي لا يطول مكثها في الارض

و يظهر ان اصناف الارز المصري لا تتساوى كلها في تمسكها بخصالها بدليل ما يظهر من الكوادن والنبعات او الطفر

وقد اتجهت الانظار حديثاً الى ادخال بعض اصناف من الارز الاجنبي لزرعها بمصر أكثرها من اصناف الارز الاسيوية مما اشتهر في بلاد الصين واليابان والهند وفارس.ولا تزال كلها في دور الاختبار ولم يظهر للآن في سوق المنافسة مع الاصناف الوطنية الاَّ القليل منها كالعجمي والياباني . وقد ادخل بعض الارز الاسباني وغيره ولم يتحصل منهُ للآن على نتائج نهائية

واليك اشهر الاصناف المصرية : —

(١) السلطاني — اعتاد فلاحو بعض جهات الوجه البحري لاسيما فلاحو مديرية البحيرة تسمية اصناف الارز عين البنت المعروفة من قديم بطول مكثها في الارض باسم الارز السلطاني وهو يطلق الآن على الارز« عين البنت »او الارز « الفينو » بوجه عام

(٢) الارز عين البنت الخضيب : — هذا الصنف من الارز قصبهُ معتدل الطول (ارتفاعهُ متر تقريباً) اقصر من الفينو واطول من الياباني وخضرة لونهِ فاتحة وجذورهُ اقل من جذور الفينو وورقتهُ عريضة طويلة بها ستة عروق مستقيمة ظاهرة والسنبلة طويلة (٢١ سنتيمتر تقريباً) معتدلة اقل كثافة من سنبلة الفينو بها حلقة من وبر ابيض عند مخارج المذق وفروعهِ (تامة او غير تامة) وعثكالها قصير والسفا احمر مستقيم لا يتساقط طبيعياً يبلغ في الطول نحو ٦ سنتيمترات . والحبة صفراء مبيضة (اي بيضاء عرفاً) ليست عظمية غير شفافة عليها مسحة من الاحمرار بها اسنمة واضحة وعلى سطح اسنمتها شعر مصفر مبعثر قصير والقنبعتان الخارجيتان المستدقتان عند قاعدة الحبة لونهما محمر باهت او مصفر باهت اقرب الى لون الحبة والحبة مسننة معتدلة الطول (٦½ مليمتر) والعرض (٣ مليمترات) وهي بعد ازالة قشرتها في عملية التبييض بيضاء صغيرة الجسم متوسطة اللمعة

وهذا الارز صنف من السلطاني يفوق اصناف الارز الاخرى في جودة طعم حبتهِ في الاكل لا يضاهيهِ سوى زميلهِ عين البنت الاكحل قد قلَّت زراعتهُ في الوقت الحاضر كثيراً وحل محلهُ الفينو فاصبح لا يزرع الاَّ في جهات من البحيرة والغربية لاجل الطلبات الخارجية

وهذا الارز يسمى احياناً « بكف البنت »و يستدعي ارضاً خصبة. وهو يتحمل العطش وينجح في الارض الضعيفة فيكون محصولهُ لذلك ضعيفاً نسبياً . وهو سريع الانفراط يشغل الارض من ٦ اشهر الى ٧ اشهر و يحتاج الى التبكير بزراعتهِ ومحصولهُ اقل من محصول الفينو بنحو الربع وصافيهِ بعد عملية التبييض من ٤ كيلات الى ٤½ من كل ١٢ كيلة

(٣) الارز عين البنت الاكحل : — هذا الصنف من الارز هو ثاني اصناف الارز السلطاني يشبه كثيراً زميلهُ عين البنت الخضيب و يمتاز عنهُ بان سفاتهُ حمراء رائقة مقوسة مرة او مرتين قصيرة يختلف في قصرها (من ملمتر الى ٢٢ ملمتراً) والحبة حمراء محمرة قليلاً عليها احياناً بقع حمراء داكنة طولها ٦ ملليمترات وعرضها ٣٧٥ المتر. والقنابع الخارجية المستديمة حمراء وقد يتساقط السفا احياناً و يبقى مكانهُ نتوء . والسنبلة مقوسة. وورقة هذا الارز متوسطة الطول والعرض

وهو كزميلهِ في المكث بالارض وتحمل العطش وإمكان نجاحه بالارض الضعيفة ونقص محصولهِ بها وسرعة انفراط حبتهِ . وهو يحتاج مثلهُ الى ارض خصبة كما يحتاج الى التبكير بزراعتهِ وحبتهُ بعد الضرب والتبييض بيضاء . صغيرة لامعة

(٤) الارز النحل : — كان معدوداً ضمن اصناف السلطاني ومعتبراً أقدمها عند الزارع المصري . و يراهُ بعضهم انهُ اصل السلطاني عين البنت المعروف في الزراعة وانهُ نتج منهُ ولم يقم دليل اكيد على صحة هذا الرأي للآن . والورقة طويلة عريضة والسنبلة معتدلة تقريباً وحبة هذا الارز صفراء مبيضة . وسفاتها بيضاء مصفرة . اما الحبة المقشورة فحمراء (لا تتعدى حمرتها الغطاء الثمري) صغيرة تُزال حمرتها او تخفف بزيادة الهرس في عملية التبييض وهي متوسطة اللمعة . وهذا الصنف يمكث في الارض كباقي اصناف السلطاني وهو قليل الوجود في الوقت الحاضر . يظهر كحشيش بين الاصناف الاخرى

(٥) الارز الرشيدي :— و يراد بهِ في الوقت الحاضر الارز الفينو اما الرشيدي المخصوص فعبارة عن الارز عين البنت الخضيب او الاكحل المزروع والمقشور بجهات رشيد. وهذا الاسم يطلق في التجارة

(٦) الارز الفينو : — هذا الصنف من الارز يكون في اول نشأتهِ نحيف القصب والجذور ثم يشتد فيما بعد و يقوى فيطول قصبه عن قصب غيرهِ من الاصناف الاخرى (طولهُ ١٤٥ سنتمتراً) يعظم جسمهُ و يتسع ورقهُ وتكثر جذورهُ بما يخرج من الكعوب التي باسفل الساق من جذور عارضية تمزق الاغماد الورقية وتضرب في الارض

وورقة هذا الارز كبيرة عريضة في صفحتها تسعة عروق متوازية واضحة

والسنبلة مقوسة طويلة (طولها ٢٥ سنتمتراً) منتشرة كثيفة بها حلقة و برية صوفية بيضاء عند مخارج العذق ومخارج فروعهِ (حلقة تامة او غير تامة حول المحور) والقنابع الزهرية سافية لها سفاة حمراء يختلف طولها من $\frac{1}{2}$ ملمتر الى ملمترين الى ٣ ملمترات الى ٨

تتساقط طبيعياً فيبقى في قمة القنابع الزهرية المخدة حول الحبة نتوء احمر والسفاة محنية غير مستقيمة حمراء اللون والحبة صفراء (اي بيضاء عرقاً) بطرفها الاعلى حمرة او سمرة وكذلك يخط اتحاد القنابع احياناً كما يوجد احياناً على السطح الجانبي للحبة فقط .

والقنبعتان الخارجيتان المستدينتان عند قاعدة الحبة لونهما محمر باهت او مسمر باهت اقرب الى لون الحبة . والحبة مسننة اهليلجية قليلاً احياناً معتدلة الطول (طولها ٦٦٥ المتر) (وعرضها ٣٦٥ المتر) اسنمتها واضحة و يغطى سطح الحبة وعيورها (اسنمتها) و بر اصفر قصير مبعثر . والحبة بعد ازالة قشرتها في التبييض بيضاء صغيرة لامعة

وهذا الارز يمكث في الارض نحو ستة اشهر الى سبعة و يمتاز عن غيره بتحمله العطش وصبره على شح الماء وقلته و بجودته في الارض الضعيفة ووفرة محصوله وفرة لا يدانيه فيها سوى الياباني المزروع في ارض خصبة وهو صعب الانفراط والدراس يجب التبكير بزرعه . وهو يصفي في التبييض نحو ست كيلات و كسور من الحب المقشور من كل ١٢ كيلة من الحب غير المقشور .وحبة هذا الارز جيدة الطعم تعلو في ذلك على كل اصناف الارز المصري ما عدا الارز ين عين البنت اللذين يفوقانه والارز الفينو اصله منتقى من الارز عين البنت

(٧) الارز الياباني :— يوجد في هذا الصنف الياباني الاصيل او الاسمر ثم الياباني الاقرع .

فالياباني الاصيل الاسمر قصبةٌ قصير اخضر فاتح نحيف الجذور ورقتهُ متوسطة الطول والعرض ، لها اربعة عروق مستقيمة متوازية ، سنبلتهُ طويلة نوعاً مقوسة اقصر من سنبلة زميله بنحو سبعة سنتيمترات واكثف منها . عثكالها اقصر . و يوجد لدى مخرج غذقها حرشفة دقيقة غشائية رمحية حادة ، شفافة في جزئها الاعلى غير موجودة في الصنف الياباني الآخر وهذا العثكال مغطى بو بر ابيض قليل اما مخارج فروع عذق السنبلة الدالية فتحيط بها حلقة من و بر ابيض قصير كثيف نوعاً ،والقنابع سافية، يختلف سفاها في الطول من ملمتر الى ملمترين الى ٣ ملمترات الى ١٠ يتساقط طبيعياً و يبقى مكانهُ نتوء صغير . والسفاة محنية غير مستقيمة لونها كلون الحبة . والحبة صفراء ، صغيرة ، ذهبية ، رائقة ، منسبتة ، معتدلة الطول طولها ٧ ملمتر ، عريضة عرضها ٣٫٧٥ ملمترات واسنمتها واضحة في وسط الحبة والاسنمة مغطاة بشعر ابيض غير كثيف اكثر ظهوراً في الجزء العلوي من الحبة . والحبة بعد التبييض بيضاء صغيرة لماعة

وهذا الصنف يوجد مختلطا مع الصنف الياباني الآخر في الزراعة وهو كثير المحصول

اما الصنف الثاني وهو الياباني الاقرع فقصبةُ قصير اصفر اخضر فاتح جذورهُ نحيفة .ورقتهُ متوسطة الطول والعرض لها اربعة عروق مستقيمة متوازية سنبلتهُ دالية مقسمة قليلاً عليها حلقة من وبر قليل ابيض عند مخرج عذقها وفروعهِ ، قنابعهُ غير سافية حبتهُ صفراء صفرة ذهبية رائقة كثيراً منسبتة متطاولة طولها ٧٫٥ المليمتر معتدلة العرض عرضها ٣ ملليمترات اسمتها واضحة وسطحها مع سطح اسمتها مغطى بوبر ابيض قصير كثيف لاسيما بالجزء العلوي منها والحبة بيضاء بعد قشرها في التبييض صغيرة لماعة

وهذا الصنف يوجد في الزراعة مختلطًا مع الياباني الاصيل اي الاسمر يبلغ طول قصبهِ مع سنابلهِ نحو ٨٠ سنتمتراً . لهُ من الكعوب الواضحة فوق وجه الارض ثلاثة بعيد احدها عن الآخر يخرج بعد بلوغهِ سوقاً حديثة (فراخا جديدة) من كعوبهِ السفلى التي توجد عندها الجذور الليفية فتمزق الاغماد الورقية السفلى وترتفع فوق وجه الارض

(٨) الارز الاتحادي او المفتخر : — هذا الصنف من الارز حديث سمي بذلك نسبة الى شركة الاتحادي العقاري التي اخرجتهُ الى حيز الوجود بواسطة الانتقاء الصناعي ويظهر انهُ كودن طبيعي او نبعة من الارز السبعيني سنبلتهُ مدلاة بها حرشفة غشائية عبسة اللون عند مخرج عذقها وخصلة من الوبر قليلة جدًّا عند مخرج فروعها والسنبلة كثيفة نوعًا طولها ٢٥ سنتمتراً والحبة منسبتة طويلة عريضة مبيضة غير شفافة اسمتها واضحة سطحها وسطح اسمتها عليهِ شعر ابيض كثيف وسفاتها غبشة قصيرة جدًّا (من مليمتر الى مليمترين) تتساقط طبيعيًّا ويبقى نتوء مكانها ويوجد احيانًا على سطح الحبة بقع صغيرة سمراء سوداء مبعثرة . والحبة بعد التبييض بيضاء متوسطة الحجم اشبه بحبة الياباني واسمن منها متوسطة اللمعان

وهذا الصنف اخذ ينتشر بين اصناف الارز المصرية في السوق وهو يحتاج الى ارض ارضًا اقوى معدنًا من ارض الياباني وورقهُ اطول واعرض من الياباني . يزرع صيفًا عادة ويمكث نحو ٣ اشهر ونصف الى ٤ اشهر في الارض

(٩) الارز السبعيني : — هذا الارز هو اردأ الاصناف المصرية قصبهُ قصير اقصر من الياباني . سنبلتهُ مقسمة مدلاة ، حبتهُ مغطاة غليظة مبيضة شفافة اقل حجمًا من حبة الياباني سافية او غير سافية بيضاء اللون مغبرة محمرة قليلاً بعد التبييض

يزرع كمحصول نيلي يشغل الارض مدة شهرين ونصف شهر الى ٣ اشهر يزرع على الاشهر

للمساعدة على الاصلاح في الاراضي المالحة نظراً لمقاومته للملح ولقصر مكثه في الارض واحتياجه الى الماء الكثير الذي يجلي الارض ويصلحها بالغسيل. وهذا الارز يستهلك بواسطة الفلاحين في غذائهم وغذاء دجاجهم وتصافيه في التبييض ٣ كيلات ونصف كيلة من كل ١٢ كيلة

(١٠) الفيومي المعتاد : — لهذا الارز سنبلة عليها وبر خفيف ابيض عند مخارج العذق وفروعه وسنابله منفرج بعضها عن بعض قليلاً معتدلة الطول (١٨ سنتمتراً) سافية والسفاة مسودة داكنة معوجة في الغالب ثلاث مرات تقريباً. يبلغ طولها نحو ٤٫٥ السنتمتر

والحبة بيضاء مخضرة عظمية شفافة منسبتة اهليلجية. وسطحها مع سطح اسنمتها الواضحة مغطى بوبر ابيض خفيف مبعثر قصير وطول الحبة ٥٫٥ الملمتر معتدلة العرض. وعرضها ٣٫٢٥ الملمتر. وهو يزرع بالفيوم لاسيما بمركز اطسا

(١١) الارز الفيومي الابيض : — وهذا الصنف من الارز قصبةُ طويل (١٢٠ سنتمتراً) خضرتهُ فاتحة وورقتهُ معتدلة الطول والعرض لها تسعة عروق مستقيمة متوازية واضحة على السطح العلوي منها وحافة الورقة منشارية شائكة وسطحها شائك اما السطح الاسفل فأملس ما عدا الحافة

والسنبلة فسيحة وقصيرة وللقنبعة سفاة بيضاء طويلة يبلغ طولها نحو ٧٥ مملتراً مستقيمة في حبوب النصف العلوي من السنبلة. ومنحنية احياناً انحناء قليلاً في قاعدتها بحبوب الجزء الاسفل من السنبلة وهي لا تتساقط طبيعياً والحبة مخضرة اسنمتها واضحة مغطى سطحها بوبر قصير ابيض مبعثر فوق الاسنمة وسنام الزورق واطولهُ عند قمة الحبة ولون القنبعتين الخارجيتين كلون الحبة بل افتح قليلاً

والحبة منسبتة طولها ٧ سنتمترات. عريضة عرضها ٣٫٥ الملمتر وهي بعد ازالة قشرتها مخضرة بيبض لونها اذا ما هرست كثيراً في عملية التبييض

واكثر ما يزرع هذا الصنف بجهات الفيوم حيث يسمونهُ بالسبعيني لمكثه في الارض نحو ٣ اشهر وهو يزرع نيلياً ويتغذى عليه الفلاحون على الاكثر هم ودجاجهم

(١٢) الارز الجنوي : — وهو اقرب الى الارز السابق غير ان سنبلتهُ طويلة طولها ٢٥ سنتمتراً خصلتها الوبرية التي عند مخارج فروعها غير واضحة كما في السابق والسفاة باهتة اللون طولها ٣ سنتمترات الى ٣٫٥ السنتمتر طويلة مقوسة مرتين او اكثر. والحبة منسبتة اهليلجية مقوسة من جانب اكثر من الآخر اسنمتها واضحة وسطحها وسطح اسنمتها مغطى بوبر قصير ابيض مبعثر والذي عند القمة طويل والحبة معتدلة (الطول

٦١ مليمتراً) عريضة في قسمها الاعلى معتدلة العرض ٣٦٢٥ المليمتر صفراء باهتة مائلة الى الخضرة قليلاً احياناً

(١٢) الارز الصيني : — وهو صنف من الارز يشبه الياباني الاقرع سنبلتهُ مدلاة لا مقوسة كسنبلة الياباني حبتهُ بيضاء والحبة بعد التبييض اكبر من حب الياباني اشد بياضاً من حبة الاتحاد قليلة اللمعان والنبات ورقهُ طويل عريض ينتج في الاراضي الضعيفة ويزرع قليلاً

العجمي : — سنبلتهُ مقوسة عديمة السفا والحبة سمراء داكنة باطرافها سواد مع احمرار والقنبعتان الخارجيتان لونهما اسمر مع الاحمرار . والحبة بعد التبييض بيضاء صغيرة اقل الجميع لمعاناً . وورقة النبات متوسطة الطول والعرض. وهذا الصنف مرغوب فيهِ عند الفارسيين الموجودين بمصر لخواص حبتهِ ورائحتها في الاكل

البخاري : — واغلبهُ بلا سفا ويوجد منهُ ما له سفا والحبة بيضاء متطاولة رفيعة تكون بعد التبييض بيضاء وحمراء ولهُ رائحة خاصة في الاكل ولهذا يطلبهُ العجم دون غيرهِ

اليمني : — قصبه قصير قنابعهُ غير صافية حبتهُ بيضاء ويمكث في الارض من ٣ اشهر الى اربعة اشهر ويلي عين البنت وغيره في مقدار المحصول ولكنهُ يفوق في ذلك السبعيني اما من حيث مقدار الصافي بعد التبييض فيفوق السبعيني ويتلو عين البنت وغيره وهو اجود من السبعيني واقل من الياباني وغيرهِ والاقبال عليهِ في السوق اكثر من السبعيني واقل من الفينو وعين البنت والياباني وحبتهُ بعد التبييض تكون بيضاء

الحدادي : — وهذا الصنف يظهر من نفسهِ غريباً بين الاصناف الاخرى في الحقول لهُ سفا اسود لامع وحبتهُ خضراء مشبعة بالسواد وتكون بعد التبييض بيضاء

ياباني نو باري : — صنف قليل الزراعة محدودها حبتهُ سمراء محمرة هي وسفاها القصير المتساقط وتكون الحبة بعد التبييض بيضاء يمكث في الارض اربعة اشهر ونصف شهر الى ٥ اشهر

الهندي : — صنف مستجلب من الهند حديثاً قليل الغلة اكثر زراعتهِ بناحية مصنة بمركز رشيد قليل الظهور في الاسواق سريع الانفراط والدراس ويمكث في الارض ٦ اشهر واحياناً ٧ اشهر وهو ذو سفا ابيض سهل الانفصال او عديم السفا حبتهُ بيضاء مصفرة وتكون بعد التبييض حمراء داكنة والحبة متطاولة منبعجة رفيعة

الارز المنزلاوي : — حديث الظهور كثير الشبه بالياباني يسير في التجارة باسم

الياباني عديم السفا سنبلتهُ اطول من الياباني وحبتهُ أكبر ونباتهُ اطول وهو اسرع انفراطاً يشغل الارض من اربعة اشهر الى ٤½ شهر

واجود اصناف الارز في الاكل هي عين البنت و يليهِ الفينو فالعجمي فالياباني فالانجادي فالهندي فالفيومي (وقد يختلطا معاً في الضرب) فالسبعيني فالبخاري الذي يستعملهُ الفرس كثيراً

حماية المزارعين

كانت الحكومة الاميركية قد عزمت على حماية زارعي القطن بابتياع جانب كبير من قطنهم لكنَّ الرئيس كولدج لم يوافق على ذلك لكي لا يؤدي ارتفاع سعر القطن الى التوسع في زراعتهِ في بلدان اخرى لكن كثيرين من أكبر الكتَّاب والباحثين في اميركا يخالفونهُ في ذلك و يشيرون بانشاء ادارة خاصة تعنى بامر الحاصلات التي تصدر من البلاد حتى يبقى منها ربح كافٍ لاصحابها كما فعلت الحكومة الانكليزية في الكاوتشوك لان الفلاح غير قادر على ذلك ونقابات الفلاحين مهما قويت لا تستطيع ان تتعرض للمسائل الدولية التي تتناول الحاصلات الكبيرة كالقطن والقمح . نعم ان ديوان الزراعة باذلٌ جهدهُ فيما يعود بالنفع على الفلاح ولكن لا يزال امامهُ باب واسع للنفع ولا بدَّ لهُ من ولوجهِ عاجلاً او آجلاً . هذا ما يقولهُ كبار المفكرين من الاميركيين . فان كان الفلاح الاميركي محتاجاً الى حماية حكومتهِ فالفلاح المصري لا يستطيع ان يعارض سبيل التجار والمضاربين الاَّ اذا حمتهُ حكومتهُ

موسم القطن المصري

لم نعلم حتى الآن مساحة الاطيان التي زرعت قطناً هذا الموسم لان تحديد الزراعة بثلث الزمام لا تعني ان الزمام كان نصفاً فصار ثلثاً لان جانباً من الاطيان كان يزرع ثلثهُ فقط او اربعين في المائة على الاكثر فاذا بلغ الزمام مليوناً ونصف مليون من الافدنة ومتوسط محصول الفدان اربعة قناطير بلغ الموسم المقبل ستة ملايين قنطار اي اقل من المقطوعية ولاسيما بعد ما قلَّ القطن الاميركي الطويل الشعرة بسبب الفيضان فيستنفد جانب كبير من مخلفات الموسم الحاضر واذا استمرَّ تقييد الزمام بالثلث سنتين اخريين انتعش القطن واسترد ما خسرهُ في العام الماضي . وتظهر فائدة تقييد الزمام من الفرق الكبير الآن بين

سعر المصري والاميركي ولولا هذا التقييد لكان الفرق بين السعرين طفيفاً جداً كما كان غالباً

موسم القطن الاميركي

لم يعلم حتى الآن عدد الافدنة التي زرعت قطناً في اميركا ولكن يظهر من ارتفاع الاسعار وتمسكها انهُ لا يحتمل ان يكون مقدارها كما كان في العام الماضي بل المرجح انهُ ينقص عنهُ من عشرة الى عشرين في المائة واذا كان فيضان المسسبي قد اتلف زراعة اربعة ملايين فدان فلا يكون الباقي مزروعاً اكثر من ٣٨ مليون فدان فلا يجنى منها اكثر من ١٣ مليون بالة تستغرقها المقطوعية السنوية وتستغرق ايضاً اكثر ما تخلف من الموسم السابق

مستقبل القطن في اميركا

حادث بعضهم الدكتور رسل سمث استاذ الجغرافيا الاقتصادية في جامعة كولمبيا وسألهُ عما يراهُ من مستقبل زراعة القطن في اميركا فاجابهُ راوياً الحادثة التالية

بلغني منذ سنوات قليلة وانا ابحث في زراعة الولايات الجنوبية ان اهالي مدينة انتربريز من ولاية الابام نصبوا تذكاراً لدودة اللوز[1] التي تتلف القطن الاميركي فكتبت الى عمدة هذه المدينة اسألهُ عن صحة هذا الخبر فاجابني بكتاب يقول فيهِ نعم اقمنا تذكاراً لهذه الدودة في ١١ دسمبر سنة ١٩١٩ وهو سبيل من البرنز نقشنا عليهِ ما يأتي

(اقام هذا التذكار لدودة لوز القطن سكان مدينة انتربريز اعترافاً صريحاً منهم بفضلها عليهم لانها كانت رائداً لنجاحهم)

« فان هذه الدودة اتلفت قطننا ونبهت اهل البلاد الى ما يجب عليهم منذ سنة ١٩١٥ فانصرفوا الى زراعات اخرى كالفول السوداني . وسنة ١٩١٨ اصدرنا ما ثمنهُ اربعة ملايين ونصف مليون ريال من هذا الفول وصرنا نصدر الخنازير والثيران انتهى »

وعندي ان هذه الدودة ستكون الفاصل بين الزراعة القديمة في الولايات الجنوبية والزراعة الجديدة التي تنفي البلاد عن زرع القطن

هذا ما نقلهُ المكاتب عن لسان الدكتور سمث وقد رأينا كتّاباً كثيرين من افاضل الاميركيين يقولون ويؤكدون ان زراعة القطن باسعارهِ الحالية اضرَّت بالذين يزرعونهُ ولولا فقرهم المدقع لابطلوا زرعهُ .

(١) الاسم الانكليزي معناه خنفسة ولكننا جارينا الذين ترجموه بكلمة دودة

باب التقريظ والانتقاد

دير طورسينا

اهدى الينا صاحب السعادة اللواء احمد شفيق باشا مدير مصلحة الحدود المصرية نسخة مطبوعة من المذكرات التي دونها في رحلة رحلها بالسيارات الى شبه جزيرة سينا في شهر يناير سنة ١٩٢٦ ولدى مطالعتها وجدناها حافلة بالحقائق الجغرافية والتاريخية التي يتشوّق القرّاء الى معرفتها فاقتطفنا منها بضع فقرات مما اوردهُ المؤلف في وصف دير طورسينا المشهور وتاريخهِ . قال

«كان في انتظارنا على باب الدير نحو ٢١ قسيساً وراهباً بملابسهم الكهنوتية فلما تقدمنا اليهم حييناهم فردوا تحيتنا باطلاق مدفع من داخل الدير ودقت اجراس الدير جميعها ترحيباً بنا وقابلنا حضرة الاب الرئيس بمزيد الاحتفاء والاكرام في غرفتهِ الخاصة وقدموا لنا الحلوى والمرطبات وبعدان تناولنا القهوة سار بنا الاب بوليكربوس وارشدنا الى الغرف التي خصصت لراحتنا ونومنا وقد اعطاني الغرفة المخصصة عادة لنيافة المطران عند زيارتهِ للدير وقد اوصى بها قبل قيامنا من مصر وسبق ان نام فيها اللورد اللنبي عند زيارتهِ للدير وكان قد اتى الى الدير ممتطياً جواداً و يرافقهُ حرس من الهجانة التابعة للحدود . وجميع هذه الغرف مفروشة برياش كامل ومستوفاة شروط الراحة

«ولما كنت اول مصري نال شرف تقلد وظيفة مدير عام لهذه المصلحة (اي مصلحة الحدود المصرية) فقد كنت ايضاً اول من اسعدهُ الحظ بقطع وديان وفيافي سينا والوصول الى ديرها التاريخي المظيم بالسيارات ولذا كانت دهشة الرهبان الذين قضوا ايام حياتهم في هذه العزلة عظيمة لما شاهدوا السيارات لاول مرة ولذلك طلبوا مني في اثناء اقامتنا في الدير ان اسمح لهم بركوبها قليلاً في الوادي فلبيت مطلبهم وسرّوا جدًّا بهذه النزهة الصغيرة

« بني هذا الدير في ايام الامبراطور البيزنطي يوستينيانوس معقلاً للرهبان ليقيهم شر غزوات عربان البادية وكذا عبيد البجة (ومن سلالتهم البشاريون سكان شرقي اسوان

و بلاد النوبة في ايامنا هذه) الذين كانوا يعبرون الى سينا للغزو من صحراء مصر الشرقية. وعلى باب الدير لوحة من الرخام نقش عليها في ستة اسطر اسم باني الدير وتاريخ بنائهِ بالعربية وهذا نص النقش العربي: «انشأ دير طورسينا وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجي عفو مولاهُ الملك المهذب الرومي المذهب يوستنيانوس تذكاراً لهُ ولزوجتهِ تاوضوره على مرور الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتم بناؤهُ بعد ثلاثين سنة من ملكهِ ونصب لهُ رئيساً اسمهُ ضولاس — جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧» . و يعتمد الرهبان في حسابهم الزمني على الاوقات العربية

«والمعلوم ان هذه اللوحة ولوحة اخرى باليونانية لم ارها كانتا قد وضعتا على باب الدير عند فتحهِ في الارجح في القرن الثاني عشر او الثالث عشر — ولما كان ملك يوستينيانوس قد دام من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ م و بما ان الدير كما ذكر على اللوحة تم بناؤهُ بعد ٣٠ سنة من ملكهِ فيكون ذلك في سنة ٥٥٧ م ولكن مؤرخي الدير يرجحون لاعتبارات شتى ان الدير تم بناؤهُ حوالي سنة ٥٤٥ م وهو للروم الارثوذكس كما تقدم ورهبانهُ تابعون لحكومة المحلية

«اما الكنيسة فلها باب خشبي اثري قديم لهُ اربعة مصاريع تفتح على نفسها وسقفها قائم على ستة عشر عاموداً من الجرانيت على الطراز البيزنطي وارض الكنيسة منقوشة بالرخام البورفير والجرانيت الذي يوجد منهُ في جبال الغردقة حيث منابع البترول الآن على شاطىء البحر الاحمر الغربي حيث كان يوجد محجر تقطع منهُ الاحجار وترسل الى روما قديماً. وفيها ثماني ثريات من الفضة الخالصة مهداة من الملوك الى الدير في كل منها ست عشرة شمعة ورأيت اربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر مركب عليها شمعات قديمة يقرأ عليها تاريخ سنة ١٧١٩ ونقش على الشمعدانات هذه العبارة بالانجية "Matthen Bleyll Nurnbery, 1719"

«فيستدل من التاريخين ان عمر الشمعدانات وشمعاتها مائتان وسبع سنوات. وتوجد هدية ثمينة الثريا منها مركب من فضة صغير الحجم بحجارتهِ ومقاذيفهِ مهدى من احد السياح الذي كان على وشك الغرق في البحر الاحمر ونذر للقديسة كترينا اذا نجا من ظلمات البحر ان يهدي اليها مركباً من فضة وهو هذا . والهدايا كثيرة منها ما هو صور دينية ومنها ما هو قناديل فضية مموهة بالذهب وغير ذلك مما يملأ حصرهُ المجلدات الضخمة

«و بعد انتهاء الصلاة طفنا بكنيسة الدير ودخلنا هيكلها وهو من ادق ما صنع وهو

محلى بالرخام المجزع المتناسق الشكل وفي جنبيهِ صور الانبياء والرسل قبل سيدنا موسى و بعدهُ عليهِ صلاة الله وسلامه وهم ايليا وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان و يعقوب الرسول ومار يوسف و يوشع وجميعها مصورة بالفسيفساء ببراعة عظيمة ورأينا بجانب الهيكل الى يسار الداخل من بابهِ الشمالي رخامة تدل على ان هناك قبر القديس افتيموس بطريرك اورشليم المتوفي في سنة ١٧٢٢ ثم انتقلنا الى المكان المقدس على اليمين ولعلهُ مكان العليقة المشتعلة التي ورد ذكرها في التوراة وفي القرآن الكريم ...

« ثم خرجنا من حرم الكنيسة لزيارة باقي ملحقات الدير وقيل ان عددها اكثر من مائة وخمسين ما بين مخزن وغرف سكني ومنافع مختلفة وزرنا ايضاً جميع غرف الرهبان وقد اتفق وجود احدهم في غرفتهِ عند دخولي اليها فقابلني ببشاشة وقدم لي سبحة عادية وجوزة (عين جمل) فقبلتهما منهُ شاكراً

«ومن الابنية التي داخل سور الدير طاحونان يشتغلان ليلاً ونهاراً لطحن القمح بواسطة البغال و بجوار الطواحين منخل عظيم ومحل لغسيل القمح وتنظيفهِ ... و يوجد فرنان كبيران للخبز يقال ان الواحد منهما يسع ثمانمائة رغيف من نوع الارغفة الكبيرة التي تخبز لطعام الرهبان حيث ان الخبز يصنع من نوعين نوع ارغفتهُ كبيرة من طحين منخول ونظيف يعطى للزوار والرهبان ونوع آخر ارغفتهُ صغيرة مستديرة تصنع من طحين غير منخول جيداً يوزع منهُ على الخدم وعلى الوافدين على الدير من البدو

«و يوزع عادة على العربان الذين يفدون على الدير خبز يوماً بعد يوم ما يعادل مقدار ثلاثة وثلاثين كيلة مصرية كل مرة وقد تصادف حصول توزيع ثاني يوم وصولنا فرأينا ان الرجل يعطى خمسة ارغفة ونصيب المرأة والولد والطفل حتى لو كان رضيعاً على صدر امهِ ثلاثة ارغفة لكل منهم—اما حطب الوقود فيأتي بهِ العرب من الوديان القريبة للدير حيث يوجد بكثرة واكثرهُ من نبات الشيح على انواعهِ. وقد عمل الدير ثاني يوم حضورنا وليمة للعرب اكراماً لقدومنا طبخ فيها العدس والارز

« وللدير معصرة من الحديد شبه مكبس لعصر الزيتون بعد هرسهِ على مهرسة تشبه طواحين الجبس المستعملة في مصر واما المعصرة فتدار بالايدي وهي تقرب شكلاً من معاصر سيوى المصنوعة من الخشب

وفي الدير نحو من ٢١ راهباً ولهم محلات خاصة للسكنى داخل السور في الجناح الشرقي وقبو للمائدة فيهِ مائدة كبيرة تكفي لاثنين وار بعين شخصاً ولكل واحد درج خاص

يضع فيه لوازمهُ ٠وتزين غرفة المائدة هذه صور ونقوش دينية على جوانبها . وللدير سور عظيم يبلغ متوسط ارتفاعهُ خمسة عشر متراً وسمكهُ نحو مترين وربع وهو على شكل مربع مستطيل يبلغ طولهُ نحو ثلاثمائة متر وعرضهُ مائتا متر وهو مبني من حجر الجرانيت المنحوت المستخرج من محجر قريب من الدير . ويعلو السور مزاغل ركب عليها ستة مدافع نحاسية صغيرة تدك من فوهتها وقطرها سنتيمترات ونصف وهي من اقدم طراز طولها نحو قدمان ويقال انها من عهد السلطان سليم العثماني الاول وكان قد قدمها للرهبان لحماية الدير. وقد اهدت اليهم السلطات العسكرية البريطانية في اواخر الحرب الكبرى اربعة مدافع كروب قطر فوهة الواحد منها ستة سنتيمترات وهي بحالة جيدة وقابلة للاستعمال ولم يوجد لها ذخيرة لديهم ولم تستعمل اما المدافع القديمة فتطلق الآن في ايام الاعياد والمواسم اعلاناً لها

«وقد كان للدير حرس عينهُ لهُ الامبراطور يوستينيانوس من الفلاخ سكان شواطئ البحر الاسود ويعرف سلالة هؤلاء الآن بعرب الجبالية نسبة لجبل موسى حيث يسكنون ومنهم خدم الدير واغلبهم يتكلمون اليونانية لكثرة اختلاطهم بالرهبان ولكنهم يدينون بالاسلام منذ عهد طويل . ومرفوع على الدير راية بيضاء مكتوب عليها حرفان A. K. وهما الحرفان الاولان من العبارة اليونانية « اجيا كاترينا » او القديسة كاترينا . ويوم وصولنا كان مرفوعاً علم الدولة المصرية »

وحبذا لو اتسع المقام لنقتطف من هذه المذكرات النفيسة اكثر مما تقدم. وهي مطبوعة طبعاً متقناً بالمطبعة الاميركية وثمن النسخة مائة مليم

الاعلام

وهو قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وضعهُ في اربعة اجزاء الشاعر والاديب المشهور خير الدين افندي الزركلي صاحب المطبعة العربية بمصر . وقد انجز الآن طبع الجزء الاول الذي بين يدينا وقدم لهُ مقدمة تدل باسلوبها وروحها على الغاية من الكتاب والخطة التي اختطها لهُ المؤلف قال :

«في الخزانة العربية فراغ ، وفي انفس قرائها حاجة ، وللعصر اقتضاء :

« يعوز الخزانة العربية كتابٌ يضمّ شتات ما فيها من كتب التراجم ،مخطوطها ومطبوعها ، قديمها وحديثها

«و يتطلب قراؤها كتاباً يعرّفهم بمن اجتازوا مرحلة الحياة وخلفوا اثراً يذكر لهم او خبراً يروى عنهم ، من اصول الامة العربية وفروعها

«و يقتضي العصر الذي نعيش فيهِ ان يكون لنا كتب يجتزئُ بها المعجل منا عن مطولات السير وضخام اسفارها

«وقد حاولت بهذا الكتاب ان املأَ جانباً صغيراً من ذلك الفراغ،واقضي بعض تلك الحاجة ، واقوم بشيء مما يقتضيهِ العصر ، وعساي ان اوفق

«كان من امانيّ النفس وضع كتاب يتناول بالذكر كل من عَرَض لهُ خبر ، او دُوّن لهُ اسم في تاريخ العرب والمستعربين ، من جاهليين واسلاميين ، متقدمين ومتأخرين ، غير اني رأيت في ذلك عبثاً لا ينهض بهِ الفرد ، وميداناً يُقصّر عن اقتحامهُ الجهد ، فاكتفيت باشهر الرجال والنساء ذكراً ، واثبتهم في صحيفة الاجيال عملاً . وتعمدت الايجاز ما استطعت . ولم أتعرض للاحياء من المعاصرين مخافة الوقوع في مالا احمد ، والانسان قد يتغير . واثبتُّ تراجم طائفة من المتأخرين قد أكون اهملت كثيراً من طبقتهم من المتقدمين ، ثقةً بأن كتب المؤرخين مفعمة بأخبار هؤلاء ، وحرصاً على استبقاء ما لم يُدوّن من سير اولئك

«وجعلت ميزان الاختيار ان يكون لصاحب الترجمة علم تشهد بهِ تصانيفه ، او خلافة او مُلك او إمارة ، او منصب رفيع — كوزارة او قضاء — كان لهُ فيهِ اثر يحمد ، او رياسة مذهب ، او فنٌّ يميز بهِ ، او اثر في العمران يذكر لهُ ، او شعر ، او مكانة يتردد بها اسمهُ ، او رواية كثيرة ،او ان يكون اصل نسب ، او مضرب مثل . وضابط ذلك كله: ان يكون ممن يتردد ذكرهم ويُسأل عنهم

«أما من اغدق عليهِ بعض مؤرخينا نعوت التمجيد وصفات الثناء إغداقاً ، كما صنع أصحاب «الريحانة »و « اليتيمة » و «السلافة» و « سلك الدرر » وعشراتٌ اشباههم ، من اطرائهم قائلَ بيتين واهيين من المنظوم بمالا يُطرى بهِ صاحب ديوان من الشعر ، ورصّهم صفات الامامة والعلم والهداية والتشريع لراوي حديث أو حديثين ، او لمتفقه لم تُسفر حياتهِ عن أكثر من حلقة وعظ تغصُّ المعابد بأمثالها كل يوم — فقد تعمدت إهمال ذكرهم اجتناباً للاطالة على غير ما جدوى ورغبة بالوقوف عند الحد الذي رسمتهُ لنفسي في وضع هذا الكتاب

« وجاء دور الجاهليين ، فراعني من بعض المعاصرين إقدامهم على تاريخ وفياتهم ،

جازمين مطلقين ، غير مترددين ولا مقيّدين ، في حين ان جاهلية العرب وما انطوت عليهِ من حضارة وبداوة ، ما برحت من اسرار التاريخ الغامضة ، لم يكشف حجابها تنقيب ، ولم يأتنا بنبأها عليم . وما استنتاج المعتمد على الانساب واخبار الاعراب إلاَّ ضرب من الحدس والتخمين . والتاريخ لا مجال للظنون فيهِ او يفسد ويختلط حابلهُ بنابله

ذلك ما اضطرني الى التنبيه حيناً بلفظ « نحو » والى اغفال التاريخ احياناً

«أما وقد مضيت في ما شرعت بهِ ، فما عليَّ لتكون الخدمة خالصة للعلم ، الاَّ ان التمس ممن حذقوا التاريخ ، ومازوا لبابهُ من قشورهِ ، وكان لهم من الغيرة عليهِ ما يحفزهم الى الاخذ بيدهِ ، ان يتناولوا الكتاب ، منعمين ، متفضلين ، بنقد خطإهِ وعدل عوجهِ ، و بيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه . وقديماً قال ابراهيم الصولي : المتصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل فيهِ من منشئه

وقد طبع الكتاب بالمطبعة العربية بشارع المزين بالموسكي مصر

علم الطبيعة

نشوءُهُ ورقيّهُ الحديث

تأليف مصطفى نظيف استاذ علم الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا

ان المباحث العلمية اذا اقترنت ببحث تاريخي يتناول نشوءها وتدرجها تصير اوقع في النفس واسهل في الحفظ وهذا ما جرى عليهِ المؤلف في هذا الكتاب النفيس الذي نلقبهُ بحق كتاب الشهر بعد ما رأيناهُ فيهِ من البسط والشمول والتدقيق،فاننا لم نرَ في العربية حتى الآن كتاباً يضارعهُ . واذا كان الطلبة في مدرسة المعلمين العليا يتناولون مباحث هذا الكتاب ويدركونها حق الادراك ولاسيما المباحث الكهربائية الحديثة فيكونون قد بلغوا درجة عالية في الاستعداد لفهم العلوم الطبيعية

وكنا نود لو كثرت الرسوم في هذا الكتاب لان النظر اليها يساعد فهم الشرح ولو أُلحق بفهرس آخر رتبت فيهِ موادهُ حسب حروف المعجم لتسهل مراجعتها وان يطبع في رأس كل صفحة موضوع الصفحة . وحبذا لو اتَّبع الكتَّاب كلهم في كتابة الكلمات العلمية صيغة واحدة سواء كانت مترجمة او معربة حتى يسهل على ابن الشام وابن العراق مثلاً ان يقرأ كتاباً انشئ في مصر كأنهُ انشئ في الشام او في العراق

والكتاب كبير فيهِ نحو ٤٤٠ صفحة كبيرة بحرف دقيق وثمنهُ ٣٥ غرشاً

نبوليون

تأليف هربرت فشر وزير معارف انكلترا سابقاً وترجمة محمد نوفل مدير التعليم في مجلس مديرية الغربية ومحمد مصطفى زياده مدرس بالمدرسة العباسية الثانوية

المحترم هربرت البرت لورنس فشر تولى وزارة المعارف لما كانت مجلساً سنة ١٩١٦ وهو من اشهر الباحثين في المواضيع التاريخية وله كتب اخرى كثيرة ومنها كتاب موضوعه دروس في السياسة النابوليونية

وقد احسن المترجمان في وصفهما الكتاب الذي ترجماه بقولهما انه «من الكتب التاريخية التي ألفت عن نبوليون بالطريقة العلمية الخالصة التي تحلل الوقائع السابقة وتبني عليها حقائق تلتها وتستنبط منها وقائع لحقتها . وهذا الكتاب مع صغر حجمهِ تقرأ في صحائفهِ تاريخ نبوليون فتى وشيخاً واذا هو بين الحالين رجل الدنيا وواحدها فتقف على آثارهِ الجلّى في تاريخ العالم » الى ان قالا ان الذي حملهما على ترجمة هذا الكتاب هو حرصهما على ان يكون بين ايدي قراء العربية كتاب يشرح جزءًا فذًّا من تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر.وانهما توخيا في الترجمة كل عناية ودقة لخرج كتابهما العربي مرآة صادقة للاصل الانكليزي وان اسلوب المؤلف الموجز حملهما على شرح كثير من النقط بالحواشي

الادب الجاهلي

وضع الدكتور طه حسين كتابهُ « في الشعر الجاهلي» وغرضهُ منهُ علمي محض ويحث فيهِ بحثاً علميًّا واقام الادلة على ان الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية موضوع كلهُ او اكثرهُ فقام عليهِ فريقان من المنتقدين الواحد قال ان ادلتهُ غير كافية لاثبات ما اراد اثباتهُ وان الادلة على ضد ما اراد اقوى من ادلتهِ . والثاني خطأَهُ لانهُ ذكر اموراً ماسة بالشعائر الدينية ورفعت المسألة الى القضاء المصري فايد حرية البحث العلمي ولكن صودرت نسخ الكتاب لان موّلفهُ ذكر فيهِ اموراً فُهمت على غير ما قصد، واعادطبعهُ بعد ان حذف منهُ ما حسبهُ ماساً بالعقائد الدينية وتوسَّع في ادلتهِ واضاف اليهِ فصولاً جديدة فبيَّن مثلاً ان لغة حمير غير عربية مضر وذكر امثلة منها تؤَيد قولهُ. ولذلك فالاشعار العربية المنسوبة الى التبابعة ورجالهم موضوعة لانها ليست بلغتهم. وعقد فصلاً لحرية البحث العلمي قال فيهِ « انا اريد ان ادرس تاريخ الآداب في حرية وشرف كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات لا اخشى في هذا الدرس اي سلطان . وانا اريد ان يكون

شأن اللغة والاداب شأن العلوم التي ظفرت بحريتها واستقلت بها من قبل والتي اعترفت لها كل السلطات بحقها في الحرية والاستقلال . انظن ان في مصر مثلاً سلطة تستطيع ان تعرض لكلية الطب اوكلية العلوم وما يدرَّس فيهما من مذاهب التطور والنشوء والارتقاء وما الى ذلك . كلاَّ لان هذه العلوم قد استقلت وحملت السلطات في العالم كلهِ على ان تعترف لها بالاستقلال »

والطبعة الجديدة من هذا الكتاب تقع في ٣٧٥ صفحة كبيرة كقطع المقتطف واننا نكرر الشكر لمؤلفهِ لانهُ فتح بهِ باباً جديداً للبحث الحر لانهُ بغير هذا النوع من البحث لا يكون عندنا علم بل نبقى مقلدين كما كان اكثر اسلافنا

سعادة المرأة

لا شك ان العناية بالبيت وترتيبهِ ونظافتهِ وراحة سكانهِ من امتن الدعائم التي تقوم عليها سعادة المرأة . ولكن للسعادة اركاناً اخرى غير معرفة طرق الطبخ والكنس والغسل والترتيب ولذلك كنا نفضل ان يطلق على هذا الكتاب اسم « تدبير المنزل » بدلاً من « سعادة المرأة » لانهُ ادلُّ على مضمونهِ

فالقسم الاول من هذا الكتاب يحتوي على حقائق كثيرة تتعلق بالطعام وهو ابواب منها باب في الطهي العربي وآخر في الحلوى الافرنجية وآخر في طهي الخضراوات على الطريقة العربية وآخر في انواع السلطة والمخلّل وغيرها . والقسم الثاني يتناول موضوع الغسيل والتنظيف والكي و يليهِ فصول تدور على الاقتصاد وتدوين حساب المنزل

فعسى ان تستفيد ربات البيوت مما يشتمل عليهِ هذا الكتاب من الحقائق العملية المفيدة

زراعة محاصيل الحقل المصرية

وضع هذا السفر النفيس عبد القادر افندي فؤاد المناسترلي استاذ الزراعة بمدرسة الزراعة العليا بمصر وقد توخى في وضعهِ غايتين الاولى فائدة الطالب الراغب في الشرح الوافي المنطقي لزراعة محاصيل الحقول المصرية وما يتبعها من المسائل والثاني فائدة الزراع المتطلعين الى الحصول على المعلومات الزراعية العملية والى الوقوف على بعض اصولها العلمية بعبارة بسيطة

والكتاب مسهب في ٧٢٦ صفحة من القطع الكبير وقد نشرنا منهُ في باب الزراعة فصلاً عن الارز واصنافهِ الزراعية في مصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) طريقة التلقيح في السمك

الخرطوم . زكي افندي بطرس . قرأت حديثاً عن سمكة تدعى « قراطية هولبولي » يبلغ طولها نحو متر تحمل الذكر تحت بطنها فيتعلق باهدابها الغروية اولاً ثم تتصل عروقهُ بعروق السمكة فيغتذي منها . وهي تحملهُ للقاح فقط فانهُ يبذر لقاحه في الماء وتلقي هذه السمكة بيضها ايضاً فيلتقي الاثنان ويتم اخصاب البيض .

فما هي طريقة تلقيح الانواع الاخرى من السمك

ج . اكثر السمك يبيض في مكان يقل تعرض فراخه فيهِ لاعدائها ويخرج اللقاح من الذكر هناك فيصيب البيوض ويلقحها . وقد رأينا على شاطئ بركة قارون في الفيوم حفراً كثيرة كل حفرة منها كالصاج المقلوب تحدثها السمكة بان تنبسط على الرمل وتدور على نفسها فيتولد هذا الانخفاض من دورانها ثم تبيض فيهِ والظاهر ان الذكر يمرُّ بهِ فيلقحهُ باللقاح الذي يفرز منهُ . ولبعض انواع السمك اساليب اخرى في التزاوج والتلقيح

(٢) كتاب في صناعة الزجاج

ومنه . ارجو ان تفيدوني عن اسم كتاب في العربية او الانكليزية يمكنني بعد درسهِ القيام بعمل الزجاج .

ج . لا نعرف كتاباً عربيًّا يعلّم عمل الزجاج. واحدث كتاب في الانكليزية كتاب H.T. Powell, Glass Making England 1923

ولكن قراءة الكتب الصناعية لا تكفي لتعلُّم الصناعة بل لا بدَّ من الممارسة الطويلة تحت يد صنّاع ماهرين

(٣) احصاء الناس حسب اديانهم

القدس . يوسف افندي حميده . كم عدد البشر الآن وكم عدد المسلمين منهم وعدد المسيحيين وعدد اليهود .

ج . ان نحو ثلثي البشر يحصون الآن

من وقت الى آخر والثلث الباقي يقدر تقديراً ومجموع البشر بالاحصاء والتقدير كان سنة ١٩٢٠ هكذا

في اوربا	٣٥١ ٠٠٠ ٠٠٠
في اسيا	٩٥٦ ٠٠٠ ٠٠٠
في افريقية	١٣٢ ٠٠٠ ٠٠٠
اميركا الشمالية	١٤٤ ٠٠٠ ٠٠٠
« الجنوبية	٠٦٧ ٠٠٠ ٠٠٠
اوقيانيكا	٠٦٩ ٠٠٠ ٠٠٠
والمجموع	١٨١٩٠٠٠ ٠٠٠

والباحثون في هذا الموضوع مختلفون في تقدير عدد المسلمين بين ٢٢٠ مليوناً واكثر من ٣٥٠ مليوناً وعدد المسيحيين الآن نحو ٦٥٠ مليوناً وعدد اليهود نحو ١٤ مليوناً

(٤) موطن الانسان الاول

ومنهُ . في اي مكان ظهر الانسان في بدء امرهِ

ج. يرجح العلماء الآن انهُ ظهر او نشأ في السهول الى الشمال من جبال حملايا حيث الارض صحراء الآن ووجدت هناك اقدم آثار من آثار الانسان كما ذكرنا غير مرة

(٥) الدم في الحيوانات

ومنهُ . هل يوجد دم ابيض وهل الديدان الصغيرة فيها دم

ج . الاجسام الحية تحتاج الى الغذاء ودقائقها تتناولهُ حيث تجدهُ فاذا كانت الاحياء كبيرة كالانسان والشجرة لم تجد دقائقها سبيلاً لتناول الغذاء مباشرة فوجد فيها سائل يحمل الغذاء و يوزعهُ في الجسم فتغتذي دقائقهُ منهُ وهذا السائل هو الدم في الحيوان والعصارة في النبات. ودم الحيوان موءلف من الماء ومواد اخرى اشهرها الكريات الحمراء والكريات البيضاء . والكريات الحمراء موجودة في كل الحيوانات العليا و بعض الحيوانات الدنيا و بها يصير لون الدم احمر ولكنها غير موجودة في كل الحيوانات الدنيا ولا هي متماثلة في كل الحيوانات جرماً وعدداً . ففي المليمتر المكعب من دم الانسان من ٤ ملايين الى خمسة منها ومن دم الغنم من ١٣ مليوناً الى ١٤ ومن دم المعزى من ٩ ملايين الى عشرة ومن دم الطير من مليون الى اربعة ومن دم السمك من ٢٥٠ الفاً الى مليونين ومن دم الضفدع ٥٠٠ الف ويختلف قطرها من ٠٠٠٧٥ مليمتر في دم الانسان الى ٠٠٠٤١ مليمتر في دم المعزى . وواضح انهُ اذا كانت الكريات الحمراء قليلة جداً ظهر الدم ابيض

(٦) اللطف والعنف في التعليم

ناصرية المنتفك . ا . م ما الوسيلة لكي توءثر سياسة اللين واللطف في تعليم التلاميذ الذين شبوا على تعود سياسة الشدة والعنف

ج . ان الرجال الذين يستحقون ان يكونوا اساتذة يعرفون كيف يدربون تلامذتهم و يتملكون افئدتهم من غير عنف ومن غير تطرُّف في اللطف

(٧) الصفات اللازمة للنجاح

ومنهُ . لماذا لا يفلح المخلص الابي النفس عزيزها الذي يحاسب نفسهُ امام ربهِ لتتميم واجباتهِ بينما ينجح الملاق المداهن والماكر في خدمتهِ

ج . ان للفلاح والنجاح اللذين تشيرون اليهما انواعاً ودرجات مختلفة ولكل نوع ولكل درجة وسائل مخصوصة فاذا كان الاسم الطيب والذكر الحسن هو النجاح المطلوب فقد نالهما سقراط ولم يكن ملاَّقاً ولا ماكراً ولا مداهناً واذا كان النجاح المطلوب هو الارتقاء في مناصب الحكومة في بلاد سيئة الاحكام كما كانت تركيا في عهد عبد الحميد فهذه الوسائل الزم ما يلزم للنجاح

(٨) حجم القمر في الافق وفي سمت الرأس

ناصرية المنتفك . السيد علي الموائلي

ما السبب في كون القمر يرى كبير الحجم قليل النور عند ما يكون بدراً حال ظهورهِ من الافق الشرقي ثم يتغير بعد أن يرتفع في قبة السماء

ج . افرضوا ان سمك طبقة الهواء المحيطة بالارض خمسين ميلاً فاذا كان القمر في كبد السماء (او كما يقول الفلكيون في سمت الراس) فالنور الواصل منهُ الينا يقطع خمسين ميلاً فقط من الهواء ولكن النور الواصل منهُ الينا عند اول طلوعهِ اي وهو قرب الافق يقطع الوفاً من الاميال من طبقة الهواء فتمص جانباً كبيراً منهُ . و يرى القمر كبيراً عند الافق لاننا اعتدنا ان نتخيل ما نراهُ على الارض كبيراً اكبر مما نراهُ حقيقة فاذا رأينا رجلاً على الارض بعيداً عنا مائة متر لم نرهُ صغيراً مع ان صورتهُ في دماغنا تكون صغيرة جداً واذا رأيناهُ في رأس مأذنة علوها مائة متر فاننا نراهُ صغيراً كالطفل . رأينا مرةً رجلاً في رأس برج لا يزيد ارتفاعهُ على اربعين متراً ولم نتبيَّنهُ جيداً فظنناهُ هرَّةً لاننا لم نعتد رؤية اجسام بعيدة عنا علوّاً ونحن نعرف مقدارها حتى نصلح خطأنا ونعتاد تصورها كبيرة

(٩) سبب المد والجزر

ومنهُ . هل مجرد اختلاف الجذب بين الشمس والقمر يسبب المد والجزر ولو فرض تساوي الجذب الا يحدث المد والجزر كالعادة في تلك الجهة

ج . ان المد والجزر لا يحدثان من اختلاف الجذب بين الشمس والقمر كما يفهم من عبارتكم بل من اختلاف جذب كلٍّ منهما للارض حسب كون المجذوب هو الجانب القريب او البعيد فالقمر يجذب الارض

او الماء الذي عليها في الجهة المقابلة لهُ اكثر مما يجذبهما في الجهة الاخرى البعيدة ومثل ذلك يقال عن جذب الشمس للارض. والمد والجزر يقعان سواءٌ كان جذب القمر مساويًا لجذب الشمس او غير مساوٍ لهُ

(١٠) الخداع البصري وسببه

ومنهُ. اين المغالطة وكيف تكون في الخداع البصري بان يُرَى المستقيمان المتساويان في الطول مختلفين بالنظر عندما يكون احدهما افقيًّا والآخر شاقوليًّا (عموديًّا)

ج. لذلك اكثر من سبب واحد فاذا وقفت على خمسة امتار من مأذنة علوها خمسون مترًا وصوّرتها تصويرًا شمسيًّا وفي الوقت نفسهِ صوّرت طريقًا طولهُ ٥٠ مترًا فان المأذنة تظهر في الصورة اطول جدًّا من الطريق ولذلك يرى الجسم القائم اطول من الافقي ولو كانا متساويين

(١١) اللبن الطازة او المعقم

زنجبار. احد المشتركين. اللبن المعقم واللبن الطازه ايهما انفع للغذاء واصح للجسم

ج. اذا كان اللبن الطازه خاليًا من المكروبات الضارة فهو انفع للجسم لان التعقيم يزيل او يقلل فيتامين اللبن

(١٢) اقراباذين عربي

حلب م. م أيوجد مؤلف بالعربية او مترجم مطابق للآراء المصرية على نسق مفردات ابن البيطار

ج. ان كل كتب الاقراباذين تشبه مفردات ابن البيطار وتفوقها تحقيقًا ومن ذلك كتاب الاقراباذين الذي وضعهُ الدكتور بوست بالعربية لما كان يدرّس هذا الفن في الجامعة الاميركية ببيروت وهو مطبوع في بيروت وكتاب المادة الطبية والاقراباذين تأليف ڤيتاليس مظلوم الاجزاجي وهو مطبوع في مصر

(١٣) الاعلانات في المقتطف

ومنهُ. هل كل ما تنشرهُ مجلتكم من الاعلانات مصدق لديكم

ج. اننا لا ننشر اعلانًا اذا ثبت لدينا انهُ غير صحيح او انهُ ضار واما اذا لم يكن كاذبًا ولا ضارًّا بل كان منهُ نفع فلا يمكننا ان نعين مقدار النفع لانهُ يختلف باختلاف مستعمليهِ ولذلك لا يحق لنا ان نحكم هل بالغ اصحابهُ في نفعهِ او اعتدلوا او اقتصدوا. والغالب ان صاحب البضاعة يبالغ في نفعها اما لغاية تجارية او لانهُ يعتقد ذلك

(١٤) الاستعداد للاشتغال بالصحافة

الكورة. الخواجه انطون صقر. ما هي العلوم التي يجب على الصحافي ان يتعلمها حتى يقدر ان ينشئ جريدة او مجلة ويقال ان في اوربا مدرسة للصحافة لا يقدر احد ان

ينشئ جريدة او مجلة الاّ اذا كان في يدهِ اجازة منها فهل هذا صحيح

ج . مواضيع الجرائد والمجلات مختلفة وكلٌ منها يقتضي معارف عمومية ومعارف خصوصية فالمجلات الطبية لا يستطيع انشاءها الاّ الاطباء والمجلات الزراعية لا يستطيع انشاءها الاّ الذي تعلموا العلوم الزراعية ومارسوها . وما يقال عن المجلات يقال عن الجرائد ولزوم الاستعداد لها والمواظبة على نشرها حسب مواضيعها . وقد قرأنا عن مدرسة للصحافة ولكننا لا نعلم انهُ لا يجوز لاحد ان ينشئ جريدة الاّ اذا كان في يدهِ شهادة منها

(١٥) كتاب في زراعة سورية

ومنهُ . هل يوجد كتاب زراعي يبحث عن اراضي سورية وكيفية زرعها وخدمتها بالتفصيل

ج . نعم فللمرحوم بشاره افندي نحول اللبناني كتاب قديم طبع سنة ١٨٨٤ ولكنهُ حسن . وللامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق كتاب جديد غاية في البسط والفائدة

(١٦) لغة التعليم في مدرسة زراعية

ومنهُ . اذا انشئت مدرسة زراعية في سورية فهل يفضَّل التعليم فيها بالعربية او بلغة اوربية

ج . نفضل ان يكون التعليم فيها بالعربية مع تعليم التلاميذ لغة اجنبية كالفرنسوية او الانكليزية او الالمانية حتى يتقنوها ويراجعوا المطولات فيها . وان يقرن العلم بالعمل اي يجب ان تكون المدرسة في مكان متوسط تجود فيهِ الحبوب والجنائن ويكون لها حقل واسع يطبق فيهِ العلم على العمل

(١٧) نفع السماد وضرره

ومنهُ . اذا وضع السماد على اصل شجرة الزيتون فهل من ذلك نفع او ضرر

ج . ان ذلك يتوقف على نوع السماد ومقدارهِ . واصلح انواع السماد الزبل المختمر جيداً او السماد الكيماوي النتروجيني

(١٨) الوقاية من السرطان

العراق . احد المشتركين . قرأنا في احدى المجلات ان الجمعية الدولية للسرطان وضعت ارشادات الى طرق الوقاية منهُ ومثلها لمعرفة اعراضهِ الاولية . وقد نشرت تلك المجلة الاعراض الاولية فقط ولم تنشر طرق الوقاية منهُ فهل لكم ان تتكرموا بنشر هذه الطرق للوقاية منهُ

ج . لم نطلع على ما نشرتهُ هذه الجمعية ولعلَّ المجلة التي تشيرون اليها تجيب طلبكم اذا سألتموها

(١٩) الاعتناء بالصحة والوقاية من السرطان

ومنهُ . هل للاعتناء بالصحة تأثير في مقاومة هذا المرض بحيث لا يصاب بهِ من يعتني بصحتهِ ولو اصيب والداهُ بهِ

ج . لا نظن . وكل ما يعلم من اسباب السرطان حتى الآن ان التهيج المتوالي في جزء من الجسم قد يولد فيهِ سرطاناً ومن هذا القبيل سرطان الشفة من توالي وضع السيكاره او البيب في الفم وسرطان الخاصرة في سكان جبال حملايا الذي يحملون على خاصرتهم كانوناً صغيراً فيهِ جمر للدفء والسرطان الذي يصيب منظفي المداخن . ويقال الآن ان المساكن الرطبة التي تكثر الصراصير فيها يتعرض سكانها لهذا الداء لان الصراصير تصاب بنوع من الدود يصل منها الى الطعام ومن الطعام الى الذين يأ كلونهُ فيقف في بقعة من الجسم و يهيجها فتنمو خلاياها نموًّا زائداً فتشذّ عن قوانين النمو العادية وهذا هو السرطان . والذي ننشرهُ في المقتطف عن السرطان من وقت الى آخر هو ما عرف عن السرطان إلى حين نشرهِ

(٢٠) قياس سرعة الكهارب

صافيتا . غانم ياسين . باية طريقة تمكن العلماء من قياس سرعة اشعاع الكهارب والراديوم

ج . اذا رميت بحجر غرضاً على الارض يبعد عنك عشرين متراً فان الحجر يسير بخط مقوس الى ان يصل الى الغرض لان الخط الذي يسير فيهِ يكون نتيجة قوتين الواحدة دفع يدك لهُ والثانية جذب الارض لهُ . واذا كان بُعد الغرض عنك مائة متر اضطررت ان ترميهُ بقوة اشد من القوة التي رميتهُ بها اولاً والاَّ لم يصل الى مائة متر . فالنقطة التي يقع فيها هذا الحجر تتوقف على السرعة التي يسير فيها وعلى القوة التي تجذبهُ الى الارض

وقد وجدوا ان الالكترون الذي يخرج من مادة مشعة في انبوب مفرغ يصل الى نقطة في ذلك الانبوب فاذا سلطوا عليهِ قوة مغنطيسية او كهربائية وهو سائر انحرف قليلاً واصاب نقطة اخرى . ومقدار انحرافهِ هذا يتوقف على سرعتهِ وعلى القوة التي حرفتهُ . والانحراف يمكن قياسهُ بالضبط وكذا القوة التي تحرفهُ فيعلم منهما مقدار سرعتهِ في الثانية من الزمان

(٢١) اتجاه ذنب المذنب

البصرة . حسن احمد السمان . لماذا ذنب المذنب يتجه عكس الشمس

ج . المرجح ان نواة المذنب مؤلفة من اجسام نيزكية صغيرة تسير معاً في دورانها حول الشمس فاذا دنت منها اشتدّ حموها بحرارة الشمس وخرجت منها غازات تدفعها اشعة الشمس بما فيها من قوة الدفع فتظهر وراء النواة مثل ذنب لها وتنير بنور الشمس الواقع عليها . راجع كتابنا بسائط علم الفلك ص ٦٨ — ٧٤

(٢٢) ارقى مدارس الكيمياء

ومنهُ . ما هي ارقى مدرسة لدرس الكيمياء

ج . لا نعرف مدرسة اختصت بتدريس الكيمياء دون غيرها من العلوم بل في كل جامعات العالم الكبيرة اقسام لتدريس الكيمياء كما فيها اقسام لتدريس الطبيعيات او الفلك . وقد تشتهر جامعة من الجامعات بتدريس الكيمياء لنبوغ احد اساتذتها في أحد فروعها فاذا لم يخلفهُ في علمهِ استاذ في مكانتهِ العلمية ونبغ استاذ آخر في مدرسة اخرى انتقلت الشهرة من هذه الى تلك . ولا يخفى ان اكثر الجامعات الكبيرة تعنى الآن باختيار ابرع الاساتذة واحدث الادوات وحينئذٍ يكون النجاح رهن استعداد الطالب للدرس والبحث وسهر الليالي في تحصيل العلوم وتجربة التجارب

(٢٣) الكتب الكيماوية في العربية والانكليزية

ومنهُ . ما هي افيد الكتب الكيماوية في اللغتين العربية والانكليزية وهل وضعت كتب عربية تبحث في الكيمياء العضوية

ج . الكتب الكيماوية في اللغة الانكليزية لا تحصى لكثرتها وهي بين مسهب وموجز او عام يتناول اكثر فروع الكيمياء بايجاز وخاص يتناول فرعاً صغيراً منها ببسط واسهاب . فاذا أردتم كتاباً يشمل فرعي الكيمياء الكبيرين غير العضوي والعضوي فنحن نعتمد على كتاب
Bloxam's Chemistry Inorganic and Organic

اما الكتب الكيماوية العربية فمن اشهرها كتاب الدكتور ڤانديك ولكن يجب ان يطبع طبعة جديدة ويضاف اليهِ ما استحدث في الكيمياء منذ طبعتهِ الاولى وقد الف بعض اساتذة الكيمياء في مدارس الحكومة المصرية كتباً مختلفة في الكيمياء اكثرها عام موجز ليدرس فيهِ الطلبة وهي تطلب من المكاتب الكبيرة بمصر

(٢٤) المجلات الطبية العربية

منشستر م . نصر . ارجو ان تخبروني باسماء المجلات الطبية العربية وعناوينها وقيمة اشتراك كلٍّ منها

ج . المجلات الطبية العربية التي ترد على ادارة المقتطف هي ١ — المجلة الطبية المصرية تصدرها الجمعية الطبية المصرية وعنوان ادارتها شارع زين العابدين بالسيدة زينب بمصر وقيمة اشتراكها ٦٠ غرشاً في مصر و٨٠ غرشاً في الخارج ٢ — المجلة الطبية العلمية تصدر في بيروت لمنشئها الدكتور فؤاد غصن وقيمة اشتراكها في بيروت نحو ٨٠ غرشاً صاغاً وفي الخارج جنيه مصري ٣ — مجلة صحة العائلة تصدر في مصر لصاحبها ومنشئها الدكتور امين دمر وعنوان ادارتها شارع زنانيري رقم ٤ شبرا مصر وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً في الخارج

باب الاخبار العلمية

مقتطف يوليو

اتجهت انظار الامم في الشهرين الماضيين الى شؤُون الطيران على اختلافها. فافتتحنا هذا الجزءَ من المقتطف بمقالة عنوانها «غُلب النسر على دولتهِ» وهي تدور على الطيران البعيد المدى وتقدمهِ وأثرهِ في العمران. وفي المقالة صورتان احداهما خريطة لاجتياز الجانب الشمالي من الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة والبلون من سنة ١٩١٩ الى الآن والثانية صورة المستر تشمبرلين الطيَّار الاميركي الذي طار من نيويورك الى المانيا دفعة واحدة

ويلي ذلك وصف موجز لطريقة جديدة استنبطها بعض المهندسين الاميركيين للرؤية عن بعدٍ (التلفيزيون)

ثم قصيدة عنوانها «الحداد» للسيد ميرزا عباس الخليلي صاحب جريدة «اقدام» بطهران

وبعدهُ حلقة اخرى من سلسلة المقالات التي ننشرها في النهضة الشرقية الحديثة: «اظهر مظاهرها وابقى آثارها». والرأي في هذا الجزء للاستاذ عباس محمود العقاد وللاستاذ حنا خباز

ويليها مقالة لديمتري افندي قندلفت عضو المجمع العلمي العربي بدمشق عنوانها «التجديد في اساليب التعليم» ضمنها خلاصة رأي الاستاذ ديوي الفيلسوف الاميركي الشهير في هذا الموضوع

ثم نبأ تاريخي غريب في بابهِ كبير الشأن في مدلولهِ اذا صحَّ وهو ان الفينيقيين وصلوا الى البرازيل منذ ثلاثة آلاف سنة كما يستدلُّ من آثارٍ لهم كشفها الاستاذ شفنهاغن الالماني في شمال البرازيل. وقد بنى توفيق افندي قربان كاتب هذه المقالة على هذا النبأ رأيًا خلاصتهُ ان «اتلنتيدا» القارة التي قيل انها كانت في وسط المحيط الاتلنتيكي وغارت فيهِ بمن عليها هي هي البرازيل واستدلَّ على ذلك بتطبيق اقوال لدانتي على المكتشفات الاثرية الحديثة

وبعدهُ مقالة للدكتور يوسف حريز عن برتيلو الكيماوي الفرنسوي على ذكر الاحتفال بمرور مائة سنة على ولادتهِ وتأسيس رواق الكيمياء الدولي على مقربة من الاوبرا بباريس

ويليها مقالة للدكتور سعيد ابو جمره

صاحب جريدة الافكار بالبرازيل موضوعها « اثر المهاجرين السوريين (الى اميركا) في النهضة الشرقية الحديثة »

ثم كلام على الكسوف الكلي المقبل الذي يشاهد كليًّا في انكلترا والبلدان السكندناوية وجزئيًّا عندنا ووصف احد الكسوفين الكليين اللذين حدثا في مصر في عهد المقتطف

ثم صفحة من سير التاريخ الحديث في جزيرة العرب لامين افندي سعيد لخص فيها الاحوال قبيل الحرب وفي اثنائها وبعدها وما حدث فيها من التقسيم الجغرافي والسياسي

وبعدها كلام على الاستعداد الحربي في الممالك الكبيرة

ويلي ذلك قصة ادبية عنوانها «الامومة» من قلم الاديب البليغ ادوار افندي فارس واضع قصة جلنار التي نشرناها في مقتطف ابريل الماضي

ثم صفحة في وصف الآثار التي كشفت حديثًا شمالي الاقصر ويعود تاريخها الى عهد الدولة الثانية عشرة وفيها صور لهذه الآثار منها صورة الاله منتو وهو اله الحرب عند المصريين يقابل المريخ « مارس » اله الحرب عند الرومان

وبعدها فصل عن الخليفة المأمون مقتطف من الرسالة الممتعة التي وضعها الباحث المحقق الدكتور احمد فريد رفاعي المفتش بوزارة الداخلية وتقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية . والكلام في ما اقتطفنا يدور على دهاء المأمون السياسي وتقريبهِ لرجال الدولة

ثم تتمة الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ محمد كرد علي في دار المعلمين العليا وذكر فيها امهات الكتب العربية التي نشرت في بلدان الغرب ومن من المستشرقين نشرها وعلق حواشيها

ويليها كلام على صموئيل كرومتن مستنبط آلة غزل القطن على ذكر الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاتهِ . وقد نشرنا صورتهُ وصورة آلتـهِ الاولى وصورتي هونني واركريت اللذين كان لهما اليد الطولى قبلهُ في ترقية آلات حلج القطن وغزلهِ

وفي باب المراسلة مقالة موجهة الى ناقدي الكتب الحديثة ليعنوا بالتمييز بين المبتكر منها والمنقول وان لا يجعلوا الكتابة عن كتاب جديد ميدانًا لتقريظ لا يفيد القارئ في معرفة الكتاب وقد ينقلب فيضر بسمعة المقرّظ . وفي باب تدبير المنزل قصة صحية تجمع طائفة من الفوائد الصحية والقواعد الطبية في قالب روائي . وفي باب الزراعة فصل ممتع عن اصناف الارز الزراعية بمصر وسائر الابواب حافلة بمقتطفات من المطبوعات العربية الجديدة واجوبة عن مسائل القراء واحدث الانباء العلمية والعمرانية

اوجه القمر في يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٧	٢	٥٢	صباحاً
البدر	١٤	٩	٢٢	مساء
الربع الاخير	٢١	٤	٤٣	«
الهلال	٢٨	٧	٣٦	«
الاوج	٧	١	٥٤	«
الحضيض	١٩	٢	٢٤	«

السيارات في يوليو

عطارد يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخرهِ

الزهرة والمريخ يكونان كوكبي مساء

المشتري يشرق نحو الساعة ١١ مساء

زحل يغرب نحو الساعة ٢ صباحاً

مذهب النشوء والتشريع في اميركا

يتذكر قراء المقتطف حادثة الاستاذ سكوبس وما ذهبنا اليهِ وهو ان الحكم عليهِ سيحمل الناس على النظر في مذهب النشوء وتأييدهِ. وقد حدث ما توقعناهُ فعرضت لائحة قانون لمنع تعليم مذهب النشوء في المدارس فرفضتها لجان مجالس كليفورنيا ودلوار ومينسوتا ونيوهمشير ونورث كرولينا ونورث داكوتا قبلما وصلت الى المجالس نفسها. وعرضت على مجلس ولاية مسوري وهي حصن مقاومي مذهب النشوء فايدها ٦٢ من الاعضاء ورفضها ٨٣. وكان نصيبها مثل ذلك في مجلس وست فرجينيا ومجلس اوكلاهاما. واعتصب كثيرون لها في ولاية اركنساس فاجتازت مجلس النواب باكثرية قليلة جدًّا ثم رفضها مجلس الشيوخ باكثرية كبيرة جدًّا. وأُجّل النظر فيها في مجلس الاباما وفي مجلس سوث كارولينا. ومجلس ولاية فلوريدا يتأخر اجتماعهُ والمناظرة هناك شديدة في امر اللائحة والمرجح ان المجلس يرفضها. وولاية تنسي التي قانونها يمنع تعليم مذهب النشوء الآراء مختلفة هناك في تفسير هذا القانون. وولاية مسيسبي وهي الولاية الثانية التي قانونها يمنع تعليم هذا المذهب لم ترفع فيها قضية من هذا القبيل حتى الآن ليعلم كيف تفسر هذا القانون

الانسان بين طرفين

قال ارسطوطاليس ان « الانسان مدني بالطبع » وقال شوبنهور « ان المجتمع الانساني اشبه شيء بقنافذ انضمت بعضها الى بعض لاجل الدفء » الطرفان متطرفان والانسان بين بين ولكنهُ عبد لعقائدهِ فان كانت تحملهُ على استعمال عقلهِ ومغالبة الطبيعة والبحث عن نواميسها واستعمالها لنيل النفع ودرء الضرر جارى ارقى الشعوب المتمدنة

وحق علينا ان نقول انهُ مدني بالطبع. وان كانت تقضي عليهِ ان يبقى خاضعاً للاوهام والخرافات او لاحكام قديمة لم يكن اصلح منها في زمانها لكنها امست الآن وَهناً على الخاضعين لها بقي حيث كان اسلافهُ بل صار احطّ منهم اذا قوبل بالذين حولهُ وجرى عليهِ وصف شو بنهور. واذا صحّ ذلك فيخطئ من يدَّعي ان العقائد فوق متناوَل البحث العلمي والامة التي تدعي هذه الدعوى قلما يرجى لها فلاح

تقدم بنك مصر

ليس بين الاعمال العمومية التي عملت في القطر المصري في الاربعين سنة الاخيرة عدا اعمال الحكومة عملٌ اكبر فائدةً من انشاء «بنك مصر» لا لان حاجة البلاد كانت ماسَّة اليهِ فان فيها من البنوك ما يفي بحاجتها بل لان الذين انشأوهُ وادارُوهُ عرفوا كيف يؤسسونهُ و يوظدونهُ وينمونهُ وحسبنا دليلاً على ذلك ما يأتي:

كانت الودائع فيهِ والامانات تحت الطلب ٢٠٠٩٦٠ ج في سنة ١٩٢٠ فصارت تتدرج في الزيادة الى ان بلغت ٢٩٨٤٢٤١ ج في آخر سنة ١٩٢٦ وكانت الودائع والامانات لأَجَلٍ ٧٠٥٦ ج في سنة ١٩٢١ فبلغت ١٤٣٣٠٢٣ ج في سنة ١٩٢٦ وكان عدد الحسابات الجارية المفتوحة ٤٩٢ ج في سنة ١٩٢٠ فبلغ ٢٣٦٨٠ ج في سنة ١٩٢٦

اما الدار الفخمة التي بنيت لهُ فقد اتينا على وصفها في المقطم وسنعود اليهِ في المقتطف و نزيد الكلام ايضاحاً. ومع ذلك فليست العبرة بالدار بل بالعقول التي تدير ما فيها كما يظهر من الارقام المذكورة آنفاً

تعميم الرؤية عن بعد

وصفنا في مقتطف مارس المبدأ الذي بنيت عليهِ طريقة المستر بايرد الانكليزي للرؤية عن بعد. وقد اطلعنا الآن في السينتفك اميركان على ان المستر بايرد قد جاز دور التجربة والامتحان الى دور العمل وقد اخذ يبني محطة يذيع منها صوراً متحركة فيلتقطها مَن عندهُ آلة مستقبلة للرؤية عن بعدٍ وكان على مقربة من المحطة المرسلة

وقد اتجهَ اهتمامهُ مؤخراً الى بناء محطات مستقبلة في دبلن عاصمة ارلندا الجنوبية و بلفاست في شمال ارلندا وليفربول ومنشستر ليمتحن بها آلتهُ على مسافة بعيدة بعد ما نجح بالرؤية فيها على مسافة ١٦٣ ميلاً بين الجهاز المرسل والجهاز المستقبل

و بعد كتابة ما تقدم جاءتنا مجلة ناتشر وفيها انهُ جرَّب آلتهُ بين لندن وغلاسكو باسكتلندا فنجحت نجاحاً باهراً والمسافة بينهما نحو ٣٥٠ ميلاً

الطيران من نيو يورك الى المانيا

في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة من صباح يوم السبت في ٤ يونيو غادر المستر تشمبرلين الطيار الاميركي ميدان روزفلت بنيو يورك على متن طيارة من صنع بلانكا تدعى «كولومبيا» ووجهتهُ برلين وصحبهُ في هذه الرحلة رجل اميركي من الاغنياء يدعى المستر تشارلس لڤين تكفل بكل نفقاتها وبعد ما طارا ٤٣ ساعة قطعا في خلالها ٣٩٠٥ اميال اضطرا ان ينزلا الى الارض في ايزلابن على ٢٠٠ ميل من برلين لنفاد البنزين من خزان الطيارة. فاخذا قليلاً من البنزين واستأنفا الطيران الى برلين ولكن اضطرا ثانية الى النزول في كلنج على سبعين ميلاً الى الجنوب الغربي من برلين حيث كسر رفاص الطيارة ولم يصلا الى برلين الا يوم الثلاثاء في ٧ يونيو فاستقبلهما جمهور يقدر بار بعين الف نسمة

ارتقاء البلدان وجوائز نوبل

في السينتفك اميركان ان الدكتور سلسن مدير ديوان العلم باميركا يقول ان جوائز نوبل التي اعطيت منذ سنة ١٩٠٠ وهي ٧٢ جائزة في الطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا والطب تدل على ارتقاء البلدان التي اعطيت لابنائها ودرجة هذا الارتقاء وهي ٢١ للالمان و ١١ للبريطانيين و ١٠ للفرنسويين و ٦ للهولنديين و ٤ للاميركيين و ٤ للاسوجيين و ٣ للدنماركيين و ٣ للسويسريين ولكل من النمسا وايطاليا وكندا وروسيا جائزتان ولكلٍّ من بلجكا واسبانيا جائزة واحدة. ولكن اذا قوبل ذلك بعدد السكان ظهر ان هولندا وسويسرا والدانمارك في اعلى السلّم واميركا وروسيا في اسفلهِ. ولكننا اذا نظرنا الى العلم المنتج والعلم العقيم وجدنا القياس السابق غير صحيح

٥١ ساعة في الجو

في المقالة التي صدّرنا بها هذا الجزء من المقتطف صورة للطيار الاميركي كلارنس تشمبرلين الذي طار من نيو يورك الى المانيا دفعة واحدة فبقي في الجوّ ٤٢ ساعة، اجتاز في اثنائها نحو اربعة آلاف ميل. وكان قد سبق لهُ ان حلّق في الجوّ بطيارتهِ مع رفيق لهُ يدعى اكوستا فبقيا محلقين ٥١ ساعة و ١١ دقيقة و ٢٥ ثانية. وكانت طيارتهما ساعة تحليقهما تحمل ثلاثة آلاف وثمانين رطلاً وكانت الساعة التاسعة والدقيقة ٣٠ من صباح يوم ثلاثاء فبقيا محلقين الثلاثاء وليلهُ والاربعاء وليلهُ الى ظهر الخميس فحطّا على الارض الساعة ١٢ والدقيقة ٤١ والثانية الخامسة من بعد ظهر الخميس. وكان المسيو بلانكا صانع الطيارة قد

وضع فيها ٣٨٥ جالوناً من البنزين وقدّر ان هذا المقدار يكفيها ٥٣ ساعة فلم يحد كثيراً عن الصواب في تقديرهِ

الراديو في الاماكن النائية

جاء الراديو هبة الهية لسكان الاماكن النائية كجزائر فرسان في البحر الاحمر فانها تبعد عن عدن ٤٠٠ ميل وعن بورت سودان نحو ٤٠٠ ميل ايضاً وفيها جماعة يبحثون عن البترول وضعوا آلة راديو من آلات مركوني فصار يسهل عليهم ان يخاطبوا الموانئ البحرية والسفن المارة في البحر ويطلبوا ما يحتاجون اليهِ

اللاسلكي في المكسيك

في مدينة مكسيكو عاصمة بلاد المكسيك سبع محطات لاسلكية تذيع خطباً باللغتين الانكليزية والاسبانية وقطعاً موسيقية . ويقال ان هواة اللاسلكي في الولايات المتحدة وكندا التقطوا بعض ما يذاع منها

البيم القصير

البيم beam كلمة انكليزية معناها اللمعان او الوميض اطلقت اصطلاحاً على اشعة اللاسلكي القصيرة . وقد ثبت الآن انهُ يمكن نقل الكلام بما كشف حديثاً من البيم القصير بسرعة فائقة . ففي العام الماضي اقتضى نقل اسم الفائز في سباق دربي الى ملبرن باستراليا دقيقة كاملة واما هذه السنة فنقل اسم الفائز في ثلاث ثوانٍ فقط . وفي ١٤ ثانية كانت نتيجة السباق قد وصلت الى كل الجرائد الكبيرة في استراليا

البريد الجوي الاميركي

اجّرت الحكومة الاميركية خطوط البريد الجوي التي كانت قد انشأتها بين نيويورك وشيكاغو وبين نيويورك وسان فرنسسكو وبين شيكاغو وسان فرنسسكو فتقدمت شركات كثيرة لاستئجارها طالبة اجوراً ادهشت العارفين بانخفاضها وفازت الشركة التي عرضت ان تتقاضى ٢٤ غرشاً صاغاً عن كل ما وزنهُ رطل من البريد بين نيويورك وشيكاغو والمسافة بينهما ٧٧١ ميلاً اي اقل من غرشين صاغ على الرسالة الاعتيادية

الورق من الحور

الحور شجر يكثر في سورية ويرى في حديقة الجيزة . وقد ظهر الآن انهُ خشبهُ اصلح من غيرهِ لعمل الورق الذي يصنع من رب الشجر . والحور سريع النمو فاذا امكن زرع غابات واسعة منهُ في سورية حيث تكثر القوة المائية فقد يمكن ان يصنع هناك ورق جيد رخيص الثمن

العطور الصناعية

بلغ وزن العطور الصناعية التي صنعت في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٥ من قطران الفحم الحجري ٢١٤٨٩٠٤ ارطال ثمنها نحو ٣٠٠ الف جنيه

استفراد الفيتامين

في انباء المانيا ان الاستاذ وندوس احد الكيماويين بجامعة غوتنجن نجح في استفراد الفيتامين الذي في زيت كبد الحوت فجاء عملهُ هذا مكملاً لمباحث الدكتور هس الاميركي والدكتورين وبستر وروزنهايم الانكليزيين والاستاذ پول العالم الطبيعي الالماني

رأي لودج في خلق الحياة

القى السر أُلفر لودج خطبة في الجمعية السيكولوجية باكسفرد قال فيها انهُ لا يستبعد ان يبلغ تركيب المواد العضوية الصناعي درجة من الدقة والاتقان يستطاع عندها صنع البروتوپلازم وهو المادة الحية في خلايا الاجسام النباتية والحيوانية . و يتلو صنعَ البروتوپلازم ظهور مظاهر الحياة فيهِ. اذ لا شك في ان الاحياء ظهرت على الارض في زمن ماضٍ ، لما كانت الارض كتلة مصهورة او غازاً مضيئاً . وما حدث قبلاً قد يحدث ثانية حتى لقد يصبح توليد المادة الحية والتحكم فيها في مقدور الانسان

المواصلات اللاسلكية

تقول شركة مركوني ان محطات اللاسلكي القصيرة الامواج من الطراز المعروف بطراز « بيم » (اي الاشعة القصيرة المتجهة في جهة واحدة) والتي بنتها الشركة لحساب وزارة البوستة البريطانية للاتصال بها مع جنوب افريقية جازت امتحان الوزارة بنجاح بعد ما دام سبعة ايام . وقد صارت هذه المحطات مستعدة لارسال التلغرافات اللاسلكية بين لندن ومدينة الكاب رأساً

وينتظر ان تكمل في شهر يوليو المجموعة الرابعة من هذه المحطات فيشرع في ارسال التلغرافات بها بين انكلترا والهند

اذاعة الاوبرا باللاسلكي

طلبت الشركة التي تدير دار الاوبرا ببونس ايرس عاصمة الارجنتين الى شركة كهربائية اميركية ان تبني لها في دار الاوبرا محطة لاسلكية لاذاعة كل الروايات الغنائية التي تمثل فيها

آلات اللاسلكي في العالم

قدّر عدد آلات اللاسلكي المستقبلة التي في كل انحاء العالم باثني عشر مليون آلة

نحو نصفها في الولايات المتحدة الاميركية . وقدِّر عدد المحطات المرسلة بتسع مائة محطة خمسمائة منها في الولايات المتحدة

شيوع الشاي في تونس

أثبت الدكتور دلنوزلي في تقرير رفعهُ الى اكادمية الطب بباريس ان سكان تونس لم يستهلكوا الاّ شيئًا قليلاً من الشاي قبل الحرب الكبرى وزادت مقطوعيتهم منهُ في سنة ١٩١٧ الى ١٠٠ الف كيلو غرام ثم اطردت الزيادة سنة بعد سنة حتى بلغت في السنة الماضية مليون ومائة الف كيلو غرام . وقد لاحظ هذا الطبيب ان لشيوع شرب الشاي هذا الشيوع الكبير اثراً ضارًّا في الصحة العامة من اكبر مظاهرهِ ضعف الاعصاب وامراض العينين وقلة المواليد

روائح الفراش

بحث الدكتور استن كلارك احد علماء المعهد السمثصوني الاميركي بحثًا مستفيضًا في الروائح التي تصدر من انواع الفراش المختلفة فوجد ان لبعض انواع الفراش في سيلان روائح تختلف بين رائحة حلوى الشوكولاته وعطر الياسمين ووجد انواعًا اخرى في اميركا الجنوبية رائحتها كرائحة ازهار الفاصوليا الحلوة او ازهار القرنفل ويقال ان في اسام فراشًا تصدر منهُ رائحة كالمسك

والظاهر ان هذه العطور لازمة للفراش لزوم النور للناس لان عيون الفراش ضعيفة لا تستطيع ان تميز بها المرئيات فتميزها بروائحها. فقد ثبت ان بعض الحشرات تهتدي الى اناثها وهي على اميال منها بروائحها ومثلها ملكات النحل فانها تميز النحل الخاص بقفيرها ، وملكات النمل تستطيع ان تميز ابنائها واحفادها بمجرد شمها

واعضاء الشم في الفراش ثقوب تغطي اجسامها ويتصل بكل ثقب منها عصب و بذلك بلغت حاسة الشم فيها هذه الدرجة من القوة

عدد النجوم وحجم المجرة

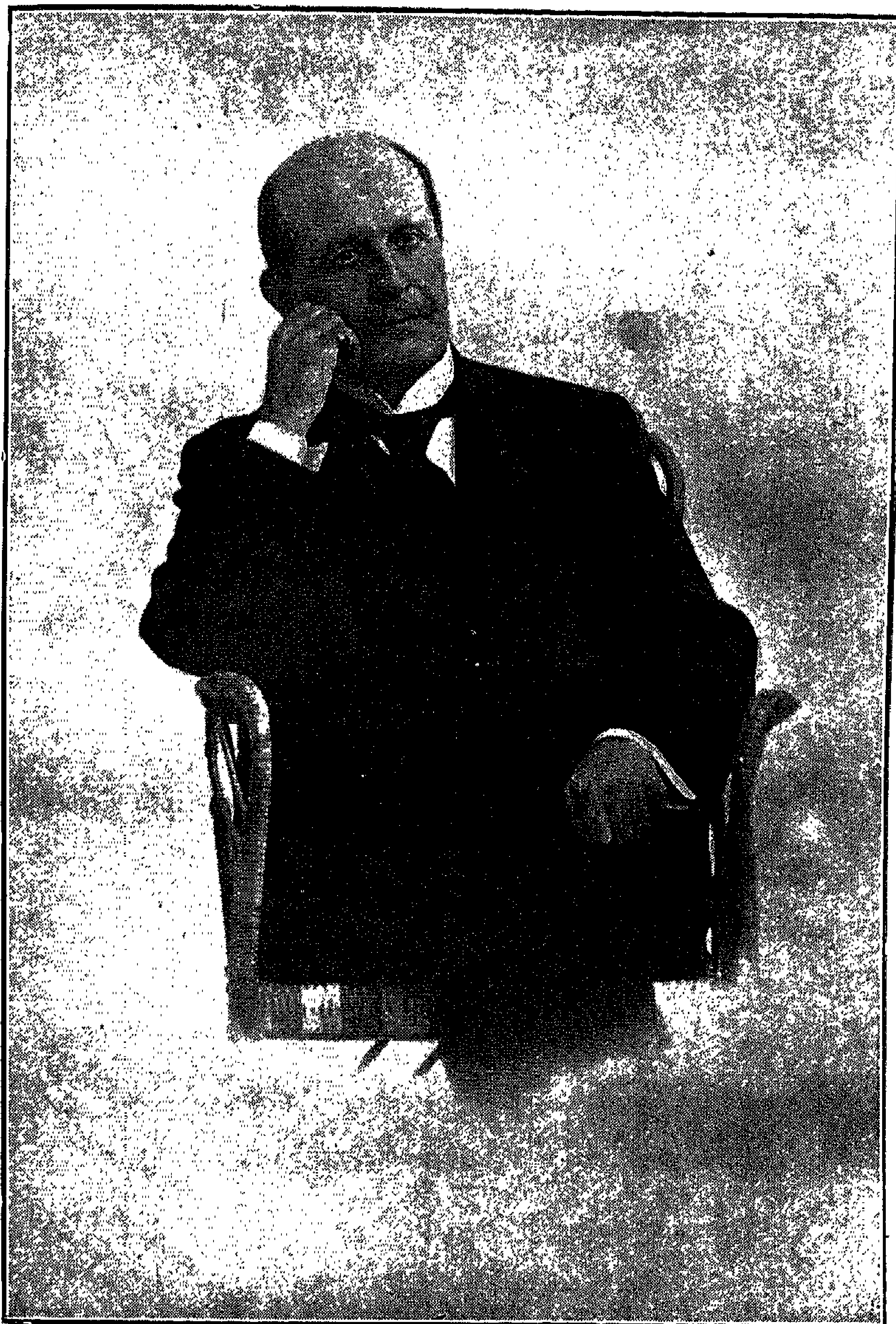
في النشرة العلمية التي يصدرها المجمع العلمي السمثصوني باميركا مقالة للدكتور أبُت قدّر فيها عدد النجوم في المجرة بثلاثين الف مليون نجم . وقدّر قطر المجرّة الاطول بمائة الف سنة نورية وقطرها الاقصر بعشرين الف سنة نورية

كلفة كبيرة

ظهرت كلفة كبيرة على وجه الشمس اجتازتهُ بين اول يونيو و١٥ منهُ وقد قدّرت مساحة هذه الكلفة وما يتبعها من الكلف الصغيرة بالفي مليون ميل مربع

الجزء الاول من المجلد الحادي والسبعين

صفحة



المرحوم الدكتور يعقوب صروف
قبيل وفاته

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي والسبعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٣ صفر سنة ١٣٤٦

الدكتور يعقوب صروف

مرضهُ الاخير ووفاتهُ

دخلنا على المرحوم الدكتور صرُّوف في مكتبهِ صباح السبت في ٢ يوليو الماضي وجلسنا نتحدث اليهِ في شؤُون المقتطف وهو ينظر فيها بفكر نافذ ورأْي صائب و يقول افعلوا كذا او افعلوا كذا. ثم وقف قليلاً وتنهد وقال « اننا غير مخلدين ولا بدَّ لكم من ان تتعهدوا العمل بعنايتكم وتسيروا على الخطة التي رسمناها من حيث المبادئ والاركان. انتم شبان تجري في عروقكم دماء الفتوة فجدّدوا وانهضوا وسيروا الى الامام. نحن ذاهبون ان لم يكن اليوم فغداً او بعد غدٍ. بالامس كنت اطالع في مكتبي فشعرت بضيق في النفس واحسست ان روحي تكاد تزهق من بين جنبي ولكنني والحمد لله احسن هذا الصباح »

كان هذا آخر كلام فاه بهِ على مسمعنا في مكتبهِ، فكأَنهُ كان ينعى نفسهُ قبل وفاتهِ باسبوع كامل، فتجلى لهُ العمل العظيم الذي ما فتئَ ينفق الليالي والايام في تعهدهِ والعناية بهِ، واتجهت افكارهُ الى ما يكون مصيرهُ من بعدهِ فكانت كلماتهُ الاخيرة في مكتبهِ تدور حول القيام على السير بهِ في المستقبل الى الغايات الرفيعة التي كان يتوخاها لهُ من دقة في البحث ونزاهة في القياس والحكم وفائدة عامة للجمهور

وفي اليوم التالي في ٣ يوليو، غادر العاصمة ذاهباً الى الفيوم، فقام من محطة العاصمة في قطار الساعة السادسة صباحاً ووصل الى الفيوم في نحو الساعة العاشرة، وكان الحرّ شديداً يزهق النفوس، وكانت الرطوبة على درجة عالية تثقل الصدور، على انهُ لم يبال

باحوال الجوّ ، بل كان ينظر اليها نظرهُ الى كل انواع المصاعب ، حوائل يجب ان نتصدى لها وان نتخطاها بما فينا من قوة وعزم ، واننا بتصدينا لها وبتخطيها نزداد قوة وعزماً ، فلم يشفق على العلم الناضج والخلق الكريم ولم يرحم خمساً وسبعين سنة كان يحملها في جلال ووقار منتصب القامة ثابت الخطى باسم الثغر لامع العينين ، فجال في اطيانهِ جولة يحجم عنها الشاب وعاد الى دارهِ فيها وهو على غير حالهِ الاولى من الصحة والقوة والنشاط

وفي صباح الثلاثاء جاءتنا منهُ برقية يقول فيها انهُ قادم وانهُ يصل الى محطة العاصمة في الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، فارسلنا اليهِ سيارتهُ لتستقبلهُ فيها ، ولكنهُ كان في هذه الاوبة على خلاف عادتهِ، معتمداً على ذراع وكيل زراعتهِ لان الحمى كانت تثقل خطاهُ والاصابة في احدى الرئتين تضيق نفسهُ وهو الذي كان يرفض ان يعتمد على احد في قضاء عمل يستطيع ان يقضيهُ بنفسهِ ،فوصل الى البيت ولزم السرير

عدناهُ في المساء ، فاذا هو رغم الحمى وضيق التنفس، يرفض ان يعينهُ احد في القيام بشؤونهِ الخاصة ، وودعناهُ في تلك الليلة ونحن متفائلون بانهُ سينام نوماً هنيئاً ويصحو في الصباح وقد تقدم تقدماً محسوساً نحو الصحة والنشاط ولا يلبث ان يعود الى عملهِ بما عهد فيهِ من الهمة التي تخجل الشبان . ولكن اصابتهُ بذات الرئة في السنة الماضية تركت قلبهُ ضعيفاً بعض الضعف ، وجاء انتقالهُ من الفيوم الى القاهرة في جوّ حارّ مشبع بالرطوبة وفي قطار دائم الارتجاج والاهتزاز وهو محموم مريض ضغثاً على ابالة . فازداد عمل القلب زيادة حملتهُ فوق ما يستطيع وتأثرت الكليتان فرفضتا ان تقوما بعملها ،وتجمعت السموم الناجمة عن الحمى في الدم ولا سبيل لها الاَّ الانفراز عن طريق الكليتين، فحاول نطس الاطباء ان يعينوا هذه الاعضاء الرئيسية حتى تقوم بوظائفها قياماً طبيعياً فضاعت حيلهم واسلم الروح قبيل منتصف الليل في ٩ يوليو الماضي . فذهب مبكيًا بعلمهِ وفضلهِ ، وانهد بوفاتهِ ركن من الاركان المتينة التي قامت عليها النهضة الفكرية الحديثة في الشرق العربي

***

بقي الى الساعة الاخيرة صافي الذهن،حاضر البديهة،آناً يناقش الاطباء والممرضات وآناً يرفض ما يصفونهُ لهُ من وسائل العلاج لانها لا توافق رأيهُ في شؤون الصحة وقواعد الطب ووسائل العلاج ، ثم يذعن خاضعاً متململاً ، لان للاطباء في ساعات

المرض سلطة يجب ان يذعن لها، ولان لاهلهِ حقوقاً عليهِ يجب ان يرعاها، بل لان للانسانية عليهِ حقوقاً اكبر من حقوق اهلهِ واعم، وهو الرجل الذي وهب نفسهُ للانسانية منذ انتظم في سلك التعليم في مدرسة صيداء الاميركية من سبعة وخمسين عاماً

وكنا في الليلة السابقة لوفاتهِ نبحث عن مجلة اعطيناهُ اياها قبيل سفرهِ الى الفيوم ليطالع فيها مقالاً طريفاً يدور على «القوى المخزونة في الجواهر الفردة» فلم نعثر عليها، فتقدمنا الى قرينتهِ الفاضلة بالسؤال «ترى هل اخذ هذه المجلة معهُ الى الفيوم ليطالع فيها في اثناء السفر وساعات الفراغ من العمل فنسيها هناك» فقالت كلاّ انهُ لم يأخذها معهُ، ولم تلبث ان دخلت عليهِ في غرفتهِ، والممرضة ترعاهُ بعنايتها، وجميع اعضائهِ الرئيسية في حالة تعب شديد، وسألتهُ عن المجلة فكأنَّ سؤالها اياهُ عن امر يتعلق بالمقتطف حرّك كل قواهُ الحيوية ونبَّه فيهِ الهمة والعزيمة فدلها على مكانها بالتدقيق وقال لها «في المجلة مقالة شرعت في كتابتها للمقتطف وكتبت منها نحو صفحتين ونصف صفحة، دعي «فؤاد» (وهو كاتب هذه السطور) يكملها و ينشرها في الجزء القادم من المقتطف».

كان ذلك قبل وفاتهِ باربع وعشرين ساعة

هل رأيتم جهاداً اكمل من هذا الجهاد! وعناية بالعمل اتمّ من هذه العناية! اننا لو جرّدنا عملهُ في انشاء المقتطف وتحريرهِ مدة واحد وخمسين عاماً وثلاثة اشهر من كل قيمة ذاتية، ومن كل اثر في خلق النهضة الفكرية وتسييرها، لكفاهُ مجداً وعظمة انهُ ثبت في العمل، ثبات الجبال من حين وضع يدهُ على المحراث سنة ١٨٧٦ الى بضع ساعات قبيل وفاتهِ. فلنتعظ نحن ابناء الحياة!

***

لقد جفّ القلم السيّال الذي نقب وحقق وحبر سبعين مجلداً ضخماً، تمتد مباحثها من ادنى الاحياء التي تعجز اقوى المكرسكوبات عن رؤيتها الى السدم التي لا تجتازها اشعة النور الاّ في مئات الالوف من سني النور وتناول فيها مشاكل الحياة والموت وما بعد الموت بنظر نافذ وعقل راجح وحكم حذور

لقد سكنت اليد التي حملت مشعال النهضة الفكرية في الشرق العربي مدى سبعة وخمسين عاماً

لقد خفت الصوت الحنون، الذي كان يرشد بغير تأنيب و ينتقد بغير تحامل

ويبسط ويفصل بغير ادعاء ويصل الى غايتهِ من تهذيب وتثقيف واصلاح بتودة ولطف وظاًّ نينة

لقد خمد ذلك القلب الفياض بانبل العواطف واشرف السجايا

لقد هدأت الدورة الحيوية في ذلك الدماغ الجوّال الذي كان كالمنارة ، يجلو بانوارهِ الباهرة دياجي المشكلات العقلية

***

كان عميد المقتطف فذًّا بين افذاذ الامم لانهُ جمع الى مزايا العقل المتفوق سجايا الروح النبيلة والخلق الكريم. فاذا نحن تفجعنا لفقدهِ فانما نتفجع لفقد رجل كانت حياتهُ صفحة ذهبية من صفحات التاريخ كل سطرٍ من سطورها بل كل حرف من حروفها يتلألأُ علمًا وفضلاً ونبلاً

واذا كان عظام الرجال يقسمون الى رجال لهم قيمة ذاتية تظهر في كتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغير بتغيّر الازمنة والامكنة سواء عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ كسقراط وافلاطون وده كارت و باستور ، والى رجال قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم مثل نبوليون ووشنطون ومحمد علي ، فلفقيد المقتطف فخر الجمع بين مزايا الفريقين . ان كتاباتهِ وتعاليمهُ خالدة في بطون مجلدات سبعين ، والفائدة التي جناها الشرق العربي من هذه الكتابات والتعاليم لا ينكر قيمتها منكر لان المقتطف كان ولا يزال في طليعة النهضة الفكرية التي نخوض غمراتها الآن

سبعون مجلداً من المقتطف حافلة بالمباحث الطريفة زاخرة بالحقائق الجديدة فيّاضة بالعظات البليغة والمعاني الخالدة ، تنبض كل صفحة من صفحاتها التي تربي على خمسين الفًا بدقة في البحث والاستقصاء وقوة في القياس والاستنتاج وعناية وبساطة في التحليل والايراد ، ونبل في القصد وبلاغة في البيان وصراحة في الحق وصلابة على الباطل وثبات في اعلاء لواء العلم والفضيلة ورسوخ في مكافحة الجهل والرذيلة — كل ذلك في هدوء العالِم ودعة الفيلسوف واندفاع المؤمن — هي بعض ما ابقاهُ الدكتور يعقوب صرّوف ، عميد المقتطف بالامس وفقيدهُ اليوم ، لوارثيهِ في العمل ولقارئيهِ في انحاء الارض

وما اودى امرؤٌ اودى وابقى لوارثهِ مكارم لا تبيدُ

فؤاد صرّوف

كيف انشئ المقتطف

بقلم احد منشئيهِ المرحوم الدكتور يعقوب صروف

لما ابتدأت سنة ١٨٧٦ كنَّا في المدرسة الكلية السورية احدنا يدرّس الفلسفة الطبيعية والرياضيات والآخر يدرّس علم الهيئة واللغة اللاتينية . وكنا نقضي ساعات الفراغ في مطالعة الكتب والمجلات والمذاكرة في مباحث العلماء الحديثة والخطابة في الاندية العلمية والادبية . وكنا نأسف لان لغتنا العربية خالية من جريدة تُبسط فيها العلوم والفنون بسطاً يقرّبها من افهام القرّاء وتُنشر فيها خلاصة المكتشفات الجديدة والتحقيقات المفيدة شهراً بعد شهر حتى يبقى ابناء المشرق عامّة وتلامذتنا خاصّة جارين مع العلم في سيرهِ الحثيث . وكان اصدقاؤنا الذين يعرفون وسائطنا يحثّوننا على القيام بهذا العمل الخطير لحسن اعتقادهم بنا ولشدّة الحاجة اليهِ

وذات يوم كنا جالسين في غرفة احدنا بجانب البهو الكبير الذي هو الآن مكتبة الجامعة وكان حينئذٍ منتداها ومحل العبادة فيها فنظرنا في هذا الامر وقرّ رأينا على انشاء جريدة تفي بالغرض المطلوب ورسمنا خطتها من تلك الساعة وطلبنا العون والارشاد من العزة الالهية . ثم قصدنا المرصد الفلكي حيث استاذنا الدكتور فان ديك واخبرناهُ بما عزمنا عليهِ وسألناهُ ان يختار لنا اسمًا لهُ . فابرقت اسرّتهُ وجعل يشدّد عزائمنا ويسهل علينا الصعاب وقال سمياهُ «المقتطف» واجعلاهُ كاسمهِ وحسبكما ذلك . ثم كتب الى صاحب السعادة خليل افندي الخوري وكان مديراً للمطبوعات في ولاية سورية يطلب منهُ ان يسعى لنا في استصدار جلب الرخصة السلطانية باسرع ما يمكن . ففعل ولم يمضِ شهران حتى اتتنا الرخصة فذهبنا وبشرنا استاذنا بها فقال سيرا في عملكما والله معكما وانا سأشرع من هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف . فكتب فصول «اطباء اليونان والشرق» ونشرنا اوّل فصل منها في الجزء الثاني الذي صدر في غرّة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ . واباح لنا كل ما عندهُ من الكتب والجرائد والآلات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير حساب

واستشرنا ايضاً رئيس المدرسة الكلية وسائر اساتذتها فيما نحن عازمون عليهِ فشدّدوا عزائمنا واباحوا لنا كل ما في المدرسة من كتب وآلات ومستحضرات علمية . ونشرنا حينئذٍ اعلانًا وزعناهُ في بيروت وغيرها من المدن السورية وهذه صورتهُ

« لا يخفى ان الجرائد العلمية والصناعية من افضل الوسائل لنشر العلم والصناعة وتسهيل تناولها للخاصة والعامة. ولما كانت خدمة الوطن فرضاً واجباً وكنا بحيث يسهل علينا الاعتضاد باهل العلم والفضل والوقوف على كتب كثيرة متعددة اللغات يُعتَمَد عليها في العلم والصناعة واختصارات متنوّعة من فلسفية وكيماوية وفلكية ومتيورولوجية وجيولوجية وفيزيولوجية وغيرها وبناء على طلب كثيرين ممن يعرفون وسائطنا ويهمهم تقدُّم الوطن عزمنا بعد الاتكال عليهِ تعالى وبهمة اولياء الامور العظام على نشر جريدة علمية وصناعية سميناها المقتطف صفحاتها اربع وعشرون صفحة بقطع هذا الاعلان وحروفهِ تصدر مرَّةً في الشهر وهي لا تتعرَّض لشيءٍ من المسائل الدينية ولا السياسية على الاطلاق بل تقتصر على المباحث العلمية كالطبيعيات والعقليات وما اشبه. والصناعية كالحراثة والصباغة والتصوير وما اشبه. والتاريخية كتاريخ العلماء والصنَّاع والاكتشافات والاختراعات . وانَّا سنبذل جهدنا في جعلها بسيطة العبارة سهلة المأخذ عميمة الفائدة احكامها موضحة بالاشكال والصوَر على ما هو جارٍ في الجرائد الافرنجية بحيث يستفيد منها اهل العلم والصناعة وترتاح الخواطر الى مطالعة ما فيها من اخبار العلم واهلهِ . وسنعتمد فيها على اقتطاف ما ناسب احوال بلادنا من افضل الكتب والجرائد ان شاء الله »

ثم اصدرنا الجزء الاول من المقتطف في غرة مايو (ايار) سنة ١٨٧٦ وصدَّرناهُ بمقدمة مسهبة قلنا في اولها ما نصهُ :

« لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسرُّهُ العمل الذي باشرناهُ خدمةً للوطن واجابةً لطلب كثيرين من محبي التقدُّم ونشر الفوائد . ولم نستشِر فيهِ احداً من ذوي الرأي الصائب الاَّ حثَّنا عليهِ وابان لنا شدة احتياج الوطن الى ما يتسهل بهِ الوصول الى العلم والصناعة كهذا العمل وامثالهِ . ولما رأينا مناسبة الاحوال لنا ووجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرتهُ على ما بنا من القصور مستعينين بهِ تعالى ونلنا الرخصة السامية بهِ من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري الذي اشتهرت غيرتهُ على مصالح الوطن . وقد اصبحنا مديونين لاساتذة المدرسة الكلية السورية بالمساعدات التي وعدونا بها . ولنا الامل الوطيد ان هذه الجريدة تقع عند الجمهور موقع القبول وترغّب الطلاب في احراز العلم واتقان الصناعة واحياء رميمها وترميم باليها لشدة افتقارنا اليهما كليهما . على ان كثيرين يزعمون انَّا قد بلغنا من العلم غاية ما يحتاج اليهِ وان الاحرى بنا ان نقتصر على طلب الصناعة . وذلك غير سديد أمَا ترى ان الصناعة

مؤسسة على العلم وانها انما تتقن بتهذيب العقل والذوق وان الصانع الحاذق هو العالم باصول صناعتهِ وحقائقها وهذه لا تُعرَف جيداً الاَّ بدرس ما تأسست عليهِ من المبادىء العلمية. وكفانا برهاناً على ذلك ان الافرنج وغيرهم من الذين اتقنوا الصنائع يجتهدون في تعليم الافراد غاية الاجتهاد و بعضهم يوجبهُ شرعاً . فالاحرى بنا ان نقصد العلوم من حيث تؤدّي الى الصناعة جادين في تلك غير مهملين هذه .ولا حاجة بعدُ الى الاطالة في ذلك فكل من وقف على مبادىء العلوم يرى لزوم معرفتها للصانع ولو اجمالاً

«ولعلَّ هذا المثال يدلُّ على حقيقة بحثنا في المواضيع غير انها تكون في ما بعد اكثر استيفاء كما هو مذكور في محلهِ وربما كانت اسهل فهماً لانَّا سنقرر المبادئ ثم نبني عليها. وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليهِ لضيق المقام وسنسلك تارةً مسلك التعليم واخرى مسلك الشرح ونوجز تارةً ونسهب اخرى حسب الاقتضاء . ولما كانت مواضيعنا لا تتعرَّض للمباحث الدينية ولا السياسية الاَّ من باب العلم فكلُّ ما يرد الينا خارجاً عن هذا الباب غير مقبول »

وكان في ذلك الجزء سبع مقالات الاولى في عمل الزجاج والثانية في القمر وما يعرف من امرهِ وآراء المتقدمين فيهِ . والثالثة في الميكرسكوب . والرابعة في علماء الهيئة عند العرب. والخامسة في اللغة الحميرية والقلم المسند. والسادسة في الصباغ الاحمر على القطن . والسابعة في المطر . ثم قليل من الاخبار العلمية

ووزعناهُ في المدن السورية و بعض المدن المصرية.ولم نصدر الجزء الثاني الاَّ في غرة يوليو (تموز) وكان فيهِ مقالة الدكتور فان ديك في اطباء اليونان والشرق ومقالة للدكتور امين ابي خاطر في صحة الاطفال عدا المقالات التي كتبناها نحن.وكان فيهِ جواب على مسألتين الواحدة صناعية والثانية علمية وهما اول المسائل في الجرائد العربية في ما نعلم

وجرينا في المقتطف على الخطة التي رسمناها لهُ وزادت رغبة القراء فيهِ وكثرت علينا مسائلهم فاجبنا منها في الجزء الاخير من تلك السنة عشرين مسألة .وكنا نتولى انشاءهُ ونهتم بطبعهِ ونشرهِ ومكاتبة وكلائهِ والمشتركين فيهِ مع قيامنا بالتدريس في المدرسة الكلية فخفنا ان تزيد اشغالنا على هذه النسبة فنعجز عن القيام بها . ولذلك رأينا في اول السنة الثانية ان ننيط ادارتهُ من حيث الاهتمام بطبعهِ ونشرهِ ومكاتبة وكلائهِ وجمع اشتراكاتهِ بمن يتفرغ لها فانطناها باخينا شاهين بك مكاريوس واعلنا ذلك في صدر الجزء الاول من السنة الثانية و بقينا لا نهتم بادارتهِ الى ان تركنا المدرسة الكلية واتينا

القطر المصري في اوائل سنة ١٨٨٥ فعدنا الى الاهتمام بها مع الاهتمام بانشائهِ

وفي اواخر سنة ١٨٨٠ زرنا الديار المصرية فرأينا من اقبال الفضلاء على المقتطف ما شدَّد عزائمنا على توسيع نطاقهِ فجعلناهُ في السنة التالية ٦٤ صفحة كل شهر بعد ان كان ٢٤ صفحة عند اول صدورهِ. ثم زدناهُ رويداً رويداً وهو الآن نحو ١٤٠٠ صفحة في السنة

وفي اواسط سنتهِ التاسعة انتقلنا بهِ الى الديار المصرية ديار الامن والحرية فودَّعهُ علماءُ بيروت وادباؤُها ورحَّب بهِ عظماءُ مصر وفضلاؤُها. قال استاذنا الدكتور فان ديك من رسالة بعث بها الينا حينئذٍ «على انَّا ندعو بالخير والتوفيق للبلاد التي انزلت المقتطف ديارها على الرحب والسعة ونثني الثناء الجميل على الاماجد الافاضل الذين فتحوا لكم الصدور واحلوكم محلَّ الكرامة ... متيقنين انكم تزيدون نفعاً تحت ظلهم وتزداد جريدتكم المفيدة فوائد بحسن معاضدتهم». وقال المرحوم شريف باشا من رسالة اخرى «لما كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب اذا نال ما نال من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معاً. وقد بلغني في هذه الاثناء خبر نقلهِ الى القطر المصري بعد ما خبرتهُ وخبرت معارفكم زماناً فاستحسنت ان ابدي مسرَّتي بذلك لما فيهِ من الفوائد التي لا تستغني عنها البلاد». والرسالتان منشورتان بتمامهما في الجزء السادس من السنة التاسعة مع رسالة من دولتلو رياض باشا ورسالة من المرحوم شفيق بك منصور

ومن ثم الى الآن والمقتطف يزيد اتساعاً وانتشاراً وقد اضطرَّتنا بعض الاسباب ان نؤَخر ابتداء سنتهِ رويداً رويداً حتى صار في ابتداء السنة الشمسية ولولا ذلك لكان جزء ابريل الماضي الجزء الاخير من السنة الحادية والخمسين. فالمقتطف من هذا القبيل اقدم جريدة عربية في القطر المصري. وقد سلكنا فيهِ على الخطة التي رسمناها لهُ في الجزء الاول من اجزائهِ وزدناها اتقاناً بجمع بعض فصولهِ في ابواب خاصة كباب الزراعة وباب الصناعة وباب المسائل وباب الاخبار العلمية

ولم تكن طريق المقتطف خالية من الحزون والعقبات لكن العقبات التي قامت في وجههِ لا تذكر في جنب ما لقيهُ من الاحتفاء والاكرام في مصر والشام والعراق وسائر البلدان التي تقرأ فيها اللغة العربية ونحن لا ندَّعي بفضل لنا في شيء مما ننشرهُ في المقتطف فانما نحن طالبا علمٍ نقتطف ثمار المعارف من بساتين العلم والادب ونزفها الى ابناء العربية في صفحاتهِ. وغاية ما نرجوهُ ان نتسع بمطالعتها المعارف وتقوى الفضائل ويستفيد منها الزارع والصانع فان كان المقتطف قد وفى ببعض هذه الغايات فحسبهُ فخاراً

البدو والهجر (١)

تحضير البدو في الجزيرة اصلاح اجتماعي خطير

قد شاهدنا للمرة الاولى ، في وقعة تربة ، روحاً جديدة في القتال روحاً نجدية دينية مجسمة في الاخوان ، روحاً قهَّارة ، هي بنت الهول والاستشهاد ، قلما تُغلَب او ترد . وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة .قال الامير : « فاردد الذين امرتهم ببيع مواشيهم و بنيتُ لهم الدور » . هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الهجَر . والهجر مهد الاخوان ، والاخوان جيش ابن سعود الديني القومي ، جيش التوحيد

وما هي الهجر ، و كيف أُسست ، وما الذي دعا لتأسيسها ؟ ومن هم البدو ومن هم الاخوان ؟ سنبدأ مجيبين عن هذه الاسئلة بكلمة على البدو ، فنستطرد الى الهجر واهلها

البدو منذ القدم غزاة ، عصاة ، عتاة ، ولهم غريزة دينية غذتها الخرافات ،ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات . فهم يسارعون الى القتال في سبيل الله كما نفر النافر وضاق بهم العيش . ولكنهم في طاعتهم واخلاصهم، وفي جهادهم وولائهم،لا يحملون فوق طاقتهم، وقلما يفادون بشيء من اشيائهم.يحار بون و يشردون.وهم وان غالوا في دينهم ، لايثبتون، بل أنهم الى الردة سريعون

وقد رأى الرؤساء منذ القدم ، نظراً لغريزتهم الدينية وان تلونت، ان يسلوا عليهم سيف الالوهية قبل السيف الذي يُرى.دعاهم مسيْلمة فلبوه ،ثم دعاهم الشيخ طاهر القرمطي فحار بوا معهُ كالبنيان المرصوص.ثم تشتتوا بعد كسرة القرامطة ، فجاءتهم من البصرة والنجف عقائد في الدين جددت في جمع شملهم وتعزيز املهم ، فبنوا القباب فوق القبور ، وعلقوا الرقاع على الاشجار — سبحان من هو صديق للواحد القهار

ثم جاء ابن عبد الوهاب يعلمهم ان التسبيح لا يجوز لغير الله الواحد القهّار. جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود ، فقاموا يحار بونهُ مع ابن الدوّاس ، وابن العُريعر ، و كانوا مدحورين . جمعهم ابن سعود تحت علم التوحيد ، فوحدوا الله واقسموا

(١) فصل بليغ بعث به الينا الكاتب المشهور امين افندي الريحاني من كتابه المعد للطبع في «تاريخ نجد الحديث وملحقاته». وقد عالج في هذا الفصل موضوعاً كبير الشأن في تاريخ الجزيرة الحديث لم يسبقه اليه أحد من المستشرقين

ان لا شريك لهُ . ولكنهم في كل اطوارهم بدو ، والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون . او ان لهم مزية الزئبق ، فيجتمعون و يفترقون ، وانت تتلو الفاتحة . لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ، بل لا جيوب لهم ولا قلوب . رفاقك في الطريق اليوم ، واعداؤك غداً

ولكن النبي نفسه انبهم ولم ينفعهم التأنيب . فقد جاء في القرآن « قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا »

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونهُ ردحاً من الزمن، فيغسلونهُ مرة او مرتين ثم يلبسونهُ مقلوباً ، ثم ينبذونهُ وقد تمزق نبذ النواة — كيف نتوضّأ ونحن نبغي الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ؟ ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا ؟

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك . فما الفرق ور بك بين ابن مقرن مثلاً وابن هاشم ، او بين ابن الصباح وابن الرشيد ؟ هم كلهم عرب ، يقيمون في بلاد العرب ، و يغزون غزو العرب ، ونحن ان حار بنا مع هذا او ذاك عرب

ما تغيّر البدو منذ ايام الرسول ، ومنذ ايام مسيلمة وابي طاهر القرمطي . دينهم حاجات ، لذلك الردات . وولاؤهم غايات ، لذلك الخيانات. وقد تبين لقارئ هذا التاريخ في ما سردناهُ من حوادثهم ، وسجلناهُ من حروبهم ، انهم لم يتغيروا حتى بداية القرن العشرين . فقد طالما ارتدوا وعادوا تائبين ، منذ ايام عبد العزيز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ، ولا يعادون طويلاً . لا يثبتون ، ولا يسكنون ، ولا يستقيمون في مسراهم او في مغزاهم

البدو سيف في يد الامير اليوم ، وخنجرٌ في ظهرهِ غداً . مجاهدون اذا قيل غنائم ، متمارضون اذا قيل الجهاد . وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبهِ الاولى وغزواتهِ . كانوا يحاربون ما زالوا آمنين على اموالهم وانفسهم ، و يفرون شاردين عند اول خطر يلوح . لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال و يدعمهم بالحضر، يحمي ظهرهم ليؤمن انقلابهم و تقهقرهم . فهم اذ ذاك اشداء ثابتون في النضال . و بكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر . والا فالغالبة لنا والفرار علينا . جاء في امثال العرب : البدوي اذا رأى الخير تدلى واذا رأى الشر تعلى . ولكن البدوي وحدهُ يدافع عن نفسهِ و بعيرهِ حتى الموت وان كان خصمهُ قبيلة باسرها . اما البدوي في الجيش فقد كان مشكل ابن سعود الاكبر وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقهُ اليها احد من ملوك العرب

قديماً او حديثاً · فهو من هذا القبيل المصلح الاكبر في العرب

اجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل اجداده ، وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اجداده ، ولكنهُ لم يقف مثلهم عند هذا الحد. قال امسكوا الخونة ، فقالوا : الفلا منجى وها هنا نجوة التجلي . فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفيت على سواه . وهذه الحقيقة هي ان البدو لا يثبتون، ولا يطيعون ، ولا يخلصون — لانهم لا يملكون شيئاً من الارض ولا يسكنون بيوتاً ثابتة . اذن، سنعطيهم ارضاً ونساعدهم في بناء البيوت. سننقلهم من البادية الى المدينة. سنقيدهم بالارض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم، واذا اذنبوا استطعنا تأديبهم

ان هناك كذلك الفكرة الدينية ، الفكرة الاولى في الهجَر — والهُجَر جمع هجرة — والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام . اما وطن البدو فالبادية ، والبادية مهد الشرك ، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية · فمن بيوت الشعر الى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو الى ارض لا تخون صاحبها اذا اعمل بها المحراث ، ومن الخوف والتحذر الى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملاً مفيداً لنفسه ولبلاده

الداعي الى الهجرة اذن ثلاثة امور ، اي تعليم البدو الدين ، ونفعهم بارض يحرثونها ، والاستيلاء عليهم . ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد كان دائماً يأنفها . كان سكان البادية يقسمون في الماضي الى قسمين البدو والعرب . فالبدو غزاة ، والعربُ رعاة ، ولا اكار بينهم ، ولا من يتنازل للعمل في الارض

***

باشر ابن سعود اصلاحهُ الكبير بالواسطة الدينية ، فكان يرسل المطاوعة الى البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض ، ويزينوا لهم هجر ما هم فيهِ الى ايمان يستشعرون ، وبيت يأوون ، وارض يحرثون . وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضاً ، فكان السيف يتقدم المطوّع في بعض الاحايين او يتبعهُ كما تقتضي الاحوال . تجاوز التطور في البدو حده الديني ، فصاروا يهجرون ما هم فيهِ ليس الى الله والتوحيد فقط ، بل الى الشريعة والنظام ، وطاعة الحكام ، واحترام حياة الانام

وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ماء لقبيلة او لفخذ منها فتنزح اليها وتباشر بناية البيوت فيها . بيد ان الصعوبة الاولى التي تغلب دعاة الهجرة عليها هي الجمال . ومعلوم ان رزق البدوي اباعره ، فما زالت عندهُ ما زالت البادية تستغويهِ ، فيروح في

ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً او غزواً حيث كان . لذلك أُجبر البدو على بيع جمالهم

كان ابن سعود يساعد ماليًا في بناء البيوت الجديدة . وقد أُسست في سنة ١٣٣٠ اول هجرة لعرب مطير اي الارطاوية شرقي بريدة وقرب الدهناء. اما تسميتها بالارطاوية فهو لان الأَرطي، مرعى الابل المعروف ، يكثر في جوارها. ان هذه الهجرة لأكبر الهجر اليوم واهمها . وقد تبعها كل سنة هجرٌ عدة لقبائل حرب وعتيبة وقحطان وغيرها ، حتى اصبح عددها سبعين هجرة ويزيد[1]

على ان هذه الهجر في بداية امرها أورثت ابن سعود مشكلاً آخر ، وهو ان البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا « اخوان » يتعصبون بالعصابة البيضاء التي تميزهم عن الناس، اقاموا في الهجر لا يعملون شيئاً في ايام السلم غير الصلاة . غدت بيوتهم مناسك . وقد نزلوها ابتغاء وجه الله. هجروا البادية حقيقةً الى الله والتوحيد فاصبحوا عالةً على صاحب البلاد

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة تنقذ اصلاحهُ من الخطر. فشحذ ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء ، فجاء العلماء بالتاريخ ، و باخبار السلف ، فسلحوا بهـا المطاوعة ، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل . راحوا يعلمون المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين ، وان المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير — وهذا ابو بكر ، كرم الله وجهه ، كان يملك ثمانية آلاف رأس من الابل والخيل . فهل تزدرون ، ايها الاخوان ، ما كان يرغب فيهِ ابو بكر ؟ وهل تشكون في ان الله سبحانهُ وتعالى يفتح لكم ، اذا انتم زرعتم وتاجرتم ، ابواب الثروة والجاه ؟

قد افلح المطاوعة في تحبيب العمل والمال الى الاخوان ، فشرعوا يزرعون الارض حول الهُجر و يتاجرون . وقد نشأت بعض هذه القرى نشوءًا سريعاً فصارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في ابناء هذه الهجر ، من الاخوان ، روحَ القتال . بل علتهم فوق شجاعتهم شجاعة جديدة لا تعرف الخوف ، ولا تهاب الموت . وما الشجاعة هذه غير بنت الايمان الجديد الحي القوي . فان اخوان مطير في الارطاوية مثلاً ، واخوان حرب في دُخنة ، واخوان عتيبة في الغَطغَط ، لاشد جيوش ابن سعود بأساً ، وابسلهم نضالاً ، واسبقهم الى الاستشهاد. كيف لا وقد قُلّدوا في تحضيرهم سيفين ، سيف الدين، وسيف الثبات. انهم اليوم لغيرهم بالامس فلا يشردون،

---

(١) في الملحق لهذا التاريخ — في آخره — لائحة الهجر كلها واسماؤها واسماء عشائرها وعدد سكانها وعدد المقاتلة فيها

ولا يتراجعون ، وقلما ينهزمون . انهم يحاربون حبًّا بالاستشهاد والجنة ، وحبًّا بالمحافظة على ما يملكون . صاروا يخافون النار ، ويخشون عاقبة الفرار

لا . لم تقتل الهجر في اهلها غريزة الغزو ، ولا اضعفتها . بل شحذتها في سبيل الله ، وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم . على ان توحيد السيادة العربية ، السائرة البلاد نحوها ، تضيق من طبعها مجال الغزو وتزيله في النهاية تماماً . فلا تجد اذ ذاك العرب اعداء من العرب او عرباً مشركين للغزو والجهاد

قلت مرة لعظمة السلطان : « وستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله فتؤسس المدارس و يتعلم الاخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد » فاجاب عظمتهُ : « كل شيءٍ يجيءُ في وقته »

اما سكان الهجر الآن ، وهم الطبقة الاكثر عدداً ، فقد الفوا الزراعة واستعذبوا ثمارها . وهناك الطبقتان الاخريان اي التجار والمطاوعة . أما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم الى ثلاثة اقسام أُخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث ، اي الجهاد ، والجهاد مثنى ، والنفير . فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائماً مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة . والجهاد مثنى هو ضعف الجهاد ، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله .هم الذين يلبون الدعوة الثانية والاحرى ان يسموا الرديف.اما القسم الثالث من الذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في الهجر ليداوموا اعمال التجارة والزراعة ، ولا يدعون للحرب الاَّ اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار العام . من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى . اما الاستنفار العام الذي لا يكون الاَّ للدفاع عن الوطن ، فهو حق العلماء ولكن السلطان يكتب اليهم معلناً حاجة البلاد الى الدفاع ، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين ، البدو والحضر والمهاجرين

قال عظمة السلطان محدثاً عن الاخوان : يجيؤننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون اليهِ من كسوة ورزق ومال . ولكنهم في ايام الحرب لا يطلبون شيئاً منا . في ايام الحرب يتزنر الواحد منهم ببيت الخرطوش ، و يبادر الى البندق ، ثم يركب الذلول الى الحرب ومعهُ شيء من المال والتمر . . . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا . . . كنا نمشي ثلاثة ايام بدون اكل. يأخذ الواحد منا تمرة من حين الى حين يرطب بها فمه . . .نعم كانت الحاضرة اثبت قدماً واشد بأساً من البادية . اما الآن فالبادية المتحضرون ، اهل الهجر هم في القتال اثبت من الحاضرة واسبقهم الى الاستشهاد

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم ، و بطشهم ، وهول استشهادهم ، اورثوا عبد العزيز مشكلاً آخر كاد يفسد مشروعهُ الاصلاحي العظيم . فقد طغى الاخوان وتجبروا ففجع الناس . راح الاخوان يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفّرون وينهبون ، و يقتلون « انت يا بدوي مشرك — والمشرك حلال الدم والمال . انت يا ابا العقال من الكفار — انا اخو من طاع الله ، وانت اخو من طاع الشيطان »

كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصابة البيضاء على سواهُ من العرب ، فيعير ، ويسب،و يسفك الدماء.وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد،وكاد ينقطع حبل الامن والسلام ، فعقد الامام في سنة ١٣٣٧[1] مؤتمراً في الرياض للنظر في هذه الامور حضرهُ كبار الرؤساء والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما يأتي :

١ً — الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم ٢ً — لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحد . ٣ً — لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الاخيرين . ٤ً — لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه دربهم ، ومعتقدهُ معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين . ٥ً — لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن يضربونهم ، او يتهددونهم ، او يلزمونهم الهجرة . ٦ً — لاحق لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح ، و كفر صريح ، و بدون اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي

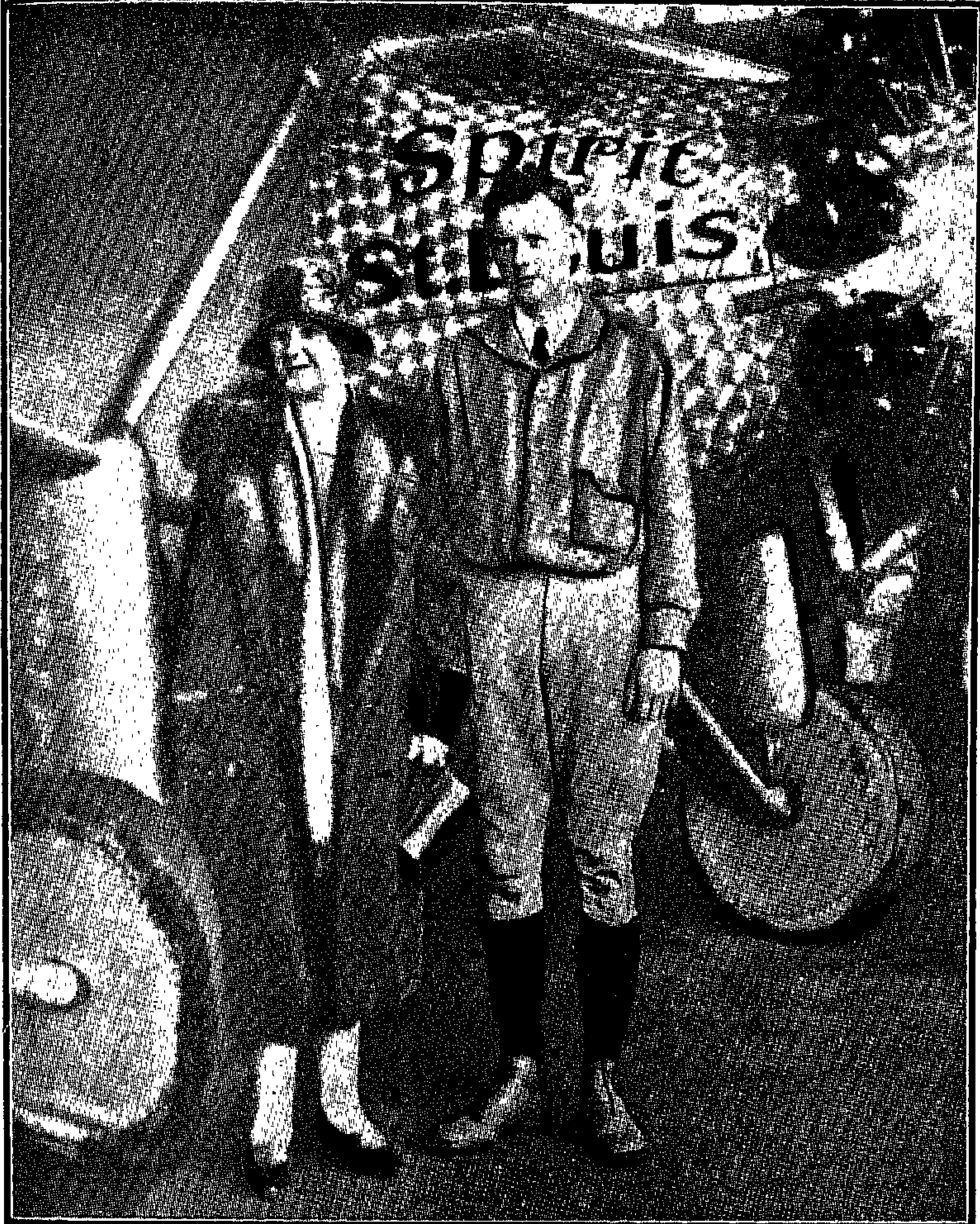
وقد ضمنت هذه القرارات منشوراً[2] من الامام والعلماء جاء فيهِ ما يأتي :

« ان معتقد المسلمين بدو وحضر واحد ، واصل المعتقد كتاب الله وسنة رسولهِ،وما كان عليهِ الصحابة ثم السلف الصالح ثم ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك، والامام الشافعي ، والامام احمد بن حنبل ، والامام ابو حنيفه ، فهؤلاء اعتقادهم واحد في الاصل ..... قد يكون بينهم اختلاف في الفروع، ولكنهم كلهم على حق ان شاء الله»

وهذا الاصلاح العظيم ، اي تحضير البدو فيسلكون عاجلاً او آجلاً المسلك الاوسع الذي فيهِ المدارس والتمدين ، لم يسبق لهُ مثيل في شبه الجزيرة منذ ايام النبي

الفريكة لبنان امين الريحاني

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة لان الوافدة الاسبانيولية التي غزت العالم بعد الحرب لم تستثن حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية الوف من الناس وفيهم ابن السلطان البكر تركي واثنان اخران من اولاده (٢) في الملحق نسخة من هذا المنشور كاملة



الطيار لندبرغ ووالدتهُ وطيّارتهُ

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٣٥

الرواية الكاملة

الحقيقة اغرب من بنات الخيال

كتب احد اساتذة اللغة الانكليزية وادابها في اميركا مقالة بيّن فيها ان طيران لندبرغ من نيو يورك الى باريز وما سبقهُ من الحوادث رواية كاملة تجتمع فيها كل فنون التأليف الروائي على أتم ما يكون، وقال انهُ لا يعرف مؤلفاً يستطيع ان يبتكر رواية و ينسق حوادثها بحيث تكون اوقع في النفس من تتابع الحوادث الواقعية في رواية لندبرغ الجوية

يرتفع الستار عن رجل من اغنياء اميركا يهتم بشؤُون الطيران فيعرض على الطيارين جائزة قيمتها ٢٥ الف ريال ينالها اول رجل يطير من نيو يورك الى باريس دفعة واحدة . فتثير جائزتهُ بعض الاهتمام في الرأي العام وتبدأُ الصحف تعنى بعض العناية باخبار الطيارين الذين يظن انهم قد يتقدمون الى نيل هذه الجائزة. على ان احاديث العارفين بشؤُون الطيارات والطيران تدور على مصاعب هذه الرحلة الجوية وما يحول دون تحقيقها من المخاطر . فيزداد اهتمام الناس بها وتكثر عنايتهم بقراءة ما تنشرهُ الصحف في هذا الشأن. ثم يتقدم طيّار افرنسي يدعى فونك يجيءُ بطيارتهِ من فرنسا الى نيويورك خاصة . وبعد ما يعدُّ معدأتهِ للطيران يحاول الارتفاع بطيارتهِ فترتفع قليلاً ثم تنكص رأسها وتهبط الى الارض فتحطم وتحترق ويقتل اثنان من ركابها وينجو سائقها . ثم يتقدم طيار اميركي يدعى نول دايفس فيحاول امتحان طيارتهِ قبل الاقدام على هذه الرحلة الشاقة فتهوي بهِ من الجو فيقتل هو ورفيقهُ . وفيما الناس يطالعون هذه الانباء والحزن ملءُ نفوسهم يطير من باريس اثنان من اكبر الطيارين واشجعهم ، نجسر وكولي ، فيضلان الطريق وتنقطع اخبارهما . يجري كل ذلك و بطل الرواية لم يظهر بعد في ميدان العمل . ولكن الرواية تتقدم رويداً رويداً وحوادثها تزدحم وتتوالى آخذٌ بعضها برقاب بعض ، فيزداد الاهتمام بتوالي هذه الحوادث اذ يرى القارئ من خلالها امرين الاول ما لهذه الرحلة من الشأن الكبير والثاني المصاعب والمخاطر الجمة التي تحول دون تحقيقها

واي شأن لهذه الرحلة الجوية ! ها خمسة آلاف جنيه بانتظار الفائز وشهرة تطبق الخافقين وتهليل من الجماهير يسكر النفوس . ولكن النقود لا قيمة لها ازاء النجاح في هذا العمل العظيم لان النقود في الحقيقة رمز الى النجاح لا اكثر ولا اقل . والقيمة الحقيقية

صعبٌ تحديدها لان هذا العمل ككل الاعمال الفنية العظيمة لا فائدة ظاهرة تنجم عنهُ . ولكن من ينكر اثرهُ الخفي في النفوس ؟ ان الفوز في الطيران من نيو يورك الى باريس شبيه بآية من آيات الفن فيهِ تتجلى كل الصفات السامية التي تشرف الانسان

كذلك نرى ان الحوادث التي سبقت طيران لندبرغ وتعليق الصحف على الفوائد الظاهرة والخفية التي تنجم عنهُ اثبتت لنا قيمة العمل وفي الوقت ذاتهِ بينت ما يحول دون تحقيقهِ من المصاعب والمخاطر — مصاعب النهوض بالطيارة بعد تحميلها حملاً كبيراً من البنزين، والمخاطر التي تنجم عنهُ تقلبات الهواء وضعف في بناء الآلات او خلل يطرأ عليها ، اضف الى ذلك ضعف الانسان وتعرضهُ للخمول والنوم على اثر جهاد عنيف

ها قد مرَّ امامنا اكثر الاشخاص الذين تدور عليهم الرواية ونحن بانتظار بطلها . وفيما نحن ننتظر يزداد اهتمامنا بالامر لما نطالعهُ في الجرائد من منافسة نشأت بين اثنين من اكبر الطيارين في اميركا تقدما لنيل هذه الجائزة ، احدهما اول رجل بلغ القطب الشمالي عن طريق الجوّ وهو الكومندر برد والثاني رجل حلَّق بطيارتهِ فبقي فيها ٥١ ساعة و١٢ دقيقة في الجوّ وهو كلارنس تشمبرلين

واذ نحن مأخوذون بحوادث هذه المنافسة يدخل بطل الرواية علينا كأنهُ ملك هابط من الجوّ و يكون دخولهُ على اعظم جانب من الاثر في نفوس المشاهدين . ما من روائي مهما سمت فيهِ قوة الابتكار يستطيع ان يبتدع طريقة لتعريف البطل بالقراء اقرب الى الحقيقة واوقع في النفس. انهُ يجتاز القارة الاميركية في مرحلتين فيأخذنا باقدامهِ ومفاجآتهِ

لكن احوال الجوّ تحول دون استئناف طيرانهِ بالسرعة التي كان يريدها فيلبث هنيهة في نيو يورك والناس تنتظر ما يكون من امرهِ وهم في هذا الانتظار اشد ما يكون اهتماماً وعناية بحوادث الرواية وتشوقاً لمعرفة الوجه الذي تنتهي عليهِ . وهذا من الفن الروائي في مكان عظيم. لانهُ لو هبط البطل نيو يورك واستأنف طيرانهُ بعيد وصولهِ لما كان اهتمام الناس بهِ كبيراً . ولو انهُ انتظر طويلاً قبل طيرانهِ الى باريس لكان اهتمامهم بهِ فتر وزال. ولكن الحقيقة شاءت ان يلبث زمناً كافياً حتى يرتفع اهتمام الناس بهِ الى اوجهِ . وفي هذه الهنيهة اخذت الناس سورة من اللوعة والشوق لان البحث عن الطيارين الفرنسويين المفقودين كان قائماً على قدم وساق والامل في العثور عليهما يتراوح بين اليأس والرجاء بين ساعة واخرى . وفيما نحن ننتظر ما يكون من امر هذا البحث ومن امر بطلنا تطلع علينا الصحف والمجلات باوصافهِ — امهُ معلمة في احدى مدارس دترويت. وهو حديث السن، لكن حداثتهُ

لا تمنع ان يكون لهُ تاريخ في الطيران حافل بالمخاطر والمغامرات . اربع مرات لزم الامر ان ينجو من طيارة محطمة في الجو بالجوء الى شمسية (باراشوت). ثم نسمع انهُ عثر في مقعد طيارتهِ على قطة سوداء فيتخذها شعاراً لهُ ولكنهُ يخاف ان يصطحبها معهُ لئلاّ تموت في الطريق من شدة البرد . ثم تنشر صورهُ فتسرنا قسمات وجههِ ، ونقرأ عما يقوم بهِ من الاعمال فاذا بهِ يدل على انهُ سكوت ،مادي ، وديع ، حرّ الرأي ، شجاع . ثم تأتي امهُ لتودعهُ وداعاً قد يكون الاخير ،وحينما يطلبُ اليها مصورو الصحف ان تقبل ابنها امامهم ترفض طلبهم بإباء — كلّ هذه الامور محببةُ الينا وتزيد في شوقنا لمعرفة نهاية امرهِ

ها نحن نستقبل اكبر المشاهد اثراً في النفس، نفاجئ بهِ مفاجأة كما فوجئنا بوصول البطل الى الميدان. انهُ يعزم فجأة على استئناف الطيران الى باريس فيقضي الليل يعدّ طيارتهُ لا ينام الاّ ساعتين ، ثم يصعد الى مقعدهِ عند الفجر فيرتفع بالطيارة فتترنح قليلاً لثقل حملها ويرفرف شبح الفشل والموت عليها هنيهة فيضع الناس ايديهم على قلوبهم وجلاً على هذا الفتى الغض الاهاب ، يقدم وحيداً على رحلة حافلة بالمخاطر العظيمة ليجتاز بحر الظلمات. ولكن الطيارة لا تلبث ان تستوي على متن الهواء وتتجه الى هدفها فيودعها جمهور قليل في مقدمتهم الكومندر برد اول رجل طار الى القطب الشمالي

وتعود الامُّ الى مدرستها تسير في عملها اليومي كأن ليس لها ابن يغالب العواصف ويجالد عناصر الجوّ وحيداً لكن السيف عرّي متناهُ عن الخلل .ان تلاميذها يجتنبون ذكرى ابنها امامها لكي لا تثور شجونها . وتسير سيرة النزاع بين الطيارين الاخرين وترد الانباء باضطراب الجوّ فنخاف سوء المصير .ثم يصحو الجوّ فنرى بارقة امل في نجاح بطلنا ولكن تعاودنا المخاوف حينما نذكر انهُ لم ينم في الليل السابق لطيرانهِ سوى ساعتين . ترى ايغلب الليلَ والنعاسَ ؟ كيف يتقي البرد وهو لم يعدّ لذلك عدة خاصة ؟ ابقى صافي الذهن يسير الى هدفهِ على هدى الى ان يبلغهُ ؟

وفيما نحن على احرّ من الجمر تبدأ الاخبار البرقية بالورود وفيها انهُ شوهد اولاً فوق فوق نيوفوندلند ثم فوق ارلندا . ثم فوق شربورغ. ها هو ينزل في باريس في جمع محتشد يقدّر بمائة وخمسين الفاً . ان اسمهُ على كل الشفاه ، وصورهُ في صفحات الجرائد الاولى الملوك ورؤساء الجمهوريات يستقبلونهُ ويهدون اليهِ اوسمة الشرف . والجمعيات المختلفة تتسابق الى تكريمهِ والاحتفال بهِ . ها هي الرواية الكاملة خطتها يد الحقيقة على صفحات التاريخ نجاءت في مجملها وتفاصيلها اغرب من بنات الخيال يبتكرها ابرع الروائيين

النهضة الشرقية الحديثة

اظهر مظاهرها وابقى آثارها

١ — رأي الاستاذ جرجي يني

صاحب مجلة المباحث الطرابلسية

كان الشرق آهلاً بعمرانهِ زاهياً بحضارتهِ . وعلى اثرهما كانت لهُ عزتهُ ومكانتهُ وكانت سورية مطمح نظر كل فاتح قديم او غاز ناجح وهي تتأثر لتلك الحضارات ولاسيما ما ساد منها ببأس ذويهِ

ولما غلب الاتراك على القسطنطينية ثم على سورية ومصر رحلت بقية الحضارة البزنطية الى اوربا فكانت قبساً اضاءت شعلة العمران هنالك . اما الشرق الادنى الذي سادتهُ القوة فان ثقافتهُ جعلت تتقلص شيئاً فشيئاً حتى انطفأت شعلتها . وكاد لا يبقى في بلاد العمران القديم الاَّ نفر يعدون على الاصابع ممن يفقهون معنى الحضارة الضائعة . ولكن ناب منابهم رجال الدين وخدمة الدولة . ومن هؤلاء — اعني الموظفين — قوم جعلوا الناس يظنون بان عملهم لم يكن يحتاج الى علم راسخ وادب وخبرة . بدليل ان منهم من كان يجهل القراءة والكتابة . و بالرؤساء يقتدي المرؤوسون وعلى منوالهم ينسجون . وقد مرَّت السنون وهم على نهجهم يدأبون . حتى اني عرفت موظفين كبيرين في العشرات الاخيرة من القرن التاسع عشر احدهما كان رئيساً لمحكمة التجارة وهو اميٌّ راسخ القدم في الجهل مستسلم بكليتهِ لكاتبهِ . فجاءهُ ذات يوم تاجر محكوم يريد التظلم من الجور وابرز ورقة الحكم لكن الرئيس اخذ الورقة ليظهر انهُ يقرأها فامسكها مقلوبة لانهُ لم يدر اعلاها من اسفلها . وثانيهما زعيم لم يكن يعرف ان يكتب اسمهُ (حسن) فعلموهُ ان يضع ٨ وعلى بعد منها ٧ وان يمد خطاً بين الطرفين فيظهر (حسن)

وكان الذين يقرأون و يكتبون في طول سورية وعرضها عدداً قليلاً — والبارعون منهم من النوادر وسائرهم يسمون كتَّاباً و يشكلون الدواة في حزامهم تفاخراً بمعرفتهم كيفية تعليق الحروف بعضها ببعض. ولا احسب قطراً في الشرق الادنى كان يشذ عن هذا الوصف الاجمالي . ولكن اعرف عن اناس منهُ انبأتنا اخبارهم انهم شذوا عن القاعدة بما برعوا فيهِ من العلوم الدينية والشرعية والادبية

واذا صح لي ان اتخذ مما اعرف من حال سوريا مقياساً للشرق الادنى اقول ان امراء الاقطاع وعمال الدولة ان لم يكن قصدهم منع تعميم العلم وترويج الادب فانهم كانوا على الاقل لا يحسبون وجودهما مفيداً لهم . لان الفائدة التي يتوخونها كانت محصورة في ما يوجهون اليهِ جهودهم من جمع مال الجبايات وتعزيز سلطتهم ولا يبالون بالناس لانهم عندهم كبقرات حلوبة · لا يؤبه لهم اكانوا في نعمة او في ذلة . ولقد رأيت امثلة كثيرة لما كتب علماء ذلك الزمن فاذا فيها الصحيح والسقيم . وقرأت لكثيرين ممن اسموهم كتاباً رسائل تختلف في البيان ولكن اكثرها ركيك التعبير تغلب عليها لغة العامة وقد تتخللها عبارات مستحسنة

وجملة القول ان تفشي الجهل والامية والتعصب وجور الحكام وضعف المحكومين وفقرهم جعل الشرق الادنى تاعساً بائساً . وقد تمشت حالهُ بحكم الاستمرار وما زال الامر كذلك حتى جاء مصداق القاعدة الطبيعية (يبقى الجسم على حالهِ من السكون او الحركة حتى يأتيهِ فاعل خارجي) . وذلك الفاعل الخارجي جاء اوربيا . لان محمد علي باشا اعجبتهُ الحضارة الافرنجية فاخذ بها في مصر ولما فتح ابنهُ ابرهيم باشا سورية اراد ان يقتدي بابيهِ وكما فتح محمد علي ابواب مصر فتح ابرهيم ابواب سورية وانتشرت الكتاتيب فيها ونبذت بعض العادات والمناهج القديمة

وتبارت همم رجال الارساليات الافرنجية في التعليم والتهذيب فأُنشئت المدارس والمطابع وأُصدرت الجرائد . الاَّ ان القرن التاسع عشر ولئن حق لهُ ان يتباهى بما تمَّ فيهِ من التأسيس الادبي فاني رأيتهُ ينقضي ورغبة الناس في التعلم ضئيلة . ولم اجد المدارس السورية منصرفة الى العلوم العالية قبل الربع الاخير من القرن المنصرم . وكل ما اذكر اهتمامها بتعليمهِ محصور في اللغات العربية وبعض الافرنجية . ولما نشأت الكلية الانجيلية ببيروت وجعلت تعلم الطب والصيدلة وبعض العلوم العالية كان عدد الطلبة فيها دون الخمسين · وها هي الآن وقد صارت تسمى بالجامعة الاميركية والى جانبها جامعة الاباء اليسوعيين والكلية الاسلامية ومدارس الفرير وغيرها . وعدد الطلبة فيها الوف مؤلفة · وكلهم صاروا يأتون بيروت من اقصى البلاد لطلب العلم والفن مع ان في لبنان وسورية وفلسطين مدارس راقية تزدحم بطلابها

فالحاجة الى العلم لم تبقَ خفية عن سواد الناس . والاندفاع اليهِ بملء الجهد هو الشعور بشدة لزومهِ . وشعور الناس بذلك لا يستدل عليهِ بكثرة الطلاب فقط بل بما هو أشد وضوحاً . ذلك ان اجور المدارس علت الآن علوًّا كبيراً فلم تمنع الاباء من تعليم اولادهم

ذكوراً واناثاً . غير مبالين بالحالة الاقتصادية التاعسة

ولم يكن من قبل عشرين سنة او ثلاثين من متخرجي المدارس العليا مَن يذهب الى اوربا واميركا لاستكمال العلم الاّ بعثات ترسلها حكومة مصر على نفقتها او نفر يعدون على الاصابع . اما اليوم فلا تكاد تجد شاباً نبيهاً يتخرج في علم او فن الاّ وقد شد الرحال لاستزادة الطلب في الجامعات الفرنجية

واني لاذكر ولا انسى ان اصدقاء البستاني الكبير رحمهُ الله وتلاميذهُ على كثرتهم لم يأتوهُ بعدد من القراء لمجلتهِ الجنان يماثل عدد قراء اصغر جرائد يومنا هذا . بل ان كتاب دائرة المعارف مع شدة الحاجة اليهِ لم يكن قراؤهُ كثيرين بالنسبة لمكانتهِ من الفائدة . واني لواثق بان كثيرين من قراء المقتطف المفيد كانوا يتبرمون من انهُ يكتب المقالات العلمية العويصة التي لا يفهمونها . وبمرور الايام علت ابحاث المقتطف فصارت لا تقاس بما جال بهِ في سنيهِ الاولى ولم يبقَ بين قرائهِ من يتبرم بهِ لعلو لهجتهِ

أفلا يحسب ما صرنا اليهِ من التهافت على المدارس، من الدأب على الطلب والرغبة في الاستفادة وبذل المال في سبيلها مظهراً للنهضة الشرقية بل مظهرها الوحيد ؟ أوَلا ترى في كثرة الكتب والمجلات والصحف دليلاً على دبيب المعرفة بيننا

لا جرم ان الثقافة الصحيحة تتم باحراز العلم والادب. ومتى تكاثرت وعمت او كادت تعم جاءت بعمران البلاد وازدهائها . واذا سلمت من الشوائب فهي النهضة التي اسماها الفرنساويون La renaissance ودعاها الانكليز Renascence . اما نهضة الشرق فهي حتى اليوم بادئة وليست بالثقافة المحكي عنها وانما هي تحفز للوثوب اليها . ولعلنا نفوز بما نرجو الظفر بهِ اذا لم يأخذنا الملل قبل ادمان السير . او لم نحسب القشور لباباً او غدونا ونحن لا نستنيم الاّ الى مفاخر الماضي . قائلين هذي بضاعتنا ردت الينا . وما اخذنا منها الاّ قليلاً او حاسبين لكل جديد لذة فنظن اللباس ركناً والمظاهر عماداً

نعم انا لنرجو الفوز بالثقافة كاملة يوم يكثر المتعلمون — واخص الراقين النابهين منهم — ويوم يغدو ابناء تجارنا وصناعنا وزراعنا اذا تعلموا لا يستنكفون من متابعة عمل آبائهم لانهم بعلمهم يستطيعون ان يزيدوا عملهم تحسيناً وبزيادة تحسينهِ يزداد ريعهُ وبتلك الزيادات تعلو درجة العمران . وبالجملة وفق الله شباننا الى الدأب على اقتباس المفيد النافع ونبذ العرض والاهواء . وابعدهم عن السياسة وتسويدها حتى على النهضة لانها قد تشذّ بتابعيها عن سواء السبيل

طرابلس جرجي يني

٢ — رأي الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

حضرة الاستاذ رئيس تحرير المقتطف الاغر

شرفتني بخطاب ، تسألني فيهِ رأيي الضعيف ، في موضوع « اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وابقى آثارها » . وكان من حسن حظي ان قرأت بعض جوابات العلماء الاجلاء الذين افاضوا واسهبوا في بحث هذه المسألة ، ولكنني رأيت معظمهم قد جعل البحث منصباً على الشرق العربي دون سواهُ ، والامم الاسلامية خاصة. على انني ارى ان النهضة الشرقية الحديثة قد تناولت امم الشرق القريب والبعيد ، اي الادنى والاقصى . واول مظاهر تلك النهضة كان في بلاد اليابان التي وإن كانت امبراطورية وثنية الا انها اعظم ممالك الشرق . وكانت نهضتها كما لا يخفى على علمكم الواسع ، متشعبة الاطراف ، واهم وسائلها الحرب ، والاقتصاد ، والتجديد . وكان يجب على امم الشرق الادنى ان تنسج على منوال تلك الامة ، وقد ظهر ان قوتها المادية التي تمكنت بها من قهر روسيا القيصرية ، هي التي حفظت كيانها ، وجاءت العناصر الاخرى تقويها وتدعمها. واذا نظرنا الى بعض امم الشرق الادنى التي نهضت في اوائل القرن التاسع عشر ، مثل مصر مثلاً ، وجدنا انها فكرت قبل كل شيء في ايجاد الجيش والاسطول وتعليم ابناء البلاد وزيادة مصادر ثروتها . وبعد ان سارت اليابان في طريقها ، ونجحت مع كونها امةً وثنية ، كان يحسن بالامم ذوات الاديان المنزلة ، ان تنظر في وسائل النهوض التي هي بلا ريب مستقلة عن العقائد الدينية . ولكن يظهر ان تغيُّر الحكام وتبدلهم وعدم تخلق الاخلاف باخلاق الاسلاف ومواهبهم ادَّى الى النكوص فالتقهقر فالانحطاط الذي عقبهُ انتعاش او « احياء »

وقد نهضت بلاد الهند العظيمة ، نهضة اخرى عن سبيل العلم والاقتصاد ، ولكن احوال هذه البلاد من تعدد في اجناس ابنائها ، واديانهم ، ولغاتهم ، ومبادئهم ، ورزوحها تحت نير كثير من العقائد المتناقضة ، وعدم تمتعها بحقوقها السياسية ، جعلت نهضتها في حيز « المحاولات » ، والتطلع الى المثل العليا ، دون التحقيق فانتجت تلك النهضة ، تكوين بعض الجامعات والمدارس العليا ، ثم ظهر من ورائها رجلان ، هما غاندي وتاغور ، وكلاهما وثني ، الاول مصلح سياسي اقتصادي ، والثاني مصلح اجتماعي روحاني ، ويحوم حولهما بعض المصلحين الاسلاميين امثال شوكت علي ومحمد علي

اما بلاد الفرس العريقة بمجدها وتاريخها وآدابها ، فقد نهضت منذ عشرين عاماً وحصلت بالقوة المادية على « الدستور » من الشاه ناصر الدين ، وقبلَهُ ولدهُ محمد علي الذي توفي حديثاً ، قبولاً صوريًا ، ثم هُدم دار البرلمان بالمدافع سنة ١٩٠٧ ولكن هذا النهوض القومي ، كان لهُ بعض الفضل ، في صد تيّار الجارتين القويتين ، عن ابتلاع « بلاد كسرى انو شروان » حتى اشتعال نار الحرب العظمى ، التي قضت على مطامعهما جميعاً بحوادث لم تكن في حسبان احد

اما بلاد العرب وهي مهد المدنية العربية الاسلامية ، فهي في نظري لم تنهض ، ولم تتغير منذ زمن الجاهلية ، الى الآن ، لانها لا تزال جملة دويلات صغيرة ، تتطاحن وتتحارب وتتنازع السلطة ، وتخضع لتأثير الممالك القوية في العالم ، القادرة على اجتلاب رضاء الامراء والسلاطين بالمال تارة ، وبالمعاهدات الحربية تارة اخرى . ولا تتردد في التهديد والوعيد والعزل والخلع عند مقتضى الحال . غير ان ميازين القوة تحوّلت ، فبعد ان كانت دول الفرس والرومان والمصريين صاحبة الحول والطول في الجزيرة اصبحت انجلترا وايطاليا وفرنسا هي التي تمد اناملها الى الجزيرة العربية . وليس في الجزيرة حياة سياسية او اجتماعية او اقتصادية بالمعنى المعلوم لكم ولنا

ولا تكاد بلاد العراق تخرج عن حكم الجزيرة فهي منذ ان دالت دولتا بابل وآشور لم ترَ للمدنية نوراً سوى « مشروع ري الجزيرة » الذي انجزهُ المهندس البريطاني وليام ويلكوكس ولم ينفذهُ الاتراك في حينهِ ويستحيل تنفيذهُ الآن

اما نهضة الشعب التركي فنهضة حربية سياسية اجتماعية واظهر مظاهرها « قطع العقدة القديمة » بالسيف ، فتخلصت من التقاليد الدينية ، ومن الخلافة بل من الاتصال بالامم الشرقية الضعيفة ، وفي ذلك من تقليد اليابان تقليداً ظاهراً محسوساً ما فيهِ ، فهذه الدولة التركية الحديثة تريد ان تدخل في دائرة المدنية الاوربية سياسيًّا وقانونيًّا ولكن ليس للاتراك مدنية علمية او فنية مثل اليابان ، ولغتهم وان كانت غنية بالشعر والنثر ، الاَّ انها ليست من اللغات العريقة التي تحيي الفنون في اكنافها ، وهم يريدون تغييرها وتعديلها وكتابتها بالحروف اللاتينية

اما مصر وسوريا وفلسطين وهي البقية الباقية من الشرق الادنى العربي ، فاظهر مظاهر نهضتها ، التطلع الى تقليد اوربا في العلوم والفنون والآداب الاجتماعية وحياة الاسرة وحرية المرأة والصناعات والاعمال المالية واحياء اللغة العربية المشتركة بين

هذه الامم الثلاث ولو استطاعت لعممت الانظمة الاوربية الحديثة جميعها

وقد ظهرت في الاعوام الاخيرة نهضة سياسية قوية ، بدت فيها عناصر المقاومة الحربية ، ضد بعض امم اوربا القوية وذلك في سبيل النهضة السياسية . واليك بيان المظاهر الاخرى

ففي مصر ظهرت الجامعة المصرية وهي « نواة الترقي» في جميع الممالك وفيها أنشئ بنك مصر برؤوس اموال مصرية وقام رجال عظماء اصحاب مبادئ قومية قوية ، يعرفون كيف يدافعون عنها امثال محمد عبده وقاسم امين ومصطفى كامل وسعد زغلول. وفيها أُصدرت مجلات وجرائد وكتب ذات قيمة لفتت انظار بعض علماء اوربا . وظهر بعض المجتهدين في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي والتشريعي وحصلت مصر بعد جهاد عنيف (امتد خلال اربعين عاماً منذ ظهور احمد عرابي الى الآن) على دستور وبرلمان وحكم ملكي مقيد

وفيها تأسست المدارس لتعليم المرأة بل ارسلت ارساليات نسوية الى ممالك اوربا للتخرج في العلوم العالية

وسوريا لا تقل في هذه السبيل عن مصر بل في معظم فروع الحياة العقلية والعلمية كان السوريون اساتذة للمصريين واعواناً لهم ، ولم يقصر المصريون في عرفان الجميل لاخوانهم ، وجيرانهم . ولا يخفى ان السوريين واللبنانيين استفادوا كثيراً من المهاجرة والارتحال الى العالم الجديد فربحوا الاموال واتقنوا بعض العلوم والآداب وظهر منهم رجال نوابغ في المال والفنون واسست امريكا نفسها في احدى عواصمهم جامعة عظيمة اخرجت كثيرين من فطاحل الشرق العربي ، فكان اتجاه النهضة في تلك البلاد امريكياً نوعاً ما . وقد سبقت دمشق سائر العواصم العربية بتأسيس المجمع العلمي العربي الذي هو شبه اكاديمية ، ولم تبلغ مصر شأو هذه الفكرة الى الآن وان كان فيها من قام بتأليف دائرة معارف او « مَعْلَم » . فعندي ان اظهر مظاهر النهضة هو علمي ادبي اجتماعي تقليدي ولا تزال النهضة القومية التي تشبه النهضة اليابانية في حيز الفكر والخيال وابقى تلك الآثار الثورة والبرلمان والجامعة والمجمع والنهضة اللغوية في النثر والشعر وتحرير المرأة . ولا تزال بعيدين عن الحياة الحقيقية بمراحل عديدة جداً وقد نموت نحن واحفادنا ولا نقطع بعضها وقول الحق اولى !

محمد لطفي جمعه

الكلمات غير القاموسية

اقتراح على المجمع العلمي العربي بدمشق

موضوع اقتراحي ايها السادة هو استمالة نظركم الى العناية بالكلمات (غير القاموسية) واعني بالكلمات (غير القاموسية) كلمات نستنكف من ايداعها قواميسنا العربية. لكننا مع هذا لانستنكف من التكلم بها وايداعها كتاباتنا أحياناً

وقد اصبحنا معشر العرب مع معاجم لغتنا تجاه امر واقع غريب الشكل: ذلك اننا نرى الوفاً من الكلمات العربية الحوشية المهجورة الاستعمال قد تبوأت من قواميسنا الصدر والمحراب. والوفاً من الكلمات الدخيلة التي نرى انفسنا مضطرين الى استعمالها قد حُرمت دخول المعاجم وطُرحت وراء الابواب. وهذا على خلاف ما عليهِ الحال في لغات الامم الراقية: فان معاجمها اليوم تتضمن من الكلمات القديم والحديث. الاصيل والدخيل وميزان التفاضل بينها انما هو استعمال البلغاء لها لا كونها اصيلةً او دخيلة: فاذا تصفحت معجم لاروس مثلاً وجدت فيهِ ازاء الالفاظ الافرنسية المحضة الفاظاً اخرى من لغات مختلفة: فتجد من اللغة العربية مثلاً كلمات (felauque) (فلك) (mesquine) مسكين (sirope) (شراب) (cable) حبل (bled) بَلَد (marabaut) مُرابط: شيخ صوفي (Jarre) جرّة (mantile) منديل (houri) حورية. في نظير ذلك من الكلمات العربية التي يحلونها المحلّ الارفع من معاجمهم. ويزينون بها خطبهم وكتاباتهم

ولا يخفى على حضراتكم ايها السادة ان الكلمات الدخيلة التي سميناها (غير قاموسية) تبقى مرذولةً سيئة الطالع ما دامت لا تذكر في معاجمنا العربية. وما دام كتّابنا المجيدون يأنفون من استعمالها خشية ان ينسب اليهم قصور. او توصم كتاباتهم بلوثة العجمة

وكل ما اريدهُ الآن من افاضلنا ان لا ينظروا الى الكلمات (غير القاموسية) نظرة ازدراء. ولا يحرّموا استعمالها على السواء. بل اقترح عليهم ان يصنفوها ثم يميزوا بين اصنافها: فصنفٌ منها يعلن مجمعنا الفتوى بجواز استعمالهِ بل بلزوم ذكرهِ في معاجمنا اللغوية الحديثة ايضاً. وصنفٌ منها يعلن عدم جواز استعمالهِ اصلاً. ثم يبين المجمع السبب في الامرين: الجواز وعدم الجواز

وها أناذا مذ الساعة اصنف هذه الكلمات تصنيفاً اوليًّا يدرك الذهن منهُ باديءَ بدء

ما هي الكلمات (غير القاموسية) التي ينبغي استعمالها . وما هي الكلمات التي يجب اطّراحها واهمالهـا

***

﴿ الصنف الاول ﴾ من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية فحّة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم : مثل فعل (تبدّى) بمعنى (ظهر) . لم تذكرهُ المعاجم بهذا المعنى . وانما ذكرتهُ بمعنى (سكن البادية) لكنهُ ورد في بيت شعر لعمرو بن معدي كرب من قصيدتهِ الدالية المشهورة المذكورة في ديوان الحماسة. والبيت هو قولهُ :

(و بدتْ لميس كانها بدر السماء اذا تبدّى)

فما رأيكم ايها السادة في هذه الكلمة غير القاموسية؟ هل يجوز لنا اهمالها بعد ان جاءت في شعر هذا العربي الصميم ؟ لكن لماذا لم تذكرها المعاجم؟ هذا شيءٌ آخر لا يتسع الوقت للبحث فيهِ . ولا اظن ان زملائي اعضاء المجمع يخالفونني في وجوب الاسراع الى اعلان الفتوى بجواز استعمال كلمة (تبدّى) وما اشبهها

﴿ الصنف الثاني ﴾ من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم . وهذا نحو (أقصَّ ، الخبر رباعيًا بمعنى (قصَّهُ) ثلاثيًا . لم تذكرهُ المعاجم لكنهُ جاء في كلام الامام الطبري المشهور ببلاغة عبارتهِ . إذ قال في تاريخهِ (جزء ٢ صفحة ١٨٤٠ من الطبعة الاوربية) (فأتيتهُ فأقصصت قصتهُ) . واظن ان السادة اعضاء المجمع يوافقونني ايضاً على اعطاء الفتوى بجواز استعمال هذا الصنف من الكلمات (غير القاموسية) . ويمكن ان نعدّ من هذا النوع إقرار العلامة اليازجي لكلمة (تخيّم) مع ان علماء اللغة لم يذكروا الاّ (تخيم) واستعمال الامام الشيخ محمد عبده لكلمة (صُدْفة) في خطبة شرحه لنهج البلاغة مكان كلمة (مصادفة)

﴿ الصنف الثالث ﴾ كلماتٌ عربية المادة . ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها في معانٍ اخر : وهي كلمات اصطلاحية فنية او ادارية : كقولهم (هيأة المحكمة) (تشكيل المحاكم) (انعقدت الجلسة) (تعريفة الرسوم) (ميزانية) (كمية) (كيفية) في نظير ذلك . وهذه الكلمات غير القاموسية أرجو من رفاقي اعضاء المجمع ان يجوّزوا استعمالها لاسيما انها كلمات اصطلاحية كما قلنا . ولكل قوم اصطلاحهم

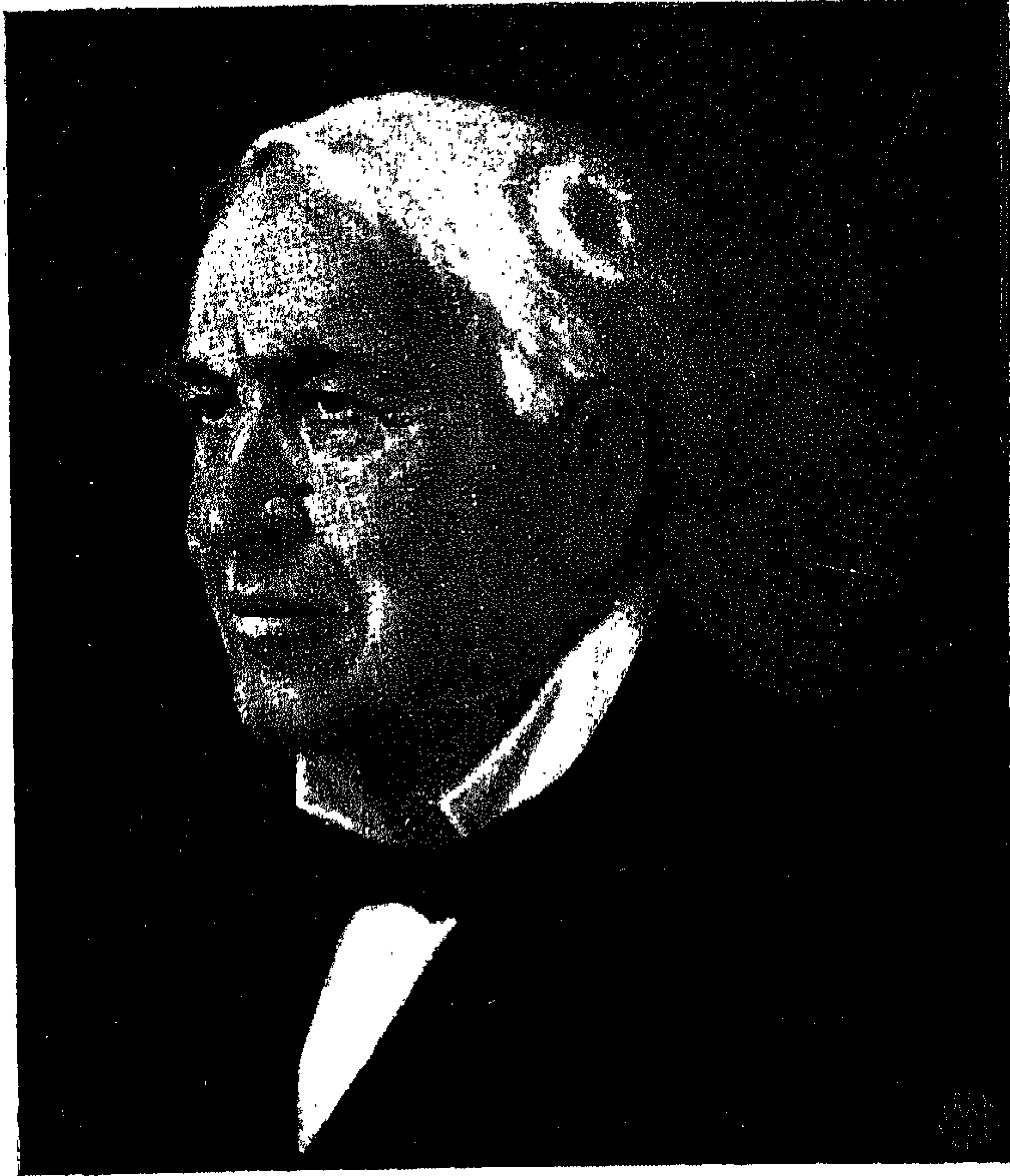
﴿ الصنف الرابع ﴾ كلمات عربية المادة . ولّدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الأولون . ولم ينطق بها فحول الكتّاب المقرمون . مثل فعل (خابره) بمعنى (راسله) و (تفرّج) على الشيء . و (احتار) في امره . (وتنزّه) في البستان وهكذا . وانا اعترف بأنني سألقى صعوبةً في حمل زملائي اعضاء المجمع على اعطاء فتوى بجواز استعمال هذا الضرب من الكلمات (غير القاموسية)

﴿ الصنف الخامس ﴾ كلمات دخيلة أعجمية الاصل منها ما هو ثقيل على اللسان نحو (اوتوموبيل) (بيبرصونالية) ومنها ما هو خفيف في السمع مثل (فِلْم) filme (بالون) Ballon . وانا على يقين ان اعضاء المجمع لا يجوّزون استعمال كلا القسمين : الثقيل والخفيف . وانما هم يوجبون العدول عنهما الى كلمات عربية تقوم مقامها او تعريبهما بكلمات ذات صيغة عربية . كما قالوا (مناورة) في تعريب كلمة manœvre وانا اوافقهم في الكلمات الثقيلة . أما الخفيفة مثل (فِلْم) و (بالون) فأرتاح الى القول بجواز استعمالها كما هي

﴿ الصنف السادس ﴾ أساليب او تراكيب اعجمية تسرّبت الى لغتنا مترجمةً عن اللغات الاوربية . وهي مما لا يعرفهُ العرب الاقدمون . وهذا كقولهم (ذرّ الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (لاجديد تحت الشمس) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك . وكلُّ هذا مما استفاض بيننا . وتعاورتهُ أقلام كتّابنا . ولا اظن ان احداً ينازع في جواز استعماله . اللهم الاّ الذين اصيبوا بالوسواس اللغوي

﴿ الصنف السابع ﴾ من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية لا يستعملها احد من الفصحاء بل يتحاشون النطق بها لعمري . وهو ما نسميه (العامي) وهذا كثير لا يجهلهُ احد . مثل كلمة (بدّي) آكل . إذهب (جيب) الكتاب . (لحَشَه) على الارض . (تعربش) على الشجرة (تحركش) بفلان الى غير ذلك . وهذا لا يجوز استعمالهُ بالطبع بل يجب العمل على تقليص ظله من بيننا تدريجاً وتعويدُ ابنائنا استعمال غيره من الفصيح الذي يصلح ان يقوم مقامهُ . هذا ما خطر لي أيها السادة في تصنيف الكلمات (غير القاموسية). ويمكن تصوّر اصناف اخرى غيرها اذ ليس القصد من هذا الاقتراح الاستقصاء وبلوغ الغاية . وانما القصد الاشارة والتلميح الى ما يجب على مجمعنا العلمي عملهُ من التسامح واعطاء الفتوى . فيما عمّت بهِ البلوى

دمشق عبد القادر المغربي



توماس اديصن

مستنبط الفونغراف والنور الكهربائي وآلة الصور المتحركة وغيرها

(نقلاً عن السينتفك اميركان)

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٤٧

من استنبط الفونغراف ؟

اديصن الاميركي او كروس الفرنسوي

دعوى جريدة الاليستراسيون الفرنسوية ورد اديصن عليها

المشهور ان اديصن استنبط الفونغراف والفن صنعهُ وصنع قوالبهِ على اسلوب تجاري ولكن جريدة الاليستراسيون الفرنسوية تقول ان الفونغراف استنباط فرنسوي وان مستنبطهُ هو شارل كروس . واليك خلاصة المقالة التي اثبتت فيها رأيها هذا قالت :

مقالة الاليستراسيون

كثر الاحتفال باعياد العلماء بعدما وضعت الحرب العظمى اوزارها وذلك حق لانهُ يمهد لنا السبيل الى تمجيد النبوغ الفرنسوي والقضاء على كثير من الاوهام وإنصاف بعض العلماء والمستنبطين الذين لم ينصفوا في حياتهم

وُلد شارل كروس في اول اكتوبر سنة ١٨٤٢ وكان ابوهُ معلماً للفلسفة فنشأ في بيت علم وفضل . وتلقى اللغتين العبرانية والسنسكريتية في كلية فرنسا ثم انضم الى جماعة من الشعراء منهم ڤرلين الشاعر الفرنسوي المشهور وقد بقي اديباً شاعراً الى حين وفاتهِ . لكنهُ لم يكتفِ بدرس الادب بل بحث في كثير من المسائل العلمية ولهُ في بعضها آثار خالدة . ففي ٧ مايو سنة ١٨٦٩ عرض المسيو ديكو ده هورون صوراً مطبوعة بالالوان على جمعية التصوير الفرنسوية وبعيد ذلك عرض كروس طريقة تماثل طريقة ده هورون لطبع الصور بالالوان وكان عمرهُ حينئذٍ ٢٧ سنة وقد استنبط طريقتهُ هذه على حدة

وفي ٣ ابريل سنة ١٨٧٧ اودع كروس في اكادمية العلوم الفرنسوية ظرفاً مختوماً فيهِ وصف آلة تدون الامواج الصوتية وتعود فتنطق بها . ونحن نعلم ان هذا الوصف لا يمنح كاتبهُ امتيازاً على غيرهِ من حيث الصناعة ولكنهُ يثبت سبقهُ الى الاستنباط

وفي ٣ دسمبر من السنة نفسها طلب كروس الى الاكادمية ان تفض الظرف ففضهُ امام جمهور من الاعضاء واذا بهِ يحتوي على اوصاف هذه الآلة . على انهُ لم يتمكن من اثارة اهتمام احد باستنباطهِ ولا كان هو يملك مائة فرنك كي يسجلهُ ويحصر امتياز صنعهِ بهِ

وفي اثناء ذلك كان اديصن مكباً على العمل . ترى أكان جاهلاً باوصاف آلة كروس؟ من المحتمل انهُ رأى اوصاف آلة كروس بالاطلاع على وقائع جلسة الاكادمية التي قرئت

فيهِ رسالتهُ. وفي ٩ ادسمبر سنة ١٨٧٧ نال اديصن امتيازاً ابتدائيًّا لفونغرافهِ ثم نال امتيازاً كاملاً في ١٥ يناير سنة ١٨٧٨ ولكن استنباطهُ لم يسجَّل في فرنسا قبل ٧ يونيو سنة ١٨٧٨ . وفي ١١ مارس سنة ١٨٧٨ كان فونغراف اديصن قد عُرض على اكادمية العلوم الفرنسوية فدوَّن عبارتين فاه بهما ممثلهُ في فرنسا وبعد ما دونهما الفونغراف نطق بهما ثانية. وكان يبدو على لفظ العبارتين خنَّة كأَنَّ الاحرف صادرة من الانف. وبلغ من دهشة بعض رجال الاكادمية ان حسبوا في هذا العمل شيئًا من الشعوذة وقال الدكتور بويان ان للتكلم من البطن شأْنًا في ذلك

وقبيل ذلك كان برندن قد اطلع على اوصاف هذه الآلة وصنع فونغرافًا صغيراً في معملهِ كان نطقهُ غير واضح كل الوضوح ولكنهُ نطق بالالفاظ التي دوّنت على كل حال

نسوق هذه الحقائق لا لننتقص اديصن . انما نريد ان نقول بان مستنبط الفونغراف هو شارل كروس وانهُ وصفهُ وصفًا مسهبًا دقيقًا لا يحتمل التأْويل

وسواء كان اديصن قد سمع عن استنباط كروس او لم يسمع فلا يستطيع احد ان ينال مكانتهُ وشهرتهُ بسوء وخصوصًا فيما يتعلق باخراج فكرة الفونغراف الى حيز العمل واتقان صنعهِ رغم المصاعب الجمة التي لقيها مع انهُ كان يرتاب في امكان اتقانهِ كما كتب بذلك الى « مجلة العالم الكهربائي» في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٧ . على ان المصاعب لم تثنهِ عن عزمهِ فاتقن صناعة الفونغراف اتقانًا عظيماً ولكن المبادئ التي بنيت عليها هذه الآلة هي المبادئ التي بسطها كروس في مذكرتهِ

ومات كروس سنة ١٨٨٨ فقيراً بعد ما قضى الشطر الاخير من حياتهِ يشتغل بالادب

ردُّ اديصن

ارسل محرر مجلة اللتررى ديجست الاميركية ترجمة المقالة السابقة التي نشرتها الاليستراسيون الى اديصن نفسهِ وطلب اليهِ ان يبدي رأْيهُ في محتوياتها فكتب الى المحرر الكتاب الآتي :

عزيزي المستر ودس

تسلمت كتابكم تاريخ ٣ يونيو وفيهِ المقالة التي تتضمن دعوى المجلة الفرنسوية بان مستنبط الفونغراف هو شارل كروس. هذه دعوى غير صحيحة كما يثبت لك من الادلة التالية

١ — خطرت على بالي فكرة تدوين الكلام وغيرهُ من الاصوات في ٢٨ يونيو سنة

١٨٧٧ واتممت الآلة التي حققت هذه الفكرة فصنعت اول فونغراف واتممتهُ في شهري اغسطس وسبتمبر من السنة ذاتها . ونجح الفونغراف الاول نجاحاً تاماً في تدوين الصوت والنطق بهِ . وقد دوّنت آلتي كلام متكلم وغناء مغنٍ وصفير صافرٍ وغيرها من الاصوات. وكان بناء الفونغراف الاول قائماً على أهم المبادئ الاساسية التي يقوم عليها بناء الفونغراف اليوم

٢ — في ٣ ابريل سنة ١٨٧٧ اودع شارل كروس ظرفاً مختوماً في اكادمية العلوم بفرنسا . وبقي هذا الظرف المختوم في خزنة الاكادمية الى الجلسة التي عقدت في دسمبر سنة ١٨٧٧ حين فُضَّ بطلبٍ خاص من المسيو كروس وقرئت الرسالة التي فيهِ امام اعضاء الاكادمية فاذا هي تحتوي على مبدإ آلة تدوّن الاصوات وتنطق بها

٣ — كانت انباء استنباطي قد ذاعت في انحاء العالم فاحدث ذيوعها دهشة واستغراباً قبل اجتماع اكادمية العلوم الفرنسوية في ٣ دسمبر سنة ١٨٧٧ . وعليهِ يلاحظ ان استنباطي للفونغراف وصنعي له سبقا قراءة رسالة كروس النظرية

٤ — في اجتماع اكادمية العلوم الفرنسوية الذي عقد في ١١ مارس سنة ١٨٧٨ عرض احد اعضائها الكونت دي مونصل فونغرافي على الاعضاء فاثار دهشتهم واستغرابهم كما يظهر من مراجعة وقائع الجلسة في دفاتر الاكادمية

٥ — لم يبلغني ان المسيو كروس صنع الآلة التي وصفها . وقد قرأت رسالتهُ بعد سنين كثيرة من صنع الفونغراف فثبت لي ان الآلة التي وصفها لا يمكن اخراجها الى حيز العمل كما هي الامضاء

***

وعلى ذكر ما تقدم نقول ان مبدأ الفونغراف خطر على بال اديصن لما كان يجرب تجاربهُ في التلفون فوضع تصميماً لهُ ودفع بهِ الى احد عمالهِ الماهرين فلما اكمل صنع الآلة اخذها اديصن الى مختبرهِ الخاص وامام جمهور من عمالهِ ومساعديهِ تلفظ بعبارة Mary had a little lamb فدُوّنت على الاسطوانة ولما أُديرت الاسطوانة سمعت كلمات اديصن فحملها الى دار السينتفك اميركان وعرضها على اصحابها ومحرريها فدهشوا. ومن ثمَّ اكبَّ على اتقان الفونغراف ويقال انهُ جعلهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسمائة واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها من وضوح الصوت وجلاء اللفظ

مواد كلية في النحو واللغة

مديون ام مدين — مظاهرة ام تظاهرة — مرسح ام مسرح

استاذي العزيز الدكتور صروف لاعدمتهُ

ان اشتغالي السنين الطويلة في درس النحو واللغة وتدريسهما يسوّغ لي ان اعرض المواد الآتية على انظاركم وانظار المفكرين في هذه المسائل والمشتغلين بها لعلّ فيها ما يلفت النظر من جديد الى هذه المباحث التي يجب ان يُنظر فيها كما يُنظر الى سائر الابحاث الادبية والاجتماعية في الوقت الحاضر اي نظراً مبنيًا على قواعد راهنة يتفق فيها العقل والنقل معًا ويُطرّح فيها كل رأي ليس فيهِ ما يقبلهُ العقل بوجهٍ من الوجوه المنطيقية المقبولة لدى اولي الفكرة والنظر الصحيح . وحسبي فيما اكتبهُ الآن ان انبّه بهِ خواطر ادبائنا وعلمائنا الاعلام المتحفزة لمثل هذه المسائل الى ملاحقة هذه الابحاث وايضاح ما غمض منها ولهم اجر المحقق المستقصي ولي اجر المنبّه المبتدي .وغاية ما اؤمّلهُ ان لا اكون قد ضللتُ السبيل المؤدّي الى نفض هذه المفازة البعيدة الارجاء والغامضتها معًا والله الموفق الى الصواب

﴿ المادة الاولى ﴾ كلّ ما عُدل عنهُ من المسائل الإعرابية لغرض ما كالاستثقال مثلاً او خلافه فالعدول جواز لا وجوب. والرجوع الى المعدول عنهُ لاقامة وزن اوحسن رصف مثلاً جائزٌ مطلقًا وكذلك اذا لم يكن الثقل على معظمهِ

مثلاً المنقوص من الاسماء المعربة كالقاضي والماشي تقدّر عليهِ كل الحركات مطلقًا للخفّة ولاسيما الضمة والكسرة فاذا احتيج اليها اي الى الحركة او لم يكن الثقل على معظمهِ عادوا الى الاصل قال بعضهم

ولو انّ واشٍ باليمامة دارهُ وداري ياعلى حضرموت اهتدى ليا

وقال آخر

يا قاضيَ الحبِّ ائئد في قتلتي فالخطّ زورٌ والشهود سكارى

قدّر الاول الحركة على « واشٍ » تخفيفًا واقامةً للوزن واظهرها الثاني على « قاضي » للحاجة اليها . ويجوز لهُ اظهارها ايضًا من غيرِ حاجةٍ لانّ الثقل ليس على اشدّهِ كما لو كانت الحركة ضمةً او كسرةً فان الذوق يأبى الرجوع اليها حينئذٍ من غير ما حاجةٍ

وكذلك الاسماء غير المنصرفة فانها تجرُّ بالفتحة ولا تُنوَّن للثقل فاذا احتيج الى الحركة والتنوين كان للمحتاج ان يرجع الى الاصل قال امرؤُ القيس

ولما دخلت الخدر خدر عنيزةٍ فقالت لك الويلات ُ انك مرجلي

احتاج الى التنوين فصرّف ونوّن

وجاءَ في افصح كلام عربيّ منثور نقل الينا تنوين « سلاسل » لغير ما حاجةٍ لان الثقل لخصوصيةٍ في اللفظة يدركها الذوق ليس هو على اشدهِ. ولو ترك قارئُ التنوين في الآية لاختلّ ايضاً حسن الرصف اختلالاً شديداً كما لا يخفى على ذي ذوقٍ

وكما جاز الرجوع الى التنوين في الاعلام غير المنصرفة للحاجة او للخفة جاز في المنصرفة منها ترك التنوين للغرض نفسهِ قال بعضهم

ادور على رضاك ولا اراهُ كاني طالب لسعيد مثلا

﴿ المادة الثانية ﴾ حرف المد المتطرّف كالياء في قاضي وساعي ويقضي وكالالف في فتى وأفتى ويسعى وكالواو في يغزُو هو عبارة عن حركة مشبعة فاذا جاء بعدهُ ساكن من تنوين او ال تعريف تُرِك الاشباع كقولهم فتى ولا كالك وفتى الفتيان وقاضي القضاة . ويقضي الله بما يشاء . وكقولك كانوا وهم في الجاهلية تغزو القبيلة اختها . كل ذلك يحذف فيهِ حرف المد لفظاً لا خطاً . هذا هو الاصل وتركُ هذا الاصل مع التنوين في مثل قاضٍ دون فتى وكذلك مع الجازم في الفعل المجزوم كلم يقضِ الدَّين الذي عليهِ لا وجه لهُ ولا مسوّغ . وتعليل النحاة ان الجازم لما لم يجد الحركة في آخر الفعل اخذ حرف العلة الشبيه بها ، تعليل لا منطق فيهِ اصلاً . وبقاء هذا التعليل معمولاً بهِ عندنا الى اليوم وصمة في منطقنا لا يمحوها الاّ محو اثرهِ من مكتوباتنا المستجدّة . والذي اراهُ هو ان نكتب المجزوم والمرفوع في مثل — لم يرى الراون — ولا يرى الراون — بصورة واحدة اي باثبات حرف العلة خطاً في الحالتين والاّ فالحذف لفظاً وخطاً اولى فيهما لاشتراكهما في العلة الواحدة وغاية ما نتساهل فيهِ ان يبقى الرسم القديم على حالهِ في المشهورات المعروفة لدى الخاص والعام ولا ارى هذه الميزة الاّ لما رسم في المصحف . واما ما سواهُ من الرسوم القديمة التي توبعوا فيها فأرى ان لكلّ رأيه اي ان يبقى على الخطإ في الرسم او يُرجع فيهِ الى الاصل كما بيّناهُ

﴿ المادة الثالثة ﴾ كل ما هو متعارف اعرابًا في لغة مشهورة كلغة تميم مثلاً او لغة الحجاز او تهامة او نجد فلكلّ ان يجري على ما يعرفهُ من هذه اللغات فتقول «ما قتل

المحبّ حراماً او حرامُ» و«ليس الطيبُ الاَّ المسكَ او المسكُ» بالاعمال او الاهمال. وقد يدخل تحت هذه المادة الجوازم والنواصب فانهُ عند الحاجة يجوز اهمالها كما يجوز اعمالها

وهنا اقول ان كل لغةٍ في الاعراب جاءت في المصحف في احدى القرآآت المعتبرة يجوز القياس عليها اطراداً في كل الباب ولاسيما عند الحاجة .ومن ذلك الوقف على آخر المضارع في الدَّرج فان القراءة وردت فيهِ وعليها قول الشاعر الصحابي « كما ارجح »

انى امرؤٌ عاهدني خليلي الاَّ أُقيم الدهر في الكبولِ
أضربْ بسيف الله والرسولِ

فانهُ وقف على المضارع في الدرج فترك علامة الاعراب ، ولما كان الشاعر من صميم العرب وفصحائهم وفوق ذلك وافق في شعرهِ ما جاء في المصحف كان لنا أَن نتابعهُ في كل صيغة مضارعٍ حيثما جاءت ولاسيما اذا كان في الوقف حسن رصف أَو اقامة وزن. وازيد فاقول ان الوقف هو الاصل وعلامة الاعراب عارضة وكان يجاء بها ابتداء لاقامة الوزن في الشعر او للغنة وما اليهما ثم اصبحت يوقى بها تسهيلاً للفهم . والعارض لا يُعدل اليهِ عدولاً وجوبيًّا الاَّ لعلتهِ التي اوجبتهُ فارجو متأملاً أَن يتأمَّل ولا يستهو بهِ قول أَعرابٍ عن اللغة لتقدم زمانهم ليس الاَّ

استطراد

يخال اليَّ ان هنا مناسبة بين ما ذكرتهُ و بين ما جاء للامام السيوطي في مزهرهِ المشهور نقلاً عن ابي زيد احد الذين نُقلت الينا اللغة عن رواياتهم قال[1] طُفتُ في عليا هوازن وهذيل اسالهم عن هذا الحرف وهو كل فعل ثلاثي مفتوح العين وليس ثانيه وثالثهُ من حروف الحلق ولا من الحرف الهاوي ? بالضم هو في المضارع ام بالكسر، فلم أَرهم يفرقون بين الحركتين بل يلفظ لافظهم كما يتهيا لهُ فيقولون ضَرَبَ يضرُبُ ونفرَ ينفرُ ونصرَ ينصرُ بالضمّ او بالكسر اه . وانا اعجب من بعضهم على علمهم واتساع مطالعاتهم كيف يضيِّقون على انفسهم وعلى غيرهم في هذه الحركة فينكرون على من يقول يضرُب بالضمّ او ينصرُ بالكسر اشدَّ النكير كأنهُ قال ما يقرب من الكفر

﴿ المادة الرابعة ﴾ في الالفاظ المشتقَّة ما وافق القياس المشهور والمتعارف هو اولى بالاستعمال من الجائز فيهِ مثالهُ

(١) نقلت هذا عن ذاكرتي واخاف ان تكون خانتني في نقل النص بحرفه فليراجع المزهر شاك وله الفضل

اسم المفعول يأتي من كل فعل ثلاثي " متعدٍ على وزن مفعول الاَّ انهُ من الاجوف قد تترك واوهُ للخفة فتنقلب صورة مفعول الى فعول او فعيل واليك بيان ذلك

تقول من صان يصون مصوُون بالاتمام على الاصل ومصون بالنقص وواضح ان لفظ مصوُن قريب في السمع من لفظ مَصوُون وفي الوقت نفسهُ هو اسهل لفظاً منهُ على اللسان واشهى في السمع ولهذا يُعْدَل اليهِ دون الاصل . وقد بيّنا فيما مرّ ان كلما عدل فيهِ عن الاصل للخفة يجوز الرجوع فيهِ الى الاصل عند الحاجة او اذا لم يكن الثقل على اشدهِ

مديون ام مدين

وتقول من الاجوف اليائي باع يبيع مبيوع فتركوا لفظ مبيوع الى مبيع ولا يتمُّ ذلك الاَّ بقلب الضمَّة كسرة بدلاً —والضمة والكسرة تتبدَّل احداها من الاخرى بكثرة— ثم بقلب الواو ياء تبعاً لقلب الضمة كسرة ثانياً فيصير اللفظ الى مبييع وهذا يقلب الى مبيع ولعلَّ لفظ مبيع اخفُّ شيئاً من لفظ مبيوع كما انَّ لفظ مصون اخفُّ شيئاً من لفظ مصوُون . ولانَّ اللفظين يردان كثيراً على الالسنة والفرق بينهما في الخفة ليس على اشدهِ جاء في الخيار من غير ما حاجةٍ استعمال الصورتين . فقالوا مصوون ومصون ومبيع ومبيوع لكن يقال بالاجمال ان الاجوف اليائي يكثر فيهِ الاتمام على الالسنة و يكثر في الواوي النقص مع بقاء الواو او قلبها ياء فتقول من دان يدين مديون بالاتمام فانهُ اكثر دوراناً على الالسنة قديماً وحديثاً . الاَّ ان بعض الادباء او معظمهم قد عدلوا مؤخراً عن استعمال مديون الى استعمال مدين ولم يحفلوا بقوانين البلاغة التي توجب اختيار المتعارف والمألوف دون غيرهِ . ومع ان هؤلاء الادباء قد اخطأُوا الاختيار في استعمالهم مدين دون مديون « على ما ارى » فيحقُّ لهم ان يعتمدوا على ذوقهم في غيرهِ فليس كل «مفعول» من اليائي يفضَّل فيهِ الاتمام ولا كل « مفعول » من الواوي يستحسن فيهِ النقص فان لفاء الفعل ولامهِ دخلاً كبيراً في ترجيح اختيار احدى الصورتين دون اختها لحسن وقعها في السمع او لسهولة التلفظ بها على اللسان

مظاهرة ام تظاهرة

رأَيت كثيرين منذ السنة التي مضت يعدلون الى تظاهرة بدلاً من مظاهرة الشائعة والمشهورة في الاستعمال ولا ارى وجهاً لهذا العدول و بيانهُ :

تقول ظاهر زيدٌ عمراً عاونهُ فتظاهرا اي تعاونا كما تقول شارك زيدٌ عمراً فتشاركا وتقول ظاهر القوم بعضهم بعضاً فتظاهروا اي تعاونوا كما تقول شارك القوم بعضهم بعضاً

فتشاركوا ولا نقول تظاهر القوم بعضهم بعضاً كما لا نقول تشارك القوم بعضهم بعضاً . ونقول اعجبني مظاهرة القوم بعضهم بعضاً ومشاركتهم بعضهم بعضاً تبعاً لفعليهما و يُستغنى ايضاً في المثالين عن ذكر « بعضهم بعضاً » ولا نقول اعجبني تظاهرة القوم ولا تشاركتهم بدون اتباع المثالين بقولنا « بعضهم بعضاً او بعضهم لبعض » لان المظاهرة كفعلها خاصة بالتعاون فيستغنى معها بالاضافة عن القيد.واما التظاهرة فاذا لم تقيد احتملت كفعلها معنى التعاون او التدابر لان قولنا تظاهر القوم بالاطلاق اي بدون قيد يجوز فيهِ فهم معنى المعاونة ومعنى التدابر والمقاطعة فلا بدَّ اذن من القرينة لتعيين معنى المعاونة كان نقول تظاهر القوم على عدوّهم بخلاف المظاهرة فانها خاصة بالمعاونة مطلقاً فلا تحتاج الى ذكر القرينة

و بناء على كل ما مرَّ اري انهُ يجوز استعمال مظاهرة مطلقاً لعدم الخطإ في استعمالها ان من جهة اللفظ او من جهة المعنى واما تظاهرة فلا يجوز استعمالها اصلاً للخطأ الفكري الذي قد لا نفطن لهُ فيُسرَع مع الغفلة عنهُ الى تجويز مالا يجوز الاَّ اذا نخعنا اللفظ عما هو موضوع لهُ اعتباطاً . وفوق كل ذي علم عليم

مرسح أم مسرح

وما اراهُ يقرب من باب مظاهرة وتظاهرة ما ذاع مؤخراً من استعمال مسرَح بدلاً من مرسح واستعمال كلا اللفظين للمعنى المراد بهِ اليوم هو من باب النقل المبنيّ على المجاز اي استعمال الاصل فيما هو ملابس لهُ او فيما هو شبيه بهِ فلننظر في اللفظين ايهما اولى من صاحبهِ في المعنى الذي نُقل اليهِ

ان لفظ مرسح معروف الاستعمال في الشام كلها بمعنى الفسحة الواسعة في القرية يجتمع فيها الناس ايام افراحهم واعيادهم ليلاً او نهاراً فيلعب اللاعبون و يرقص الراقصون و يتبارى المتبارون حتى و يمثّل الممثلون في هذه الفسحة ويجلس غيرهم حواليهــا من كل الجهات او من اكثرها يتفرَّجون وقد يكون في القرية عدة فسح كعدد الحارات تقام فيها هذه المراسح (١) . والفرق بينها و بين ما يسميهِ الادباء الآن بمسارح التمثيل (عدولاً عن مراسح) انما هو في ان المرسح القديم فسحة من الارض لا بناء عليها والمسرح الجديد عليهِ

(١) المرسح في الاصل للفسحة اي المكان ويجوز استعماله لما يقع فيه لانه من ملابساته التي تدرك بادراكه

بناء . واذا راجعنا تاريخ هذه المراسح او (المسارح) الى اول نشأتها عند اليونان رأيناها كالمراسح الباقية في اغلب قرانا الشامية الى اليوم. والمشابهة ظاهرة كل الظهور بين الحالة الاولة للمرسح والحالة الثانية التي نُقل اليها وكذلك الغرض منها . اذن فنقل استعمال لفظ المرسح الى صورتهِ المستجدة لا غبار عليهِ — الاَّ ان يُرجع الى الحصن الحصين لبعضهم — اعني « لم يرد » اولم ينقل في معاجم اللغة

وهنا نسأل هل نُقِل لفظ مسرح في المعاجم لهذا المعنى او لشبيهٍ بهِ. الجواب : لا اظنُّ انَّ منصفاً يجيب بالايجاب عن هذا السؤال . اذن فلنرجع الى اصل معنى الفعل المشتقّ منهُ لفظ المسرح

جاء في محيط المحيط سرح المالُ يسرَح سامَ أي رعى بنفسهِ. وسرح الراعي المواشي سرحاً اسامها أي ارسلها ترعى. يتعدّى ولا يتعدّى .وسرح الرجل «سلح». و بولهُ انفجر. وما في صدرهِ اخرجهُ وفلاناً ارسلهُ وسرَّح الراعي المواشي اسامها . والسارح اسم فاعل والماشية مونثهُ سارحة

وانت ترى ان ليس في معاني الفعل ما ينطبق بل ولا يناسب ان ينطبق على المعنى المشتقّة لهُ هذه الصيغة اذن فلكي يصح استعمال المشتق يجب ان نستعمل الفعل في معنىً لم يرد لهُ استعمال اصلاً فبالاولى أن يكون المعنى المراد لمشتقهِ لم يرد ايضاً اولم يُنقل فهو اذن ولفظة مرسح سواء من هذا القبيل اي انَّ كلاًّ منها « لم يرد » لكن لمرسح قدْمية وشيوع ليستا لمسرح فضلاً عن ان لفظ مرسح خاصّ ولفظ مسرح مشترك بين معانٍ كثيرة و بعضها يؤنف من تصوّرها اذا احضرها الذهن امامهُ

واز يد فاقول انّ لفظ مرسح من الاوزان العربية القحّة ولهُ في الأستعمال مئات السنين شائعاً عاماً في قطر عربي كان ولا يزال جزءاً من صميم البلاد العربيّة منذ اقدم الايام الى اليوم بل ارجح انهُ معروف ايضاً في مصر والعراق بالمعنى الشائع والمعروف في طول بلاد الشام وعرضها

وهذا القدر يكفيني الآن. ولعلي اعود الى متابعة الموضوع اذا مكّنتني صحتي ورأيت عند الادباء ومحبي اللغة اهتماماً يزيد من رغبتي في الكتابة والسلام

سوق الغرب لبنان جبر ضومط

مقاييس الذكاء

مباحث طريفة في فلسفة الاحداث العقلية

ومعرفة صفات النوابغ في حداثتهم

الوالدون في كل امة والمعلمون ورجال الدولة القائمون على تدبير امورها يهمهم ان يعرفوا كيف يميّز الولد النابغة من الولد الابله او من الولد المتوسط الذكاء لانهم اذا عرفوا ذلك عرفوا كيف يختارون الاذكياء المتفوقين فيعنون بتعليمهم وتثقيفهم عناية خاصة لانهم مرتجى الامة في غدها وتاريخ الامم انما هو تاريخ النوابغ من ابنائها

كنا نفكر في مسألة الامتحانات المدرسية فوقعت بين يدينا مجلة اميركية تحتوي مقالة نفيسة في مقاييس الذكاء كتبها احد كتاب اميركا المعروفين المستر البرت وِجَمْ بعد حديث طويل دار بينهُ وبين الاستاذ ترمن رئيس دائرة الفلسفة العقلية في جامعة ستانفرد بكاليفورنيا فآثرنا ان ننقل اهم ما جاء فيها لما ابدتهُ الصحف في هذه الآونة من الاهتمام بنتائج الامتحانات المدرسية وأثرها في التعليم العام

***

تخرج الدكتور ترمن سنة ١٩٠٥ بلقب دكتور في الفلسفة من جامعة كلارك وكان من الامور التي استرعت انتباههُ البحث في اسباب النبوغ والبلَهِ والصفات التي يمتاز بها النوابغ والبلْه والطرق الى قياس درجات الذكاء قياساً يعتمد عليهِ . وبعيد تخرجهِ اصدر العالِم الفرنسوي الفرد بينه Binet كتاباً بسط فيهِ طريقتهُ في قياس عمر الاطفال العقلي بالنسبة الى عمرهم الحقيقي فكان ترمن من اول السيكولوجيين الذين ادركوا قيمة هذه الطريقة فاقبل عليها يدرسها ويمتحنها ويدخل عليها ما يتراءى لهُ من وسائل الاتقان والتحسين . وسنة ١٩١٦ اصدر كتاباً بسط فيهِ نتيجة الامتحانات التي امتحن بها عقول مئات والوف من الاطفال والبالغين في كل انحاء الارض وذكر ما يجب ادخالهُ على طريقة بينه حتى تفي بالمرام . ولما أُستعملت طريقتهُ في اثناء الحرب الكبرى في الجنود الاميركيين ثبتت صحة الاعتماد عليها لان اكثر الجنود الذين أُمتحنوا كذلك تصرفوا تصرفاً دلت عليهِ نتائج الامتحان من قبل. ثم انقضت عليهِ خمس سنوات اخرى يبحث في اثنائها مباحث طريفة في هذا الموضوع واصدر كتاباً دعاهُ « مباحث في النبوغ » جمع فيهِ خلاصة الامتحانات الدقيقة

لالف تلميذ من النوابغ . وكان على اثر مطالعة هذا الكتاب ان عزم المستر وجّم كاتب هذا المقال ان يسافر من شرق الولايات المتحدة الى غربها للاجتماع بصاحبهِ والتحدث اليهِ وكانت المقالة التالية خلاصة ما عرفهُ الكاتب في هذا الاجتماع

كان السؤال الاول الذي وجههُ اليهِ « ما هي غايتك من هذه الامتحانات ؟ اتريد ان تختار اذكى الاحداث في ولاية كاليفورنيا »

فقال الدكتور ترمن كلاَّ كنا نريد ان نجد بضع مئات من الاطفال الاذكياء في كل طبقة من طبقات الاجتماع في كاليفورنيا في البيوت والمدارس والمعامل لكي نستخلص من مباحثنا فيهم اصدق الصفات التي يتصف بها الاذكياء في حداثتهم. ومن ثم يستطيع الوالدون ورؤساء المدارس ومديرو المعامل ان يجروا عليها في قياس ذكاء اولادهم او تلاميذهم او عمالهم . ومن الاغراض التي وضعناها نصب عيوننا متابعة هؤلاء الاطفال الى ان يبلغوا الاربعين او الخمسين من العمر ومقارنة ما اصابوهُ في حياتهم واعمالهم من نجاح او فشل بما دوّناهُ عنهم في طفولتهم. والغاية الثالثة من تجاربنا هذه هي استنباط وسائل فعالة لتعليم الاذكياء المتفوقين وتهذيبهم في البيت والمدرسة

وعليهِ ذهبنا الى كل مدارس الحكومة في ثلاث مدن مختلفة من مدن كاليفورنيا حيث يجتمع تلاميذ من كل الطبقات الاجتماعية الغنية والمتوسطة الحال والفقيرة ، طبقات العمال والتجار والقسوس والمعلمين والاطباء وغيرهم وعددهم في المدارس التي طرقناها كان مائتين وخمسين الفاً

فاخترنا اولاً ٦٤٣ تلميذاً يتراوح عمر الواحد منهم من ست سنوات الى ١٣ سنة منهم ٣٥٢ فتىً و ٢٩١ فتاة . ثم اخترنا فريقاً آخر عددهُ ٣٠٩ تلاميذ سنهم اكبر من سن الفريق الاول منهم ٢٠٠ فتى و ١٠٩ فتيات . ويهمني كثيراً ان تلاحظ ان عدد الفتيان الاذكياء الممتازين بذكائهم يفوق عدد الفتيات. ثم اخترنا فريقاً ثالثاً مؤلفاً من ٢٦ تلميذاً يمتازون امتيازاً خاصًّا باحد الفنون كالموسيقى او الرسم او غيرهما

فكان مجموع الاولاد الذين اخترناهم من ٢٥٠ الف تلميذ ٩٧٨ تلميذاً . وزد على ذلك اخترنا فرقاً مختلفة من التلاميذ المتوسطي الذكاء لكي نقيس ذكاءهم ونقارن نتائج هذا القياس بنتائج قياس الاذكياء المتفوقين فوجدنا بعد الامتحان والقياس والمقارنة حقائق جديدة كثيرة لا بدَّ ان تجد سبيلاً الى برامج التعليم واساليب التهذيب

فقال المستر وجم وكيف اخترتم التلاميذ المتفوقين؟ لا شك ان البحث عن التلاميذ الاذكياء المتفوقين في ذكائهم حافل باللذة العقلية

— انهُ حافل باللذة العقلية و بالمفاجئات الغريبة ايضاً ! ففي كل بحث من مباحثنا كنا نعثر على حقائق جديدة لم تكن في الحسبان

لا يخفى عليك ما يراد « بحاصل الذكاء »[1] ان الاطفال الذين حاصل ذكائهم ٦٥ اي ان عمرهم العقلي ادنى من عمرهم الحقيقي نحسبهم ضعاف العقول . ولا يخفى ايضاً ان حاصل الذكاء في أكثر الاولاد هو حول المائة اي ان عمرهم العقلي يساوي عمرهم الحقيقي. واما الاطفال الذين حاصل ذكائهم فوق المائة فهؤلاء لهم ما يمتازون بهِ على متوسطي الذكاء . وعليهِ اتخذنا قاعدة لنجار بنا البحث عن اطفال حاصل ذكائهم ١٤٠ او اكثر اي ان الفتى الذي عمره الحقيقي ١٠ سنوات منهم يجب ان يجيب عن اسئلة لا يجيب عنها عادة الا فتى في الرابعة عشرة من العمر. وقد بلغ حاصل الذكاء لبعض هؤلاء الاطفال ١٨٠ او ١٩٠ وهذا يدل على مقدرة عقلية نادرة . فالمرجح عندي ان كبار الرجال في التاريخ كملتن وغوته ونيوتن وغلتن وهملتن و باستور وامرسن ودكنز واغاسز وغيرهم لو قيس حاصل ذكائهم في طفولتهم بمقاييسنا لتراوح بين ١٨٠ و ٢٠٠ ولدي امل كبير ان ينشأ من التلاميذ الذين اخترناهم على هذا الاساس نوابغ في الادارة والسياسة والعلوم والفنون . وحينما تنقضي عليهم ٢٥ سنة في ميدان الاعمال نقارن ما بلغوهُ من المقام في اعمالهم المختلفة بما توقعناهُ لهم

فقال المستر وجم ولكنني لم افهم حتى الآن كيف اخترتم هؤلاء التلاميذ اي كيف عينتم لكل منهم حاصل ذكائهِ. هل اعتمدتم على ما قالهُ عنهم والدوهم او معلموهم او رؤساؤهم

— كلاَّ لم نعتمد على ما قالهُ هؤلاء لانهم في الغالب يخطئون. قد يقول لك المعلم عن احد التلاميذ انهُ لا يفوق غيرهُ ذكاءً ولدى البحث تجد ان حاصل ذكائهِ من درجة رفيعة جداً والسبب في عدم ظهورهِ ان اكثر رفاقهِ مثلهُ في الذكاء اواقل منهُ قليلاً . وعليهِ

---

(١) « حاصل الذكاء » اصطلاح عربي ترجمنا به الاصطلاح الانكليزي Intelligence Quotient ترجمة حرفية و يراد به ما يأتي : فتى في العاشرة يستطيع ان يجوز امتحاناً عقلياً لا يجوزه عادة الا فتى في الثالثة عشرة فعمر هذا الفتى العقلي ١٣ ولكن عمره الحقيقي ١٠ سنوات فحاصل ذكائه هو الحاصل من قسمة عمره العقلي وهو ١٣ على عمره الحقيقي وهو ١٠ أي ١٫٣٠ ولتسهيل العمل يضرب بالفاصلة عرض الحائط ويقال حاصل ذكائه ١٣٠

وجب علينا ان نبتكر اسئلة نوجهها الى التلاميذ في الاعمار المختلفة وعلى نتائج هذه الامتحانات بنينا اختيارنا

ارسلنا الى المدارس اوراقاً ليكتب في كل منها اسم التلميذ وعمرهُ وفرقتهُ ودرجتهُ من الذكاء حسب رأي المعلم . وفيها حذرنا المعلمين لكي لا يبنوا احكامهم في ذكاء التلاميذ على علاماتهم المدرسية العادية وقلنا ان من الصفات التي يجب ان يتجه اليها نظر المعلم حين تقدير ذكاء تلميذهِ صفات السرعة والدقة والابتكار والادراك وتشوقهُ لمعرفة الحقائق وكشف الاسرار وقابليتهُ لتعلّم اللغات واستخدامها في التعبير عن افكارهِ واستقلالهُ في الرأي ومقدرتهُ على التدبر واتباع مقتضيات الامور . وحذرناهم ايضاً من الخطإ في الانقاص من شأن فتى ذكي لانهُ خجول او غير مجتهد او غير حسن السلوك . ثم طلبنا اليهم ان يذكروا دائماً اصغر التلاميذ سنّاً في كل فرقة من الفرق لاننا وجدنا صغر السن من افضل المقاييس واصحها . فمن التلاميذ الذين انتخبناهم وجدنا ان عشرين في المائة منهم كانوا اصغر الاولاد سنّاً في فرقهم المختلفة

هكذا اختار لنا المعلمون جمهوراً كبيراً من تلاميذهم وقسموهُ الى ثلاث فرق حسب درجات التفوق فوجهنا الى هؤلاء الاسئلة التي اعددناها ومنهم اخترنا ٩٧٨ تلميذاً فتىً وفتاة بلغ حاصل ذكاء التلميذ منهم ١٤٠ او اكثر

فقال المستر وجَم . ولكن ما هي المسائل التي وجهتموها اليهم وعليها بنيتم حكمكم ؟

—الامتحان طويل ومعقد ولا استطيع ايجازهُ في نصف ساعة او في مقالة ولكننا جرينا في امتحانهم على طريقة بينه وطريقتنا وكل الذين كان حاصل ذكائهم دون ١٤٠ صرفنا النظر عنهم . ثم عنينا بجمع المعلومات عن الباقين في سلسلة من الامتحانات والاسئلة . فالامتحان الاول كان يحتوي اولاً اسئلة نعرف بها مقدرة التلميذ في الدروس التي تلقاها في المدرسة . واضفنا اليهِ امتحاناً آخر امتحنا بهِ ما يعرفهُ من حقائق العلم والتاريخ العامة . ثم امتحاناً آخر عرفنا بهِ ما يعرفهُ عن الالعاب والملاهي المختلفة وما يهمهُ منها

وفي القسم الثاني من هذا الامتحان اسئلة يجيب عنها التلميذ فنعرف من اجوبتهِ الامور التي تهمهُ في الحياة والتي يلتذ بها وطلبنا الى كل تلميذ ان يدون مدى شهرين كاملين كل ما يقرأُهُ من الكتب او الروايات وما هي الامور التي تترك اثراً كبيراً في نفسهِ اي طلبنا اليهِ ان يكتب يوميتهُ لنعرف منها ما يخالج نفسهُ وعقلهُ من الامور

ثم طلبنا الى والدي الاولاد ان يجيبوا عن اسئلة كثيرة تتعلق باولادهم وطرق

معيشتهم وكل ذلك بإسهاب يكاد يكون مملاً

وبعد ما جمعنا كل هذه الحقائق اجتمع لدينا نحو مائة صفحة مطبوعة عن كل ولد من الاولاد الذين اخترناهم اي اجتمع لدينا نحو مائة الف صفحة اخذناها وبوبناها وحفظناها في خزانة الجامعة وعلى هذه الحقائق بنينا المجلد الاول الذي قرأت وسنصدر قريباً مجلداً اخر على نمطهِ

***

وبعد ما بسط الاستاذ ترمن طريقتهُ في اختيار الاذكياء وغايتهُ من ذلك طلب اليهِ محدثهُ ان يذكر بعض الاسئلة البسيطة التي يستطيع ان يوجهها الوالدون الى اولادهم ليعرفوا بها شيئاً عن درجة ذكائهم . فقال الدكتور ترمن « ان امتحان الذكاء وقياس درجتهِ امر معقد لا يستطيع ان يقوم بهِ الأ من تعودهُ وتمرّن عليهِ تمريناً خاصًّا». ولكنهُ مع ذلك ذكر اسئلة نشير الى بعض ما يسهل تطبيقهُ منها على ابناء الضاد

ان طفلاً في السابعة من عمرهِ يجب ان يكون قادراً على عقد عقدة مزدوجة كعقدة الحذاء مثلاً في دقيقة واحدة . فاذا استطاع ان يفعل ذلك وهو في الرابعة من عمرهِ قلنا ان عمرهُ العقلي ثلاث سنوات فوق عمرهِ الحقيقي . كذلك يجب ان يكون طفل في الثامنة من عمرهِ قادراً على عدّ الارقام من العشرين الى الواحد عكساً في اربعين ثانية لكن بعضهم لا يتمكن من ذلك قبل بلوغهِ العاشرة او الثانية عشرة . فهؤلاء متأخرون او ضعاف العقول . واذا ارَيْت طفلاً في السادسة صورة رجلٍ ينقصها عضو من اعضاء وجههِ مثلاً وجب عليهِ ان يميز العضو الناقص في الحال

ومما لا بدّ من ذكرهِ هنا ان ولداً يفشل في الاجابة عن هذه الاسئلة وامثالها لا يجب ان يُتَّخذ فشلهُ دليلاً على ان النجاح غير مقدور لهُ في الحياة. لان كل احدهما كان ذكاؤهُ الفطري متوسطاً قد يدرك نجاحاً لا يدركهُ المتفوق اذا كان متخلقاً بالعزيمة والمثابرة وعليهِ فنحن لا ندعي اننا نختار الذي ينالون نجاحاً في الحياة ولكن اسئلتنا لا شك تهدينا الى اختيار الاذكياء

قد يعترض بعض القراء على ان اسئلة بسيطة من هذا القبيل لا يمكن ان نقيس ذكاء الاطفال الفطري . ولكن التجارب التي تشمل ملايين الاطفال في مختلف الاعمار اثبتت ان قياس الذكاء الفطري ممكن بتوجيه هذه الاسئلة البسيطة وما هو من قبيلها ومقارنة الاجوبة عنها بعضها ببعض. فلقد ثبت ان اعادة عدد من الاعداد عكساً تستلزم من الذكاء

اكثرها تستلزمهُ اعادتهُ طرداً. ان طفلاً في السابعة من عمرهِ متوسط الذكاء يجب ان يكون قادراً على ان يعيد طرداً عدداً مؤلفاً من خمسة ارقام بعد ذكرهِ مرة امامهُ وفتى في العاشرة يجب ان يعيد طرداً عدداً مؤلفاً من ستة ارقام . بيدَ ان فتى في السابعة لا يستطيع ان يعيد عدداً عكساً اذا زاد عن اربعة ارقام وفتى في الثانية عشرة لا يستطيع ان يعيدهُ اذا زاد عن خمسة ارقام والمتقدم في السن لا يستطيع ان يعيد عدداً عكساً اذا زاد عن ستة ارقام . امتحن ايها القارئ اصدقاءك ، فاذا وجدت بينهم من يستطيع ان يكرر عكساً عدداً مؤلفاً من سبعة ارقام او ثمانية فهذا دليل واحد على ان هذا الصديق على درجة عالية من الذكاء

ونوع الاسئلة التي وضعناها لامتحان الصغار لا يعتمد عليها كثيراً في امتحان ذكاء المتقدمين في السن. على ان العمر العقلي لرجل متوسط الذكاء لا يزيد في الغالب عن سن فتى في الرابعة عشرة . خذ المسئلة التالية والقها على احد اصدقائك فاذا حلها في اقل من خمس دقائق كان ذلك دليلاً على ان عمرهُ العقلي اكثر من عمر فتى في الرابعة عشرة

المسألة : ارسلت ام ولدها الى النهر ومعهُ دلوان احدهما يسع ٥ لترات من الماء والثاني يسع ٣ لترات من الماء وطلبت اليهِ ان يجيئها بسبعة لترات تماماً . فكيف يستطيع ان يعود اليها بما طلبت

واليك مسألة تستطيع ان تمتحن بها ادراك طفل في العاشرة من العمر . قل للولد سأقرأ جملة فيها شيء من التناقض السخيف فاصغِ اليها ودلني على وجه التناقض فيها ثم اقرأ الجملة التالية بصوت هادئ ومن غير نبرات خاصة على كلمات دون اخرى

الجملة : قال لي احد اصدقائي اعرف طريقاً تصل بين داري والمدينة وهي شديدة الانحدار في كلتا الجهتين من الدار الى المدينة ومن المدينة الى الدار

فاذا كان الولد ذكياً ابتسم للحال و بيَّن وجه التناقض في الكلام . وهذا النوع من الاسئلة من اصدق الوسائل لامتحان سرعة الادراك . ويماثلها في ذلك الاسئلة التي يطلب فيها من الفتى معرفة وجوه الشبه . والصغار اسرع الى معرفة وجوه الاختلاف منهم الى معرفة وجوه الشبه . اسأل فتى في السابعة من العمر : ما الفرق بين ذبابة وفراشة او ما الفرق بين حجر و بيضة او بين قطعة خشب وقطعة زجاج . فاذا اشار الى فوارق مهمة اساسية كان ذلك دليلاً على ذكائهِ . اذا قال مثلاً ان اجنحة الفراشة اكبر من اجنحة

الذبابة كان جوابهُ حكيماً اما اذا قال ان للذبابة ارجلاً وليس للفراش ارجل فهذا دليل على ضعف قوة الملاحظة فيهِ

ومن مقاييس الذكاء عرض صور على الاولاد في اعمار مختلفة فاذا كان الولد الذي تعرض عليهِ الصورة في الثالثة من عمرهِ طُلب اليهِ ان يذكر ثلاثة اشياء يراها امامهُ واذا كان في السابعة طلب اليهِ ان يذكر ما رآهُ في الصورة بعد ازالتها من امامهِ واذا كان في الثانية عشرة طلب اليهِ ان يدرك مدلولها وان يعلّلهُ .. ثم هناك مقياس آخر وهو ما يعرفهُ الفتى من مفردات لغتهِ فقد وجدنا ان ما يعرفهُ الطفل من مفردات لغتهِ من اصدق المقاييس لذكائهِ

يتضح لك مما تقدم تشعب هذه الامتحانات وتعقدها ولكل سن خاص مجموعة خاصة من المسائل . فاذا نجح فتى في الثامنة من العمر في الاجابة اجابة صحيحة عن كل المسائل الخاصة بعمرهِ وعن ثلاث من المسائل الخاصة بالذين في التاسعة من العمر وعن مسألة واحدة من المسائل الخاصة بالذين في العاشرة من العمر حسبنا عمرهُ العقلي ثمانية سنين وثمانية أشهر وحاصل ذكائهِ ١٠٨

***

ومن هذه الامتحانات ما نعرف بهِ ميول الممتحَن الادبية وصفاته الاجتماعية عدا عن درجة ذكائهِ .وقد وضع فولكر رئيس احدى كلياتنا مجموعة من الاسئلة القصد منها امتحان خلق الاولاد فطبقنا هذه الاسئلة على الاولاد الاذكياء الذين اخترناهم وقصدنا ان نعرف هل « الولد الذكي اقرب الى ان يكون فاسداً من الولد المتوسط الذكاء او الولد الضعيف العقل وهل الفتاة الذكية اقرب الى مهاوي الحياة من الفتاة المتوسطة الذكاء » اردنا ان نمتحن ذلك لان العامة تعتقد ان اكثر النوابغ كانوا على جانب كبير من فساد السيرة والاخلاق وان الذكاء المفرط سبيل الى الانحطاط الخلقي

و يسرّني ان اقول ان كل مباحثنا اثبتت خطأ ما تعتقدهُ عامة الناس. فمن الامتحانات البسيطة امتحانٌ الغرض منهُ قياس صفة الصدق في الممتحَن. فاكثر التلاميذ يريدون ان يظهروا بانهم يعرفون اموراً كثيرة رغم جهلهم لها . وهذا شكل من الكذب كثير الانتشار . فوجهنا الى كل منهم الاسئلة الآتية أو ما هو من قبيلها

هل تعرف من كشف اميركا ؟ هل تعرف من نقل كتاب كليلة ودمنة الى العربية؟ هل تعرف اسم النبي الذي قضى ليلة في جب الاسود ؟ هل تعرف اسم اول رجل طار الى القطب الشمالي بالطيارة ؟

فاذا اجاب الممتحَن انهُ يعرف كل ذلك وجب علينا ان نعرف مبلغ صدقهِ فيما يدعي فنحول الاسئلة ذاتها ونوجهها اليهِ على الطريقة التالية

من كشف اميركا — مجلان ام كوك ام كولمبوس ام درايك ام ڤاسكودي غاما

من نقل كتاب كليلة ودمنة الى العربية — الجاحظ ام ابن المقفع ام الحريري ام الخوارزمي

من هو النبي الذي قضى ليلة في جب الاسود — داود ام يونان ام دانيال ام حزقيال

من هو اول رجل طار الى القطب الشمالي بالطيارة — لندبرغ ام تنجسر ام بِرد ام تشمبرلين

فاذا عرف الاسم الحقيقي في كل منها عرفنا انهُ صادق فيما يدعي لا يكذب على نفسهِ واما اذا كان قد كذب في الجواب عن الاسئلة الاولى عرفنا ذلك حين يجيب عن الاسئلة الثانية

طبقنا هذه الامتحانات الادبية على ٥٣٢ فتىً وفتاة من الاذكياء الذين اخترناهم وعلى فرقة اخرى تتألف من ٥٣٣ فتى وفتاة متوسطي الذكاء فثبت لنا ان الاذكياء اظهروا تفوقاً ادبيًّا اخلاقيًّا على المتوسطين سواء منهم الفتيان والفتيات . وفي كلّ امتحان اظهر الفتيات تفوقاً ادبيًّا على الفتيان الاَّ في الامتحان الخاص « بقياس صفة الامانة » فان الفتيان في كلا الفريقين تفوقوا على الفتيات

وثبت لنا من هذه الامتحانات ايضاً ان الفتيان يتعرضون لفساد السيرة بين السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمرهم . وهذا يدلك على ان الفتيان يكونون في هذا العمر في اشد احتياج الى عطف والديهم ومعلميهم وارشادهم لكي يجتازوا هذه التجاريب من غير ان يتخطوا بمفاسدها . وثبت ان الفتيات يكنَّ دائماً على تقدم مستمر في آدابهنَّ وهذا مما يبعث على السرور . والنتيجة العامة التي وصلنا اليها في هذه الامتحانات الادبية هي ان والدي الابناء الاذكياء يجب ان لا يحسبوا ذكاء اولادهم سبباً يدفعهم الى مهاوي الفساد لانهُ ثبت ان خلق الفتى الذكي متى كان في التاسعة من العمر يعادل خلق فتى متوسط الذكاء في الرابعة عشرة

ثم سرد الدكتور ترمن حوادث كثيرة دلت فيها الامتحانات التي من هذا القبيل على مقدرة الممتحَن الحقيقية فاخذ في انمائها وتهذيبها حتى بلغ شأواً بعيداً من الشهرة والنجاح. ووعد المستر وجم بنشر مقالة اخرى عن افضل الوسائل في تعليم الاذكياء وتهذيبهم سنأتي على خلاصتها في عدد تالٍ

الطيران التجاري بين اميركا واوربا

اراء الثقات المجرّبين

« تقدم طيرانُ بلريو من كاله الى دوفر انتظام السفر الجوي بين لندن و باريس ومهد لهُ السبيل . وتقدم طيران الملازم مينارد من نيو يورك الى سان فرنسسكو انتظام البريد الجوي السريع بينهما ومهد لهُ السبيل . وتقدم طيرانُ الكوك وهوكر وريد المحفوف بالمخاطر طيرانَ لندبرغ وتشمبرلين ومهد لها الطريق . وتقدم طيرانُ فدرين وكوبهام وضباط الجيش الانكليزي في مصر والعراق انتظامَ السفر الجوي بين هليوبوليس وبغداد واثبت امكان انتظامهِ بين لندن وهليوبوليس . ومن يدري فقد يكون طيران كوبهام الى مدينة الكاب اولاً ثم من لندن الى استراليا ثانياً ، وطيران امندصن ونوبلي من سبتسبرجن الى الاسكا ، وطيران لندبرغ وتشمبرلين من اميركا الى اوربا ، وطيران المركيز ده بنيدو من روما الى اميركا الجنوبية وطيران كوست من باريس الى طوبولسك — قد تكون كل هذه الرحلات الجوية مقدمة لانتظام خطوط السفر الجوي البعيد المدى فترتبط البلدان المختلفة باسباب سريعة للمواصلات يصح الاعتماد عليها . بل نتجاوز حدَّ التخمين الى حدّ الترجيح بانها ستكون كذلك » . اقتطفنا العبارة المتقدمة من المقالة التي صدّرنا بها مقتطف يوليو الماضي وقد صحّ ما توقعناهُ فيها واخذت الصحف الاميركية تلهج بذكر خط جوي منتظم بين اميركا واوربا كما يتضح لك من اراء الثقات التي لخصناها فيما يلي :

رأي الكولونيل لندبرغ

اول من طار من نيو يورك الى باريس

يرى لندبرغ ان الطريق الطبيعية للانتقال — هي طريق الهواء وقد جاء في مقالة كتبها في جريدة نيو يورك تيمس ان انشاء خط جوي منتظم لنقل الركاب من اميركا الى اوربا امر عملي لا مندوحة عنهُ . وان الطيارات التي تستعمل في هذا الخط يجب ان تجهز الطيارة منها بمحركات كثيرة وان يبنى لها في عرض البحر محطات تنزل فيها لتتمون بنزيناً وانهُ ينتظر ان ينشأ هذا الخط الجوّي المنتظم بين سنتي ١٩٣٢ و١٩٣٧

ثم تناول في مقالتهِ موضوع المحطات البحرية فقال ان انشاء هذه المحطات حتى تفي بالمرام اعقد المشاكل التي تحول دون انتظام الطيران التجاري بين اميركا واوربا لانها يجب ان تكون جسيمة حتى تستطيع الطيارات ان تنزل على سطحها وان تحتوي على كل اسباب الراحة والرفاهة الحديثة لكي يأوي اليها الركاب ، والصعوبة الكبرى في سبيل انشائها هي بناؤها حتى تقوم بهذا العمل قياماً منتظماً في اشد العواصف التي تثور فوق عباب الاتلنتيكي فتقيمهُ وتقعدهُ .. ثم قال : كيف تنشأ هذه الجزر وما هي القواعد الهندسية التي تبنى عليها امرٌ لا استطيع ان اتكهن بهِ الآن ولكنني واثق كل الثقة من النجاح في بنائها متى تقدم الطيران تقدماً جعل وجودها لا مندوحة عنهُ

رأي المستر كلارنس تشمبرلين

اول من طار من نيويورك الى قرب برلين

يرى المستر تشمبرلين ان لا داعي لوجود محطات في عرض البحر تنزل عليها الطيارات وتتمون من بنزينها . بل يعتقد ان الامر الاهم في ترقية الطيران هو المثابرة على التجربة والامتحان حتى تصنع طيارات يزيد مقدار محمولها بالنسبة الى القوة التي تسيّرها عن محمول الطيارات التي تصنع الآن . ففي اثناء الحرب الكبرى كانت الطيارات تحمل رطلاً من البريد مسافة مائتي ميل او ثلاثمائة ميل مقابل ما قوتهُ حصان واحد من قوة محرّك الطيارة . اي ان طيارةً قوة محركها ٢٠٠ حصان كانت تحمل ما زنتهُ ٢٠٠ رطل من البريد مسافة ٢٠٠ ميل الى ٣٠٠ ميل. اما الآن وقد انقضت سنوات عشر على ذلك فقد زادت قوة الطيارات وزادت مقدرتها على حمل الاحمال فتستطيع الطيارة ان تحمل ما وزنهُ عشرة ارطال من البريد مقابل قوة حصان واحد مسافةً تتراوح بين ٥٠٠ ميل و٦٠٠ فالطيارة التي قوة محركها الآن ٢٠٠ حصان تنقل الفي رطل من البريد (اي عشرة اضعاف الاولى ما تنقلهُ الاولى) مسافة ٥٠٠ ميل(اي مضاعف المسافة الاولى)

رأي المستر لڤين

اول راكب سافر عن طريق الجو بين اميركا واوربا

صرّح المستر لڤين وهو من رجال المال والاعمال في اميركا انهُ يعدّ العدة مع رفيقهِ المستر تشمبرلين لانشاء خط جويّ منتظم في السنة القادمة بين اوربا واميركا تسير فيهِ طيارات يحرّك الطيارة منها اكثر من محرك واحد . وينتظر ان تكون اطول مسافة

تجتازها هذه الطيارات من غير ان تقف ٢٥٠٠ ميل ومحمولها الطيارة منها طن وانهُ مستعد ان ينفق نصف مليون جنيه في تحقيق مشروع كهذا

رأي المستر بلانكا

صانع الطيارة «كولمبيا» التي طار بها تشمبرلين

الامر الاول الذي يجب ان نهتم بهِ هو سلامة الركاب والامر الثاني هو راحتهم ورفاهتهم واخيراً يجب ان نعنى بما يمكن ان نجنيهُ من الارباح . فاذا لم تكن الطيارات التي تعبر الاوقيانوس الاتلنتيكي امينة الجانب مريحة لم يقبل عليها الناس ، واذا لم يقبلوا عليها لم يتمكن اصحابها من الجري في ميدان الطيران التجاري و بقي عبور الاتلنتيكي نوعاً من الالعاب الخطرة لا يقبل عليهِ الاَّ الشجعان المغامرون كلندبرغ وتشمبرلين و برد

هم الركاب الذي يقومون بنفقات الخط الجوي لا ما تحملهُ الطيارة من البنزين . فاذا كان اعتمادنا على الركاب لتسديد نفقات الطيران وجني بعض الربح وجب ان نبتكر طريقة نقلل بها ما تحملهُ الطيارة من البنزين الى اقل حدّ مستطاع فنتمكن من زيادة عدد الركاب حينئذٍ . وتقليل البنزين يتم اذا قطعت المسافة بين اميركا واوربا في عدة مراحل. وعليهِ ارى ، واعتقد ان اكثر الماليين والمهندسين يتفقون معي ، ان الخط الذي يجب ان تسير عليهِ الطيارات من اميركا الى اوربا هو خط نيو يورك — نيوفوندلند — جزائر ازورس — اوربا . بل يظهر لي كأَن العناية الالهية قد وضعت جزائر الازورس حيث هي لتكون محطة للطيارات التي تروح وتغدو بين اوربا واميركا . فالمسافة بين نيو يورك ونيوفوندلند تقارب ١١٠٠ ميل والمسافة بين نيوفوندلند وجزائر ازورس ١٤٠٠ ميل والمسافة بين جزائر ازورس واوربا تختلف باختلاف المحطة التي يقصد اليها على شاطئ اوربا الغربي ولكنها تتراوح بين ٩٠٠ ميل و ١٥٠٠ ميل او اكثر

استعداد المهندسين الالمان

وقد قرأنا في مجلة «العلم والحياة» الفرنسوية ان دورنيه المهندس الالماني يعد المعدات لبناء طيّارة تسير باثني عشر محركاً قوة كل محرك منها ٤٥٠ حصاناً وتستطيع ان تنقل ١٠٠ راكب . وان مهندساً آخر يبني طيارة لاجتياز الاتلنتيكي تكون قوة المحركات التي تسيّرها ٣٦٠٠ حصان وتستطيع ان تنقل ٢٠ طنًّا بسرعة ٤٠٠ كيلومتر في الساعة . وان مهندساً ثالثاً يحاول ان يبني طيارة قوة محركها ١٠ آلاف حصان تستطيع ان تنقل من باريس الى نيو يورك ١٣٠ راكباً وامتعة وزنها ٦ آلاف كيلو غرام في ١٤ ساعة ونصف ساعة

عبد الرحمن بن خلدون

١٣٣٢—١٤٠٦

بحث نقدي في حياتهِ واسلوبهِ وآرائهِ

تمهيد : — كثيراً ما عالج الكتاب هذا الموضوع من احدى نواحيهِ المتعددة غير اننا لم نعثر في مطالعاتنا على كتاب واحد بل على رسالة او مقال خصص لهذا البحث فوفاهُ حقهُ من جميع وجوههِ . ولقد تجرّد لهُ المستشرقون فكتب الاستاذ بور الهولاندي (Boer) عن الفلسفة الخلدونية [١] واهتم فلنت الاسكتلندي (Flint) بآرائهِ التاريخية فوزنها ونوّه بقيمتها [٢] . واراد مكدونلد الاميركي (Macdonald) ان يتتبع سير التربية في الاسلام ، فوجد ان ابن خلدون كان اول من طرق هذا الموضوع في ابحاثهِ ، من مؤلفي المسلمين [٣] وانبرى كلوزيو الايطالي (Clausio) لدرس المقدمة فبهرتهُ نظرياتها الاقتصادية [٤] . كذلك نرى ان كثيرين من الاختصاصيين غير هؤلاء اتخذوا مظاهر اخرى من حياة هذا المفكر الحافلة ، قاعدة لبحثهم فكتبوا فيها فصولاً عديدة

ومن اجلّ ما يذكر من الجهود في هذا السبيل واقربها الى الالمام بحذافير الموضوع كتاب الدكتور طه حسين في اراء ابن خلدون الاجتماعية الذي عرضهُ على السربون فنال بهِ اجازة الدكتوراه [٥] . بيد انهُ لم تخرج هذه الكتابات عن كونها مباحث متفرقة ، تنوّعت طبقاً لاختلاف وجهة كتابها في النظر الى هذا الموضوع الشاسع . ولا نعرف كما اسلفنا مؤلفاً واحداً غربياً او شرقياً افرد لهذا البحث كتاباً خاصاً يحيل القارئ عليهِ يتناول ابن خلدون شخصية كاملة لم تشلّ اعضاءها اقلام الكتاب

كل ذلك ولابن خلدون ما لهُ من المكانة العالية في تاريخ الفكر العربي ، اذ لهُ يرجع الفضل في ان اللغة العربية تستطيع ان تفخر اليوم بكونها اول لغة ازدانت ادبياتها

(١) اطلب كتابه The History of Philosoply in Islam طبعة لندن سنة ١٩٠٣ ص ٢٠٠ . (٢) راجع مؤلفه History of the Philosoply of History طبعة ادنبره سنة ١٨٩٢ ص ١٥٧ . (٣) راجع كتاب Aspects of Islam طبعة لندن ص ٣٠٩ (٤) اطلب ترجمة مقاله للعربية في كتاب اراء غربية في مسائل شرقية طبعة دمشق ص ٣ (٥) وقد ترجمه عن الافرنسية محمد افندي عنان بعنوان فلسفة ابن خلدون الاجتماعية طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥

بطلائع الابحاث الاجتماعية الحديثة ،وامتازت باحتوائها على اول كتاب في النقدالتاريخي. ولا نجهل ما يحول دون هذا الدرس على تمامه من الصعوبات الجمة ، وقد يمكننا القول بان ذلك يستلزم حياة عالم كاملة ، يقفها على درس هذا الفيلسوف فيفوز بثمرة لايجاله ينتظرها الادب العربي و يتلقاها الباحثون بالشوق المظيم . ولئن تفاخر الغربيون بافذاذ مبتكريهم وملأُوا المكاتب بنتائج شتى الابحاث في حياتهم ، وعظّموهم بتلقيبهم ، ابا لهذا العلم او ذاك Father of فقد حق للشرقي العربي ان يجلّ ابن خلدون وان يتفاخر بهِ وهو بالحقيقة « اب » لكل ما يتصف بالبحث في الادبيات العربية اليوم

ومع كل ما قدمنا ، فنحن نحاول ان نضع في ابن خلدون مقالاً مجملاً نعرف القارئ بواسطتهِ على شخصية كاملة ، تأثرت واثرت في زمنها ومحيطها،لها ميولها ونقائصها الطبيعية. وقد رأينا ان في المراجع المذكورة في طليعة هذا المقال مادة كافية في مختلف ابوابها اعتنينا بجمعها واحكام روابطها لتتمثل لك كلاً لا يتجزأ ، ولم نحجم في كثير من المواقف عن تمحيص المصادر ونقدها نقداً علميًا ، مدلين بما بدا لنا في شأنها من الآراء الخاصة . ولكي نبلغ الغاية التي جعلناها نصب اعيننا وجب علينا النظر في العصر الذي نشأ فيهِ ابن خلدون ليطّلع القارئ على العوامل المختلفة التي ولدت هذه العقلية المدهشة ، وليتصور لنفسهِ الميدان الذي جرت فيهِ هذه الشخصية الكبيرة شوطها الخطير

﴿ العصر الذي نشأ فيهِ ابن خلدون ﴾ يمثل القرن الرابع عشر في التاريخ الاسلامي، دور احتضار المدنية العباسية الفرسية،وانتقال السيادة الزمنية من ايدي الاعاجم الغرباء الى ايدي الاتراك الدخلاء . وقد دهمت العالم الاسلامي آنئذٍ جيوش المغول والتتار فعاثت في ارجائهِ فساداً . فلا غرابة اذن إن رأينا العصر عصر نزاع ونضال ، خر فيهِ شبح السلطة العباسية الضخم فريسةً لاطماع الافراد الطامحة والفئات الثائرة كل ينتهش منها جزءًا ليقيم على اساسهِ مملكةً او امارة مستقلة

فكان الحكم في الاندلس يقتسمهُ عدة امراء ، دعوا بامراء الطوائف ، استبد كل واحد منهم بمقاطعة صغيرة ، وهم لا ينفكون عن الاغارة بعضهم على بعض قصد التوسع والاحتلال . والمشرق لم يكد يخرج من الحملات الصليبية نحيلاً متضعضعاً حتى كرّت عليهِ جيوش التتر تذيقهُ من الوان الفتح في تلك الايام مالم يذقهُ من ذي قبل . واما شمالي افريقيا فكانت تقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية

١ — افريقيا او ما ندعوهُ اليوم تونس وعاصمتها بهذا الاسم ، يحكمها بنو حفص

من سلالة الموحدين . ٢ — المغرب الاوسط او الجزائر ، وقد قام بامرها حين ذاك بنو عبد الواد ، في عاصمتهم تلمسان . ٣ — المغرب الاقصى او مراكش ، وكان يسوسهُ بنو مرين وعاصمتهم في فاس

وفي الجنوب غير هذه السلطات ، قبائل من البربر متعددة ، تغزو المدن فتعكر عليها ما تركهُ لها الامراء الطامعون من الصفاء المضطرب. وهذه الدويلات نفسها منقسمة الى امارات عديدة يحكمها امراء غلبت عليهم الاثرة واستولى عليهم الجشع والطموح . فلا نبالغ اذا وصفنا الحال السياسية اجمالاً بالفوضى التي لا قرار لها

بيد انهُ لم تكن هذه حالة الثقافة والعلم في ذلك العصر المضطرب، كما يغلب على ظن القارئ لوصفنا . فالابحاث الحديثة في تاريخ البلاد الاسلامية ، قد برهنت لنا اليوم على ان مستوى البلاد العقلي لم يتمشَّ دائماً مع الاحوال الاجتماعية والسياسية . وهذا الرأي اصدق ما يكون على المحيط الذي نشأ فيهِ ابن خلدون، اذ بينما كانت الاحوال السياسية في المغرب على ما بينّا ، كانت العلوم فيهِ قد بلغت الاوج من تطورها ، وكثرت المجاميع والمؤلفات ايما كثرة . في هذا الميدان ظهر عبد الرحمن بن خلدون ، فبنى نظامهُ الفلسفي واراءهُ الاجتماعية على ما طالع من علوم القدماء، معتمداً في فحصها وتمحيصها والتعليق عليها، على خبرتهِ وما كان يشاهدهُ بأم العين

﴿حياتهُ﴾ في تلك الآونة التي أخذ ينحلّ فيها جسم الاسلام المائل الى عناصرهِ المختلفة ، وفي زمن امتاز بالقلاقل والنزاع والانقلابات السريعة ، ولد في تونس مؤرخ كبير هو احد تلك العقول المبتدعة في تاريخ الفكر عند العرب . فكانت حياتهُ اشبه شيء برفرفة شعلة النور قبل انطفائهِ . وابن خلدون ينتسب الى اسرة حضرمية عريقة في النسب ، فقد قدِم جدّهُ خلدون الى الاندلس ايام الفتح ولبثت العائلة في اشبيلية يتسنم افرادها أعلى المناصب السياسية حتى كان القرن الثالث عشر ، ولقدم الاسبانيون لاسترجاع ممتلكاتهم من أيدي الغاصبين ، فرحلت حين ذاك اسرة خلدون الى شمالي افريقيا حفظاً لنفوذها ، واستقرت في تونس حيث اكتحلت عينا المترجَم بالنور في اول رمضان عام ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)[1]

وقد قضى ابن خلدون ايام صباهُ بين ايدي والدهِ الذي كان قد اعتزل السياسة وتفرّغ للعلم ، فتعهد ولدهُ على عادتهم في تلك الايام كمهذّبٍ ومعلم في آن واحد ، فدرس

(١) راجع مؤلف هيوار الافرنسي Litherature Arabe طبعة باريس سنة ٩٢٣ ص ٣٤٥

عليهِ القرآن واللغة والحديث واتقنها وهو لا يزال في سنٍ يصعب على غيرهِ اكمالها فيهِ. وحين استولى السلطان ابو الحسن المريني على تونس سنة ١٣٤٧ ، حظي ابن خلدون بالدرس على العلماء المغاربة الذين كان يستصحبهم السلطان للمفاخرة والتبرك ، فاتم على يدهم العلوم الشرعية والكلامية المعروفة لذلك الحين . وكان بعدُ شاباً لم يطرّ شاربهُ حين اغتنم الفرصة لعقد روابط علمية مع هؤلاء الاساتذة ، كانت فيما بعد الخطوة الاولى في سبيل الخطوة السياسية التي سنرى ابن خلدون يستهلك من اجلها و يسعى اليها جهده

ومن سنّ العشرين فصاعداً تصبح سيرة ابن خلدون مبهمة متعقدة ، مع وجود تاريخ لحياتهِ كتبهُ هو بيدهِ، وسبب هذا الابهام والتعقيد تدخلهُ بسياسيات تلك الايام المضطربة، وتنقلهُ من خدمة مليك الى آخر حسبما يملي عليهِ طموحه . فانك تراهُ بادئ الامر في بلاط بني حفص كاتباً لعلامة السلطان عزيزاً مكرماً . ثم ينتقل الى خدمة ابي حمو من بني عبد الواد راجياً ان يلقى هنالك نفوذاً اوسع . فاذا ما غاب هذا المليك على امرهِ تركهُ في اضيق الاوقات فارّا الى عدوهِ عبد العزيز المريني ، فيفوز لديهِ فبامم المناصب ، ولكنهُ لا يلبث ان يكون ذا شأن كبير في دسائس البلاط يقضي على اثرها مدة في السجن ، ثم يرضى عنهُ السلطان ثانية فيخرج و يستأذن بالسفر الى الاندلس طمعاً بالمراكز العالية ، فيحظى هنالك بعطف بني الاحمر و يتعرف على لسان الدين بن الخطيب صاحب كتاب (الاحاطة باخبار غرناطة) فيصادقهُ زمناً ، بيد انهُ لا يكتفي بما نالهُ من المكانة بل تطمح نفسهُ الى اعلى من ذلك ، فيفطن محمد الخامس الى ذلك واذ كان وزيرهُ ابن الخطيب قد خوّفهُ منهُ قبلاً ، امر بتسفيرهِ الى الشطوط الافريقية ، وهنالك يدسُّ ابن خلدون دسائسهُ مرة ثانية متنقلاً من بلاط الى آخر . واستمر بهِ الحال كذلك مدة حتى سئم السياسة ومفاجئاتها ، وكان قد بلغ الاربعين او يزيد فاعتزل مع عائلتهِ الى احياء العرب حيث نزل ببناء يقال لهُ قلعة سلامة، عاش فيها اربع سنوات في احضان السكينة المقدسة، اثمرت قريحتهُ في خلالها مقدمتهُ الذائعة الشهرة وقسماً من التاريخ الكبير (١)

وكاني بالعلم قد استمالهُ في هذه الاونة فعزم على الرحيل الى تونس لمراجعة بعض الاصول لتكملة تاريخهِ ، ولكن طلب الشهرة يستغويهِ هنالك ثانية وما ان يخفق في مسعاهُ حتى يقرر السفر الى مصر معتذراً بالحجّ . فركب البحر الى الاسكندرية في سنة ٧٨٤ هـ وبلغها بعد اربعين يوماً . غير انهُ قد خاب هنالك املهُ لان الاحوال الاجتماعية

(١) اطلب ملخصاً لسيرته في دائرة المعارف الاسلامية

في القاهرة لم تساعدهُ لان يلعب تلك الادوار السياسية التي اعتادها في دويلات البربر غير ان شهرتهُ كاديب عالم كانت قد سبقتهُ الى مصر فانتدبهُ السلطان برقوق للتدريس بالازهر ، ثم اصبح استاذاً للفقه المالكي في الكلية القمحية التي اسسها صلاح الدين ، واخيراً عيّن قاضي قضاة للمذهب المالكي ولكن تطرفهُ وتشددهُ جلبا عليهِ سخط المحافظين حتى عزل من منصبهِ وعيّن لهُ اكثر من خمس مرات متوالية في العام الواحد . ولما يئس من بلوغ غايتهِ كما حدث لهُ في المغرب اعتزل السياسة واهلها وقضى بقية ايامهِ في قرية من اعمال الفيوم في هدوء لم تشوشهُ عليهِ الا رحلته الى الحج سنة ٧٨٩ وقد ذكّرهُ بها ، مصيبتهُ بغرق عائلتهِ في عبورها البحر قادمة اليهِ من مراكش

ويؤيد ميل ابن خلدون الشديد الى الدهاء والسياسة ، حادثة اخرى هي الاخيرة في سلسلة حياتهِ ، فان الملك الناصر كان قد استصحبهُ مع عدة قضاة اخر ، في حملتهِ الى سوريا لردّ هجمات التتار عن دمشق . ولامر ما رجع السلطان ولقهقر الجند الى مصر ، واما ابن خلدون الذي كان في داخل المدينة فقد خرج منها يفاوض تيمور بالصلح ويتزلف اليهِ على عادتهِ مع كبار الزعماء ، ولهُ معهُ حكايات طويلة تنمّ كلها على قوة لسانهِ وقدرتهِ السياسية وتلاعبهِ ومداهنتهِ وتراجع تفاصيلها في كتب التاريخ العربية كالشهرستاني وغيرهِ . وقد فشل في خداع ذلك التتري المحنك فرجع الى مصر حيث توفاهُ الله في ٢٥ رمضان سنة ٨٠٨

﴿ خلقهُ ﴾ رأينا ما يشوب حياة ابن خلدون من التعقيد وان سيرتهُ ليست في الحقيقة سوى تاريخ مصغر لامراء بلاده ، ودبلوماسية تلك الايام . فلنجتهد في استخلاص بعض الحقائق عن نفسية المؤلف وحقيقة اميالهِ . لا يتردد من يقرأ سيرة مؤلفنا في الحكم بان شخصيتهُ كانت تتأثر بعاملين شقا حياتهُ الى شطرين : الاول طموحهُ الى الشهرة واستهلاكهُ في سبيل الرفعة السياسية . واما Wesendouk الالماني فيحاول القول بان ابن خلدون لم يعان تقلبات البلاط ومفاجئات السياسة الا مضطراً ، وذلك حرصاً على الروابط العلمية التي كان يخشى على فقدانها في ذلك العصر المضطرب . بل هو يتطرف برأيهِ اكثر من ذلك حتى يقول « ولم تدفع المؤرخ الى تقلد المناصب والسلطة والجاه عوامل مادية ، بل كان الدافع شغفهُ بتحقيق المعارف النظرية في عالم الحقائق الوحشية واثباتها بالتجارب الحسية »(١) اما نحن فنرى في هذا التحليل ، ميلاً حديثاً يبعد احتمال وقوعهِ في بيئة غلبت

(١) راجع تعريباً لمقالة ملحقاً بكتاب الدكتور طه حسين المشار اليه آنفا ص ٧٦

عليها صبغة القرون الوسطى . ولا نفسر هذا التناقض الظاهر في ميول ابن خلدون العلمية السياسية الأ بردّها كلها الى روح تشربت بروح المخاطرة على جميع وجوهها ، سواء في السياسة ام العلم ام الحياة ، ولعمري فان هذا الميل واضح في كتاباته المبتكرة كما انهُ ظاهر في حياته العاصفة ، بل هو في نظرنا المفتاح الوحيد لفهم شخصية هذا المفكّر الغامضة

وللمؤرخ معائب في خلقهِ لا تفوت مَن تعمق في درس حياتهِ ولو بعض التعمق . منها تقلبهُ واتصافهُ بالاثرة الشخصية فهو لم يعرف لهُ في حياتهِ وطناً بل كان يتنقل هنا وهناك وراء مصالحهِ الفردية غير مكترث لمصلحة بلادهِ ولا لمنفعة الجمهور . وامرّ من ذلك انهُ لم يتخذ لهُ مبدئاً ثابتاً في اعمالهِ ، بل انهُ لم يخلص في حياتهِ ولو لشخص واحد . فقد كان يخون احد السلاطين ثم يتشيع لهُ مراراً عديدة في العام الواحد . وان في صداقتهِ لابن الخطيب الغرناطي بادئ الامر ، ثم انقلابهُ عليهِ ومنافستهُ لهُ في وزارتهِ في بلاط بني الاحمر لدليلاً صريح على انانيتهِ وعدم اخلاصهِ . وقد كان يميل الى الزهو بنفسهِ والتحدث بفضائلهِ . فهو اول كاتب عربي وقف لحياتهِ كتاباً كاملاً لم يقتصر فيهِ على ذكر اساتذتهِ بل قدم لنا لمحة عامة عن حياتهم واعمالهم ومبلغ تبحرهم في العلوم التي درسوها . وليس ذلك الاّ ليطلعك على عظمة الذين تخرج على ايديهم وانك لذلك تستطيع ان تثق بكفايتهِ. ولكي تزيد القارئ ايضاحاً نأتي بجملة واحدة وردت في سيرتهِ . وهو يتحدث عن نزولهِ بغرناطة في الاندلس تستطيع ان تأخذها مثالاً لزهوهِ وتباهيهِ اذ يقول «وتهافت العلماء واهل البلد عليّ من كل صوب يمسحون اعطافي و يقبلون يدي وكان يوماً مشهوداً»[١] والقارئ لتاريخهِ يشعر بهذه الروح بين تضاعيف سطورهِ

﴿ عقليتهُ ﴾ رأيت ما لابن خلدون من السقطات الخلقية غير ان لهُ من عقليتهِ ومميزاتها ما يشفع بعظمتهِ بعض الشيء فقد تغفر لهُ زهوهُ وتتغاضى عن اثرتهِ حين تذكر انهُ الرجل الوحيد في عصرهِ الذي وقف حياتهُ لخدمة العلم والفلسفة . وقد امتاز هذا المؤرخ الكبير بعقلية علمية عملية لا نبالغ ان قلنا انها كادت تكون حديثة في طرق تفكيرها . فان اطّرح جانباً كل ما عرف في ايامهِ من النظريات الفلسفية . والقواعد التجريدية . والاوضاع المنطقية . واتخذ لهُ بدلاً سبل التفكير الشخصي المبني على الاختبار والنظر . وللوسط الذي نشأ فيهِ مؤلفنا اثر كبير في تكوين عقليتهِ المدهشة . فقد وُجد في زمن ساد فيهِ الصراع والاضطراب كما رأينا . فلا غروَ اذا وجدناهُ كثير الحذر جم المخاوف

(١) اطلب تاريخه الكبير طبعة مصر سنة ١٨٦٧ ج ص ٤١١

يميل الى الرزانة في تفكيره كيما يستخلص من تلك العوامل المتقلبة والاحوال المشوشة ، نظاماً ثابتاً وعاملاً مستمراً يتكل عليهِ في تفكيره . ولذلك فقد امتاز ابن خلدون سواء في رحلاتهِ او خدماتهِ لمختلف الامراء . بقوة الملاحظة ،والتبصر في اعماق الامور . وسنرى ذلك بيناً في درس مؤلفاته . اذ اتخذ لهُ من دو يلات البربر مختبراً ومن تجاربهِ قاعدة ، شاد عليها كل ما عرف من الابتكار والابتداع في فلسفتهِ

و يقابل Ferrero الايطالي مترجمنا بمكيا فللي الفلورنسي صاحب كتاب الامير . فيقول انهُ كان نظيرهُ متشائماً كثير الشكوك.ولكننا معاً نرى من الصدق في هذه المشابهة بين الرجلين في بعض الامور، كاتكال كلٍ منهما على الاحوال السائدة في زمنهِ لاستخلاص فلسفتهِ . وتفاديهما من اجل الشهرة والمكانة العالية .وتفردهما بالابتكار في عصر عمَّ فيهِ الخمول — نقول مع كل ذلك اننا نميل الى نفي التشاؤم عن طبيعة ابن خلدون ونتفق مع الدكتور طه حسين حيث يقول فيهِ « انهُ كان اقرب الى الابتهاج والثقة بنفسهِ وكان دائماً يؤمل ان تكلل جهوده بالظفر رغم خيباتهِ » . ونحن نرى فوق ذلك فرقاً عظيماً بين الرجلين فيما يحاولون تعميمهُ من الآداب السياسية اذ يقول مؤلف «الامير» في كتابهِ الذي ترجمهُ المحامي محمد لطفي جمعه « ويجب على الامير ان لا يخشى عار المعايب التي يصعب عليهِ بدونها الاحتفاظ بالملك لان الانسان اذا امعن النظر رأى ان كثيراً من الامور التي تظهر لهُ انها فضائل قد تؤدي بهِ الى الخراب اذا اتبعها.وكثيراً مما يبدو كأنهُ من الرذائل قد يؤدي الى الخير والسلامة» . اما ابن خلدون فيخالفهُ او هو يناقضهُ في اكثر الاراء فيقول (ان خلال الخير هي التي تناسب السياسة والملك لان المجد لهُ اصل يبنى عليهِ وهو العصبية . وفرع يتم بهِ وجودهُ وهو الخلال » . وهناك مقابلات اخرى عثرنا عليها لا نستطيع البت فيها الآن لعدم الاطلاع الكافي فيشبههُ المستشرق الالماني Kramer بابي العلاء و يقول ان الانحطاط العام الذي وجدا فيهِ قد اثر في ميولهما كثيراً . وفي مجلة المقتطف لسنة ١٨٨٦ مقال قابل فيهِ الكاتب بين آراء ابن خلدون في المجتمع وما يشابهها في كتابات سبنسر الفيلسوف الانكليزي الشهير . ولا افضل من ان نختم هذا الفصل من حياة ابن خلدون بما قالهُ فيهِ صديقهُ ابن الخطيب الذي عرفهُ وعاشرهُ مدة طويلة اذ قال « هو رجل فاضل حسن الخلق . . . . . طامح لقنن الرئاسة خاطب للحظ . متقدم في فنون عقلية ونقلية . متعدّد المزايا سديد البحث» ونحن نترك للقارئ الخيار في تقرير ما يعلقهُ على هذه الكلمات من الشأن

شكري مهتدي

آثار هركولانيوم وبمباي

مدينة هركولانيوم من المدن الايطالية التي طمرها بركان يزوف لما طمر بومباي سنة ٧٩ بعد المسيح . وقد قرّر الآن الوزير موسوليني ان يعاد النقب عن آثارها على اسلوب علمي منتظم وان تؤخذ صور فتوغرافية لكل الآثار التي يعثر عليها . فرأينا ان نأتي على لمحة من تاريخ بمباي ووصف نكبتها ثم على لمحة من تاريخ هركولانيوم وما ينتظر انهُ يوجد فيها من الآثار النفيسة

بمباي

بمباي مدينة في ايطاليا واقعة الى الجنوب الشرقي من نابلي واوَّل ما ذكرت في التواريخ التي انتهت الينا قبل المسيح بثلاثمائة سنة وعشر سنين الاَّ انهُ يظهر من آثار الابنية التي فيها انها اقيمت قبل ذلك بزمن طويل . وكانت في اول امرها مدينة يونانية ثم خضعت للرومانيين واستوطن فيها كثيرون من اغنيائهم. وبعد المسيح بثلاث وستين سنة حدثت فيها زلزلة شديدة مسببة عن ثوران جبل يزوف المشرف عليها وكان خامداً منذ اجيال عديدة فهدمت اكثر قصورها وبيوتها وهياكلها ومشاهدها حتى ان دولة رومية نهت عن ترميمها الاَّ ان اهاليها استأذنوا الدولة بعد قليل وشرعوا في ترميمها حسب الزي الروماني الجديد . ولم يمضِ عليها وقت طويل حتى دهمتها النكبة الشهيرة في اليوم الثالث والعشرين من اغسطس (آب) سنة ٧٩ مسيحية وكان اهاليها حينئذٍ محتشدين في مشدها الكبير . وقد جاء وصف هذه النكبة العظيمة في بعض التواريخ القديمة ولكن لسان حال خرائبها وهيئة رمم اهاليها المدفونين فيها يصفانها ببلاغة تفوق بلاغة كل واصف

قلنا ان اهاليها كانوا محتشدين في مشهدها لما دهمتها تلك النكبة واذ هم غائصون في بحر الملاهي زلزلت الارض زلزالها وفتح يزوف فاهاً كالهاوية خرجت منهُ سحابة من الرماد طبقت الجو وانهالت على المدينة انهيال السيل فطمرتها وارتفعت على ارضها ثلاث اقدام فهرع البمبيون من المشهد طالبين النجاة وبهم من الخوف ما يكلُّ القلم عن وصفهِ وساعدتهم التقادير فنجا اكثرهم ولكنَّ قوماً منهم ادركتهم المنية وهم فارُّون فلم يروا للقضاء مردّاً . وقوماً رجعوا الى المدينة لانقاذ شيء من امتعتهم فكانوا كمن سعي الى حتفهِ بظلفهِ . ثم



بعض آثار هركولانيوم النفيسة

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٧٥

تلا انهيال الرماد انهيال الحُمَم والابارق (١) وهي في حالة الاشتعال فاحترقت من لظاها كل مادة قابلة الاحتراق وكانت الطبقات العليا من المنازل خشباً فامست رماداً هي وكل الابواب والشبابيك والاواني الخشبية التي في الطبقات السفلى واستمرَّ انهيال الحُمَم حتى امتلأَت بها البيوت والهيا كل والمشاهد والازقة والشوارع وعلت فيها ثماني اقدام ثم اخذ الرماد ينهال وعقبتهُ الحُمَم الى ان صار علو الجميع نحو عشرين قدماً فتغطت كل المدينة ولم يبقَ منها شيءٌ ظاهراً . اما السكان فهرب اكثرهم حال انهيال الرماد ولكن قوماً منهم التجأوا الى منازلهم او الى الابنية القريبة منهم ففدت لهم مدافن . ومنهم مَن قادهم طمعهم الى انقاذ شيءٍ من جواهرهم وامتعتهم كما قلنا سابقاً فدُفنوا معها ولم تزل شاهدةً على جشع الانسان وتعلقهِ بحطام هذه الدنيا . وقد وُجد في ما كشف منها الى الآن رمم كثيرة وكلٌّ منها تاريخ ناطق بعظم تلك البلية . ومن هذه الرمم ما تتفتت لرؤيتهِ الاكباد فهنا ترى الوالدة الحنونة ضامةً طفلها الى صدرها ولكن لا للرضاع ورب البيت وامرأتهُ واولادهُ حولهُ وكلهم دُفنوا في قيد الحياة وشرخ الشباب.وهناك ترى المحبين متعانقين وعهدهم عدم الفراق الى الابد والاسرى مقيدين بالاغلال جاءهم القضاء المبرم فحلّ عقابهم او انقذهم من ظلم مستأسريهم . والخيل والبغال التي عاشت في عبودية البشر قد ماتت في جريرتهم وتساوت بهم في المدافن

كان الفعلة يفرغون شارعاً صغيراً مما فيهِ من الانقاض فعثروا على فراغ في الارض يحتوي عظاماً فدعوا السنيور فيورلي مدير العمل اليهِ فجبل طيناً وسكبهُ في ذلك الفراغ فانسبك حول العظام وعند ما نزع الردم من حواليهِ اذا باربعة اشخاص من الطين الصلب لا ينقصهم الاَّ الحياة والنطق . ولا تزال هذه الاشخاص في معرض نابلي مشخصة سكان بمباي : وذلك لان الذين طمروا بالرماد بلي لحمهم و بقي محلهُ فارغاً فلما انسكب فيهِ الطين انسبك حول العظام فجاء اشخاصاً يعجز امهر النقاشين عن المجيء بمثلها . وواحد من هذه الاشخاص شخص امرأةٍ وُجد بجانبها ٩١ قطعة من النقود وكاسان من فضة ومفاتيح وجواهر . والظاهر انها اخذتها وعمدت الى الفرار فسقطت في هذا الشارع ولم تزل مستلقيةً على جانبها الايسر وعلى رأسها نقاب لم يزل ظاهراً في الصورة وفي اصبعها خاتمان وهي قابضة يدها قبضاً شديداً بل اكثر اعضائها منقبض في هيئة مريعة ولا يراها احد

(١) الحمم لغة الفحم والرماد وكل ما احترق من النار واصطلاحا مواد البراكين الذائبة . والابارق لغة واصطلاحا حجارة ورمل وطين مجتمعة معا

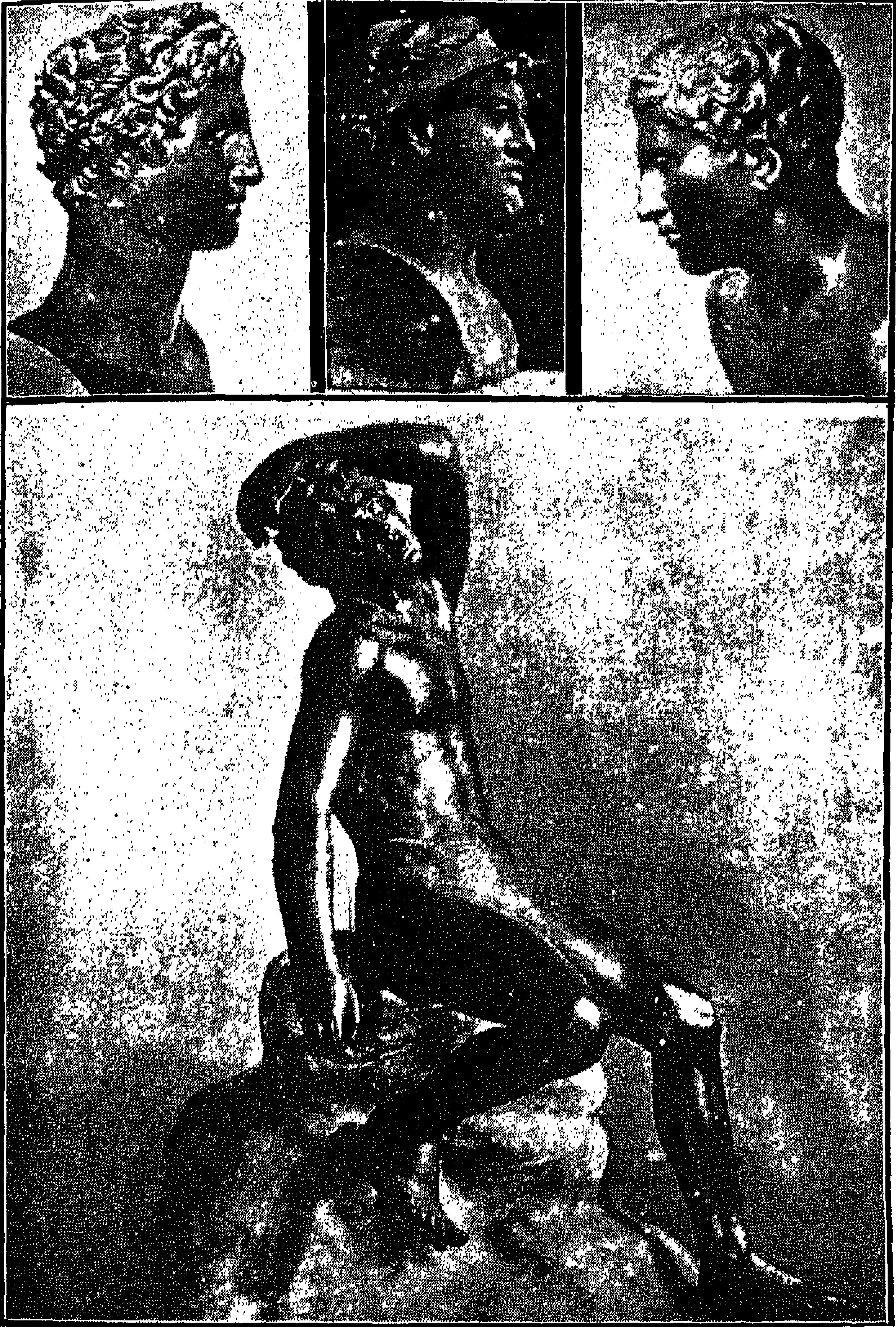
الاَّ و يخالها آخذةً في النزع . و بجانبها امرأة وفتاة اما الامرأة فمن الرعاع ويعرَف ذلك من مقدار اذنيها وفي اصبعها خاتم من حديد ولا يظهر انها تألمت قبل موتها بمقدار ما تألمت الاولى . واما الفتاة فيظهر انها لا تزيد على الخامسة عشرة ومنظرها محزن جدًّا وكل شيء ظاهر فيها حتى طيات ثوبها ونسيجهُ و يظهرانهُ عند ما تراءت لها المنية اشفقت منها وغطت رأسها بثوبها فسقطت على وجهها وهي راكضة ولما تعذَّر عليها النهوض القت رأسها على ذراعيها واسلمت الروح . والشخص الرابع شخص رجل مستلقٍ على ظهرهِ كمن لا يهاب الموت وذراعاهُ منبسطتان وجرموقاهُ مشدودان على ساقيهِ ولم تزل المسامير في نعلهِ . وفي يدهِ خاتم حديد وفمهُ مفتوح و بعض اسنانهِ مفقود وعلى وجههِ امارات الهيبة والشجاعة

وروي ان رماد يزوف وصل حينئذٍ الى شواطئ افريقيا وحجب الشمس عن رومية حتى قال اهلها ان العالم قد انقلب وانحدرت الشمس الى الارض لتتوارى في الليل او ان الارض قد صعدت الى الشمس لكي تحترق بنارها الابدية . قال بلينيوس (وكان في ميسينوم) « ثم اخذ النور بالرجوع الينا و بان كل شيء حولنا مغطًّى بالرماد كالارض اذا غطتها الثلوج »

ولم يزل هذا الغطاء السميك مكتنفًا اكناف بمباي الى يومنا هذا . ومن شدة هذا الانقلاب تغيرت حدودها برًّا و بحرًا حتى تعذَّر على الناس ايجاد مركزها الحقيقي واستمرت في زوايا النسيان الى سنة ١٥٩٢ اذ كان المهندس فنتانا يجرُّ قناة ماء الى مدينة تقرب منها فمرَّت القناة في خرائبها فعلم مقرها ولكن لم يُشرَع في كشفها حتى سنة ١٧٤٨ في عهد كارلوس الثالث . وقد وُجد في ما كشف منها غرائب وتحف يعجز القلم عن وصفها فنظر فيها ذوو الخبرة واستدلوا منها على حالة تلك المدينة الادبية والسياسية والعلمية والصناعية

هركولانيوم

اما هركولانيوم فقد كانت مدينة يقطنها اعيان الرومان واشرافهم ويختلفون اليها للاستشفاء بمياه ينابيعها المعدنية والتجاءً للطمأنينة والراحة من الاعمال وضوضاء العاصمة وقد دهمتها النكبة التي دهمت بمباي بل كانت النكبة في هركولانيوم اشدَّ منها في بمباي واكثر مفاجأة للسكان فدفنوا فيها من غير ان يتسع امامهم مجال الفرار . و يقال ان بلينيوس المؤلف المشهور كان قائدًا لاسطول من السفن في ميسينوم يوم ٢٣ اغسطس سنة ٧٩ ميلادية فلما رأى حمم البركان تتناثر في الجوّ وتتساقط على المدينة حاول ان



بعض آثار هركولانيوم النفيسة

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٧٧

يقترب من البرّ لكي يخلص سيدة تدعى ركتينا فمات اختناقاً بالغازات الكبريتية التي ملأت جوّ المدينة واتصلت بالبحر فسردقت فوقهُ

ويرى العلماء ان آثار هركولانيوم سلمت من التلف اكثر من آثار بمباي لانها غطيت بطبقة من الوحل الناعم سمكها نحو ٨٠ قدماً بخلاف بمباي فانها غطيت برماد حار اتلف اكثر ما فيها

وليست هذه المرة الاولى التي يعنى فيها الحكام والامراء والعلماء بالبحث عن كنوز هذه المدينة المطمورة فقد دارت اعمال النقب فيها سنة ١٧٠٩ بعناية الامير ابلوف ثم توقفت فترة من الزمن ثم دارت ثانية ١٧٣٨ بعناية الملك كارلوس ملك نابولي ثم توقفت وعادت فدارت مراراً في فترات مختلفة بعناية جمعيات من العلماء . ولم يُعنَ بها في العصر الحديث عناية خاصة حتى جاء الاستاذ ولدشتين واقترح ان تؤلف لجنة دولية من العلماء وان تشترك كل الامم في جمع المال اللازم للقيام باعمال النقب . وبعد مفاوضات طويلة مع الحكومة الايطاليه قررت هذه الحكومة انها تود ان تجري اعمال النقب على ايدي اساتيذ ايطاليين وباموال ايطالية . ثم انقضت بضع سنوات ودارت رحى الحرب الكبرى فانصرف الناس عن العناية بالشؤون العلمية المجردة والمباحث الاثرية الى العناية باستنباط وسائل التدمير والخراب . ولما وضعت الحرب اوزارها تعيّن على رجال الدولة في ايطاليا ان يهتموا بتنظيم شؤونها الداخلية اولاً . اما وقد صفا الجوّ السياسي فيها وعادت المياهُ الى مجاريها فقد تنبه موسوليني وزير ايطاليا الهمام الى وجوب العناية بهذه المدينة التاريخية وما فيها من الكنوز الاثرية النفيسة

وقد جاء في الانسكلوبيذيا البريطانية ان مجموعة الآثار التي كشفت فيها في القرن الثامن عشر من انفس الآثار واعظمها قيمة في نظر اهل الفن والعلم واكثرها تماثيل ونقوش بازرة آية في دقة الصنع ومبانٍ غاية في الفخامة واحكام الهندسة والبناء. وقد عُثر في مكتبة احد اشرافها على كتابات قديمة نفيسة اكثرها لمؤلفين من اتباع الفيلسوف أبيقوروس . وقد نشرنا مع هذا الكلام صور بعض التماثيل التي وجدت فيها وهي كما ترى آية في دقة الحفر والتمثيل وهي كلها من البرونز وبينها تمثال لسنكا الحكيم الروماني وآخر لعطارد رسول الآلهة وآخر لبرّس ملك ابيروس

قوى رهينة الاستعمال

[بقي المرحوم الدكتور يعقوب صرّوف ، عميد المقتطف بالامس وفقيده اليوم ، دئبًا على العمل الى الساعة التي اقعده فيها الداء عن العمل ، بل بقي يفكر بالمقتطف الى ساعات قليلة قبل ان عادت روحه الى باريها ، ففي الليلة السابقة لوفاته قال لنا انهُ كان قد شرع في كتابة مقال للمقتطف ودلنا على مكانه وقال « اكملوهُ وانشروهُ ». هذا هو المقال كما خطهُ بحرفهِ وهو آخر ما كتب]



اذا اريد بالقوى التي وصفناها بانها « رهينة الاستعمال » ان استعمالها صار ميسوراً فذلك غير المراد واذا اريد بها القوى الموجودة فعلاً ولكن لم يتيسَّر استعمالها حتى الآن او تيسَّر ولكن ليس الى حد الكفاية ولا يزال مجال استعمالها واسعًا جدًّا فهي المراد برهينة الاستعمال

حينما كنا ندرس الكيمياء منذ ستين سنة ذكر لنا استاذنا ان الالومينيوم معدن كالفضة وهو كثير جدًّا في تراب الارض وصخورها اكثر من الحديد ومن كل المعادن المستعملة ولو وجدت طريقة قليلة النفقة لاستخراجه لامكن ان يصير ارخص من الحديد[1] فبقي كلامهُ يجول في ذهننا سنين كثيرة . وكنا نتمنى ان يكون لنا معمل كيماوي كبير حتى لعلنا نتمكن من ايجاد طريقة لسبك الالومينيوم من معدنهِ. وما تمنيناهُ ولم نجد لهُ سبيلاً في بلادنا تمكن منهُ غيرنا . ولما وصلنا الى الكلام على الالومينيوم فيما كتبناهُ من بسائط علم الكيمياء قلنا ما يأتي :

الالومينيوم معدن ابيض رنان كالفضة ولكنهُ خفيف جدًّا ثقلهُ النوعي ٢٫٥٦ اي ثلث ثقل الحديد واقل من ثقل الرخام اكتشفهُ اولاً وهلر Wohler سنة ١٨٢٨ وقد سمي كذلك من الشب الابيض واسمهُ باللاتينية الومن ونظن انها تحريف كلمة ارغلون اليونانية ومعناها الرغام او الطفال او الدلغان . افلا يحتمل ان كلمة رغام وكلمة ارغلون و ارغلوم من اصل واحد . والرغام في العربية التراب او رمل مختلط بالتراب ومنهُ ارغمهُ

(١) تجد نسبة العناصر بعضها الى بعض في الارض في الصفحة ٢٧٨ من المجلد الخامس والخمسين من المقتطف

اي الصقهُ بالتراب . ولو أُطلق على هذا المعدن اسم الرغام لكان ذلك قريباً من الحقيقة لا لان المعدن كان معروفاً عند العرب بل لان الرغام او الطفال اكثره من معدن الالومينيوم. فان هذا المعدن هو الثالث كثرةً بين عناصر الارض كما رأيت في المقالة الاولى من هذه المقالات وهو الاول في الكثرة بين معادنها يكاد يكون مضاعف الحديد مقداراً واكثر بما لا يقدر من كل المعادن الاخرى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير والزنك وسائر المعادن . وطالما منينا النفس ونحن ندرس الكيمياء منذ اكثر من خمسين سنة اننا نتمكن يوماً ما من استخراجهِ من الطين او يتمكن غيرنا من استخراجهِ بطريقة قليلة النفقة فتمَّ ذلك منذ عهد غير بعيد وذلك بعد ان استعملت القوة المائية من شلال نياغرا . ومكتشف هذه الطريقة لاستخراجهِ رجل اسمهُ تشارلس هول اكتشفها سنة ١٨٨٦ وعمرهُ ٢٢ سنة . وفي ذلك الوقت نفسهِ اهتدى الى هذه الطريقة شاب فرنسوي اسمهُ هرولت Héroult ولكنهُ لم يجد الوسائل التي وجدها هول للعمل بطريقتهِ ولا سياوجود رجل غني يساعدهُ بالمال الوافر . وكان ثمن رطل (ليبرة) الالومينيوم ٨٠ غرشاً سنة ١٨٨٦ فهبط الى اقل من اربعة غروش . ومات هول وعمرهُ اربعون سنة بعد ان كسب من اكتشافهِ هذا ثروة تقدر بملايين كثيرة من الريالات »

هذا ولنعد الى القوى التي نحسبها رهينة الاستعمال حاذين في الكلام عليها حذو الدكتور هنري سمث وليمز الاميركي فيما كتبهُ حديثاً في مجلة الاميركان

القوة الاولى

القوة الاولى واعظم القوى كلها هي القوة المخزونة في جواهر المادة . فقد ثبت الآن ان الجواهر الفردة مؤلفة من دقائق كهربائية سلبية وايجابية وفي هذه الدقائق قوة تفوق التصور نسبة الى صغر الدقائق . فالجوهر المادي من الماء مؤلف من جوهرين فردين من الهدروجين وجوهر فرد من الاكسجين . ويسهل حل جوهر الماء المادي الى اكسجينهِ وهدروجينهِ بواسطة الكهربائية فاذا استطعنا ان نمزج جوهرين فردين من الهدروجين بجوهرين فردين آخرين من الهدروجين يكون من مجموعها عنصر آخر غير الهدروجين وهو عنصر غاز الهليوم الذي لا يشتعل كالهدروجين ولذلك يملأ الاميركيون بلوناتهم منهُ . واذا امكننا ان نجمل جواهر الهدروجين تتحد حتى تكوّن غاز الهليوم فلا تقتصر الفائدة على تكوين هذا الغاز بل تتناول ما هو اهم من تكوينهِ واثمن بما لا يقدر وهو اظهار قوة تفوق كل تقدير ففي كاس الماء عشرون مليون مليون مليون مليون جوهر فرد من جواهر الهدروجين

وفيها من القوة لو اتحدت حتى يتكوَّن منها غاز الهليوم قوة تساوي القوة الناتجة من انقراض ٤٨٠٠ طن من الفحم في آلة من احدث الآلات البخارية وهدروجين الماء الذي تسعهُ ملعقة الشاي فيهِ من القوة ما يعادل قوة ١٣٣ الف حصان

اذا كانت جواهر الهدروجين تنحل من الماء بسهولة بواسطة الكهربائية كما يعلم كل من درس مبادئ الكيمياء فلماذا لا تتحد بعضها مع بعض وتولد غاز الهليوم ؟ والجواب انها تتحد ولكن اتحادها يكون اثنين اثنين لا اربعة اربعة وهنا العقدة التي يجب حلها للحصول على هذه القوة وهي جعل هذه الجواهر تتحد اربعة اربعة لا اثنين اثنين فانهُ اذا اتحدت جواهر الهدروجين من نقطة ماء اثنين اثنين تولد من اتحادها حرارة مثل الحرارة المتولدة من قطعة فحم قدر الحمصة ولكنها اذا اتحدت اربعة اربعة تولد من اتحادها حرارة مثل الحرارة المتولدة من احتراق مائة طن من الفحم

وان قيل ما هو سبب هذا الفرق الكبير بين اتحاد جواهر الهدروجين اثنين اثنين او اربعة اربعة قلنا ان الاتحاد الاول عادي بسيط يتلاشى بهِ شيءٌ قليل من مادة الهدروجين واما الاتحاد الثاني فغير عادي يتلاشى بهِ شيءٌ كثير من مادة الهدروجين . والدليل على ذلك ان الثقل الجوهري لجوهر الهدروجين ١٫٠٠٨ (كان يحسب (١) فقط) ووزن الجوهرين معاً ٢٫٠١٦ واما الجواهر الاربعة التي يتكون منها جوهر الهليوم فوزنها الجوهري ٤ فقط لا ٤٫٠٣٢ فجواهر الهدروجين اذا اتحدت حتى يتكوَّن من كل اربعة منها جوهر من الهليوم خسرت من مادتها ٠٫٠٣٢ اي ان هذا الجزء من المادة يتلاشى

ولزيادة الايضاح نقول ان كل جوهر من جواهر الهدروجين مركب من بروتون والكترون متماسكين بقوة كهربائية ومغنطيسية . والالكترون خفيف جدًّا في جنب البروتون فان زنة كل ١٨٤٥ الكتروناً مثل زنة بروتون واحد والخسارة التي تقع في وزن جواهر الهدروجين الاربعة حينما تصير جوهراً من الهليوم انما تكون في مادة البروتون وهي ليست خسارة بل استحالة من مادة الى قوة . هنا قوة تعرف تفوق كل قوة معروفة بملايين الملايين من المرات وهي رهينة الاستعمال فلا تحتاج الأ الى سبيل لاستخراجها واذا وجد هذا السبيل تغير عمران العالم ان لم ينقرض بهِ نوع الانسان

ولكن هل كشف هذا السبيل في حيز الامكان ؟ من رأي الدكتور وليمز انهُ ممكن وذلك باستنباط آلة يدخلها الهدروجين ذرات صغيرة جدًّا فتحولهُ الى الهليوم . وعندهُ ان الهليوم يتكون الآن في الجو على هذه الصورة

فقيد المقتطف

المرحوم الدكتور يعقوب صروف

١٨٥٢ — ١٩٢٧

وقع نعيه ومشهد جنازته

كان لوفاة المأسوف عليهِ المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف منشئ المقتطف واحد اصحاب المقطم وقع شديد في النفوس ورنة حزن واسي في جميع الدوائر وقد فوجئ الناس بنعيه لان مرضهُ لم يدم سوى خمسة ايام كان قبلها يروح و يغدو و يواصل اعمالهُ بهمتهِ المعروفة ونشاطهِ العجيب فلما اذاعت صحف الصباح يوم الاحد نعيه في العاصمة وسائر انحاء القطر جزع اصدقاؤهُ ومحبوهُ وعارفو فضلهِ جزعاً عظيماً وحزنوا عليهِ حزناً كبيراً

وقد اجتمع لعلاج الفقيد نخبة من الاطباء افرغوا في مداواتهِ اقصى ما بلغهُ العلم واحدث ما وصل اليهِ الطب وكان اهل بيتهِ وفي مقدمتهم قرينتهُ الفاضلة والآنسة كريمتهُ يسهرون على راحتهِ والعناية بهِ وتساعدهم الممرضات بلا انقطاع ولكن شاء الله ان يسترد وديعتهُ وان يختار الفقيد الى جوارهِ ففاضت روحهُ يوم السبت في ٩ يوليو الجاري في نحو الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين ليلاً وطارت الى خالقها بعد ما أدت الواجب عليها في حلبة الحياة وميدان العمل والنشاط

وعند الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الاحد اجتمع في دار الفقيد بقصر الدوبارة الاهل واعضاء اسرة المقتطف والمقطم ثم رفعوا نعش الفقيد بانفسهم من غرفتهِ ومعهم الدكتور فارس نمر وقد احنى الاسى هامتهُ وشرق بدمعهِ وغلبهُ الحزن والاسف الى مركبة النعش المجللة باكاليل الزهر الطبيعي فوضعوهُ فيها وساروا بهِ الى الكنيسة الانجيلية الكبرى بقرب فندق شبرد وتبعهم ثلاث مركبات تحمل اكاليل الزهر المرسلة من الاهالي والاصدقاء

وما وافت الساعة الرابعة حتى اخذت الجموع تفد على الكنيسة من الوزراء والعظماء والكبراء والعلماء وحاملي لواء الادب واعضاء مجلسي الشيوخ والنواب وفي مقدمتهم صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الديوان العالي وصاحب المعالي محمد فتح الله بركات باشا وزير الزراعة بالنيابة عن حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا الذي منعهُ اعتلال صحتهِ عن الحضور و بالاصالة عن نفسهِ وصاحب المعالي زكي ابو السعود باشا وزير الحقانية ولم يستطع صاحب المعالي نجيب الغرابلي باشا حضور الجنازة لانحراف صحتهِ يومئذٍ فاناب عنهُ حضرة الفاضل محمود افندي كامل سكرتيرهُ الخاص وصاحب

المعالي توفيق رفعت باشا من الوزراء السابقين واصحاب السعادة عبد الحميد سليمان باشا المدير العام لسكك الحديد وعبد الرحمن رضا باشا وكيل الحقانية والسيد علي باشا وكيل الحربية ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة والجنرال محيي الدين باشا وزير تركيا المفوض وصاحب السعادة اوغست اديب باشا رئيس الوزارة اللبنانية السابق واحمد شفيق باشا رئيس الرابطة للشرقية واحمد زكي باشا وصاحبا الفضيلة الشيخ مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا والسيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق وجناب القمص بطرس عبد الملك نائباً عن غبطة الانبا كيرلس بطريرك القبط الارثوذكس وعوض واصف افندي وكيل الطائفة الانجيلية وحضرات احمد شوقي بك ولويس افندي فانوس والشيخ ابراهيم الخطيب وفهمي بك حنا ويصا ومحمود ابو النصر بك والفرد شماس بك من اعضاء مجلس الشيوخ وبشرى حنا بك وعبد الرحمن عزام بك وحمدي سيف النصر بك وعبد الحميد سعيد بك من اعضاء مجلس النواب وحضرات سليم موصلي باشا وساويرس ميخائيل بك ومحمد وحيد بك وحنا باخوم بك ونجيب شقير بك ويوسف بشتلي بك والاستاذ الشيخ رشيد رضا وعبد الحميد اباظه بك والدكتور عبد الرحمن شهبندر وعبد الرحمن جميعي بك مدير قلم المطبوعات وسليم عز الدين بك مساعده والدكتور منصور فهمي من اساتذة الجامعة المصرية. وحضر من نقابة الصحافة الاستاذ عبد القادر حمزه بك وكيل النقابة وسليمان فوزي افندي سكرتيرها وداود بركات بك من اعضائها وجمهور كبير من الصحافيين وكثيرون من رجال القلم وكبار الموظفين والمحامين والاطباء ورجال الرسالة الاميركية وبعض من اساتذتها وجمهور عظيم من الوجهاء والفضلاء ومندوبو الهيئات المختلفة واعضاء اقلام التحرير في المقتطف والمقطم وموظفو ادارتهما وعمال مطبعتها حتى غصت الكنيسة بالحاضرين ووقف كثيرون في المداخل

وفي الساعة الرابعة والنصف وصل نعش الفقيد الى الكنيسة يحيط بهِ افراد اسرتهِ وقد وضع عليهِ اكليل من الازهار العبقة فوقف الحاضرون اجلالاً وبعد الجلوس ابتدأت صلاة الجنازة

فتلا جناب القس اسحق ابراهيم راعي كنيسة مصر الجديدة الانجيلية آيات من الكتاب المقدس عن نهاية الانسان وتكلم كلمات موجزة عن حقيقة الموت والقيامة وحسن عقيدة الفقيد فيهما وعقبهُ جناب الدكتور مكلانهن مدير كلية الآداب بالجامعة الاميركية

فرثى الفقيد بالانكليزية و بسط تاريخ حياتهِ وجهادهِ في سبيل العلم ومما قالهُ فيهِ ان الفقيد الكريم قضى نحو ٥٧ عاماً في التأليف والتحبير لم يخط قلمهُ في اثنائها كلمة واحدة يندى لها الجبين خجلاً. واخيراً وقف القس صالح حنا الله راعي كنيسة حارة السقائين الانجيلية فرثاهُ بالعربية ذاكراً مناقبهُ وصلى الى الله مستمطرًا شآبيب الرحمة على جدثهِ ورتلت جناب المسز جارتهوف من العقائل الاميركيات ترنيمة كنائسية محزنة باللغة الانكليزية بصوت رخيم على نغمات الارغن

و بعد الصلاة الختامية حمل النعش الى المركبة وانتظم مشهد الجنازة واشترك في حمل بساطي الرحمة حضرات الوجهاء محمد وحيد بك الايوبي وعبد الحميد اباظه بك و بشرى حنا بك وعبد القادر حمزه بك وعبد الرحمن عزام بك وعبد الرحمن جميعي بك والاستاذ ادوار قصيري بك والفرد شماس بك واحمد شوقي بك وسارت الجنازة ووراءها حضرات الدكتور فارس نمر ونجيب بك صروف نجل الفقيد وسعيد شقير باشا صهره وابناء شقيقي الفقيد وانجال شريكه المرحوم شاهين بك مكاريوس والبرت بك نمر ورئيس تحرير المقطم وجماهير المشيعين الى ميدان الاوبرا وهناك تقدم جانب منهم معزين وركب جمهور كبير منهم المركبات الى المقبرة في مصر القديمة فوضع النعش على باب القبر والقى حضرة الكاتب المجيد الدكتور احمد فريد رفاعي بك كلمة رثاء مؤثرة أملتها عواطفهُ الرقيقة وكان صوته في اثناء القائها متهدجاً يكاد يختنق بالعبرات من شدة الحزن وتلاهُ حضرة الخطيب القدير الاستاذ لطفي جمعه بك فرثا الفقيد رثاء بليغاً ثم ناب عن حضرة الكاتبة الشهيرة الآنسة «مي» في تلاوة مرثاتها وهي نفثة من نفثات سحر البيان واخيراً انزل النعش الى القبر حيث ووري الفقيد في مرقده الاخير بمشهد من اصدقائهِ وأفراد اسرتهِ ثم تقدم المشيعون بالعزاء وعاد الجميع يذكرون تلك الحياة العاملة بخير ما يذكر بهِ خدام الانسانية واصحاب المآثر الخالدة

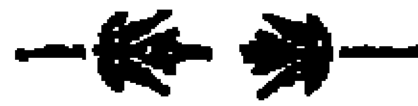
ورافق مشهد الجنازة حضرات مأموري اقسام عابدين والازبكية ومصر القديمة ومعهم بعض الضباط كل منهم في دائرة قسمهِ

***

وقد انهالت تلغرافات التعزية من جميع الانحاء على اسرة الفقيد وادارة المقتطف والمقطم وهي طافحة بمظهر الحزن والاسى وتقدير الراحل الكريم قدره واعرب كثيرون عن

اسفهم لعدم استطاعتهم حضور الجنازة لغيابهم عن العاصمة أما في غيرها من مدن هذا القطر او في الخارج

ويضيق بنا المقام اذا حاولنا نشر اسماء حضرات الذين تفضلوا بارسال تلغرافات التعزية ورسائلها من العاصمة وسائر مدن القطر ومن سورية وفلسطين وانكلترا وفرنسا ولكننا نشير اشارة خاصة الى التعزية السامية التي تفضل صاحب الجلالة ملك مصر بارسالها من لندن حينما ابلغ خبر الوفاة . ونشير ايضاً الى تلغرافات التعزية التي تلقيناها من صاحبي السمو الاميرين الجليلين عمر طوسن ومحمد علي ومن صاحبي الدولة ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء وعدلي يكن باشا رئيس مجلس الوزراء السابق وصاحب الفخامة المندوب السامي البريطاني بالنيابة واصحاب المعالي والسعادة الوزراء وسفراء الدول الاجنبية وسفراء الدولة المصرية في الخارج ورؤساء الطوائف الدينية والهيئات الرسمية والجمعيات العلمية والخيرية والمحافل الماسونية وغيرهم من ارباب الوجاهة والفضل فنتقدم الى هؤلاء جميعاً بالشكر الجزيل ونتمنى لهم حياة حافلة والهناءة والسعادة «مندوب المقطم»



تأبينهُ في المدفن

كلمة الدكتور احمد رفاعي بك

مات الدكتور يعقوب صروف !

مات والد بار

مات زوج كريم

مات صديق وفي

مات عالم كبير

مات فيلسوف عظيم

مات الدكتور يعقوب صروف ! فهلموا آلهُ ورفاقهُ. هلموا اخوانهُ وشركاءهُ . هلموا اخوانهُ واصدقاءهُ : هلموا بجلال ومهابة وخشوع نودعهُ الوداع الاخير ، هلموا لتدفنوا اللحظة من كرمتم السنة، فقد مات الدكتور يعقوب صروف ! فلا اقل ، آله ورفاقهُ ، من وقفة على قبره بعيون ثرة بالبكاء ، وهام منكسة لفداحة المصاب ، ودموع هتانة سخينة ،

وقلوب قد سحقتها الفجيعة ، ونفوس كليمة حزينة وجوارح كل عضو منها يزفر ويئن ، ويهتف ويقول في بكاء ونشيج ،وعويل ونحيب « نواري الساعة الاخلاق مجتمعة، والوفاء ممثلاً ،والعلم ناضجاً،والفضل باسقاً. نواري قبساً قدسيًّا من ملكوت الحكمة والرحمة ،وسماء النبوغ والعبقرية . نواري قائدنا الكمي وشيخنا الحكيم من قاد لمصر والشرق كتيبة العلم والتحرير والفلسفة ، قدماً لا يلوي على شيءٍ ،وان اثخنتهُ الجراح او بعدت بهِ السن او هدَّهُ المرض . . . .فنواري بدفنهُ يا رفاق ،العالمَ والكاتبَ والفيلسوفَ . فما ونى راحلكم الكريم لحظة من ايام حياتهِ ، حتى ساعة الوداع الاخير ، في بحث يسطرهُ ، او مقال يدبجهُ ، او مذهب جديد ينشرهُ ، في شجاعة وحسن عقيدة

« فايه أيها الراحل العظيم . والزوج الكريم . إيهٍ أيها الصديق الحميم والوالد الرحيم، قد عظمت فجيعتنا فيك ، وجل خطبنا بوفاتك ، ونزلت بساحتنا الهموم والاحزان لخسارتك،واصبنا بالدهشة واللكنة والحصرلفقدك، فما ننطق الاَّ بكلمات قطعتها الانات ، وخنقتها العبرات

« ايه ايها الراحل العظيم، فقد جلت رزيئتنا ، وعظمت مصيبتنا ، فنحن الساعة يا رفاق الدكتور صرُّوف ، نواري حين ندفن الدكتور صرُّوف ، الحكمة والاصالة، نواري ركناً عظيماً من اركان نهضة الشرق ، نواري العقل الحصيف واللسان العفيف ، نواري انبل الشمائل واكرم الفضائل ..... وكفى انا ندفن الساعة الدكتور يعقوب صرُّوف ! ندفن الاب العيوف ، ندفن الوالد الحدب العطوف ، ندفن الرجل العظيم والشهم الانوف ، ندفن الشيخ الوديع الرحيم ، والصديق الوفي الحميم

لست مؤبناً رفاقي ولا معزياً . لان موقف من كان مثلي في صلتهِ بالراحل الكريم ، وزميل الراحل الكريم ، لا يستطيع ان يكون مؤبناً ولا معزياً ...

لست مؤبناً رفاقي ولا معزياً ،لان كل من اتصلت روحهُ بتلك الروح الوثابة الفتية، الحكيمة الوادعة الرضية ، تلك الروح الهادئة المطمئنة التي تحلق اليوم في سماء الفضيلة في اوبتها الخالدة الى بارئها الرحيم، لن يكون في موقفي هذا ، موقف الوداع الاخير مؤبناً ولا معزياً . بل يكون راضياً قضاء الله في خشوع . متقبلا قدرهُ في خضوع متذرعاً في موقفهِ بما لراحلنا العظيم من هدوء وجلد ، وسكون وصبر ، واذعان وحسن ايمان

وارحمتاهُ للراحل العظيم

وارحمتاهُ لامرتهِ واقربائهِ
وارحمتاهُ لخاصتهِ واصدقائهِ
وارحمتاهُ لشريك حياتهِ ، وزميل حداثتهِ ، وشقيق نفسهِ
رحمة وعزاء للجميع

كلمة الاستاذ محمد لطفي جمعه

سيداتي وسادتي

أعيروني اذناً مصغية وقلباً واعياً فقد جئنا نواري هـذا الحكيم التراب ونعدد ما نستطيع من مآثرهِ فانَّ الخير الذي فعلهُ صرُّوف سيبقى بعدهُ اجيالاً طويلة

لقد عاش يعقوب صرُّوف عيشة الفيلسوف ومات موت الفيلسوف معززاً مكرماً محبوباً من جميع عارفيهِ وعارفي فضلهِ واذا كان لكل انسان كتاب يتقدم بهِ لدى البعث والنشور فهذا الحكيم الراحل يتقدم بكتابين — يتقدم وفي يمينهِ سبعون مجلداً من العلم والحكمة والتاريخ والادب تمثل خمسين عاماً من الجهاد العقلي المستمر وفي يسارهِ كتاب آخر هو كتاب الخلق المستقيم والارادة القوية والثبات والنشاط والدأب على العمل في غير هوادة ولا جمود

لم يكن صرُّوف لبنانياً ولا سورياً ولا عربياً ولا مصرياً بل كان من نوابغ العالم والافذاذ ومن حملة المشاعل المضيئة في دياجير الحياة الانسانية فهو ملك مشاع بين الشرق والغرب والعرب والافرنج بل ان اساتذتهُ وتلاميذهُ وقراء علمهِ وادبهِ هم في القرب منهُ كحكم اهلهِ وقومهِ . فهنا ليس من يعزي ومن يعزَّى بل الكل مفجوعون محزونون في هذا المصاب وحيرن صوت الناعي في سائر انحاء الارض فيحدث الاسى حيثما وصل

لقد اعطى صرُّوف مثلاً حياً لاصحاب العقول وخدام العالم في الشرق بالاستقامة الفكرية والنظام والدأب على العمل بصبر وثبات . وقد شاءت الاقدار ان يموت في ختام السنة العلمية لمجلة المقتطف كأنهُ ابى ان يغادر هذا العالم قبل ان يطمئن على تمام العمل

ولقد شغلتهُ في اثناء حياتهِ معجزة الحياة والموت وسرّ الوجود والكون . وعالم الارواح ونظريات الحياة بعد الموت



المرحوم الدكتور صروف في كهولته

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٨٩

وها هي قد سنحت لهُ الفرصة العظمى ليقف بنفسهِ على هذه الاسرار الكبرى . لاجل هذا نظنّ بل نجزم بانهُ استقبل الموت هادئاً مطمئناً بل فرحاً وليس الموت لدى امثاله سوى الاقبال على عالم عظيم جليل هو عالم الابدية عالم اللانهاية واليـهِ تتوق النفوس والارواح الجيدة لانهُ يدنيها من حل لغز الكون العظيم. كان يقول لي لقد عصمتني الكيمياء والرياضيات والعلوم البحتة عن الوقوع في الخطاء الذي يقع فيهِ الادباء واليوم اقول لكم ان حب العلم وحب الوصول الى الحقيقة قد عصماهُ ايضاً عن الخوف من الموت

ومنذ سبع سنين لما رأى ببعد نظرهِ وحسن فطرتهِ ان مصر قد نهضت نهضة الاسد لاسترداد حقوقها وانها تستحق الاستقلال الذي تنشدهُ جاهر برأيه في جريدة المقطم ونشر هذا الرأي في انكلترا ومصر بعد ان اقتنع بهِ . فهذه شجاعة عظيمة من ذلك الحكيم وخدمة للحق والحرية تذكرها لهُ باعظم الثناء والشكر

لو صحّ في الشرق العربي ان يكون لكل قبر رمز يعترف بهِ لصحّ ان يكون رمز هذا القبر يداً بارزة تحمل في قبضتها شعلة نار تضيء العالم . فالوداع ايها الحكيم الراحل والى اللقاء في العالم الآخر

مات صرّوف

كلمة الآنسة «مي» التي تليت في المدفن

مات صروف ، يا آل صروف ! فجعنا واياكم فيهِ ففقدناهُ من حظيرة بني الانسان . فهل رأيتم خطباً تجمعت فيهِ خسارات اكثر من هذه الخسارات ؟

مات صروف يا زوجة صروف ! فهل في جماله وكماله من قرين احوز لما يليق بك من جمالٍ وكمال ؟

مات صروف، يا ابناء صروف واخوانهُ واقاربهُ واصدقاءهُ وتلاميذهُ ! فقولوا هل من أب وأخ وقريب وصديق واستاذ أحق من هذا بالاكبار والاجلال ؟

مات صروف ، يا ابناء الجيل القديم ! فتعالوا وأشهدوا الجيل الجديد على التفوق فيكم ، واعلنوا باجرإ بيان وافصح لسان ان في مثل صروف أعلى مثل يحتذى في الكفاءة والجد والتسامح والاستقامة !

مات صروف يا سوريا ! فهل بين احرارك الذين شردهم الظلم والضغط والاضطراب

والشقاء من هو اطهر جناناً ، واعف لساناً ، واسمى امتيازاً ، واحصف فكراً ، واصدق نظراً وحكماً ؟

مات فتاك ، يا لبنان ! فتعالَ بقممك وغاباتك وارزك وهدير انهارك وقف حيال هذا النعش مسائلاً بأصواتك المختلفة « أليس بين افذاذ الامم مكان هذا الذي انجبت » ؟

مات صروف ، يا مصر ! مات هذا الذي حلَّ منك في وطن هنيٍّ كريم بعد وطن على المتنورين ضنين. فقولي هل بين الذين رحبت بهم وحبوتهم بنعمتك الحسية والادبية من هو اسخى لك من عقله وروحه وقلبه منحاً ؟ وهل بين العاملين لليقظة والتقدم من كان اجود واخلص في العلم والنور والتحرير الفكري عطاء ؟

مات صروف ، أيها العالم العربي ! فهيا بمختلف ممالك ونحلك واحزابك وقل هل في وسعك ان تقدم للغرب من هو أكمل تمثيلاً لجملة مواهبك وسجاياك

مات صروفنا ، أيها الغرب ! مات الذي كان ينشر كنوز قومه وينقل الى قومهِ خير ما تكتشف مدنية الغرب وتبدع . فكان بذلك من انبل الصلات بين الشرق والغرب ومن احكم الساعين الى محو الفروق الثانوية والتوحيد بين بني الانسان

مات صروفنا ، يا علماء العالم . انتم الذين تعرفونهُ وانتم الذين تجهلونهُ . اعلموا انهُ اضطجع لينام نومة الابد . نصارحكم نحن الذين ننعيهِ اليكم ، ان رحيله يحدث ثلمة في صفوفكم . انهُ فذٌّ بين افذاذكم في علمهِ واستقامتهِ واخلاصهِ وهمتهِ التي لا تعرف الوهن والكلال . انهُ فذٌّ في الخلق القويم العالي الذي يجب ان يتصف بهِ امثالكم . خلق نذكرهُ اجمالاً فيقرهُ كل من عرف صروفاً . واذا ما عمدنا الى التفصيل رأينا امامنا ثلاثة ارباع القرن تامة كريمة في اعوامها وشهورها وايامها وساعاتها جميعاً

مات صروف ، أيتها الحقيقة ! مات الذي كان من أنزه وادق من يستقرئك ويجري خلفك ويبحث عنك وراء مظاهر الخير والشر ، والاصابة والخطاء ، والفضل والنقص ، والحركة والجمود ، والدمامة والجمال ! فان تيسر ان تقفي لحظة في سيرك الخطير المتتابع فامثلي امام هذا النعش نعش صروف الكبير وقولي قولك الصادق :

« هذا هو ولدي ! وهو من صميم ابنائي »

***

مات صروف في الشهر الذي ولد فيهِ وقبل عيد ميلادهِ بعشرة ايام . فهو يحمل

في نعشهِ سر الولادة وسر الموت ، ومعجزة الوجود والفناء في الصور والاشكال ليتم لجوهر الخلود

مات البارحة والبدر سادر في الفضاء يلقي على الظلام غلالة الضياء . فكان ذلك رمز الخدم التي أداها الى اللغة والعلم والشرق والانسانية . وها هو ينزل لحده والشمس جانحة الى المغيب وهذا دليل على ان الخادم النبيل أدى كل واجبهِ ، ودليل على ان الزارع الجليل نثر لقومهِ جميع الحبوب التي جمعتها الحياة في قبضة يدهِ !

***

لا تبطئوا في ايداع جثمانه اللحد ، أيها المشيعون والمودعون ! فالارض المصرية التي عاش عليها عزيزاً كريماً ستحضنهُ برفق ولين ، لانهُ من اخلق الناس بعطف تربتها السخية ومن خير مَن أخذ منها واعطاها

لا تتريثوا في انزال جثمانه اللحد بعد ان عادت روحه الى باريها . أجل . ان الشرارة المنبثقة من الشعلة الدائمة رجعت الى اصلها ، ونثرة النور المتطايرة من الشعاع الخالد غادرت هيكلها الانساني منقلبة الى مصدرها الازلي السرمدي

فلا تبطئوا في ارجاع المادة الى مربضها لئلا يتململ الفيلسوف فيلقي عليكم من هذا المنبر درساً في ان النظام الابدي لا بد ان يستهلك حقوقهُ ويتمّ اعماله وغاياتهِ !

ولكن قبل ان تفعلوا زودوهُ بالخيال ، بغصن من الارز وسعف من النخل ، و بشتيت من الاصوات والعطور والذرات والصور والاشكال ، و بذخيرة من لوعة القلوب ومضض الاحزان ودموع الفراق . اجعلوا من كل ذلك للفيلسوف زاداً يتخذهُ موضوعاً لمتابعة أبحاثهِ ! زودوهُ بصور النجوم ، ودقائق الكيمياء ، ومشاكل الرياضيات ، ودوران الفلك ، وتلبد المجرة ، وتقلبات الاقدار ليحللها جميعاً و يبسط لنا معانيها في رسالة وحي ينفذها الينا بوسائل لا يعرفها الاّ الموتى المحبون . علنا نصير ابعد فهماً ، واوسع ادراكاً ، وارحب صدراً ، واوعب لمعاني الحياة والموت

أيها الصديق ! ايها الاستاذ ! أيها الكاتب والخطيب ! ايها العلامة الحكيم ! يارجلاً فاضلاً الفضل كلهُ ! أيها العظيم بوداعتك و بساطتك عظمتك بعلمك وامتيازك ! انت بجمودك وسكوتك تقول « وداعاً أيها الاحياء ! » ونحن نقول بتفجعنا ودموعنا قولنا باعجابنا وشكرنا « الى اللقاء في حضن الله ! »

سيرة يعقوب صروف

١٨٥٢ — ١٩٢٧

رزئ العلم وبنوهُ ونكب الأدب ومحبوهُ وناصروهُ ومُنيت نهضة الشرق العلمية بتواري علم من اعلامها وواحد من كبار الذين اشتركوا في وضع اساسها وفجعنا نحن المشتغلين في دائرة المقتطف والمقطم في وفاة كبيرنا ومشيرنا نخسر بهِ العلم والادب ثروة طائلة وفقدنا نحن من كان كالاخ الاكبر للمتقدمين منا وكالاب الشفوق للباقين وانهار سند كنا نعول عليهِ اذا تعقدت المشكلات ودجا ليل الخطوب وسال سيل المعضلات. وكنا نحسب مما نشهد من نشاطهِ ودأبهِ على العمل وما نعرف من سلامة بنيتهِ انهُ سيظل اعواماً اخرى في طليعة العاملين ولكن شاء الله ان يختارهُ الى جوارهِ وهو لا يزال في مثل مظاهر الشباب وبذلك قضى القضاء فلا حول ولا قوة الاَّ بالله

وافاهُ القدر المحتوم بعد مرض قصير ما امهلهُ سوى ايام قليلة ولم ينجح فيهِ علم الاطباء الالباء ولا ردت عاديتهُ عناية الاهل ومحبة الاصدقاء وحنان الزوجة وبر الاولاد وما استطاع الداء ان يفلّ من مضاء عقلهِ او يشوب صفاء ذهنهِ ولا اضعف من تجلدهِ وصبرهِ فاسلم الروح قبيل نصف ليل الاحد بعد جهاد طويل مذكور في خدمة العلم والشرق ستظل آثارهُ بارزة في نهضة شعوب الناطقين بالضاد وانطفأ سراج حياتهِ الوهاج بعد ما اضاء اندية العلوم والفنون وطارت روحهُ الى خالقها في سكينة الليل المقمر وقد هدأت الحركة ودنا الخلق من الخالق كأنَّ السكون الذي كان الفقيد يحبهُ في حياتهِ لازمهُ الى ساعة مماتهِ

مولده ونشأته المدرسية والعلمية

ولد الفقيد في قرية حدث بيروت في ساحل البحر المتوسط وفي سفح جبال لبنان في شهر وليو سنة ١٨٥٢ في بيت عُرف افرادهُ بالفضل وحسن التربية وطابق صباهُ بزوغ شموس العرفان في الربوع السورية وكان والداهُ بعيدي النظر فلما شهدا ذكاء نجلهما وسمعا شهادة معلميهِ في مدرسة سوق الغرب فيهِ عقدا العزم على مواصلة تعليمهِ الى النهاية وكان للاميركيين مدرسة عالية في قرية عبيه من مصايف لبنان فارسلاهُ اليها في زمان كان الاقبال على العلم والتعليم في تلك الديار شذوذاً والراغبون فيهِ يعدون على اصابع الكفين وهناك بدت مظاهر كفاءتهِ فلما اسست كلية بيروت الاميركية المعروفة اليوم بجامعة بيروت

الاميركية كان في مقدمة المنتظمين في سلك التلمذة فيها وكان من افراد الفرقة الاولى من متخرجيها وظل في الاعوام الاخيرة من حياتهِ الحافلة بالاعمال النافعة كبير متخرجي تلك الجامعة المشهورة في جميع الاقطار

وبعد ما مارس التدريس عامين في مدرستي صيداء وطرابلس الشام العاليتين للمرسلين الاميركيين دعاهُ مجلس ادارة الجامعة الى تدريس الكيمياء والعلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ثم اللغة والبيان وقد كان يذكر ذلك دائماً و يعدهُ اكبر ما اهّلهُ لعملهِ في المقتطف فصادف هذا من نفسهِ هوى و برع في ما توخاهُ وشهد لهُ اساتذتهُ السابقون وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور فانديك بالنبوغ والنشاط. وكان حبهُ العلم لنفسهِ من اعظم البواعث لهُ ولشريك حياتهِ واخيهِ الدكتور فارس نمر على تأسيس المقتطف سنة ١٨٧٦ وقد انضم اليهما شريكهما واخوهما الثالث المرحوم شاهين بك مكاريوس فكان اشتراك هؤلاء الثلاثة من سن الشباب الى سن الشيخوخة مضرب الامثال في الاتحاد والتعاون والنشاط والاجتهاد وجني ثمار هذه الفضائل والسجايا فاثبتوا بها ان الاخ الصديق قد يكون اوفى من الاخ الشقيق

وفي سنة ١٨٧٨ اقترن بسيدة من خيرة المتعلمات والمهذبات في سورية ولبنان وهي السيدة ياقوت بركات فكانت لهُ خير معوان في جهادهِ العلمي بحسن تدبيرها وكريم خلالها وشدة عنايتها براحة زوجها ورفاهيتهِ وعطفها على الغايات العظيمة التي وقف نفسهُ عليها وصار بيتهما في رأس بيروت بجوار الجامعة منتدى للادب والفضل يؤمهُ العلماء والادباء من جميع الاقطار فيلقون فيهِ من البشاشة وحسن الضيافة ما اكسب الزوجين الشابين صداقة المحبين والاصدقاء واحترامهم في المشارق والمغارب ورزقا نجلهما نجيب بك وكريماتهما الثلاث اللادي شقير قرينة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا والمدموازل الن والسيدة السمدام الفريد بك نوبي من اشهر بيوت بيروت. فكانت حياة هذين الزوجين خير قدوة لما يجب ان تكون حالة الازواج من التعاون والتفاهم والغبطة والسعادة والهناء

وقد انتشر تلاميذ الفقيد وتلاميذ تلاميذهِ كما انتشرت كتاباتهُ وتآليفهُ في جميع الاقطار العربية و بلدان اوربا واميركا واستراليا وافريقية وسيقابل نعيهُ منهم بالاسى والاسف على فقد من احسن تعليمهم وتهذيبهم واسدى اليهم جانباً من ثروتهِ العلمية فمهد لهم سبل النجاح والفلاح وسيظل هؤلاء الذين كانوا تلاميذهُ ثم صاروا اخوانهُ واصدقاءهُ يذكرون فضلهُ عليهم وعنايتهُ بهم وحبهُ لخيرهم ونفعهم ويترحمون عليهِ عداد هذه

المكربات ويستمطرون على جدثهِ شآبيب الرحمة والرضوان

الفقيد والمقتطف

نبت المقتطف نبتاً صغيراً ليكون في الشرق رائد النهضة العلمية التي اخذت تظهر وتقوى في الثلث الاخير من القرن الماضي وليكون صلة علمية وادبية واجتماعية بين الشرق والغرب وكان منشئاهُ الشابان يحررانهِ وهما يتوليان تدريس العلوم والرياضيات وسائر المواد التي عهد اليهما في تدريسها في الجامعة الاميركية . وطار صيت المقتطف وذاعت انباء علم صاحبيهِ فلما اشتدت وطأة التضييق على المطبوعات في سورية فكّرا في الرحيل الى الولايات المتحدة لولا ان اصدقاء لهما اشاروا عليهما بنقله الى هذا القطر السعيد وقد اخذت العلوم والمعارف تزهو فيهِ بعناية حكومتهِ ورعاية البيت العلوي الكريم فزاراهُ باحثين ولقيا من رعاية اقطابه وزعمائه وفي مقدمتهم المغفور لهُ الخديوي توفيق والمرحومان شريف باشا ورياض باشا وترحيبهم وحفاوتهم وتنشيطهم ما حملهما على المجيء بهِ الى مصر حيث استقبلهُ الادباء والعلماء والفضلاء بما شدد عزيمة منشئيهِ وبعثهما على توسيع نطاق مباحثهِ وزيادة ابوابهِ واتقان طبعهِ ومن ذلك الحين اتخذ المقتطف منزلة خاصة وصار مصباح العلم في الديار العربية

وانشئ المقطم في سنة ١٨٨٨ فقام الدكتور صرّوف بتحرير المقتطف بهمتهِ المعتادة وتدقيقهِ المشهور وظل يباشر العمل فيهِ ويشرف على اعدادهِ الى آخر اسبوع من اسابيع حياتهِ العملية وقد وجدنا في منزله استهلال رسالة شرع يكتبها قبيل ذهابهِ الى الفيوم لتنشر في الجزء القادم من اجزاء المقتطف . فصار المقتطف دائرة المعارف والفنون الحية في العربية وعنوان نهضة العلم فيها جاري التقدم العلمي المطرد في ابواب الفلسفة والحكمة والعلوم النظرية والعملية والاكتشافات والاختراعات وتحوّل الادب في العربية وسواها من اللغات حتى صارت مجموعاتهُ العظيمة لواحد وخمسين عاماً مرجعاً يرجع اليهِ الباحثون وهدياً يهتدي بهِ المحققون

واقتنى الفقيد في خلال حياتهِ اطياناً ومباني واموالاً كان يراها كلها في المقام الثاني بعد المقتطف ولا ينفق عليها من العناية والوقت عشر معشار ما ينفق منهما على هذه المجلة التي كان يحبها حب ولد لولدهِ ولا يهنأ لهُ عيش الاّ اذا اتم عملهُ فيها على الوجه الاكمل واتيح لهُ المحافظة على صبغتها العلمية الرفيعة التي انشئت لاجلها

وكان يحب البساطة في ايراد العبارة ويجتنب الحوشي من اللفظ والمعقد من الجمل مع

مراعاة قواعد اللغة مراعاة تامة والتزام اصولها وقواعدها لان غرضه الاكبر كان ايصال المعاني الى الاذهان بأوجز الوسائل واسهلها وقد وصف بعض الكتاب اسلوبهُ في الكتابة فقال انهُ السهل الممتنع

الفقيد والتحقيق العلمي

كان الفقيد مطبوعاً على حب البحث والتحقيق شأن العلماء الحقيقيين يأبى ان يأخذ القضايا والنظريات بظواهرها وقد يقضي ساعات واياماً في مكتبتهِ الكبيرة في ادارة المقتطف او مكتبتهِ الاخرى الواسعة في دارهِ او دار الكتب المصرية في درس مسألة علمية او نظرية فلسفية او معادلة كيماوية ولا يملُّ ولا يكلُّ حتى يصل الى الحقيقة المنشودة ولا يلهيهِ عن البحث عنها الى اجل مسمى الاَّ واجب آخر لا سبيل الى تأجيلهِ. اما ما سوى ذلك فلم يكن لهُ نصيب من اهتمامهِ عند اشتغالهِ بكشف المعميات وحل المسائل العويصة والحرص على التماس الحقيقة دون سواها واماطة اللثام عن الخرافات والخزعبلات والتنجيم والنظريات الفاسدة والمقدمات الضعيفة. وكان اذا عرضت عليهِ مسألة من المسائل واجهها بثاقب فكرهِ وشرع يعالجها فوراً من الوجهة العلمية فيرد المسببات الى اسبابها نابذاً القشور غير حافل الاَّ باللباب. والذي يطالع باب الاسئلة والاجوبة في مجلدات المقتطف ومافيهِ من اجوبة سديدة في مختلف العلوم والفنون والحوادث والحالات يدهش مما وعى صدره من الحقائق والمعلومات وما كان عليهِ ذهنه من المضاء ونظرهُ من صدق الحكم والاستنتاج وما انطوى عليهِ من الصراحة وحب الحق. وكان مع عظم احترامهِ للعلماء والمحققين لا يسلم باقوالهم ونتائجهم ومذاهبهم العلمية عفواً ولطالما ناقش في المقتطف نظريات لهم لم يرتح الى صحتها واقام الحجة والبرهان على ضعفها او فسادها فكانت الايام تأتي محققة لرأيهِ مؤيدة لنظرهِ

وقد اضاف الى ثروة اللغة العربية الفاظاً واصطلاحات علمية عديدة ابتكرها او نحتها او استخرجها من المظان المجهولة وساقها في عرض مقالاتهِ وصقلت بعد ذلك بالاستعمال وكثير من هذه الالفاظ والاصطلاحات في العلوم العديدة التي كان يجيدها وفي المباحث الفلسفية والادبية والتاريخية التي كان لها من المقتطف نصيب كبير

الفقيد كمعلم ومرشد

وكان من جراء هذه الصفات واخصها الاخلاص في العمل والرغبة العظيمة في نشر العلوم والمعارف التي كان يحبها ويهواها ان كان الفقيد من خير المعلمين والمرشدين. يعرف

هذا تلاميذهُ والذين اشتغلوا معهُ وكثيرون من الذين عرفوهُ وشهدوا مباحثاتهِ وسمعوا احاديثهُ. وكنا نحن المشتغلين معهُ في هذه الادارة من الكتاب والمحررين اذا ذهب الواحد منا اليهِ بسؤَال او استفهام وهو مكبٌّ على كتاب يطالعهُ او مقالة ينشئها او رسالة يصححها اوقضية علمية او رياضية يعالجها يرفع رأسهُ باسماً في وجه السائل و يترك علامة على عملهِ في موضع الانقطاع عنهُ ثم يقبل على محدثهِ و يسمع اقوالهُ حتى اذا استوعبها طفق يجيب عن السؤَال بعبارات بسيطة وشرح وايضاح يحلان المعقد ويفتحان المغلق وكثيراً ما كان يستعين على ايضاح مرادهِ بالرسم على الورق حتى يستوفي الشرح والايضاح

ولطالما كان يدعو عاملاً من عمال المطبعة او موظفاً من موظفي الادارة او محرراً من محرري المقتطف والمقطم و يبسط لهُ امراً يتعلق بعملهِ او ينبههُ على خطإٍ وقع فيهِ بمنطق عذب وروح ينم على العطف والرغبة الصحيحة في الخير فاكتسب حب مرؤُوسيهِ المقرون بالاحترام وكانوا كلهم يشعرون ان الدكتور صرُّوف خير من يلجأُون اليهِ في حالات الحاجة وساعات الشدة والضيق فيلقون منهُ صديقاً صدوقاً ومحباً غيوراً

ولهُ فضل عظيم على الذين كانوا ينشرون رسائلهم في المقتطف فيصحح خطأ بعض منهم و ينبههم عليهِ و يشير على آخرين باختيار وجوه معينة من البحث وكل ذلك بعبارة الصديق لصديقهِ والاخ لاخيهِ

صفاته واخلاقه

وكان الفقيد مع علمهِ الغزير واختبارهِ الكثير وما احرز من مقام ونفوذ وكرامة واحترام من اشد الناس ميلاً الى البساطة وقد قال احد عارفيهِ من الذين اشتغلوا معهُ ان قلب الدكتور صرُّوف كقلب طفل ليس فيهِ موضع للغلّ والحقد وسائر هذه العيوب التي تشوب صفاء النفس . وكانت اسارير وجههِ تنم على ما طوي وراءها من خلق في صدرهِ يغلب عليهِ الابتسام ولا تفارقهُ البشاشة فاذا عرض لهُ ما يقضي بالامتعاض او الانقباض لا يلبث ان يسترد بشاشتهُ

وكان من اشد الناس كرهاً للخصام والشقاق واقربهم الى الصفاء والوفاق ومع غزارة علمهِ وسعة اطلاعهِ لم يكن يعرف للفظ العداوة معنى ولا يدرك لكلمة الحقد مغزى وعندهُ ان المرء ملزم بان يسدي المعروف والجميل و يبسط يد المعونة والاسعاف وكان يعد ذلك واجباً اوليًّا لا يستحق من ينهض بهِ الشكر عليهِ

والى القارئ حكاية بسيطة تصف هذه الاخلاق في فقيدنا الراحل فقد حدث ان مدير الادارة في المقتطف والمقطم تلقى ذات يوم طلباً من مدير ادارة جريدة يومية اشتهرت بخصومتها للمقطم والنيل من اصحابهِ بان يعيرهُ مبلغاً من ملفات الورق لآلة الطباعة الدوّارة فلبى مدير ادارة المقتطف والمقطم طلب زميلهِ ولكنهُ رأي قبل تسليم المطلوب ان يستشير اصحاب العمل فذهب الى الدكتور صرّوف وقص عليهِ القصة ولم يقل انهُ وعد زميلهُ بالورق وترك الرأي للفقيد فحدق فيهِ فقيدنا الكريم واجابهُ قائلاً « ان جاع عدوك فاطعمهُ وان عطش فاسقهِ فانك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسهِ » وهي آية من آيات الانجيل الشريف سردها في الجواب ولم يزد شيئاً عليها

وكان شديد البرّ بوالديهِ وشقيقيهِ وشقيقاتهِ وعاش والداهُ زماناً طويلاً مغتبطين بنجاحهِ وماتا قريري الاعين بما احاطهما بهِ من عنايتهِ وبرّهِ فكان مثال الولد البار كما كان مثال العامل الحكيم والعالم الذي لا يشق لهُ غبار

وكان صديقاً وفياً لاخوانهِ وخلانهِ واولادهم وذوي قرباهم يفرح لفرحهم ويرتاح الى نجاحهم ويحزن لحزنهم ويشاطرهم همومهم واتراحهم لا بالقول فقط بل بالفعل وبكل ما يتاح لهُ من وسائل المشاركة وله في ذلك فعال لا يعرفها سوى اقرب المتصلين بهِ وقد عرفوها بحكم العمل معهُ او اتفاقاً فقد كان الفقيد يصنع هذه المآثر ويسراهُ لا تدري بما فعلت يمناهُ ولطالما تمنى ان يكون اقدر مما كان على صنع الجميل واسداء المعروف

ومما يؤثر عنهُ حسن عنايتهِ بنجاح الشبان والشابات وتنشيطهِ لهم بالنصح والارشاد والنقد الرقيق ولهُ من هذا القبيل فضل كبير على جمهور من ادبائنا وكتابنا ولاسيما الحزين كاتب هذه السطور فقد كان قبل ان يتصل بادارة المقتطف والمقطم يلقى من الفقيد الكريم من الارشاد والنصح والتصحيح ما يعدهُ من اكبر العوامل في ما تلا ذلك من حياتهِ

ومما هو جدير بالتنويه في هذا المقام حبهُ الشديد للصراحة وقد عزز فيهِ هذه الصفة شدة تعلقهِ بالعلوم الطبيعية والرياضية وما تنطوي عليهِ من نواميس لا ترد ولا تقهر حتى ان صراحتهُ هذه كانت في بعض الاحيان علة عثرات والتباس وسوء تفاهم فكان يزيل ما ينشأ عنها من ذلك وسواهُ بما اشتهر بهِ من اخلاص الطوية وصدق العاطفة وحب الحق والرغبة العظيمة في الاصلاح

وكان وجيز العبارة في المجاملات لشدة حيائهِ فاذا بدرت من محدثهِ عبارة مدح وثناء عليهِ او اعجاب بعمل من اعمالهِ تورد خداهُ خجلاً وعقد لسانهُ وظل كذلك الى آخر

ايام حياته . ولا يزال الذين شهدوا حفلة العيد الخمسيني للمقتطف في دار الاوبرا في العام الماضي يذكرون كيف انهُ وشريكهُ ابيا ان يجلسا في المجلسين المعدين لهما على المسرح ولا ينسون موقف هذا العالم العظيم يومئذٍ والعبارة الرقيقة التي شكر بها ملك البلاد واقطابها ولجنة الاحتفال والذين لبوا دعوتها تأييداً للعلم واعترافاً بفضل العرفان

نشاطهُ واجتهاده

وقد كان من اسباب مقدرتهِ على المضي في عملهِ الشاق ومواصلتهِ للدرس والبحث والتصنيف والتأليف الى السن التي يخمد فيها الناس عادة الى التماس الراحة حسن بنيتهِ ونشاطهِ الفطري وبساطة معيشتهِ واعتدالهِ في كل شيء وقد ظل الى الاسبوع الاخير من اسابيع حياتهِ الحافلة بالعمل المثمر يأتي الى ادارة المقتطف والمقطم عند الساعة الثامنة من الصباح ويظل فيها الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر حتى اذا عاد الى دارهِ وتغدى واستراح قليلاً دخل مكتبتهُ وقد كسيت جدرانه بخزائن الكتب والمعاجم والانسكلوبيذيات وتكومت على مائدتهِ الصحف والمجلات فيجلس فيهِ يطالع ويكتب ويحقق ويدقق وكان اهل بيتهِ يلقون أعظم مشقة في اقناعهِ بالخروج معهم الى النزهة والرياضة في المساء فاذا عرض أمر يقتضي الانتقال هبّ من مكانهِ كأنهُ فتى في العشرين فكان من النادر ان يعقد اجتماع هام أو تقام حفلة ادبية او علمية او يحتفل بتكريم فاضل نابغ الأ وفي مقدمة الحاضرين ذلك الشيخ الشاب كما كان الدكتور مورتون هاويل وزير اميركا المفوض يلقبهُ كلما لقيهِ . وبالاجمال فان لذة الحياة الكبرى عندهُ كانت العمل ولاسيما العمل العلمي والادبي فحياتهُ من صباهُ الى وفاتهِ كانت وقفاً على هذا الجهاد

الفقيد في بيته وبين اخوانه

وكان الدكتور صروف في بيتهِ مثالاً للرجل المهذب الكامل رحب الصدر حلو الحديث يزينهُ بما وعي في صدرهِ من العلوم والاخبار والحوادث يفكه بها سامعيهِ وكان مضيافاً يلذّ لهُ ان يرى اصدقاءهُ واخوانهُ حول مائدتهِ ويبالغ في الترحيب بهم كذلك كان في بيروت في بدء حياتهِ الزوجية وكذلك ظل في مصر طول عمرهِ وكان يجد من قرينتهِ الكريمة الفاضلة اكبر مؤيد لهُ بما تحلت بهِ من الفضل والكمال وسلامة الذوق ورقة الجانب وشدة العطف واطلاق نور البهجة في منزلها الذي كان مقصد العظماء والكبراء ومجتمع العلماء والفضلاء وقبلة المعارف والاصدقاء

حب الفقيد لمصر

اذا أُتيح لكاتب هذه السطور من العمر والفراغ من العمل ما يمكنهُ من كتابة سيرة الفقيد كما يرجو فسيطلع الناس على وقائع وأحاديث واقوال تثبت ان الدكتور يعقوب صروف كان من أشد الناس حبا لمصر وأهل مصر وتقدم مصر وكل ما يتعلق بمصر وقد كان يتجه بعمله وأقواله الى كل ما يعتقد انهُ يعود عليها بالخير وكان شديد الاعجاب بالنهضة المصرية يكبر يقظة الزعماء واقبال الشبان والشابات على مناهل العلم والمعرفة ويطالب بالارتقاء العلمي والادبي والاصلاح الصحي والزراعي والتقدم الصناعي والاجتماعي ولطالما توسط في حل معضلات سياسية لا يعرف الناس عنها سوى اليسير كرمًا منهُ في الاعلان عن نفسهِ • وقد كان يعد مصر وطنهُ الحقيقي يحب هواءها ويطيب لهُ ماؤُها وينعم بصداقة فضلائها وعلمائها وكبرائهـا ويتمنى لها الخير ويتوقع لها الفلاح ويتوق الى استقلالها ونهوضها بنفسها الى غايتها وهي واقفة على قدميها

وقد عرفت مصر لهُ فضلهُ وأيقنت اخلاصهُ وما كان اجماعها على تكريم المقتطف في عيدهِ الخمسيني برعاية جلالة الملك وحضور الامراء والوزراء والعظماء وممثلي الهيئات سوى مظهر من مظاهر عقيدتها بهذا العالم الفاضل الذي غرس في مصر ما غرس من حدائق القريحة وانبت في ارضها الخصبة ما انبت من ثمار العلم والعرفان واعترف لهُ بصدق الخدمة ونزاهة المقصد وسمو الغاية والغرض

***

هذه لمحة موجزة كتبها هذا العاجز الضعيف ونار الحزن تضطرم بين الضلوع والعين تسيل أسى على من كان لكاتبها بمقام الاخ الكبير والمرشد الحكيم والرئيس المشبع بالعطف والمحبة . وهي لمحة كان اولى الناس بكتابتها اخوهُ الروحي وشريكه في حياتهِ العاملة الدكتور فارس نمر ولكن الحزن العظيم على فراق أحب الناس اليهِ عقد لسانهُ وقيد قلمهُ البليغ بعد ما شرب كأس فراق شريكيهِ العزيزين فهو اليوم اجدر الناس بالتعزية واولاهم بالعطف على ما أصابنا جميعًا

كتبت هذه الكلمة لا رغبة في تأبين فقيد عزيز ولا حبًا بالفخر والمباهاة ولكن اطاعة لصوت الواجب ولا يؤْسفني بعد الحزن العميق على وفاتهِ سوى قصوري في هذه الساعة عن ان افيه حقهُ من الرثاء نفعنا الله بسيرتهِ وقدوتهِ وعلمهِ ومكارمهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ وأمطر جدثهُ عارض الرحمة والرضوان وعوضنا خيراً خليل ثابت

مثال نادر

كان مثالاً نادراً في هذا الشرق للحياة العلمية الخالصة ، وكان مثالاً نادراً للصبر والمثابرة ، وكان مثالاً نادراً لطيبة النفس وحسن السيرة ، فنعيهُ خبر لا يجتزأ بذكرهِ في اخبار الوفيات او في ثنايا الصحف ولكنهُ حادث من حوادث العصر تسير بهِ الانباء وتستخرج منهُ العظات

لا نعرف رجلاً في الشرق الحديث فضي حياتهُ كلها للعلم والتعلم عاكفاً على الدرس بين الكتب والاوراق لا يشغلهُ عنها شاغل من ملاهي الحياة كما انقضت تلك الحياة المباركة التي انطوت اليوم بوفاة الدكتور صروف . ولا نستثني من ذلك الا فرداً او فردين نتمنى لهما طول العمر وتيسير الظروف وحسن الافادة وطيب الجزاء . ولسنا نعرف مجلة في الشرق كلهِ عمرت ما عمرهُ المقتطف وافادت ما افادهُ في نشر المعارف وتنوير الاذهان وتحبيب القراء في العلم والدراسة ، ولسنا نوليهِ غير حقهِ من الثناء حين نقول انهُ كان في حياتهِ المديدة خيراً من مائة مدرسة تعلم طلابها القشور وتعنى بظواهر المعرفة اضعاف عنايتها بالفهم الصادق المفيد

ولقد كان المقتطف مجلة علم حديث تخص العلوم بمكانها الاول وتعرض للآداب من ناحيتها القريبة الى تحقيق العلم وتجريب العمل ، ولكنها على هذا افادت الادب خير ما افادتهُ مجلة في اللغة العربية ووجهت كثيراً من القرائح الى قراءتهِ والشغف بهِ والتوسع فيهِ . وكاتب هذه السطور يذكر انهُ لم يعرف اسم المعري الاَّ من المقتطف فكان ذلك اول عهدهِ بقراءة شعرهِ ونثرهِ والبحث في فلسفتهِ وافكارهِ . وكان اول اطلاعي على المقتطف في اعداد منهُ متفرقة بعضها قديم و بعضها حديث رأيت في احدها مقالاً عن المعري ومعهُ فيما اذكر مقال عن « الطائر الطنان » — فاقبلت من ذلك الوقت على هذه القراءات وفهمت منذ ذلك الحين ان العناية بالطير والتأمل في خلائق الله ليست بالعبث الذي يلائم طبيهِ الصغير ولا هي بالولع الفارغ الذي يستحي منهُ التلميذ المجتهد و يتوكل بهِ اهل البطالة ، وذكرت لهُ هذه اليد حين كتبت عن المعري بعد بضع عشرة سنة ادرسهُ واقابل بينهُ و بين داروين وشو بنهور ، فوجدت كثيراً من السرور في ان اكتب تلك المقالات في المقتطف صديق طفولتي القديم ، ولذَّ لي ان اعرّف امثالي من الناشئين

بالمعري على الصفحات التي عرفت منها اسمهُ وتلمست منها ذكرهُ وشعرهُ ، وان امثالي في هذه الفائدة لكثيرون بين قرّاء العربية من كل قبيل

***

رأيت صروفاً — اول مرة — في دار المقتطف والمقطم يوم ان كانت على مقربة من شارع عبد العزيز ، ودعاني الى زيارتهِ ابيات من الشعر قرأتها في رحلة لامارتين الى الشرق ينسبها الى شاعر من شعراء لبنان . فاردت ان اعرف ذلك الشاعر وان اطلع على ديوانهِ ان كان لهُ ديوان ، وخطر لي ان اسأل عنهُ اولى الناس بمعرفتهِ من علماء لبنان وادبائهِ في هذه الديار ، فقصدت دار المقتطف واستأذنت على الدكتور فالفيتهُ بين المجلات والكتب والمسودات يعيد نظرهُ في بعضها و يوقع عليها بما يراهُ ، وسألني عن مقصدي فاخبرتهُ بهِ فتبسم ، ثم تأملهُ قليلاً ونهض الى بعض الكتب يتصفحها و يقلب نهارسها ، واطال في ذلك حتى خجلت من تضييع ذلك الوقت عليهِ وصرفهِ عن عملهِ الذي كان منصرفاً اليهِ ، وهممت بالتسليم فاستمهلني قليلاً ثم اعتذر واحالني على بعض الادباء من السوريين عسى ان يكونوا على علم بصاحب تلك الابيات ، فشكرتهُ وفي نفسي اعجاب بوداعتهِ وصدق رغبتهِ في الافادة ولطف حديثهِ الذي يشفُّ عن المودة وسلامة الطوية ، ورأيتهُ بعد ذلك مرات فما تغيرت تلك الصورة التي رأيتهُ عليها اول مرة وما اختلف في منظرهِ ولا في وداعتهِ ولا في صدق ميلهِ الى العلم والمتعلمين اقل اختلاف

***

وكان هذا العالم الجليل على صراحة مأنوسة يتذاكرها عارفوهُ بالمحبة والاجلال ، فلا يدعي علم ما لا يعلم ولا يتردد في الاعتراف بما يفوتهُ علمهُ والاطلاع عليهِ . لقيتهُ على اثر انتخاب برجسون للاكاديمية الفرنسية فحادثتهُ في آراء هذا الفيلسوف والمقابلة بينهُ و بين وليام جيمس الذي يعرف عنهُ الدكتور غير قليل . فقال لي انني لم اقرأ شيئاً لبرجسون هذا . ثم ضحك وقال : أيعجبك هذا الاعتراف ممن يسمون فلاسفة !... قلت ان في هذا الاعتراف يا استاذ لشيئاً كثيراً من الفلسفة الحقيقية . قال : حسن ! ولكنني اصارحك انني لا افهم هؤلاء الذين يخبطون فيما وراء الطبيعة ولا ادري لهم اولاً من آخر . فتحت كتاب ابن رشد فيما بعد الطبيعة فما تجاوزت منهُ الاسطر الاولى حتى مللت وضاق

صدري احاجيهِ ومعمياتهِ ، واقفلتهُ وما اتيت فيهِ على صفحة . انى لا اعرف كيف يفهم هــذا الكلام

على انهُ كان يضع الصراحة في مواضعها ولا يحب ان يصدم بها معتقداً او يهجم بها على شعور . وكانت سنتهُ في الكتابة ان يقرر الحقائق كما هي ويدعها تعمل عملها في النفوس والافكار . فان وافقت العقائد فذاك وان لم توافقها فالفوز بينهما للصالح الرجيح ، وسألتهُ في هذا الرأي يوماً فقال لي : انني أعرف طريقين لعبور التيار . احداهما ان تقطعهُ من شط الى شط في خط مستقيم لا تنثني امام عقبة ولا تحيد عن قوة مانعة فتصل او لا تصل ، والاخرى ان تماشي التيار حتى تصيب منهُ منفذاً الى سبيلك فانت بالغ الى غايتك من سبيل طويل ولكنهُ مأمون

وكان يحب الامثال ويحسن ان يضربها ويستشهد بها في مواطن الاستشهاد ، جرى ذكر منافسة غير شريفة بين بعض الكتاب فقال رحمهُ الله : كنت ارى في صباي اطفالاً يلعبون الكرة فلاحظت ان فريقاً منهم كانوا يعدون امام اصحابهم ليسبقوهم الى التقافها ، وان اطفالاً آخرين كانوا يجذبون اصحابهم الى الوراء ليمنعوهم عن الوصول اليها — قال : فهاتان وسيلتان للمنافسة احداهما تنشط بالهمة الى السبق والتقدم والاخرى تقعد بالمرء وبمن ينافسهُ عن الوصول — والثانية وا آسفاه هي الغالبة على الشرقيين

***

والذين يتابعون المقتطف يعلمون ان العالم الفقيد كان من اصحاب الوسيلة الاولى في منافسة المساجلين ومسابقة العاملين معهُ على نشر المعارف والآداب — فما اعتدى على احد منهم ولا بالغ في رد الاعتداء ، ولكنهُ كان يمضي على منهاجه في وقار الحكيم وتؤدة الحليم وثقة المطمئن الى غايتهِ العارف بما حولهُ ، فما يذكر الذاكرون لهُ الا ادباً جماً وخلقاً رضياً وتكريماً للعلم واعراضاً عن الجاهلين ، وانهُ ليمضي مبكيّ السجايا كما مضى مبكي المعارف ، وينعاهُ النعاة اليوم وما في الشرق الا لسان هاتف بالاسف عليهِ ذاكر لهُ بأجمل الثناء واحسن التقدير

وعزاء المفجوعين في الفقيد — وعالم العلم والادب كلهُ مفجوع فيهِ — انهُ قدم بين يديهِ عملاً نافعاً لا ينقطع مدة ولا ينفد عدة ، وانهُ يبقيهِ بعدهُ مكفول البقاء والتقدم في امانة خلفائهِ الحريصين على ذلك الاثر الخالد الجليل ، وانهم بذلك لجديرون

البلاغ عباس محمود العقاد



المرحوم الدكتور صروف

امام احد الاعمدة المضلعة التي كُشفت حديثاً في سقارة وقد ذهب لمشاهدتها بنفسهِ ليكتب عنها في المقتطف

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٠٣

كيف عرفتهُ

يعز عليَّ حين ادير طرفي افتش في مكانك لا اراكَ

نعم يعز عليَّ ان ينطفئ ذلك السراج الوهاج وتختفي عني تلك الروح الطيبة الزكية فاذا نعيتها اليوم فانما أنعى العلم ومكارم الاخلاق وحسن الطوية

عشقت هذه الروح العالية صبيًّا فكنت ارقب ظهور المقتطف اول كل شهر لأقرأ فيهِ ما كانت تخطهُ من المباحث العلمية الجليلة في الزمن الذي كان فيهِ لقب دكتور لا يعرف بهِ في مصر الاَّ اطباء الاشباح لا اطباء الارواح . وكنت اتمنى ان ارى ذلك الجسم الذي وسع تلك الروح السامية حتى اذا ما دخلت مكتبي منذ نيف وعشرين عامًا أيامَ بدأت بوضع الاسماء التاريخية لشوارع القاهرة واذا بشخص مهيب الطلعة معتدل القوام حاد البصر باش الوجه كامل الهندام مع وقار واحتشام يمدُّ إليَّ يدهُ للسلام قبل ان امد اليهِ يدي فخجلت جدًّا لهذه المبادرة منهُ وقدمت اليهِ كرسيَّ الخاص ليجلس عليهِ فابى الاَّ ان يجلس بجانبي ودعوت بالقهوة فاعتذر قائلاً انهُ لا يأخذ شيئًا بين الافطار والغداء كل هذا وانا لم اعرف الزائر الكريم حتى اذا ما جرنا الحديث الى ذكر القاهرة وتاريخها شرعت اسرد عليهِ شيئًا من طوبوغرافية المدينة وشعرت وقتئذٍ كأَني بين يدي والدي او استاذي لما تبينتهُ في عينيهِ العسليتين من الحنان والعطف الاكيدين . وقد شجعني هذا الشعور على ان اسأل من هو الاستاذ فقال « صروف » فتحيرت عند سماع هذا الاسم العظيم في كيفية اظهار سروري بلقياهُ وعجزت عن القيام بما يليق لهُ من الاجلال والاكرام فادرك رحمهُ الله مني ذلك وقال جئتك لاخبرك ان عندي مكتبة جامعة هي تحت امرك تطلع على ما فيها اين شئت وكيفما اردت لتستعين بها على مباحثك التي انت قائم بها الآن عن تخطيط القاهرة القديم. فزاد قدر الدكتور في نفسي ورأيت ان عبارات الشكر مهما ادليت بها صغيرة امام كل ذلك العطف من شخص يسعى اليَّ من غير سابقة معرفة و يقدم لي مثل هذا الجميل ويشجعني تشجيعًا عظيمًا على مثابرة البحث فابدلت كلمات الشكر بجمل من الدعاء لهُ وودعني وداع الوالد وخرج وكأَنهُ اخذ قلبي معهُ

فصرت من ذلك الحين اتردد عليهِ وارتشف من بحر علمهِ الغزير الواسع في مختلف العلوم وابواب العرفان. وكان رحمهُ الله عارفًا بمواضع كتبهِ حتى اذا ما سألتهُ عن كتاب قام بنفسهِ واخرجهُ من بين رفوف المكتبة وساعدني في البحث فيهِ

كنت ابحث عندهُ عن مدينة « مرابركه » عاصمة سلطنة آل اوزبك في اوائل القرن الثامن من الهجرة فكان يحمل اليَّ بنفسهِ اجزاء دائرة المعارف البريطانية مع ضخامة حجمها وثقل وزنها بغير تعب او ملل واخذ هذا البحث منا اياماً فلما عثرت اخيراً على موقع هذه المدينة في اطلس من اطالس جامعة كمبردج طرت اليهِ فرحاً والاطلس معي فكان سرورهُ بذلك اضعاف سروري مع ان الامر كان يهمني دونهُ رحمهُ الله. وكان يعرف ميلي الى تطبيق آيات القرآن الكريم على الظواهر الطبيعية فلا يحبذلي ذلك و يقول ان الآيات السماوية ثابتة حتى تقوم الساعة اما الظواهر الطبيعية فانها تتغير على مر الدهور

ومن مكارم اخلاقهِ انهُ لما بنى دارهُ في حي القصر العالي اوجردن ستي طلب اليَّ ان ادلهُ على النقاش الذي نقش سقف الجمعية الجغرافية ليصور لهُ سقفاً مثلهُ فاحضرت لهُ ذلك النقاش وهو المعلم عثمان المنيلاوي ولكن رأت بعد ذلك السيدة حرمهُ ان ينقش السقف على طراز آخر فجاءني الدكتور واخذني لنبحث عن مكان المعلم عثمان ليعتذر لهُ بنفسهِ مع انهما لم يتفقا على شيء بل كان الكلام في الموضوع مبدئياً لاغير. واذكر اني كنت اطالع معهُ في كتاب الاستاذ بطلر ونراجع رسم حصن قصر الشمع في جنوب الفسطاط فدخل علينا احد عمال المطبعة وقال ان النجار طلب مائة قرش اجرة كذا فقال لهُ الدكتور دعهُ يعملهُ فقال العامل هو عملهُ قال اعطهِ ما سأل فقال العامل لقد اعطيتهُ وانصرف

هذا المثال على ما فيهِ من البساطة يدل على كثير من سر تقدم المقتطف ونجاحهِ و يفهم منهُ تبادل الثقة بين الدكتور صروف وعمالهِ كما يبرهن على حسن طويتهِ واخلاصهم لهُ اذ بمجرد ما شعر العامل ان الحال في داع الى النجار بادر الى استدعائه واتم لهُ ما لزم من الاصلاح واعطاهُ اجرهُ وانصرف بغير انتظار الحصول على امر مولاهُ مخافة ان يتعطل العمل في المطبعة او يتسع الخرق فتزداد النفقات

ولولا حسن طوية الدكتور ما دار العمل في المطبعة على هذا الوجه ولما وصلت المجلة الى الحد الذي وصلت اليهِ من الكمال مدى نصف قرن تخدم فيهِ العلم ولغة العرب

فسلام على تلك الروح الطيبة في سموها وعلائها سلام عليها في نعيمها وهنائها. قامت الناس تهنئك في العام الماضي بعيدك الخمسيني الذهبي وسردت تاريخ حياتك بما يغبطك عليهِ عظماء الرجال وساداتهم . واليوم سترثيك ايتها الروح المطمئنة اقلام الكتاب في مشارق الارض ومغاربها بما اتاها الله تعالى من قوة و بلاغة وانا انعيك بما رأيتهُ فيك من فضل ونبل فلك من الله حسن السبيل ولنا على فقدك الصبر الجميل مصطفى منير ادهم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذا للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الذكاء الفطري وقياسه

[بعد ما اعددنا المقالة المنشورة في هذا الجزء صفحة ١٥٦ وعنوانها « مقاييس الذكاء » وردت علينا الرسالة التالية فنشرناها اتماماً للفائدة]

﴿ تعريف الذكاء ﴾ جاء في تاج العروس: « والذكاء (كسحاب) سرعة الفطنة. وفي الصحاح حدة الفطنة زاد غيره بسرعة ادراكه وفطنته . وفي المصباح سرعة الفهم . وقال الراغب عُبّر عن سرعة الادراك وحدة الفهم بالذكاء وذلك كقولهم شعلة نار . وقال العضد : الذكاء سرعة اقتراح النتائج » اه

لو قابلنا احد هذه التعاريف ، حدة الفطنة ، او سرعة الادراك مثلاً ، بتعاريف علم النفس لما وجدنا اختلافاً يذكر. فان ترمن (Terman) مثلاً قال في تعريف الذكاء « ان ذكاء المرء نسبي مع مقدرتهِ على التفكير » غير ان هذه التعاريف وامثالها لا تساعدنا على قياس الذكاء لان القوى العقلية كالفهم والادراك والتفكير ليست ملموسة . ولكنها تثبت وجودها وقت العمل . فاذا قيل ان فلاناً ذكي ، لم نستطع تحقيق ذلك الاَّ عند ما نشاهدهُ وهو يعمل . فاذا كان الامر كذلك وجب اذاً ان نعرّف الذكاء من ناحية التصرف والعمل فنقول : « الذكاء هو مقدرة الحيوان على التوفيق بينهُ و بين الحالات الجديدة التي يجد نفسهُ فيها ». وحسن التصرف هو الامر المهم في هذا التعريف وهو ما يتميز بهِ الذكي عن ضعيف العقل : الاول يقدر ان يجد لمشاكل الحياة حلاً مهما تعقدت اما الثاني فلا يقدر على ذلك . وقد عرّفت اللجنة الملكية الانكليزية ضعيف العقل التعريف التالي : « هو من يقدر ان يكسب معيشتهُ في احوال موافقة ولكنهُ لا يقدر ،

لخلل عقلي اصيب بهِ منذ الولادة او في حداثتهِ ان يزاحم رفاقه ذوي الذكاء العادي على مستوى واحد ولا ان يدبّر شؤونهُ او يعتني بنفسهِ بحكمة عادية

﴿ ماهية الذكاء ﴾ اما ماهية الذكاء فلا تعرف بعد على تعدد الآراء في هذا الشأن. واذا سأل سائل كيف يتمكن علماء النفس من قياس الذكاء من غير ان يعرفوا ماهيتهُ اجبنا ان علماء النفس لا يقيسون الذكاء انما يقيسون حاصلهُ لانهُ اذا اريد معرفة ذكاء فرد ما تلقى عليهِ اسئلة معينة ومن اجوبتهِ عن تلك الاسئلة يظهر مبلغ ذكائهِ . ولهذا يقال ان «ب» أذكى من «ج» لانهُ اخرج حاصلاً افضل اما بحسن اجابتهِ او لانهُ اخرجهُ على وجه ادق او اسرع هذا اذا كان حاصل ذكاء (ب) يعتبر على مستوي واحد مع حاصل ذكاء (ج). ثم ما يمنع ان نفرض ان علماء النفس يستطيعون قياس الذكاء مباشرة فهذه الكهربائية قيست قبل ان تعرف ماهيتها

﴿ نمو الذكاء ﴾ هل الذكاء دائم النمو ؟ اذا انعمنا النظر في صفة من صفات الجسم الطبيعية ، الطول مثلاً ، رأينا ان هناك حدًّا يقف عندهُ النمو . وتصدق هذه القاعدة على صفات الجسم الطبيعية وعلى القوى العقلية ايضاً . اما نقطة الخلاف فهي هذه: ان الوقت او الحد الذي تقف فيهِ الصفات الطبيعية عن النمو يمكن تحقيقه بالضبط. اما العمر الذي يقف عندهُ الذكاء عن النمو فلم يتمكن علماء النفس من تحقيقهِ بعد . غير انهُ من الثابت ان الذكاء لا يقف عن النمو عند السادسة عشر بل رُبما يظل ينمو حتى بعد الثامنة عشر

﴿ مقاييس الذكاء ﴾ ان سلوك المرء وتصرفهُ مقيَّدان بالمقدرة الطبيعية وبالاختبار او التعليم . فاذا كان الاختبار عاملاً في تحديد المقدرة الطبيعية كيف يمكننا اذاً ان نحكم في هل الفروق بين تصرّف الافراد ناجمة عن الاختلاف في مقدرتهم الطبيعية الموروثة او عن الاختلاف في مقدار الاختبار او التعليم اللذين ينالونهما؟ واذا لم يكن بد من وجود علاقة بين الاختبار او التعليم من جهة والمقدرة الطبيعية من جهة اخرى، اذ لا يمكننا ان نضع الفرد في منعزل عن العالم ، وجب علينا اذاً قياس تلك المقدرة الطبيعية بحيث يكون الاختبار او التعليم متساوياً بين جميع الممتحَنين على السواء. لذلك لا يقيس العلماء مقدرة المرء على العزف على البيانو او مقدرتهُ على لعب الشطرنج لان هاتين المقدرتين وامثالهما تحتاجان الى تمرين خصوصي. ولكنهم يقيسون مقدرة المرء على التمييز بين الالوان التالية مثلاً : الاخضر ، الاحمر ، الاصفر ، والازرق . فاهم شرط في مقياس الذكاء اذاً هو مقياس المقدرة التي لا تحتاج الى تمرين خصوصي والتي تكون عامة بين الافراد ه

مقاييس الذكاء كثيرة ومعظمها متشعب من مقياس Binet . وهناك عشرات من الكتب تدور على الذكاء وقياسهِ . ولو اردت ان اصف احد هذه المقاييس لاضعت وقتاً طويلاً من غير ان اصل الى فائدة ما . ولاطلاع القراء على نوع هـذه المقاييس اترجم بعض الاسئلة [(١)]

السنة السادسة (٤) ماذا تعمل (١) اذا ابتدأ المطر يسقط وانت في طريقك الى المدرسة ؟

(ب) اذا وجدت بيتكم يحترق ؟

(ج) اذا كنت تريد السفر فتأخرت عن موعد القطار

السنة السابعة (٥) ما الفرق بين (١) الذبابة والفراشة (ب) الحجر والبيضة

(ج) الخشب والزجاج

السنة الثامنة (٣) ماذا تعمل (١) إذا كسرت شيئاً لا تملكهُ ؟

(ب) عند ما تلاحظ وانت في طريقك الى المدرسة انك ربما تصل متأخراً ؟

(ج) اذا ضربك رفيقك في اللعب دون ان يقصد ذلك؟

﴿ اهمية المقياس ﴾ ان ادراك ضعيف العقل لا يفرق عن ادراك الطفل كثيراً فهو لا يفهم معنى المسؤولية ولا يقدر عواقب الامور. ولذلك تراهُ يخضع لميلهِ الطبيعي اذ لا يمكنهُ ضبط نفسهِ . فهو خطر على الهيئة الاجتماعية وعلى الهيئة ان تتقي شرهُ ولا يمكنها ذلك دون استعمال واسطة تميز بها ضعيف العقل عن سواهُ . ومقياس الذكاء هو هذه الواسطة . لا نقول انهُ كل شيء ولكن من الثابت ان فوائدهُ جمة . وما من مدرسة في هذه البلاد مهما كانت درجتها لا تستعمل احد هذه المقاييس في ترتيب صفوفها. بل ان فائدتهُ تعدت هذا وصار يستعان بهِ على ايجاد المهن الموافقة لكفاءات الافراد المختلفة . فاذا وجد ان حاصل ذكاء طالب لا يتجاوز الثمانين [(٢)] فمن العبث ان يجهد نفسهُ في طلب الطب او المحاماة

مجمل القول ان المقياس مهم جداً وادخالهُ الى البلاد العربية ضروري

وشنطون الولايات المتحدة بطرس ايوب

(١) اخذت هذه الاسئلة من Stanford Revision and Extension of the Binet-Simon Intelligence Scale.

(٢) راجع صفحة ١٥٨ من هذا الجزء

كتاب الامالي للقالي

نقدٌ وردٌ

سيدي جناب المحترم العالم الجليل الدكتور صرُّوف

ارفع وافر احترامي وفائق اجلالي و بعد فارجو التفضل بنشر الخطاب الذي وصلني من جناب العالم الجليل والباحث المحقق الاب انطون صالحاني اليسوعي ضمن تقريظكم لكتاب الامالي خدمة للعلم وتشجيعاً للمشتغلين بهِ خصوصاً وان جنابهُ من كبار العلماء الاجلاء الذين خدموا العلم اكبر خدمة ونهضوا باللغة العربية الى ارفع درجة ولكم مني جزيل الشكر

المخلص محمد عبد الجواد الاصمعي

بدار الكتب المصرية

***

« كتابي اطال الله بقاء الشيخ لأُثني على جدّهِ وكدّهِ ولأُسدي لهُ الشكر لما اثار فيَّ من السرور باهدائهِ اليَّ نسختين من كتابي الامالي والتنبيه . فان كنتُ اخرجتُ الجواهر من معادنها فجناب الشيخ جلاها وحسّنها ورصّعها بالذهب ورغّب فيها اهل الادب ثم اني اعتذر لجنابهِ عمّا سببتهُ لهُ من المشقّة والمجهود بخطي الدقيق ومن الصعوبة في تمييز التعليقات . وعذري انهُ لم يمكني ان اضع في النسخة الخطية علامات تدلّ على مواضع التعليقات . وان سمح الشيخ بسطتُ لجنابهِ بعض الملاحظات :

اولاً — كنتُ اودّ لو وُضعت في هامش كل صفحة من كتابيَّ الامالي والتنبيه بجانب السطر الخامس والعاشر والخامس عشر الخ الاعداد ٥ و١٠ و١٥ الخ ليسهل الوقوف بلمحة بصر على الانفاظ المذكورة في الفهارس لمن اراد ان يجدها في الكتاب

ثانياً — كنتُ ارغب كل الرغبة ان يُفرَد فهرس للالفاظ اللغوية التي ورد لها تفسير في كتاب الامالي او التنبيه . وهذا الفهرس يتطلّب ما لا يخفى من الجدّ والبحث لكنهُ جزيل الفائدة لمعرفة اللغة

ثالثاً — كان من المفيد وضع الحركة على الحرف الاخير من القافية المثبتة في فهرس القوافي . لانهُ اذا اراد اديب ان يبحث في الامالي او التنبيه عن بيت شعر يعلم ان القافية فيهِ مضمومة يقف عليها بدون تردّد في الفهرس لانهُ قد ينتهي بيتان باللفظة ذاتها وهما من بحر واحد لكنهما مختلفان في حركة الحرف الاخير

رابعاً — اثبتت اللفظة « الشعثمان» في فهرس الاماكن وفقاً لما كتبهُ ابو عليّ في الصفحة ١٣١ س ١١ من الجزء الثاني الاَّ انَّ ابا عليّ وَهِمَ في قولهِ الشعثمان موضع لان الشعثمين من بني قيس بن ثعلبة راجع الاخطل صفحة ١٣٧ س ٩ و ١٠

عثرت على غلطتين في كتاب التنبيه صفحة ١٢٥ س ١٧ « سملق » صوابها «سمملق» وص ١٧٥ س ١٧ عمود ١ «جزيمة »صوابها « جذيمة » وهو سهو من الذي صفَّ الحروف

اني لمحقق ان جميع الادباء سيقدّرون عمل الشيخ حقَّ قدره واسأل الرب ان يكافئهُ على اتعابهِ الامضاء

بيروت الاب انطون صالحاني اليسوعي

واني مع شكري الجزيل لجناب العالم الجليل والباحث المحقق على ما خصني بهِ من عبارات الثناء وما ابداهُ من ملاحظات قيمة افيدهُ :

اولاً — إن وضع الاعداد ٥ و١٠ و١٥ الخ في هامش كل صفحة يتطلب هامشاً اوسع مما طبع بهِ هامش كتاب الامالي وحضرة ملتزم الطبع هو الذي رأى ذلك تخفيفاً للنفقات . ومثل هذه الاعداد موضوعة في مؤلفي : « قلعة محمد علي لا قلعة نابليون » الذي سأتشرف باهدائهِ اليهِ

ثانياً — افراد فهرس للالفاظ اللغوية . كان هذا الفهرس اول الفهارس التي عرضت عملها على حضرة ملتزم الطبع رغماً عما يتطلبهُ من مجهود وعناء ولكنهُ اكتفى بعمل الفهارس التي طبعت واعداً بإلحاق فهرس الالفاظ اللغوية بالطبعة الثالثة لتمتاز بها عن سابقاتها

ثالثاً — وضع الحركة على الحرف الاخير من القافية المثبتة في فهرس القوافي كان من اهم الاشياء التي طلبتها من حضرة ملاحظ المطبعة ولكنهُ اعتذر لان الفهارس جمعت من اصغر بنط والضبط فيهِ كان متعذراً وقت الطبع

رابعاً — لفظة «الشعثمان» اثبتها في فهرس الاماكن وفقاً لما كتبهُ ابو عليّ كما ذكرت

اما الكلمتان « سملق » و « جزيمة » فقد طبعتا هكذا سهواً لدى صفّ الحروف ولا يخفى انهما ذكرتا على صحتها في غير موضع من الكتاب

واني ازاء هذه الملاحظات الدقيقة اشكر جناب العالم الجليل الاب انطون صالحاني اليسوعي واسأل الله تعالى ان يمدّ في حياتهِ لخدمة العلم والادب

[المقتطف] ذكرنا في باب التقريظ والانتقاد من هذا الجزء وصف الطبعة الجديدة من « الامالي » وكتاب « التنبيهِ » الذي طُبع على حدة وأُلحق بهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

غسل الطفل والعناية به

لدى الولادة

يرى الذين اعتنوا بتربية الاطفال ان لا بدَّ من غسلهم حالما يولدون . فيسخن الماء النقي حتى تصير حرارتهُ مثل حرارة الدم او حتى اذا غطَّت القابلة مرفقها فيهِ تشعر انهُ اسخن من يدها قليلاً وتجلس وتضع ملاءة نظيفة من الصوف الناعم على حضنها وتضع الطفل عليها ورأْسهُ على يدها اليسرى و يوضع اناء الماء قرب يدها اليمنى وكذلك اسفنجة نظيفة ناعمة وقطعة ناعمة نظيفة من صوف الفلانلا وقطعة من الصابون ومنشفة ناعمة ولا بدَّ من ان يكون كل شيء نظيفاً ناعماً جدًّا لان جلد الطفل رقيق لطيف لا يحتمل المسح بشيء خشن . وتشرع القابلة تغسل ما حول العينين ثم تفتحهما وتغسل جفنيهما بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ الناعمة ولا بدَّ من ان يكون الماء نظيفاً نقيًّا والاسفنجة او قطعة الفلانلاَّ من انعم ما يكون والاَّ احمرَّت عينا الطفل وكان ضررهُ من الغسل اكثر من نفعهِ . ثم تغسل وجههُ ايضاً بالاسفنجة والماء من غير صابون واذا كان في انفهِ مخاط نزعتهُ منهُ بلطف واعتناء و يجب ان تنزع المخاط من فمهِ ايضاً بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ . ثم ترغي الصابون على الفلانلاَّ وتغسل رأْسهُ وتنشفهُ حالاً و بعد ذلك تغسل بدنهُ كلهُ بالماء والصابون وكلما غسلت قسماً من بدنهِ نشفتهُ حالاً ولاسيما المفاصل وطيات الابطين والساقين وخلف الاذنين وما بين الاصابع وكل طية من طيات جلدهِ تغسل بطرف الفلانلاَّ وتنشف بلطف . ومتى تمَّ غسل الجسم وتنشيفهُ يرشُّ عليهِ قليل من مسحوق الارز الناعم (البودرا) الذي لم يطيَّب بشيء

و يغسل الطفل كذلك مرتين في النهار مرةً في الصباح ومرة في المساء ولا تكون حرارة الماء اشد من حرارة الدم . ولا يضاف اليهِ لا خمر ولا بيرا ولا شيء من ذلك . ومن عادة بعض القوابل ان يعصرن ثديي الطفل ليخرج منهما لبن وهو عمل وحشي ضار وقد

يضغطن يافوخهُ لكي تقترب عظامهُ بعضها الى بعض وهذا عمل ضارٌّ ايضا لان ارتخاء اليافوخ ليس ناتجاً عن بُعد عظام الرأس بعضها عن بعض بل عن ان ذلك الجزء الرخو لا يكون قد صار عظماً صلباً وهو يصير عظماً صلباً مع الزمان من نفسهِ والضغط عليهِ لا يصيّرهُ عظماً ولا يقرب العظام بعضها من بعض

ولا يلبّس الطفل ثيابهُ حالاً بعد غسلهِ بل يترك قليلاً يحرك يديهِ و يرفس برجليهِ فان ذلك نافع لهُ ولكن يشترط ان تكون الغرفة دافئة وليس فيها مجرى هواء وان كان فيها نار يجب ان لا يكون محل الطفل قريباً منها ولا يكون رأسهُ متجهاً الى جهة النار بل رجلاهُ

ثم تلتفت القابلة او الامرأة التي تغسل الطفل الى سرّتهِ وتلفها بخرقة من القماش الناعم عرضها اربع عقد وتضعها مستوية على بطنهِ حتى لا تؤلمهُ وتلفهُ بقماط من الفلانلا حتى يبقى رباط السرّة في مكانهِ ولا يتحرك . و يجب ان لا يكون هذا القماط ملفوفاً من طرفهِ لئلاَّ يؤلم الطفل .و يجب ان لا يشدَّ على جسم الطفل الاَّ بما يكفي لحفظ رباط السرّة في مكانهِ. واذا كان مشدوداً اضرَّ بالطفل ضرراً شديداً وقد يكون سبباً لموتهِ

قال احد الاطباء انهُ دعي لمشاهدة طفل في حالة النزع فوجد ان التي غسلتهُ قمطتهُ وشدّت القماط حتى لم يعد يستطيع التنفُّس الاَّ بالصعوبة الكثيرة فاصابتهُ نوبات كادت تقضي عليهِ فحلَّ قماطهُ وللحال انتعش وزال الخطر عنهُ

واذا كان الطفل صحيحاً سليماً قويًّا ترك القماط عليهِ الى ان تقع سرّتهُ ثم يزال عنهُ و يترك بعد ذلك من غير قماط . واما اذا كان ضعيفاً فلا بأس بابقاء القماط شهراً او شهرين . والغالب ان رباط السرّة يجف و يقع في اليوم الخامس من بعد ولادة الطفل

واذا خيف من بروز السرّة الى الخارج تقص اثنتا عشرة قطعة مستديرة من القماش الناعم الصغيرةُ منها كالقرش والكبيرة كربع الريال والبقية بين هذين الحدين وترصف الواحدة فوق الاخرى وتوضع على السرة حتى تكون الصغرى مباشرة للسرّة وتمكن عليها برباط يلف حول وسط الطفل حتى تضغط السرة قليلاً وتمنع من البروز

المرأة ونفقات البيت

ويرى الذين يهتمون بتدبير المنزل ان اساسهُ واول شيءٍ يعتمد عليهِ معرفة قيمة النقود فان الانسان لا يلتفت الى قيمة النقود بالفطرة لان معاملاتهِ في العصور الغابرة لم تكن بالنقود بل بالمقايضة والمبادلة. و يستحيل على المرأة ان تدبر بيتها حسناً ما لم تهتم بنفقاتهِ ولا تستطيع

ان تهتم بها حسناً ما لم تعرف اولاً قيمة النقود ونسبة بعضها الى بعض ونسبتها الى ما يشترى بها فتعرف مثلاً ان الريال يشتري كذا ارغفة من الخبز وكذا ارطالاً من اللحم وكذا اذرعاً من التيل وهذه المعرفة لا تأتي عفواً بل لا بدَّ من تعلمها بالممارسة ولكن يمكن اتقانها في اسبوع او شهر من الزمان

ويتلو ذلك في الاهمية تقسيم النفقات فان دخل الانسان محدود ويجب ان تكون نفقتهُ اقل من دخلهِ . والمعيشة رخيصة وغالية فتستطيع العائلة التي فيها رجل وامرأة وثلاثة اولاد ان تعيش جيداً فتأكل ما يغذيها وتلبس ما يدفئها ولا تنفق اكثر من جنيه في اليوم في هذه العاصمة التي هي من اغلى المدن وتستطيع ايضاً ان تنفق خمسة جنيهات او عشرة في اليوم وترى انها غير مستوفية شروط الراحة والرفاهة التي تتوخاها

والمرأة التي يراد ان تكون مثالاً لما يبلغهُ النساء في القرن العشرين هي التي تعمل ميزانية بيتها كما تعمل وزارة المالية ميزانية الحكومة فترى اولاً موارد الدخل وتقدّرها بما يمكن من الدقة فان كان زوجها من الموظفين فمعرفة الدخل سهلة من هذا القبيل وان كان صاحب عقارات فلا يتعذَّر تقدير ايجارها ولو بالتقريب وان كان صاحب تجارة فتقدير دخلهِ صعب ويجب ان تعتمد على دخل اقل السنين ربحاً وتجعلهُ قاعدةً للايراد . ولنفرض ان المرأة بحثت هي وزوجها فوجدا ان دخلهُ في السنة لا يقل عن مائتين واربعين جنيهاً ولا يزيد على ثلاثمائة او لا يقل عن الفين واربعمائة جنيه ولا يزيد على ثلاثة آلاف فيجب عليها ان تختار التعديل الاقل مائتين واربعين جنيهاً في الحالة الاولى والفين واربعمائة جنيه في الحالة الثانية او عشرين جنيهاً في الشهر في الحالة الاولى ومائتي جنيه في الحالة الثانية ونقسم الدخل الشهري هكذا

	في الحالة الاولى	في الحالة الثانية
للطعام	٧ جنيهات	٤٠ جنيهاً
للبس	٢ «	٣٠ «
للسكن	٣ «	٣٠ «
للتعليم والتهذيب	٤ «	٣٠ «
للظهور	٢ «	٤٠ «
والجملة	١٨	١٧٠ «

ويدخل في باب الطعام كل ما يؤْكل في البيت يوميًّا وما يُشرَب فيهِ من ماءٍ وقهوة

وما يستعمل من تبغ ومربيات واجرة الخدم وامتعة الطبخ

وفي باب اللبس ثمن الثياب والحلى والاحذية

وفي باب السكن اجرة البيت وما يدفع لسوكرتاه الامتعة

وفي باب التعليم والتهذيب ما يلزم لتعليم الاولاد واشتراء الكتب والاشتراك في الجرائد وما يدفع لاماكن العبادة وشركة سوكرتاه الحياة

وفي باب الظهور ما يلزم تجديدهُ من اثاث البيت وما ينفق على مركبات النزهة والدخول الى الملاهي والاسفار

و يظهر من ذلك ان في الحالة الاولى اي حينما يكون الدخل الشهري من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً تكون نفقات الاكل ٣٥ في المائة من الدخل. واللبس عشرة في المائة والسكن ١٥ في المائة والتعليم والتهذيب ٢٠ في المائة والظهور بين الناس عشرة في المائة . واما في الحالة الثانية فنفقات الطعام تقل نسبةً الى الدخل وتصير عشرين في المائة بعد ان كانت ٣٥ في الحالة الاولى وتزيد نفقات اللبس والزينة فتصير ١٥ في المائة ونفقات الظهور بين الناس فتصير ٢٠ في المائة بعد ان كانت في الحالة الاولى عشرة في المائة

ولا يخفى ان ما تنفقهُ العائلة الاولى وهو ١٨ جنيهاً في الشهر يكفي العائلة الثانية من حيث المعيشة البدنية والعقلية والادبية وقد تكون صحتها اجود وعقولها اسلم وآدابها اصح اذا اقتصرت عليهِ مما لو انفقت عشرة اضعافهِ ولكنها اذا فعلت ذلك وخزنت المال سنة بعد سنة ولم تنفقهُ اجتمع مال الارض عند اناس قلائل وتوقفت حركة الاعمال وضاقت موارد الكسب وهذا ضرر عام . وهي تستطيع ان تنفق عشرة اضعافهِ وتبقى في سعة لانهُ يتوفر لها كل سنة ٣٦٠ جنيهاً على الاقل

اذا تدبرت ربة البيت ذلك وكانت على ثقة من موارد الدخل وكميتهِ امكنها ان توزع النفقات على صورة معقولة يسهل العمل بها وتجتهد حتى اذا جاء آخر الشهر تكون قد اقتصدت في نفقاتها عشرة في المائة او اكثر تبقيها للعوارض التي تقع بالانسان من وقت آخر كالمرض والآفات والاضطرار الى السفر وما اشبه فانها اذا فعلت ذلك يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وجاء آخر السنة فرأت في يدها مبلغاً من المال مقتصداً مما كانت تقصد انفاقهُ شعرت بقوة جديدة في يدها ومقدرة على ادارة بيتها. واما اذا لم تتدبر نفقاتها فانفقت اكثر من دخل زوجها او اكثر مما عينت لنفقات بيتها شعرت في آخر السنة بكآبة تنغص عيشها وتزيل منها كل البهجة التي قصدتها بزيادة النفقات فتقع في ضد ما توختهُ

العناية بالطفل في الصيف

الرضاعة — لبن الام هو اصلح الاطعمة للطفل لانهُ يحتوي على كل المواد المغذية التي يحتاج اليها الطفل وهو فوق ذلك خالٍ من المكروبات فيجب ان يبقى الطفل يرضع لبن امهِ او لبن مرضع من ستة اشهر بعد ولادتهِ الى تسعة اشهر

اللبن — واذا تعذَّر ارضاع الطفل وجب على امهِ ان تشتري افضل لبن تستطيع الحصول عليهِ لان اللبن الفاسد او اللبن الملوث بالمكروبات مضرٌّ بالطفل ضرراً بالغاً وقد يصاب من تناولهِ بامراض وبيلة

الماء — يجب ان يعطى الطفل مقداراً كافياً من الماء للشرب . فهو لا يستطيع ان يطلبهُ ولا ان يقول انهُ ظمآن

عصير البرتقال — متى بلغ الطفل الشهر الرابع من عمرهِ يجب ان يعطى كل يوم عصير البرتقال او عصير الطماطم لكي تنمو عظامهُ نموًّا صحيحاً. وزيت كبد الحوت (زيت السمك) مفيد جدًّا و يجب اعطاؤهُ اياهُ اذا اشار الطبيب بذلك

الاكل فوق الشبع — اذا رفض الطفل ان يأكل كل ما يقدَّم لهُ فيجب ان لا يجبر على اكلهِ لان الاكل فوق الشبع شديد الضرر بالصغار والكبار

الاستحمام — يجب ان يحمم الطفل مرة في النهار على الاقل واذا كان الجوّ شديد الحرارة وجب ان يمسح جسمهُ مرة او مرتين باسفنجة مبلولة بالماء

الهواء الطلق — الهواء الطلق لازم لصحة الطفل وعليهِ يجب ان تخرج بهِ امهُ الى الحدائق العامة حيث يستطيع ان يستنشق الهواء النقي . وحين ينام في الليل يجب ان لا تقفل النوافذ

نور الشمس — نور الشمس مفيد للصحة ولكن يجب ان لا يسطع في العينين. وقد ثبت ان نور الشمس بعدما يمر في الواح الزجاج التي تصنع منها النوافذ يفقد كل مميزاتهِ الصحية المفيدة فلا فائدة اذاً من ابقاء طفل في غرفة تدخلها الشمس ولكنها مقفلة النوافذ

الحشرات والذباب — يجب استعمال كل وسيلة لمنع الحشرات كالذباب والبعوض من الاتصال بالطفل واذا لزم الامر يجب ان تغطَّى نوافذ غرفتهِ بشباك من السلك الدقيق

باب الزراعة

في اصول الفلاحة

الارض اما زراعية او موات والاولى اما رواتب او حياض او مستجدة

الارض الزراعية

هي التي تستغل بالزراعة فتعطي غلة مرضية لاستيفائها شروط الخصب والنماء وذلك متى استكملت وسائل الري والصرف والعمران والفلاحة وكانت تربتها معتدلة سليمة من الملوحة والحشائش .

واجودها ما كانت مع ذلك عالية عن النز اي الماء الارضي و بالتالي تصرف صرفاً طبيعياً فهي جافة حلوة بطبعها وكانت تربتها حرة أي يسود طينها على رملها

اما اذا نقص فيها شيء من الاشياء عن كماله نقص خصبها بحسبه وذلك كأن يكون ماء ريها شحيحاً او صرفها سيئاً او عمرانها قليلاً او فلاحتها قاصرة او كانت تربتها عوجاء او طينية ثقيلة او رملية او ذات ملوحة أو مُحشة اي ذات حشائش

واردأها ما كانت مع شيء مما ذكر رملية خشنة او واطية عما يجاورها من المصارف والاراضي لاسيما اذا كانت هذه رملية يسرع سريان الماء منها الى ما يجاورها او كان فلاحوها فقراء لم ينطبعوا على الفلاحة

وترى الارض الجيدة عامرة بفلاحيها النشطين ومواشيهم القوية ومجاري ريها وصرفها وسككها منتظمة وتربتها صافية اللون نظيفة جافة من الرطوبة المضرة غَدِقة اي ندية بماء الري وزرعها يانعاً متساوي النمو وعلى ضدها الارض الرديئة فانها تُرى وفلاحوها قليلون معدمون كسالى ومجاري ريها وصرفها وسككها مهملة وتربتها قاتمة اللون محشة غمِقة اي مرطوبة بالرطوبة المضرة قد أضرّت بها الملوحة او الظمأ او الاهمال وزرعها ضئيل متنازل اي متفاوت النمو بعضهُ اقصر من بعض

الارض الموات

وتعرف بالارض التالفة والبور والبوز الفاسد وهي التي لا تصلح للاستغلال الا بعد إحيائها اي اصلاحها بازالة اسباب مواتها وهي في الغالب كونها محرومة من وسائل الري

والصرف والعمران او كون تربتها سبخة غمقة اي مرطوبة برطوبة مضرة من ماء النز او عوجاء او خرسًا اي تغلبت عليها وتأصلت فيها الحشائش المضرة

وتكون أيسر اصلاحًا وارجى فائدة اذا كانت :—

(١) متصلة مراويها ومصارفها الخصوصية او قريبة الاتصال بما تنتفع به من الترع والمصارف العمومية إذ يسهل مراقبة مصدر ريها ومخرج صرفها والانتفاع بهما مما اذا كان تفصلها عنها مسافة بعيدة

(٢) قريبة من بلاد وفيرة السكان حسنة الامن والمواصلات ليسهل استجلاب الفلاحين اليها واطمئنانهم فيها

(٣) سهلاً منبسطًا قليلة الانحدار والكراريد والواطي ومنافع الماء واشباهها التي يستدعي اصلاحها مصروفًا كثيرًا ووقتًا طويلاً

(٤) ملوحتها خفيفة بيضاء اللون ليست كثيفة قاتمة ولا قلوية اي جصية

(٥) عالية عن مستوى ماء مصرفها العمومي ومساوية اوعالية عما يجاورها من الاراضي حتى لا تتغلب عليها الرطوبة المضرة ولا يقتضي صرفها آلات رافعة

(٦) محشّة غير جرداء من الحشائش فان « جرودتها » دليل على شدة محولتها واذا كانت محشة بالنجيل والحلفاء والسّعد والطرفاء والساقون واشباهها فهي خير من الارض المحشة بالطرطير والزريتة والمنتنة وابو ساق ونحوها

الارض الرواتب

وتعرف بارض الري المستديم وارض الري الصيفي وهي التي تزرع زراعة مستاوي متعاقبة على مدار السنة شتويًا وصيفيًّا ونيليًا وتروى ريًّا دوريًّا وقد اختصت بالزراعة الصيفية والنيلية كالقطن والقصب والارز والذرة وبساتين الفاكهة والخضر

واهم ما يعوزها وجود الماء صيفًا لري الزراعة الصيفية والتبكير بطني الشراقي لزراعة الذرة النيلية والعناية بالمصارف في الجهات الواطية وكثرة التسميد

ارض الحياض

وتعرف بارض الملق وارض الري النيلي وهي التي تغمر بماء الفيضان ثم تزرع زروعًا شتوية زراعة بعلية اي لا تسقى بعد زرعها « الأ اذا اغاثها المطر » الى ان تحصد ويعقب حصدها بقاؤها بائرة الى الفيضان التالي فتغمر بمائهِ ثم تزرع وهكذا دواليك

وتعد خير مصدر لانتاج الحبوب واتبانها ومن اهمها فيها القمح والفول والعدس

والحلبة و بعض الافاويه اي التوابل التي يتبّل بها الطعام كالكمون واليانسون والخردل ونحوها

ومن اهم ما تحتاج اليه ان يكون غمرها بماء غزير ولمدة كافية تزاد في اثنائها حتى تكتسب الارض « عدا إشباع ريها » من رواسبه المعروفة بالطمي اكبر مقدار ممكن لما لهُ من الشأن في تخصيبها وتجويد غلتها

وقد يزرع في قليل منها حين بوارها في الصيف بعض المزروعات زراعة صيفية مسقاوي تسقى من الآبار المعين(وتعرف هناك بالاحساء مفردها حسي) او من بقايا الماء في ترعها النيلية كالذرة البلدي و يوصف بالقيظى والمقاث و بعض الخضراوات و يجب ان تزال من الارض قبيل الفيضان التالي

ومن ارض الحياض ما أنشئت فيه الآبار الارتوازية لزراعة القطن بها مع المحافظة على ألا يفوتها غمرها بماء الفيضان ولو بتأخير اطلاقهِ عليها حتى يتم جني قطنها والعمل على التبكير بذلك الجني ما امكن حتى لا يتأخر اطلاق المياه تأخراً لا تسوّغهُ نظامات الري العمومية

وقد كانت ارض مصر الزراعية كلها حياضاً الاَّ قليلاً رواتب بجوار النيل وفروعهِ الكبرى حيث يوجد الماء دواماً فيمكن ريها منهُ ولو بالروافع « الآلات الرافعة للماء » وكذلك بالفيوم لانخفاضها — ثم أُخذ في تحويل ارض الحياض الى ارض رواتب بانشاء القناطر والخزانات والترع لحجز المياه وادخارها وتوزيعها للري في مختلف الفصول ولا يزال في النية تحويل مالم يحوّل منها بانشاء مشروعات اخرى للري

الارض المستجدة

هي التي أُصلحت حديثاً ولا تزال بحاجة الى تحسين تربتها ووسائلها الزراعية ومتى استقرّت فيها على حالة مرضية أُلحقت بالارض الزراعية

واكثر الارض المستجدة الآن في براري الدلتا وشمالي الفيوم ، ومن اهم ما يساعد على تحسينها تكثير فلاحيها ومعاونتهم وتوفير ريها واتقان صرفها والاكثار من غسيلها وتنبيلها وزراعة البرسيم فيها وتسميدها بالسماد البلدي والاقلال من زراعة الذرة والقمح بها — ولا بأس من الاكثار من زراعة القطن فيها اذا امكن اعطاؤهُ حقهُ من الخدمة لاسيما التسميد والري

تفسير الالفاظ اللغوية والاصطلاحية التي لم تُفسَّر

يقال استغل الارض عمل لاخراج غلتها والغلة ما تنتجهُ الارض ج غلاّت والغلة

ايضاً الدَّخل من كراء دار وفائدة ارض وما اشبه والدَّخل ما دخل عليك ويقابلهُ الخرج ويقال للدخل والخرج الآن الايراد والمصروف ٠الكراديد ومفردها كردود هي العلاوى والاكمات مفردها اكمة تكون ببعض الارض الموات ٠ الواطي منخفضات بالارض الموات ونحوها فاذا اجتمعت فيها المياه فهي المنافع منافع لماء وهي ان المنافع انواع منها ما يعرف بالمستبحرات والبرك . الري الدَّوري هو الري في ادوارمتعاقبة دوراً بعد دور او فترة بعد فترة طبقاً لاحكام المناوبات او حاجة الزروع . الفيضان فيضان النيل المعتاد سنوياً في فصل الخريف من اغسطس الى نوفمبر .المقاث زروع المقاث او المقاثي تشمل البطيخ والشمام والقثاء والخيار ونحوها

احمد الالفي زراعي عملي

القطن المصري وبيان مزاياهُ

نشرت جريدة الوستمنستر غازت بمناسبة زيارة جلالة الملك فؤاد الى لنكشير مقالة جامعة حوت كثيراً من الحقائق عن القطن المصري وعلاقة ولاية لنكشير بهِ وما لهذا القطن الفريد من المزايا العظيمة وقد جعلت عنوانها « مصر ولنكشير » واستهلتها بالكلام عن رحلة الملك فؤاد الى مراكز الصناعة القطنية الكبرى في انكلترا ثم قالت :

ان صناعة القطن في ولاية لنكشير تحمل من عبء تسديد ما تنفقهُ بريطانيا في الخارج على شراء حاجاتها اكثر مما تحملهُ اية صناعة اخرى في بريطانيا . وفي القسم المصري من مصانع القطن ٢/١ ١٩ مليون مغزل من مجموع عام قدرهُ ٢/١ ٥٧ مليون مغزل، ومن الجهة الاخرى، ان نصف صادرات لنكشير هي من منتج القطن المصري لان قيمة الغزل المصري اكبر من قيمة سواه من اصناف الغزل . واليك بياناً احصائياً لمغازل العالم التي تغزل القطن المصري وما تستهلكهُ من هذا القطن :—

بريطانيا العظمى ١٩٣٥٢٠٠٠ مغزل استهلكت في السنة الماضية ٣٨٦ الف بالة والمانيا ١١١٣٠٠٠ مغزل استهلكت ٥٠ الف بالة وفرنسا ٢٣٠٠٠٠٠ مغزل استهلكت ١٠٦٠٠٠ بالة وروسيا ٣٠٠٠٠٠ مغزل استهلكت ٥٥ الف بالة وايطاليا ٦١٠٠٠٠ مغزل استهلكت ٥٣ الف بالة وتشكوسلوفاكيا ٤٦٠٠٠٠ مغزل استهلكت ٢٠ الف بالة والبلجيك ٣٠٠٠٠ مغزل استهلكت ٤٠٠٠ بالة واسبانيا ١٥٥٠٠٠ مغزل استهلكت ٣٣ الف بالة سويسرا ٨٣٢٠٠٠ مغزل استهلكت ٤٠ الف بالة وبولونيا ١٣٨٠٠٠ مغزل استهلكت ٩ آلاف بالة والنمسا ٤٥٠٠٠ مغزل استهلكت ٢٠٠٠ بالة واسوج(السويد) ٨٠٠٠ مغزل

استهلكت الف بالة والبرتغال ١٠٠٠٠ مغزل استهلكت الف بالة وفنلندا ١٠٠٠٠ مغزل استهلكت الف بالة والهند ٢٣٠٠٠ مغزل استهلكت ٨٠٠٠ بالة واليابان ٥٤٦٠٠٠ مغزل استهلكت ٤٢ الف بالة واميركا مليونا مغزل استهلكت ١٤٥ الف بالة وكندا ١٩٠٠٠ مغزل ٧ آلاف بالة وسائر البلدان ٧٦٠٠٠ مغزل استهلكت ١٤ الف بالة

وهذا يدل على ان لنكشير تكاد تحتكر هذه الصناعة في ما يختص بغزل القطن المصري والدلائل تدل في الاعوام الخمسة عشر الاخيرة على اتجاه الى توسع آخر في هذا المضمار

ان مستقبل الرفاهية في لنكشير يتوقف على ترقية صناعة غزل القطن الرفيع الرتبة وتوسيع نطاقها . ورب سائل يسأل و يقول كيف استطاعت لنكشير ان تناظر العالم كلهُ في القسم الخاص بالقطن المصري مع ان في فرنسا والمانيا وسو يسرا آلات كآلات لنكشير وقد صنعت في مصانع لنكشير وجواباً على ذلك نقول ان تلك البلدان لا تملك الصناع الحاذقين فقد انجبت لنكشير ثلاثة اجيال من هؤلاء الصناع الذين وقفوا انفسهم على غزل القطن المصري ونسجهِ وكل غزال من غزالي القطن يتوق الى الاجادة والاتقان في ما يغزل

وقد تستطيع فرنسا والمانيا وايطاليا ان تدعي مساواة لنكشير في غزل القطن الاميركي ولكن ليس في الدنيا بلاد تنازع لنكشير تفوقها في غزل القطن المصري

ولا يخفى ان افضل انواع الغزل يستعمل في صنع الدنتلات ولكن الغزل المصري يستعمل ايضاً في نسج منسوجات شتى تكون المتانة وطول العمر ضرور يين فيها فالمنسوجات القطنية التي تستعمل للطيارات تصنع من القطن المصري لانهُ يقوى على المقاومة الشديدة وقد كان غلاف عجلات الكاوتش للسيارات يصنع كلهُ من القطن المصري ولكنهم اخذوا يستعملون الآن للعجلات الرخيصة القطنَ الاميركي ممزوجاً بالقطن المصري . والكفوف (الجوانتي) تصنع من قطن مصري وكذلك انواع القوال والبو بلين وسائر المنسوجات الرفيعة التي تفضل لبسها النساء المترفهات فانها تحوي في صنعها افضل تيلة واطولها وهذه يؤتى بها من مصر

وكان المظنون قبل اليوم ان تقدم صناعة الحرير الاصطناعي يؤثر في سوق المنسوجات القطنية الرفيعة المقام ولكن الاختبار اثبت ان رواج منسوجات الحرير الصناعي يساعد على بيع القطن المصري وان صناعة « المرسرة » (صقل القطن حتى يشبه الحرير في نعومتهِ ولونهِ) تكسب المنسوجات من القطن المصري ملمساً حريريا وقد ادى ارتقاء هذه الصناعة الى زيادة استعمال القطن المصري زيادة كبيرة

باب التقريظ والانتقاد

حروب ابرهيم باشا المصري

في سوريا والاناضول

عني الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية بدرس تاريخ عصر محمد علي من جميع وجوههِ الاجتماعية والسياسية والحربية وجمع مكتبة نفيسة تشتمل على اكثر ما كتب او نشر في هذا الموضوع للمراجعة والتنقيب. لذلك نرحب بهذه الرسالة التي خطتها يد مؤرخ مجهول ، كشف مخطوطتها اولاً ، الخوري بولس قراألي صاحب المجلة السورية بمصر في خزانة القصر البطريركي في بكركي حينما كان يقلب اوراق السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد ، وطلب الى الدكتور رستم ان يعلق حواشيها بما عرف بهِ من واسع العلم فلبى الطلب وقد قال في وصفها ما يأتي :

«مخطوطة هذا الكتاب صغيرة الحجم لا تتجاوز ١١ سنتمتراً طولاً و٨ سنتمترات عرضاً عدد صفحاتها ١٧٩ وعدد اسطر كل صفحة منها يتراوح بين سطرين اثنين و٢٨ سطراً وهي محفوظة الآن في مكتبة البطريركية المارونية في بكركي بين اوراق البطريرك بولس مسعد ولا يعرف لها نسخة اخرى سوى نسختها الفوتغرافية المحفوظة في مكتبة جامعة بيروت الاميركية والنسخة الخطية التي نقلها عنها الخوري بولس قراألي مكتشفها الاول»

المخطوطة مجموعة تواريخ وهي ثلاثة اقسام يرجح معلق حواشيها انها لثلاثة كتاب مختلفين . اما مؤلف القسم الثالث منها وهو اكبر الاقسام فمجهول ولكن لدى التدقيق في سياق كلامهِ يستدل انهُ قد يكون لبنانياً من دير القمر وهاك بعض مما ذكرهُ الدكتور رستم للاستدلال على ذلك قال :—

«فانك لو احصيت مثلاً جميع ما ذكرهُ في القسم الثالث من الاخبار وجدت ان ثلثيهِ او اكثر عن لبنان والثلث الآخر عن باقي « عر بستان » . ولو اعدت النظر فيما اثبتهُ عن لبنان وجدت نحو ثلثيهِ عن دير القمر و بيت الدين والثلث الآخر فقط عن سائر المقاطعات اللبنانية . ولو انعمت النظر في حوادث الدير و بيت الدين لالفيتها ادق من غيرها واكثر

تعييناً وضبطاً . تراهُ مثلاً يؤرّخ وفاة امرأة حنا الحاصباني في دير القمر وحضور المعلم بطرس كرامه من بيت الدين الى بيتهِ في الدير وظهور الطاعون في البلدة نفسها و يترك من اخبار سائر المقاطعات اللبنانية ما هو اهم منها بدرجات . وتراهُ يقول « دخل ابراهيم باشا الى بتدين في ٢٩ ايلول « بعد الظهر » وحلت عساكرهُ الظافرة في غربي صحرا الدير « عند البيادر » وانهُ كان لديهِ خمس الايات ومدفعان وعشرون جمل جباخانه »و يكتفي في كلامهِ عن بعض حوادث كسروان بقولهِ « شاع خبر انهُ صار حرب في كسروان بين عثمان باشا في عين الشقيف واهل كسروان » . ثم تراهُ يشير الى المعلم بطرس كرامه بقولهِ حسب عادة اهل الدير وتلك الجهات — « المعلم » والى رئيس كنيسة التلة في الدير بلفظة « الريس » فقط و يذكر غيرهما من اعيان سائر مقاطعات الجبل بكامل اسمائهم والقابهم . ثم تراهُ غالباً يقول « حضر » فلان للدير « وتوجه » منها الى كذا وكذا اوتوجه فلان من بتدين الى زحله فوصل اليها في كذا وكذا . افلا يصح لنا بعد هذا كلهُ ان نقول ان المؤلف ان لم يكن لبنانياً ديرانياً ، فقد كان من المقيمين في الدير في اثناء وقوع هذه الحوادث ؟ »

بعد ذلك تقدم الدكتور رستم الى النظر في خط المخطوطة ومقارنتهِ بخطوط تلك الايام فقصد الى المكتبة البطريركية في بكركي وطلب الرسائل المدونة من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٤١ فوجد نحو ١٥ رسالة بالخط نفسهِ وعليهـا توقيع « القس انطون الحلبي مدبر الطونياني » ولدى البحث والاستقصاء ثبت ان القس انطون المذكور سكن بتدين وكان مقرباً من الامير بشير . وقد ثبت من ادلة كثيرة على ان صاحب المخطوطة مدقق في تدوين الحوادث والتواريخ وانها دونت في زمن وقوعها . لذلك يعلق عليها شأن كبيراً من حيث الاخبار التاريخية التي تشتمل عليها فهي من اقدم الاصول العربية المخصصة لتاريخ لبنان في عهد ابرهيم باشا المصري . واذا استثنيت بعض الاوراق المحفوظة في جامعة بيروت الاميركية وفي المكتبة الملكية بقصر عابدين وفي بيوت بعض الوجهاء صح القول ان هذه المخطوطة اقدم هذه الاصول وان لها مقاماً تاريخياً يوازي مقام « كتاب الاعيان في حوادث جبل لبنان للشيخ الشدياق المشهور »

فنشكر لحضرة الاب الخوري قرألي وللدكتور اسد رستم ولجميع الاحبار والعلماء الذين ساعدوهما في تحقيق اخبار هذه المخطوطة وحل رموزها شكراً جزيلاً . ولا يفوتنا ان نذكر ان الخوري بولس قرألي مكتشف المخطوطة الاول وهو صاحب المجلة السورية

في مصر وقد طبع المخطوطة على نفقتهِ بالمطبعة السورية بمصر الجديدة وصدَّرها برسم امير المؤرخين صاحب السمو الجليل البرنس عمر طوسن وهي تطلب من المكاتب المشهورة وثمن النسخة منها ١٠ غروش صاغ

اليوم والغد

تمتاز كتابات الاديب سلامه افندي موسى بجرأة في الخروج على التقاليد والمعتقدات المألوفة وشجاعة في الكتابة عنها كتابة صريحة جلية. وهذا الكتاب الذي بين ايدينا اليوم من اوضح الادلة على ذلك ، تطالع فصلهُ الاول وفصلهُ الاخير فترى الكاتب قد أثبت فيهِ رأيهُ في كثير من الشؤون الاجتماعية والادبية ، فاذا هو يريد المصريين ان يتجهوا الى اوربا يأخذوا باساليبها في الادارة والتعليم والتفكير والادب واليك ما يقولهُ في المقدمة في هذا المعنى :

«فانا ازاول حرفة الادب لكي ادأب في وعظ امتي بوجوب كفها عن ممارسة العادات التي اكتسبتها من آسيا ووجوب اصطناعها عادات اوربا . اريد حرية المرأة كما يفهمها الاوربي حتى نأمل يوماً ما في رؤية قاضيات وطبيبات وطيارات ومعلمات ومديرات ووزيرات وعاملات في مصر كما يرين الآن في اوربا . ولا اريد ان أرى المرأة الشرقية في مصر تلك التي تعرف كيف تأكل الصراصير لكي تسمن ، او تلك التي تعيش خاضعة لزوجها لا رأي لها معهُ ولا تستطيع ان تعيش بحرفة شريفة لو مات . او تلك التي تخفي نفسها بنقاب يوحي اليها ان الرجال لم يخلقوا الأ لتأكلها اعينهم الخائنة . واريد من التعليم ان يكون تعليماً اوربيًّا لا سلطان للدين عليهِ ولا دخول لهُ فيهِ ، وان يتولى تعليم اللغة رجال متمدينون يفهمون على الاقل نظرية التطور ولا ينسبون الشعر العربي لآدم وابليس ، ولا يعتقدون ان اللغة العربية اوسع اللغات الآن وهي تكدنا في التعبير البسيط . واريد من الحكومة ان تكون ديمقراطية برلمانية كما هي في اوربا ، وان يعاقب كل من يحاول ان يجعلها مثل حكومة هرون الرشيد او المأمون ، اتوقراطية دينية . واريد ان ارى العائلة المصرية مثل العائلة الاوربية زوجاً وزوجة واولادها بلاضرار . . . بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج اكثر من امرأة ويمنع الطلاق الأ بحكم محكمة . واريد من الادب ان يكون ادباً اوربيًّا ٩٩ في المائة منهُ قائم على المعنى والقصد لا على اللفظ كما كان الحال عند العرب . واريد أدباً مصريًّا ابطاله فتيان مصر وفتياتها لا رجال الدولة العباسية ولا

رجال الفتوحات العربية . واريد أن يكون همّ الاديب أكبر من ان يقول « فحسب » بدلاً من « فقط » أو يحفظ عبارات يستخرجها من الجاحظ أو الجرجاني ويدسها بين انشائه . ثم أريد أن تكون ثقافتنا اوربية لكي نغرس في أنفسنا حب الحرية والتفكير الجرئ »

وقد توسع في كل معنى من هذه المعاني في الفصل الذي ختم به الكتاب وجعل عنوانهُ على مفترق الطرق وجعلهُ بحثاً في الامة المصرية وهل هي امة اوربية يجب ان تسير مع الامم الاوربية وتتثقف بثقافتها او هي امة شرقية يجب ان تحتفظ بما ورثتهُ عن الشرق

اما المقالات التي عقدها بين المقدمة والخاتمة فتدل على اطلاع واسع ودأب محمود وغيرة على الاصلاح تناول فيها اراء « برناردشو » في السوبرمان واراء « ولز » في انقاذ المدنية واصول التعليم واراء « فرود » في حقيقة الاحلام واسبابها واراء «برجسون» في الذهن والبصيرة واراء السر « وليم ولككس » في اللغة العربية الفصحى واللغة العامية وغير ذلك من الشؤون الاجتماعية والمسائل العلمية التي تشغل بال المفكرين في الغرب

وقد عني بطبع هذا الكتاب صاحب المطبعة العصرية بالفجالة بمصر

الامالي

لابي علي القالي

فاتنا ان نشير في اجزاء المقتطف السابقة الى ظهور هذا الكتاب النفيس في حلة مشرقة زادتهُ جمالاً الى جماله وما كتاب الامالي لابي علي القالي بالمجهول فنحاول تعريفهُ ولا بالمنسي فنريد تذكير القراء به . فما من قارئ بصير بالعربية الاَّ وهو عالم ان «الامالي» دعامة من أكبر دعم الادب وانهُ ما من كاتب او اديب او شاعر او خطيب الاَّ وكان لهُ عوناً ونعم العون ومدداً واكرم بهذا المدد فنحن من هذه الناحية في غنى عن الاشادة بذكره والتحدث في امره

ولكن هناك ناحية اخرى نرى حقًّا ان نلم اليها الماعاً بقدر ما يسمح المقام نعني بها المزايا التي اشتملت عليها هذه الطبعة التي صحبها التوفيق من جميع الجهات وهي كثيرة نكتفي بذكر بعضها

من تلك المزايا ترجمة مؤلف الامالي وحياته العلمية ترجمة وافية كاملة بقلم مهذب

رشيق يمده ُ علم واسع و بحث مستفيض وجلد على التقصي عرف بهِ واضعها فيما وضع من المؤلفات وهو الكاتب المعروف محمد افندي عبد الجواد الاصمعي. وثانية تلك المزايا اشتماله على فهارس ابجدية باسماء الاعلام والامم والقبائل وقوافي الابيات ونحوها على النهج الذي نراهُ في الكتب الاوربية ويراهُ قراء العربية فيما اخرج المستشرقون للناس من الكتب العربية وهو عمل شاق مجهد لمن يتصدى لهُ جليل النفع عظيم الفائدة لمن يجدهُ ميسراً بين يديهِ وقد قام بوضع هذه الفهارس الاستاذ الاصمعي فاضاف مأثرة الى مآثرهِ

والى هاتين الميزتين ميزة من اكبر المزايا التي قلما يظفر بها كتاب على اتم اوجه الكمال وهي تصحيحهُ وضبط ما يجب ضبطهُ وتفسير ما يكون بحاجة الى التفسير والشرح وقد أُلحق بهِ كتاب قيم وهو كتاب التنبيه على اوهام ابي علي في اماليهِ لابي عبيد البكري صاحب كتاب معجم ما استعجم وقد صدره العالم الجليل الاب انطون صالحاني اليسوعي بمقدمة نفيسة شرح فيها هذا الكتاب شرحاً وافياً و بسط كيفية عثورهِ عليهِ وما عانى في تصحيحهِ وقد قام الاستاذ الاصمعي بمراجعتهِ وتحقيقهِ خير قيام فشكرهُ الاب صالحاني في خطاب خاص نشرناهُ في باب المراسلة من هذا الجزء

لهذا كلهِ نشكر للاستاذ الاصمعي جهادهُ في خدمة الادب . ولن يفوتنا ان نثني ونشكر همة ملتزم طبع هذا الكتاب النفيس حضرة الشيخ اسماعيل يوسف بن دياب فقد احسن الى الادب والادباء بالانفاق بسخاء عظيم على اظهار « الامالي » مستكملاً كل وسائل الجودة والحسن وانا نرجو ان يكثر بيننا الذين ينفقون اوقاتهم واموالهم خدمة للادب والادباء كما نرجو ان يجدوا من الجمهور تشجيعاً على ذلك

فلاسفة الاسلام

في المشرق والمغرب

تأليف الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي وقد تناول فيهِ سيَر الكندي والفارابي وابن سيناء والغزالي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون واخوان الصفاء وابن الهيثم ومحيي الدين بن العربي وابن مسكويه وفلسفتهم

جاءنا هذا السفر النفيس و باب التقريظ والانتقاد ممثّل للطبع فلم يسعنا ان ننظر فيهِ نظرة جديرة بما فيهِ من بحث وتحقيق على انهُ لم يسعنا ان نغفل ذكرهُ الى ان يصدر مقتطف نوفمبر القادم لانهُ من الكتب القيمة التي يجب ان يسير ذكرها بين الناس حتى يقبلوا عليها

ويطالعوها . لذلك نكتفي الآن بايراد فقرة من مقدمة المؤلف اشار فيها الى الغرض من تأليفهِ :

قال ان الغاية من تأليفهِ التدليل « على فضل هؤلاء المتقدمين ، وتعيين مكانتهم على حقيقتها بين فلاسفة العالم ، ليعلم المرتاب والمتردد والمقلد ان تلك المدنية العظيمة التي ظهرت في الوجود منذ اربعة عشر قرناً ، لم تكن مدنية حرب وطعن ومادة ، بل كانت مدنية عقل وعلم وفكر عميق ، وان تلك المدنية التي نشأت في قلب الصحراء ونشرت اجنحتها الى اقاصي الصين شرقاً واقاصي اور باوافريقا غرباً ، لم تكن مدنية السيف والمدفع بل كانت مدنية القلم والقرطاس والكتاب ، وان عقيدة هؤلاء الفلاسفة لم تمنعهم من الدرس والبحث والتنقيب عن الحقيقة

«بل ان تلك العقيدة نفسها هي التي استحثتهم على السير في جميع دروب الفكر البشري فكانت الحقيقة ضالة كل منهم ينفق العمر والمال والفكر في اقتفاء اثرها و يلتقطها انَّى وجدها ، وان هؤلاء الاقوياء من اصحاب التيجان والعروش بذلوا انفس واعز ما كان لديهم من المال والجاه والنفوذ في ايجاد الفلسفة في بلاد الشرق العربي والغرب الاسلامي وان من حث على العلم هو تلك العقيدة التي ظهرت في الصحراء على لسان (محمد) واول من شجع على نشر الحكمة هم هؤلاء الخلفاء والملوك من الغزاة والمجاهدين من ذوي قرباهُ وخلفائهِ وصحابتهِ والتابعين »

وسنفرد لهُ بحثاً خاصاً في مقتطف نوفمبر القادم. هذا والكتاب في ٣٢٧ من القطع الكبير وقد طبع بمطبعة المعارف بالفجالة وعلى نفقة صاحبها

الشوقيات للمدارس

ديوان صغير الحجم متقن الطبع يحتوي على اشهر القصائد التي نظمها الشاعر الكبير احمد شوقي بك في اغراض وطنية وتاريخية وفلسفية وقد قررت وزارة المعارف العمومية استعمالهُ في مدارس المعلمين والمعلمات الاولية والمدارس الثانوية

اما شوقي بك فلا يحتاج الى تعريف واما القصائد التي في هذا الديوان فمن اشهر قصائدهِ واعلاها ذكراً كقصيدة «آية العصر في سماء مصر» والاندلسية التي نظمها في منفاهُ في اثناء الحرب العظمى وعارض بها قصيدة البحتري في وصف ايوان كسرى وقصيدة «انس الوجود» وفيها وصف بليغ للآثار المصرية في اسوان وجزيرة انس الوجود. وكقصيدتيهِ

في توت عنخ امون ورثاء لورد كنارڤن وقصيدة «سل يلدزاً ذات القصور» والقصيدة التي وصف بها «ابا الهول» وغيرها . وقد أعجبنا لان هذا الديوان لم ينطوِ على قصيدة « يا اخت اندلس » وهي اشهر شوقيات شوقي على الاطلاق وقصيدة « آثار توت عنخ امون » التي مطلعها « درجت على الكنز القرون » والشاعر يعدها اكمل قصائده واحبها اليهِ . وحبذا لو ان القصيدة التي رثى بها الشاعر لورد كنارڤن لم نقتضب بل اثبتت كاملة

وقد عني بطبع هذا الديوان صاحب مكتبة المعارف بالفجالة بمصر

مكايد الحب
في قصور الملوك

مشتملات هذا الكتاب ليست من جنس الحكايات المصنوعة التي لا حقيقة لها على الاطلاق ولا من نوع القصص الموضوعة ولها شبه ظل من الحقيقة التاريخية بل هي حوادث حب وغرام حقيقية جرت في قصور ملوك اوربا وقياصرتها في عصور مختلفة وقد تخللها من نصب الحبائل والمصايد وتدبير الخدائع والمكايد واقتراف المآثم والمحارم ما يدهش العقول ويحير الافكار وهي كلها منقولة عن شهود ثقات رأوها بعيونهم وسمعوها باذانهم ودونوا في مذكراتهم

والقصص التي يحتويها هذا الكتاب عشرون قصة حدثت وقائعها في قصور روسيا وفرنسا وانكلترا وبولونيا والنمسا وغيرها من ممالك اوربا نقلها عن الانكليزية الكاتب المجيد الاستاذ اسعد خليل داغر وعني بنشرها صاحب المكتبة العصرية بالفجالة بمصر وهي نحو ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط

﴿ انتقاد ﴾ تناول الاستاذ مراد فرج بك المحامي بمصر كتاب الكنز في قواعد اللغة العبرية الذي وضعهُ الدكتور محمد بدر واظهر ما فيهِ من خطإٍ في بعض الفاظهِ ومن نقص في بعض القواعد المهمة اللازمة لدرس اللغة العبرية . ولما كانت غايتهُ من ذلك خدمة العلم فقد طبع انتقادهُ في كتيب على حدة ووزعهُ بلا مقابل وكتب عليهِ الكلمة التالية « من العلم والى العلم هدية بلا ثمن »

—o:o—

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اكتشاف الجوهر الفرد

صافيتا .سورية. غانم ياسين . في اي عصر اكتشف الجوهر الفرد ومن الذي اكتشفهُ

ج . كلمة الجوهر الفرد ترجمة كلمة « أتُم » اصلها اتوموس باليونانية ومعناها « الذي لا يتجزأ » . كان بعض فلاسفة اليونان القدماء يعتقدون ان المادة متصلة اي انها تتجزأ الى مالا نهاية لهُ ومن هؤلاء الفلاسفة انكساغوراس وارسطوطاليس . ولكن هــذا الرأي لا يكفي لتعليل كل الافعال الطبيعية كفعليْ التمدد والتقلّص مثلاً . فاذا أُفترض ان المادة مؤلفة من دقائق صغيرة يتخللها فراغ امكن تعليل فعلي التمدد والتقلّص وغيرها من الافعال الطبيعية تعليلاً معقولاً فيقال في تعليل التمدد انهُ هو اتساع الفراغ الذي يتخلل الدقائق وفي تعليل التقلّص ان سببهُ نقص هذا الفراغ. وهذا الرأي في ان المادة مؤلفة من دقائق صغيرة يتخللها فراغ ، قديمٌ تجد اصولهُ في الفلسفة الهندية من نحو ثلاثة آلاف سنة . وقد اخذ بهِ بعض فلاسفة اليونان في القرنين الرابع والثالث قبل المسيح مثل ديموقريطس وابيقوروس ومذهبهما يدور على ان المادة لا يمكن تجزئتها الى مالا نهاية لهُ ولكنها تتركب « من اجزاء صغيرة لا تتجزأ هي الجواهر الفردة الخالدة التي لا تتغير، وانهُ يتخلل هــذه الجواهر فراغ وان المادة باشكالها المختلفة تتكون من تركيب هذه الجواهر على وجوه مختلفة » . وجاراهم في مذهبهم هذا الشاعر الفيلسوف الروماني لقريطيوس فبسط هذا الرأي في اشعاره . ثم أُهمل القول بان المادة دقائق صغيرة لا تتجزأ في القرون الوسطى حتى اوائل القرن السابع عشر لان فلسفة ارسطوطاليس كان مسيطرة على العقول و بقي مهملاً حتى قام في انكلترا العالمان بويل ونيوتن

وظلّ هــذا الرأي مبنيًا على النظر

الفلسفي الى ان جاء دلتن الكيماوي والطبيعي الانكليزي فوضعهُ على اساس علمي ثابت سنة (١٨٠٣) ولذلك ينسب اكتشاف الرأي الجوهري اليهِ

(٢) كتب عربية في النشوء والارتقاء

لورنس ماس. الولايات المتحدة الاميركية الخواجه اسكندر سمعان. اي الكتب العربية يشرح مذهب النشوء والارتقاء او نظرية التطور

ج. كتاب الدكتور شميل الذي ترجم فيهِ شرح بخنر على مذهب داروِن وقدم لهُ مقدمة حسنة في مقام العلوم الطبيعية وفوائدها. وكتاب اسمعيل مظهر بك «ملقى السبيل» وما نُشر من ترجمتهِ لكتاب داروِن «اصل الانواع» وكتاب حسن افندي حسين «فصل المقال في مذهب النشوء والارتقاء». وكتاب سلامه افندي موسى في «نظرية التطوُّر» ومئات المقالات التي نشرت في مجلدات المقتطف السابقة وقد تناولنا فيها كل مسائل النشوء تقريباً بين اجمالٍ وتفصيل

(٣) كتاب عربي في علم الحيوان

مكة المكرمة. م. س. ع. ما هو اوفى وافيد كتاب باللغة العربية في علم التاريخ الطبيعي

ج. لم نرَ حتى الآن كتاباً عربياً في علم الحيوان اوسع من كتاب احمد فارس الشدياق لكنهُ قديم ولا نظن انكم تجدون نسخة منهُ. ثم كتاب الدكتور پوست في الحيوانات والطيور. وكان المرحوم بشاره زلزل قد شرع في طبع كتاب كبير في علم الحيوان لكنهُ لم يتمهُ فيما نعلم. وللدكتور عثمان باشا غالب كتاب علمي دقيق طبع بمطبعة الحجر سنة ١٨٨٦ وهو اصحُّ ما رأينا في العربية. ولكنهُ بيولوجي اكثر منهُ في علم الحيوان

(٤) كتاب المبادىء

ومنهُ. هل ترجم كتاب المبادىء لنيوتن الى العربية. واين يوجد. وان لم يترجم فهل ترجم الى اللغة الفرنسية وكم ثمنهُ

ج. لم يبلغنا انهُ ترجم الى العربية. ولا شك انهُ نُقل الى اللغة الفرنسية فاذا طلبتم الى احدى المكاتب الكبيرة في بيروت او باريس وافتكم بهِ ولا نعلم كم ثمنهُ. ثم لا يخفى عليكم ان كتاب المبادىء كتب باللغة اللاتينية لانها كانت لغة العلم في عصر نيوتن وقد جعلهُ صاحبهُ على نسق كتاب اقليدس في الهندسة

والذين يفهمون القضايا التي يشتمل عليها كتاب المبادىء فهماً تامًّا قلائل في العالم وعليهِ فلا نرى فائدة كبيرة من ترجمتهِ الى العربية الآن

(٥) النزلة الصدرية واسبابها وعلاجها

سان روكي البرازيل. ماري النسطاس.

ما هو سبب النزلة الصدرية وما يمنعها قبل حدوثها وما هو دواؤها بعد ما تتمكن من الشخص المصاب

ج . للنزلة الصدرية سببان الاول سبب اساسي وهو اتصال نوع من المكروبات بالشعب الرئوية والثاني سبب مهيئ وهو التعرض للبرد وما ينتج عنهُ من احتقان او التهاب في الغشاء المخاطي في الحلق والقصبة والشعب الرئوية

اما ما يمنع حدوثها فالتوقي من السبب المهيئ اي من التعرض للبرد وحفظ مناعة الجسم على اقواها بالرياضة البدنية والاكل المغذي والاعتدال . واذا كان احد الناس معرَّضاً للاصابة بالنزلة الصدرية فيحسن بهِ ان يحقن مرة كل اسبوع ثلاث اسابيع متوالية بحقن Anti - catarrhal vaccine فانها تفيدهُ فائدة كبيرة . ولا يخفى ان هذه الحقن لا تنفعهُ شيئًا اذا لم يحافظ على صحتهِ ومناعتهِ كما تقدم

اما بعد ما تتمكن من الشخص المصاب فلا بدَّ فيها من التعالج على يد طبيب

(٦) التهاب اللوزتين

ومنهُ . ما هو سبب نزول لوزتي الحلق وتضخمها حتى يضيق التنفس . وهل اذا قطعنا في ولد بلغ الرابعة او الخامسة من عمرهِ ينجم عن قطعهما ما يؤَخر نمو جسمهِ ولماذا

ج . السبب هو اتصال نوع من المكروبات باللوزتين فيحصل فيهما التهاب واحتقان فتتضخمان . والتعرض للبرد يمهد الطريق لفعل المكروبات فيهما . وازالتهما لا تؤخر نموَّ الولد مطلقاً

(٧) قابلية مشوهة

نيو يورك . احد المشتركين . اعرف شابًّا في الثامنة عشرة من عمرهِ لا يأكل سوى اللحم والمخللات فهل لكم ان تفيدوني في ذلك

ج . تعرف هذه الحالة طبيًّا بالقابلية المشوَّهة Perverted apetite ومن اسبابها نقص في مقدار المواد المعدنية التي يتناولها الجسم . ففي الحالة التي يطلق عليها اسم «اسنيوفاجيا» تشتدُّ قابلية المصاب لاكل العظم لنقصٍ في مقدار الفصفور الذي يتناولهُ . وفي الحالة التي يطلق عليها اسم «كلوروسس» تشتد قابلية المصاب للآكل الحامضة لخلل في تمثيل الحديد الذي يتصل بالدم. وقد يكون سببها تهيج المعدة والامعاء وقد يكون سببها عصبيًا محضاً فتشتدُّ قابلية المصاب حينئذٍ لاكل مآكل يتعذر هضمها. ولا يخفى ان في بعض هذه الحالات خطراً كبيراً على الحياة . ولا بدَّ من معرفة السبب اولاً ثم معالجتهُ حتى يزول و بعد زوالهِ يجب ازالة العادة التي نشأَت عنهُ وتأَصلت في النفس وفي ذلك نشير بالاعتياد

على أحد السيكولوجيين المجربين

(٨) تحليل البول

ومنهُ . هل يستطيع البكتيريولوجي ان يستدل من تحليل البول على وجود مرض من الامراض قبل استفحالهِ . وهل يمكن ان يصاب الجسم بمرض من الامراض من غير ان يكون لهُ اثر في البول ؟

ج . ان تحليل البول يدل في بعض الحالات على وجود مرض لم تظهر لهُ اعراض اخرى في سائر الاعضاء . ولكن كثيراً من الامراض تصيب الجسم من غير ان تحدث تغييراً ما في تركيب البول . حتى مرض البول الزلالي يحدث اعراضاً في الجسم قبلما يحدث تغييراً ما في تركيب البول . وعليهِ فلا يصحُّ ان يعتمد على تحليل البول لمعرفة ما ينتاب الجسم من العلل ولو حلّل مرة كل اسبوع

والطريقة المثلى للمحافظة على الصحة ومعرفة الامراض التي يصاب بها الجسم قبل استفحالها هي فحص طبيٌّ عام يقوم بهِ طبيب الاسرة او اي طبيب معالج وحينئذٍ يكون فحص البول وتحليلهُ جزءاً من هذا الفحص العام

(٩) باب الزراعة في المقتطف

الاسكندرية . ن . ميخائيل . بعد اطلاعي على اعداد كثيرة من المقتطف لاحظت ان ما يكتب في باب الزراعة قليل بالنسبة لخطورة الموضوع في بلد كبلدنا وان اكثر ما يكتب عبارة عن تقارير واقتراحات واخبار زراعية . فهل هناك ما يمنع المقتطف من الكتابة في الشؤون التي تهم المزارعين وهواة الزراعة من اصول الغرس والحصاد واخبار الآفات التي تضرّ بالزرع وطرق ابادتها وغيرها من الموضوعات المفيدة كموضوع الارز المنشور في جزء يوليو الماضي

ج . ليس ما يمنع ذلك . انما فتحنا باب الزراعة في المقتطف منذ أول انشائهِ وقد طرقنا فيهِ الموضوعات التي تشيرون اليها مراراً آناً في اسهاب وآونة في ايجاز . اما وقد انقضى على المقتطف ما يزيد على نصف قرن وصار اكثر قرائهِ الآن غير قرائهِ منذ عشرين سنة أو ثلاثين فلا نرى مانعاً من ان نعود الى الاهتمام ببسط اصول الزراعة والفلاحة في المقتطف بسطاً علميًّا منتظماً افادة لقرائهِ المستجدين . وسنفعل ان شاء الله

(١٠) تاريخ العرب في اسبانيا

البصرة . مستفيد هل طبع الجزء الثاني من تاريخ العرب في اسبانيا لمحمد بك دياب واين يباع

ج . يقول اصحاب المكاتب الذين سألناهم انهُ لم يطبع

باب الأخبار العلمية

الروّاد

اشار علينا نفر من مريدي المقتطف منذ بضع سنوات ان نجمع من مجلداتهِ السابقة كتباً يحوي كل كتاب منها مباحث متلائمة في موضوع واحد فعملنا باقتراحهم وجمعنا من اربع سنوات كتاب « بسائط علم الفلك » ثم جمعنا من سنتين كتاب « اعلام المقتطف » فوقع الكتابان من قراء المقتطف ومشتركيهِ ومن اهل العلم والفضل الذين اطلعوا عليهما موقعاً حسناً

وقد عنينا هذه السنة بجمع كتاب جديد في موضوعهِ شائق في محتوياتهِ سميناهُ « الروّاد » وهو بمثابة تكملة لاعلام المقتطف الذي سبق ذكرهُ. فاعلام المقتطف يحتوي على تراجم العلماء والفلاسفة وغيرهم من الاعلام الذين اشتغلوا بالعلم والفلسفة او كان لهم شأن في ترقيتهما . اما الروّاد فيشتمل على اكثر ما جاء في مجلدات المقتطف السابقة عن تقدم علم الجغرافيا وتخطيط البلدان وكشف المجاهل وارتياد القطبين واقتحام الصحاري وتمهيد سبل المواصلات في البر والبحر والهواء وسير اشهر الروّاد مثل كولمبوس ومجلان وفاسكودي غاما وامريكوس وسكوت وشاكلتن وامندسن وبيري ولفنستون وستانلي وشوينفورت وحسنين . ويحتوي ايضاً على فصل خاص بجغرافيي الاسلام

وقسمناهُ الى خمسة ابواب اتينا في الباب الاول منها على تاريخ علم الجغرافيا وتقدم علم الجغرافيا في القرن التاسع عشر وتخطيط البلدان ورسم الخرائط وجغرافيي الاسلام

والباب الثاني يشتمل على سير خرستوفوروس كولمبوس وفاسكودي غاما وفرننندو مجلان وامريكوس فسبوتشي

والباب الثالث خاص بارتياد القارة الافريقية قديماً وحديثاً ومن فصولهِ الروّاد المصريون القدماء والرحلات الافريقية في العصور القديمة والمتوسطة . ثم فصول عن لفنستون وستانلي وشوينفورت وروزيتا فوربس واحمد حسنين

ويلي ذلك الباب الرابع وهو خاص بارتياد القطبين الشمالي الجنوبي وفيهِ فصول عن

سكوت وامندسن وشاكلتن ونسن وپيري وبرد وما كابدوهُ من المشاق في اسفارهم سواء كانت سيراً على الاقدام او بالمزالج او عن طريق الجوّ بالطيارة او بالبلون

وقد جعلنا الباب الخامس خاصًّا بارتياد الهواء وعبور الاتلنتيكي بالطيارة والبلون وتقدم الطيران التجاري والبحث في طبقات الجوّ العليا

وقد كنا نود ان ننشر فصولاً اخرى عن التصعيد في الجبال وكشف الهنود البيض في اميركا الوسطى وغيرها من الرحلات الشائقة الاَّ ان نطاق الكتاب ضاق عنها الآن فاكتفينا بما تقدم . فعسى ان ينال هذا الكتاب ما نالهُ سابقاهُ من الوقع الحسن لدى قراء المقتطف ومريديهِ

***

لذلك يحتجب المقتطف عن قرائهِ في اول شهر سبتمبر واول شهر اكتوبر القادمين وتعوّض ادارتهُ جمهورَ المشتركين والمريدين من هذين الجزئين بكتاب « الروّاد » الموصوف آنفاً . ثمَّ يعود المقتطف الى الظهور في اول نوفمبر القادم مستأنفاً الجهاد في السبيل التي اختطها لهُ منشئهُ وعميدهُ فقيد العلم المرحوم الدكتور صرّوف



مقتطف اغسطس

وقفنا جانباً من مقتطف اغسطس على ذكر فقيد المقتطف الكريم المرحوم الدكتور يعقوب صرّوف . فقد كانت وفاتهُ خسارة عامة ، لانهُ من اولئك الرجال الذين وقفوا نفوسهم على الخدمة العامة ، سواء بما يكتبونهُ وينشرونهُ من المباحث الطريفة ، او بما يوحونهُ الى ابناء الجيل الجديد من معاني الحياة السامية ، او باشتراكهم في الجمعيات العلمية والادبية التي ترمي الى ترقية الفكر الانساني وتهذيب الاخلاق الخاصة والعامة

فافتتحنا مقتطف هذا الشهر بوصف مرضهِ الاخير ووفاتهِ ثم نشرنا مقتطفات من مقالة لهُ بسط فيها كيف انشئَ المقتطف وما هي الخطة التي وضعت لهُ في جريانهِ. ثم نشرنا في الجانب الاخير من باب المقالات سيرتهُ وهي من قلم خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم والمراثي التي تليت امام النعش قبل دفنهِ وهي للدكتور احمد فريد رفاعي وللاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي وللآنسة مي والحقنا بها مقالتين في تقدير علمهِ وادبهِ الاولى للاستاذ عباس محمود العقاد وعنوانها « مثال نادر » نشرت في جريدة البلاغ الغراء والثانية للاستاذ مصطفى منير ادهم

بك عنوانها « كيف عرفتهُ » وقد نشرت في المقطم . ونشرنا مع هذه المقالات ثلاث صور للفقيد الكريم الاولى اخذت من نحو ٣٥ سنة والثانية من بضع سنوات والثالثة صوّرت في شهر يناير من هذه السنة حينما ذهب لزيارة آثارة سقارة المكتشفة حديثاً

***

ويحتوي هذا الجزء من المقتطف عدا ما تقدم طائفة صالحة من المقالات العلمية والاجتماعية اولاها مقالة للاديب الكبير والمنشئ المشهور الاستاذ امين الريحاني عنوانها « البدو الهجَر » وهو فصل من الكتاب الذي عني بوضعهِ في تاريخ نجد الحديث وملحقاتهِ وقد عالج في هذا الفصل موضوع تحضير البدو في جزيرة العرب على منوال لم يسبقهُ اليهِ احد من المستشرقين

و يليها مقالة عنوانها «الرواية الكاملة» وهي تحليل فني طلي لطيران لندبرغ من نيو يورك الى باريس من حيث هو رواية احكمتها يد الاقدار وفيها صورة للندبرغ ووالدتهِ وطيارتهِ

ثم حلقة اخرى من سلسلة المقالات التي ننشرها في الموضوع الذي اقترحناهُ على افاضل الكتاب وهو « ما هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وما هي ابقى آثارها» والرأي في هذا الجزء للاستاذ المؤرخ جرجي يني صاحب مجلة المباحث بطرابلس الشام . وللاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي والخطيب والمؤلف المشهور

و بعدها اقتراح للاستاذ عبد القادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الشام تلاهُ على المجمع المذكور وفيهِ طلب الى اعضائهِ ان ينظروا في الكلمات غير القاموسية التي جرت على الالسنة والاقلام ولكن يُستنكف من ايداعها في قواميسنا وان يفتوا بجواز استعمالها وادخالها القواميس. وقد ذكر كثيراً من هذه الكلمات على سبيل المثال

ثم مقالة عن اديصن المستنبط الاميركي المشهور وهل هو الذي استنبط الفونغراف ام رجل فرنسوي يدعى كروس كما تدعي جريدة الاليستراسيون الفرنسوية . وفي المقالة خلاصة دعوى الاليستراسيون وردُّ اديصن عليها . وقد نشرنا في هذه المقالة صورة بالالوان لاديصن امير المخترعين

ثم مقالة لغوية فيلولوجية للاستاذ جبر ضومط استاذ اللغة العربية وآدابها سابقاً في جامعة بيروت الاميركية. المقالة عنوانها « مواد كلية في النحو والاعراب » وقد قرَّر فيها مبادئ لغوية خطيرة الشأن ثم عرض لبعض الالفاظ المستعملة وحقق فيها تحقيقاً لغوياً مبنياً على هذا المبادئ. ومن الالفاظ التي عرض لها « مديون ام مدين ». « مظاهرة ام تظاهرة » « مرسح ام مسرح »

و بعدها مقالــ مسهب موضوعهُ « مقاييس الذكاء » يشتمل على مباحث طريفة في فلسفة الاحداث العقلية والطرق الى معرفة صفات النوابغ في حداثتهم

و يليهِ آراء الخبراء المجربين في مسألة الطيران بين اميركا واوربا وهل يمكن انتظامهُ على وجهٍ تجاري

ثم جانب من بحث نقدي في سيرة العلامة ابن خلدون واسلوبهِ وآرائهِ التاريخية والاجتماعيــة للاديب شكري افندي مهتدي

و بعدهُ وصف لنكبة بمباي وهركولانيوم لما ثار بركان بزوف سنة ٧٩ ميلادية وطمرها الشأناهُ حين جاءت الاخبار من ايطاليا ان موسوليني عني بمسألة النقب عن مدينة هركولانيوم. ونشرنا مع هذا الوصف صور بعض الآثار الفنية التي كشفت فيها لما حاول المنقبون ان يكشفوا انقاضها. وهي من ابدع الآيات الفنية المعروفة

و يلي ذلك فصل في الفلسفة الطبيعية الحديثة عنوانهُ « قوى رهينة الاستعمال » يدور على القوى المخزونة في الجواهر الفرد. وكيف يمكن استعمالها ، وهو آخر ما كتبهُ المرحوم الدكتور صرُّوف قبل وفاتهِ

وابواب المقتطف كعادتها حافلة بالفوائد والنبذ العلمية والعمرانية ووصف المطبوعات العصرية الحديثة

اوجه القمر في اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٥	٨	٥ مساءً
البدر	١٣	٦	٣٧ صباحاً
الربع الاخير	١٩	٩	٥٤ مساءً
الهلال	٢٧	٨	٤٥ صباحاً
الاوج	٣	٨	١٨ مساءً
الحضيض	١٥	٥	٤٢ مساءً
الاوج	٣١	١	١٢ مساءً

السيارات في أغسطس

عطارد يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخرهِ

الزهرة والمريخ كوكبا مساء

المشتري يشرق نحو الساعة التاسعة مساءً

زحل يغرب قرب منتصف الليل

أوجه القمر في سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٤	٠	٤٤ مساءً
البدر	١١	٢	٥٤ مساءً
الربع الاخير	١٨	٥	٣٠ صباحاً
الهلال	٢٦	٠	١١ صباحاً
الحضيض	١٢	٧	٤٢ مساءً
الاوج	٢٨	١	٦ صباحاً

السيارات في سبتمبر

عطارد لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة لا تشاهد في اول الشهر ثم تصير كوكب صباح في آخره

المريخ يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

المشتري يشاهد في اثناء الليل

زحل كوكب مساء

أوجه القمر في اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	٤	٢	صباحاً
البدر	١٠	١١	١٥	مساء
الربع الاخير	١٧	٤	٣٢	«
الهلال	٢٥	٥	٣٧	«
الحضيض	١١	٥	٥٤	صباحاً
الاوج	٢٥	٣	٤٨	صباحاً

السيارت في اكتوبر

عطارد وزحل كوكبا مساء

الزهرة كوكب صباح

المريخ لا يشاهد

المشتري يشاهد في اثناء الليل

لجنة تأبين الدكتور صروف

بلغنا والمقتطف ماثل للطبع ان لجنة من مريدي الدكتور صرّوف وعارفي فضله يتقدمهم صاحبا المعالي جعفر والي باشا وزير الحربية وفتح الله بركات باشا وزير الزراعة وصاحب السعادة احمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية قد تألفت للعناية باقامة حفلة تأبين في اواغر اكتوبر القادم تقوم مقام حفلة الاربعين وعين لها الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي سكرتيراً مؤقتاً. لذلك اكتفينا بذكر ما تقدم في هذا العدد عن الراحل الكريم، مكررين شكرنا الصميم لجميع الذين آسونا في مصابنا الاليم سواء بحضورهم او بارسال تلغرافات التعزية او بتحبير المراثي . لا اراهم الله مكروهاً ولا افجعهم بعزيز

طيّار اميركيّ ثالث

يجتاز الاتلنتيكي في مرحلة واحدة

الكومندر رتشرد برد الاميركي اول طيّار تمكن من الوصول الى القطب الشمالي عن طريق الجوّ وهو من اوائل الطيارين الذين اعدوا معداتهم للطيران من نيويورك الى باريس وقد نشرنا لهُ في مقتطف يونيو الماضي بياناً مسهباً عن معداتهِ لهذه الرحلة وما ينوي ان يفعلهُ اذا اضطرّ ان ينزل في البحر قبل الوصول الى قبلتهِ

غادر مطار روزفلت بنيو يورك قبل فجر يوم الاربعاء في ٢٩ يونيو ومعهُ ثلاثة طيارين على متن طيارة تدعى «اميركا» من صنع فُكَر تسيّرها ثلاثة محركات قوة كل محرك منها ٢٠٠ حصان و بعد ما طاروا بها نحو اربعين ساعة اضطروا ان ينزلوا في البحر قرب بلدة فرنسوية Ver-sur-mer بعدما ضلوا الطريق لان بوصلتهم انكسرت فلم يستطيعوا ان يعينوا موقعهم . ولدى نزولهم في البحر كادت طيارتهم تغرق فلجأُوا الى زوارق صغيرة من المطاط تعوم اذا نُفخت . و يقول الكومندر برد انهُ قضي اربع ساعات يسير على غير هدى قبلما قرّر النزول في البحر و يعتقد انهُ مرّ فوق باريس في اثناء ذلك غير مرة ولكنهُ لم يستطع ان يعرف موقعها لانكسار البوصلة ولكثافة الضباب وانهمال المطر . وكان معهم آلة لاسلكية فكانوا يذيعون اخبارهم بها . ولما استقبلهم المسيو دومرغ رئيس الجمهورية الفرنسوية قدم لهُ الكومندر برد راية اميركية فيها قطعة من الراية الاميركية التي صنعت سنة ١٧٧٤ اي قبيل ما فازت الولايات المتحدة باستقلالها

الكسوف الكلي الاخير

كان الجوُّ غائماً في بلاد الانكليز صباح ٢٩ يونيو الماضي لما حدث الكسوف الكلي الذي ذكرناهُ في مقتطف يوليو ولذلك لا ينتظر ان تجنى حقائق علمية كبيرة الشأن من الارصاد التي قام بها علماءُ الفلك حينئذٍ. على انهُ يظهر ان اهتمام الجمهور بالكسوف كان كبيراً فان سكك الحديد ضاقت بالقادمين من الجهات المختلفة الى الجهة التي يشاهد فيها الكسوف كليًّا وذلك بفضل ما نشرتهُ الصحف الانكليزية من المقالات المشوّقة عن اسباب الكسوف وحقائقهِ. وقد دهش الجمهور لما تحقق ان الكسوف حدث في الوقت الذي عينهُ الفلكيون لم يحد عنهُ ثانية واحدة. وهذه الدقة لا يحسبها العارفون بحقائق علم الهيئة امراً عجيباً ولكنها تنبهُ الجمهور الى وجوب الاطلاع على حقائق علم الهيئة . فان السواد الاعظم من الناس لا يدرون شيئاً عن حجم الشمس والقمر والارض ولا يعرفون ما هي الابعاد الشاسعة التي تفصل بينها. وقد روت نا تشر ان سيدة كانت تراقب الكسوف الكليّ الاخير فجزعت لما غطى ظل القمر وجه الشمس وقالت انها تخاف ان يبقى القمر لاصقاً بوجه الشمس فيبقى الظلام سائداً على الارض

ومن الاعمال الصحافية التي تدلُّ على شدة اهتمام الصحافة بشؤون الكسوف ان مكاتب جريدة الديلي نيوز في رِجِفلزوِرك عرف ان الراصد الملكي برصدها صوّر اكليل الشمس صورة فوتغرافية بديعة فذهب اليهِ

فوجده قد ظهّر الصورة وثبتها وكانت الساعة العاشرة صباحاً فاخذ نسخة منها وذهب بالسيارة الى ليدس ومنها استأجر طيارة وذهب بها الى لندن فطبعت الصورة في الدبلي نيوز التي صدرت في مساء اليوم الذي حدث فيهِ الكسوف. ولا نستغرب اذا سمعنا بعد قليل ان جرائد اميركا نشرت هذه الصورة ايضاً في اليوم نفسهِ بعد ما ارسلت اليها لاسلكيًا

انضاج الاثمار

ثبت للاستاذ هارفي استاذ علم النبات في جامعة منسوتا الاميركية ان غاز الاثيلين الذي يستعمل مخدراً لهُ اثر غريب في انضاج الاثمار. وقد جرّب الاستاذ المذكور تجارب كثيرة ثبت لهُ منها ان غاز الاثيلين يفعل في الاثمار الفجة فينضجها اي يحدث فيها سلسلة التغيرات الكيماوية التي تحدث فيها قبل النضوج. فهو يزيل مثلاً الحموضة من التفاح والخوخ والاناناس وغيرها ويكسب بعض انواع البطيخ نكهة طيبة ويزيل اللون الاخضر من الكرفس ويزيد مقدار السكر في غيرهِ وعليهِ فقد اصبح مستطاعاً ان تجنى الاثمار التي تزرع اشجارها في المناطق الاستوائية وهي غير ناضجة وترسل في صناديق الى المناطق الباردة او المعتدلة من غير ان يضرّ بها النقل كذلك وهناك تعالج بغاز الاثيلين فتنضج وتباع. وهناك غازان آخران يفعلان فعل الاثيلين هما البروبيلين والاستيلين. اما البروبيلين ففعلهُ اشد من فعل الاثيلين ولكن الحصول عليهِ رخيصاً متعذر الآن. واما الاستيلين فلهُ خواص سامة ويترك في الفاكهة طعماً او رائحة كريهة

زلزال فلسطين

في الحادي عشر من يوليو الماضي شعر سكان القطر المصري بهزة ارضية شديدة فظنوا ان مركزها في احدى جزائر الارخبيل في بحر ايجه كما يحدث عادة ولكن لدى التحقيق ثبت ان مركزها في شرقي الاردن او على مقربة منهُ فدمرت كثيراً من البيوت في نابلس واللد والرملة والقرى التابعة لقضاء القدس وقتل ناس كثيرون بها. وقد اعدت حكومة فلسطين تقريراً رسميًا رفعتهُ الى وزير المستعمرات بلندن تلغرافيًا جاء فيهِ ان القتلى في فلسطين بلغوا ٢٠٠ نفس والمجروحين جروحاً خطرة ٣٥٦ نفساً والمجروحين جروحاً خفيفة ٣٧٥ نفساً. اما من جهة الخسارة المادية فقد اصيب نحو الف منزل في جميع انحاء فلسطين بعطب شديد وشمل هذا العطب دار الحكومة وكوبري اللنبي. على ان دور الحكومة بوجه عام نجت من التخريب

واعظم الخسارة في الارواح والاموال اصاب اللد ونابلس والرملة

وتضمن هذا التقرير ايضاً بيان الخسارة الناشئة عن الزلزال في شرق الاردن اذ جاء فيهِ ان القتلى هناك بلغوا ٦٨ نفساً والجرحى مائة نفس ونفسين واشد الهزات الارضية حدثت في عمان والسلط وار بد وكفر انجي

الجمعية الطبية البريطانية

اجتمعت الجمعية الطبية البريطانية اجتماعها السنوي في ادنبرج من ١٥ يوليو الى ٢٣ منهُ ومن المباحث التي طرقها الاطباء الذي حضروا هذا الاجتماع « الانسولين وفعله في الديابيطس مليتوس» للاستاذ هيو مكلين وموضوع «المناعة» للدكتور او برّ ين والاستاذ كار بروننغ وموضوع «فعل املاح الجير (الكلسيوم) في العلاج » للاستاذ فرايزر وآخر في «تركيب الطحال ووظائفهِ» للاستاذ جونتايت وآخر في« اثر المفرزات الداخلية في الصفات الجنسية » للدكتور كرو وآخر في «التغيرات الكيماوية التي تصحب الاعمال العضلية » للاستاذ ملروي . وغير ذلك من المباحث الطبية الطريفة . فعسى ان يكون بعض الاطباء المصريين الذين كانوا في انكلترا في اواسط يوليو قد حضروا هذا الاجتماع المفيد

الواح غلوزل

اثبتنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٦ خبر اكتشاف اثري كبير الشأن مؤداهُ ان الباحثين عثروا في غلوزل بالقرب من ڤيشي بفرنسا على صفائح من الخزف نقشت عليها حروف مثل الحروف الفينيقية ووجدت معها آثار من العصر الحجري الحديث وقلنا ان خطورة هذا الاكتشاف قائمة على انهُ لم يُعرف قبلاً ان الحروف الفينيقية كانت معروفة في العصر الحجري ولا ان الناس كانوا يكتبون حينئذٍ لذلك اختلف العلماء في تاريخها

وقد جاء في ناشر الآن انهُ شاعت في بلاد البلجيك اشاعة مؤداها ان هذه الصفائح مصطنعة مع ان ذلك لم يثبت بعد وان المستر كروفرد صاحب مجلة « الآثار» الانكليزية بحث في الموضوع بحثاً مسهباً وزار المكان الذي وجدت فيهِ وخرج من بحثهِ بان الصفائح مصطنعة فجاء استنتاجهُ مطابقاً لرأي العالم الاثري الفرنسوي الاب بروـيه

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في جامعة ليدس بشمال انكلترا من ٣١ اغسطس الى ٧ سبتمبر و يرئس جلساتهِ

السر ارثر كيث العالم المشهور بدرس آثار الانسان القديم وقد اتخذ موضوعاً لخطبة الرآسة « مذهب داروين في نشوء الانسان كما هو اليوم » ومن الخطب النفيسة التي ينتظر ان تلقى خطبة للاستاذ ملكن الاميركي عنوانها « الاشعة السموية » واخرى للاستاذ هو يتاكر موضوعها « اهم المسائل في مذهب النسبية » واخرى للاستاذ كرو موضوعها « مادة الخلايا الحية و بناؤها »

عيد فرنل

احتفل الفرنسويون في ١٤ يوليو بانقضاء مائة سنة على وفاة عالم من علمائهم اوغستان جان فرنل Fresnel وهو من كبار علماء الطبيعة ومن مفاخره انهُ ايد بمباحثهِ الرأي القائل بان النور تموجات في الاثير. وُلد في ١٠ مايو سنة ١٧٨٨ ودرس في كاين ودخل المدرسة البولتيكنيكية في باريس لما كان في السادسة عشرة من عمرهِ ثم دخل مدرسة الكباري فتلقى فيها علوم الهندسة المدنية وشغل عدة مناصب في مقاطعات فرنسا المختلفة . واشهر آثارهِ العلمية رسالة في « انكسار النور » تلاها على اعضاء اكادمية العلوم الفرنسوية بباريس سنة ١٨١٥ فانتقدهُ لابلاس وبيو وغيرهما وكانت بنيتهُ ضعيفة فمات في التاسعة والثلاثين من عمرهِ في ١٤ يوليو سنة ١٨٢٧ وقبيل وفاتهِ اهدت اليهِ الجمعية الملكية ببلاد الانكليز مدالية رمفرد « لتوسعهِ في تطبيق مذهب التموج على مظاهر استقطاب النور ولمكتشفاتهِ المهمة في طبيعة النور »

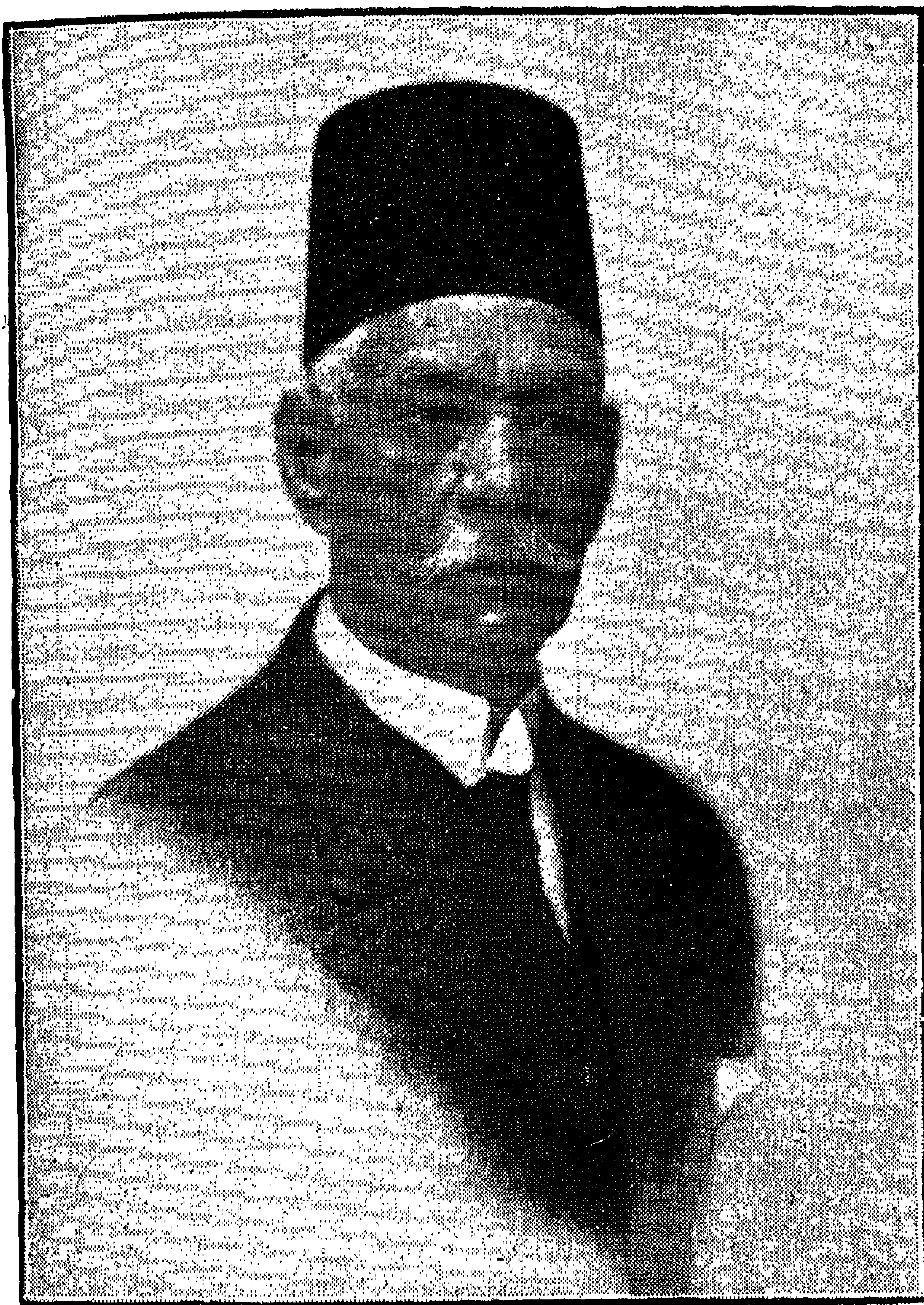
سفينة هوائية غريبة

وضع جماعة من المهندسين الاميركيين رسوماً لسفينة هوائية غريبة جمعوا فيها بين المبدإ الذي بُني عليهِ البلون والمبدإ الذي بنيت عليهِ الطيارة . اي انهم جعلوا لها على جانبيها كيسين كبيرين يملآن بغاز الهليوم ووضعوا فيها محركين قو يين يسيّرانها وجعلوا طولها ١٢٠ قدماً وسعتها ثلاثون راكباً واقاموا فيها جيروسكوباً حتى تستطيع ان تقف ثابتة في الهواء مهما اشتدت عليها العواصف

تصحيح خطإ :

كتب الينا حضرة الامير ابرهيم بن عباد يصحح خطأ وقع في تلخيص رأيهِ الفلكي الذي نشرناهُ في مقتطف يونيو صفحة ٦٦٣ . فقد ذكرنا هناك ان المشتري يقترن بالارض مرة كل اثني عشرة سنة . والصواب انهُ يقترن بها مرة كلّ سنة على انهُ هذا الاقتران يحدث مرة كل ١٢ سنة حين يكون المشتري على اقرب قربهِ الى الشمس فيصبح مجال الجذب بين الارض والشمس على اقواهُ حينئذٍ

الجزء الثاني من المجلد الحادي والسبعين



المغفور له سعد زغلول باشا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والسبعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٦ جماد اول سنة ١٣٤٦

كلمة المغفور له الزعيم الجليل

سعد زغلول باشا

في عيد المقتطف الذهبي

يمثّل « المقتطف » في الشرق عموماً وفي مصر خصوصاً ، ثمرة المعارف الواسعة والفنون النافعة ، والجد المتواصل ، والود الصحيح، والتعاون الدائم ، والرغبة الصادقة في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان، فالاحتفال بعيده الخمسيني ، انما هو احتفال بملاك هذه الفضائل ، ومشرق أنوارها

سعد زغلول

كلمة للمرحوم الدكتور صروف

في المغفور لهُ الزعيم الجليل

... وقد عرفنا نحن سعد باشا وهو محام والالسن تلهج بقوة عارضتهِ في الخطابة وبلاغة حجته في الدفاع عن حقوق موكليه وكنَّا نعجب ببلاغة ما يخطهُ قلمهُ ونرى فيهِ أدلة الحزم الشديد مع جلاء الفكر كأنَّ الحقائق متى اتضحت لهُ ترتسم في ذهنهِ بصور جلية لا يخامرها ريب ولا يكتنفها شك فيجزم بها جزماً . ولعلَّ لهذا الخلق خلق الحزم وعدم التردُّد الشأن الاكبر في نجاح العمل العظيم الذي توخاهُ . ولما كانت المسألة المصرية في أدوارها الاولى قال لنا وكرر القول « سنستقلُّ سنستقلُّ وترفع الحماية حتماً » ثم لقيناهُ في لندن في صيف سنة ١٩٢٠ فكرر لنا هذا القول

ومما يذكر بالاعجاب ولا يسع أحد انكارهُ أن سعد باشا امتلك القلوب ببلاغتهِ في اظهار حقوق أمتهِ والدفاع عنها

مررنا بشربين منذ سنتين (سنة ١٩٢٢) فلقينا رجلاً من نبغاء المصريين ومعهُ ابنهُ وهو في التاسعة أو العاشرة من عمرهِ فقلنا لهُ على سبيل المداعبة أسعديٌّ أنت ؟ فوقف ورفع رأسهُ كأنَّهُ شاب مستعزٌّ بقوتهِ وقال بأعلى صوتهِ نعم أنا سعدي وكل أولاد مدرستنا سعديون ولا رئيس الاَّ سعد . ثم أخبرنا أبوهُ ان أخوات هذا الفتى يعنفنهُ أحياناً ويقلنَ لهُ انهنَّ لسن من حزب سعد فيغتاظ منهنَّ ويخاصمهنَّ ويبكي . وألقينا هذا السؤال على جماعة كبيرة من الفلاحين فقالوا كلهم انهم سعديُّون ....



صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٤٣

نواحي عظمة سعد

لم نكد نكفكف الدمع على فقد منشىء المقتطف وعميده في ٩ يوليو الماضي حتى دهمنا القدر بوفاة زعيم الامة المصرية وقائدها الجليل في ٢٣ اغسطس . فعزّ علينا ان يصدر اول جزء من المقتطف بعد عطلة الصيف والصدور في محافل العلم واندية السياسة عاطلة من قائدها الكمي وعلامتها الحكيم

وقد كان زعيمنا الراحل العظيم الى جانب تفرده في الزعامة السياسية وتفوقه على الاقران في الحصافة والكياسة، نصير العلماء وخير قادر لاحسان المحسنين . فصدّرنا هذا الجزء من المقتطف بكلمة خالدة لهُ قالها في المقتطف ومنشئ المقتطف يوم قام العالم العربي يحتفل بعيدها الذهبي . واتبعناها بكلمة للمرحوم عميد المقتطف لشرها بعد ما تولى المغفور لهُ سعد باشا رآسة الوزارة الدستورية الاولى في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤

ننشر هاتين الكلمتين ، مستمدين من روحي الراحلين الكريمين الحكمة والقوة للانطلاق في السبيل الشريف الذي فتحاهُ امامنا سعياً الى غايات الرفعة والكمال .

وقد نشرنا فيما يلي خطبتين نفيستين اخترناهما من الخطب والقصائد التي تليت في حفلة التأبين الكبرى التي اقيمت في ٧ اكتوبر الماضي ويليهما جانب من بحث تاريخي بليغ في سيرة الفقيد للاستاذ المحقق صبري بك ابو علم عضو مجلس النواب

—١—

خطبة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء

ايها السادة

في هذا الجمع الحاشد الذي يريد كل فرد فيه أن يؤدي حق فقيدنا العظيم عليه وعلى البلاد إما باللوعة الصامتة والذكرى الباقية ، وإما بالزفرات يرسلها كلمات وبحياة الفقيد يحيلها مناقب وعظات ، أردت ان يكون لي نصيب في الوداع الناطق للراحل الكريم

ولكن سعداً ليس كغيره من الرجال ، فلكل عظيم ناحية من العظمة ولسعد منها نواح متعددة ، والعظيم يملأ فراغاً في جانب من الحياة ، وسعد قد شغل الحياة المصرية عامة ، فقد اجتمع فيه تاريخ مصر الحديث ، وانتهت اليه نهضتها الكبرى ، فلا غرو اذا

جلّت مصيبتنا في فقده ، وكثرت وجوه القول وتعددت شعاب الذكرى فيه

لذلك لست ادري ايها السادة فيما احدثكم عن سعد . أأحدثكم عنهُ محامياً ، وقد كان في المحاماة ، رحمهُ الله علماً ظاهراً ، وكان من غير مثال يحتذيه ، نابغَ ذلك الفن الخطابي الجديد واحد كبار مؤسسي تقاليد تلك المهنة الشريفة . وكان فوق ذلك سبَّاقاً الى اغاثة الملهوف ونصرة المظلوم

أم أحدثكم عن سعد قاضياً ، وقد كان النّاس الحقيقة وتوخي العدالة عنده غاية هان عليهِ في سبيلها بالرغم من اكتمال رجولتهِ ، وسلامة سليقته ، وتفوقهِ على غيره من القضاة ، ان يعود طالباً يأخذ باسباب الطلب والتحصيل

ام احدثكم بأثره في القضاء وعالم القانون وقد كان فيــهِ حجة ومرجعاً تشهد لهُ احكامهُ وبحوثهُ باصالة الرأي ومتانة العلم

ام احدثكم عنهُ وزيراً قبل قيام الحرب وتاريخهُ ناطق بفضلهِ بما ادخل من اصلاح في وزارتي المعارف والحقانية ، حافل بما لقي من العنت في سبيل استقلاله في الرأي وشجاعتهِ في الحق . وليس اوجب على الوزير وبلاده تتطلب شتى وجوه الاصلاح وهو ادرى الناس بحاجياتها من سواه واعلمهم بموضع الداء وطب الدواء من ان يكون محترم الشخصية ، مستقلَّ الفكر ، حرَّ الارادة ، اللهمَّ الا فيما يحددها من سلطان دستور البلاد

ام احدثكم عنهُ مصلحاً في الشؤون الاجتماعية وقد اقترن اسمهُ باسماء كبار المصلحين في عهد مصر الحديث سائراً في الطليعة او مؤيداً وظهيراً

ام احدثكم عنه خطيباً وكيف بلغ من الخطابة غاية تتقطع دونها الاعناق وليس فيكم من لم يسمعه ويعلم ما اجتمع لهُ من صوت ممتع آخذ بمجامع الحواس نافذ الى النفس ومن سهولة وترسُّل وفيض في الفكر والقول وبراعة في السياق وقدرة على التصوير الى غير ذلك مما جعلهُ يجري في عواطف سامعيه ويصرف عقولهم من حيث يشاء الى حيث يريد

ام احدثكم بمواهبهِ الفكرية ومناقبه العامة والخاصة مما سمعتم وستسمعون واني لاعلم ان الحديث في سعد محبَّب وان التكرار فيهِ لا يُملُّ اذ كان يكتسب من ذكراه روعة وطلاوة ولكن الوقت ضيق والخطباء كثيرون ويكفيني ان احدثكم عنهُ صديقاً وزعيماً سياسيًّا

اما الصديق وعهدي بصداقته طويل ، فقد الفيتُ منه طول هذه المدة خير ما يجد

الصديق لدى الصديق ، طيب اخاء ، وصدق عهد في المشهد والمغيب، ووفاء على القرب والبعد، وصراحة في غير جفاء، واخلاص نصح وسداد رأي في المشورة. ولا انس ان انس سعداً محدثاً فقد كان متاعاً لا يُمَلُّ ، وذخراً لا يسلى فما شئت من حسن محاضرة وحلو فكاهة ولطف مدخل ، وبراعة تنقل ، وسحر حديث . فاذا جادل او ساجل فهو البحر تدفقاً واندفاعاً . هذا الى خصوبة في الفكر ، ومتانة في التدليل كان فيهما لا يجارى

واذا كان الدهر قد ضرب بيننا بضرباتهِ حيناً من الزمن فان احبَّ سلوى وافضل عزاء على ما القاه من الحزن على فقدهِ اننا عدنا كما بدأنا ونسينا تلك المحنة وطابت الصداقة بيننا وصفا الاخلاص

واني لاذكر في اعجاب لا حدَّ لهُ ولكنهُ اعجاب ملؤهُ الحزن والاسى لقاءنا بعد ان توحدت كلمة الامة واجتمعت احزابها بفضل حكمة الفقيد العظيم وما أظهرهُ من تفان في المصلحة العامة . فقد كان سعد يومئذٍ كما عرفتهُ دائماً — كان رقيق القلب وفيًّا للاصدقاء حريصاً على مصلحة مصر

ولن أنسى تلك الساعة العذبة التي لقيت فيها سعداً في ذلك الظرف من ظروف حياتنا السياسية — لقد جدَّ سعد في محو الخصومات وازالة الفرقة وحمل الامة كلها على الائتلاف واتحاد الكلمة حول المصلحة الوطنية المقدسة فوفق الى ما أراد التوفيق كله

وان قلبي ليتفطر لوعة حين اذكر اللحظة التي لقيت فيها سعداً منذ اشهر قليلة أودّعهُ قبيل سفري الى اوربا بعد ان لقيت من معونتهِ وتأييدهِ ما ملأني اعجاباً بهِ واكباراً لهُ وتقديراً لفضلهِ على امتهِ وحرصهِ على فوزها . في هذه اللحظة ايها السادة كان زعيم مصر يقدر حق القدر ان قضية مصر تقطع طريقاً من اصعب الطرق وأشقها وكان يقدر العبء الذي يحتملهُ بحكم زعامته كما كان يقدر العبء الذي احتملهُ بحكم رآستي للحكومة ولكنهُ كان يضحي بكل شيء في سبيل قضية البلاد فانطلقت من عينيهِ حينئذٍ دموع تمثل هذه العواطف كلها ، تمثل عظمة الرجل الذي يلقى المصاعب في غير ضعف ولا وهن

أما سعد زعيماً سياسيًّا فكأني بسعد انما خلق لذلك والواقع ان الزعامة في سعد ليست جديدة فقد كان زعيماً في المحاماة والقضاء والوزارة مقدماً في كلها ذا أثر بعيد وطابع خاص وشخصية بارزة فيها جميعاً ولكن الله لم يرد ان يقبضهُ اليهِ حتى تم لهُ

كبرى الزعامات زعامة الامة في نهضتها الى الحياة وتقرير حقها في الوجود والاستقلال. ولكن كيف تهيأت له تلك الزعامة ?

ليس من ينكر ما كان لسعد من المهابة والجلال ، وليس من يجهل ما كان لهُ من المقدرة على استثارة الهمم واستنهاض النفوس طوراً بحديثهِ الاخّاذ وطوراً بخطبهِ الفياضة بحرارة الشعور وشدة الايمان بالوطنية ولكن سعداً جمع الى ذلك قوة روحية خصهُ الله بها

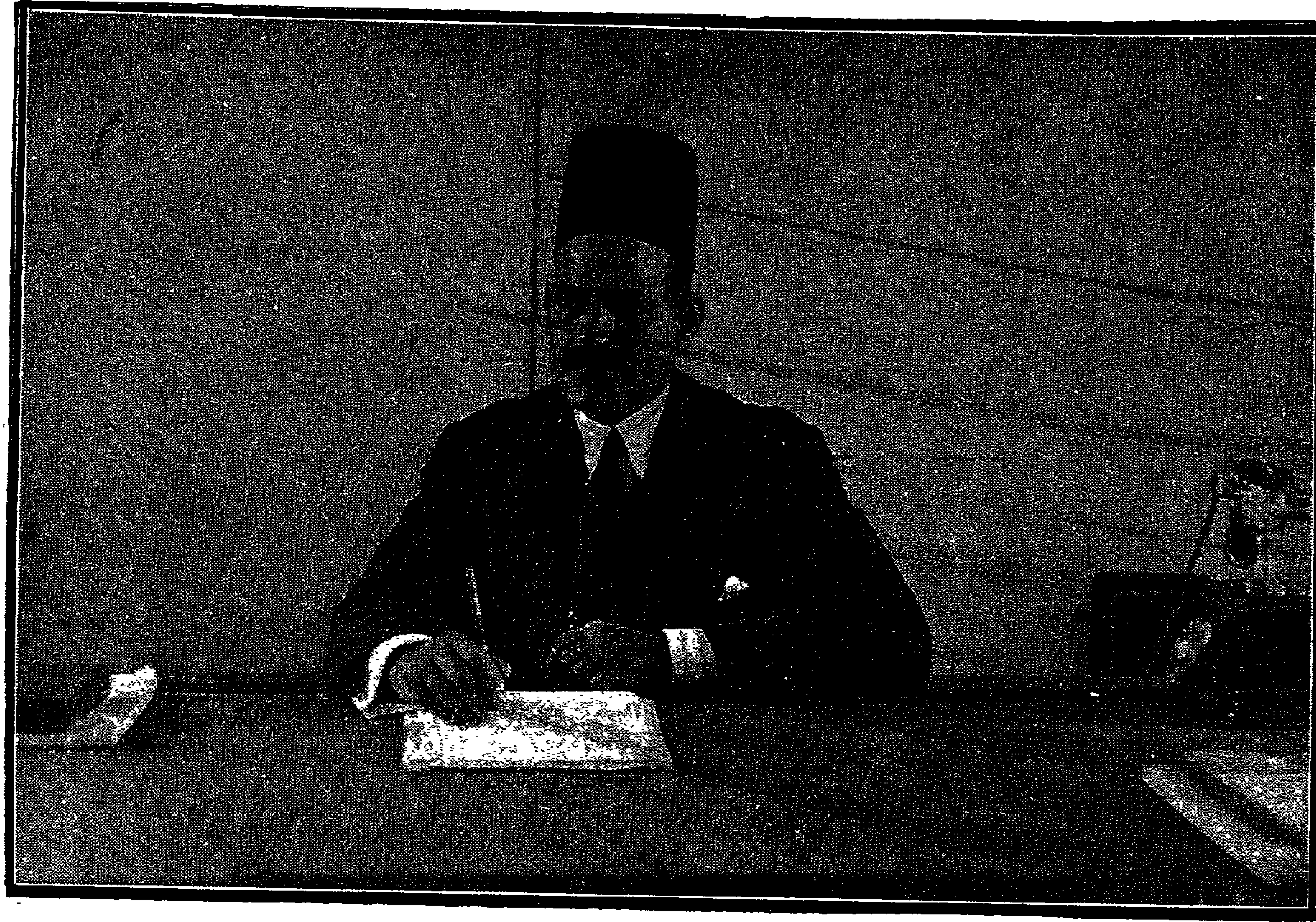
ولقد كان للمواهب النادرة التي حباها الله فقيدنا العظيم أثرها البالغ في نهضتنا الحاضرة من تنبيه الشعور القومي وقيام البلاد على بكرة ابيها للمطالبة باستقلالها

ثم رأينا الزعيم الراحل رئيساً لمجلس نواب مصر المستقلة فكان في عدل القدر درساً آخر عظيماً لكل مضحٍ بنفسه في سبيل امته فكأنما اراد القدر أن تكون تربية البلاد تربية دستورية وتأسيس التقاليد البرلمانية فيها على يديهِ. ولقد شهدتم جميعاً كيف كان يدير جلسات مجلس النواب بحكمة ولباقة واصالة رأي شهد لهُ بها القريب والبعيد معطياً لكل متكلم قسطهُ من حرية الرأي وحرية القول في حكمة واعتدال وتبصرة وسداد فلنذكر نعمة الله عليهِ وعلى مصر شاكرين

أيها السادة — ان ذلك الجسم الذي غالب الامراض فغلبها الى ان اختطفهُ الموت وأخذهُ غيلة قد اصبح معنىً لن يفتأ يطالعكم من وراء السنين والحقب هو معنى الوطنية العاملة التي تقضي على كل فرد بان يقوم بواجبه ساعياً في سبيل الكمال . وان ذلك الخطيب الذي سحر عقولكم ببيانه مدى حياته يلقي عليكم بموته أبلغ خطبة خطبة الفناء في سبيل خدمة الوطن ونصرة قضيتهِ

ان حزننا على فقيدنا عظيم ولكن يجب ألا يكون عقيماً وخير ما يلد هذا الحزن هو حسن التأسي. فلنتأس بسعد في جهاده للحق وصبرهِ على المكاره ودعوته الى ضم الصفوف وايثار المصلحة العامة

واني لأعلم اني لا انبه غافلاً ولا اوقظ نائماً فان سيرتكم منذ مات سعد ناطقة بان روحهُ لا تزال معكم ولا اشك انكم لن تزالوا سالكي هذا الطريق في توفيق من الله وتأييد من صاحب العرش. واوقن انه ليس احب الى سعد في قبرهِ من ان تثابروا على المضي في هذا الطريق الحكيم حتى نبلغ غايتنا جميعاً



صاحب المعالي مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٢٤٧

وانت ايها الراحل الكريم

نم هادئاً مطمئنـاً فان البزر الذي بذرته من خلال حسنة ودعوة صالحة سيؤتي ثمره ان شاء الله وستحفظ لك مصر اطيب الذكرى . واذا كان لمحزون ان يتعزى فان في هذه الجموع التي تنوء برزئك الكبير بعض العزاء لشريكتك في الحياة التي شاطرتك المتاعب والآلام والتي جمعت الى صفاتها الممتازة انها كانت خير مثال للحب والوفاء كما ان في الروح التي بعثتها في الامة بعض العزاء للصديق الذي فقد بموتك العضد البار الوفي الامين فرحمة الله ورضوانه عليك

—٢—

خطبة رئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا
في حفلة التأبين الكبرى

حضرات اصحاب السمو . حضرات اصحاب الدولة والمعالي . سيداتي . سادتي

أتقدم والخشوع يملأ جوانحي . والاجلال يفعم قلبي باطيب التحيات المباركات الزاكيات لروح سعد في جوار ربها تنعم في رضوانه ، وتتقلب في احسانه ، وتتعطف عليها ملائكته ، وتستقبل من صالح العمل ما قدمتهُ .واستلهم منها الحكمة وفصل الخطاب

سيداتي . سادتي : يطوي الموت اعمار الرجال ، ويغيبهم في اطباق الثرى ، ويبقى لهم في مضمر القلب وُدّ ، وحب ، ولوعة ، وادكار . فتقام الحفلات تنوبهاً بشأنهم ، واشادة بذكرهم ، يذاع فيها ما كان كاتماً ، وفاء لهم ، وبقياً على آثارهم . لكن اجتماع اليوم لم يكن لاذاعة محمدة ، فمحامد سعد ذائعة ، ولا لاشهار نقيبة فنقائب سعد حديث كل انسان . وماذا عسى ان يقال في سعد والدنيا تهتف باسمه ، ويكتب الخلود اسفار تاريخه . انما اجتماع اليوم في الحق وفاء لانفسنا ، وغذاء لارواحنا ، وادكار لفضائل سامية ، وغرائز نامية ، تهفو لها النفوس . وتقبس من سنائهـا . وتعنو لها الوجوه وتطرق في حضرتها ، ثم تحفظ منها ، وتنقل عنها

سيداتي . سادتي : اننا الآن في ذكرى سعد الكبير القلب ، العبقري العقل . العظيم النفس . ولست امثله الا كالطود الشامخ .ترتدُّ امامه الاحداث متكسرة متداعية ، وفي ثناياه عيون يفيض سلسالها ، ويزلزل هديرها ما استحجر من بغي وطغيان ، وفي جنباته مروج ناضرة ، وجنات الفاف . فسعد من كلّ نواحيه روعة

النفوس ، وسكينة القلوب ، باعث للرهبة والجلال

خرج سعد من صميم المصرية . وتدرج في بيئاتها ، وتعرف مواطن ادوائها ، واكبر الحيف النازل بها ، فافنى نفسه في حبها واعظامها مفتخراً بها ، ممجداً حقوقها ، متشرفاً بزعامتها

ثم قدر ما يتطلبهُ الدفاع عنها من جهود مضنية، وهموم ناصبة فاحتملها باصطبار وجلد ما روعهُ خطب ولا زحزحهُ وعيد . ولا انساهُ السرور المفاجيء عظم التبعات ولا شدة المسئوليات

سمع وهو في مالطة نبأ الافراج فاستبشر هنيهة كما حدثنا ، ثمَّ تمثلت امامه الغاية الكبرى والامانة العظمى فاغرق في التفكير محصناً بالعقيدة الوثيقة معلناً ان حق مصر غالب على كل امر ، وانها لا تخلد الى ضيم يراد بها . فاشهد العالم اجمع على جلال الوطنية المصرية ، وحملهُ على الاعجاب بالحكمة والحزم اللذين كانا وما زالا شعار الامة لتحريرها . وها هو موته أبان عن قوة الايمان الوطني ، وتكشف عن عقيدة سعدية جمعت الامة حول قبرهِ تؤدي شعائر الاخلاص، ونسك الوفاء ، جزاء وفاقاً ، وتقطع على نفسها العهود والمواثيق لتصبرن على ما ابتلاها ولتعملن لاتمام مبتغاها

سيداتي . سادتي : لقد رأينا قلوب الامة تتحرق يوم منعاه ، وزفراتها تتصعد امام مثواه ، ولا تزال تمجد ذكراه واشهد الله ان سعداً وهب لامتهِ من نفسهِ وعقلهِ وقلبهِ وحسن جهادهِ ما لا قبل لها بشكره وانما جزاؤه الاوفى عند ربهِ الاعلى ولسوف يرضى

ان سعداً صدق ما عهد الامة عليهِ ، فكان اميناً في رسالتها بليغاً في التعبير عنها يخشى خديعتها ويحذر الشر ان يحيق بها ، ويقنع نفسهُ بخيرها اولاً ثم يقنعها بقبوله آخراً

تجلت تلك الحقائق في اسلوبهِ السياسي الصريح يوم قام مدافعاً عنها في بلاد الانجليز فكانت حقائق مهيبة عظيمة تصدر من ممثل الامة الذي التفت حوله القلوب وحفت بروحهِ الارواح. ومتى شعر سعد بروح الجماعة او تمثلها فثمَّ ما شئت من قوة ورهبة وعظمة

لقد كانت ارواح الجماهير تجد في نفس سعد مجتمع آمالها ومستقر سعادتها ، وملتقى ما تصبو اليهِ من سمو وكمال

وسعد تتسع نفسهُ لتلك الارواح ثم تغمرها وتتأثر منها ثم تكبرها وما زال سعد يتطلب روح الجماعة ويسائل عنها

جاءه رجل حجَّ بيت الله فسألهُ سعد : اي اثر شديد احسست بهِ في الحج؟ فسكت

الرجل . فقال لهُ : لعلهُ مشهد عرفة . فقال له الرجل نعم . فسألهُ لماذا ؟ فما استطاع كلاماً . فقال لهُ سعد : انها روح الجماعة تهز النفس وتثير كل المعاني الكامنة فيها

نعم هي كل المعاني التي اختصت بها نفسهُ وانطوت عليها جوانحهُ حتى ليضحي بكل عزيز — بالراحة بالمال بالنفس ليحقق لبلاده استقلالاً ندبتهُ الاقدار لهُ وشغلت قلبهُ بهِ متذوقاً قسوة الآلام ، صابراً على فداحة الخطوب

تلك التضحية من فضائله المتأصلة ، فطرة الله التي فطر سعداً عليها . فلقد آذنت الهدنة ان تعقد والجو أكلف والسماء تبرق وترعد وحقوق البلاد نهب مقسم . فكنا نحن الشبان نفكر في رجل يتقدم الصفوف ويؤدي رسالة الامة ويلفت العالم الى مصر مصر المكبلة في الاصفاد المأسورة في حدود البلاد . فهدانا التفكير الى سعد ورأينا مفاتحتهُ في الامر الجلل لكنا رأينا سعداً يسير على فطرتهِ ويعد مع جماعة من رفاقهِ للامر عدتهُ سبَّاقاً الى الغاية ، فما نبهناغافلاً ، ولا ذكرنا ناسياً،ولكنا اتبعناه واقتدينا بتفانيهِ في الفكرة الوطنية

سيداتي . سادتي : لقد بهرنا هذا التفاني فيخدمةالبلاد من شيختكافحهُ الامراض وتتعبه الاحداث . لقد كان يحدثنا في سيشل : سأموت هنا رضي البال ، وتعودون انتم . ولكن موتي بعيداً عن مصر سيذكي نار الوطنية في قلب الامة ويقفها صفاً واحداً تدافع عن حقوقها

ان سعداً في تفانيهِ كذلك الجندي يستقبل الموت في نسف ممرٍ تذهب نفسهُ معهُ اشلاء واوصالاً ليحي امته ويدفع عنها عدوها

نلمح ذلك المعنى السامي في نفس سعد من قبل يوم خيَّروه بين امرين احلاهما مرٌّ .

فاما ان يدافع عن مشروع القنال في مقابل ان يكون رأي الجمعية العمومية فيه قطعياً واما ان يأبى ذلك ويضيع ذلك الحق . فما تردد في ان يكسب امته ذلك الحق النيابي ، مستهدفاً للنقد الخاطىء والعالمون بدخائل الامور يعلمون علم اليقين ان سعداً بهذا الفناء في خدمة بلاده انالها اختصاصاً جديداً واقطع لها حقاً عزيزاً اصار رأيها في الامر قطعيًّا

سيداتي . سادتي : ما كانت عظمته وليدة السنين الاخيرة لكنها صحبته ناشئاً ، ولازمته شاباً وقارنته شيخاً جليلاً

من اظهر صفات تلك العظمة التي بدت مخائلها على سعد وهو طالب في الازهر

حبه للحرية الفكرية ونقمته على سالبها

كان سعد في حداثته ممتازاً بالفطرة السليمة له نفس حرة كريمة وذهن خصيب، وهو بين اقوام يحافظون على تقاليدهم ويتوارثون طريقة تفكيرهم. كره سعد تلك الحالة فجمع اخواناً على شاكلته، وطلب اليهم ان يعاونوه على نبذ تلك الطرق الدراسية الملتوية التي تفني الاعمار وتعوق النفوس عن كمالها. كتبوا تلك الدعوة في منشورات خطوها ورفعوها على اعمدة الازهر ليلاً فكانت اول صيحة فيه هتفت لحرية الرأي واحدثت ثورة فكرية هادئة ماكان لغير سعد الشاب العظيم ان يهيب بها، لان الحكام قساة القلوب والعقاب فادح والناس احبّاء ما الفوا اعداء ما جهلوا

سيداتي وسادتي: لقد ادرك سعد مرارة الاسر في نفسه يوم سجنوه عقب الثورة واجدر بمن ذاق تلك المرارة ان يستشعرها في غيره ويستبشعها في الامم والشعوب ويجد للحرية في اعماق نفسه قداسة وحياطة ووقاية اشد ما يزعجه العدوان عليها، وانتهاك حرمتها

وكنا ونحن محوطون برجال الحفظ في منفاه نلمح على سعد الالم الموهن والمرارة اللاذعة عند ما يعتلج في نفسه معنى الاسر فيتمثل تلك الحقيقة القاسية: سعد مأسور. سعد يتبعه جندي

سيداتي. سادتي: لقد صحبنا سعداً، وشاركناهُ في حلوه ومره وبلغنا من نفسه منزلة الابناء، وبلغ منا مرتبة أبر الآباء. كان يتوسطنا ويستمع الينا، ويصغي الى حججنا فيستجلي صوابها، ويمضي الى لبابها، كارهاً للمنطق المعقد والحديث المهوش لان لهُ ذهناً كالمرآة المصقولة ترتسم عليها الصور ناصعة جلية وترتد عنها القطع الداكنة المبهمة، يحضرك ما غاب منك، ويظهرك على ما خفي عنك، ويتتبع البرهان الواهي فاما قوّيته واما تركته، ثم لا يدعك الا مقتنعاً راضياً. وأشد ما يعجز بهِ خصمه ان يتخذ من حجتهِ دليلاً عليهِ، وستاراً لرأيه. فشدد سعد عند مناقشة لورد ملنر في ان ينص على الغاء الحماية فقال لهُ اللورد لماذا هذا التمسك بالالفاظ والاستقلال نفسه منصوص عليهِ، فبدههُ سعد: ولماذا لا تريحنا بلفظ لا يضركم ولكنهُ ينفعنا. فانقطعت الحجة وانتهى الكلام

لقد كان سعد في رهبتهِ وقوة عارضتهِ له قلب رحيم. طبع على الخير، فاختاره الله مجالاً للحب والرحمة، والاشفاق، والبر. يمرض الواحد منا او تلم بهِ نائبة فلا

والله ما الوالد الشفيق بأبرّ قلباً ولا احنى عاطفة امام وحيده من سعد امامنا يواسينا ويتعجل شفاءنا ويتعهد راحتنا ويفيض علينا احسانه العميم

تلك المودة والرحمة اكبرت عنده الحياة الزوجية وحاطها بالاجلال العظيم. ووجد من ام المصريين مصابرة على الشدائد. ومدافعة للخطوب ومشاركة في بأساء الحياة. فكانا معاً مثالاً أعلى لانبل العواطف، وصوراً للملائكة الاطهار

سيداتي. سادتي: تلك الملائكية التي تجلت في سعد أرتنا كيف كان يترفع عن النقائص، وينفر من الصغار، واذا كان في حقوق بلاده شديداً رائعاً، فهو في حقوقه الشخصية مسماحاً كريماً، فتى سكنت الفتن، وثاب الرشد، وتعرضت الشؤون العامة للاخطار رأيت في سعد العظمة المتطامنة تغضي وتخفض جناحها متوسعة بالفضل متطولة بالعفو، تستل الضغائن وتنشر الائتلاف، نصرة للحرية، وعصمة للدستور

سيداتي. سادتي: لقد كانت الرقة القلبية، والعاطفة الرحيمة التي امتاز بها سعد من فضل الله الذي يسبغه على افذاذ الرجال وقادة الامم، ثم يمدهم بالايمان العميق، فيدركون من قدرة الله اعمها واشملها ويسلمون النفس في الشدائد لله الواحد القهار. فما رأيت سعداً الا وجلال الايمان يلوح على وجهه واسرار الطمأنينة تبدو في كل مظاهره

سيداتي سادتي: تلك اثارة حضرتني من بوارع سعد والفكر مشرّد، واللب حائر، والنفس تنوء بالتبعات، اتقدم بها حضرات الخطباء والشعراء، ثم ادع لهم مجالاً هم احق به، واهل له

يا سعد

لقد عشت لخير الانسانية وندبك الوطن لاشرف غاياته فافنيت في طلب الكمال حياة ما كان اطيبها واغلاها، وانزلتك امتك منزلة ما تطلعت لمنزلة سواها واحاطت بك في اشد الازمات فصدفت عنها عيوفاً كريماً، وقلتها كلمة خالدة رافعة «لا ابغي باستقلال بلادي بديلا»

يا سعد!

لقد شهرك ربك بفضلك وأسبغ على ذكراك رداء مجدك، فهنيئاً لمن كان الله ناشر فضله، وناسج مجده

اللهم رب سعد الثاوي في رحمتك، النازل في جنتك، ادخل عليه روحاً منك وسلاماً منا

سعد زغلول

نشأته الاولى — الازهر وأثره في تكوينه

[طلبنا الى حضرة النائب المحترم الاستاذ صبري بك ابو علم ان يكتب للمقتطف بحثاً تاريخيًّا في سيرة الراحل الكريم المغفور لهُ سعد زغلول باشا . فلبى الطلب مع كثرة المهام وللحال انصرف الى البحث والتنقيب في مجموعات الصحف التي كانت تصدر قبل الثورة العرابية وبعدها ليستخرج منها سيرة الراحل الكريم في ذلك الزمان. ثم عارض ذلك بما قالهُ سعد باشا في خطبهِ وبما قالهُ مختلف الكتّاب من عرب وافرنج فيهِ . فجاءت رسالة الاستاذ صبري بك كأبلغ ما يكتبهُ الكتّاب الغربيُّون في سير عظمائهم جامعة بين تحقيق في البحث وانصاف في الحكم وبلاغة في التعبير وسهولة في تسلسل الكلام وسياقهِ . وقد اختصّ النبذة الاولى بحداثة الفقيد العظيم ونشأتهِ وما كان للازهر الشريف وللمرحوم الاستاذ الامام والسيد جمال الدين الافغاني واديب بك اسحق وغيرهم من اثر في تكوين آرائهِ ومعتقداتهِ وطريقتهِ في الكتابة والخطابة]

— ١ —

قليل هم الرجال الذين يجعلون من انفسهم ما اعدتهم لهُ الطبيعة . ويصبحون من بلادهم المركز الذي تدور حوله . والعلم الذي تستظل بهِ . ولقد ظلت مصر أجيالاً تعمل لتكوين سعد . وما كاد ينضج ويخرج للعالم . حتى رأى فيهِ رجلاً علّم الخصوم والاصدقاء كيف يحترمونهُ . وعرف فيهِ الذين كانوا يناضلونهُ خصماً شريفاً ، نزيهاً ، جريئاً . يضرب خصمهُ الضربات الشديدة ويتحمل مثلها . رجلاً ظل في مصر الى ان اختارهُ الله لجوارهِ . القوة المحركة ، الدافعة ، المالعة ، المرشدة لشعبه في مدلهم الحوادث والخطوب ، والملهمة لمصر بالحكمة حيناً وبالاقدام أحياناً . رجلاً تقاضت عظمتهُ الصحافة الانجليزية وكبار ساسة الانجليز ضريبة الاجلال والاحترام . فنثروا على نعشه زهور الرثاء والتقدير. واعترفوا بأنهُ كان أصلب خصم اعترض المصالح البريطانية مراساً . واشدهم عناداً . واعظمهم خطراً . رجلاً ظل كما قالت التيمس «يواصل سعيه وجهاده حتى فاز بحمل الدولة التي استقرت في مصر اربعين عاماً . على أن تعترف لمصر بالاستقلال الذي اضاعتهُ من الفين وخمسمائة عام » . رجلاً تقدم الى

قبره زعيم العمال ورئيس حكومتهم الاولى من بُعدٍ بتحية الوداع فقال: «كان زغلول اكثر من زعيم حزب فهو روح المصريين . وموته يخرج من ميدان السياسة المصرية شيئاً اكبر من رجل » . رجلاً « شغل الحياة المصرية عامة . واجتمع فيه تاريخ مصر الحديث وانتهت اليه نهضتها الكبرى » كما قال دولة ثروت باشا وهو يؤبنهُ

انه رجل أصبح ملك الخلود والتاريخ . ولكن هل حان الوقت لكتابة تاريخ سعد . وسعد قد ظلّ نيفاً وخمسين عاماً يتنقل بين مراحل نهضة مصر الحديثة ويسيّرها . ويتمشى في بيئاتها المختلفة . رافعاً علم التقدم والاصلاح . فطوراً نراهُ في الازهر ومعاهده طالباً نابغاً ثائراً . وطوراً نراهُ في الصحف الرسمية وغيرها كاتباً . أديباً . ناقداً . فاذا بهِ في افق المحاماة نجماً طالعاً . ثم في كرسي القضاء بدراً ساطعاً . ففي دست الوزارة وزيراً مجدداً ، عاملاً ، مستقل الرأي . ثم يدخل الجمعية التشريعية نائباً جريئاً . وزعيماً للمعارضة وخطيباً يرسل الصواعق فيزلزل اقدام الوزراء . ويعير الجمعية من روحهِ نفوذاً فتتخطى بهِ كل حد رسمهُ لها واضعو قانونها النظامي . واخيراً يصعد آخر درجات الحياة علماً خفاقاً على رأس الامة والحكومة والبرلمان . تجتمع فيهِ الرياسات . يدين لهُ الزعماء بالزعامة . ويدين لهُ الشعب بالاخلاص. وينطوي لهُ العالم على الاجلال والاحترام : يتحدث فتهتزّ الاسلاك . ويتحرك فيخفق البرق . ويتكلم فينصت الدهر . ويخطب فينفث السحر

هل حان الوقت لكتابة حياة سعد ودموعنا لما تجف . ونار آلامنا بفقدهِ لا تزال متقدة تحت رماد التجلد والصبر؟ هل حان الوقت لتدوين حياتهِ ولا يزال الجانب الاعظم من أعمالهِ مستوراً عن أعين الكثيرين ؟ ولا يزال في صدور معاصريهِ واصدقائهِ اسرار لم تلتقطها اذن التاريخ ؟ ومن ذا الذي يتقدم لتحليل تلك الشخصية دون أن يرجع الى مذكرات سعد ومذكراتهُ كما يعلم الذين اسعدهم الحظ بسماع شيء منها ، وثائق تاريخية ثمينة ، تلقي النور على كثير من الحوادث والرجال. ولم تجر العادة ان تنشر مذكرات العظماء الاّ بعد مضي زمن تسكن فيهِ زوابع الخصومات ، حتى لا يسبب نشرها ألماً موجعاً لمن تناولتهم بالنقد أو التحليل . ويكفي ان تعلم ان نشر مذكرات السر هنري ولسون رئيس اركان حرب الامبراطورية البريطانية في الشهر الاخير قد اثار من الخصومات والمجادلات العنيفة. فتطاير منها شرر اصاب كثيرين من رجال السياسة الاحياء فأقضّ مضاجعهم. وازعجهم. حتى انبرى المستر لويد جورج للرد عليها وتفنيدها

على انهُ لا يصح ان يفهم من هذا اننا يجب ان نظل ساكتين حتى يطوي الموت اعمار الذين في صدورهم اسرار . أو في ذاكرتهم اخبار ممن التقوا مع سعد في سبيلهِ خصوماً شرفاء . او اصدقاء اوفياء . دون ان يلقوا الى التاريخ بذات صدورهم . وودائع سرائرهم. فان مضيَّ الوقت الطويل من شأنهِ ان يضيع الوان الحوادث فيتلاشى بهاؤها وتذبل ذاكرة الناس ويقل اهتمامهم . فكأننا نقيم لانفسنا دون الحقائق سدًّا

فليتقدم من الآن المتقدمون يمهدون للمؤرخ فيجمعون آثار سعد وينقبون عن نشأتهِ الاولى . ويكشفون الغطاء عن كل ما اتصل بهِ من اعمال ، او صدَر عنهُ من اقوال. حتى تتوافر بذلك للمؤرخ المواد التي يكوّن منها سفراً جليلا يليق بسعد وعظمتهِ. واولى الناس بذلك هم الذين تنفسوا معهُ هواء الحوادث التي خاض غمارها . وعرفوا عن قرب المعضلات التي واجهتهُ . وكيف كان يستقبلها . وكيف كان يذللها. وبأي الادوات كان يشتغل . بلا خشية من غلو او إغراق او تحيُّز. فما كانت عظمة سعد تحتاج الى محام اومدافع . فلقد كان لسعد من الشجاعة ما يكفي للاعتراف بالخطإِ متى ظهر لهُ. ولهُ من عظمتهِ ما يحتمل ذكر غلطاتهِ بحيث لا ينقص ذكرها من عظمتهِ شيئاً . بل يكملها ويتمها

***

لا نتقدم بهذا تمهيداً لكتابة سيرة الفقيد العظيم فغاية ما نطمع فيهِ ان نرسم لهُ صورة قوامها ما انطبع في نفوسنا واستقرَّ فيها من آثار تلك الشخصية التي قلَّ في التاريخ مثالها . وعزَّ في الشرق منالها . مقدمين قبل ذلك بعض ما اجتمع لنا في هذه الفترة القصيرة من اخبار نشأتهِ الاولى

نشأته الاولى

ان الذي نعلمهُ عن نشأة سعد الاولى لا يشفي غليلاً ولا يروي نفوسنا المتطلعة وانَّ اقصى ما نتمناه على الباحثين والمؤرخين ان لا يشغلهم مجد سعد في شيخوختهِ عن ان يلقوا النور على سعد في شبابهِ . فالرجل العظيم ليس ابن الحوادث ولا يطفر بهِ الزمن طفرة . بل ينشأ عظيماً تلمس عظمتهُ في مختلف ادوار حياتهِ . خصوصاً اذا كان للاخلاق الجانب الاكبر في تكوين عظمتهِ

اما سنة مولدهِ فقد اختلف فيها الناس اختلافاً كبيراً غير اننا رجعنا في تحقيقها الى ما قررهُ الفقيد في خطبهِ واقوالهِ . فقد روي ضمن خطبة لهُ في ١٥ ابريل سنة ١٩٢١

انهُ وقت بدء اشتغالهِ بالمحاماة كان عمره اثنين وعشرين سنة ومن المتفق عليهِ انهُ اشتغل بالمحاماة في سنة ١٨٨٣ . لذلك كان اقرب الاقوال الى الصحة عن تاريخ ميلادهِ ما قيل من انهُ ولد في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٩

ولقد ولد في ابيانة من اعمال مركز فوة بمديرية الغربية وخرج من صلب الامة المصرية ومن صميم الفلاحين . خطب مرة فقال : « لم اكن اميراً فيكم ... ولا انا من بيت كبير . بل انا فلاح ابن فلاح من بيت صغير يقول عليهِ خصومنا انهُ حقير. ونعمت الحقارة هذه ». على انهُ اذا علمت ان اخاهُ الشناوي افندي زغلول كان في ذلك الوقت رئيساً لمجلس مركز دسوق وان سعداً عند ما قدم القاهرة للالتحاق بالازهر استحضر معهُ طاهياً خاصًّا كما يقرر زملاؤهُ بالازهر علمت من اي اصل نبت سعد ومن اي بيت خرج

اذن جاء سعد كما قالت التيمس « من سلالة ذلك العنصر القديم الذي اتخذ اللغة العربية وعقيدة العرب الفاتحين منذ قرون . ولكنهُ على الرغم من الغارات الاجنبية والامتزاج بالاجناس الاخرى قد استوعب جميع النازلين بارض مصر واحتفظ بملامح اسلافهِ وبكثير من السمات التي ثبتت لهم قبل غارة الفرس على وادي النيل . وكأنَّ منشأهُ هذا قد اولاهُ ادراكاً لطبيعة قومهِ ينقص الساسة الآخرين وجاءت غرابة ظهوره نفسها وعدم توقعها فكانت من الاسباب التي ساعدتهُ على الظهور . وكانت سيرتهُ العجيبة مصداقاً للمثل اللاتيني ان افريقيا تأتي بشيء غير مألوف فانها نقضت الرأي الذي كان سائداً عند المماليك والترك وهو ان الزعامة السياسية والادارية لا يظهر لها اثر بين عنصر الفلاحين »

وتعلم سعد مبادىء القراءة والكتابة في مكتب القرية . وظل بهِ خمس سنين ثم شخص الى دسوق يطلب العلم بالجامع الدسوقي . وقد جوَّد القرآن على الشيخ عبد الله عبد العظيم وبين جدران ذلك المعهد عرف لسانهُ من القرآن حلاوة الفصاحة وانطبع بأول طابع للبلاغة . وفيهِ تدرب لسانهُ الزلق المفوَّه على اخراج الكلام من مخارجهِ تام الصوت والجرس محكم النبرات

ولم يلبث بالجامع الدسوقي الا قليلاً ثم ارتحل الى القاهرة يقصد معهداً اوسع رحاباً واعظم شهرة واكثر علماء . التحق سعد بالجامع الازهر وظل فيهِ خمس سنين تلقى فيهِ العلم على كبار شيوخهِ في ذلك العهد . فتلقى على الاستاذ الامام « القطب على

الشمسية وبعض كتب التوحيد » وتعرف بكبار العقول في ذلك الوقت امثال الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ الباجوري

وصل سعد الى القاهرة حوالي سنة ١٨٧١ في الوقت الذي كانت مصر تستقبل فيهِ حركة فكرية قوية وتتمخض الايام والحوادث فيها عن تكوين رأي عام قوي . فان جمال الدين الافغاني بعد ان أقام بمصر اربعين يوماً سنة ١٨٦٩ تعرف خلالها بكثير من علماء مصر واعلامها ، عاد الى الاستانة سنة ١٨٧٠ ثم الزمتهُ دسائس الرجعية هناك بالعودة الى مصر فوصلها سنة ١٨٧١ واخذ يبثُّ تعاليمه ويلقي بذوره في ارض صالحة مهيأة لتلقيها . أخذ يشرح آراءهُ في الاصلاح الديني وتخليص العقول من ربقة الجمود . ويشرح النظام الدستوري ومبادىء الاسلام في الشورى . وبث في النفوس روح الاستقلال والتخلص من تحكم الاجانب في الشرق وشعوبه . ولقي في هذا السبيل كلَّ تشجيع من الشعب الذي أقبل عليهِ خاصتهُ كل الاقبال ومن الحكومة التي ربطت لهُ راتباً شهرياً قدرهُ مائة وعشرون جنيهاً دون ان تأخذ عليهِ اي عهد . وصرحت لهُ بالقاء محاضراته في الجامع الازهر وظل يدرس فيهِ حتى اختلف مع الشيخ عليش فنصح لهُ الخديوي اسماعيل بالبقاء في داره حيث كان يختلف اليهِ تلاميذه وهم صفوة شباب ذلك العصر وكبار الموظفين فاستمرّ يمرنهم على الكتابة والبحث ويدفعهم بروحه العنيفة الثورية الى القضاء على سلطة الفرد والتمكين للنظام الدستوري في البلاد ، مستنداً في تعاليمه الدستورية الى ما جاء بهِ الدين الاسلامي والى ما سنّهُ الخلفاء الاولون من القدوة الصالحة في احترام الانظمة الشورية . وتقوية الروح الديمقراطية

ولم يكن جمال الدين رجل كلام فقط ولكنهُ نزل الى ميدان العمل مرشداً لتلاميذهِ فأسس هو وأديب اسحق في اول يوليه سنة ١٨٧٧ جريدة مصر وخرج جمال الدين من عزلتهِ وصار يكتب فيها الفصول هو وتلاميذهُ واسس سليم نقاش بعد ذلك بمعونتهِ جريدتي المحروسة والعصر الجديد . وأصدر صديقه ابراهيم اللقاني سنة ١٨٧٩ جريدة مرآة الشرق

اثر الازهر في تكوين سعد

في هذا الجو الصالح لتربية النفوس والارواح أقبل سعد على القاهرة واتصل بالشيخ محمد عبده طالباً بالازهر . واصبح من مريدي جمال الدين وتلاميذهِ .

وتعرف بالشيخ عبد الكريم سلمان . وابراهيم اللقاني . وشفيق بك منصور . وعلي بك فخري . والبارودي . وأديب اسحق . وكان يكتب الفصول والمقالات في جريدة مصر ونشرت لهُ جرائد المحروسة والبرهان والتجارة مقالات كثيرة . وكان كثير الاعجاب بأديب اسحق . وكثيراً ما سمعناهُ يثني عليهِ وعلى طريقتهِ في الخطابة

فبين جدران الازهر تكوَّن سعد أول تكوين . وفي جوانب ذلك المعهد الديني الكبير . وبين جدران ذلك الجامع التاريخي الشهير . بدأت نفس سعد تظهر حرة كريمة ابية . نافرة من الجمود في غير حركة . والسكون في غير بركة

خطب يوم الجمعة في ٨ ابريل سنة ١٩٢١ عقب عودتهِ الشهيرة من اوربا في الجامع الازهر فقال « جئت اليوم لأؤدي في هذا المكان الشريف فرض صلاة الجمعة . لاقدم واجبات الاحترام لمكان نشأتُ فيهِ . وكان لهُ فضل كبير في النهضة الحاضرة . تلقيت فيهِ مبادىء الاستقلال لان طريقتهُ في التعليم تربي ملكتهُ في النفوس . فالتلميذ يختار شيخه . والاستاذ يتأهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيهِ . ومتأهل لهُ يوجه كل منهم اليهِ الاسئلة التي يراها فان اجاب الاستاذ وخرج التلميذ ناجحاً من هذا الامتحان كان اهلاً لأن يجلس مجلس التدريس . وهذه الطريقة في الاستقلال التي تسمى الآن خللاً في النظام جعلتني أتحول من مالكي الى شافعي حيث وجدت علماء الشافعية في ذلك الوقت أكفأ من غيرهم »

فلم يكن سعد بالطالب المستكين الخامل . ولكنهُ كان يوازن بين الاساتذة ويفاضل بين المذاهب وينقد طريقة تدريس كل مدرس . ويثور ضد ما يغضبهُ من الانظمة . حدث انهُ جمع اخوانهُ الذين توثقت بينه وبينهم الروابط . وطلب منهم ان يعاونوهُ على اصلاح نظام الازهر في بعض الشؤون . فكتبوا المنشورات وعلقوها على اعمدة الازهر ليلاً فكانت اول صيحة احدثت ثورة صالحة فيهِ

ولقد كان لهذه النشأة الدينية الصالحة اثرها في تكوين جانب من عقلية سعد احس بهِ الذين خالطوهُ ايام الشدائد والخطوب . فقد كان عظيم الثقة بالله مخلصاً لهُ في السر والعلانية . تتجهم الحوادث . وتشتد الليالي . ويتلبد الجو . وهو في مقعدهِ يبسم لها ابتسامة الواثق بانها عارض وينقشع . وسحابة وتولي . كأنه يتلمس يد العناية في كل خطوة . وكثيراً ما سمعناهُ يقول « ان هذه الحركة من صنع الله . وهو الذي يتولاها بعنايتهِ . ويتعهدها بلطفهِ » . وخطب مرة فقال « ولكن الله سبحانهُ وتعالى وهو

صاحب هذه الحركة. وباعث هذه الروح في انفسكم جميعاً يحميكم من كيدهم. ولن يفلح قصدهم وقد حكم عليهم بالخيبة الى يوم الدين »

وخطب مرة في احد الوفود فقال « لقد عودنا الله الاخذ بيدنا. وتعهدنا في الشدائد بحسن رعايتهِ. وكلما اشتد الامر. اقتربنا من هذه الغاية. فعلينا ان نتمسك بحقوقنا. وان نتحمل الشدائد بالجأش الرابط. والصبر الجميل. والله ولي الصابرين »

فكان يخيل اليك وانت تسمعهُ انهُ يترامى في احضان القضاء والقدر ويعتمد عليهما. وينتظر ما يخرجان لهُ كل يوم من اعاجيب. ولكنهُ كان يجمع الى الثقة بالله والاعتماد عليهِ الثقة بنفسهِ. وكان يجمع الى الاعتماد على نجمهِ الطالع، اليقين بأمتهِ. فكان كثيراً ما يتقدم الحوادث بعملهِ ورأيهِ. ويسيطر عليها ويسيّرها. ولا يخضع لها. ويقدم واثقاً من الفوز كأنهُ في يدهِ. ضامناً للنتيجة كأنهُ اتخذ عند التوفيق عهداً

أليس هو القائل عن امتهِ « ان الامم متى صحت إرادتها. وانعقدت عزيمتها. تغلبت على كل صعب. وابطلت كل تدبير. وقهرت كل غادر. ولم يحل بينها وبين ما تريد عقبة مهما قويت. ولا حيلة مهما اتسعت »

تلك كانت آثار تعاليم الازهر الدينية في نفسهِ. وقوة اختلاطها بروحهِ. فانظر الآن اثر تعاليم جمال الدين فيهِ

اثر جمال الدين

لقد كان جمال الدين الافغاني من جبابرة العقول في الشرق. وكانت شخصيتهُ من القوة بحيث تسيطر على النفوس والعقول والارواح. فبين يدي ذلك الفيلسوف العظيم وفي احضان فلسفتهِ الثائرة على الجمود في الدين. والاستبداد. وظلم الشعوب. شبَّ سعد وترعرع ونما

كانت البذرة قوية. وكانت التربة صالحة. فانبتت نباتاً قويًّا. كان جمال الدين متعمقاً في البحث. غوَّاصاً على المعاني. قوي تيار الجدل. متين الحجة. مبين الاسلوب. وكان يرمي الى غايتين: الاصلاح الديني وقد خلفهُ فيهِ الشيخ محمد عبده، وفي الاصلاح السياسي وقد خلفهُ فيهِ سعد زغلول وعقد لكل منهما لواء الزعامة في بابهِ

ولقد ظهرت آثار جمال الدين في سعد في طريقة كتابتهِ. وفي المنحى الذي انتحاهُ في البحث شابًّا. انظر اليهِ ترهُ يخلو الى نفسهِ ولما يبلغ الثامنة عشرة فيطالع

كتاب ابن مسكويه في فلسفة الاخلاق ويلخصهُ ويطبعهُ. وانظر اليهِ حين اكمل العقد الثاني من حياتهِ وقد تعين سنة ١٨٨١ محرراً في القسم الادبي في الوقائع المصرية ورئيسهُ فيها اذ ذاك الشيخ محمد عبده تراهُ يكتب مقالات في الشورى والاستبداد . والوهم . والبخل . وكلها تنم على غزير علم . وقوة جدل لم يعرفها العهد القديم . وأدب كتابة لم يكن للكتاب بهِ عهد من قبل . وجرأة في القول ماكان لغير تلميذ جمال الدين ان يبلغ اليها

وكانت احكام المجالس الملغاة تُنشر في ذلك الوقت بالوقائع المصرية . فبعد ان كان عمله بها قاصراً على مراجعة المقالات والتنبيهِ على مواقع الخطإ فيها . عهد اليهِ في امر نقد تلك الاحكام وتلخيص معانيها . فقام بهذا العمل على اكمل وجه واتمهِ . ومن وقتها تربت في سعد ملكة الجدل القضائي . وتحركت في نفسه عوامل الدفاع عن الظلم لما ظهر له في تلك الاحكام من عيوب ونقائص ضاعت بها حقوق الناس اما لضعف في حجتهم . او عجز عن ايضاح حقهم . او سوء فهم من اعضاء مجالس الاحكام او ميلهم عن جادة الحق لانعدام الاشراف على عملهم من جانب الدفاع

كل هذا مضافاً اليه ما وهبهُ سعد من فصاحة تخلب الالباب. وبلاغة تسحر العقول وقوة جدل تسد على خصمهِ كل منفذ وبديهة حاضرة تلبيه ان ناداها وقوة حجة وذاكرة عجيبة لازمتهُ حتى الوفاة . وذهن مرتب وخيال خصب حرَّك نفسهُ الى معالجة المحاماة فيما بعد

قال في خطبة لهُ القاها في الحفلة التي اقيمت لهُ عندما اختير لمنصب القضاء «والذي حبَّب اليَّ الاشتغال بهذه الصناعة اني كنت مشتغلاً من قبلها بوظيفة من شأنها الاطلاع على احكام المحاكم الملغاة التي كانت تنشر في الجريدة الرسمية يوم كنت عضواً في هيئة تحريرها . وكان من حظي ان عُهد اليَّ في امر نقد تلك الاحكام وتلخيص معانيها ثم انتقلت من هذه الوظيفة الى وظيفة ناظر قلم قضايا مديرية الجيزة وهي كما تعلمون اشبهُ بوظيفة القاضي اذ كان من خصائصهِ ان يصدر الاحكام في كثير من المواد الجزئية»

على انهُ يظهر ان سعداً تعيَّن معاوناً في الداخلية قبل تعيينهِ ناظراً لقلم قضايا الجيزة وكان ذلك في سنة ١٨٨٢ ولم تطل مدتهُ في هذه الوظيفة الاخيرة غير بضعة اسابيع . حتى قامت الثورة العرابية

صبري ابو علم

الجزء الاول من المقتطف

بعد الدكتور صروف

صدر الجزء السابق من « المقتطف » بعد وفاة الدكتور صرُّوف بنحو ثلاثة اسابيع . صدر مخططاً بالسواد حداداً عليهِ . وأُفردَت صفحات من ذلك الجزء لتلخيص ترجمة حياتهِ وتأبينهِ والتحدُّث عنهُ . على ان بقية الصحائف كانت مستمدةً من وجوده ، طافحةً بنفثات قلمهِ ، ناشرةً آثار جدّهِ واجتهادهِ

وهذا الجزء هو الاوَّل بعدهُ ، الاول من مرحلةٍ جديدة ستجيء خالية من نفثات قلمهِ وثمرات بحثهِ وعلمهِ . . . كالخيال مرَّت تلك الشخصية الكبيرة العاملة في هدوءٍ ورزانة ، المنعكسة في مرآة هذه الفصول وهذه المجلدات خمسين عاماً متوالية بلا توانٍ ولا انقطاع

ان صورة الخيال في المرآة صورة قديمة مألوفة . ولكنها كبعض الاستعارات الفريدة التي اهتدى اليها الاقدمون ، كلٌّ من ناحيته ، في اكثر اللغات — بليغة صحيحة لا يستعاض عنها بغيرها لتمثيل الحياة الفردية الزائلة . وكلما جرت على يراعةٍ بشرية أو خطرت في فكر بشريّ برزت كأنها بنت ساعتها وباكورة مبدعها

ذلك لانَّ من الاسماء والمسميات والاستعارات ما هو بعيد الغور بمعناهُ وبمدخرهِ يقتضي استفهامهُ واكتناهه كلما ورد لنا ، حتى ولو تكرَّر ذلك التوارد كلَّ يوم مرات وعرفنا تلك الكلمات والتشبيهات منذ أقصى عهد الطفولة

وفي مقدمة تلك الاوضاع فكرة الموت وما يكنى بها عنهُ . الموت الجمّ الالغاز ، الغزير الاسرار . . . الذي نزعمُ انهُ خيالٌ في مرآة الحياة في حين ان الآجال خيالات في مرآتهِ . . .

***

تكاثر التساؤل بعد وفاة الدكتور صروف عن معتقده الدينيّ عموماً ، وبوجهٍ أخص عن رأيهِ في العالم الآخر . ووجّه بعضهم طائفة من الاسئلة إليَّ ، وهم مرتابون في ان يكون لديهِ رأيٌ من هذا النوع . بل كانوا يميلون الى ان هذا العالِم الرياضي النشوئي كان يقصر همهُ على ما يقعُ تحت الحسّ ، ولا يذهبُ بيقينهِ الى عالم الغيب ، هذا إن لم يكن من جاحديهِ على الاطلاق

وجواباً على هذا أقول ان عالِمنا العظيم كان يعتقد بوجود عالم آخر وكان شديد التشوُّق إلى ولوجهِ من باب الموت . وقد ابدى هذا التشوق مرات عديدة امام محادثيهِ وأقرانهِ في العلم والادراك ، وبسطهُ في بعض رسائلهِ الخصوصية ، كما ألمع اليهِ بلهجات مختلفة خلال أبحاثهِ في « المقتطف »

وهاك شيئاً من ذلك في احد خطاباتهِ الخصوصية :

« ولا ادري لماذا لا نقنع انفسنا ان الدار الدنيا مرحلة من مراحل الابدية . اننا نجهل ماضينا تمام الجهل ولا نعرف مستقبلنا معرفة يقينية . ولكننا نود ان تبقى عقولنا وان ندرك بها ما نعجز عن ادراكه هنا من غوامض هذا الكون . انا اتوق الى ذلك وامني به نفسي كل يوم وكلما وجدت في بحثي مشكلاً يتعذر عليَّ حله

«مرضت مرة بالتيفوئيد وقطع الرجاء مني ولما علمت ذلك فرج عني وتجردت عن الدنيا بعد ان ودعت زوجتي الوداع الاخير ورتبت امر معيشتها ومعيشة اولادي. وصرت اتوقع الانتقال ساعة بعد ساعة وانا اتوق اليه . ولم يخطر ببالي الا انني سأتمكن من معرفة ما وراء الغيب ومن حل ما اشكل عليَّ في هذه الدنيا . ولو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الاخرى لانتفى اكثر ما فيها من الشرور والآلام وانكسرت شوكة الموت »

هذا رأيه في الموت من اغمض نواحيهِ. اما هذا « المقتطف » الذي كان شغلهُ الشاغل مدة نصف قرن ، فكثيراً ما كان يفكّر في ما سيصيرُ اليهِ بعدهُ كما يتساءل احياناً عن حكم الاجيال التالية فيهِ

وهذه جملة في هذا الباب وردت في رسالة خصوصية :

« لا ادري ما يكون حكم الاجيال المقبلة على العمل الذي قمت به . أينظرون اليهِ بالعين التي تنظرين اليه بها فيغتفرون زلاته أو لا يرونها ويشيدون بحسناته او يطرحونه في زوايا النسيان . ان عاشت العربية فالراجح عندي انه يقوم اناس منصفون يغتفرون العيوب ويقولون انني فعلت ما ينتظر مني كله أو أكثره »

***

واجب نشر هذين الرأيين من آرائهِ في الجزء الاول بعده . ومرجوّي ان يتاح لي ان اقدّم بعدئذ صورة حية صادقة ، بلا غلوّ ولا انتقاص من الدكتور صرُّوف

ولا حاجة في تصويرها الى غير ما خطته يده في ابحاثه ورسائله

لنقدر عمل صروف يجب ان ننقلب عائدين الى الوقت الذي انشأ ينشر فيه العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية منذ خمسين عاماً ، يوم كانت العلوم في مجموعها بيننا كلاميَّة بيانية لا بحث فيها ولا تحقيق ولا تمحيص . ولنقدر عمله يجب ان نذكر انه كان يكتب أبداً بانشاء الايجاز والإحكام ، دون التغاضي عن لفظةٍ واحدةٍ الا في تحتمها لاتمام الموضوع أو لجلاء المعنى . وذلك يوم كان الانشاء كله استعارات ومغالاة وإعجاز في البيان والبديع

فكانت هذه البذور الحيَّة النفيسة التي نتلقاها اليوم من يدهِ ومن مجموعة « المقتطف » في عهدهِ . ونحن ننظر إلى مستقبلها بعين الثقة والرجاء لانَّ صاحبها هو الذي اختارَ من يكون أميناً عليها ، عاملاً على استغلالها وإنمائها والتصرف فيها والسير بها في طريق فتحه مجدها القديم ، واوسعت فيه احكام التطوُّر والحياة المتعاقبة المتجددة

***

هذه كلمات تحتّم إرسالها في هذا الجزء من « المقتطف » بعد الدكتور صروف وقد حاولت ان اجبرها بصفاء ذهن وتغلب على العاطفة ، إذ لا يجدر التحدث عن هذه الشخصية العلمية إلاَّ بهدوء وتبصر

ولكني في الختام لا يسعني إلاَّ ان اذكر انَّ بين الجزء السالف وهذا الجزء انفتح هناك في مصر القديمة قبرٌ أودعناهُ عزيزاً . ولا يسعني إلاَّ ان اقرر انَّ هذا شهر نوفمبر ، شهر الموتى ، شهر الذكرى للراحلين

لا يسعني إلاَّ ان اذكر ان بيت الدكتور صرُّوف خلا منهُ ، وان تلك السيدة النابهة ، قرينتهُ المتسربلة بالوقار والكمال ، وان ابناءهُ واخوانهُ واصحابهُ ما أداروا الطرف إلى مكانه الفارغ إلاَّ ليبحثوا عنهُ وهم قانعون في حزنهم — انهُ ليس فيهِ

لا يسعني إلاَّ ان اذكر انهُ كان الصديق العاقل الوديع الطيب العطوف، في هذه الحياة التي كثر عندها اسم الصداقة وندر معناها الصميم

أذكر انهُ لن يأتِ بعد إلينا بالجسد فلم يبق لنا الاَّ محاولة المضيّ اليهِ بالادكار

اذكر اننا لن نرى بعد وجههُ الصالح الباسم ، ولن نرغد بعد بوجوده المحسوس ومظاهر عطفهِ فننقلب هؤلاءِ الناس الضعفاء الذين تخنقهم العبرات ... « مي »

عين ترى تحت ستار الظلام

الرؤية في الليل NOCTOVISION

اذا وقع خطٌّ من نور الشمس على موشور زجاجي ونفذ منهُ ظهر بعد نفوذه في سبعة ألوان مرصوفة الواحد فوق الآخر أسفلها الاحمر وفوقهُ البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي . أي ان نور الشمس يُحَلُّ الى سبعة أنواع من الاشعة المختلفة وهي التي ترى في قوس قزح من انحلال نور الشمس بنقط المطر. ويظهر لدى التحقيق أن نور الشمس لا ينحلُّ الى هذه الاشعة السبعة فقط بل الى غيرها مما لا يرى بالعين بعضها تحت الاشعة الحمراء وبعضها فوق الاشعة البنفسجية . فالاشعة التي تحت اللون الاحمر في الطيف الشمسي أشعة حرارة وهي لا ترى ولكن نشعر بها أعضاء الحسّ في الوجهِ والجلد عموماً وتعرف ايضاً بالاشعة المظلمة ومنها يتألف جانب كبير من القوة التي تجيئنا من الشمس. أما الاشعة البنفسجية ففوقها أشعة قصيرة الامواج جدًّا لا ترى تعرف بالاشعة التي فوق البنفسجي أو الاشعة الكيماوية ويعرف فعلها بما لها من الأثر في ألواح الفوتغراف مثلاً

فعين الانسان تتأثر بالاشعة التي تتراوح بين اللون الاحمر من الطيف الشمسي واللون البنفسجي فاذا انعكست هذه الاشعة مفردة أو مجموعة عن شبح من الاشباح تأثرت العين وأبصرت ذلك الشبح . على أن عين الانسان لا تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر أو فوق البنفسجي فاذا انعكس أحد هذه الاشعة عن شبح من الاشباح دون غيرها من اشعة الطيف الشمسي لم تستطع عين الانسان أن تتبين ذلك الشبح. على أن المستنبط الانكليزي جون بارد استنبط عيناً كهربائيــة تستطيع أن تتبين الاشياء في الظلام لانها تتأثر بالاشعة المظلمة أي الاشعة التي تحت الاحمر وهو من غرائب الاستنباط في هذا العصر . وقد دعي هذا الفعل نوكتوفيزيون Noctovision او الرؤية في الليل ولا بدّ ان يكون لهُ أثر كبير في الاعمال التجارية والحربية

من المعروف لدى قراء المقتطف أن المستر بارد هو المستنبط الانكليزي الشاب الذي ابتكر طريقة للرؤية عن بُعد يستطيع أن يرى بها الاجسام والاشخاص عن بُعدٍ كما هي ، فيراها ثابتة اذا كانت ثابتة ومتحركةً أن كانت متحركةً وهي طريقة تختلف اختلافاً بيّناً عن نقل الصور الفوتغرافية الذي أصبح أمراً مطروقاً في

صحافة أوربا وأميركا . وهي تنقل المرئيات باستعمال النور المنعكس عنها

اما في الآلة الجديدة فتجمع الاشعة التي تحت الاحمر وتوجه كما توجه أشعة النور من مصباح كشاف الى البقعة التي يراد رؤية ما يجري فيها في الظلام فتنعكس عن الاجسام التي فيها فتتأثر العين الكهربائية بالاشعة المنعكسة وتنقل صور المرئيات الى الجهاز المستقبل وهو كالجهاز المستقبل في آلة الرؤية عن بعد فترى على لوحته صور المرئيات كأنها ستار للصور المتحركة

ووفق المستر بايرد الى هذا الاستنباط البديع وهو عاكف على اتقان آلة الرؤية عن بُعد . ذلك ان آلة الرؤية عن بعد كانت تستدعي في بادىء الامر ان يكون الشخص الذي يُراد نقل حركاته وسكناته مغموراً بنور قوي لكي تتأثر الآلة المرسلة بالنور المنعكس عنهُ . رأى المستر بايرد بثاقب نظره ان نجاح هذا الاستنباط على وجه تجاري يستدعي ان يكون النور المنعكس عن الاشخاص أو الاشياء طبيعيًّا فوالى البحث والامتحان حتى فاز بذلك . ثم خطر لهُ ان اعتمادهُ في آلته ليس على عين بشرية لا تتأثر الاَّ بالاشعة التي بين الاحمر والبنفسجي بل هو يعتمد على عين كهربائية قد يكون في امكانها ان تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر أو بالاشعة التي فوق البنفسجي . فجرَّب تجاربهُ أولاً بالاشعة التي فوق البنفسجي ولكن ثبت لهُ عدم موافقتها لذلك لان لها فعلاً في الانسجة الحية يتلف خلاياها وهي فضلاً عن ذلك ضعيفة النفوذ لا تلبث أن يمتصها الهواء فيضعف فعلها . فحوَّل اهتمامهُ الى البحث في الاشعة التي تحت الاحمر ففاز بضالته المنشودة وزد على ذلك أن تجاربهُ فيها أثبتت لهُ انهُ يستطيع الاكتفاء بها دون نور الشمس المنظور . ولما جرب تجاربهُ هذه أمام نفر من الخبيرين من الاسلحة البرية والبحرية والجوية في انكلترا طُلب اليه من قبل الحكومة ان يحفظ سرَّ آلته في طيّ الكتمان

وقد جرَّب آلتهُ هذه أمام طائفة من أعضاء المعهد الملكي ببلاد الانكليز فكتب عنهُ السر الكسندر رسل في مجلة ناتشر مقالاً قال فيه « جرب المستر بايرد آلتهُ أمامي وأمام المستر كروكس فجلس أحدنا في الغرفة التي فيها الجهاز المرسل ومعهُ احد مساعدي المستر بايرد وكانت الغرفة مظلمة . وجلست أنا في الغرفة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة غير الطبقة التي فيها الغرفة الاولى فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وكل حركاته وسكناته . وكانت الصور التي رأيناها واضحة كل الوضوح فاستعمال هذه الاشعة (الحمراء) في آلة الرؤية عن بعد يمكننا من ان نرى ما يدور تحت ستار الظلام عن بُعد وهذا أمر لم يحقق قبلاً على ما أعلم »

فاذا الناس كلهم في ثيابي

نقلاً عن ديوان « الجداول »

سئمت نفسي الحياة مع الناسِ وملّت حتى من الاحبابِ
وتمشّت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشرابِ
ومن الكذب لابساً بردة الصدق، وهذا مسربلاً بالكذابِ
ومن القبح في نقاب جميل ومن الحسن تحت الف نقابِ
ومن العابدين كل الهٍ ومن الكافرين بالاربابِ
ومن الواقفين كالانصابِ ومن الساجدين للانصابِ
ومن الراكبين خيل المعالي ومن الراكبين خيل التصابي
والالى يصمتون صمت الافاعي والالى يهزجون هزج الذبابِ
صغرت حكمة الشيوخ لديها واستخفت بكل ما للشبابِ

***

قالت اخرج من المدينة للقفر ففيهِ النجاة من اوصابي
وليكُ الليلُ راهبي وشموعي الشهبُ ، والارض كلها محرابي
وكتابي الفضاء اقرأ فيهِ سوَراً ما قرأتها في كتابِ
وصلاتي الذي تقول السواقي وغنائي صوت الصبا في الغابِ
وكؤوسي الاوراق القت عليها — الشمس ذوب النضار عند الغيابِ
ورحيقي ما سال من مقلة الفجر على العشب كاللجين المذاب
ولتكحّل يد المساء جفوني ولتعانق احلامهُ اهدابي

وليقبّلْ فم الصباح جبيني وليعطّرْ اريجهُ جلبابي
ولأكن كالغراب رزقي في الحقل وفي السفح مجثمي واضطرابي
ساعة في الخلاء خيرٌ من الأعوام تقضى في القصر والاحقابِ

***

يا لنفسي فانها فتنتني بالحديث المنمّق الخلاّبِ
فاذا بي اقلى القصور وسكناها واهل القصور ذات القبابِ
فهجرت العمران تنفض كفي عن ردائي غباره واهابي
وتركتُ الحمى وسرت واياها وقد ذهّب الاصيل الروابي
نهتدي بالضحى فان عسعس الليل جعلنا الدليل ضوء الشهابِ
وقضينا في الغاب وقتاً جميلاً في جوار الغدران والاعشابِ
تارة في ملاءة من شعاعٍ تارةً في ملاءةٍ من ضبابِ
تارة كالنسيم نمرح في الوادي، وطوراً كالجدول المنسابِ
في سفوح الهضاب والظل فيها ومع النور وهو فوق الهضابِ
انما نفسي التي ملّت العمران ملّت في الغاب صمت الغابِ
فانا فيهِ مستقلٌّ طليقٌ وكأني ادبٌّ في سردابِ

***

علمتني الحياة في القفر اني اينما كنت ساكنٌ في الترابِ
وسأبقى ما دمت في قفص الصلصال عبد المنى اسير الرغابِ
خلت اني في القفر اصبحت وحدي فاذا الناس كلهم في ثيابي

نيويورك ايليا ابي ماضي

العلم للعامة

من مفاخر القرن العشرين

ينظر القرن العشرون الى تقدم العلوم معجباً بما اوتيهِ من الغرائب والعجائب في اخضاع قوى الاثير والهواء والارض والماء والكهربائية واستخدامها كلها لمنفعة الانسان وتخفيف مشقاتهِ واتعابهِ. على ان هنالك مظهراً من مظاهر تقدم العلم واتساع نطاقهِ قلما نرى لهُ ذكراً في مفاخر هذا القرن وهذا المظهر هو لعمري اعظم المظاهر شأناً وابعدها اثراً وهو اول البراهين على تقدم العلم واجلاها . الا وهو نزول العلم عن عرشهِ لرفع مقام العامة وافهامهم بعض غوامضهِ

فالعلم الذي كان في القرون السالفة مملكة محصورة ضمن حدود دقيقة لا يدخلها الاَّ افراد قلائل ويُحظَر على غيرهم الاقتراب منها هي الآن مشاع للكل لا تحصرها شريعة مونرو ولا تمنع المهاجرة اليها ولا خطر اصفر فيها لتكون ميدان جدلٍ بين الشرق والغرب ولا مسألة شرقية معقدة تكتنفها لتكون مشكلة من مشاكل السياسة. بل لها الآن شروط وقوانين حقٌّ لمن اتمها ان ينضم الى رجال العلم ويحمل لواء هذه المملكة وللحال تدك الحصون والحواجز بينهُ وبين من هم على شاكلتهِ من ابناء الامم الاخرى وبناتها

وما هذا بالمظهر الوحيد لما اريد بل نجد في هذا القرن علاقة حيوية بين العلم والعامة فالعالِمُ القديم الذي كان يرى العلم بأتمهِ في اوليات فلسفية عن تعريف الفضيلة والمعرفة وكان لا يجد لنفسهِ مقرًّا الاَّ في الصوامع وكانت افضل علامات علمهِ تنسكهُ وزهدهُ نراهُ اليوم يعمل بين العامة ومعهم ولهم .كان الناس قبلاً ينظرون اليهِ مشعوذاً ساحراً اما الآن فيرون فيهِ صيدليًّا قانونيًّا وكيماويًّا خبيراً يسعون اليهِ لتركيب الادوية او لاستشارتهِ في امور صناعتهم وزراعتهم . ومَن كانوا يرون فيهِ جنًّا وشيطاناً ينظرون اليهِ الآن معجبين باوتوموبيلهِ وفونوغرافهِ وتلفونهِ وتلغرافهِ ووو الى آخر ما هنالك من المكتشفات البخارية والكهربائية . والنتيجة مزدوجة الفائدة وهي تحرير العامة من خوفهم منهُ والانتفاع بمنتجات عقلهِ وتجاربهِ

ثم بفضل رجال العلم الافذاذ تفاهم العلم مع العامة تفاهماً جزئيًّا فانتسخت

من تصورات الناس معتقدات وخرافات كانت سبباً لضعف قواهم المعنوية. فتجد اليوم في كل بلدٍ نفراً من الناس لا يلجأون الى صفائح الحديد والطبول والدفوف خائفين مستعوذين عند خسوف القمر بل يعرفون الاسباب الطبيعية التي تسببهُ. ووجود هذا النفر توطئة لتحويل الباقين وتعليمهم

وقلما نجد اليوم مقاطعة خالية من افراد يعرفون القليل عن الكهربائية او اسماء النجوم او مبادىء الكيمياء او قواعد علم الصحة او اصول مساعدة الجرحى المساعدة الاولية او تطبيب مريض في العائلة قبل دعوة الطبيب او غير ذلك من اصول المعارف

ففخر القرن العشرين اتساع نطاق العلم بكثرة العلماء المحققين وكثرة تفرعهم وكثرة اختصاصهم وكثرة انتفاع الناس من مباحثهم حتى صار الناس يعدون كل بحث لا يعود على البشر بالفوائد المادية او الادبية والمعنوية عقيماً يجب طرحهُ جانباً. ومن مفاخر هذا القرن ايصال الحقائق العلمية بطريقة سهلة الى عقول العامة لتساعدهم في حل مشاكلهم وفك معضلاتهم. ولا بد ان تعم هذه الحقائق كل العالم لان المساعي مبذولة في كل قطر لتعريف كل فرد الى مبادئ العلوم لكي يتمكن من فهم آراء العلماء

ان مباحث العالِم الطبيعي في نظام النشوء والارتقاء علمت بعض الناس كيفية تحسين نوع خيولهم ومواشيهم ونسلها فعادت عليهم بارباح طائلة. وان تجارب الميكانيكي والضحايا العديدة في سبيلها قد اراحت الجمل والبغل والحصان من احمال الناس وقربت المسافات وذللت امواج البحار وقوات الهواء وها نحن نرى بعض العامة يسيّرون القطار والاوتوموبيل والطيارة والباخرة ويصنعون الفولغراف والآلات الكهربائية وكثيرون منهم يعرفون دقائقها ويفهمون خصائصها

ان خضوع دقائق المادة لارادة الكيماوي سهلت على العامة استخدام رؤوس اموالهم في التراكيب الكيماوية كالسماد الصناعي والبنزين ... الخ اجل ان لا حرية الاّ في المعرفة الحقيقية فمعرفة خصائص المكروبات حررت العامة من الجدري والحميات وغيرها من الامراض المعدية. واي حرية الزم من حرية المعرفة الحقيقية او انفع منها واثبت. وعلى هذه القاعدة نجد عامة القرن العشرين تتمتع بحرية كانت قبلة ابناء العصور الخالية

ان مساعي العلماء اليوم منصرفة الى ايصال الحقائق الاجتماعية الى عقول العامة وهاهم يدرسون اميال عامة الناس ليكتبوا لهم ما يفهمونهُ عن المعاملة والتعامل والمشاركة والتآلف والحقوق والواجبات الى آخر ما هنالك من الامور الاجتماعية المعروفة

فما يبذلهُ علماء السيكولوجيا من درس نفس الانسان ومعرفة مواطن ضعفهِ وقوتهِ واسباب ميلهِ الى الجرائم والمنكرات والمساعي التي يبذلونها لتحسين احوالهِ واتقان تربيتهِ في البيت ابناً وفي المدرسة تلميذاً وفي السجن مجرماً لعمري هو خير احسان الى البشر

والقوة التي ينفقها علماء التربية لدرس ذوي العاهات العقلية والبدنية ونفعهم باعداد ما يلائمهم من الدروس والصناعات هي افضل حسنة تخفف شقاء نفر من البشر وويلاتهم

نهى المشترعون عن الفحش والزنى ولكن العلماء نشروا بابسط العبارات كتباً يعلمون بها الرجل والمرأة كيف يجتمعان ويعيشان معاً فيربيان نسلاً قليلاً قوياً سليماً فينظر الرجل الى المرأة نظرهُ الى شريكة في واجب مقدس لا الى صنيعهِ في لذة وحشية . ان هذه الكتب هي اكفل وسيط لترقية النسل وتقليل شقاء الفقر وزوال الخصومة من العائلة

ان إيصال مثل هذه الحقائق الى العامة ليس بالامر السهل فلا يوصل العلم الصحيح الى العامة الا العالم المدقق والبحاثة النقاد وكلنا يعرف بالاختبار ان انفع الاساتذة واكثرهم فائدة لتلاميذهِ واقلهم تعقيداً في خطبهِ وشرح دروسهِ هو اغزرهم علماً واعرفهم في علمهِ

فالعامة التي تفتخر برقيها هذا وتفاخر بحريتها تذكر للعالم الذي اوصل لها هذه الحقائق سليمة سهلة العبارة شاكرة ممتنة وتخلد لهُ في صفحات تاريخها ذكراً حميداً دونهُ ذكر ملوكها الفاتحين وعظمائها السياسيين ولهُ في تجارتها ونسلها ابلغ اثر يُذكّرها بانهُ خير المحسنين اليها

***

هذا هو الرجل الذي ترثيه العامة في العالم العربي لانهُ حررها بالعلم والبرهان وبابسط عبارة واسهل بيان حرّرها من السحر والجهل والخرافات وكتب لها البسائط في علم الفلك والكيمياء والنشوء والارتقاء وحفظ الصحة والعناية بالاطفال والاختراعات والاكتشافات جامعاً بين اللذة والفائدة

هذا هو احد زعماء الحرية الفكرية بين الناطقين بالضاد. هذا هو الدكتور يعقوب صرّوف المحسن الكبير الى ابناء العربية بعلمهِ ودقتهِ نبكيهِ عالماً مصلحاً ونرثيهِ محسناً كبيراً

اذكر ذلك الشيخ الشاب جالساً الى مكتبهِ وقد قال لي قبل ان انصرف من حضرتهِ «اكتبُ لاعلّم العامة كيف يقرأون وماذا يقرأون وكيف ينتفعون بما يقرأون»

بيروت جورج عبود الاشقر

عبد الرحمن بن خلدون

بحث نقديٌّ في حياتهِ واسلوبهِ وآرائهِ

٢

مؤلفاتهُ وتحليلها

كان اول ما نشر من مؤلفات ابن خلدون مقدمتهُ التي طبعها في باريس المستشرق الافرنسي Quatremère سنة ١٨٥٨ في ثلاثة مجلدات .ولهُ في ذلك الفضل العميم اذ اليهِ يرجع الفضل في تمهيد السبيل لكل من تجرد بعدهُ للبحث في حياة المترجم ومؤلفاتهِ . وقد ترجم المقدمة الى الافرنسية البارون دي سلان De Slane سنة ١٨٦٢ واضاف اليها بحثاً ضافياً في حياة المؤلف ، مع شروحات مفيدة . وترجمها ايضاً الى التركية محمد پريزاده

وما يسمى اليوم بمقدمة ابن خلدون ، يتألف في الحقيقة من مقدمة تاريخهِ الكبير مضافة الى الكتاب الاول منهُ. وموضوع المقدمة بتحديد صاحبها «علم التاريخ وتحقق مذاهبهِ والالماع بمغالطة المؤرخين » واما الكتاب الاول وهو القسم الاكبر من المقدمة المعروفة فيبحثُ في العمران وما يعرض فيهِ من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما الى ذلك من العلل والاسباب ، وقد نال ابن خلدون ما نال من الشهرة والمكانة من اجل هذا القسم الصغير من مؤلفهِ في التاريخ.وما ذلك الا لان المقدمة تحتوي على ملخص آرائهِ الفلسفية وجميع ما استحدثهُ من الابحاث على اختلاف موضوعاتها . ولانها فوق ذلك تمثل حقيقة الذروة التي بلغتها العلوم الاسلامية في تطورها اثناء القرون السبعة السابقة . وها نحن ندرج للقارئ موضوعاتها حسبما اعاد ترتيبها وتفصيلها الدكتور طه حسين ، ونحن نميل الى الاعتقاد بان عمل الاستاذ هذا هو اجلّ وانفع ما قام بهِ في كتابهِ المشار اليهِ. فقد رتب ابحاث المقدمة في سبعة فصول عنوَّنها كما يأتي :

١ً الظواهر المستقلة عن الاجتماع

٢ً الظواهر الاجتماعية للحياة البدوية

٣ً الظواهر الاجتماعية لحياة الحضر — السياسية

٤ً الخلافة والامامة

٥ً الخواص العامة لحياة الحضر

٦ً وسائل الكسب

٧ً العلوم والصنائع

وتلا المقدمة في النشر تاريخهُ الكبير الموسوم «كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر» وقد تم طبعهُ في بولاق بمصر سنة ١٨٦٧ ، فجاء في سبعة مجلدات . وقد كنا ننتظر ان يطبق المؤلف اراءهُ الواردة في المقدمة على اسلوب البحث في تاريخهِ بيد انهُ لم يفعل من ذلك شيئاً بل سلك سبيل من تقدمهُ من المؤرخين العرب كالطبري والمسعودي وغيرهما، اللهم الاَّ في امرين فقط لم يأت هو على ذكرهما في مقدمته حين نقد المؤرخين . فالامر الاول انهُ كان اول من عدل من المؤرخين عن اتباع الطريقة الخبرية بالترتيب السنوي فقسم تاريخهُ الى عدة اجزاء اختصَّ بكل منها امة او اسرة . والثاني ان تاريخهُ يمتاز عما سبقهُ من كتب التاريخ بما تضمنهُ من المقدمات الاجتماعية والفلسفية في صدور اكثر الفصول حين ينتقل في البحث من دولة الى اخرى . ويمكننا حصر ابحاثهِ في تاريخهِ تحت ثلاثة عناوين : —

اولاً اثر الحضارة في الانسان

ثانياً تاريخ العرب من اقدم الازمنة الى ايام المؤلف

ثالثاً تاريخ الامم البربرية منذ احتكاكها بالعرب

ويلحق بآخر تاريخهُ الكبير سيرتهُ التي كتبها بنفسهِ وسماها ، رحلة ابن خلدون، وهي عند التحقيق تاريخ لعلائقهِ السياسية ، وترجمة لكل من اتصل بهم من العلماء والامراء . وقد لخَّص البارون دي سلان De Slane موضوعاتها في اربعة عناوين رئيسية هي: —(١) تاريخ اسرتهِ (٢) اساتذته ودراسته (٣) علائقهُ السياسية بكل ما تتضمن من احوال تلك الايام (٤) مجموعة من شعرهِ ، ومراسلاتهِ مع ابن الخطيب وغيرهِ من الادباء

وقام اعلام المستشرقين بنشر غير ذلك من كتابات ابن خلدون وترجمة ما يهمهم منها . فطبع البارون De Slane القسم المختص بالمغرب في الجزئين السادس والسابع من التاريخ الكبير في الجزائر سنة ١٨٤٧ ، ثم نشر ترجمتهما بعد ذلك بقليل الى الافرنسية ،

وصدرها بمقدمة طويلة ومعجم مفيد لاسماء الامكنة الواردة في الكتاب وترجم المسيو Demombynes الافرنسي كل ما اختص بتاريخ بني الاحمر في الاندلس ، فنشره في المجلة الاسيوية [١] وفاز Fornberg الاسوجي بنشر كل ما ورد في تاريخ ابن خلدون عن حملات الافرنج في بلاد المسلمين . وقد بلغنا ايضاً ان الاستاذ Casanova الذي توفي في العام السابق ، درس وجهة اخرى من تأليف هذا المفكر لم تتأكد بعد ماهيتها

هذا وللمترجم مؤلفات اخرى لم يبق لنا منها سوى اسمائها ، قد ذكرها صديقهُ ابن الخطيب في كتابهِ « الاحاطة » ونقلها عنهُ المقري [٢] وكلها كما نرى خارجة عن موضوع التاريخ وهي .(١) شرح البردة .(٢) كتاب في الحساب. (٣) شرح رجز في اصول الفقه . (٤) عدة اختصارات لبعض كتب ابن رشد

ابن خلدون مؤرخاً

رأيت في تحليل تاريخهِ الكبير ان ابن خلدون كمؤرخ لا يكاد يمتاز بشيء عن سواهُ من المؤرخين بيد انهُ علينا ان نفرق بين تدوين التاريخ ونقدهِ النظري . ومع ان المترجم لم يأت بشيء جديد في تاريخهِ من حيث التدوين والرواية ، فهو اول من بحث في التاريخ فاستخرج منهُ علماً نقديًّا نظريًّا. ويرى الدكتور طه حسين انهُ قلّد بذلك علماء الفقه ، وسلك سبيلاً الى التمحيص عرفهُ المسلمون حينذاك واستعملوهُ . فقد رأى الفقهاء يستخدمون علم الاصول لدرس تطورات الفقه وتتائجهِ ، ورأى المتكلمين يستعملون المنطق للتثبت من صحة جدلهم الديني ، ورأى فوق ذلك رواة السنة والحديث يستعينون بطريقة الجرح والتعديل التي ابتدعوها للتحقق من صدق المحدثين واماناتهم . فعزم ابن خلدون ان يبتكر للتاريخ علماً يماثل تلك العلوم يتخذهُ وسيلة في تمحيص الروايات والتأكد من امانة اصحابها . وكان العصر عصر الموسوعات والمجاميع كما يبنا حين نظرنا الى العصر الذي نشأ فيهِ المترجم ، فوجد فيها المادة الكافية لتوسيع فكرتهِ الجوهرية ودعم تعميماتها . ولكن لا يجب ان تنسينا هذه الفرص والتسهيلات ما لابن خلدون من الفضل في ابتداع علمهِ المستحدث، إذ البراعة كل البراعة في استثمار ما عرف من المعلومات والاستفادة من الاحوال التي احاطت بهِ

(١) راجع Journal Asiatique السلسلة ٩ والمجلد ١٣
(٢) في نفح الطيب ....) طبعة مصر ج ٤ ص ٩١ ٤

والتاريخ على حدّ قولهِ (لا يزيد في ظاهرهِ عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول . . . . وفي باطنهِ نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق ، وجدير بان يعد في علومها وخليق [٣] ». فالتاريخ على ما ترى في نظرهِ علم فلسفي موضوعهُ الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من المرافق والمؤسسات . وقد درسهُ فوضع لنقدهِ ثلاثة مقاييس . اولها : التشيّع في الكتابة وثانيها : سهولة تصديق الرواة واما الثالث : فالجهل بطبائع الاحوال في العمران ، وهو في نظرهِ اهمها واعمها شيوعاً وليست مقدمتهُ وكل ما اشتهر بهِ من الآراء الاجتماعية المبتكرة سوى شرح وايضاح وضعهُ لهذا العلم الذي استحدثهُ واطلق عليهِ اسم (العمران) . ويستخرج من علمهِ هذا ثلاثة قوانين رئيسية هي المرجع لجميع آرائهِ التاريخية : —

١ً قانون العلّية ، او ربط الاسباب بمسبباتها وهذا الجهد بيّن في كل اجزاء المقدمة

٢ً قانون التشابه ، او كما يقول « قياس الماضي بالحاضر والغائب بالشاهد »

٣ً قانون التباين ، حيث يقول « ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدّل الاعصار ومرور الايام »

وقد اختلف العلماء العصريون في ماهية هذا العلم الجديد وحقيقتهِ فقال Nesendouk انهُ تاريخ الحضارة ، وسماهُ الدكتور طه حسين بالفلسفة الاجتماعية ، وقال Gemplowicz لا بل هو علم الاجتماع عينهُ . وارتأى غير هؤلاء آراء اخرى في موضوع المقدمة . غير اننا لا نرى مسوغاً لقبول مثل هذه التحليلات ، ونعتقد ان مقدمة ابن خلدون لا تزيد عن كونها اول مؤلف في النقد التاريخي ولئن وجدت فيها مباحث في العلوم المختلفة كالاقتصاد ، والسياسة ، والدين ، والفلسفة ، والتربية ، وما الى ذلك ، فلا نأخذها الاّ انها مباحث ثانوية التجأ اليها المؤلف لشرح غايتهِ وهدفهُ الوحيد من مقدمتهِ هو اعداد علم مستقلّ ينقد بهِ التاريخ . واذا زدنا على ذلك ان هذا ما يقولهُ هو بشأن مقدمتهِ ، وتذكرنا ان المقدمة هذه لا تزيد عن كونها ، كلمة افتتاحية ، ازاء باقي مؤلفهِ وهو تاريخهُ الكبير ، عرفنا بل تأكدنا ان موضوع المقدمة هو النقد التاريخي ليس الاّ

ولا ننكر ان المؤرخ المغربي باتخاذهِ التاريخ موضوعاً للتأمل وقاعدة لاستخراج

(٣) المقدمة طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٤

القوانين العامة قد اساءفهم التاريخ بعض الشيء. لان كل ما يُعنى بهِ المؤرخ الحديث هو جمع الحقائق الماضية وعرضها بطريقة مضبوطة منظمة ، دون ان يستخرج منها العبر والدروس. الاَّ اننا لا نكاد نرى لابن خلدون مناصاً من هذه الاميال الفلسفية حين تحفّز لنقد التاريخ . ولا يسعنا الاّ ان نخالف رأي الدكتور طه حسين في هذا الشأن حيث يشبّهُ المقدمة بكتاب Montesquieu فيقول « ليس في وسعنا مثلاً ان نقول ان « روح القوانين » كتاب علمي او تاريخي ، بل هو مؤلف فلسفي . فاذا نحن راعينا فروق العصر والحضارة والذهن الفينا تقارباً عظيماً بين ذلك المؤلف ومقدمة ابن خلدون » لانهُ باصداره هذا الحكم قد تغاضى عن الغاية التي كتب من اجلها المؤلف كما بيّنا. واذا تذكرنا الغرض الاساسي الذي من اجلهِ الّف ابن خلدون مقدمتهُ ، ولو انهُ استطرد في كثير من المواقف، حقّ لنا ان نعتبرها الحجر الاساسي الذي قام عليهِ النقد التاريخي Historical Criticism . وان اردنا ولا بدّ ان نقابلها باحدى المؤلفات فلا اقرب اليها بالاسلوب والموضوع من مؤلف Vico الايطالي (٤) الذي عاش بعد المؤرخ المغربي بثلاثة قرون وكان اول من طرق هذا الموضوع من الافرنج

واما الطريقة التي سلكها مؤرخنا في بحثهِ فهي علمية محضة ، حديثة من عدة وجوه . إذ بحث في التاريخ بحثاً استقرائيًّا ، وشاد قوانينهُ العلمية وتعميماتهِ الفلسفية على الحقائق التي عرفها وتعب في جمعها. بيد اننا ننقد منهجهُ في امر جوهري واحد، وهو عدم اكتراثهِ لفحص المصادر التي استقى منها الحوادث ، والتي جعلها اساساً لاستخراج علمهِ الفلسفي. ومثلهُ في ذلك على حدّ قول الانكليز مثل من وضع العربة امام الحصان ، إذ اتكل في كتابة ما وضعهُ لنقد التاريخ ، على حقائق لم يهتم بتمحيصها قبل ان يتخذها قاعدة لاستنتاجاتهِ. وكان الاجدر بهِ ان يبدأ اولاً بكتابة تاريخهِ على الطريقة العلمية الصحيحة ، ثم ينتقل بعد ذلك الى ابحاث المقدمة التي تبنى عليها . فيكون حينئذٍ قد تأكد من رسوخ قاعدتهِ التي يشيد عليها . ولهُ خطأ آخر هو محاولتهُ وضع قوانين عامة التطبيق ، مع انهُ بنى تتائجهُ على ما عرف من تاريخ الامم الاسلامية فقط وهو لا يكاد يعرف سواها من تاريخ الشعوب الاخرى . ولكن لابن خلدون الفخر بان Müller العالم الالماني قد رأى بعد الدرس العميق ان اراءهُ

(٤) واسم كتابه "Principe de la Philosophie de l'histoire" طبعة باريس سنة ١٨٢٧

المستنبطة ، تنطبق بكليتها على تاريخ الاندلس والمغرب وصقلية فيما بين القرن الحادي عشر والخامس عشر ، ولا غرابة في ذلك ، لان هذا جلّ ما عرفهُ ابن خلدون قبل ان شاد فلسفتهُ

والتطور في نظر ابن خلدون طبيعي في الجماعات ، ترتبط الحلقة منهُ بما يتسلسل بعدها . فالحاجة تدعو الى الغزو ويقتضي ذلك ضرورة تأسيس الزعامة ، فلا تلبث القبيلة البدوية ان تتحضر في المدن . فاذا ما كثر فيها الانتاج حصل البذخ واستسلم السكان الى الدعة والخمول . فتغزوهم على الاثر قبيلة اخرى ذات عصبية وشوكة فتقضي عليهم وتؤسس على انقاض حضارتهم تمدناً جديداً ، وهكذا دواليك. والقارئ المتبصر يرى ان في مثل هذه النظرية اشارة بل تلميحاً الى النظرية التاريخية الحديثة القائلة بارتباط الحوادث وتسلسل الواقعات (The Continuity of History)

واذا كانت بعض آراء ابن خلدون في كيان الجماعات المركب ، وتطور انظمتها يجعلهُ في اسمى مراتب المؤرخين الفلاسفة ، فان ما يعزوهُ من شأنٍ كبير للعمل والملاكة والاجرة يخولهُ مكانة رفيعة بين اقتصاديي هذا العصر . أليس استنباطهُ على تقدم الزمن ، ان لمرافق الحياة ولشروط المعاش ومقوماته فعلاً كبيراً في نشأة الطباع واكتساب الملكات الجديدة ، دالاً على بعد نظرهِ ونفاذ بصيرتهِ ؟ فلقد بحث في الجزءِ الثاني من القسم الخامس من مقدمتهِ في الملاكة وتقسيم الاموال ، والرزق ووجوه تحصيلهِ . وبحث في موضع آخر في موضوع السلطان السياسي وطبقات الاجتماع ، منوّهاً في اثناءِ ذلك كلهِ بعلاقة هذه العوامل بالتاريخ وبتأثيرها في تسيير مجراهُ . فهل نبالغ بعد ذلك كلهِ ، إن قلنا ان ابن خلدون هو الامام لمن يحاول اليوم شرح التاريخ وكتابتهُ من الوجهة الاقتصادية (The Economic Interpetation of History)

وللقارئ دليل آخر على عظمة الرجل واتساع عقلهِ . فقد اعتبر الحياة الاجتماعية بكل ما تتضمن من المرافق والمؤسسات موضوعاً لبحثهِ ، واراد ان يشرح تاريخ الانسانية باوسع معاني الكلمة ففاز بالغاية اوكاد حين تكلم عن (الظواهر المستقلة عن الاجتماع) لعدم ارتباطها باختلافات الزمان والمكان . وفشل بعض الشيء في القسم الاكبر من مؤلفهِ حيث تناول (الظواهر الاجتماعية للبدو والحضر) وذلك لاقتصار معلوماتهِ كما قدمنا على الشعوب الاسلامية ، ولتنوّع هذه الظواهر واصطباغها بمكيفات الاقليم والبيئة والدين . ونحن لا نقول خشية التطرف الاّ ان جهود المؤرخ المغربي

هذه، وقد تذكرنا بميول بعض مفكري العصر الحاضر ومؤرخيه امثال H. G. Wells (٥) و J. H. Robinson (٦) الذين تطمح نفوسهم لجعل التاريخ مسرحاً للعالم، تقوم الانسانية بتمثيل ادوارها عليه

ابن خلدون فيلسوفاً

لقد كنا نستطيع ان نلحق هذا الفصل بما سبقهُ، او ان ندرج قسما كبيراً مما اسلفنا من آرائهِ المختلفة تحت هذا العنوان، لشدة ما بين هذه الموضوعات من علاقة في مباحث ابن خلدون العلمية . الاَّ اننا رأينا، طلباً للتبويب وطمعاً في الوضوح، ان نخصص للبحث في آرائهِ الفلسفية الصرفة، فصلاً بمفردهِ

اشتهر المترجم بامياله الفلسفية، مع انهُ اتخذ لنفسهِ التاريخ حرفة، ولعل في ذلك ما يساعدنا على فهم مقدمتهِ وما استطرد اليهِ فيها من شتى الابحاث . لم يرضَ ابن خلدون عن الفلسفة المدرسية كما عرفها اهل زمانهِ، لان عقليتهُ العلمية كما حللناها لم تتفق وقواعدها الموضوعة . والعالم في نظر مؤرخنا اوسع من ان تحيط بهِ نظريات الفلسفة واوضاع المنطق، ويرى أن ليس للعالم الحقيقي الاَّ أن يسبر الحوادث بفكرهِ الصائب ويتدبر اختباراتهِ اليومية كيما يصل الى الحقيقة الناصعة في العلم والفلسفة

فابن خلدون سلك في الفلسفة سبيلاً تختلف عن طريقة ارسطو واتباعهِ، فهو لم يحلّق للبحث في السبب الاول والروح وما الى ذلك من الابحاث التجريدية، بل قال ان الفلسفة علم للموجودات يجب تحقيق قواعدها بالامور التي تشاهد وتحَسُّ. وعلى ذلك كان التاريخ في نظرهِ علماً فلسفيًّا، لان طبيعة الانسان ثابتة على كرور الايام، ويمكنك ان تقابل العصور فتتثبّت من حوادثها باختباراتك اليوم . والمترجَم اقرب ما يكون في آرائهِ الفلسفية هذه، الى مدرسة الفلاسفة الوضعيين Positivists واليهِ يعود الفخر في تقرير تلك القواعد الاجتماعية التي نحسبها اليوم بسيطة مبتذلة وما هي حقًّا الاَّ القاعدة الاساسية التي شاد عليها هؤلاء ابحاثهم

وتمتاز فلسفتهُ عن فلسفة القرون الوسطى ايضاً، بتباعدها عن الدين . فان ابن خلدون مع كونهِ من المؤمنين بما فوق الطبيعة كبقية مفكري الساميين، حاول

(٥) راجع مقدمة كتابه The Outline of History طبعة نيويورك سنة ٢٥ ص ٦

(٦) اطلب الفقرة الثامنة من الفصل الثاني في كتابه The New History

ان يخضع هذه الاعتقادات لسلطان النظام (Scheme) ان لم نقل لسلطان العقل [٧]
وليس للدين في فلسفتهِ وطريقة تفكيرهِ من كبير أثر ، فهو قد قبل بهِ اما عن عقيدة راسخة او لاسباب سياسية لا نزال نجهلها . ولذا لا تراه يلتجيء الى استعمال ما وراء الطبيعة والكلام الاَّ في المواقف التي لا تخضع للطريقة التجريبية العملية ، والمشاكل التي تخرج عن دائرة الاختبار

ونأخذ عليهِ امراً واحداً في فلسفتهِ ، هو ميلهُ من حيث التفكير الى المدرسة النفعية Utilitariansim . وانت تصادف هذا الميل في مؤلفهِ بين الآونة والاخرى ، حتى تهيأ لك ماثلة في فصلهِ عن العلم والتعليم . فتراهُ لا يقيم للعلم وزناً الاَّ بمقدار نفعهِ وفائدتهِ ، اذا يقسم العلوم الى نوعين اولهما مفيد بذاتهِ ، والآخر واسطة لهذه العلوم النافعة . والنوع الاول في اعتقادهِ اهم بكثير من الثاني ، ولا قيمة البتّة لسوى هذين النوعين من العلوم . غير اننا متى وزنا الرجل بميزان العصر الذي عاش فيهِ ، وراعينا المقاييس العقلية والاخلاقية لتلك العصور ، وجدناهُ متميزاً عن اترابهِ من بني زمنهِ ، مسابقاً لعصرهِ في كثير من مآتيهِ

الخاتمة

والخلاصة ان ما من عالم يبحث في كتابات ابن خلدون مهما كان ميلهُ واختصاصهُ الاَّ ويستنتج منها المعلومات الطريفة عن نفسية هذه الشخصية الكبيرة وحقيقة اميالها . وقد سبق لنا فقلنا ان الدرس العلمي الصحيح في حياة المترجم ومؤلفاتهِ ما زال بعد برعماً لم يزهر . وليس هذا المقال سوى نظرة اجمالية الى الموضوع كما نعرفهُ اليوم ، تجاسرنا فيهِ على الادلاء ببعض الآراء الشخصية ولا ندري هل يثبتها البحث العلمي المستمر ، او يقوض اركانها . بيد انهُ اذا كان البارون دي ساسي الافرنسي (De Sacy) قد لام جمهرة المستشرقين لتركهم مثل هذا الموضوع الخطير ، وانصرافهم الى الابحاث التافهة من المشرقيات [٨] فاحرى بنا نحن ان نلوم انفسنا لاهمال مثل هذه المباحث الهامة في التاريخ العربي

بيروت — شكري مهتدي ب . ع

(٧) اطلب كتاب "The Religious Attitude and Life in Islam" Macdonald ص ٤٥ — ٤٩ (٨) راجع مقالة عن ابن خلدون في معجم Biographie Universelle المجلد (٢١) ص ١٥٣

القلق واضطراب البال

واثرها في الصحة والعمل

كان الدكتور لايمن بيتشر يقول : « لا يموت المرء من الجدّ في العمل ولكنهُ يموت من الهمّ والقلق ، كما انّ الآلة لا تؤذيها الحركة ولكن يبليها الاحتكاك ويلحق بها ضرراً عظيماً ». ومما لا ريب فيه ان النائبات والشدائد الجسيمة لا تقوى على تعكير صفاء الحياة ، بقدر الاكدار والمخاوف والوساوس الطفيفة التي تلمّ بالمرء من يوم الى يوم فتنغّص عيشهُ وتهدم دعائم توازنهِ العقلي

وقد كتب الدكتور الشهير جورج جاكوبي وهو من جهابذة المتضلّعين من علم الاعصاب عن فعل القلق فقال : انّ ضحايا الهمّ في القرن الاخير أربت على آلاف القتلى في ساحات الوغى . وانّ ادهش ما توصّل اليهِ علم الاعصاب في الآونة الاخيرة اثباتهُ ان القلق قتّال مودٍ بالحياة . ومباحث الاطباء لم تقف عند هذا الحدّ فحسب، بل انها اخترقت الحجب التي كانت تكتنف هذا العارض واماطت اللثام عن غوامضهِ ودقائقهِ ، فاظهرت ان كثيراً من الوفيات المنسوبة الى اسباب شتى ناشئة في الحقيقة عن القلق واضطراب الافكار

فالقلق يفعل فعلهُ الذريع في خلايا الدماغ الحيوية مشبهاً نقط الماء المتساقطة على بقعة واحدة لا تتعدّاها ، فانها مع صغرها وضعفها اذا وقعت على الصخر الاصم لا تلبث ان تشققهُ وتفريهُ ، فلا عجب اذا كان التفكير المؤلم المستمرّ المنحصر في موضوع واحد متلفاً لخلايا الدماغ مقوّضاً لبنيانهِ الليّن الهشّ

وفعلُ القلق ميكانيكيًّا هو كذلك أشبه بفعل مطرقة صغيرة لا تزال دائماً ابداً تهوي على الدماغ ضرباً حتى تتمزق اغشيتهُ ويختلّ نظامهُ . فتتيّم العاشق وهمّ المضطرب وحزن الحزين، ما لم يبذل هؤلاء الجهد العظيم في مكافحتها ، تصبح كالمطرقة المشار اليها فلا تعتّم ان تدكّ اركان الدماغ وتذهب بالرشد وتفضي الى اختلاط العقل واختلالهِ

وقد اظهر البحث ان القلق والغمّ والفكر الراسخ الملازم تنتاب المصاب بها حتى لا يجد لنفسهِ منها الى الخلاص سبيلا . ثم انّها لا بدّ بتتابع وقوعها ومعاودتها من ان

تهدم جزءًا ولو يسيراً من خليات الدماغ ، اذ ليس شيءٌ أشقّ عليهِ من مقاومة الافكار المزعجة التي لا تنفكّ تخالجهُ وتساورهُ . ولما كانت اجزاء الدماغ متصلة بعضها ببعض بواسطة الالياف اتصالاً محكماً ، كان من المتحتّم ان يتطرّق الفساد من الجزء المصاب الى سائر جوانب الدماغ واثنائهِ

والقلق بحدّ ذاتهِ شبيه بالوسواس ، وليس من حالة عقلية اخرى اوخم عاقبة وافدح ضرراً بالانسان من حيث نموّ نفسهِ وسعادتهِ ونشاطهِ من القلق وشريكهِ الانكسار . وطباب هذه العلّة هو توطيد العزيمة على طرح الفكر المقلق جانباً وتناسيه وترويح البال وتسليتهِ . وعلى المرء متى شعر بتعب فكريّ ان يبادر الى ابدال عملهِ بعمل آخر يطلق بهِ نفسهُ من عقال الضجر والسآمة ، لان التسلي هو اعدى اعداء القلق وانجع دواء يُعالج بهِ

ولا مراءَ أنّا اذا استسلمنا للهموم والاكدار قذفنا بانفسنا قرناً كاملاً الى الوراء ، وتراجعنا الى عصر الآلة البخارية في اول عهدها ، حينما لم يكن مستعملها ينتفع منها بسوى عُشر ما ينفقهُ عليها من الوقود ، فكانت القوة المستفادة توازي عشرة في المائة والقوة الذاهبة سدًى تسعين في المائة

وكثيرون هم الأُولى يشبهون تلك الآلات المنبوذة إذ يهدرون قسماً وافراً من نشاطهم بالاضطراب والانزعاج والتذمر والتشكي ، بينا نرى اناساً آخرين يستثمرون جلّ قواهم ان لم يكن كلها في ما يعود عليهم بالخير العميم والنفع الجزيل . فطوبى لمن تعلّم ان يحيا الحياة الهنيئة المثلى ، فاستفاد من كل ما أُوتيهِ من نشاط وقوة ، ولم يبدّد شيئاً من مواهبهِ في ما لا يجديهِ نفعاً .

قال شيخ وقد ادركتهُ الوفاة لاولادهِ : اعلموا يا بنيَّ أنهُ قد خامرتني في اثناء حياتي مخاوف جمّة لم يتحقق الا النزر اليسير منها . وحدّث تاجر وجيه عن ابيهِ قال : كان ابي مدة عشرين سنة يوجس خيفة من حدوث شرٍّ لم يقع ابداً

فكثيراً ما نتوقع حوادث الحياة ونبتسرها ابتساراً بدلاً من إرجائها لاوانها واجتزائنا بشؤون اليوم الذي نحن فيهِ . فهامُّ اليوم قلما يتأتى عنها عظيم ضنى ، ولكن ليست كذلك المبالاة بامور المستقبل التي تضنك العقل وتوهن الجسد . فانما هي مشاغل الغد والاسبوع القادم والعام المقبل التي تشيّب الرؤوس وتجعّد الوجوه وتحني الاجسام وتنهك القوى

وجدير بالانسان العاقل ان يقيم حوالي حاضره سوراً منيعاً حائلا بينهُ وبين ماضيهِ وآتيهِ ، فيعيش في حظيرتهِ خليًّا مطمئن النفس ناعم البال . وقد كان ثاكري الكاتب الانكليزي يقول : «ان كل امرىء يخلق لنفسهِ البيئة التي يشتهيها ، لان الدنيا شبيهة بمرآة تعكس لهُ شكلهُ وصورتهُ،فاذا اقبل عليها مقطّباً قطّبت واذا بشّ لها وابتسم بشت وابتسمت»

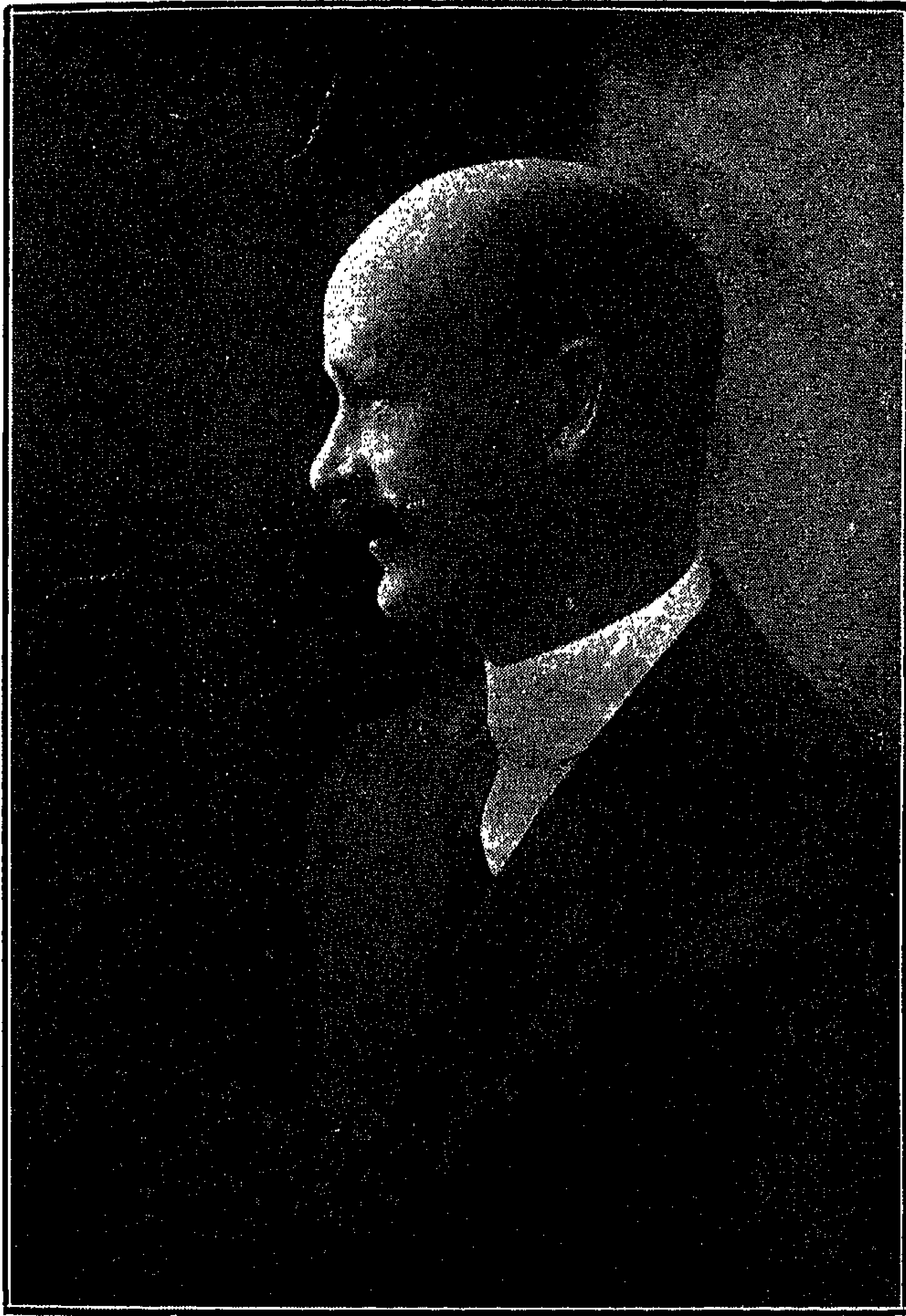
ويحكى ان دوايت مودي الواعظ الاميركي تقدم يوماً الى تلامذتهِ بان يتباروا في استنباط المعاني ، فمن جاء منهم باحسن فكر اجازهُ بخمسمائة ريال . فكان المجلي في هذا المضمار من قال : يتذمر الناس من ان الباريء جلّ وعلا انبت مع الورد شوكاً ، افما كان احرى بهم ان يحمدوهُ اذ انبت مع الشوك ورداً .

ولا شك في انّ مما يساعد الفتى على الفوز في معترك الحياة قبوله للعالم بما فيهِ من الاشواك والاسواء . فقد قال فونتنيل : ان الاسراف في الامل والرجاء هو حجر عثرة في سبيل السعادة والهناءة.وقال السر جون لبوك : لو ان الموكول اليهم امر تربية الناشئة علموهم المسرة بعنايتهم بقدر اهتمامهم بعسرتهم لآل ذلك الى ترقي العالم وسعادته. وكان اوليفر وندل هولمز وقد بلغهُ الكبر لا ينفك ابداً يذكر جميل مربيتهِ التي علمتهُ صغيراً الاغضاء على مساوئ الحياة . فكانت اذا جُرحت اصبعهُ تصرف نظرهُ عن ألمهِ بدمية تهديها اليهِ او حكاية تقصّها عليهِ . وكان يعزو اليها اغتباطه الدائم المستمرّ ، الاغتباط الذي يسهل اكتسابهُ على الغلام ويعسر على البالغ اشدّه واما في الشيخوخة فهيهات لا ينالهُ احد ابداً

وقال احد المشاهير : لما كنت ارضّ اصبعي في ايام طفولتي،كان القائمون بامري يعزّونني ويطمئنون بالي بتوجيه نظري الى ابن الجيران الذي بترت ذراعه باجمعها . وحينما كان القذى يتسرّب الى عيني ، كانوا يذكرونني بابن عمي الذي فقد عينه ولا رجاء لهُ باستردادها ، فكنت ارى نفسي إزاء هذا وذلك سعيداً محظوظاً

فينبغي إذن ان يعوّد الاطفال الانبساط والارتياح الى كل ما يعرض لهم في الحياة، ناظرين الى الاشياء من وجهها المشرق المنير لا المظلم القاتم ، حتى اذا شبّوا على هذه الخلّة شابوا عليها ورافقتهم من المهد الى اللحد

ملخّصة عن «ماردن» ابراهيم دادا



المرحوم الدكتور غراهام
الذي اثبت ان بعوض «كيولكس» ينقل جراثيم حمى الدنج «ابو الركب»
مقتطف نوفمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٢٨١

مذكرات طبيب عن حمى الدنج

(ابو الركب)

كيف اثبت الدكتور غراهام نوع البعوض الذي ينقل مكروبها

[انتشرت حمى الدنج (ابو الركب) في لبنان في هذا الصيف وقيل انها آخذة في الانتشار في مصر فرأينا ان ننشر لقراء المقتطف هذه المقالة وهي مقتطفة من رسالة مسهبة للمرحوم الدكتور غراهام استاذ الباثولوجيا سابقاً في جامعة بيروت الاميركية وهو اول من اثبت طريقة انتقال عدواها]

١

لم يعرف شيء اكيد عن باثولوجيَّة هذا المرض وعن طرق انتشاره رغماً عما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنهُ منذ انتشاره في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندريَّة سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرَّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظنُّ سابقاً انهُ مرض ناشيء عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفشيهِ سنة ١٨٩٩ عمَّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيهِ بانهُ مرض معْدٍ . وقد ذكر الاستاذ الدكتور لختنسترن (في باثولوجية نوتناجل) قولاً جمع فيهِ ملخص ما كتب عن هذا الداء وهو «انهُ ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا ينتشر الاَّ حيث توجد المستنقعات او المتصعدات الميازمية » ومما يثبت انهُ مرض معْدٍ سرعة انتشارهِ من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقالهِ من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجمل ذكرهُ ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادَّى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انهُ ليس من الامراض المعدية بل انهُ مرض ميازمي ينشأُ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة . والادلة كثيرة على عدم انتشارهِ في غير الاماكن الواطئة التي تطيب لهُ الاقامة فيها . فقد ظهر من تفشيهِ في كوبا وجاميكا والهند الشرقية وربنيون وما رتينيك ومدغسكر انهُ لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيراً ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت

عليهم وطأة الحمّى ولا يصاب بهِ احدٌ من اهلهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة بهِ في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًّا غامضاً الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهَّد السبيل الى درسهِ درساً دقيقاً ومعرفة الاحوال التي تصيّرهُ معدياً في بعض الاحيان وغير مُعدٍ في الاخرى. فان لبيروت مزايا طبيعيَّة ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنهُ عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل تتاخمهُ قمم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠و٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنهُ

وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السير ولكنهُ اخذ يشتدُّ بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منهُ واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواهُ . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انخفاضها يظهر نفاط جلدي يختلف في كثرتهِ وقلتهِ . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المائة من السكان حسب اختباري — يصابون بهِ ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويشكون في اثناء ذلك ضعفاً عموميًّا . وقد عرفت قليلين اصيبوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقات مختلفة وكان يعقب كلَّ دفعة نفاط جلديٌّ وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أرَ فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون او غيرهُ من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى ان البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعدمها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شمالهِ بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يغشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجودهُ او يقلُّ في سفح لبنان فلا يسلم منهُ الا قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها اثرٌ لنوع البعوض المسمى انوفوليس (كتبت هذه المقالة سنة ١٩٠٢) مع اني دققت في التفتيش عنهُ انا

وغيري ولكن النوعين المسميين كولكس فاتجنس Culex fatigans وستغوميا فاسياتا Stegomyia fasciata يغشيانها بكثرة ووجدت نوع كولكس فاتجنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع ستغوميا فاسياتا ولكنهُ اقلّ من الاول

٢

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لاتحقق هل البعوض المسمى كولكس فاتجنس ينقل العدوى من شخص الى آخر . واول تجربة جربتها كانت في امٍّ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها أُعدم البعوض كلهُ من غرفتها بواسطة غاز الكلور وكانت تنقل كلّ يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت الحمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنهُ لم يصب بمكروه البتة

والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذتُ جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبيًّا عمرهُ احدى عشرة سنة ولهُ ثلاثة اخوة دونهُ سنًّا وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعتني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يوماً

والتجربة الثالثة جرت لرجل لهُ ثلاثة اولاد قد اصيب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحمي زوجتهُ واولادهُ منهُ فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقتين . وكانت الحمى معهُ شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر نفاط على الجلد وتساقطت منهُ قشور . وطرد البعوض من الغرف مدة ١٧ يوماً فلم يصب احد غيرهُ من افراد عائلتهِ بالمرض

وقد اعدتُ هذه التجارب في حوادثِ اخرى ولكني عدت فعدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فاني كنت ارى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على العزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المقدمة كانت سلبية وعليهِ جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتلقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوي هو

ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بد ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًّا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم اكن اختار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاءهُ التام باحتمالها مقابل دراهم ينقَدها . ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصلحهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض وكنت آخذ كلَّ مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية (كلّـة) المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تلقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب احدهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيتهِ بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع فمضى عليهِ اسبوع ولم يصب بسوء فجئت ببعوضات اخرى مكان البعوضات الاولى فاعدنَ الكرة عليهِ وعدنَ خائبات . وقد اخبرني هذا الشاب انهُ اصيب بالمرض مدة تفشيهِ سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نفاط على الجلد وسقوط قشور منهُ . ولعلَّ ذلك كان السبب في عدم قبولهِ للعدوى هذه المرة

وقد اصبت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأتهُ عليَّ ولكني لم اصب بهِ هذه المرة مع اني تعرضت لهُ على الدوام ولم أعنَ بوقاية نفسي منهُ . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم حتى لا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كلهِ لم اثق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظراً الى كثرة انتشار المرض وشدتهِ في مدينة مثل بيروت. فلتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت بهِ الى قرية على سفح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغتسلت وغيَّرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهواؤها جافٌّ موافق للصحة جدًّا . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كل منهما منزلاً بعيداً عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فاصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقيا ينامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقها وكنت قد اعدمت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما

بالمرض . فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كلهِ مع انني لم آل جهداً في البحث والتحقيق

وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر ومعظم منازلها يغشاهُ البعوض (كولكس فاتجنس).وهناك قرية اخرى اسمها بحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقلما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها ببعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقلُّ جفافاً من هواء بحمدون وبعوضها كثير .اما عاريَّا والشويفات وغيرهما من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

فيلوح لي من التجارب المتقدمة وغيرها ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المنسمى كولكس وهو ما كنَّا نعدُّهُ عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شكٍّ ولا ارتياب

والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء بمنع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدلُّ ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمَّ العدوى

٣

ولما تقرَّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدللت طبعاً ان سبب المرض او سمَّهُ انما هو في الدم وعليهِ فحصت دم اكثر من مائة شخص اصيبوا بحمَّى الدنج املاً بان اجدهُ فيهِ فاخترت لتجاربي الاشخاص الذين كانت درجة الحمَّى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيرهُ قانونيًّا ولم أبال بالاصابات الخفيفة التي دامت يوماً او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المائة . استعملت في تحضير الانموذجات وفحصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحتوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديداً اما الانموذجات فكنت استحضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق المتيلين او بهِ مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأتِ بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث . واخيراً رأيت في كريات الدم الحمراء جسماً ذا حركة يشبه

مكروب الملاريا المسمَّى بلازمود يوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياتهِ لانهُ بطيء النموّ جدًّا حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتنحلّ في الانموذجات التي استحضرها للفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما اتمكن من معرفة شيء يذكر عن ادوار حياتهِ . وكانت الحمى تستمرّ في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراهُ في ادوارهِ المختلفة استحضرت عدة انموذجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادوّن تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصهِ . وبعد تمرين قليل على العمل صرت أرى هذا المكروب في كلّ اصابة . وقد صوَّرت ما كنت اراهُ بالميكرسكوب في فحص الانموذجات ورتبت الاشكال ترتيباً طبيعيًّا على قدر ما امكن

وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت ارى الكريات البيضاء متضخمة مما ابتلعتهُ من المكروب الميت . وقد دققت كثيراً في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيتهُ في الاصابة الاولى. ولما كانت هذه المكروبات اقل عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نموًّا وغير ملونة كانت ايضاً اقل ظهوراً واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعوَّد رؤية مكروب الملاريا لا يخطىء اكتشاف هذه مرة واحدة

فيستنتج اذاً من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهتهِ لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبب الحميات وانتقالهِ من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمى الدنج

٤

هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها . وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الاَّ اصيب بها. ولما زالت واخذ الهواء يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين شرَّها. ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل ديسمبر . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أصيبوا بها — وهم يبلغون ٥٧ الى ٥٨ في المائة — ان السبب في زوالها ليس برودة الهواء بل كون القابلين عدواها قد أصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عالجت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤوا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن للدنج اثر فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يقم احدهم في بيروت سوى ايام قليلة

قبل اصابتهِ . فيستدلُّ من هذا ان حمَّى الدنج قد تمكث مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهراً

ومما يجب ذكرهُ اني لم اختر لتجاربي في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر « ابو الركب » فكلُّ اصابة بالحمَّى يعسر استقصاؤُها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواءٌ كان ابو الركب منتشراً اولا فتطمئن بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائرنا لا تطمئنُّ بهِ . فاذا كانت الاصابة في الشتاءِ ولا اثر لحمَّى الدنج قلنا انهُ « ابو الركب الشتوي » وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائهِ على الاطمئنان وسكون البال من جهتهِ . على ان قسماً عظيماً من امثال هذه الحوادث لاعلاقة لهُ بالدنج البتة فيجب ان يسمى اسماً آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراءِ. فان بعض المشهورين من الاطباءِ يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشهوري الاطباءِ ايضاً فيقولون انهُ مرض ينشأ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوهُ حيث لاوجود للبعوض او حيث وجودهُ قليل

٥

[المقتطف] لم تتقدم المباحث الطبية تقدماً يذكر في معرفة سبب هذه الحمى منذ كتب المرحوم الدكتور غراهام مقالتهُ هذه سنة ١٩٠٢ مع ان بعض الباحثين قاموا بمباحث دقيقة لاثبات الطرق التي تنتقل بها عدواها . فقد اثبت الطبيبان اشبرن وكريج في الفيلبين وغيرها في انحاء اخرى ان ما قال بهِ الدكتور غراهام عن انتقال عدواها بواسطة بعوض كولكس فاتجنس صحيح . غير انهُ لم يثبت لاحدهم وجود الاجسام المرضية في الكريات الحمراء التي ذكرها في آخر مقالتهِ وحسبها من قبيل الاجسام التي تسبب الملاريا . وقد توسعنا في كلمة مكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الا بالمكرسكوب سواءٌ كان من انواع الباشلس او البرتوزوي او غيرها

النهضة الشرقية الحديثة

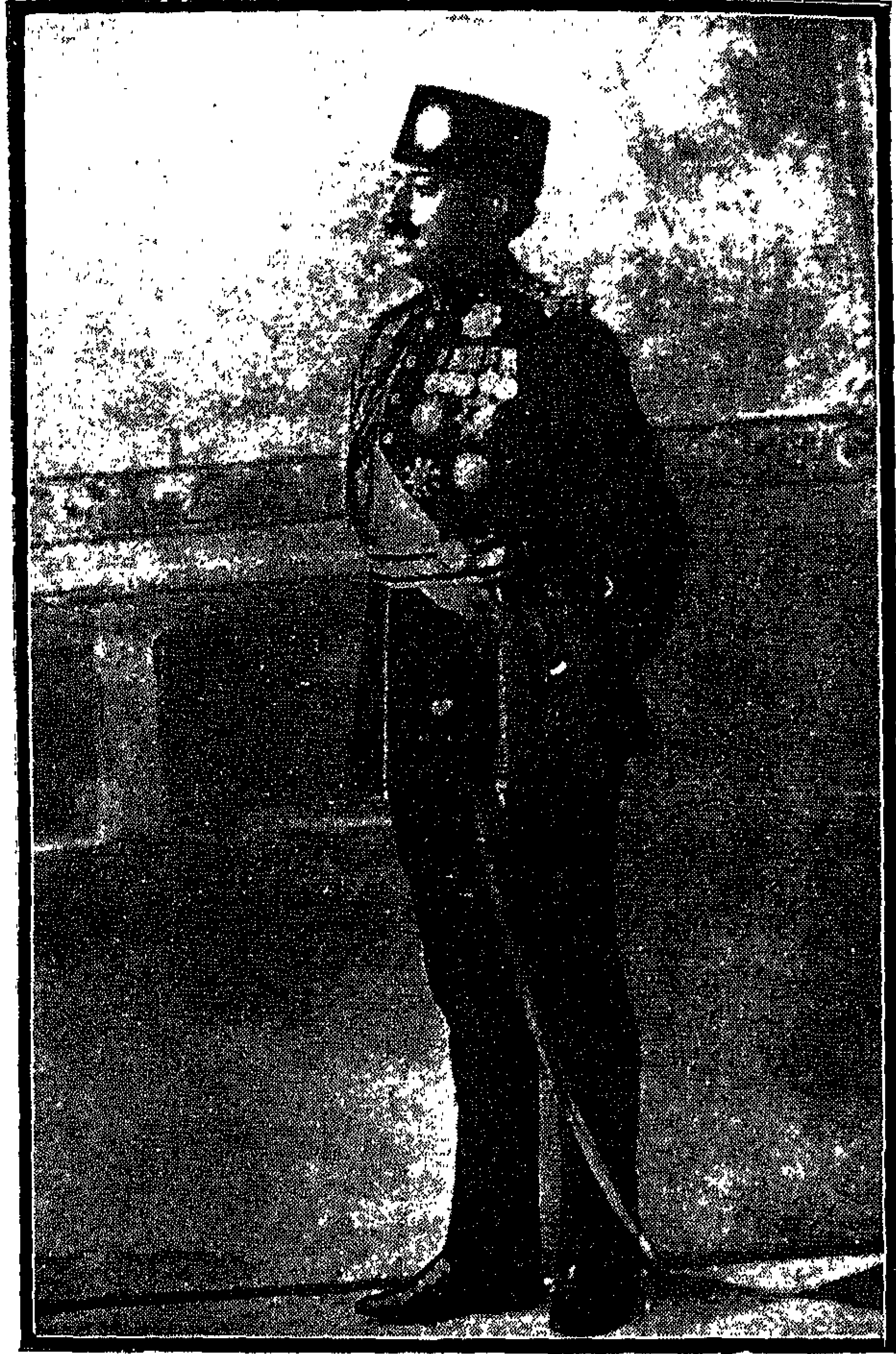
في بلاد الافغان

ماشيت آراء نخبة الافاضل في الاستفتاء المقدم من مجلتكم تحت عنوان « النهضة الشرقية الحديثة واظهر مظاهرها » وقد قدرت للكتاب آراءهم ومباحثهم التي تنم على خبرة وطول باع . كما قدرت لمجلتكم فتحها مثل هذا الباب الشيق . ولكن ردود الافاضل ، حصرت كلها في الشرق العربي ونهضته دون غيره . حتى خلت الاستفتاء خاصاً بها ، ويتناولها وحدها دون بقية البلدان الشرقية . الى أن قرأت في العدد الاخير من مجلتكم . رد حضرة الاستاذ لطفي جمعة وقد اتى على نبذ من النهضة الحديثة في مختلف البقاع الشرقية ملماً الى أظهر مظاهرها في الهند وايران والبلاد العربية . ولم يشر اشارةً ما الى البلاد الافغانية مهبط الرقي الحقيقي وبلاد الاستقلال التام . مما دلني على ان مصر وكبار رجالاتها قليلاً مايعرفون عن هذه الامة العريقة . فجئت على دون سابقةٍ استميحكم ابداء رأيي في هذا الباب فأقول

عندي ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية هي تلك النهضة الصامتة التي تسير سيراً سريعاً ومنتظماً ومطرداً في بلاد الافغان حتى لا تضاهيها نهضة أُخرى من النهضات الشرقية التي تهيأت لها اسباب كثيرة ولكنها اجنبية المحتد والمولد وناهيك ياسيدي ما بالاجانب من عنجهية وصلف يشوّه وجه مدنيتهم الراقية ويترك في نفس الشرقي غضاضة وغصة

ولنضرب مثلاً بتركيا فان مجاورتها لاوربا ووقوعها في مركز تطاحنت فيه وعليه مطامع الاجانب جرها قسراً الى مياه هذا البحر الخضم وقد نالت كثيراً من الرقي ولكنهُ لا يعدُّ وفيراً اذا قوبل بصراع قرن كامل واذا قيس بما بذلتهُ في ذلك السبيل من الاموال وارواح الرجال . وقد كان لتركيا ان تستفيق وتتدبر امرها قبل نصف قرن من هذا التاريخ على الاقل

وكذلك مصر فانها طوت مرحلة طويلة من الرقي لا تنكر . على اننا اذا قسنا ما تكبدتهُ من التجارب القاسية وجدنا ان نهضتها لا تتجاوز العشرين في المائة مع ان الذكاء المصري اجل من ان يمدح ويطرى . كيف لا وها مصر وتربتها الفضّة وحصباؤها



جلالة ملك الافغان

سيقوم برحلة الى اوربا في دسمبر . وهو روح النهضة الحديثة في بلاد الافغان

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٨٨

الذهب . وقد توافرت لديها النعم ورتعت في بحبوحة من الرخاء لم تحلم بها الى اليوم اكثر البلاد الغربيةفضلاً عن الشرقية ، هي هي من حيث الاستقلال الصناعي مع انهُ امرمتيسرلا متعسر ولا متعذر . فاين معامل مصر واين صناعتها واين شركاتها واين تجارتها ؟ احرى بالمصري ان يدفع اوربا بسلاحها الحقيقي وهو غير الدبابات والمدافع الصاهرات اعني السلاح الاقتصادي . فهل تعاقدت الايدي في مصر على هذا الدفاع الشريف وهل فكّر مصرى ينعم بنعم ارضه ان يضنَّ بها على الاجنبي ويحفظها على الاقل لنفسهِ ؟ لا واللهِ[1] ! مع ان ما ينفقهُ المصري على فرشهِ الاوربي الوثير واثاثهِ الموشى بالدمقس والحرير وما يبذلهُ في كل عام في مصايف اوربا ومشاتيها لوضنَّ بهِ ولو الى اعوام قلائل لتوافرت لمصر اموال تكفيها ان تهيئ لضروراتها معامل قد لا يمضي القليل حتى تفيض مصنوعاتها على الهند والسودان وسورية . وعندي ان اوربا جميعها قد لا تطيق مثل هذه الحرب الاقتصادية الشعواء فلا يمضي القليل الاَّ ونراها تنزل من عالي سمائها لتصافح الشرقي وتعاقدهُ على معاملة الند للند والنظير للنظير واذا ابت الا التغطرس والغرور فلمصر من جنود العمال في اوربا جيش كثيف يقيها شر ارباب الاموال ويفتك باطماعها ، والعاقل من اتخذ ابناء عدوه لنصرتهِ وهل لنا خير من عمال اوربا ينصفوننا منها

نعم ان لمصر مطبوعات هي في الدرجة الاولى وقد جاهدت في تنوير الافكار وتثقيف العقول زهاء ثلثي القرن ولكن النتيجة الباهرة لتلك الثقافة لا تتجاوز العشرين في المائة في نظري . كيف لا ونحن في القرن العشرين ولا نزال نسمع بالحرب القلمية الشعواء بين القبعة والطربوش والعمة وبين الحجاب والسفور . اذاً فنحن في ظلمة ونتغنى بالنور فهل لمثل هذه المسائل من شأن مادي ومدني وأدبي وديني حتى تتفرغ لها ونعيرها الشطر الاكبر من أوقاتنا

وهذه سورية شقيقة مصر قد اتخذت من المدنية قشورها ومن الغرب سفاسفهُ ولم تتمكن مطبوعاتها على وفرتها من تنظيم فكرة صحيحة لها وتوحيد مشعّب آرائها فكل رجل بها حزب وكل جريدة حكومة مستقلة . فبين ترى واحدهم يتغنى بالجمهورية اذا بثانيهم يتحادث في سبيل وثالثهم يترنم بالعروش وأبهاتها فلو تحريت قطب الدائرة بين تلك الافكار المتضادة لرأيت الوظيفة دون غيرها

(١) يظهر ان حضرة الكاتب غير مطلع على اعمال بنك مصر (المقتطف)

(ثم استطرد الى ذكر ما يعتور سبيل النهضة الصحيحة في جزيرة العرب وايران وبخارى وخيوة وتركستان والهند)

***

ومع كل هذه النقائص لا أقدر الاّ أن أقول أن في الشرق نهضة مباركة وحركة تململ وانتفاض مقدسة ولكنها تسير الهوينا اذا قسناها بما نراه في بلاد الافغان مع أن الفرق بين بلاد الافغان وسائر سكان الشرقين الادنى والاوسط بعيد بعداً بيناً

اذا بسطنا الخارطة الافغانية أمامنا رأينا أن الطبيعة لم تهب هذه البلاد موقعاً جغرافياً ممتازاً ولا طرقاً تجارية منظمة. بل جل ما في البلاد جبال تناطح السحاب ولكنها تحضن أحد عشر مليوناً ومائتي الف من السكان. وجل ما عرف عنهم في الغابر أنهم شعب شرقي مسلم محارب متعصب متغال في تعصبه. كانت تفترسهُ الثورات الداخلية التي كان يزكيها طلاب العروش وقد قدر له أن يجاوره الاسد البريطاني من جنوبهِ والدب الابيض من شمالهِ. ناهيك بهاتين الجارتين من الطمع ولكن التعصب المذموم في غير موضعهِ كان خير أداة لايقاف الاجنبي عند حده وصده عن تلك الجبال ورده زهاء قرن كامل. فما كان من كلتا الجارتين الا أن عقدتا الايدي على خنق تلك الامة في جبالها واستئصال شأفة الحياة من جنوبها فحرمتاها، خلافاً لتركيا ومصر وايران، حتى من شم النسيم نسيم الحياة الراقية ومن معرفة ما في الشقة الثانية من الارض من رقي وتمدن. حتى انهُ يوم احتدمت الحرب الاوربية تلتهم الاخضر واليابس لم يكن في بلاد الافغان من يعرف عن اوربا شيئاً الا أفراد يعدون على الاصابع جلهم من البيت المالك

انتهت الحرب العمومية وانتهت معها حياة الملك السابق حبيب الله خان الذي لم يعرف أن يستفيد من الفرص ليمحو عن نفسهِ وبلاده تلك الوصمة الاسمية وصمة الحماية الخارجية. قُتل في مضربهِ بين أهلهِ وصحبهِ في واد كان يصطاد فيهِ. وهنا أبت المشيئة الربانية الا أن تنهض هذه البلاد من كبوتها وتصلح من شأنها وشأن الشرق الاوسط. فمنع تاج الافغان عن نصر الله خان كبير العائلة وكان قد بايعهُ أكثر الناس وثُلّ عرشهُ في اليوم السابع من اعتلائهِ لهُ وكذلك مُنع التاج عن عنايت الله خان وكان الناس يحسبونهُ وليّاً لعهد أبيهِ وقُدّر أن يلبسهُ جلالة أمان الله خان ثالث أنجال الملك المقتول. وهنا تبدا نهضتنا الجديدة

قبل عشرة سنوات من هذا التاريخ أي يوم البيعة المشهود أخذ جلالة أمان الله خان التاج من يد شيخ الاسلام وكان يحاول وضعهُ على رأسهِ فرفعهُ عالياً بيده وقال مخاطباً جموع أبناء أمتهِ

« اخواني وأبناء أمتي تقدمون لي تاجاً هو عندي من تيجان المذلة والعار لان فوقهُ تاج يدعون أنهُ تاج الحماية وأنا لا اعترف بها فان بايعتموني على تاج تكفلون أنتم حمايتهُ بدمائكم ودمائي فانا خادم أمتي ووطني الامين والا فها كموا تاجكم وعرشكم بايعوا به من شئتم »

في ذلك اليوم اعلن الاستقلال التام الناجز لجميع البلاد الافغانية قبل أن تبدأ المفاوضات وقبل أن تحج الوزارات الى لوندرة وقبل أن يلجأ أحد الفريقين الى امتشاق الحسام

أما الاستقلال الناجز الخالي من جميع شوائب الامتيازات فقد فتق العقول وأهبها لقبول الاصلاحات الجديدة على يد مليكها ومرشدها واليك بعضها

١ — افتتح البرلمان الافغاني المسمى دار الشورى رسميًّا في السنة الثانية مشتملا على ٣١١ عضواً وكانت دورتهُ الاولى ولا شك مؤلمة لعدم تعود الاعضاء مواقف الدفاع عن الامة . ولكن جلالة الملك كان يحضر جلساتهِ بنفسهِ ويدربهم كأحسن معلم على الحكم الذاتي واستقلال الفكر وذلك باناة وصبر وكان يفند كثيراً من سخيف الاقوال بالدلائل الصحيحة . وهذا منتهى ما قام بهِ ملك من تلقاء نفسهِ حتى تدربت الامة على الاصول الانتخابية والحكم الذاتي وكانت لا تعرف شيئاً من ذلك

٢ — المعارف : وهذه لم يكن لها في الافغان من أثر الا مدرسة واحدة كان يتخرج منها الطلاب من الاكابر على معلمين من الهنود . وسواد الامة جاهل الجهل المطبق . ولا أقول ما عاناه جلالة الملك بنفسه ونفيسه في افهام الامة ضرورة التعلم . وخصوصاً يوم كان المجلس يقترع على قانون التعليم الاجباري . فكم وقف في أفراد أمتهِ خطيباً يبين لهم بلسانهم القومي ضرورة التبرع باولادهم للتعلم مؤكداً لهم أن الحكومة ستقوم بجميع مهام التعليم ونفقاتهِ وكان يناقشهم خصوصاً في ضرورة تعليم الفتيات مع أن ذلك كان أمراً معيباً عندهم لا عيب يفوقهُ ، حتى نزلوا على ارادته لا عن اقتناع بل امتثالاً للامر

ولكن اليوم ومعارفنا في عامها العاشر، أتعلم عدد ما انفتح في البلاد من المكاتب الابتدائية؟ ١٢٠٠ مدرسة اولا تعجب اذا قلت لك ان الحكومة تقوم بنفقاتها حتى كتب الدراسة والورق والاقلام والحبر . هذا عدا المدارس العالية وهي سبع في كابل . وسبع في الولايات وقد أتمت دورتها التاسعة في هذا الحول ومعلموها خليط من الافاغنة والالمان والفرنسيين والترك والمصريين وليس لاجنبي أدنى امتياز أو تفضيل على الوطني وهو يسير وفق قوانين البلاد الداخلية وقد حج الى هذه المدارس مئات من طلاب بخارى وخيوة حتى ومن الهند نفسها

٣ — المالية : وهذه كانت اسماً بلا مسمى . وللقارىء وحده أن يقدر الصعوبة في خلق ميزانية جديدة لبلاد لم تألفها ولم تسمع بها ولكن الناس الفوا في السنة الثالثة تطبيق الميزانيــة حتى ليصهروا الوزارة الآن بمرّ الانتقاد على غرش يخصّص عبثاً . وقد ظن كثيرون أن امتناع انكلترا بعد الاستقلال عن دفع الاتاوة الحربية يحدث فراغاً في الخزانة ولكن خاب فألهم لأن تلك الاتاوة التي كانت تستعيض عنها انكلترا بضرب الضرائب الفادحة على الصادر والوارد من المتاجر الافغانية عادت الى جيوب الافغان أضعافاً مضاعفة حتى أن دخل الحكومة الذي كان لا يزيد على ثلاثة ملايين جنيه في السنة بلغ في السنة التاسعة ثمانية ملايين جنيه خصص منها للمعارف ما يزيد على المليون ونصف المليون

٤ — تنظيم الخارجية : والخارجية التي لم يكن لها في العهد السابق الا ادارة صغيرة يشرف عليها مدير يحفظ الاوراق الرسمية اصبحت الآن وزارة كبيرة تشغل عمارة عظيمة وتتألف من ست عشرة شعبة واحدى عشرة ادارة . وأول ما فاهت به ارسالها البعوث الى أوربا والشرق البعيد والقريب . ولنا اليوم تسع سفارات في الخارج واحدى وعشرون قنصلية تقوم بمهامها . ومع أن الافاغنة لم يتمرنوا على الاعمال الخارجية كما يجب لم تجز عليهم أساليبها الخداعة وقد خصصت ميزانيــة هذا العام مبلغاً لافتتاح سفارة للافغان في مصر . ولعل المخابرات بين البلدين تنتهي عاجلاً

٥ — الصناعة : ان رقي الافغان الصامت هو حقيقة الرقي بعينها فمعامل الحديد ومعامل الاسلحة والطيارات والمنسوجات القطنية والصوفية ومعامل أسلاك الكهربائية والتلفون ومعامل الكبريت، كلها على اتمها مع أنها وليدة ثماني سنوات لكنها كفت

الافغان مؤونة ابتياع هذه الاشياء من الخارج . وحفظت للبلاد ملايين جنيهاتها التي كانت تتسرب الى جيوب الاجانب. وأما المعادن وقد كانت كثروة البخيل مخبوءة في طيات الارض أخذت تستخرجها الحكومة من تلقاء نفسها تحت اشراف نخبة من مهندسي الاميركان والالمان . وقد باعت في السنة الماضية ثلاثمائة طن من اللازورد في أسواق اميركا . والبحث عن البترول أصبح ذا شأن عظيم وأما الفحم الحجري فقد وجد له عروق قد لا تنضب في سنين كثيرة . وكذلك النحاس والياقوت سيكون أعظم ما تملكه البلاد من الثروة الطبيعية . وأما الصادرات فمن أعظمها اليوم فرو الاسترخان المعروف (بالقره قولي) في الافغان وهذا لا يقل المصدَّر منهُ عن مليون جلد تتباين قيمة الجلد بين الجنيهين والثلاثة جنيهات وهي تباع رأساً في أسواق نيويورك ولوندرة. وللافغان في أوربا بعوث من الطلاب تربي على ثلاثمائة طالب ليس بينهم الا خمسة طلاب يدرسون الطب وثلاثة المحاماة والباقون يدرسون الصنائع علميًّا وعمليًّا خلافاً لبقية بعوث الشرق الذين لا تجد في الف منهم الا نزراً يسيراً يقبل على الصناعة

وأما سياستنا فخاصة قاطعة لا تعرف معنى الارهاب ولا تتدثر بأثواب الرياء بل تعلن الامة الافغانية بين كل فترة وأخرى على لسان مليكها انها شرقية ويهمها مصير كل أمة شرقية حتى انها اشترطت في معاهدتها مع روسيا الاستقلال التام لبخارى وخيوة وقد نزل الروس صاغرين على هذا الشرط لما يئسوا من المراوغة التي لم تجدهم نفعاً . ولكنهم اغتنموا الجهل البخاريّ وحملوا الاهالي على أن يوقعوا صكاً يعترفون بهِ بارتياحهم لشكل حكومتهم الوطنية

واما اخلاق الامة الافغانية فقد غلب عليها بعد الانقلاب الاخير الرصانة والسكون وتلمس ابواب الرقي بصمت وثبات. وقد لبسوا جلهم القبعات الاوروبية ولم يقل احد منهم ان هذا يخالف الدين .واباحوا السفور لمن شاء والتحجب لمن شاء فتركهُ البعض وتمسك بهِ آخرون

انما هذا التطور ياسيدي لم يكن من الهنات الهينات بل عرفنا دونهُ الاهوال وقد خضنا بعض انقلابات وثورات دموية لدرء الفئة الرجعية . ولكن اذا امتدح النبوغ الافغاني فليمتدح مليكهُ المجدد الذي احيا تلك الامة الميتة .ولم يقنع من الملك بابهته فترك الرسميات وقام يشغل فوق منصبهِ المقدسة منصب رئيس الوزارة المسئول . وقد

شهدتهُ اول البارحة يلقي خطبة من خطبهِ المشهورة في سكان كابل يبسط لهم الكلام عن سفرة قام بها في الجنوب لتفقد الجراح المستحدثة . ووالله لا اقول الاّ الصدق قام ذلك الملك العظيم بلباسهِ العادي يخطب ساعتين وخمس دقائق بصوت جهوري لا يعتوره ملل ولا كلل يلقي خطبتهُ وظاهرها بيان تلك الرحلة وباطنها درس علمي كان يلقيهِ على افراد امتهِ يعرّف كلاً حقوقهُ الذاتية وواجباتهِ الوطنية ازاء الحدود المغصوبة سالفاً في الافغان وخطورتها . وما من يوم الاّ ولهُ مثل هذا الموقف. واذا حللت نفسهُ العظيمة فقد لا تجد فيها شيئاً من الانانية والعنجهية حتى ليتوج عباراتهِ دائماً بكلمة (اتقدم لكم وانا واولادي فداء رقيكم)

فهذه يا سيدي عندي اظهر مظاهر النهضة الحديثة وبمثلها تحيا الامم . ومن يشك في ما سردتهُ فليتفضل ويقبل ضيافتي ليشهد كل ذلك بعيني رأسهِ

ا — الكندي

التباين الخلقي

تأثير العوامل الباطنية الموروثة

اجملنا الكلام في بحثنا الاول(١) عن العوامل الطارئة على النفس التي من شأنها التأثير في الاخلاق تأثيراً محسوساً يوجهها الى وجهات شتى متباينة متناقضة منها ما هو حميد محبوب ومنها ما هو ذميم مستهجن كعوامل البيئة والعادة والتربية والتعليم وانماء الارادة والميل وغيرها. ونرى الآن من المفيد تتمة لمقالنا التكلم عن الطبيعة الباطنية الموروثة الخاصة بكل نفس والتي تدفع بصاحبها الى ميول ذاتية قد تختلف عن ميول الغير حتى وان كان شقيقاً ، وتظهرهُ باخلاق خاصة وارادة خاصة وافكار واعمال وخطط خاصة بهِ دون شقيقهِ فنقول :

كانت الفلسفة في العهد السابق وعلى الاخص في القرون الوسطى ترجع التباين الخلقي لدى الافراد الى الامزجة واختلافها في كل فرد فكانوا ينسبون الى اصحاب المزاج اللمفاوي مثلاً ميولاً وطبائع واخلاقاً يعينونها وينسبون خلافها الى اصحاب

(١) انظر صفحة ٥٢٧ من مقتطف مايو ١٩٢٧

المزاج الدموي فالعصبي فالصفراوي ووقفوا فيها جامدين اجيالاً متعددة غير انهم كانوا في بحثهم هذا نظريين مرتكزين على آراء ومبادئ فلسفية بحتة غير مدعمة بدلائل علمية فسيولوجية منطبقة على سنن الحياة البشرية على ما جاءت عليهِ وعلى ما هو مشاهد فيها . ولكن في عهدنا الاخير اتجهت افكار العلماء المختصّين المشتغلين بالوقوف على كنه وظائف اعضاء الانسان واسرار دقائق طبيعتهِ وتراكيب حياتهِ وسننها الى البحث في الموضوع بحثاً وافياً ومعالجتهِ من وجوههِ كلها . فما عثروا على شيء علمي يعزز تلك المبادئ الفلسفية القديمة التي كانت ترجع التباين الخلقي الى اختلاف الامزجة لدى الافراد

وفي الواقع كيف كان يتاح لهم تعزيزها من طريق علمي والذهاب معهم الى ان اختلاف الميول والطبائع واختلاف المشارب والاخلاق يرجع الى اختلاف الوان اصحابها وكثرة الكرات الدموية في اوعيتهم او قلتها فيهم واصفرار وجوههم او احمرارها او قوة عقلهم وجهازهم الهضمي او ضعفها الامر الذي قد يكون لهُ تأثير ظاهر في ميلهم الى الكآبة او الفرح بحسب ما قد يشعرون بهِ من ألم المرض او نعيم الصحة ، ولكنهُ على كل حال بعيد كل البعد عن قدرتهِ على املاء خطط الحياة وتكوين النيات وبث روح الهمة والبسالة والاقدام والثبات واحتقار الصعاب والمهالك والمخاوف والموت في سبيل الحرية او الوطن او الشرف او المصلحة العامة ونكران الذات ، او على العكس من الاولى في ايجاد روح ضعيفة مجردة عن الارادة تجنح الى الانانية الذاتية او الى البخل والشح وتفضيل البقاء وطول العمر دون الاستهداف لاي خطر من اي نوع يكون والاستكانة الى العيش الهين الرغد مهما كان فيهِ من الضيم والمهانة والالتجاء الى مناقص الرياء والنفاق والكذب واساليب الخداع والغش والدس والنميمة لجر فائدة صغيرة ذاتية او ارتكاب الجرائم والسفالات لنيلها وما اشبه ذلك من الاخلاق والميول المنحطة . نعم نقول انها بعيدة كل البعد عن تكوين هذه الميول في النفس وعن تكوين النشاط وحب العمل واحتقار التقاعس والكسل او التحبب من البطالة . انها بعيدة كذلك عن تكوين طبيعة الميل الى الخجل من كل شيء او الجرأة فيهِ وعن ايجاد الميول الى تفضيل الحياة الجدية على نقيضها او تفضيل المرح وانفاق

الحياة في الهزؤ والضحك او في تكوين طبيعة الميل الى الامانة والاستئمان والتصديق او الى نقائضها من الخيانة والاستخوان والحذر والارتياب وعدم التصديق بسهولة وهكذا

فهذه التنوعات المشاهدة من الميول والاخلاق لا يمكن ارجاعها باي حال من الاحوال الى مختلف الامزجة لفقدان العلاقة والرابطة بين ما تكون عليهِ الامزجة وبين طبائع المظاهر الذكائية التي توجه الاخلاق الى ما تتوجهُ اليهِ بحسب ما توارثهُ الابناء عن الامهات من تلك القوى الكامنة في نفوسهم والتي ترقيها وتنميها مؤثرات تطرأ عليها امثال التربية والتعليم والعشرة ومؤثرات اخرى بيّناها في بحثنا الاول بصرف النظر عما تكون عليهِ اصحابها من امزجة او بنيات

وانا مع تسليمنا الكلي بفضل مؤثرات البيئة والتربية والتعليم في الخلق وفي انمائها وتوجيهها الى مواطن الخير والفضيلة فانا كذلك نعتقد اعتقاداً لاريب فيهِ بان في النفس قوة كامنة بمجموعها العصبي تتوارثها عن امهاتها منذ ما تكون مصنفة ترسم لصاحبها الخطة او الخطط التي يتبعها لحياتهِ ومستقبلهِ ويرى فيها صبوتهُ وسعادتهُ حتى هذه التي تظهر من عين الآخرين قبيحة او سافلة او شريرة او بعيدة عن محجة الحكمة او الاعتدال او الذوق السليم او الناموس او الشرف ولكنها من حسن الحظ قابلة التحوّل والتأثر بكل شيء جذاب وجميل وكامل في ذاتهِ . ذلك لان مشيئة الله التي ابدعت الحياة على الارض نظمت الحياة البشرية على ان تخضع لسنة التوارث حتى في الصفات والاخلاق وفرضت فيها لسلوك كل فرد حيّ من افكاره ونيّاتهِ وخططهِ واعمالهِ الخضوع لشيئين متوارثين ممتازين احدهما عن الآخر في وظائفهما وكميات قواهما بحسب ما قد يكون الفرد قد نال من توارثهِ لآبائهِ وأمهاتهِ

هذان الشيئان او بعبارة اصح هذان المستودعان اللذان هما اشبه الاشياء بالدينامو تكمن فيهما قوتان كهربائيتان احداهما قوة النشاط والاخرى قوة الشعور والاحساس

كذلك ارادت سنة الله ان لا يكون من الضروري ان تتوازن هاتان القوتان في مقاديرها في الجسم الواحد فقد تقل في الاولى وتكثر في الثانية وبالعكس . اذ ليس من المفيد انهُ عند ما تنمو قوة النشاط لدى فرد لاقصى درجة قد تبلغها في المراكز العصبية ان تكون القوة الاخرى كذلك بالغة عندهُ منتهاها في الحساسية . فقد شوهد عند بعضهم ان بلغت فيهم قوة النشاط مبلغاً قاصياً للغاية وكانت فيهم القوة الثانية رغم

هذا منحطة انحطاطاً مريعاً على العكس من الاولى . ففي هذا المعنى تكاد تكون الرابطة بينهما مفقودة او هي في حيز العدم

ولما كانت هاتان القوتان التي اليهما يرجع على الاغلب التباين الخلقي بسبب ان مستودعاتهما قد تكون ممتلئة بالدقائق والجواهر الكهربائية التي تظهر الاخلاق الظهور البديع عند نوابغ البشر وتكونها تكويناً باهراً وتجعل الارادة عند اصحابها اشد واقوى من الصلد وارسخ من الجبال الشامخة ، فانها قد تكون عند الآخرين فارغة منها او من القدر الكافي منها فتنحط اخلاق اصحابها الى أسفل الدركات واحط المنازل وعندها تكون الارادات خاضعة محكومة منقادة لما تمليه عليها الشهوة او الارادات الاخرى المستمدة نشاطها من المستودعات الغنية الطافحة بالدقائق الكهربائية في مجموعها العصبي . وقد لا تكون المستودعات طافحة كثيراً ولا فقيرة كثيراً وتكون في جواهرها بين بين او تكون اقرب الى الكمال او الدرجات القصوى او تكون على العكس اقرب الى السفلى منها او تكون وسطاً وهكذا كل بحسب ما توارثهُ من تلك الدقائق والجواهر عن آبائهِ واجدادهِ وبحسب ما شبَّ عليهِ بحكم نبل البيئة والتربية والتعليم او انحطاطها او فقدانها

وقبل ان نفيض الكلام عن هاتين القوتين نلاحظ ان كل ما نقدمهُ يتعلق بالاخلاق في جميع حالات الصحة والحياة العادية لا في الحالات المرضية التي قد يقع فيها المرء ويكون من شأنها التغيير من خلقهِ كامراض المعدة والنورستينيا والامراض العصبية . فهذه ولا شك حالات عرضية تدفع الانسان الى الخروج عن اطواره مدفوعاً بتأثير المرض الطارىء عليهِ ثمَّ تزول عنهُ بزوالها بحيث يرجع الانسان بعد خلاصهِ وبرئه منها الى ما كان عليهِ من اخلاق قبل وقوعهِ فيها

الاخلاق

ولكن ما هي الاخلاق ؟ اليست هذه التي يمتاز بها انسان عن اخيهِ الانسان بسلوك مستقيم طيب مهذب راق محبوب يستحق لاجلهِ تمجيد الناس وتقديرهم لهُ . وعليهِ يكون الناس في الحقيقة فريقين : فريق ذو اخلاق . وفريق مجرد عن الاخلاق . فريق يتمسك بالحق ويسلك في سيره سبيل النزاهة والثقة والامانة والصدق والشرف ويلاحظ ضميره ودينهُ ويخشى الله في معاملته لابويهِ وزوجهِ واولاده واقاربهِ

وجيرانهِ وسائر الناس بان يعاملهم بما يحب ان يعاملوه بهِ ، ويعمل على ما فيهِ تنفيذ الشرائع. وبديهي ان في احترام الشرائع خيراً للجميع . لان الشرائع كلها ترتكن في روحها على ثلاثة اركان : الاول المعيشة بالشرف. الثاني عدم الاضرار بالناس . الثالث اعطاء الحق لصاحبهِ . ففي احترامها او العبث بها تتبين الاخلاق صحيحها من فاسدها ويتبين معها الميل الى النظام العام او الجنوح الى الخلل والفوضى والهمجية التي هي طغمة الفريق الثاني ونقمة على الطوائف البشرية بل على الحضارة

الفريق الاول هم الذين نقصدهم ونطلق عليهم اسم اصحاب الاخلاق . وهم الذين اختصوا ويختصون على الدوام بالفضل والثناء والمحبة وتقدير العائلة والجيران والمعارف في كل جيل وكل عصر بين مختلف الشعوب والقبائل بالرغم مما يكون اتابهم من ارهاق وتعذيب بسبب ثباتهم في اخلاقهم. فقد تركوا صحائف حياتهم نقية طاهرة من المزريات طافحة بجليل الاعمال وكريم المواقف التي تذكرها لهم الابناء والاحفاد بفخار ليس فوقهُ فخار في العالم

فأخلاق امثال هؤلاء هي التي نقصدها ونقصد الحض على التخلق بنظائرها . وشعبنا الكريم المصري لا شك يقدر ما يعود على نهضتهِ من الثبات والتقدم اذا نحن اعتمدنا في تربية ابنائنا على تحسين البيئة التي يعيشون فيها وحصناهم من معاشرة الاواسط المنحطة ومنحناهم تعليماً راقياً وارشادات ومواعظ قويمة وعوّدناهم الصدق والصراحة وحب العمل واحتقار الصعاب والمخاطر والمخاوف كلما عارضت امانيهم ووقفت حائلاً دون مقاصدهم النبيلة ، (وهي عادات تعتبر من اهم مظاهر الاخلاق الراقية في الانسان) وفهمناهم منذ نعومة اظفارهم بأن العالم باجمعهِ آخذ بأسباب التقدم والرقي وان علينا نحن المصريين واجباً مقدساً هو مجاراته في صناعاتهِ وفنونهِ ومتاجرهِ ومعارفهِ وعلومهِ وآدابهِ وكل شيء تعتمد عليهِ الحضارة الراهنة في ذهابها بالامم الناهضة الى الامام . وان هذه المهمة لن نبلغها الاّ ببلوغ مستوانا الاخلاقي ما هو مقدور لهُ من المنازل السامية . وان هذا وحده هو الذي يجعلنا جديرين بان نكون ورثة هؤلاء العظماء الاماجد اجدادنا الفراعنة الذين يرجع الى فطنتهم وافكارهم واخلاقهم تمدين العالم باسره ! وسنوفي البحث في مقالات تالية فيما يتعلق بقوتي النشاط والشعور وعلاقتهما بالذكاء وعلاقة الجميع بالاخلاق

عثمان مرتضى

ذكرى عميد المقتطف

المرحوم الدكتور صروف

في لبنان

[بعث الينا وكيل المقطم اللبناني وصف الاحتفال التذكاري الذي أقامهُ فضلاء اللبنانيين تكريماً لذكرى المرحوم الدكتور صروف ونص الخطب التي تليت فيه فرأينا ان ننشر في هذا الجزء وصف الحفلة وخطبة صهر الفقيد السر سعيد شقير باشا شاكرين لاهل العلم والفضل عنايتهم بتكريم ذكرى العلماء تقديراً للفضل وتشجيعاً لطلاب العلم والمشتغلين بهِ . قال الكاتب]

ان بيروت مدينة العلم التي احتفلت منذ عام وبعض عام بيوبيل المقتطف الذهبي في جامعتها الكبرى التي تفاخر بأن صاحب المقتطف ومحرره الراحل كان أول أبنائها الذين نالوا شهادتهم منها فحمل مشعل العلم عالياً حتى اصبح نبراساً يهتدى به وقبساً يستضاء بنوره — ان بيروت هذه شعرت بعظيم مصاب العالم العربي بفقد المرحوم الدكتور يعقوب صروف بعد مرور عام ونيف على احتفالها بيوبيله الذهبي وتمنيها له طول الحياة له حتى تحتفي بيوبيله الماسي. شعرت بذلك الخطب العظيم شعوراً لا أغالي اذا قلت انه يفوق شعور كل مدينة أخرى . وقد نشط فريق كبير من وجوه المدينة وكرام أدبائها الذين عرفوا فضل محرر المقتطف العلامة الراحل وارتشفوا من منهل علمه الزاخر وتتلمذوا لهُ في مدرسة المقتطف الجامعة للاهتمام باقامة حفلة تذكارية للفقيد الكريم فتألفت لجنة منهم قوامها السادة اسبر افندي شقير وامين افندي الريحاني والاستاذ بولس افندي الخولي وجورج افندي باز ومحمد بك جميل بيهم وحبيب افندي البستاني ورامز افندي سركيس والامير الدكتور رئيف ابو اللمع والكونت فيليب طرازي وكامل بك حميه ونجيب افندي خلف ويوسف افندي افتيموس واخذت على عاتقها أمر اعداد الحفلة المذكورة والدعوة اليها . ولما كان الفصل صيفاً ومعظم سكان بيروت غائبون عنها والاجتماع غير متيسر في حرها المذيب رأت اللجنة ان تقيم الاجتماع في مصيف عاليه الشهير واختارت له الفندق الفخم الجديد الذي أقامه آل جبيلي هناك

وقد تفضلوا بتقديم ناديهم لتلك الغاية لمشاركة اللجنة في عواطفها . وتفضل فخامة الاستاذ شارل دباس رئيس جمهورية لبنان وهو العالم الاديب الذي برهن في مواقفه عن غيرته على أهل العلم والادب واهتمامه برفع علم دولتهما عالياً فجعل الحفلة تحت رئاسته ولما تمت الاستعدادات اللازمة وزعت اللجنة أوراق الدعوة الى الحفلة في الساعة الثالثة من بعد ظهر الاحد في ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢٧

وفي الموعد المعين ازدحم فندق آل جبيلي بوفود القادمين لحضور الحفلة ولتكريم ذكرى الراحل الذي كان عظيماً بعلمه عظيماً بأخلاقه عظيماً بآدابه عظيماً باستقامته ودعته فامتلأ نادي الفندق بهم على رحبه . ذلك النادي الذي طالما كان مشهداً للزهو واللهو والطرب — كان في تلك الساعة مجلى للهيبة والاحترام والجلالة والوقار

جلس في مقدمة الجمهور فخامة الاستاذ شارل دباس رئيس الجمهورية والى يمينه حضرات اصحاب العطوفة والمعالي الاستاذ الشيخ محمد الجسر رئيس مجلس الشيوخ والاستاذ موسى بك نمور رئيس مجلس النواب والاستاذ بشاره بك الخوري رئيس مجلس الوزراء ووزير المعارف والدكتور سليم بك تلحوق وزير الصحة والاستاذ الياس بك فياض وزير الزراعة وصاحب السعادة محمد بك حامد قنصل المملكة المصرية وسعادة حبيب الله عين الملك خان قنصل دولة ايران وممثل القنصلية الاميركية وجلس الى يسار فخامته حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا واللادي قرينته وانسباء المرحوم الدكتور صروف والاستاذ سليم بك مكاريوس أحد اصحاب المقطم والاستاذ جبرائيل بك تقلا صاحب الاهرام وتلا هؤلاء جمهور كبير من الوجوه والادباء وكرام العائلات بينهم أساتذة الجامعة الاميركية وغيرها من مدارس بيروت وفريق كبير من كرام المصطافين المصريين بينهم سعادة منصور نجيب شكور باشا وغيره ممن لم تتصل بنا اسماؤهم حتى ازدحم بهم نادي الفندق على رحبه. وقد حضر معظمهم خصيصاً لحضور هذه الحفلة من مصايف لبنان المتفرقة. وكان اعضاء اللجنة عملا بسهم الرسمية وشاراتهم الخاصة يستقبلون الجمهور ويجلسون كلاً في مكانه ويحافظون على نظام الحفلة. ولما انتظم عقد الحضور وقف الاستاذ جورج باز والقى كلمة تاريخية ذكر فيها نشأة الفقيد وتاريخه والاعمال الكبرى التي عاناها ٥٥ سنة فكانت كلمته تاريخاً مختصراً لاعمال الدكتور صروف الجليلة . ثم تلاه الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف بخطاب ممتع فالآنسة اديل جريديني

بكلمة ملوءها الاخلاص والوفاء فالاستاذ بولس الخولي فصوَّر الفقيد بما هو أهل له وليس من الصعب على الكاتب والخطيب ان يجيد في مثل هذا المقام فان مجال القول متسع جداً بفضل ما ترك الفقيد الكريم من جليل الآثار وما خلفه من المآثر الحسان

ثم انشد شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران قصيدة من بليغ شعره قوبل كل بيت منها بخشوع واحترام وترديد ذكرى الراحل الخالد. وكان آخر المتكلمين الاستاذ أمين الريحاني فقال كلمة استرعت الاسماع واخذت بمجامع القلوب اوحتها اليه نفسه الكبيرة وعلمه المدخر وفلسفته الخالدة ومن أولى بالاجادة في الكلام عن الفيلسوف العلامة الراحل من فيلسوف الفريكه المفكر فقد كان خطابه مسك الختام بكل معنى الكلام

ولما انتهى الخطباء من اقوالهم وقف صهر الفقيد حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا والقى خطاباً ممتعاً شكر فيه للجنة والمحتفلين والحضور اقامتهم هذه الحفلة وخص بكلمات امتنانه فخامة رئيس الجمهورية ورجال حكومته الكرام. وعند انتهاء الحفلة تقدم حضرة رئيس الجمهورية ورئيسا البرلمان والوزراء من حضرة صهر الفقيد وكريمته الفاضلة وانسبائه مكررين تعازيهم وحذا حذوهم باقي الجمهور الغفير وانصرف الجميع مرددين فضائل الراحل الكريم معددين خدماته الجليلة وآثاره الخالدة متمنين ان تنجب ارض هذا الوطن من النوابغ العاملين امثاله

***

وبعد انتهاء الحفلة وصل تلغراف من أسرة الفقيد ومن شريكه واخيه الروحي الدكتور فارس نمر من الاسكندرية يتضمن شكرهم[2] للذين[1] تفضلوا باقامة هذه الحفلة وللخطباء والشعراء الذين رثوا وللذين تكرموا بحضورها دلالة على تقديرهم للعلم ومعاضدتهم للساعين لخدمته

—o:o—

خطبة السر سعيد باشا شقير

أيها السادة والسيدات :

ذهبت في أوائل حزيران (يونيو) الفائت لوداع الدكتور صروف وأنا شاخص مع زوجتي كريمته الى أوربا لاستشارة أطبائها والاستشفاء بهوائها ومائها فألفيته على عادته مكبًّا على مكتبته يكتب للمقتطف وأمامه العشرات من الرسائل والكتب والمجلات فلما رآني نهض قائماً والنشاط ملء جثمانه والصحة تفيض من محياه والنور يسطع في عينيه وصافحني قابضاً على كفي قبضة رجل في الثلاثين لا الخامسة والسبعين وقال

« رافقتك السلامة في الترحال والاقامة وأعادك الله معافىً نشيطاً . ان لديَّ هنا ـ وأشار الى بعض الاوراق أمامه ـ الشيء الكثير مما يتعلق بالمقتطف ومستقبل العمل أريد وشركائي أن نحدثك به ونستطلع رأيك فيه وبما ان الوقت لا يسمح بالحديث الآن فنرجئهُ الى حين عودتك بالسلامة ان شاء الله »

ثم عطف على هذا بقوله : اني أشعر ياسعيد انا لم نقم بالواجب علينا بعدُ حقَّ القيام وذلك من حيث نشر العلم وتعميم المعرفة في مصر وسورية والعراق وسائر البلاد العربية ومن المحال أن يصير لنا شأن نحن الناطقين بالضاد أو تكون لنا كلمة بين الامم ونستقلّ استقلالاً حقيقيًّا مالم ننر أذهان العامة ونرفع مستوى الشعب الادبي بجميع وسائل التهذيب والنشر ونعمل في هذا السبيل مادام القلب ينبض »

هذه كانت أمنيته وهو في الخامسة والسبعين بعد جهاد دام زهاء خمسة وخمسين عاماً في انارة الاذهان ملأ فيها ما يقرب من مائة الف صفحة من آيات الحكمة والفلسفة في المقتطف وسواه وتناولت يده كل مرفق من مرافق الحياة وكل باب من أبواب العلم والصناعة والزراعة وكلّ شأن من الشؤون الاقتصادية والمالية والسياسية مبيّناً كيف يسخر العلم للعمل وما هو سر نجاح الممالك والافراد وكيف تستخدم الاكتشافات الطبية والاختراعات العلمية لخدمة الانسانية وسعادة بني البشر السعادة الحقيقية لا لتخريب البلاد واهلاك العباد

فكأنه كان يرى بعد عمل الجبابرة هذا انه لم يعمل شيئاً يذكر ويشعر بعد هذه

الخدمة التي أداها الى أبناء العربية والتي قلما ضارعهُ فيها انسان انه لم يقم بالواجب عليه حق القيام

ولعلَّ الاحتفال العظيم الذي قامت به مصر وسورية وسائر البلدان العربية بعيد المقتطف الخمسيني اعترافاً بفضله وجهاده واكباراً لأعماله واحتراماً لشخصه جعله يرى تلك الاعمال دون ماهي ولذلك كان يضم اليه أطرافه ويجمع عدته ويأخذ أهبته لحملة جديدة منظمة وجهاد أعظم . ولكن حساب المنايا كان غير حسابه فيالخسارة الأدب والعلم ويالخسارة أبناء العربية

لم يدر في خلدي حين ودعته ولا خطر في بال أحد من ذويه ومريديه انهُ لا ينقضي شهر على ذلك الوداع وذلك المقال الذي فاه به وتلك الآمال التي كان يعلل النفس بها حتى يخبو ذلك النشاط في جثمانه ويفيض معين الصحة من محياه ويخمد ذلك القلب الكبير الذي كان اعتماده على نبضاته

عدت من أوربا في أوائل يوليو (تموز) فوجدته طريح الفراش يصارع الداء مستخفاً به وحوله نطس الاطباء متكلاً على ما أودعته الطبيعة في جسمه من القوة في الدفاع ومحاربة الادواء أكثر من اعتماده على طبهم كما كان شأنه كل أيام حياته. ولكن اذا حمَّ القضاء خان الدواء ولم يجدِ جهد الاطباء فلم يطل الصراع حتى خانه ذلك القلب الذي كان اعتماده على قوته ودوام نبضاته فصرعه الداء ولفظ أنفاسه الاخيرة ونحن حوله مكتوفو الايدي سكارى ولسنا بسكارى لا نصدق عيوننا مصعوقين من ألم الضربة وعظم المصاب

كنا كانجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

نعم هوى ذلك القمر المنير وصرع ذلك النابغة في علمه وأدبه والفذ في أخلاقه وسيرته ومضى الردى بمن كانت الفصاحة ملء قلمه والبلاغة ملء لسانه والفلسفة ملء أفكاره وخدمة الانسانية والشرق ملء دمه

لعمرك ما وارى التراب فعاله ولكنه وارى ثياباً وأعظما

أيها السادة اني وقفت لاثني على أخلاقكم الكريمة وسجاياكم النبيلة لاهتمامكم بحفلة التأبين هذه التي ستكون من أكبر العوامل على تعزيتنا في مصابنا بالفقيد الكريم ولأشكر لكم جميل صنيعكم بمؤاساتنا أو التخفيف عنا لا لأعدد خلال الراحل العزيز وآثاره ولا لارثيه أو أبكيه. فان هذا سيكون دأبي ودأب ذويه في خلواتنا وفي دارنا

التي كنا نسكنها معاً حيث نرى شيئاً من روحه في كل ورقة من أوراقه ونفساً من أنفاسه وفي كل كتاب من كتبه وفي كل أثر من آثاره ونشاهد خياله في كل ناحية من نواحيها وفي كل جانب من جوانبها وفي كل أداة من أثاثها ورياشها حيث كان يكتب أو يجلس أو يستريح — ودقائق راحته كانت قليلة — أو يمشي ذهاباً واياباً يفكر في حل مسألة أو فك معضلة ثم يجلوها لنا ويزيل غامضها

هنالك نبكيه وهنالك نرثيه وهنالك نطلق العنان لأشجان تكاد تصدع الصدور وآلام في الحشى يذيب حرها الصخور

فاذا لم أملك النفس في هذا المقام ورأيتم شيئاً من مظاهر هذه الشجون يتدفق تدفق الزبد من قدر تغلو فذلك غيض من فيض ومعذرتي ما كان بيني وبين الفقيد من مودة وصلة نسب وما له عليَّ من الجميل وفي قلبي من المحبة والاحترام وفي عيني من المنزلة وعلو المقام نظراً الى ما قام به من الاعمال الجسام

كان لي أستاذاً ومهذباً في الصغر فنالني نصيب من علمه الوافر وأدبه الجم .وكان لي صديقاً وعشيراً في الكبر فاكتسبت من أخلاقه وسيرته.وكان يفرح لي اذا الدهر بسم ويفرج غمتي اذا الدهر عبس

وأقسم ماجشمته من ملمة تؤد كرام القوم الا تجشما

فأنا مدين له من كل وجه وخسارتي فيه عظيمة أليمة . فكيف أحبس عواطفي عن أن تنطلق وأمنع لهباً يتصاعد من فؤاد يحترق

حدثكم خطباؤنا الادباء وشعراؤنا الكرام قبلي بمنزلة فقيدنا العلمية وبالخدم التي أداها الى العلم والادب واللغة والشرق والانسانية. حدثوكم عن ارادته القوية وثباته ونشاطه ودأبه على العمل . حدثوكم كيف كان قبساً ينير دياجي الجهل . حدثوكم عن آثار أعماله بين أبناء العربية وما نالهم على يده من النفع العظيم والخير العميم . حدثوكم بهذا ولعل معظمهم لا يعرف الفقيد الا من كتاباته أو من اختلاط يسير معه

أما أنا وقد عرفته منذ عهد التلمذة وعشت معه معظم الحياة حتى علاني الشيب وواراه هو التراب فسأحدثكم مقدار نغبة طائر من جانب آخر من حياته . آكلته وشاربته وساكنته وعاشرته طويلاً فعرفته معرفة لا تهيا لأحد اذا استثنينا أهل منزله الاقربين وشريكه ورفيقه الدكتور نمر . فاذا قلت شيئاً عن شخصيته وكيفية معيشته كرجل بين الناس فمن خبر تام لا عن خبر

قلب كبير ونفس طيبة وأخلاق كريمة وشهامة نادرة وعفة في اللسان والافعال وبساطة كبساطة الاولاد ووداعة وشمائل كالزهر وسيرة نبيلة وسريرة طاهرة ونكران للذات وتسامح جم

هذا هو الراحل العزيز مجسماً هذا هو الدكتور صروف بين ذويهِ وبين الناس. هذا هو الرجل الذي اجتمعتم لتأبينهِ ومشاطرتنا الاسى على فقده

ان مصابنا فيهِ عظيم وجرحنا فيهِ اليم ولكن مشاركتكم لنا في الاسى والعواطف الكريمة التي اظهرتموها خففت عنا الكثير من آلامنا واذا كان للتعزية او السلوان من سبيل فستكون تعزيتنا وسلوانا في احزاننا . فانا باسان ارملة الراحل العزيز واولاده وسائر آله الغائبين ولسان زوجتي كريمتهِ ولساني اشكر لفخامة رئيس الجمهورية تكرمهُ بترأس هذا الاجتماع واشكر لرئيس الوزراء ورئيسي المجلسين النيابيين والوزراء وغيرهم من كبار القوم وكرامهم حضورهم هذا الاحتفال التذكاري واشكر لاعضاء اللجنة الافاضل الذين قاموا بهِ واهتموا بتدبير شؤونهِ واشكر الخطباء والشعراء الكرام واشكر للسادة جبيلي تقديمهم هذا المكان للمحتفلين الذين ابنوا الفقيد او رثوه. وكذلك اشكر لكل من ارسل لنا رسالة تعزية او بعث بكلمة عطف ولم يستطع الاشتراك معنا عن كثب

وحبذا لو كانت لي بلاغة شاعر القطرين او فصاحة الخطباء المجيدين لاصوغ العبارات اللائقة التي تعرب عن شعورنا العميق ومقدار تقديرنا لهذا الجميل

ولكن هذا الشعور ليس مما تقوى على التعبير عن حقيقتهِ فصاحة خطيب او بلاغة شاعر ولذلك نتركهُ لكم لتنظروه في عيوننا وتقرأوه في ملامح وجوهنا وتسمعوه في دقات قلوبنا فانها افصح الخطباء وابلغ الشعراء

اذا باهيتم أيها السادة بالفقيد العزيز كعالم وكاتب وفيلسوف فنحن نباهي بهِ مباهاتكم نفسها ونباهي فوقها بامة تقدر حكماءها وعظماءها العلماء العاملين قدرهم وتجلّ منزلتهم ، وان امة تضع العلم والعلماء في هذه المنزلة لا بد من ان تتبوأ مقامها اللائق بين الامم الراقية فيصير لها شأن وتصبح لها كلمة وتحقق آمال الفقيد

ان جميلكم هذا سيبقى ماثلاً امام عيوننا مالئاً صدورنا نذكره كلما ذكرنا الفقيد وبكيناه فيكون بلسماً لجراحنا الدامية وبرداً وسلاماً لقلوبنا الملتهبة وتعزيةً لقلوبنا المنكسرة جزاكم الله عنا خير الجزاء

مذهب داروِن في الميزان

رأيهُ في اصل الانسان والبحث العلمي الحديث

خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني الملتئم في اول سبتمبر بمدينة ليدس ببلاد الانكليز

للسر ارثر كيث

جرت العادة في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان يحضر جلسة الافتتاح رئيسُ المجمع في العام السابق والرئيسُ المنتخَب فيتخلى الاول عن منصبهِ ويقدّم الى جمهور العلماء خلفهُ الرئيس الجديد. وقد كان البرنس اوف ويلس رئيس المجمع في السنة الماضية حين التأم المجمع في جامعة اكسفرد وقد خطب فيهِ خطبة بليغة بعيدة الاثر موضوعها « الدولة والبحث العلمي » اتينا على ترجمتها في مقتطف نوفمبر ودسمبر سنة ١٩٢٦. على ان شؤون الدولة البريطانية قضت بان يذهب البرنس اوف ويلس الى كندا في اواسط هذا الصيف يصحبهُ رئيس الوزارة البريطانية واخوهُ البرنس جورج ليحضروا الحفلات التي اقيمت فيها احتفاءً بانقضاء ستين سنة على اتحاد ولايات كندا ولافتتاح كبري السلام بين كندا واميركا تخليداً لانقضاء مائة سنة على البلادين والوئام خافق فوق ربوعهما. فتعذر عليهِ والحالة هذه ان يحضر اجتماع مجمعِ تقدم العلوم في هذه السنة حين التأم في ليدس في سبتمبر الماضي ليقدّم الى اعضائهِ خلفهُ العالم المشهور بآثار الانسان السر ارثر كيث فقام السر اوليفر لدج مقامهُ. وبعث البرنس برسالة بليغة اشار فيها الى مقام خلفهِ بين علماء العصر والى الخطبة التي خطبها هو في اكسفرد في السنة السابقة وما كان لها من الاثر في دوائر الحكومة واندية ارباب الصناعة، فقرأها الرئيس الجديد وقرأ ردًّا عليها اعدّهُ ليرسل الى الامير فيهِ شكر المجمع واخاص تمنياتهِ لما يبديهِ من العناية التامة بامور العلم وتطبيق مبادئهِ على مقتضيات الحياة الفردية والاجتماعية. ثم خطب خطبة علمية بديعة جاء فيها على رأي داروِن في اصل الانسان ثم عرض لهذا الرأي بالتحليل والنقد من نواحٍ مختلفة فوجد ان المباحث العلمية الحديثة تؤيد قواعدهُ كل التأييد

فكان لهذه الخطبة رنة في الاندية العلمية وحاول بعضهم ان يثير حولها مسألة النزاع القديم بين العلم والدين فلم يفلح كما سنبيّن في مقالٍ تالٍ

الخطبة

استهلَّ الرئيس خطبتهُ بالاشارة الى ان اجتماع المجمع في اكسفرد في السنة السابقة برآسة البرنس اوف ويلس كان اجتماعاً تاريخيًّا خطيراً وان اكسفرد مدينة العلم والتعليم حظيت بخطبة من رئيس المجمع تدور على تطبيق مبادىء العلم على مقتضيات الحياة. وانهُ يشعر بالشرف العظيم الذي قلّدهُ باسناد منصب الرآسة اليهِ ولكنهُ ايضاً يشعر بخطورة التبعة الملقاة على عاتقهِ ليخلف رئيساً المعيًّا محبوباً كالبرنس اوف ويلس. ثم ذكر ان خطبتهُ على الضد من خطبة الرئيس السابق ستكون خطبة علمية في موضوع نظري مع انها ستتلى في مدينة صناعية كبيرة. ثم قال: —

لقد انقضت خمسون سنة منذ كتب داروِن كتابهُ في اصل الانسان فما هو مقام رأيهِ الآن وقد انقضت عليهِ هذه الحقبة اذا وزناهُ بميزان المباحث العلمية الحديثة؟ هذا هو مدار بحثي في هذا الاجتماع

اذا حاولنا ان نتتبع المراتب التي ادّت بنا الى تكوين الرأي الذي يرتأيهِ العلماء في اصل الانسان وجدنا اولى هذه المراتب في مدينة ليدس. ففي هذه المدينة أُطلقت القنبلة الاولى في ذلك النزاع الطويل العنيف الذي انتهى بانتصار داروِن وفوز رأيهِ على الرأي المذكور في الكتب المقدسة. اذ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٥٨ اي منذ ٦٩ سنة اجتمع مجمعنا في هذه المدينة وكان رئيسهُ السر رتشرد اوِن اكبر علماء التشريح في عصرهِ فوقف يلقي خطبة الرآسة حيث انا واقف الآن. وكان قد اعدَّ خطبة ضافية نظر فيها نظرة عامة الى كل فروع العلوم وما اصابتهُ من تقدم كما كان يحقُّ لهُ ان يفعل. ولكن لا يهمنا من هذه الخطبة الليلة الاَّ العبارات التي جاء فيها على رأيهِ في اصل الانسان. فانهُ جاء بادلة يستنبط منها ان تاريخ ظهور الانسان على الارض اقدم كثيراً من التاريخ المذكور في الكتب الدينية ولكنهُ صبَّ جام نقمتهِ وامتهانهِ على الرأي القائل بان الانسان ارتقى من اصل قرديّ. فصرح للمجمع حينئذٍ ان الفروق بين القرد والانسان كبيرة جدًّا لا يسعهُ معها الاَّ ان يعين للانسان مقاماً خاصًّا في نظام المملكة الحيوانية. فما نطق الرئيس بهذه الكلمات حتى اثارت في صدر رجل من الحضور روح المقاومة — وكان ذلك الرجل توماس هنري هكسلي ندّ اوِن وخصمهُ العنيد

لقد حصرت الذكر في هكسلي لانهُ لازم للتوسع في موضوع بحثي . اننا نعلم ما كان يشعر بهِ هكسلي نحو اون حينئذٍ لانهُ ذكر ذلك في كتاب ارسلهُ الى اختهِ قبيل سفرهِ الى ليدس لحضور اجتماع المجمع اذ قال « اخذت طلائع نضالٍ عنيفٍ تبدو بيني و بين اون العظيم ولا اعلم هل يبلغ النضال مداهُ في ليدس ام لا » . ويسرني أن اجتماع ليدس مضى من غير احتدام النضال بين العالمين ولكنهُ اثبت في عقل هكسلي خطورة المسائل التي يدور عليها هذا النضال متى احتدمت نارهُ . وموضوع هذه المسائل يدور على « مقام الانسان بين الاحياء »

وبعد سنتين اجتمع المجمع في اكسفرد فاتاح اون لخصمهِ العنيد فرصة للهجوم عليهِ . لان اون عاد فاثبت في اكسفرد ما سبق فصرّح بهِ في ليدس من أن للانسان مقاماً خاصًّا بين الاحياء مبيّناً ان في دماغ الانسان مميزات لا اثر لها في ادمغة القردة الشبيهة بالانسان . فكان ردُّ هكسلي عليهِ موجزاً . اذ صرّح ان رأي اون خطأ ووعد ان يثبت ذلك بادلة مفحمة وقد برَّ بوعدهِ . وتلا هذا الاجتماع اجتماع آخر جاء بعدهُ بيومين اذ تناظر اسقف اكسفرد والاستاذ هكسلي في موضوع النشوء فكانت الغلبة التامة فيهِ لهكسلي . فعكف من بعد ذلك على وضع كتاب اصدرهُ سنة ١٨٦٣ وجعل موضوعهُ « ادلة لاثبات مقام الانسان في الطبيعة » وقد اثبت فيهِ اثباتاً ينفي كل ريب لدينا ان مقامهُ في الطبقة العليا من الحيوانات الثدوية المعروفة « بالبريمايتس » وأن القردة الشبيهة بالانسان اقرب الاحياء اليهِ

وقصدي الآن ان ابيّن لكم القواعد التي يقوم عليها الرأي الذائع بين العلماء في اصل الانسان. فلقد اتاحت لي خطبة السر رتشرد اون في ليدس من ٦٩ سنة ان اذكر مقام هكسلي في تكوين هذا الرأي وتأييدهِ والآن يجب ان احول نظري الى امر آخر لم يذكرهُ السر رتشرد الاَّ الماماً ولكنهُ يهمنا الآن

***

قضى السر رتشرد صيف تلك السنة في لندن يكتب خطبتهُ الضافية التي اشرت اليها كما فعلت انا في هذا الصيف. وكان في اثناء ذلك يراقب اجتماعات الاندية والجمعيات العلمية ليرى ما يجدُّ فيها من الآراء الطريفة .وكان السر تشارلس ليَل والسر جوزف هوكر قد اودعا حينئذٍ في الجمعية اللينوسية رسالتين لم يظهر عليهما انهما تحتويان على شيء طريف ولكنهما كانتا في الحقيقة حافلتين بالآراء الطريفة وكان قد اعدها رجلان

تبدو عليهما السذاجة التامة هما الفرد رسل ولاس وشارلس دارون . على انهُ حبًّا بالانصاف لا بدَّ من الاعتراف بان هذين الرجلين كانا عارفين بمحتويات رسالتيهما وما قد يكون لها من الاثر في قلب بعض الآراء العلمية الشائعة حينئذٍ. فتناول اون هاتين الرسالتين ونظر فيما تحتويان عليهِ من الآراء وخرج من النظر فيهما بان ليس فيهما خطر ما على الآراء الشائعة حينئذٍ ولم يُبدِ في خطابهِ شيئاً من القلق اذ مر بولس ودارون مرَّ الكرام ولم يشر اليهما بسوى ذكر طفيف مثبتاً بعبارات من كتابهِ ان الرأي القائل « بالانتخاب الطبيعي » كعامل قوي من عوامل النشوء خطر لهُ قبلاً

ولا يسعني الآن الاَّ التعجب لما اراهُ من الفرق الكبير بين نظرنا اليوم ونظر الجمهور الذي خطب فيهِ السر رتشرد اون منذ ٦٩ سنة في هذه المدينة . كان كل فردٍ من الجمهور الذي احتشد حينئذٍ لكي يسمع خطبة رآستهِ يعتقد اعتقاداً راسخاً ان الانسان خُلق خلقاً منفصلاً . ولكن جمهور العلماء الذين اتشرف بالخطابة فيهم الليلة ، والجمهور الاكبر الذي يصغي الى هذه الخطبة بواسطة التلفون اللاسلكي مستعدون لتصديق القول بان ارتقاء الانسان من رتبة الحيوانات التي تنطوي تحت النوع المعروف « بالبريمايتس » ووصولهُ الى مقامهِ الحالي هو نتيجة لتفاعل القوى البيولوجية التي كانت ولا تزال تؤثر في جسم الانسان ودماغهِ — يفعلون ذلك متى اجتمعت لديهم ادلة كافية تثبت لهم ذلك ولو لم يكونوا من اتباع دارون الصميمين

***

ان تغيُّر الرأي في النظر الى اصل الانسان من عجائب القرن التاسع عشر. ولكي نتمكن من السير مع هــذا التغير يجب ان نوجه نظرنا الى قرية دوْن في هضبات كنْت لنرى ما كان تشارلس دارون يفعل يوم كان السر رتشرد اون يلقي خطبتهُ الممتعة في ليدس . جلس دارون في مكتبهِ يحاول كتابة الفصل الاول من كتاب جديد. ولكن ما من احد رأى ان نشر هذا الكتاب — اصل الانواع — سنة ١٨٥٩ اي بعد انقضاء ١٥ شهراً على خطبة اون سيحدث ثورة كاملة في نظرنا الى الاحياء ويكون فاتحة عهد جديد في اساليب التفكير — ندعوهُ بحق العهد الداروني — ونحن لا نزال في غمراتهِ الى الآن. فلقد كان دارون قائداً محنكاً من غير ان يعلم . فانهُ لم يبدأ معركتهُ الاولى الاَّ بعد ما قضى ٢٢ سنة يحشد لها من الحقائق المنوعة ما يستطيع ان يدعم بهِ رأيهُ . وبعد ما فازت آراؤهُ فوزاً مبيناً على اثر نشرهِ لكتاب « اصل الانواع » بدأ

حالاً يعدُّ كتاباً آخر لتعزيز نصرهِ الاول فاصدر سنة ١٨٦٨ كتابهُ الذي عنوانهُ « التغير في الحيوانات والنباتات التي في دور الدَجْن » وهذا الكتاب كنز كبير من الحقائق والملاحظات البيولوجية. فلما رسخت قدمهُ تقدم الى هدفهِ الاساسي فنظر في اصل الانسان في كتاب نشرهُ سنة ١٨٧١ وعنوانهُ « تسلسل الانسان » واتبعهُ سنة ١٨٧٢ بكتاب عنوانهُ « مظاهر العواطف في الحيوانات والناس » . كم من جندي باسل من جنود الحق حاول الاستيلاء على هذا الحصن العلمي من قبل فلم يفلح فلما اقبل عليهِ دارون القائد المحنك وفي جعبتهِ ذخيرة فتاكة دان لهُ صاغراً

ايخلد عمل دارون هذا ؟

قبل ان احاول الجواب عن هذا السؤال اريد ان انظر نظرة خاصة في كتابهِ « تسلسل الانسان » . انهُ كتاب تاريخ — تاريخ الانسان — كتبهُ دارون على طريقة جديدة ابتكرها وجرى عليها . واسمحوا لي الآن ان اضرب لكم مثلاً اشرح بهِ طريقة دارون هذه في كتابة التاريخ

لنفرض ان عالماً من العلماء اراد ان يكتب تاريخاً لنشوءِ الدرَّاجة. فانهُ اذا سار على الطريقة المطروقة في كتابة التاريخ بحث عن كل ما دوّن عنها في الكتب والصحف المعاصرة وغير ذلك من المخطوطات التي يحتمل ان تشير اليها

ولكن اذا فرضنا ان هــذا العالم لم يجد وقائع مؤرخة يبني عليها تاريخهُ بل وجد في متحف من المتاحف مجموعة من العربات والآلات القديمة في غير انتظام ولا ترتيب فماذا يفعل ? عليهِ ان يجري حينئذٍ على الخطة التي جرى عليها دارون في كتابة تاريخ الانسان . انهُ يستطيع ان يقارن هذه الآلات بعضها ببعض مقارنة منتظمة وبعد المقارنة يستطيع ان يستنبط علاقة احداها بالاخرى والترتيب الذي ظهرت فيهِ . ولكنهُ يتعذر عليهِ حينئذٍ ان يثبت التاريخ الذي ظهرت فيهِ انواعها المختلفة والمدة التي بقيت تستعمَل فيها. ان دارون نجح في كتابة تاريخ الانسان لانهُ سار على هذه الخطة الواقعية في اعداد مواده . انهُ جمع حقائق جمة من درسهِ لتشريح جسم الانسان والبحث في طبائعهِ ومقارنتهِ بينها وبين مالاحظهُ في جسم كل حيوان آخر فيهِ ادنى شبه الى الانسان وما عرفهُ من طبائعهِ .وقف على كل ما عرف في عصرهِ من علم الاجنة وتكونها ودوّن ما بدا لهُ من وجوه الشبه والاختلاف بين تكوّن جنين الانسان وتكون اجنّة الحيوانات القريبة منهُ . ونظر نظرة اهتمام الى تصرف انسجة الجسم الحية في احوال

المرض المختلفة او تحت تأثير العقاقير او حين تختلف احوال البيئة التي توجد فيها وكان عليهِ ان يستنبط تعليلاً لاجناس البشر. انهُ نظر نظراً تحليلياً منطقياً في كل هذه الامور فتمكن من ان يكتب تاريخ الانسان راجعاً بهِ الى العصور المتوغلة في القدم

لقد انقضت ٥٦ سنة منذ كتب ذلك التاريخ، اجتمع في اثنائها لدى العلماء كثير من الادلة والحقائق الجديدة فصرنا نستطيع الآن ان نكتب كثيراً من الصفحات في تاريخ الانسان التي تعذرت كتابتها على داروِن في عصرهِ وقد تحتم علينا ايضاً ان نغير بعض التفاصيل التي ذكرها — ولكن القواعد التي بنى عليها داروِن تاريخهُ لا تزال راسخة رسوخ الجبال — لا بل ان مركز داروِن الآن من المتانة بحيث اعتقد انهُ لن يزلزل

لماذا اقول وملء قولي الثقة واليقين بان مقام داروِن ثابت لا ينالهُ منال؟ اقول ذلك لأني اعلم ما حدث بعد وفاتهِ سنة ١٨٨٢ . لقد اتيح لنا بعد ذلك ان نتتبع تاريخ الانسان بواسطة آثارهِ المتحجرة وادواتهِ الحجرية الى ان بلغنا فاتحة ذلك العصر المعروف بعصر البلستوسين (من نحو مليون سنة) فوصلنا الى عهد في تاريخ الانسان يبعد عنا نحو ٢٠٠ الف سنة الى ٦٠٠ الف سنة . لا بل قد توغلنا اكثر من ذلك في احشاء التاريخ الى العصر الذي سبق عصر البلستوسين وهو عصر البليوسين. فان الدكتور اوجين ديبوى عثر على آثارٍ متحجرة لما يُعرف الآن بالقرد الانساني واسمهُ العلمي « بيثكانثروبوس » في طبقات جيولوجية نُضدت في اواخر عصر البليوسين بجزيرة جاوى وكان ذلك بعد انقضاء ١٠ سنوات على وفاة داروِن. وكشف المستر ريد موير في طبقات من عصر البليوسين ادوات حجرية غير دقيقة الصنع . فاذا صحَّ ما قالهُ داروِن وجب ان تكون آثار الانسان اقرب الى الشكل الحيواني كلما توغلت في القدم. وهذا ما ثبت لنا . ولكن اذا حسبنا ان بيثكانثروبوس بدماغهِ الحاوي لمميزات الدماغ الانساني على صغرهِ، ممثلاً للبشر الذين عاشوا في عصر البليوسين تحتم علينا القول بان النشوء سار سيراً سريعاً حتى بلغ الناس ما بلغوهُ في هذا العصر

(التتمة في الجزء القادم)

—o:o—

الجداول

للشاعر العربي الاميركي ايليا ابي ماضي

١ — الفلسفة

أرأيت الجداول والتيار يدفعها كيف تنساب في الارض مطردة الجريان عاجزة عن القرار في جبل أو الثبوت في سهل ؟ فمثلها مثل ايليا ابي ماضي افندي اذ يعتقد ان قوة خارجية حركته فمضى منطلقاً قُدُماً وسيظلُّ في طريقهِ حتى حين وهو عاجز عن اقرار رأيهِ في امر دينهِ او في امر دنياه

ان ايليا ذاهب في الفلسفة مذهب اولئك الحيارى الواقفين من الخليقة ونواميسها وما وراءها موقف الرجل الجاهل المعترف بجهله فان سألتهم عن الامر القائم من دون شرط ولا حد كمثل المادة او بداية الكون ونهايتهِ اجابوك لسنا ندري لان هذه الامور تفوق ادراك البشر

كل ما تقصر المدارك عنهُ كائن مثلما الظنون تشاء[١]

وهـذا الضرب من الفلسفة يقال لهُ عند الافرنج Agnosticisme وقد ترجمهُ المرحوم الدكتور صروف الى العربية باللاأدرية . على انك اذا قرأت في « الجداول » قصيدة « الطلاسم » فوجئت بالمطلع :

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ
ولقد ابصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئت هذا أو ابيت
كيف جئت ؟ كيف ابصرت طريقي ؟ لست أدري[٢]

فهو يجهل أنّى مصدره وأنّى مصيره معتقداً ان قوة خارجية حركتهُ فمضى وسيظل يمضي حتى حين . ثم انك تراه يقرُّ في الابيات التالية انهُ لا يدري أحديث العهد في الدنيا ام قديمٌ امن العدم مكون ام من المادة . وانك لتراه يناجي البحر والمقابر والقصر والكوخ والدير ملتمساً منها حلَّ الطلاسم التي دقت على ذهنهِ ولكنهُ كلما ازداد اقتراباً منها ازداد بعداً عنها وبين جنبيهِ اليأس والحيرة . وقد اذكرتني هذه الحال النفسانية

(١) الجداول ص ١٣ (٢) ص ٨٩

الشاعر الفرنسي (سولي برودوم) وهو يعترف في قصيدة لهُ عنوانها «الشك» بأنهُ ما فكر ساعة في مظاهر الدنيا وخفايا الآخرة الا يئس من الخلوص الى كنهها ولكن ابا ماضي لا ينكر على نفسهِ جوهرها مع جهله لهُ

لي ذات غير اني لست ادري ماهيه
فمتى تعرف ذاتي كنهَ ذاتي؟ لست ادري[1]

وهو يجهل جوهر نفسهِ لانهُ لا يلمسهُ فانهُ وضعيٌّ Positivist . هذا وان مذهب الوضعية مرتبط بمذهب اللاادرية . فان (كونت) و (هربرت سبنسر) كانا جامعين المذهبين فاذاً ابو ماضي لا يركن الى الامر حتى يقع تحت حسهِ

ان صدقاً لا احسُّ بهِ هو شيء يشبه الكذبا
لا ينجّي الشاة من سغب انَّ في ارض السهى عشبا [2]

هل يؤمن ايليا بالبعث وبالآخرة ؟ لا فهو كابي العتاهية ان صح مازعمهُ فريق من ادباء العصر العباسي

— ما لحي بالموت عنهُ [3] انفصال ان دنياه هذه اخراه [4]
— فمن حسب العيش دنيا واخرى فذا رجل عقلهُ احولُ [5و6]

وزد على ذلك ان ابا ماضي يستسلم الى القضاء ولا عجب ان فعل فانهُ شرقي وفي النفس الشرقية بل في معظم التقاليد الشرقية وعقائدها اذعان للقدر . ثم ان ابا ماضي ينفي حرية النفس واختيارَها :

سدتَ او لم تسدْ فما انت الا حيوان مسيَّرٌ مستعبدْ [6]

ثم ان ايليا متشائم من الدنيا حاقد عليها جرياً على فلسفة (شوبنهاور) الالماني، نَفُور من اهلها نفور ابي العلاء منهم و (الفريد دي فينيه) الشاعر الفرنسي . فهو آخذ على الناس رثاءهم وكذبهم وتيههم وانانيتهم واكرامهم الغير لمصلحتهم الشخصية . على انك تراه بعد ذلك يتمرد عليهم فيصبح بلشفيًا مرَّ اللسان مفتول الساعد :

انت مثلي من الثرى واليهِ فلماذا ياصاحبي التيه والصدّ
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطدْ
ايها الطين لست انقى واسمى من تراب تدوس او تتوسد [7]

(١) ص ١١٢ (٢) ص ١٥ (٣) الضمير راجع الى الكون (٤) ص ٦٤
(٥) ص ٢١ (٦) ص ٢٧ (٧) ص ٢٤ و ٢٧

واني تمثلت وقصيدة « الطين » هذه بين يدي ببيت للمعري

لو يعرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده

***

هذه فلسفة ابي ماضي. غير انك تراها شتى النزعات فن اللاادرية الى الوضعية والدهرية والاسترسال الى القضاء والتشاؤم والبلشفية ثم اضف الى هذا الايمان بوجود الله :

اراد الله ان نعشق لما اوجد الحسنا

مشيئتهُ . . . وما كانت مشيئة بلا معنى (١)

٢ — الشاعرية

ان ابا ماضي شاعر ابتداعي Romantique استناداً الى ترجمة الشيخ الزيات . وقد وُفّق الشيخ في ترجمتهِ الا قليلاً ولكن الجدل في هذا الباب ليس من شأننا هنا اي الشعراء الشاعر الابتداعي وما ابتداعهُ وما طريقتهُ؟ هو من عدل عن اسلوب الشعراء الاقدمين ونهج لنفسهِ منهجاً ترتاح اليهِ طبيعتهُ ولقد تمتاز طبيعة هذا الشاعر اولاً — بالاحساس الحاد ولربما بلغ هذا الاحساس مبلغاً جاوز الحد فصار مرضاً نفسانيًّا ثانياً — بالمخيلة الواسعة الشاذة الخارجة عن إعمال الروية ومناسبة الواقع. ثالثاً — ببسط احوال النفس. والمعلوم ان ميزة الشاعر الابتداعي محاولتهُ الفرار من العالم الدنيوي الى العالم الروحاني

وانك لتجدنَّ كل هذه الصفات في شعر ايليا ولو لم تكن لكانت « الجداول » ديواناً جافًّا لطول تردد الفلسفة بين دفتيهِ ، فكثيراً ما يحدثك ايليا عن كرب نفسهِ وانقباض صدره ثم انظر اليهِ وهو يصرح لك في قصيدتهِ « انا » انهُ يعفُّ عن الشر والانتقام ويشد من عزم صديقه ويتجنب الخيلاء والطموح راضياً بما قسم له الله. ثم انهُ يقول في قصيدة « العوسجة »

وبنفسي الف معنى لم يضمن في كتاب (٢)

وهذا قول حق فلكل منا ولا سيما الشاعر معان مطوية لن ينشرها ناشر

ان ايليا شديد الاحساس حتى لانهُ يذوق اللذة في الحزن

انا من قوم اذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا (٣)

وان لهُ خيالاً جميلاً يخالطهُ شيء من الرقة

عصر الاسى روحي فسالت ادمعاً فلمحتها ولمستها في ادمعي (٤)

(١) ص ١٨ (٢) ص ٧٤ (٣) ص ١٦ (٤) ص ٨

ثم ان لهُ خيالاً يستمده من روعة الطبيعة التي يستأنس بها كما صنع من قبل ابن الرومي وابن المعتز وشعراء الانجليز « البحيريين » Lakistes ومن سلك مسلكهم من شعراء المانيا وفرنسا

— وليكُ الليل راهبي وشموعي الشهب والارض كلها محرابي (١)

— السحب تركض في الفضا ء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين (٢)

— ان لليل دموعاً لا تراها مقلتان (٣)

وربما اعتسف الخيال فركب رأسهُ فيهِ

غير انك تجد لابي ماضي مذهباً في الشعر غير المذهب الابتداعي . فانهُ كلفٌ بالشعر الرمزي Symbolisme (٤) كلف ابن الفارض به وكان هذا المذهب قد شاع في فرنسا قبل انتهاء القرن التاسع عشر .الا ان ابا ماضي كثيراً ما يتكلف المعنى في هذا الضرب من النظم فيقصر البيت عن اداء الفكرة فيعي القارىء عن استيضاحها. وشأن ابي ماضي في الغموض شأن شاعر فرنسي رمزي يقال له (اسطفان مالارميه) وكان مطالع ديوان الرجل يطرب لنغم الشعر وصوره مهملاً تفسير رموزه

***

دعني بعد ما بسطت لك فلسفة الشاعر وشاعريتهُ اطلعك علي ما راقني في ديوانه من معان وصور لا تخلو من جرأة في الابتكار

— ليكن بامر الحب قلبك عالماً في ذاته (٥)

— كان في صدري سرٌ كامن كالافعوان (٦)

— والغيم الاسود يحتشدُ طبقاً في الجو علي طبق

والليل يطول ويطرد والارض كسارٍ فى نفق (٧)

— فتشت جيب الفجر عنها والدجى ومددت حتى للكواكب اصبعي (٨)

— واجملهنّ (٩) الفراشات في الضحى لها كالاماني سكنة ووثوب (١٠)

— فتح الموت حين اغمض عينيــه عيونَ الورى على حسناته (١١)

(١) ص ٢٩ (٢) ص ٣٣ (٣) ص ٤١ (٤) كقصائده « العنقاء » « الاشباح الثلاثة » و« ريح الشمال » و « الحجر الصغير » و« ابن الليل » وغيرها (٥) ص ٣٧ (٦) ص ٤١ (٧) ص ٦٩ (٨) ص ٥ (٩) الضمير عائد الى فتيات القصر (١٠) ص ١٠ (١١) ص ٨٨

ومعنى هذا البيت قديم في صيغة جديدة حلوة الاستعارة. قال الشيخ ناصيف اليازجي

لا يحمد القوم الفتى الا متى   مات فيعطى حقه تحت البلى

الا اني استهجنت غيرها :

—يا صاحبيّ وفي حنايا اضلعي   همٌّ يكظّ الروح بل يدميها (١)

—ساعة في الخلاء خير من الا   عوام تقضى في القصر والاحقاب (٢)

وهذا البيت تشويه للبيت المشهور :

لبيت تنفخ الارياح فيهِ   احب اليّ من قصر منيف

٣ — الغزل

الغزل فنٌّ قائم بذاتهِ غير تابع للمذاهب الشعرية بل تابع لنفسية الشاعر وروح بيئتهِ . فاما غزل ابي ماضي فبضاعة قليلة جدًّا والسبب في ذلك اولاً انهُ منصرف الى الفلسفة والفلسفة علم جامد والغزل كلهُ عاطفة. ثانياً انهُ متزوج والزواج وان كانت عروتهُ الحب لا يتفق مع التشبيب .فان ضروب العشق غير واحد ولكنما احدها يوحي الشعر فقط وهو الذي انطق (هوجو) و(لامرتين) مع انهما متزوجان . واني إخال ابا ماضي بنجوة عن هذا الضرب فما لهُ في النسيب سوى قصيدة « تعالى » والغالب في ظني انها رمزية : يريد الحب ان نضحك فلنضحك مع الفجر

وان نركض فلنركض   مع الجدول والنهر

وان نهتف فلنهتف   مع البلبل والقمري

فمن يعلم بعد اليوم   ما يحدث او يجري (٣)

وهي كما ترى تهتف بالحب وتطمئن الى الطبيعة.واما نوع هذه القصيدة فاحد انواع الشعر الاغريقي القديم المعروف بشعر الرعاة Bucolique او شعر الغاب Pastorale وقد ذهب فيهِ ابن الرومي قليلاً واولع بهِ (اندريه شينيه) الشاعر الفرنسي فبلغ بهِ شأواً بعيداً ونحا نحوهُ (لامرتين) من دون تقليد في قصيدة أودعها روح عصرهِ السقيمة.ثم ان بين قصيدة (لامرتين) او بعضها وبين قصيدة ابي ماضي وجهاً من الشبه الا ان ايليا يبرز في القصيدة نفسها رجلاً ابيقورياً مبادراً كابي نواس الى اللذات:

تعالى نسرق اللذا   ت ما ساعفنا الدهر

وما دمنا وما دامت   لنا في العيش آمال (٤)

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٣٠ (٣) ص ١٩ (٤) ص ١٨

او ما يعرض لك وانت حيال هذين البيتين قول ابن الرومي :

فبادر الدهر بالمناعم واللذ ات واحذر من وشك مرتحل

او قول الشريف الرضي :

وبادر الى اللذات فالدهر مولع بتنغيص عيشٍ واصطلام علاء

٤ — المبنى

صبَّ ابو ماضي ما خطر لهُ من المعاني والصور والاستعارات في قالب بالاجمال عربي الحمد لله . على ان مدرسة اميركا غشيتنا لعشرين سنة مضت ومعظم انصارها يهملون اتقان العربية وها هم اليوم فطنوا أن التصانيف لا تخلد الا اذا حلا اللفظُ الفكرة وان اغفال اللغة والتهاون بقواعدها نقص وعيٌّ لا بدعة ومقدرة

فان ديوان ابي ماضي مصنف عربي ما خلا بعض سقطات لغوية (منها كسى، مُسَدل، مهاب، ارتهاب ، شاركهُ بهِ ، جزع لهُ وعليهِ بمنى، اوقظهُ، ضُمّن في الكتاب) وعدة تراكيب سقيمة مع شيء من القصور عن اختيار الالفاظ (أكان غنيًّا ام قويًّا ، واذا بالسرّ، وقت جميل، لا تراهُ مقلتان ، خرّ العصفور الى الارض ، املأ الكاس على ذكركم والمراد نخبكم، اوجد الله الحسن وتقول العرب كوّنهُ وسوّاهُ)

وفي الديوان ابيات معقدة واليك :

ما على من لا يطيق يرى نوّر الوادي او اكتأبا (١)

هذا وان المقطوع « قطرة الطل » افصح ما ضمتهُ « الجداول » . ثم ان ايليا تصرف في النظم تصرفاً لا بأس بهِ ولكنما لهُ زلات في الوزن تخلط الهزج بمجزوّ الوافر

٥ — الخاتمة

وختاماً ان ايليا ابا ماضي شاعر ملءُ جوانحهِ الشعور والاحساس لطيف الخيال وغريبهُ ، صاحب مذهب فلسفي مضطرب المبدأ واغرب من غريب خياله ، حديث الطريقة مقتبسها عن الفرنج منفرد بانشائهِ خارج فيهِ عن المألوف بعض الخروج حيناً وكلهُ حيناً آخر . بيد ان لهُ شخصية بارزة تستطيع ان تلمسها من خلال منظوماتهِ وان لم يكن له الا هذه السجية لحسبهُ لان الشعراء الذين يسمون شعرهم بنفسيتهم معدودون عندنا واني اعرف جلهم ولكن اهل الادب يستخفون بدواوينهم لطول عهدهم بغيرها ولقصر باعهم عن الاتيان والله بمثلها مصر الجديدة ادوار فارس

(١) ص ١٥

الصحافة في اليابان

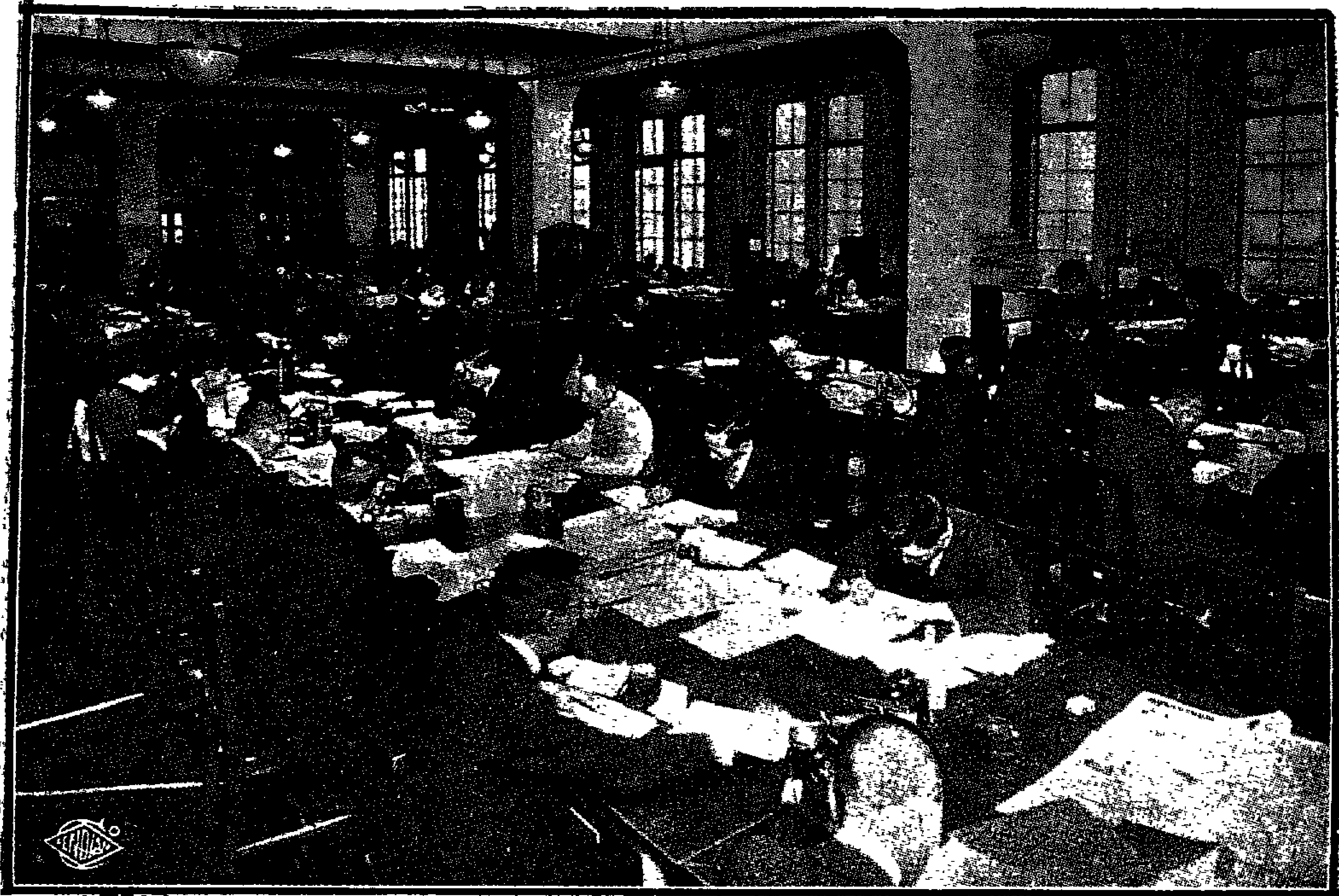
تضاهي صحافة أرقى الامم الغربية

صحافة كل شعب مرآته، تقرأ بين سطورها احواله وتلمس في عباراتها آماله وترسم من اخبارها صوراً حية من حياته الفردية والاجتماعية

وهي كذلك قوة من قوى العمران الحديث. لكنها لا تكون قوة نافعة محترمة الجانب في بلاد راقية ولا تستطيع ان تقود رأياً عامًّا مستنيراً في شعب ناهض ما لم تعتمد في كل ما تكتبهُ وتنشره وتبديهِ من الآراء على القول المخلص الناتج عن الروية والعلم، والعاطفة الشريفة يلطفها العقل الراجح والحكم المعتدل، والبداهة المصقولة بالاختبار، والاستقلال القائم على السعي في سبيل النفع العام

كنا نحسب ان صحافة تتصف بهذه الاوصاف عنقاء مغرب، على أننا عرفنا في زيارتنا الى الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاث سنوات والى بلاد الانكليز في الصيف الماضي أن في كلا البلادين صحفاً سائرة في السبيل السوي لتحقيق هذه الغايات الرفيعة. وقد اطلعنا الآن على مقالة عن الصحافة في اليابان نشرتها مجلة آسيا الاميركية وكتبها احد الصحافيين اليابانيين الذي ماشى ارتقاء الصحافة في بلاده فدهشنا لما اصابتهُ صحف اليابان الكبرى من رقي وانتشار وما لها من اثر في تهذيب الامة اليابانية وترقيتها. ولدى المقارنة وجدنا إن صحافة الولايات المتحدة وانكلترا لا تفوقها في شيء. فآثرنا ان ننقل خلاصة هذه المقالة الى قراء المقتطف دليلاً على ما بلغتهُ امة شرقية من الرقي في ناحية من الحياة الاجتماعية تحسب من اكبر النواحي مقاماً في العمران الحديث. قال الكاتب

كان من اصعب الامور عليَّ ان اقنع كثيرين من اصدقائي الاميركيين المتعلمين ان لدينا في اليابان صحفاً راقية يبلغ ما تطبعهُ الصحيفة منها نحو مليوني نسخة في اليوم مع انها لا تعالج في ما تعالجهُ من المباحث الا الموضوعات الرزينة من مالية وسياسية وادبية وغيرها ضاربة صفحاً عن اساليب الصحافة الصفراء التي تعمد الى قصص الجرائم والطلاق وغيرها فتنشرها في صفحات الجرائد الاولى طلباً لسعة الانتشار. ويزيد ارتيابهم في قولي حين اقول لهم ان دخل احدى هذه الجرائد يبلغ نحو ١٢ مليون ريال في السنة او نحو مليونين ونصف مليون من الجنيهات نحو عشرها ربح صافٍ



احدى غرف التحرير في جريدة « طوكيو نيشي نيشي »

لاحظ كثرة المحررين وانتظامهم واتقان الغرفة من حيث ترتيب المقاعد والنوافذ والمصابيح الكهربائية

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣١٨

ومنشأ هذه الريبة ان مساحة بلاد اليابان لا تزيد على مساحة ولاية واحدة من ولايات اميركا كولاية كاليفورنيا . وسكانها ٦٥ مليوناً مع انسكان الولايات المتحدة الاميركية يربون على ١١٥ مليوناً . فكيف يتاح لهذه البلاد الصغيرة اذ قيست مساحةً وسكاناً بالولايات المتحدة الاميركية صحف تفوق اكبر الصحف الاميركية اليومية سعة انتشار ؟ ومع ذلك ففي اليابان ١١٣٧ صحيفة يومية و٢٨٥٠ صحيفة اسبوعية وشهرية ومجموع ما يطبع من الصحف اليومية ويوزع على قارئيها يبلغ عشرة ملايين نسخة في اليوم او نسخة واحدة لكل ستة من السكان

والسرُّ كل السر في ذلك هو انتشار التعليم في كل طبقات الشعب . فقد قدر ان ٩١ في المائة من طلاب المدارس الابتدائية في اليابان ينتظمون في سلك المدارس الثانوية وقد بلغ عدد المدارس في اليابان من ابتدائية وثانوية وعالية نحو ٤٤ الف مدرسة يبلغ عدد طلابها في السنة ما يربي على عشرة ملايين طالب ونصف مليون

وزد على ذلك ان اليابانيين يقبلون على المطالعة اقبالاً لا مثيل لهُ في ما أعلم . ففي سنة ١٩٢٥ طبع ونُشر في اليابان ١٨٠٨٢ كتاباً مختلفاً تتناول كل فروع العلم والفلسفة والادب واستورد تجار الكتب من الكتب الانكليزية والاميركية والفرنسوية والالمانية والصينية ما قيمتهُ نصف مليون جنيه فبيعت كلها . وكل اصحاب الصحف في اليابان يعرفون حق معرفة ان طابعي الكتب وناشريها والمتجرين بها هم اكبر المعلنين في اليابان ينفقون نفقات طائلة للاعلان عن كتبهم ولا يدانيهم في كثرة الاعلان اصحاب تجارة أخرى .

فكثرة طلاب العلم وحب اليابانيين للمطالعة واقبالهم عليها هي اكبر العوامل في سعة انتشار الصحف اليابانية

***

لقد مرَّ بنا ان عدد النسخ التي تطبع من صحف اليابان اليومية يبلغ عشرة ملايين ويربي عليه . ونحو نصف هذا العدد تطبعهُ عشر صحف كبيرة تصدر في طوكيو وأوساكا أكبرها جريدتان تابعتان لشركة « اوساكا ماينيشي » أولاها تدعى « اوساكا ماينيشي » تطبع نحو مليون وثلاثمائة الف نسخة في اليوم والثانية تدعى « طوكيو نيشي نيشي » ويطبع منها ٨٠٠ الف نسخة في اليوم . ويليهما جريدتان تابعتان لشركة « اوساكا اساهي » احداهما تصدر في اوساكا وتدعى اوساكا اساهي والثانية

تصدر في طوكيو وتدعى « طوكيو اساهي» ومجموع ما يُطبع منهما مايونا نسخة في اليوم . ولا اعرف في ما عرفتهُ عن الصحافة الغربية جريدة تفوق « الاوساكا ماينيشي» في سعة انتشارها الا جريدة الديلي ميل بلندن وجريدتي الجورنال والبتي باريزيان في باريز واذا حسبنا ان جريدة طوكيو اساهي ليست الا طبعة اخرى من جريدة اوساكا اساهي فلا نعلم جريدة اخرى توازيها في سعة انتشارها . ويلي هـذه الصحف الاربع ست صحف يتباين عدد النسخ التي تطبع من كل منها يومياً من نصف مليون نسخة الى مائة الف نسخة

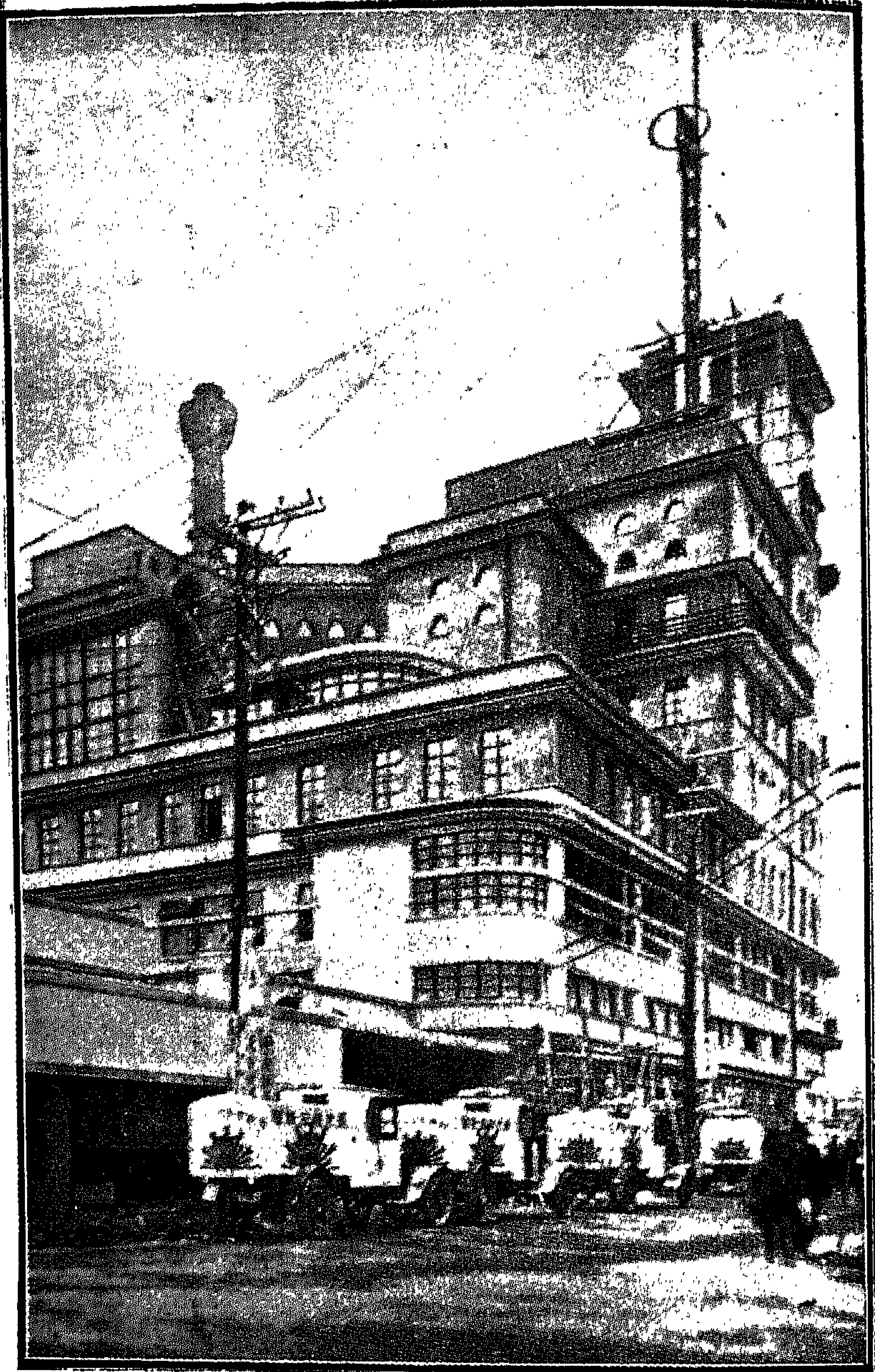
وفي اليابان صحف انكليزية اكبرها واوسعها انتشاراً جريدة تنشرها شركة « اوساكا ماينيشي » تصدر في ثماني صفحات وأخرى يصدرها نفر من الاميركيين في طوكيو تدعى « المعلن الياباني » واكثر انتشارها بين الجوالي الغربية ولأحد الانكليز جريدة تدعى « كوبي كرونيكل » ينتقد بها اعمال الحكومة . وهناك جريدة اخرى تدعى « طوكيو تيمس » كانت قبلاً بوقاً للحكومة تنفخ فيه ما تشاء ومتى تشاء ولا تُعلم علاقتها بوزارة الخارجية الآن

***

وأشد الصفحات غرابة في تاريخ الصحافة اليابانية وأبعثها على الاعجاب وأدلها على تقدمها هو تاريخ المنافسة بل قل تاريخ الحرب السلمية الصامتة بين شركة « اوساكا ماينيشي » وشركة « اوساكا اساهي »

فمنذ ست سنوات شيدت شركة أوساكا ماينيشي بناية فخمة من خمسة ادوار انفقت على تشييدها ربع مليون جنيه وقيل حينئذ انها من اكمل المباني الصحافية في العالم وتبعتها جريدة طوكيو نيشي نيشي وأقامت بناية في طوكيو اصغر منها حجماً ولكنها تفوق كل مباني طوكيو الصحافية سعةً ونظاماً وفخامةً وجريدة طوكيو اساهي على وشك ان تنتقل الى بنايتها الجديدة في طوكيو وهي على مقربة من محطة السكة الحديد الكبرى وتتألف من ثماني طبقات وقد انفقت على اقامتها ٣٠٠ الف جنيه

وفي سنة ١٩٢٤ بعثت جريدة الماينيشي بطيارتها المائية في رحلة جوية حول جزائر اليابان فهبت جريدة « اوساكا اساهي » وبعثت طيارة على حسابها من طوكيو الى باريس وقد ابتاعت جريدة الماينيشي في السنتين الاخيرتين خمس طيارات تنقل بها ما تحتاج الى نقله بين مكتب طوكيو ومكتب اوساكا من الانباء والصور وغيرها فشاءت



بناية طوكيو اساهي وهي من اهم صحف اليابان وامامها السيارات لتوزيع الجريدة
مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

- امام الصفحة ٣٢٠

جريدة اوساكا اساهي ان تناظرها في ذلك فاشترت طيارات وانشأت بريداً جويّاً منتظماً للحكومة بين مدينتي اوساكا وطوكيو وبين طوكيو وسنداي

والمزاحمة الشديدة بين الجرائد تعود بالفائدة على الجمهور . لانهُ اذا اصدرت احدى هذه الصحف طبعة مسائية منها ووزعتها مجاناً على المشتركين تبعتها الاخرى وفعلت فعلها . واذا أصدرت احداها ملحقاً محليّاً في القرى والارياف حيث يكثر انتشار الجريدة فعلت الاخرى فعلها . واصدار الملاحق مما تمتاز بهِ الجرائد اليابانية فجريدة المايبنيشي مثلاً تصدر في اليوم ١٣ ملحقاً تنشر فيها بعض الاخبار المحلية . وهذه الملاحق تصدر في بلدان الارياف وتحتوي على ما يهم القراء في هذه البلدان. وما ينشر من الاخبار في بلدة ما لا ينشر في ملحق يصدر في بلدة اخرى. وكل هذه الملاحق توزع مجاناً على المشتركين وزد على ذلك ان المشتركين في المدن الكبيرة كطوكيو واوساكا وغيرهما تصلهم الملاحق التي تطبع وتنشر في الحوادث الكبيرة كنشوب حرب او حدوث زلزال او تفشي وباء او موت الامبراطور.وقد يكون الملحق الياباني قطعة ورق صغيرة لا تحتوي الا على خبر موجز فيحملهُ باعة الصحف وينطلقون في الشوارع ينادون حتى لتحسب انك في يوم الحشر فتشتري نسخة رغماً عنك لئلاّ ينتهي العالم وأنت لا تدري

ولما كانت المزاحمة شديدة كما تبين لك وجب على اصحاب الصحف ان ينفقوا نفقات طائلة في جمع الاخبار من كل انحاء العالم . فقد انفقت شركة اوساكا مايبنيشي وطوكيو نيشي نيشي اربعة واربعين الف جنيه على جمع أخبار الزلزال الياباني الكبير الذي حدث في سبتمبر ١٩٢٣ سواء كانت تلك الاخبار مقالات أو صوراً فجردت جيشاً من المخبرين والمصورين لنقل الاخبار والصور من مختلف الانحاء التي اصيبت بفواجع الزلزال الى اوساكا لان اسباب المواصلات والمخاطبات كانت قد تعطلت — ولما كانت البلاد تمور بفعل الزلزال كانت هذه الشركة قد بعثت اخبار الفاجعة وصورها الى انحاء البلاد حتى الى كوريا وجزيرة فورموسا وبعض هذه الصور كان من قبيل الصور المتحركة

وزد على ذلك فان جريدتي المايبنيشي والاساهي لا تعتمدان كل الاعتماد على السكة الحديدية او الطيارة او سلك التلغراف . فقد تقع الطيارة وتتحطم وقد يصطدم القطار بقطار آخر وقد تنقطع اسلاك التلغراف فيؤخر ذلك كلهُ وصول الاخبار الخطيرة وسرعة نشرها . لذلك ترى اصحابهما حافظين عدداً كبيراً من الحمام الزاجل فيسير الحمام مع مخبر ذهب لوصف حادثة خطيرة او مع طيار يحمل في طيارته اخباراً او صوراً كبيرة الشأن

فاذا حدث للمخبر او للطيار ما عاقهما عن القيام بمهمتهما حمّلا الحمام رسالتهما فينقلها الى مكتب الشركة في اوساكا

وادلُّ الحوادث على ما بين هاتين الشركتين من المزاحمة وما بلغتاهُ من العناية في توقع الاخبار الخطيرة والاسراع في نقلها ونشرها ، حادثة جرت حين اذيع في اليابان في سنة ١٩٢٦ ان امبراطورها في حالة النزع . ففي شهر اغسطس من تلك السنة فلما بلغت صحة الامبراطور مبلغاً خطراً استأجرت كل من هاتين الشركتين دارين على مقربة من قصر الامبراطور واخذتا تحشدان فيهما المخبرين كأن الدارين مركزان لقيادة جيشين يستعدان لمعركة فاصلة. فاعدَّت كل من الجريدتين المعدات اللازمة من تلفونات وآلات تصوير وحمام زاجل وموتوسيكلات وطيارات. وبلغ عدد المحررين والمخبرين وغيرهم من جريدة الاساهي ستين شخصاً في دسمبر . ولم يكن رجال الماينيشي اقل من ذلك. وكل ذلك لكي تسبق احدى الجريدتين مزاحمتها في نشر خبر وفاة الامبراطور . وهـذا يدلك ايضاً على ما يعلقهُ الجمهور الياباني من الشأن الكبير على اخبار الاسرة المالكة

اما عدد المحررين والمخبرين وغيرهم من موظفي قسم الادارة والطبع والنشر وغيرها فيبلغ الفين واربعمائة وخمسة وستين موظفاً في شركة الاوساكا ماينيشي التي تصدر جريدتين يابانيتين وجريدة انكليزية وبضع نشرات دورية من هؤلاء ٤٠٥ كتاب في قلم التحرير و٣٦٠ في قسم الادارة و١٢٠ في مكاتب الجريدة المنتشرة في الارياف و٨٥٨ في قسم الجمع والطبع و٤٥٧ للخدمة و٢٥٦ في قسم الترحيل والبوستة. والبناية التي يقيم فيها اكثر هؤلاءِ كبيرة تشتمل على مطعم ومخزن حلاق وغرف حمام ومرصد وبهو لالقاءِ الخطب ومكتبة واسعة وغرف لاستقبال الزائرين . هذا عدا اقسام التحرير والجمع والطبع والادارة. وينتظر ان تكون بناية طوكيو اساهي افخم من بناية المايينشي واحدث طرازاً

اما طريقة جمع الاخبار في الصحافة اليابانية فشبيهة بالطريقة الاميركية والاوربية. ذلك ان هناك شركات عملها جمع الاخبار بواسطة مراسليها ومكاتبيها كشركة روتر وشركة « الاسوشيتتد برس » وكل جريدة تشترك في احدى هذه الشركات يحق لها ان تنشر الاخبار التي تجمعها . وللصحف الكبيرة مراسلون ينقطعون لمراساتها ولها مراسلون يابانيون في اكبر مدن اوربا واميركا واسيا لان اصحاب هذه الجرائد يؤثرون نشر الاخبار المهمة كما يراها ابناءُ بلادهم لا كما يراها ابناء الغرب . ولكن الصحف اليابانية تقدّم الانباء اليابانية بوجه عام على الانباء الدولية

العلم والدين

١

خطبة اسقف برمنغهام في دير وستمنستر

على اثر الخطبة النفيسة التي خطبها السر ارثر كيث في مجمع تقدم العلوم البريطاني وعرض فيها لمذهب داروون في اصل الانسان فايدهُ ، حاول بعض الكتاب ان يثير حول الموضوع عجاجة النزاع القديم بين العلم والدين . الا ان رئيس اساقفة برمنغهام خطب في دير وستمنستر خطبة ضافية في هذا الموضوع كان لها صدى كبير في اندية المفكرين ومحافلهم نقتطف منها ما يلي قال : —

ماذا اقول لابناء هذا العصر ؟ أأقول لهم تعلقوا باهداب المعتقد القديم ؟ كلا بل اقول لهم اطلبوا الحق . تهللوا لانكم ابناء عصر من اعظم العصور مقاماً في التاريخ من حيث ارتقاء العلوم . رحّبوا بالمكتشفات الجديدة واحترموا مكتشفيها . ولكن اذكروا ان وراء كل هذا التقدم لا نزال نرى ستاراً كثيفاً يغشى كل مسائل الحياة الاساسية فيحجب عنا حقيقتها . فعليكم ان تقتربوا من هذه المسائل وملء قلوبكم ايمان رائدهُ العقل . واني لارتاب كل الارتياب ان كان ايمانكم حينئذٍ يختلف عن ايمان الرجال الذي وعظوا او سجدوا في هذا المعبد

اما فيما يتعلق بالخطبة التي خطبها رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني فماذا يجب ان نفعل ؟ ماذا يجب ان يكون موقفنا ازاء مذهب النشوء . انستر الحقائق الواضحة بستار كثيف من الجدل يحجبها عن انظارنا ؟ انكم لاتستطيعون ان تتجاهلوا هذه الحقائق وتكونوا من ابناء هذا العصر النيّر

أيجدر بنا ان نخلق في عقول الناس ريباً حيث لا مجال للريب ؟ انحوّل تاريخ المعتقد المسيحي لكي نستنبط منهُ ما يمكننا من القول بان مذهب داروون ليس جديداً ؟ ام يجدر بنا ان نستقبل الحقائق الجديدة مقرّين بان بعض الآراء التقليدية في المعتقد المسيحي يجب ان ينالها بعض التغيير ؟

اني اعتقد ان السبيل الاخير هو سبيل الحكمة والرشاد . فلنستقبل الحقائق كما يثبتها البحث العلمي غير هيَّابين ولا وجلين . ان بين رجال العلم اتفاقاً على ان الانسان

ارتقى من اصل قردي وقد يكون ارتقاؤهُ بدأ منذ مليون سنة من اصول قردية متصل بعضها ببعض . أخذت هذه الاصول الحيوانية تتغير وترتقي في نواحٍ مختلفة وكان معظم هـذا التغير في الانسان في دماغهِ وخصوصاً في مراكز تداعي الافكار . ففاق بذلك سائر الحيوانات التي تمتُّ اليهِ بصلة . وكان ارتقاء بعض القرود من نواحٍ اخرى غير الناحية التي ارتقى فيها الانسان . فنشأ كذلك الشمبانزي والغورلاّ والاورانغ أوتان فكانوا ابناء عم الانسان الادنين . ومهما كانت وجوه الاختلاف بين العلماء على الوسائل التي تمَّ بها هذا الارتقاء فلا يختلف اثنان من الذين تؤخذ اقوالهم حجة في ان النشوء حقيقة راسخة . ورأي داروين في ان الانسان نشأ من اصل قردي قد ثبت وتأيد بعد ما مرَّ عليهِ نصف قرن من الزمان

***

ولا يسعنا اثبات ترجمة الخطبة بحذافيرها على ما كان لها من الشأن الكبير لانها ضافية لا يتسع لها نطاق هذا الجزء وانما نقتطف منها اهمَّ ما جاء فيها من الاقوال

* لقد اثبت البحث البيولوجي ان نزغات الشرّ في طبيعة الانسان امور فُطِر عليها وورثها عن اسلافهِ . والواقع ان الانسان حيوان أخذ في الارتقاء ارتقاءً عضويًّا وروحيًّا لا اله هبط من حالة كان فيها مثالاً للطهارة والتقى . وان ارتقاءه الروحي أعظم مميز لهُ عن سائر الحيوانات التي تسير معهُ في ميدان الحياة

* علينا ان نسعى وراء الحق ومتى كشفنا حقيقة جديدة يجب ان لا نتردد ولا ان نتألم في نبذ معتقد قديم مضاد لها . فاذا حدث ذلك صاح قوم ان الايمان في خطر يهددهُ . على ان درسي للتاريخ كما افهمهُ يدلني على ان الايمان يكون في خطر حينما تُعقل الافكار وتلجم القرائح فلا تستطيع النهوض والسير في ميدان التقدم والارتقاء . ويقول البعض يجب ان نحتفظ بالحقائق المسيحية كما تبدو في معتقداتنا . اني لا اعلم انواعاً مختلفة من الحق . ويقول آخرون ان الآراء الجديدة كفر والحاد فنجيب هؤلاء ان كفر اليوم قد يكون معتقد الغد الراسخ

* ان المسيحيين الذين لا يخيفهم شبح التقاليد الدينية القديمة يرون ان لا نزاع بين مذهب النشوء وتعاليم المسيح . لان الله يستطيع ان يظهر قدرتهُ في اعمال النشوء البطيئة كما يستطيع ان يظهرها في اعمال الخلق التام المنفصل

٢

وليست هذه المرة الاولى التي صرَّح بها اسقف برمنهام برأيهِ في هذا الموضوع. فقد بعثت اليهِ مجلة ناتشر منذ سنتين تسأله رأيهُ في مسألة محاكمة سكوبس (الاستاذ الاميركي الذي حوكم في ولاية تنيسي الاميركية لانه خالف قانونها وعلّم مبادىء مذهب النشوء والارتقاء لتلاميذه في مدرسة من مدارس الحكومة) فكان ردّه كما يأتي :

ان التعصب القائم على الجهل الذي حدا ببعض الولايات الغربية من الولايات المتحدة الاميركية الى منع التعليم بمذهب النشوء في مدارس الحكومة تعصب ذميم . واني لاربأُ بنفسي كرجل يقدر الحرية الفكرية عن ان ارى جماعة انجلو سكسونية تحاول ان تمنع نشر المعارف بالتشريع . واحزن شديد الحزن كمسيحي صميم حين اشاهد حركة غايتها مقاومة الوصول الى قاعدة معقولة للدين المسيحي . ان الادلة الثابتة المتجمعة اقنعت كل عالم بيولوجي يُؤبه لهُ في العالم المتمدن بأن الانسان نشأ من اصل شبيهٍ بالقرد . وكل مسيحي متنور في بلاد الانكليز يعتقد ان النشوء هو الاسلوب الذي جرى عليهِ الله في خلق الانسان .وكل لاهوتي معروف هنا يسلّم بصحة هذا الرأي . ان هذا التسليم يعزز مقام المسيحية لانهُ يجعل الاساس الروحي الذي نستمدهُ من السيد المسيح اساساً معقولاً الى حد الاقناع

مهما بالغنا في العنت والسفسطة لم نستطع ان نحوّل جانباً من تعاليم السيد المسيح على ما هي مثبتة في العهد الجديد حتى نستخرج منها رأياً يقول بان ما ذكر في سفر التكوين عن الخلق صحيح بحرفهِ . لقد نسي الاصوليون ان الكتاب المقدس كنز من الحقائق الروحية لاكتاب علم للتدريس . لقد نسوا المعتقد المسيحي القائل ان الروح القدس لايزال يبعث الناس على ان يوسعوا افهامهم لكي يدركوا الحق . انهم يخافون خطأً ادراك الحق لان ذلك في رأيهم يضعف المعتقد المسيحي المبني على الوحي. والنتيجة الوحيدة التي لابدَّ ان تنتج عن مقاومتهم للعلم باسم الدين هي اغراء الوفر من طلبة المدارس الاحداث بالتخلي عن المسيحية حاسبين خطأً انها مرتبطة كل الارتباط بالجهل والغباوة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية افضل من المعالجة

القيت في المستشفى الانكليزية

ان اول الاعمال الصحية العمومية التي ظهرت بشكل منظم ونمت مع العلم في نموه واتسعت مع اتساع نطاقه هي التي انشأها الطليان في مدينتي البندقية (ڤينيس) وجنوى في القرون الوسطى ايام كانت تجارتهم زاهرة رائجة في الشرق وكانت الافكار في احتمال العدوى بالملامسة تتراوح بين الشك واليقين . ولكن الخوف والميل الغريزي المفطور عليه عالم الاحياء لدفع الضرر والرغبة في البقاء . عوامل ثلاثة ، الخوف ودفع الضرر والرغبة في البقاء اخرجت فكرة الوقاية بصورة مجلس صحي صار تأليفه من نبهاء الامة واطلق عليه اسم الكورنتينا . وفي سنة ١٥٤٦ اي بعد ظهور مجلس الكورنتينا بقليل نشر جرانيمو رسالة ضافية في مدينة البندقية (ڤينيس) عن الامراض المعدية والشفاء منها وقسّم العدوى فيها الى ثلاثة اقسام (١) العدوى التي تنتقل بالملامسة والاحتكاك والملاصقة (٢) العدوى التي تنتقل بواسطة وسيط (٣) العدوى التي تنتقل بالهواء . وفي سنة ١٦٥٩ وصف لوتهويك اول مشاهدة للاجسام الصغيرة وقال عنها في سنة ١٦٧١ ان كثيراً من الامراض المعدية ناشئة عن هذه الاجسام الدقيقة ويراد بهذه الاجسام الجراثيم والميكروبات . وللسيدة ماري مونتاجو فضل السبق في اول محاولة نجحت في اجراء عملية التلقيح الصناعي في اوربا فانها اظهرت للشعب الانكليزي في لندن بين سنة ١٧١٧ وسنة ١٧٢١ طريقة تحضير المادة الجدرية والتلقيح بها للوقاية من داء الجدري . ولم يقف هذا العلم عند هذا الحد بل نما نموّاً باهراً واصبح الركن الاساسي بما ادخل عليه من العوامل واضيف اليه من المكتشفات العلمية في مكافحة الامراض والادواء بما لو عنيتُ بتفصيله الآن لاستغرق عشرين ضعفاً من الوقت المحدد لهذا الاجتماع . ولذهب بصبركم واثار عليَّ حلمكم . لذلك اكتفي بهذا التمهيد

الوجيز الذي قضى بهِ الموضوع وانتقل الى التحدث اليكم عن المبادىء العملية لعلم الوقاية. وانت تعلم يا اخي ان ما تكابدهُ من العناية وتبذلهُ من المال في سبيل الوقاية من الامراض هو اقل كثيراً مهما عظم قدره من النفقات التي تتكبدها على التداوي والمعالجة فضلاً عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض اعضائهِ. يتضح لك هذا الامر اذا تصورت عدوًّا قادماً عليك يريد ان يغتصب منكَ ما تملكهُ من مال ومتاع فهل تنتظرهُ حتى يصل اليك ويمدُّ يده الى متاعك فتنهض عندئذٍ للدفاع عن ملكك وكيانك ام تعد عدتك وتستعد للقائهِ قبل ان يشرف عليك . أوَلا ترى انهُ اسهل عليك بكثير مقاومتهُ ودفع اذاهُ وانت مستعدٌّ لهُ منك وانت على غير استعداد ؟

ارأيت هذا المكان الذي يضمنا سقفه وتحيط بنا جدرانه . انهُ قائم على اركان لولاها لما قام بناؤه ولما عرف له شكلهُ الحاضر ؟

هل درست اسباب وضعه على اسس صحيحة خالية من الغش وهل فطنت وانت تدرس اصول البناء للآية الكريمة في الانجيل ان العاقل من بنى بيتهُ على الصخر فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لانهُ كان مؤسساً على الصخر ، والجاهل من بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً ؟

هذه الآية تعزز مقام علم الوقاية الذي اريد ان احدثكم عنهُ هذا المساء. ومن الخطإِ القول بأن ارتقاء هذا العلم لا يتناول غير نظام الصحة والجسد فان اصوله ومبادئهُ تنطبق على نزعات الجسم والنفس جميعاً . ولك في هذا البناء شاهد جلي على صواب القول المأثور ان درهم وقاية خير من قنطار علاج . فلو عقل ذلك الجاهل عند ما همَّ بتشييد بيتهِ فوضع اساسه على الصخر اسوة بأخيه العاقل لما فقد بيته وخسر ماله وتعبه فضلاً عن نفسه . ولك يا اخي ان ترسل نظرة اخرى في الاعمال التي يقوم احد معارفك بها مهما كان نوعها عظيمة كانت ام وضيعة فتستطيع ان تحكم على الرجل القائم بها في تأمل قصير الامد وتحكم ان كان من العاقلين او من الجاهلين. فان كانت ناجحة نامية سائرة في معارج التقدم اقبل عليها الناس واطمأنوا اليها وان كانت غير ناجحة وغير نامية لا تلبث ان تزول من الوجود آثارها وتندثر معالمها وترى النفور منها مجمعاً عليهِ من عموم من اتصل بها . وربما اعترض على هذا الرأي معترض بقولهِ اني ارى بعضهم ناجحاً في عملهِ موفقاً غنيًّا وهو ابله او ماكر او مخاتل

ومع وضوح هذه الصفات الساقطة فيه تجده موفقاً بمال وافر وسمعة حسنة . فرداً على قول هذا الاخ المعترض اقول ان وجود المال مع بعضهم لا يعني ان صفات الرجولة والمروءة والامانة والصدق قد تكونت في هؤلاء البعض ، وما كان المال في يوم من الايام ولا في زمن من الازمان مقياساً صحيحاً لاقدار الرجال وانما الرجال تقاس اقدارها باعمال عملوها فاخلصوا لها وحذقوها ووفوها حقها من المهارة والامانة . وانت مهما كان عملك صغيراً امام عمل جارك فقد تكون بهِ اعظم منهُ اذا ما اخلصت لهُ واكبر منهُ فائدةً واحسن نتيجةً اذا ما تممتهُ بالامانة والصدق

ولا تنسَ الآية الكريمة او لا تغفل عن القاعدة الكبرى لعلم الوقاية ودع جارك يعمل ويظهر بمظاهر النجاح والتوفيق فانما توفيقه الى حين وانتظر الزمن فهو خير من حكم للعاقل انهُ عاقل وللصادق انهُ صادق او على الجاهل انهُ جاهل وعلى الكاذب انهُ كاذب

ويجب ان تعلم يا اخي ان من عمل لغاية على غير قاعدة «العمل للعمل» كان نصيبه الفشل ولو بعد حين . واذا رغبت في شاهد آخر على صدق هذا القول النافع تجدهُ في النملة الدقيقة في جسمها الحكيمة في عملها ، انها تسعى في جمع قوتها في فصل من فصول السنة دلها الاختبار انها تحصل عليهِ فيه لا في سواهُ من الفصول فتراها غادية جماهير وزرافات في تحصيل هذا القوت الضروري لحياتها مدى السنة كلها وتراها عائدة به الى مقرها وهي آمنة عوادي الاهواء والامطار والتضامن رائدها والاتحاد عقيدتها لا احزاب ولا غايات تفصل بينها. وكما رأيت من درسك لهذا البناء انه قائم على اركان ثابتة قوية الدعائم كذلك رأيت ان هذه الاركان ما جاءت عبثاً بل احكم البنّاء وضعها على قاعدة سليمة من الغش في المواد التي استخدمها في تشييدها وتثبيتها وبقدر ما اخلص في وضعها على اسس صحيحة يكون حد ثباتها وبقائها

كذلك الانسان المخلوق الناطق. لقد منحهُ الله عزّ وجلّ جسماً مركباً من اعضاء رئيسية واخلص عنايتهُ في هذا المنح فجاء الانسان تام الخلق صحيح الجسم سليم البنية وهذا الجسم البشري الذي تتخذه احياناً آلة للشر وحيناً للخير انما وجد ليكون مطية تمتطيها ايها الانسان في سبيل الانسانية الواسع ، في رقي البشرية ، في الاعمال النافعة الخالدة

وهو مركب من عناصر معروفة بانواعها وجواهرها وميزاتها ولكن لا يزال هذا

التركيب في مجموعهِ غامضاً في دقائقهِ عن افهام الناس جميعاً وما ذلك الا لكونه من عمل الخالق القدير وقد شاءت الحكمة الالهية التي وضعتهُ سليماً من الامراض ان تجعل له مطامع ومنازع وشهوات وهذه المطامع والمنازع والشهوات اوجدت الامراض والادواء تهدد سلامتهُ وصحته وتفسد عليهِ الطمأنينة على بقائه ولو الى زمن قصير خالياً من عوادي الجراثيم والميكروبات . فنشأ لهذه الاسباب علما الوقاية والعلاج وعلم الوقاية اسبق من علم العلاج في الظهور بدليل ما نراهُ في الحيوانات والهوام كيف انها تحسن الدفاع عن كيانها ومكافحة العدو الهاجم عليها بكل وسيلة تملكها . ألم تشاهد قطة تبدي من الخوف قوة في مقاومة كلب رغب في مداعبتها والسخر منها كيف انها تنتفض وتقوس ظهرها ولو ملكت لرفعت جسمها الى ابعد ما تطول قوائمه وتستعين بتخويف الكلب بشخيرها وابداء انيابها والتحديق بعينيها . كذلك الطائر يخاف الحدأة والدجاجة ابنَ آوى وسائر الحيوانات يخاف بعضها بعضاً ويحتال بعضها على بعض في الهروب والدفاع عن نفسهِ منها. ولما كانت الحيوانات تساق بغريزتها الى الدفاع عن حياتها والفضل في ذلك عائد الى الطبيعة نفسها اذ انها قائمة على ناموس الاخذ والدفع وبقاء الاصلح في جميع تطوراتها كذلك ترى الانسان بفطرتهِ الاولى كان يحسن الدفاع عن نفسه ووقاية جسمه من تقلبات الجو الى حدّ ما وصل اليهِ فهمهُ واختبارهُ وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وادرك اليوم ما لم يكن يدركهُ من قبل واصبح علم الوقاية فنّاً عظيم الشأن جزيل الفائدة كما ترى تأثيره المفيد في معظم الامراض بل في جميعها . وهذا العلم يجب ان تنشر قواعده في كل مكان ويتناول منافعهُ كل انسان ويرفع لواءهُ كل فرد من امة تريد ان تحيا سعيدة وان يكون لها المقام المحترم بين الامم. وان امةً تنشئ بنيها على قاعدة صحية سليمة الاساس فتصلح البيئة لهم وتطهرها من جراثيم الامراض وتمحو اثرها منها بكل وسيلة علمية معروفة . وتجعل تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم امام جيوش الميكروبات مرمى ساميًا من اسمى مراميها وغرضاً من اجل اغراضها ، لهي الامة التي يحق لها ان تعيش وان يطيب لها العيش

وانت تعلم ان للجسم اعضاء رئيسية كبرى وثانوية صغرى ولكل عضو منها عمل خاص بها ولما كان لكل عضو وظيفة يقوم بها وحدهُ فهو من هذا الوجه حاصل على الاستقلال التام وحظهُ اوفر من حظ الشعوب الصغيرة التي تنشدُ الاستقلال وتتغنى بهِ فقط

ولكن لا تنس ان استقلال اعضاء الجسم انما هو استقلال ذاتي فهي تشتغل مستقلة ولكنها في مجموعها تعمل لمصلحة الجسم كله كما انها تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع ولها نظام تحترمهُ وتريد منك ان تحترمهُ لان الاخلال بهِ يشوّش على ذلك العضو عمله اولاً وعلى سائر الاعضاء ثانياً. فاذا اثقلت علي معدتك بالاكل الثقيل مثلاً والشرب اللذيذ واكلت من غير نظام ولا ترتيب ولا انقطاع اي استمريت في الاكل والشرب من غير ان تحسب ان لهذا العضو الامين نظاماً وان قوة محدودة على الهضم وان لهُ دائرة وحجماً لا يتعداها وليس في وسعهِ ان يتعداها، تكون النتيجة احداث الخلل في نظام الجهاز الهضمي والارتباك في وظيفتهِ وتشعرك المعدة بالم وتخمة وتحس بصداع وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف ونفور من اهلك ومعارفك وتصبح كأنك في عزلة تامة عن الناس جميعاً لا يشغلك عن الافتكار بمعدتك احد منهم. فقليل من العناية والنظام في نوع الطعام ومواعيده يقيك من هذا التعب ويدفع عنك اعراض التخمة وتظل معدتك علي ما وجب ان تكون عليه . ولو اقتصرت اضرار الاخلال بنظام هذا العضو على ما تقدم فقط لهان الامر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمتد اضراره الى ابعد من التخمة والتلبك وفي الغالب تجد ان من يهمل صحته او لم يكن لهُ نظام صحي في معيشتهِ يصبح عرضةً لامراض معدية عديدة فانهُ غالباً لا يهتم بنوع الطعام ولا بميعاد الاكل ولا يراعي القاعدة الذهبية في علم الوقاية وهي قبل ان تأكل او تشرب اغسل يديك ووجهك وفمك تدفع عنك اخطاراً عظيمة الشان، فمن يهمل شيئاً من هذا النظام كله تجدهُ غالباً شاكياً مريضاً لان في عدم غسل يديهِ قبل ان يتناول طعامهِ قد يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدتهِ ومنها تجد طريقها الى مختلف الاعضاء ويظهر تأثيرها بعد وقت قصير . ومن عوّد نفسهُ النظافة اراح جسمهُ وفكره من مشاق واهوال لا يدركها غير الخبير وارجو ان لا تكون اختبرتها

من العادات الشائعة في مصر كثيراً بين الرجال والسيدات علك اللبان واشغال الفم بهذه الحركة حركة المضغ الكاذبة ساعات طوال كأن هؤلاء يريدون ان يجردوا الغدد اللعابية والمعدية من جميع قواها ويستنفدوا منها مفرزاتها من غير ان يكون هناك باعث او عمل نافع يعود خيره على الجسم. ولقد خفي عليهم ان عملهم هذا يضر بالجهاز الهضمي كثيراً ولهُ اثر سيء في الجهاز العصبي، فضلاً عن انها عادة بعيدة عن الذوق

تعرض صاحبها لالتقاط الميكروبات السابحة في الهواء والغبار فتدخل جسمهُ وتعمل عملها الخاص بها . ورجائي ان تبطل هذه العادة ولو كان في ابطالها خسارة واقعة على اصحابها

ولا يذهب عن بالك ان للجسم جنوداً حمراء وبيضاء منوعة ولهذه الجنود اعمال تقوم بها بامانة واخلاص لا مزيد عليهِ لمستزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهي اشبه بالاساطيل التي تمخر عباب اليم والجنود الواقفة لحراسة الامة . انما قد يصدر عن جنود البر والبحر بعض التواني والقصور في اداء اعمالهم اما جنود الجسم واساطيله السابحة في دمك لا تعرف التواني ولا الخيانة فهي تحت السلاح وفي الخدمة في كل وقت لا هدنة ولا هوادة في عملها . فانك اذا اصبت بجرح في اصبعك رأيت ان هذه الجنود الامينة في حركة غير عادية هي اقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم وتشاهدها هاجمة على محل الاصابة خفافاً تبغي ان ترم الجرح ولذلك تراها تخرج منهُ بعد الاصابة على رغم ارادتها حتى يرسخ قدمها وتحتل مكان المعركة وبعد ان يتم لها ما تريده تتقدم الى ساحة النضال جنود بيضاء غرضها الدفاع عن هذه الساحة وان لا تدع احداً من الجراثيم والميكروبات ان يقيم فيها او يتطرق منها الى الجسم فتقوم معركة هائلة بين هذه الجنود وبين الميكروبات والغلبة تكون للاقوى كما هو منتظر فاذا كنتَ سليم الجسم صحيحه تراعي في معيشتك النظام الصحي فلا خوف على جنودك من التقهقر واذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء وتعرض جسمك لمتاعب غير لازمة فجنودك التي تدافع عنك تتعرض للفشل بلا محال . لذلك يقوم علم الوقاية بمراعاة الشروط الآتية :—

نم باكراً اغسل يديك وفمك ووجهك قبل ان تأكل وتشرب . لا تأكل اكثر من لونين من الطعام . لا تأكل بين طعام وطعام . اجعل لتغذية جسمك مواعيد احترمها وامش عليها . لا تَلُك بفمك اللبان . قبل النوم اغسل قدميك بماء سخن واغسل وجهك ويديك وفمك بماء بارد وارتدِ ثياب النوم واريد بثياب النوم غير الثياب التي ارتديتها في النهار فهذه يجب ان تبدلها كل يوم لان في تبديلها فائدة ان خفيت عنك لا تخفى عن جسمك فهو يستفيد منها ويشعر بالفائدة التي اكتسبها منها

مصر الدكتور شخاشيري

فوائد منزلية

عث الثياب — يجهل كثيرات من السيدات ان العث الذي يلحس الثياب الصوفية ونحوها من البسط والستائر اصله فراش يطير في البيت ويضع بيضهُ حيث يجد له غذاءً اذا صار دوداً . وهذا الفراش جناحاهُ المقدَّمان اسمران والمؤخران ابيضان وهو يفضل الظلمة على النور ودوده صغير ابيض لهُ رأس اسمر فاذا وضعت الثياب في كيس محكم من الورق او القماش القطني الجديد سلمت منهُ . واذا كان العث قد ضرب الثياب او خيف من وجود بيضهِ فيها او في الصناديق والخزائن التي توضع فيها عولجت بالبنزين اي برشهِ عليها او برش بي كبريتيد الكربون النقي مرة كل شهر او كل ستة اسابيع

لباس الاطفال — يجب ان يكون لباس الاطفال دافئاً لان قوتهم في توليد الحرارة ضعيفة كالشيوخ فيغطى جميع الجسد بالفلانلا الناعمة ويكون اللباس الخارجي من الانسجة الخفيفة الدافئة . ولا يجوز على الاطلاق تقميط الطفل وحصر اعضائهِ باحزمة واربطة تضيّق عليهِ وتحجزهُ عن الحركة المطلقة فبدونها لا يقوى الجسد ولا تشتد البنية

نوم الرضيع — يجب ان ينام الرضيع في سرير وحدهُ بعد الشهر الاول من عمرهِ واذا نام في الشهر الاول مع امهِ او مرضعهِ وجب ان يدار وجههُ عنها ولا يغطّى الوجه بشيء وان تكون ثياب النوم خفيفة واسعة ولا يحاط السرير بستائر ثخينة. والطفل الصحيح الجسم ينام في الشهر الاول والثاني اكثر الليل والنهار . ويجب ان لا يعطى منوّماً مهما كانت الحال الا بامر الطبيب.ولا بدَّ من الجري في نومهِ ويقظتهِ على اسلوب معيَّن حتى يعتاد ذلك ويصير ينام من نفسهِ كلما جاء ميعاد نومهِ

البصل المخلَّل — يستطيب البعض البصل المخلَّل ولهُ في بلاد الانكليز تجارة واسعة وهو يصنع هكذا : يقشر البصل ويوضع ليلة في ماء اذيب فيهِ ملح حتى صار البطاطس يطفو فيهِ . ويخرج من هذا الماء في الصباح ويغسل ويُغلَى الخلُّ الابيض الذي اضيف اليهِ قليل من الشب الابيض ويُصَب فوق البصل وهو غالٍ في اناء زجاجي ومتى بَرَد يسدُّ الاناء بسدادة زجاجية ايضاً

باب الزراعة

مركز سوق القطن

ومصير القطن المصري

يتعذّر على الكاتب ان ينبيء بالنتيجة التي تسفر عنها العوامل العديدة التي تعمل الآن في اسواق القطن في انحاء العالم ولا سيما ان جانباً كبير من هذه العوامل ليس طبيعيًّا بل منشأهُ المضاربة البحتة والتكهن بالغيب . ولو كان ناموس العرض والطلب جارياً في مجراه المقرر لكانت احوال هذه الاسواق غير ما نراه عليها الآن. فالعالم يحتاج في هذا الاوان الى نحو ٢٤ مليون بالة من القطن على الاكثر . والمنظور من القطن الاميركي ونعني بهِ المتخلف من المحصول السابق وما قبلهُ يقدّر من ٧ ½ مليون الى ثمانية ملايين بالة يضاف اليها المحصول الحالي وقد قدّرتهُ وزارة الزراعة الاميركية بنحو ١٢ ½ مليون بالة فيكون جملة الموجود من القطن الاميركي حوالي ٢٠ مليون بالة وهو ما لم يسبق لهُ مثيل في كبره من قبل الاّ في محصولين او ثلاثة . وبعبارة اخرى ان الموجود من القطن الاميركي الآن يزيد على حاجة العالم منهُ نحو خمسة ملايين او ستة ملايين بالة لان المقطوعية منهُ في المحصول الماضي بلغت ١٥ مليون بالة وهي اكبر مقطوعية عرفت حتى الآن من القطن الاميركي

نأتي الآن الى القطن المصري . فان المنظور منهُ وهو المتخلّف من المحصول الماضي والذي قبلهُ يبلغ نحو ٢٥٢٨٠٠٠ قنطار مخزونة في الاسكندرية وانكلترا وبلدان اوربا واميركا ومشحونة في البواخر. يضاف الى ذلك المحصول الحالي وهو يقدّر بنحو ستة ملايين قنطار فيكون مجموع الموجود كلهِ من القطن المصري حوالى ٨ ½ مليون قنطار مع ان كثيرين من كبار تجار القطن في الاسكندرية يقدرون هذا الموجود باكثر من ذلك وقد جعلهُ بعضهم نحو ٩ ٤٥٠ ٠٠٠ قنطار وقد كان الموجود منهُ في المحصول الماضي ١٥٦٨٧٠٠٠ قنطار وفي المحصول السابق ٩٣٧٥٠٠٠ قنطار. وكانت اكبر مقطوعية من القطن المصري حتى الآن في السنة الماضية اذ بلغت ٧ ٧٢٢ ٠٠٠ قنطار

ولكن متوسط المقطوعية منهُ في السنوات العشر الماضية لم يزد على ٦½ مليون قنطار تقريباً فيكون الموجود من القطن المصري في الوقت الحاضر زائداً على هذا المتوسط نحو مليوني قنطار . ولا يظن ان المقطوعية في السنة الحاضرة تبلغ شأوها في السنة الماضية لاسباب عديدة اولها ارتفاع اسعار القطن عن مثلها في السنة الماضية ما لا يقلُّ عن عشرة ريالات في القنطار علاوة على ان هذه الزيادة تتضاعف في الصناعة اضعافاً فتجعل اسعار المغزولات والمنسوجات من القطن المصري فوق طاقة كثيرين من المستهلكين فيقلُّ بذلك الطلب عليها . ثانياً رخص اسعار الحرير الطبيعي وعودتها الى ماكانت عليهِ قبل الحرب تقريباً . ثالثاً زيادة اتقان الحرير الصناعي حتى انهُ كاد لا يفرق عن الحرير الطبيعي ولاسيما المخلوط منهُ بالقطن، وشيوع استعماله ورخص اسعاره عن القطن المصري رخصاً نسبيًّا . رابعاً الاستعاضة من القطن المصري ولاسيما السكلاريدس منهُ باصناف اخرى من الرتب الرفيعة في صنع اطارات الاوتوموبيلات واجنحة الطيارات وسواها

***

فهذه الامور اذا جمعت معاً واضيف اليها منافسة السودان الشديدة لنا في القطن السكلاريدس جعلت مركز هذا القطن دقيقاً خلافاً للقطن الاشموني والزاجوراه والبليون فان هذه الاصناف تتبع في سيرها عادة سوق القطن الاميركي الاَّ فيما ندر

وقد اخذت منافسة السودان لنا تظهر جليًّا في نقص الصادرات في قطننا الى انكلترا من جراءِ اقبالها على شراءِ قطن السودان دون قطننا ولاسيما السكلاريدس منهُ

وهذه حالة لا علاج لها الا بامر واحد لا ثاني لهُ وهو ترخيص اسعار القطن السكلاريدس الى ادنى حد مستطاع وذلك بزيادة المحصول منهُ في الفدان الواحد حتى يعود الى ماكان عليهِ في اواخر القرن الماضي لما كان محصول الفدان يتراوح من خمسة الى ستة قناطير . فاذا وفقنا الى ذلك امنّا على محصول قطننا وعلى اكبر ركن من اركان ثروة البلاد ولم نعد نخاف من منافس

وقد وفّق احد الزراع في مديرية الشرقية الى انتاج ٥½ قنطار من قطن المعرض في المحصول الحالي رغماً مما انتاب زراعتهُ من الآفات الزراعية والتقلبات الجوية . ولا مفرَّ لنا من تنظيم شؤوننا الزراعية تنظيماً يزيل الفوضى الضاربة اطنابها فيها الآن . وذلك بان نقلل ما استطعنا من الايادي العديدة التي تعمل في تبويب اصناف قطننا

ومراتبها وبيعها وتصريفها وفي عدد الوسطاء الذين يربحون جانباً غير قليل من كسب الفلاح بما يمدونه به من التقاوي والسماد وآلات الحرث وسائر المعدات الزراعية على اختلاف انواعها وتوحيد ذلك كله في يد واحدة اذا كان في الوسع والا ففي أيد قليلة . وهذا لا يتيسر الا بانشاء نقابة زراعية كبيرة لها فروع في جميع انحاء البلاد او بان يتولى بنك وطني كبير كبنك مصر مثلا القيام بهذا العمل الى ان تنشأ النقابة المذكورة فان السبب الاكبر في تفوق السودان علينا وفي زيادة ربحه عنا من زراعة القطن وحسن تبويبه لاصناف القطن وسهولة تصريفه لها هو انه عُهد في ذلك كله الى شركة واحدة تتولى جميع هذه الاعمال من غير دخول وسطاء سواها بين المنتج والمستهلك من جهة وبين الفلاح والبنوك وتجار العروض من جهة اخرى

ونحن لا نحاول ان ندخل اليأس والقنوط على نفس فلاحنا النشيط وانما نبسط له هذه الحقائق حتى يعتبر بها ونحضه على الاجتهاد في الاقتصاد في الزراعة والتوسل باحدث المكتشفات والمخترعات لزيادة المنتج منها فان على هذه الزيادة وهذا الاقتصاد يتوقف ربحه وسهولة تصريف محصولاته . فقد نشطت بلدان كثيرة الى منافستنا في اعز محصول عندنا واذا نحن تقاعدنا عن مجاراتها في هذا المضمار سبقتنا فيه كما سبقتنا السودان وندمنا حيث لا ينفع الندم

باحث صغير

مقطوعية القطن في العالم

في السنتين الماضيتين

اصدر اتحاد القطن الدولي في آخر شهر اغسطس الماضي بيانات مفصلة عن مقطوعية القطن في العالم في العام الذي آخره ٣١ يوليو الماضي مع مقابلتها بمثلها في العام السابق. واول ما يستوقف النظر في هذه البيانات ان المخزون من القطن الاميركي في السنة الماضية زاد نحو خمسين في المائة على ما كان عليه في السنة التي قبلها في حين ان المخزون من القطن المصرى لم يزد سوى ١٠ في المائة تقريباً . وزادت مقطوعية الهند من القطن الاميركي ٨٠٠٠ بالة في السنة السابقة الى ٢٩٠٠٠٠ بالة في السنة الماضية ونقصت مقطوعية انكلترا من القطن المصري ١٧٠٠٠ بالة ولكن مقطوعية روسيا والمانيا منه تضاعفت عما كانت عليه في السنة السابقة

وقد بلغت مقطوعية العالم كله من القطن في العامين الماضيين كما يأتي بالبالة

	١٩٢٧	١٩٢٦
الاميركي	١٥٧٧٧٠٠٠	١٣٧٣٠٠٠٠
المصري	١٠٠٧٠٠٠	٩٢١٠٠٠
الهندي	٥١٩٧٠٠٠	٥٥٧٢٠٠٠
الاصناف الاخرى	٣٩٠١٠٠٠	٤٤٥٨٠٠٠

فيرى مما تقدم ان المقطوعية من القطن الاميركي زادت في السنة الماضية عما كانت عليه في السنة السابقة ٢٠٤٧٠٠٠ بالة ومن القطن المصري ٨٦٠٠٠ بالة ونقصت في القطن الهندي ٣٨٥٠٠٠ بالة ومن الاصناف الاخرى ٥٥٧٠٠٠ بالة

وكان المخزون من القطن الاميركي في المغازل في جميع بلدان العالم في ٣١ يونيو الماضي ٣٠١٧٠٠٠ بالة مقابل ١٩٦٩ ٠٠٠ بالة في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٦ ومن القطن الهندي ١٥١٨٠٠٠ بالة مقابل ١ ٥٨٩ ٠٠٠ بالة ومن القطن المصري ٢٢١ ٠٠٠ بالة مقابل ٢٠١٠٠٠ بالة ومن الاصناف الاخرى ٥٥٤٠٠٠ بالة مقابل ٧٠٩٠٠٠ بالة سنة ١٩٢٦ . وعلى ذلك تكون جملة المخزون من جميع اصناف القطن في مغازل العالم كله في ٣١ يوليو الماضي ٥ ٣٤١ ٠٠٠ بالة مقابل ٤ ٤٩٨ ٠٠٠ بالة في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٦ و ٤ ٢٦٧ ٠٠٠ بالة سنة ١٩٢٥ . واليك بيان مقطوعية القطن المصري

	١٩٢٧	١٩٢٦
بريطانيا العظمى	١٨٣٠٠٠	٢٠٠٠٠٠ بالة
اميركا	٨٥٠٠٠	٧١٠٠٠ «
فرنسا	٤٩٠٠٠	٥٦٠٠٠ «
روسياه	٤٣٠٠٠	٢٤٠٠٠ «
المانيا	٣٦٠٠٠	١٩٠٠٠ «
ايطاليا	٢٦٠٠٠	٢٨٠٠٠ «
سويسرا	٢٥٠٠٠	١٨٠٠٠ «
اليابان	٢٣٠٠٠	١٩٠٠٠ «
سائر البلدان	٥٠٠٠٠	٤٢٠٠٠ «

اي ان المقطوعية من القطن المصري نقصت في بريطانيا وفرنسا وايطاليا ٢٦٠٠٠ بالة وزادت في سائر البلدان ٦٩٠٠٠ بالة فتكون الزيادة الحقيقية ٤٣٠٠٠ بالة

الاطيان المزروعة في القطر المصري

في سنة ١٩٢٧

يؤخذ من بيانات اصدرتها مصلحة الاحصاء العامة ان مساحة الاراضي التي زرعت زراعة شتوية في السنة الماضية التي آخرها ٣١ اغسطس المنصرم بلغت في القطر المصري كله ٠٦٥ ١٤٩ ٤ فداناً مقابل ٣٧٠ ٨٨٦ ٣ فداناً في السنة السابقة كانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
قمح	١ ٥٩٤ ١٨٨	١ ٤٧٥ ٤٥٦
فول	٤٤٧ ٤٩٣	٤١٤ ٠٤٤
شعير	٣٦١ ٨٤٣	٣٢٠ ٧١١
برسيم	١ ٤٩٠ ٠٤٨	١ ٤٣٧ ١٨٩
بصل	٤١ ١١٥	٣٦ ٤٠٤
عدس	٨١ ١٥٦	٦٣ ٤٢٢
كتان	١ ٦٣٣	٣ ٥٨٤
حلبة	٧٤ ٢٨٩	٧٣ ٦٩٩
ترمس	١٨ ١٢٥	١٤ ٨٨٨
جلبان	١٩ ٠٨٨	٢٠ ٣٤٥
حمص	٢ ٤١٦	١٣٩٤
اصناف اخرى	١٧ ٦٧٦	٢١٢٢٤

وبلغت مساحة الاطيان التي زرعت زراعة صيفية ٥١٣ ٢١٢ ٢ فداناً مقابل ٠١١ ٣٠٤ ٢ فداناً في السنة السابقة وكانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
ذرة شامية	١٨ ٥٥٤	٥٨٤٣
ذرة رفيعة	١٧٩ ٥٤٧	١٧٩٧٥٥
ارز	٣٥٨ ٤٣٢	١٨٤ ٢٩٠
فول سوداني	١٧ ٢٦٠	١٤ ٢٣٦

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
سمسم	١٢٠٤١	٩٥٥٥
خضراوات	١٩٥٢٠	١٩٠٥٠
بطيخ وشمام	٣٢٢٣٠	٣٦٧٩٢
قطن	١٥١٦١٩٩	١٧٨٥٧٠٢
قصب	٤٧٢٩٤	٥٢٠٦٣
اصناف اخرى	١١٤٣٩	١٦٦٢٣

و بلغت مساحة الجنائن في السنة الماضية ٣٤٠٢٢ فداناً مقابل ٣٣٩٧٨ فداناً في السنة السابقة وكانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٧	١٩٢٦
عنب	٥٥٣٨	٥٦٧٢
برتقال ويوسف افندي	٨٢٧٧	٨١٢٤
تين	٢٢٩٩	٢٥٧٨
اصناف اخرى	١٧٩٠٨	١٧٦٠٤

وفي التالي بيان بمساحة المزروع من القطن بحسب اصنافهِ في السنتين الماضيتين وهو بالفدان : —

	١٩٢٧	١٩٢٦
سكلاريدس	٧٩٥٧٤٠	٩٨١٧٨٣
عفيفي	٤٢٦١	٤٢٣٤
اشموني وزاجوراه	٥٩٩١٤٩	٦٦٧٤٧٤
بليون	٧٤٤٥١	١٠٢٣٩٤
اصناف اخرى	٤٢٥٩٨	٢٩٨١٧

غزل القطن ونسجهُ في اليابان

غزل القطن ونسجهُ وتصدير الحرير أكبر الاعمال المالية مقاماً في بلاد اليابان . فقد جاء في ملحق جريدة اساهي عن سنة ١٩٢٧ ان قيمة ما صدّر من الحرير الخام سنة ١٩٢٦ بلغ ٣٦ في المائة من قيمة الصادرات كلها وقيمة ما صدر من المنسوجات القطنيــة على

احتلافها بلغ ٢٥ر٥ في المائة من الصادرات وبلغت قيمة القطن الخام الوارد على اليابان في تلك السنة ٣٥ في المائة من وارداتها

وما ورد على اليابان من القطن الخام ورد من البلدان الآتية :

ما قيمتهُ

من الهند	٣٢٧٧٢٥٠٠٠٠	ين	او نحو	٣٢٧٥٢٠٠٠ جنيه
« الولايات المتحدة	٣١٧٤٢٧٠٠٠	«	«	٣١٧٤٢٧٠٠ «
« الصين	٣٥١٣٣٠٠٠	«	«	٣٥١٣٣٠٠ «
« مصر	٣٤٤٧١٠٠٠	«	«	٣٤٤٧١٠٠ «
« بلدان اخرى	١٣٧٧٠٠٠	«	«	١٣٧٧٠٠ «

ومما هو جدير بالذكر ان قيمة الواردات على اليابان من القطن المصري كانت في سنة ١٩٢٦ ضعف ما كانت سنة١٩٢٥ اذ بلغت قيمة ما صدر من مصر الى اليابان من القطن سنة ١٩٢٥ نحو مليون جنيه ونصف مليون فبلغت سنة ١٩٢٦ نحو ثلاثة ملايين جنيه ونصف مليون كما تقدم

واردات القطن على الاسكندرية وصادراتهُ منها

الواردات

	في الاسبوع الماضي		من اول سبتمبر
١٩٢٧	٢٩٥٥٢٣	قنطاراً	١٩٣٠٧٦٠ قنطاراً
١٩٢٦	٣٥٦٣١١	«	١٥٣٠٢٩١ «
١٩٢٥	٣٥٩٤٦٤	«	٢١٢٨٩٠٨ «

الصادرات منها

١٩٢٧	١٣٧٧٨٥	قنطاراً	٨٦٨٤٨٥ «
١٩٢٦	٢١٠٨٣٤	«	٧٧٩٠٠٥ «
١٩٢٥	٢٥٩٩١٢	«	٩٥٩٩٣٧ «

المخزون في الاسكندرية

١٩٢٧	١٩٢٦	١٩٢٥
٢٨٤٢٢٧٥	١٨٢١٦٤٧	١٤٤٤٢١٥

توزيع الصادات

	انكلترا	اميركا	سائر البلدان
١٩٢٧	٣٥٤٤٥٣	٤٠٧٠٠٨	١٠٧٠١٤
١٩٢٦	٣٧٤٠٢٥	٣٢٧٠٨٥	٧٧٨٩٥
١٩٢٥	٤٦٠٨٥٩	٤٠٨٠٩٨	٩٠٩٨٠

***

وأهم ما يلفت الانظار في الارقام المتقدمة ان الصادرات الى انكلترا آخذة في النقصان سنة بعد أخرى في حين ان الصادرات الى اميركا وسائر البلدان زادت زيادة كبيرة في هذه السنة على مثلها في السنة الماضية مع انهُ كان من المنظور ان تزيد الصادرات الى انكلترا في هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي بسبب امحال محصول الرتب العالية من القطن الاميركي وهو الامر الذي حدا بسائر البلدان الى الاستزادة مما تستورده من القطن المصري عادة علاوة على اقبالها على منافسة انكلترا في غزل القطن المصري ونسجهِ كما سبق ان نافستها في المغزولات والمنسوجات من القطن الاميركي

والسبب الاكبر في نقص الصادرات الى انكلترا هو ان تجارها ومغازلها صاروا يفضلون ابتياع القطن السوداني على القطن المصري لاعتبارات جوهرية اهمها ما يأتي:

أولاً — انهم يشترون القطن السوداني في ليفربول بضاعة حاضرة لا كنتراتات كما هي الحال في القطن المصري

ثانياً — انهم يشترون القطن السوداني لآجال اخذت تحددها لهم شركة مزارع السودان أخيراً لترغبهم في شراء قطنها

ثالثاً — حسن فرز القطن السوداني وتبويب رتبهِ لان محصول القطن في السودان محصور كلهُ في يد واحدة هي « شركة مزارع السودان » فيأتي لذلك قطناً سكلاريدس خالصاً لا خلط فيه ولا شوائب خلافاً لما هي الحالة عليهِ في مصر حيث لا تحصى الايدي التي تشتغل بفرز قطنها وتبويبهِ

فهذه الاعتبارات وسواها حملت تجار انكلترا وغزاليها على تفضيل القطن السوداني على القطن المصري والاقبال على شرائهِ . اما الفرق اليسير بين القطنين كبياض شعرة القطن السوداني فقد عولج امره ببل هذا القطن بالماء عند غزلهِ

باب التقريظ والانتقاد

عصر المأمون

عرفنا صديقنا الدكتور فريد رفاعي منذ بضع سنوات وهو صاحب منصب كبير في وزارة الداخلية اذ كان يزورنا في ادارة المقتطف وهو لا ينفكُّ يظهر من غيرتهِ عليهِ وعنايتهِ بمباحثهِ ما اكبرناهُ فيهِ . وكنا من حين الى آخر نحادثهُ في موضوعات ادبية او تاريخية او سياسية فكنا نلفيهِ مطلعاً على اشهر المؤلفات واحدثها في هذه المباحث مع كثرة مشاغلهِ، توّاقاً الى اقتناءِ كل جديد مفيد من الكتب والمجلات التي لم تصلهُ اخبارها. كلُّ هذا ونحن لا ندري انهُ عاكف منذ ما ينيف على عشر سنوات على الدرس والبحث مكبٌّ على وضع كتاب في تاريخ عصر المأمون يتوخى في وضعهِ الطريقة العلمية الحديثة في كتابة التواريخ وهي الذهاب الى مصادر التاريخ من مؤلفات الكتاب المعاصرين مخطوطة كانت او مطبوعة والى مؤلفات المستشرقين ومباحثهم والمقارنة بينها لتمييز صحيحها من فاسدها وغثها من سمينها

ثم اطلعنا في الصحف السيّارة في اوائل الصيف الماضي ان الاستاذ احمد فريد رفاعي سيتقدم الى امتحان الدكتوراه في الجامعة المصرية برسالة في « عصر المأمون » وبحث في « مهمة المؤرخ » . فعزمنا على ان نحضر هذا الامتحان متى آن اوانهُ . وفي الوقت المعين يممنا مدرّج المحاضرات في الجامعة المصرية ولبثنا ننتظر زهاء نصف ساعة قبلما حضر الممتحنون وهم الدكتور منصور فهمي والدكتور طه حسين والاستاذ الشيخ محمد النجار والاستاذ حسونه بك والاستاذ عبده خير الدين بك

فتقدم اليهم فريد ملخصاً مباحث الرسالة التي وضعها وواصفاً للطريقة التي جرى عليها في وضعها مبيّناً ان عملهُ هذا استغرق ١٣ سنة من بحث وتنقيب في مؤلفات العرب والافرنج. ثم وجّه اليهِ الاساتذة الممتحنون كثيراً من المسائل التي تتعلق بمهمة المؤرخ وطريقتهِ في البحث واخرى تدور على الحضارة في العصر العباسي بوجه عام وعصر المأمون بوجه خاص فقضى نحو ساعتين يجيب عن هذه الاسئلة آناً يشرح ويعلل وآناً يستشهد ويفنّد وآناً يبدي رأيهُ ويؤيده بالادلة النقلية والعقلية والمنطقية كل ذلك

في فصاحة لسان وبلاغة تعبير وحضور ذهن لم نر ما يفوقهما في امثال هذه المواقف. وخرجنا من ذلك الامتحان معجبين بتفوّق صديقنا مثنين على جدّهِ وهمتهِ متمنين ان يكون مثالاً طيباً لا كثر القائمين باعمال الحكومة يُنسج على منواله، آخذين على لجنة الامتحان امراً واحداً وهو عدم عنايتها العناية الكافية حينئذ بتوجيهِ اسئلة الى الممتحن عن الحياة العلمية في العصر العباسي والقائمين بها تتناسب مع قيمة الموضوع

ثم اطلعنا على جانب من رسالة الدكتور فريد رفاعي قبل تقديمها الى الطبع فنقلنا فصلا من فصولها نشرناه في مقتطف يوليو الماضي يدور على سياسة المأمون وتقديره لرجال الدولة

ولما علمنا انهُ يهتم بطبع الكتاب اكبرنا همتهُ واقدامهُ لعلمنا ان كتاباً تاريخيًّا ككتابهِ في الحجم وطريقة البحث مما يقلُّ اقبال عامة القراء عليهِ ، ولكنهُ اقدم غير هيّاب الخسارة المالية لاعتقادهِ ان نشر هذا الكتاب ونشر ما يتبعهُ من المؤلفات يكون «ذا أثر نافع يمكن غيري من اتخاذها اساساً لكتابة تاريخ المدنيات العربية الواسعة المدى والبليغة الاثر في الثقافات الانسانية عامة كتابة تاريخية صحيحة» كما ذكر من المقدمة

وكنا في بلاد الانكليز في الصيف حين صدور الكتاب فلما عدنا وراجعنا اعداد الصحف التي صدرت في غيابنا وجدنا كيف تلقتهُ الصحف واثنت عليهِ اعظم ثناء وكيف اقبل الجمهور عليهِ اقبالاً يندر مثيلهُ في المؤلفات العربية الرزينة. ولا غرو فان المؤلف كاتب مشهور وبحاثة محقق وقد اختار لموضوع رسالتهِ « العصر الذهبي لدولة العباسيين وهو الذي كان أقصى لمعانهِ في عهد المأمون بما تفشى في الدولة من مظاهر العلم والثروة واتساع رفعة الملك وانبساط ظل الخلافة ومن اجتمع من اقطاب السياسة والحرب والشعر وما تجلى في خلالهِ من مظاهر الغنى ودعة العيش ولظام الحكم . . . وما روي عنهُ من الاخبار والاحاديث وما كتب فيهِ وما محي وما كان من توثيق صلة العرب بالامم الاخرى التي دانت بالاسلام . . . » فقد تناول الدكتور رفاعي كل ذلك وما تقدمهُ من اسباب مهدت لهُ الطريق في عصر الامويين ونظر فيهِ نظرة اجمالية ثم قسمهُ وبوبهُ ثم تناول كل باب على حدة فبحث فيهِ بحثاً مستفيضاً متناولاً اهم المصادر العربية واشهر المؤلفات الفرنجية فقارن بينها مقارنة حصيفة تدل على اطلاع واسع وثقوب نظر في تحليل الوقائع التاريخية

ولا يخفى ان في التاريخ العربي كثيراً من الاقوال التي لا تستند الى سند صحيح يسلم بهِ العقل فموقف المؤرخ ازاءها يجب ان يكون موقف الشاعر القائل

جاءت احاديث ان صحت فان لها شأناً والاَّ ففيها ضعف اسناد

فشاور العقل لا ترضَ بهِ بدلاً فالعقل خير مشير ضمّه النادي

هذا هو الشعار الذي جرى عليه الدكتور فريد وان شذَّ عنهُ في بعض الاحايين فما ذلك الا لصعوبة تمحيص الروايات المختلفة . ولو لم يكن لهُ في كتابة هذا المؤلف النفيس سوى هذه الخدمة المفيدة لكفتهُ فخراً

العصور

مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة

محررها وصاحب امتيازها : اسماعيل مظهر — تصدر مرة كل شهر وعدد صفحاتها ١٠٠ صفحة

اسماعيل مظهر بك معروف لدى قراء المقتطف بمقالاتهِ الكثيرة الممتعة التي تنم على سعة اطلاع وجرأة في مخالفة المألوف اذا ثبت لهُ من الحقائق ما يحملهُ على ذلك . فمن مقالاتهِ في « ماهية التاريخ » الى مقالاتهِ في « النسبية » وفي « تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن اليونان » الى قصصهِ المصرية القصيرة بون بعيد في الموضوعات ولكن مظهر بك له من سعة اطلاعهِ وكثرة اجتهادهِ وانكبابهِ على البحث والتأليف كفيل بجعل هذه المقالات حافلة بالحقائق مهيبة بالقرائح الى التأمل والتفكير. ولهُ في كل ما يكتب نزعة فلسفية تميل الى الفلسفة اليقينية التي جرى عليها كونت وسبنسر ولعلها تمكنت منهُ حينما ترجم « اصل الانواع » لداروِن . لذلك تراه قد جعل شعار مجلتهِ « حرّر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأي من الآراء أو مذهب من المذاهب اطمأنت اليهِ نفسك وسكن اليهِ عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضهُ »

أما «العصور» فقد صدر منها عددان تنقلنا بين مباحثهما فكأننا كنا مع محررها الفاضل في ادارة المقتطف ننتقل معهُ من حديث الى حديث لان مجلة العصور صورة لصاحبها. فبين هو يحدثك عن الدمقراطية او آراء ويسمن في الوراثة وده فريز في التباين الفجائي تراه وقد اخرج من جعبتهِ ترجمة رواية لطاغور او كتاب نزعة الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر لمرتز او قصة مصرية من وضعهِ. على اننا نخاف ان يكون نصيب مجلتهِ نصيب كل مجلة من نوعها في اوربا واميركا — قلة الاقبال عليها لقلة القراء الذين يعنون عناية صحيحة بامثال هذه المباحث القيّمة . فعسى ان تنال مجلة صديقنا من سعة الانتشار وكثرة الاقبال ما يمهد لها سبيل التقدم النمو

مجلة الشرق الادنى

سياسية اخبارية اقتصادية اسبوعية — لمنشئها امين سعيد

امين افندي سعيد منشىء هذه المجلة من اعرف الكتاب السياسيين في الاقطار العربية بالشئون العربية. فقد شاهد سير الاحوال في سورية عن كثب واشترك في تحرير جريدة الشرق التي اصدرها احمد جمال باشا قائد الفيلق الهمايوني الرابع في اثناء الحرب بدمشق. ثم استقلَّ بانشاء جريدة في دمشق بقي يصدرها الى حين دخلها الفرنسويون بعد معركة ميسلون. ثم عالج مختلف الشؤون العربية في سورية والعراق والجزيرة درساً وكتابة لما كان محرراً في جريدة المقطم يوقع مقالاتهِ بتوقيع « مكاتب سياسي شرقي ». وقد استقلَّ الآن بانشاء مجلة تعنى خاصة بشؤون الشرق الادنى من سياسية واقتصادية وعمرانية. ولهُ من خبرتهِ الواسعة في هذه الشؤون كفيل بايفائها حقها من البسط والتحليل. والشرق الادنى تصدر الآن في ٢٤ صفحة من قطع الطائف المصورة وتطبع بالمطبعة العربية في شارع المزين بالموسكي بمصر

رسائل في علم الآثار الايجيَّة

Essays in Aegean Archæology

السر ارثر افانس من كبار علماء الآثار في هذا العصر وقد كانت لهُ اليد الطولى في الكشف عن عمران كريت القديم والبحث في علاقتهِ بعمران مصر وعمران اليونان. ولد في سنة ١٨٥١ فبلغ الخامسة والسبعين من عمره الحافل بالمآثر في ٨ يونيو سنة ١٩٢٦

وقد جرى الانكليز على عادات مختلفة في تكريم علمائهم منها ان يجتمع نفر من المعجبين بالعالم الذي يريدون تكريمهُ سواء كانوا من تلاميذه او من الذين طالعوا كتبهُ وتأثروا بآرائهِ فيكتب كل منهُ مقالة في الموضوع الذي اختص بهِ ويكون مدار المقالات كلها البحثُ الخاص الذي عني بهِ موضوع تكريمهم. وهذا الكتاب مجموعة من هذا القبيل كتبها طائفة من علماء الانكليز الباحثين في حضارات كريت واليونان ومصر القديمة وقدمت الى السر ارثر افانس هدية في عيد ميلاده الخامس والسبعين.

وفي آخر الكتاب قائمة باسم الذين اشتركوا في اهداء هذا الكتاب الى السر ارثر افانس وعددهم يربي على الاربعمائة من اصدقائهِ وتلاميذه والمعجبين بهِ. فنهنيء السر ارثر افانس بهذا العيد ونتمنى لهُ عمراً اطول وفائدة اعمّ

الجداول — نظم ايليا ابي ماضي

لما عدنا من الولايات المتحدة الاميركية من ثلاث سنوات كتبنا مقالاً عن زعماء الادب العربي هناك فقلنا ان ايليا ابي ماضي «شاعر ملء روحهِ الشاعرية . ولد وترعرع في لبنان وشبَّ في وادي النيل وامتلأت اعطاف روحهِ وفكرهِ في ظل تمثال الحرية فطبعت نفسهُ بجمال الطبيعة في لبنان وبجلال التاريخ ومفاخرهِ في مصر وقبل ان يبرح العالم القديم الى العالم الجديد كان قد تذوق البلاغة العربية الصحيحة فلما جاء ينظم في الموضوعات التي اوحاها اليهِ فكره في محيطهِ الجديد جاء نظمهُ متيناً سلس السياق صافي الديباجة سامي الخيال طافحاً بالشعور . وهو الآن المحرر الاول في جريدة مرآة الغرب ولهُ على صفحاتها جولات في النقد الادبي تنمّ على فكر رائق وذوق صافٍ ونثرهُ كشعرهِ يمتاز بمتانتهِ وسلاستهِ يبعد في كليهما عن اللفظ النافر والتركيب المعقّد»

انقضت ثلاث سنوات منذ كتبنا ما تقدم طالعنا في اثنائها كثيراً من شعر ايليا الجديد فلم نزدد الا اعجاباً بشعرهِ ورسوخاً في رأينا المتقدم

تطالع الجداول فتسمع خلال خريرها نغمات مطربة تذكرنا بوردزورث الشاعر الانكليزي الذي فُتن بالطبيعة فنظم في وصفها شعراً فتاناً بصدقهِ وسلاستهِ وبلاغتهِ يكشف للقارىء عما في جمال الطبيعة من روعة للناظر وعبرة للمتأمل . وتذكرنا ايضاً بشعراء الاندلس وما ابتدعوهُ من التشابيه والاستعارات . فكأن البيئة الجديدة بما فيها من آكام ووهاد وحراج وغياض وانهار وجداول وسماءٍ صافيةٍ آناً ومتجهمة اخرى تولد في النفوس الحسّاسة صوراً بديعة وتوحي اليها بالمعاني الشعرية

وقد سبق المقتطف فنشر لهذا الشاعر المتفرد بطريقة شعرهِ قصائد كان لها وقع كبير لدى المتأدبين في كل البلدان التي يُقرأ فيها المقتطف . واشهرها قصيدة «السجينة» وقصيدة « الطين » وقصيدة « الزمان » وقصيدة « العنقاء » وقصيدة « العوسجة » وكل قصيدة منها بل كل قصيدة من قصائد الديوان تقريباً تدور على فكرة معينة تحوم حولها كل الابيات وترجع اليها . فعبثاً تبحث في اكثر القصائد عن ابيات خاصة تستلّها وتتمثل بها لان لا قوام لاكثر ابياتهِ الاَّ بما يسبقها وبما يتلوها ولانَّ القصيدة وحدة في شعرهِ لا تتجزأ فايليا شاعر ينظم قصائد لا ابياتاً . وهذا لعمري من اكبر مميزات «الجداول»

حديث المائدة

كتاب اجتماعي اخلاقي ادبي فلسفي

نقله عن الانكليزية توفيق زيبق . نشرته مجلة الزهرة الحيفاوية وطبع بمطبعتها

وضع هذا الكتاب كاتب انكليزي يدعى دوسن وقد نعتهُ الاستاذ زيبق « بالعلامة » . وحبذا لو ذكر لنا اسمهُ كاملاً وبعض مؤلفاتهِ الشهيرة . وقد سمى المؤلف كتابهُ بحديث المائدة اشارة الى عذوبة موضوعاتهِ وطلاوتها وخفة وطأتها على الذهن ويشتمل على ثلاثة وعشرين حديثاً تتنقل بينها من موضوعات روحية ودينية « كحديث البوذية والمسيحية » وحديث « الشكوك الدينية » الى موضوعات علمية واقتصادية كحديث «ملتس» وحديث «المسيحية والاشتراكية» الى موضوعات ادبية خلقية كحديث « الصداقة والزواج » وحديث «فن الادب » وحديث« احتمال الهموم » وغيرها

واليك نبذة من حديث « طلب المعرفة لذاتها » وقد حدّد فيها المؤلف معنى التهذيب قال : « ما هو التهذيب اذاً . هو محبة المعرفة لذاتها . والرجل المهذب هو الذي يواصل درسهُ لانهُ يجد فيهِ ما يهذب ذوقهُ ويرقي فكرهُ . وهو يطالع الكتب او يؤلفها لمجرد تلك الغاية . وما الكتاب في نظرهِ الاّ كما كان في نظر الشاعر ملتون «دم الحياة الثمين مهراقاً في فصل خالد » . واذا الّف كتاباً فهو يفعل ذلك لانهُ يجد في نفسهِ شيئاً يتطلب الظهور ولانهُ يودُّ ان يشرك غيرهُ في ما يحسُّ بهِ » . ويطلب الكتاب من جميل افندي البحري صاحب مجلة الزهرة ومطبعتها ومكتبتها بحيفا فلسطين

﴿ عود النصارى الى جرود كسروان ﴾ وهو بقلم الخوري جرجس زغيب خادم حراجل (سنة ١٧٠١ — ١٧٢٩) نشرهُ وعلق حواشيهِ الخوري بولس قرأ لي صاحب المجلة السورية ومحررها وألحق بهِ نبذتين الاولى في الاسرة الخازنية بقلم بولس افندي مسعد والثانية في الاسرة الشقيرية المسيحية بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

﴿ ادب الحجاز ﴾ وهو صفحة من ادب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً جمعهُ ورتبهُ السيد محمد سرور الصبّان وطبع على نفقة المكتبة الحجازية بمكة في المطبعة العربية بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر تكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اصل الحثيين وتاريخهم

مخائيل حنا ابو جريج . ما هو اهل الحثيين الذين كانوا في سوريا قديماً وما هو تاريخهم والى ايّ الشعوب ينتسبون أللعائلة السامية ام للعائلة الاوربية

ج . راجعنا كتاب العلامة برستد المعنون «بالعصور القديمة» فوجدنا فيه النبذة التالية وهي تلخص ما عرف عنهم الى الآن : —

. . لا نعلم بالتحقيق منبت اسلة هؤلاء القوم . اما لغتهم فيكاد يكون من المحقق انها من الفرع الهندي الاوربي . واما موطنهم اسيا الصغرى فشبه جزيرة واسعة الاطراف يتراوح طولها بين ستمائة وخمسين وسبعمائة ميل وعرضها بين ثلاثمائة واربعمائة ميل وداخليتها سهل عظيم مرتفع يكاد قلبهُ ان يكون قفراً يابساً ويحيط بالسهل سلاسل من الجبال تحدق به وتفصلهُ عن البحر وعلى جانبي هذه الجبال اودية وسهول ممرعة ووافرة المحاصيل . والمنحدرات المناوحة للبحر — ولا سيما البحر الاسود — غابات ناضرة واما سواحل اسيا الصغرى الشمالية شرقي نهر هاليس (المسمى الآن قزل ارمق) ففيها جبال تحتوي على مقادير عظيمة من الحديد . وكان الحثيون الموزعين الاولين للحديد بعد ان حلّ محل البرونز — في البلاد المجاورة لبحر الروم والشرق ايضاً. ولما وصل تحتمس الثالث الى شمال سورية في اثناء حملاتهِ على اسيا التقى بالحثيين وقد دلتنا الاكتشافات الحديثة على اوائل تاريخهم فانهم سنة ٣٠٠٠ ق . م كانوا قد استقروا في الاناضول الا انهم لم يكونوا قد اتحدوا بعد مملكة واحدة بل كانوا لا يزالون منقسمين الى حكومات متعددة مع شيء من الاستقلال وقد نزح فروع من هذه الامة الى شمال سورية والعراق . وفي القرن العشرين ق . م كانوا كما مرَّ معنا قد بلغوا من الحول والطول

درجة تمكنوا عندها من الاغارة على اراضي الفرات واستمروا مغيرين حتى بلغوا ارض شنعار حيث كانت لهم اليد الطولى في قلب سرير الاسرة المالكة في بابل وكانوا في ملك تحتمس الثالث قابضين على ازمة السياسة في شمال سورية ولكنهم على ما يظهر لم يتصدوا لمناوأة المصريين وصدهم بقوة السلاح. وحوالى سنة ١٤٠٠ ق. م اتحدوا والفوا مملكة تحت زعامة « شبّيوليثوما » احد حكامهم من الاسرة المالكة في شمال آسيا الصغرى. وماتبوأ هذا الملك سرير المملكة حتى نشط الى توسيع نطاق ملكه فامتدت مملكته تدريجاً من عاصمته خطي (بالقرب من كوى) التي شيد فيها هو ومن خلفهُ على العرش قصوراً فخمة واسواراً منيعة، حتى اشتملت على كل داخلية اسيا الصغرى. ثم جعل يناوئ المصريين في سوورية بدس الدسائس عليهم فيما بين الامراء الموالين لهم اولاً وشهر الحرب عليهم ثانياً فقطع بجنوده الفرات وكانت لهُ يد في اسقاط ميتاني. وقد وُجد كثير من بقايا آثار الحثيين في البلدان التي استولوا عليها حتى حدود حماة جنوباً ولا بينة على بلوغهم الى الساحل. ولم يكتف « شبيلوليثوما » عناوأته لمصر في شمال سورية بل انضم الى العبرانيين الذين كانوا دائبين على تقويض دعائم ملك مصر في جنوب سورية وفلسطين ومحو آثارهم

(٢) عسر الهضم

الاسكندرية. احد القراء. مضى عليَّ سنتان ونصف سنة وانا مصاب بعسر الهضم وتمدُّد المعدة وقد ضعفت ضعفاً عموميًّا. وعادني كثير من الاطباء وكلهم تقريباً متفقون على اني مصاب بالدسببسيا وتمدُّد المعدة وقد تعاطيت كثيراً من الادوية المقوية والاشربة الحديدية فلم تنجع فيَّ واشار عليَّ احد الاطباء بالسفر الى اوربا والاستحمام بمياهها المعدنية مثل حمامات النمسا وفرنسا وشرب مائها. واشار عليَّ غيرهم ان اكتفي بتبديل الهواء في ابي قير او رأس البر والاستحمام بماء البحر. وانا افضل السفر الى اوربا ولكني استصعبهُ كثيراً واخاف ان يحدث لي حادث يذهب بحياتي لاني مصاب باحتقان الدماغ ومن كان مصاباً بهِ فهو معرض لداء السكتة فبماذا تشيرون عليَّ

ج. اعتمدوا على رأي طبيب من مشهوري الاطباء وسيروا على علاجهِ ولا تغيّروهُ الاَّ باذنهِ. ويظهر لنا ان التدبير الصحي الزم لكم من التدبير الدوائي. ونعني بالتدبير الصحي الاقتصار على الاطعمة المغذية والاقلال منها حتى لا يزيد الطعام على حدّ الشبع والتمهل في الاكل واجادة المضغ حتى لا يزدرد الطعام الا

بعد ما يصير ناعماً جدًّا ويمتزج باللعاب مزجاً جيداً فانهُ يصير حينئذٍ اسهل هضماً . ثمَّ لا بدَّ لكم من الرياضة المعتدلة في مكان نقي الهواء ولا بد ايضاً من تقليل الاشغال العقلية او الامتناع عنها تماماً الى ان تشفوا

(٣) صناعة الورق

سورة پارا بالبرازيل. الخواجه عبده فارس عبد المسيح

كيف يصنعون الورق . وهل توجد كتب تعلم هذه الصناعة . واين توجد اكبر معامل الورق في العالم

ج. المبدأ الذي بنيت عليهِ صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية سواء اكانت هذه الخلايا في خرق قطنية او في جذوع اشجار او في انواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية مثلاً فتنظف وتقطع وتبلّ وتغلى حتى تتحول ربًّا ثم يؤخذ هذا الربُّ ويوضع في اسطوانة كبيرة وتغمر بماء جارٍ أُذيبت فيه الصودا وتضرب جيداً حتى تتقطع الالياف الخشبية ويصبح الربُّ دقيقاً ثم يلوّن هذا الربُّ باللون المطلوب او يقصر او يترك على لونهِ ثم تضاف اليهِ مادة غروية تمسك الالياف الخشبية الدقيقة معاً فيستطاع مدّها ورقاً ثم يحلُّ كل هذا بالماء ويمرُّ في آلة كبيرة معقدة التركيب فتبخر الماء رويداً رويداً وتترك الالياف والغراء فتتماسك معاً وتصبح ورقاً

هذا هو المبدأ ولكن للعمل فروعاً كثيرة لا يتقنها الا من مارسها زمناً ولو طالع كتبها . وقد زرنا في الصيف الماضي معامل دكنسن الشهيرة ببلاد الانكليز وسنصفها في احد اجزاء المقتطف التالية

والمرجح عندنا ان اكبر معامل الورق هي المعامل التي تصنع ورق الصحف اليومية لان مقطوعيتها منهُ كبيرة جدًّا ولعل اكبر هذه المعامل هي المعامل التي انشأها المرحوم لورد نورثكلف في جزيرة نيوفندلند لتصنع لهُ الورق الذي يستعملهُ في جرائدهِ واشهرها حينئذٍ الديلي ميل والتيمس والانسرز والديلي مرر وغيرها . ومن البلدان التي اشتهرت بصناعة الورق فنلندا الى الشمال الغربي من روسيا واسوج ونروج وذلك لان الخشب وهو من اهم المواد التي يصنع منها الورق كثير فيها . وقد رأينا في معامل دكنسن الانكليزية ربّ الخشب الواحاً كأنها من الكرتون الكثيف وقيل لنا انها واردة من اسوج

(٣) التبغ والتنباك

القاهرة . ا.ص . ايهما اشد ضرراً تدخين التبغ أم تدخين التنباك ؟

ج . الارجح عندنا ان التنباك اشد فعلاً من التبغ فلو دُخّن كما يدخن التبغ

ما امكن احتماله . ولكن امرار دخانه في الماء ثم في « النبريش » يبرده ويزيل منه بعض المواد السامة فيصل الى الفم اقل ضرراً من دخان التبغ. والجزم في هذه المسألة لا يكون الاَّ بعد امتحانات كثيرة وتحليل دخان التبغ ودخان التنباك تحليلاً كيماويًّا ولم يتصل بنا ان احداً فعل ذلك حتى الآن

(٤) المطر والهالة حول القمر

ومنهُ . الشائع في لبنان انه اذا كان حول القمر هالة يقع مطر في اليوم التالي فهل هذا صحيح وما سببهُ ؟

ج . صحيح في الغالب وسببهُ ان الهالة تحدث من انكسار نور القمر في بلورات من الجليد طائرة في الهواء وهذه تدل على كثرة الرطوبة وبرودة الطقس وقرب وقوع المطر

(٥) ملوحة الدموع

ومنهُ . لماذا لا تكون دموع الفرح مالحة كدموع الحزن ؟

ج . لم نرَ كتابة لاحد الفسيولوجيين يقول فيها ان دموع الفرح غير مالحة بل بل انهم اطلقوا الملوحة على كل الدموع

(٦) تراكم الافكار وقت النوم

ومنهُ . ما سبب تراكم الافكار وقت النوم وتذكر القديم منها والحديث

ج . الغالب ان سببهُ شدة توارد الدم الى الدماغ فتتنبه بوروده المراكز العصبية ومنها مراكز الذاكرة فتتذكر ما هو مخزون فيها قديماً كان او حديثاً

(٧) اللبن الطازة او المغلي

لبنان . سيدة . نريد ان نعرف بطريقة موجزة احدث الآراء فيما يتعلق بشرب اللبن (الحليب) . ايهما اسهل على الهضم اللبن الطازة ام اللبن المغلي وايهما اكثر غذاءً وايهما يفضَّل بوجه عام للاستعمال في البيوت

ج . اذا شربنا اللبن قبل اغلائهِ تخثر لدى وصولهِ الى المعدة جُلَطاً كل جلطة منها بقدر حبة الفاصوليا المتوسطة الحجم . وهذه الجلط يسهل هضمها على البالغ ولكنهُ يعسر على الاطفال . اما اذا كان اللبن قد اغلي قبل تناوله لم يتخثر في المعدة كما تقدم وكان هضمهُ على الاطفال وغيرهم سهلاً . فاللبن المبستر او المغلى اسهل هضماً على الاطفال

ثم ان اللبن الطازة قد ينقل كثيراً من المكروبات التي يتلوث بها من حين يحلب الى ان يصل الى مائدة الطعام . وزد على ذلك انهُ وسَط يسهل فيهِ تكاثر المكروبات اذا لم يحفظ بارداً وتكاثر هذه المكروبات فيهِ تحمضهُ . وعليهِ اذا نظرنا الى اللبن من حيث المكروبات التي قد ينقلها سواءٌ كانت مكروبات امراض او غيرها فالافضل

ان يغلى اللبن قبل استعماله الا اذا ثبت انه نظيف كل النظافة وانه يمكن حفظه في « ثلاجة » وفي زجاجات نظيفة غسلت بماء أغلي قبل وضعه فيها

اما من حيث الغذاء الذي فيه فلا ريب في ان اللبن الطازه يفضل اللبن المغلى من حيث الفيتامين الذي يحتوي عليه وهو فيتامين (ج) وهذا الفيتامين يقي الاطفال من مرض الاسكربوط. فقد ثبت ان اطفالاً لم يغتذوا سوى بلبن مغلى اصيبوا بالاسكربوط في نهاية الشهر الاول من حياتهم . ويمكن اتقاء ذلك باعطاء الطفل ملعقة صغيرة من عصارة البرتقال او الطماطم لان العصارتين تحتويان على فيتامين (ج) وعصارة البرتقال تفضل عصارة الطماطم من هذا القبيل على ما يعلم الى الآن . اما المتقدمون في السن فيستطيعون ان يعتاضوا من فيتامين اللبن المغلى باكل البرتقال والطماطم وغيرهما من الخضراوات والمواد التي تحتوي عليه

الخلاصة انهُ يفضَّل اغلاء اللبن او بسترته اذا لم يثبت انهُ في الامكان الحصول عليه نقيًّا من الشوائب وحفظهُ في مكان بارد لكي لا يحمض . وعلى كل حال يفضل اللبن المبستر في تغذية الاطفال لانهُ اسهل على الهضم

(٨) حرارة جسد الانسان

ومنها . هل تختلف حرارة جسد الانسان بين الصيف والشتاء

ج . كلاَّ ما دام سليماً . ولكن اذا مات الانسان صارت حرارة جسده كحرارة المكان الذي يوضع فيه واذا مرض فقد تختلف باختلاف المرض

(٩) مجلة موسيقية عربية

البصره . العراق . ع الوائلي . هل توجد مجلة موسيقية عربية واين وما هي قيمة اشتراكها

ج . نعم تصدر في مصر مجلة موسيقية عربية تدعى « روضة البلابل » لمنشئها الاستاذ اسكندر شلفون وعنوان ادارتها شارع الظاهر نمرة ٣٥ بمصر وقيمة اشتراكها السنوي ١٧٠ غرشاً مصرياً في خارج القطر المصري

تنبيه

تأتينا مسائل كثيرة لا يمكن الاجابة عنها اما لانها خارجة عن موضوع المقتطف او لانها بدون امضاء او لان كاتبها اكتفى بذكر بعض الحروف مكان اسمهِ او بقولهِ « احد المشتركين » او لانها مكتوبة بعبارة غير مفهومة او بخط غير واضح . فنرجو الذين لا يرون مسائلهم في باب المسائل ان يطالعوا ما يطبع بحرف دقيق في صدرهِ

باب الأخبار العلمية

مقتطف نوفمبر

وقفنا صفحات المقتطف الاولى هذا الشهر على ذكر فقيد الامة المصرية وزعيمها الجليل المغفور لهُ سعد باشا زغلول فصدرنا المقتطف بصورتهِ ، ثم بدأناهُ بكلمة لهُ في المقتطف ومنشئ المقتطف يوم قام العالم العربي يحتفل بعيدهما الذهبي . ويلي ذلك كلة للمرحوم عميد المقتطف في سعد باشا نشرها بعدما تولى رآسة الحكومة الدستورية الاولى في ٨ يناير سنة ١٩٢٤ ويلي ذلك خطبة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا في حفلة التأبين الكبرى وصورتهُ ثم خطبة معالي رئيس الوفد المصري وصورتهُ . وبعدها جانب من بحث تاريخي ممتع في سيرة الراحل الكريم للاستاذ صبري ابو علم عضو مجلس النواب وقد قصر النبذة الاولى منهُ على نشأة سعد باشا الاولى واثر الازهر والرجال المتصلين بالازهر في ذلك العهد في تكوينه

ويلي ذلك كلة بليغة للآنسة ميّ زيادة عنوانها « الجزء الاول من المقتطف بعد الدكتور صرّوف »

وبعدها وصف الاستنباط الجديد الذي وفق اليهِ المستر بايرد الانكليزي وبه يستطيع ان يرى اشباحاً تروح وتجيء في الظلام ثم ينقلها لاسلكيًّا الى مكان بعيد أو قريب فتظهر على لوحة كأنها صور متحركة

فقصيدة نقلناها عن « الجداول » ديوان ايليا ابي ماضي الجديد عنوانها « فاذا الناس كلهم في ثيابي »

ثم فصل موجز لجورج افندي عبود الاشقر موضوعهُ « العلم للعامة » ابان فيهِ ان تقريب قواعد العلم النظري والعملي من تناول العامة من اكبر المفاخر التي يفاخر بها القرن العشرون وان المرحوم عميد المقتطف وقف حياتهُ على ذلك اذ قال يوماً لكاتب المقالة « اكتب لأُعلّم العامة كيف يقرأون وماذا يقرأون وكيف ينتفعون بما يقرأون »

ويليهِ تتمة البحث في حياة ابن خلدون واسلوبهِ وآرائهِ لشكري افندي مهتدى . وقد تناول فيها ابن خلدون مؤرخاً وفيلسوفاً

ثم فصل بسيكولوجي مفيد عنوانهُ « القلق واضطراب البال واثرها في الصحة والعمل » للكاتب الاميركي المشهور اورسون سوت

ماردن . وقد نقله الى العربية ابراهيم افندي دادا

وبعده مقالة علمية طلية عنوانها مذكرات « طبيب عن حمى الدنج » وهي من قلم المرحوم الدكتور غراهام وهو اول من اثبت ان مكروبات هذه الحمى تنتقل بواسطة بعوض كيولكس . وقد ابان في هذه المقالة كيف اثبت ذلك وفيها صورته

فمقالة لاحد ادباء الافاغنة وصف فيها النهضة الحديثة في بلاد الافغان وكيف تناولت التعليم ونظام الحكم ومالية البلاد وصناعاتها مما يدل على ان بلاد الافغان سائرة سيراً حثيثاً على طريق الرقي الصحيح وفيها صورة ملكها روح هذه النهضة

ويليها فصل بسيكولوجي فلسفي لصاحب السعادة عثمان مرتضى باشا عنوانه التباين الخلقي واثر العوامل الباطنية الموروثة فيه

ثم وصف الحفلة التي اقامها كرام اللبنانيين في عاليه احتفالاً بذكرى الدكتور صروف والخطبة النفيسة التي خطبها فيها السر سعيد شقير باشا بالنيابة عن اسرة الفقيد الكريم

وبعدها جانب من مقالة علمية نفيسة عنوانها « مذهب داروِن في الميزان » وهي خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم في مدينة ليدس هذا الصيف . والخطبة للسر ارثر كيث اشهر العلماء المعاصرين بآثار الانسان القديم ونشوئه

ففصل نقدي عنوانه الجداول للاديب البليغ ادوار افندى فارس حلل فيه ديوان الجداول الذي اصدره الشاعر العربي الاميركي ايليا ابو ماضي في الصيف المنصرم

ويليه مقالة عن رقي الصحافة اليابانية وما بلغته من سعة الانتشار وسرعة نقل الاخبار ونشرها مما جعلها في مقام واحد مع صحافة ارقى الامم الاوربية والاميركية وفيها صورتان

ثم كلام على العلم والدين مقتطف من خطبة لرئيس اساقفة برمنهام خطبها على اثر خطبة السر ارثر كيث في مذهب داروِن وقد ايد رئيس الاساقفة في خطبته هذه مذهب داروِن مع انها تليت في دير وستمنستر بلندن فكان لها رنة في محافل المفكرين وانديتهم

وفي باب تدبير المنزل مقالة صحية خلقية للدكتور شخاشيري موضوعها « الوقاية افضل من المعالجة »

وسائر الابواب حافلة باحدث الانباء عن تقدم العلم والعمران

اوجه القمر في نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٥	١٦ مساءً
البدر	٩	٨	٣٦ صباحاً
الربع الاخير	١٦	٧	٢٨ »
الهلال	٢٤	٠	٩ مساءً
الحضيض	٨	٥	١٨ مساءً
الاوج	٢١	٨	٥٤ صباحاً

السيارات في نوفمبر

عطارد والمريخ لا يشاهدان في اول الشهر ثم يصيران كوكبي صباح في آخره.

الزهرة كوكب صباح

المشتري يغرب نحو الساعة الثانية صباحاً

زحل كوكب مساء

ميزانية الطيران هذا العام

لميزانية الدولة جانبان جانب الايراد وجانب النفقات . ولميزانية الطيران جانبان جانب الفشل وجانب النجاح او جانب النجاة وجانب الموت . وقد اربى في هذه السنة جانب الفشل على جانب النجاح وزاد عدد الذين ذهبوا ضحية الطيران على الذين فازوا بتحقيق ما يريدون ولكن العلم يتقدم دائماً على جثث ضحاياه

يظهر ان شهر مايو من كل سنة صار يحق ان يدعى شهر الطيران. ففي شهر مايو سنة ١٩١٩ فاز الطيّار الكوك الانكليزي باجتياز الاتلنتيكي للمرة الاولى اذ طار من جزيرة نيوفندلند الى ارلندا . وفي شهر مايو سنة ١٩٢٤ فاز الطيارون الاميركيون باجتياز الباسيفيكي في عدة مراحل . وفي شهر مايو سنة ١٩٢٦ فاز الكومندر برد بالطيران الى القطب الشمالي بطيارةٍ وتلاه الرحالة امندصن ففاز بالطيران فوق القطب الشمالي بالبلون نورج. وفي شهر مايو الماضي تمكن الكابتن غراي الاميركي من التحليق الى ارتفاع ٤٧٠ ٤٢ قدماً وهو اعلى علوّ بلغهُ الانسان

وفي شهر مايو الماضي ايضاً فاز الطيار لندبرغ بالطيران وحدهُ من نيويورك الى باريز في مرحلة واحدة . وتلاهُ في اوائل يونيو الطيار الاميركي كلارنس تشمبراين فطار مع المستر لفين من نيويورك الى المانيا على مقربة من برلين بعد ما بقيا في الجوّ ٤٣ ساعة. وفي اواخر يونيو طار الكومندر برد مع ثلاثة طيارين من نيويورك الى باريس فبلغوها ولكنهم لم يستطيعوا النزول فيها لكثافة الضباب ولانكسار بوصلتهم فنزلوا في البحر على مقربة من بلدة ڤيرسيرمير فنجوا من الموت ولكن تحطمت طيارتهم تقريباً

وفي اليوم الذي طار فيهِ برد من

نيويورك طار طيّاران اميركيان آخران من مدينة سان فرنسسكو الى جزائر هواي فبلغاها في ٢٦ ساعة والمسافة بينهما ٢٤٠٠ ميل . وتلاهما طياران آخران طارا من سان فرنسسكو الى جزيرة مولوكاي بطيارة ذات محرك واحد في ٢٥ ساعة ونصف ساعة

ثم اخذت الفواجع يتلو بعضها بعضاً ذلك ان رجلاً اميركيًّا يدعى «دول» عرض جائزة قدرها سبعة آلاف جنيه تُعطى ثلاثة اخماسها لاول من يطير من سان فرنسسكو الى هنولولو بهواي بعد ١٢ اغسطس . والخمسان الباقيان للطيار الذي يتلوهُ . فهبَّ الطيارون للفوز بهذا الشرف . فقتل ثلاثة منهم وهم يعدون مُعداتهم للمباراة وطارت خمس طيارات بلغ اثنتان منها هدفهما سالمين واما الطيارات الثلاث الباقية فضاعت في اليم بركابها وسواقيها

ثم حاول طيار اميركي آخر ان يطير من ولاية جورجيا الى ريوده جانيرو فضاع اثره

كل ذلك والطيارون الاوربيون يستعدون لاجتياز الاتلانتيكي من اوربا الى اميركا وهم يعلمون ما في ذلك من الخطر . ففي ٣١ اغسطس طار اثنان من الطيارين الانكليز ومعهم البرنسس لونشتين ورذيم بطيارة تدعى سانت رفائيل فنزلت بهم الطيارة في عرض البحر وغرقت بمن فيها ولم يبن لهم اثر . وفي ٦ سبتمبر طار طياران اميركيان ومعهم صحافي اميركي من ولاية ماين الاميركية قاصدين الوصول الى رومية في مرحلة واحدة فاخفقت رحلتهم وضاعت معالمهم . وفي ٧ سبتمبر طار طياران كنديان من نيوفندلند قاصدين الى لندن فنزلا في البحر وغرقا . وكان الطيارون الالمان قد اعدّوا عدتهم للطيران من المانيا الى اميركا ولكنهم بعد ما اجتازوا الجزائر البريطانية عادوا ادراجهم لان العواصف كانت ثائرة والضباب كان كثيفاً والاستمرار في طيرانهم كان حتفاً اكيداً

وفي هذه الاثناء كان طياران اميركيان شلي وبروك قد اجتازا الاتلنتيكي في ٢٧ اغسطس فطارا من نيوفندلند الى لندن في ٢٣ ساعة والمسافة بينهما ٢٣٥٠ ميلاً وتابعا طيرانهما الى مونيخ فبلغراد فالاستانة فبغداد فبندر عباس فقراشي فالله اباد فكلكتا فرانغون فهانوى بالهند الصينية فهنغ كنغ فاومورا باليابان فطوكيو فاجتازوا ١٢٩٥٠ ميلاً في ١٨ يوماً . ولما بلغا اليابان توسل اليهما اصدقاؤهما واولادا احدهما ان لا يحاولا اجتياز الباسفيكي طيراناً ففعلا وعادا الى اميركا بحراً . وآخر اخبار الطيارين هو فوز الطيارين الفرنسويين باجتياز جنوب الاتلنتيكي من شواطئ السنغال الغربية الى البرازيل . وطيران مس الدر بطيارة

تدعى « الفتاة الاميركية » من نيويورك الى باريس ونزولها في البحر لطارئ ميكانيكي على مقربة من جزائر ازورس فنشلتها باخرة هولندية وبعد انتشالها انفجرت طياوتها واحترقت . ولا بد من ذكر طيران الطيار ده بنيدو الايطالي من ايطاليا الى جنوب اميركا الى الولايات المتحدة وعودته الى اوربا وقد فصلنا ذلك في حينهِ

البحث الاثري في بيسان

كتب المستر الان رو مدير البعثة التي تنقب في بيسان بفلسطين من قبل جامعة بنسلفانيا مقالة في مجلة متحف فلادلفيا قال فيها ان من الآثار التي عثر عليها سنة ١٩٢٦ وقد يكون لها شأن تاريخي كبير اختاماً اسطوانية الشكل يظن انها حثية او من اصل سوري حثي وخنجراً سوريًّا من البرونز ورأس فأس حثي على احد طرفيهِ يدٌ لها اصابع ممدودة وهذه القطعة مفردة ولكنها تشبه نقشاً على حجر وجد في بوغاز كوي عاصمة الحثيين بآسيا الصغرى. فوجود هذه الآثار يدل دلالة واضحة على توغل الحثيين في سورية والى أي مدى بلغوا. وقد عثر المنقبون أيضاً على مثال لكرسي او عرش شبيه بالآثار الكريتية وعليهِ مسحة مصرية وعلى مائدة شبيهة بالآثار الكريتية مما يدل على اتصال الحضارة التي كانت زاهرة حول بحر ايجه بفلسطين عن طريق قبرص. وهذا يؤيد ما ذهب اليهِ بعض المؤرخين من ان الفلسطينيين جاءوا فلسطين اولاً من كريت وقبرص

مؤتمر الطبيعيات الدولي

عقد اجتماع علمي في بلدة كومو الايطالية في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي حضرهُ اكبر علماءِ الطبيعة في هذا العصر احتفالاً بانقضاءِ مائة سنة على وفاة ڤولطا العالم الكهربائي الايطالي الذي خلد اسمهُ في العلوم والاعمال الكهربائية باطلاق « الڤولط » على احدى وحدات القوة فيها

ومن العلماءِ الذين حضروا هذا الاجتماع الاستاذ لورنتز العالم الطبيعي الهولندي والسناتور ماركوني والسر ارنست رذرفورد والدكتور استن والاستاذ براغ الانكليز والاستاذ ملكان الاميركي والاستاذ مكلنان الكندي والاستاذ بوهر الدنماركي وغيرهم من علماءِ ايطاليا والمانيا وفرنسا . ودار البحث على بناءِ المادة وطبيعة النور وتعليل الكهربائية وتطبيقها . وبعد انفضاض الجلسات العلمية زار العلماءُ رومية فاستقبلهم السنيور موسوليني واعرب لهم عن شكرهِ وشكر الامة الايطالية للفوائد العلمية الجمة التي جنيت من اجتماعهم . ثم

اجتمعوا في بناء البلدية في رومية فخطب فيهم السنيور ماركوني خطبة تدور على حياة فولطا ومباحثه

عيد برتيلو المئوي

نشرنا في مقتطف يوليو الماضي مقالة ممتعة عنوانها التذكار المئوي لمرسيلان برتيلو انشأها الدكتور يوسف حريز ووصف فيها اعمال برتيلو ومباحثه الكيماوية. وقد سبق للمقتطف فنشر لهذا العالم ترجمة في مقتطف مايو سنة ١٩٠٧ واعدنا نشرها في « اعلام المقتطف » صفحة ٢١٧

وُلد برتيلو في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٢٧ وتوفي في باريس في ٨ مارس سنة ١٩٠٧ . وقد اعدّ الفرنسويون سلسلة من الحفلات الفخمة احياءً لذكره واحتفالاً بانقضاءِ مائة عام على ولادتهِ . بدأت هذه الحفلات في ٢٣ اكتوبر بحفلة انس كبيرة في دار السوربون وفي اليوم التالي دعي اعضاءُ البعثات الاجنبية التي قدمت باريس لحضور هذه الحفلات الى افتتاح معرض برتيلو في المدرسة الصيدلية ثم زاروا معملهُ في « كوليج ده فرانس » وفي ٢٥ اكتوبر اقيمت حفلة فخمة في البانثيون ومأدبة في قصر فرسايل وسهرة في الاوپرا وفي ٢٦ اكتوبر اقيمت حفلة كبيرة لوضع حجر الزاوية في « دار الكيمياء » الجديد ثم عقد اجتماع في « الانستيتو ده فرانس » وتلتهُ حفلة في قصر الاليزه بدعوة من رئيس الجمهورية الفرنسوية . وبذلك انتهت الحفلات

الانبا كيرلس الخامس

انتقل الى دار البقاء في صبيحة الاحد ٧ اغسطس الماضي المثلث الرحمات الانبا كيرلس الخامس بطريرك الاسكندرية والحبشة والنوبة والخمس المدن الغربية لطائفة القبط الارثوذكس وقد عمّر فوق المائة قضى منها ٥٣ سنة بطريركاً على كرسي مرقس الرسول الذي بشر مصر بالدين المسيحي في منتصف القرن الاول للميلاد. وقد كان الانبا كيرلس المائة والثاني عشر في عداد البطاركة الذين خلفوا مرقس الرسول وقد شهد حكم محمد علي الكبير واحفاده الى عهد جلالة الملك فؤاد وعاصر وهو في المنصب البطريركي الخديويين اسماعيل وتوفيق وعباس والسلطان حسين والملك فؤاد وكان موضوعاً لاحترامهم جميعاً خصوصاً لما اشتهر بهِ من الزهد والتقشف في حياتهِ . أما علاقاته مع الطوائف المسيحية الاخرى فكانت على خير ما يرام فاشتركت جميعها في الاعراب عن أسفها عليهِ وعطفها على الكنيسة القبطية في حزنها على فقدهِ وكان

للانبا كيرلس الخامس في الحركة الوطنية الاخيرة موقف مشرف ظل المغفور له زعيم البلاد يذكرهُ بالاجلال والامتنان

تقرير معهد ركفلر الصحي

صدر تقرير معهد ركفلر الصحي عن سنة ١٩٢٦ وفيهِ ان المعهد انفق في تلك السنة ٦٥٢١٠٥ جنيهات وزع جانباً منها على مجالس الصحة في كثير من البلدان التي تكثر فيها الحمى الصفراء والحمى الملارية والانيميا الخبيثة لمكافحتها ووزع جانباً آخر على جمع الاحصاءات الصحية ونشر التعليم الصحي في بلدان مختلفة ، وآخر على تشجيع البحث العلمي في المدارس الطبية وآخر على تعليم ٢٥٣ رجلاً وامرأة من ٣١ بلداً مختلفاً علوم الصحة العامة والتخصص فيها . ونشر حقائقها وقد اشترك المعهد مع قسم الصحة التابع لجمعية الامم في مكافحة الامراض والاوبئة ونشر الحقائق الصحية

بلورات الانسولين

تمكن الاستاذ أبل احد اساتذة جامعة جونس هوبكنز الطبية من استحضار الانسولين نقيًّا من كل شائبة ثم بلورهُ وقد منح على عمله هذا أعلى وسام تمنحهُ الجمعية الكيماوية الاميركية لانهُ غاية في الدقة والفائدة

اقصى سرعة الطيارات

خمسة أميال في الدقيقة

في ٢٦ سبتمبر الماضي تبارت الطيارات المائية الايطالية والطيارات المائية الانكليزية في مياه البحر الادرياتيكي على مقربة من البندقية للفوز بكاس شنيدر الذي ربحتهُ ايطاليا في السنة الماضية من الولايات المتحدة الاميركية . ففاز بالكاس الطيار الانكليزي وبستر اذ بلغ متوسط سرعتهِ ٢٨١٫٤٩ من الميل في الساعة وتلاهُ طيار انكليزي آخر يدعى ورسلي فبلغ متوسط سرعتهِ ٢٧٣٫٦ الميل في الساعة . ويقال ان سرعة الطيَّار وبستر بلغت في الاشواط المستقيمة نحو ٣٠٠ ميل في الساعة أو خمسة اميال في الدقيقة ولكنهُ كان يضطر ان يخفض سرعتهُ قليلاً على العطفات لئلا تنقسم الطيارة او تنقلب بهِ فهبط متوسطهُ الى ٢٨١٫٤٩ الميل كما تقدم. وكان طول الشوط الذي تباروا فيهِ نحو ٢٢٠ ميلاً وفيهِ ٢٢ عطفة

الواح غلوزل

اشرنا الى هذه الالواح التاريخية وصورنا احدها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٦ . ثم ذكرنا في مقتطف اغسطس ان بعض العلماء يدعون انها مزوَّرة وان

بعض علماء الفرنسويين والانكليز متفقون على ذلك . ولا تزال المناقشة دائرة في هذا الموضوع . فالدكتور مورله يعتقد انها صحيحة وانها من العصر الحجري الحديث مع ان الحروف المنقوشة عليها تشبه الحروف الفينيقية. وقد صدر امر الحكومة الفرنسوية الآن بجعل البقعة التي وُجدت فيها هذه الالواح ملكاً للامة الفرنسوية وعين المسيو بيروني المختص بدرس آثار العصر الحجري مديراً لها يساعدهُ في ذلك المسيو شامبيون . وينتظر ان يدوّن كل ما يكشف فيها منذ الآن ويوصف . فعسى ان يؤدي ذلك الى ازالة الشك الذي حام حول هذه الالواح

وفاة ارهينيوس

الاستاذ سفنته ارهينيوس من اكبر علماء الكيمياء في هذا العصر . وهو اسوجي ولد سنة ١٨٥٩ ونال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٠٣ وتوفي في ٢ اكتوبر الماضي . وسنعود الى ترجمته في الجزء التالي

الطيار برد والقطب الجنوبي

كان الكومندر برد الاميركي اول من بلغ القطب الشمالي بالطيارة وذلك في مايو سنة ١٩٢٦ وفي يونيو الماضي طار مع ثلاثة من الطيارين الاميركيين من نيويورك الى فرنسا بعد ما سبقهُ الى اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي لندبرغ وتشمبرلين. وهو يعدُّ معداته الآن للطيران الى القطب الجنوبي وتدوين الارصاد العلمية كما فعل في رحلتهِ الى القطب الشمالي

اللاسلكي بين انكلترا وكندا

في ٣ اكتوبر الماضي افتتح خط التلفون اللاسلكي بين بلاد الانكليز وكندا فتخاطب المستر بولدون رئيس الوزارة الانكليزية من مكتبهِ بلندن مع المستر مكنزي كنج رئيس وزارة كندا في مكتبهِ باوتوى عاصمة كندا . وتخاطب ايضاً مراسل التيمس اللندنية من مدينة تورنتو مع رئيس تحريرها في لندن

تصحيح خطإٍ

وقع خطأ مطبعي في مقالة الاستاذ جبر ضومط المنشورة في مقتطف اغسطس الماضي صفحة ١٥٣ في بيت الشعر الشاهد وصوابهُ

اني امرؤٌ عاهدني خليلي
الاّ اقيم الدهر في الكيُّولِ
أضرِبْ بسيف الله والرسول

الجزء الثالث من المجلد الحادي والسبعين



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

راجع مقالة الرحلة الملكية الاوربية صفحة ٣٦٩

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي والسبعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٧ جماد الثاني سنة ١٣٤٦

نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا

فاتحة عصر جديد في استخدام الكهربائية

انوار تنار ، وطيارات تطير ، ومعامل تدور ، واطعمة تطبخ ، بقوة كهربائية تبعث في الفضاء لاسلكياً وتستمد منه لاسلكيا

تتلو غرائب اللاسلكي بعضها بعضاً بسرعة تحير الالباب . فالامواج الكهربائية اللاسلكية تستعمل الآن في اوربا واميركا لاذاعة الخطب والانباء والقصص والاغاني والموسيقى على انواعها فيلتقطها كل من يملك آلة مستقبلة . وهي تستعمل كذلك في نقل الصور من بلاد الى بلاد وفي المخاطبات التلفونية بين اوربا واميركا وفي الرؤية عن بعد وما يرتبط بها من الرؤية في الظلام على ما بيّناهُ بالاسهاب في اجزاء المقتطف السابقة

ولكن كلّ هذه الغرائب على غرابتها واثرها الكبير في العمران تتضاءل امام الاستنباط الجديد الذي يجدُّ العلماء في تحقيقهِ وهو نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا من محطات منتشرة على وجهِ الارض فتلتقط امواجها آلات مستقبلة صنعت لذلك ثم تستعمل في قضاء مآرب الانسان . فتستغني المعامل حينئذٍ عن مولّدات الكهربائية فيها ، والسيارات عن آلات البنزين والاحتراق الداخلي ، والمصابيح الكهربائية عن الاسلاك التي تصلها بمستودع الكهربائية العمومي اذ يصبح في الطاقة حينئذٍ ان تستمدّ القوة الكهربائية من الفضاء بعد اذاعتها من المحطات المذكورة آنفاً بآلات تصنع خاصة لهذا الغرض

وليس هذا الرأي من بنات الخيال ولا من قبيل التمني . بل هو لدى العلماء

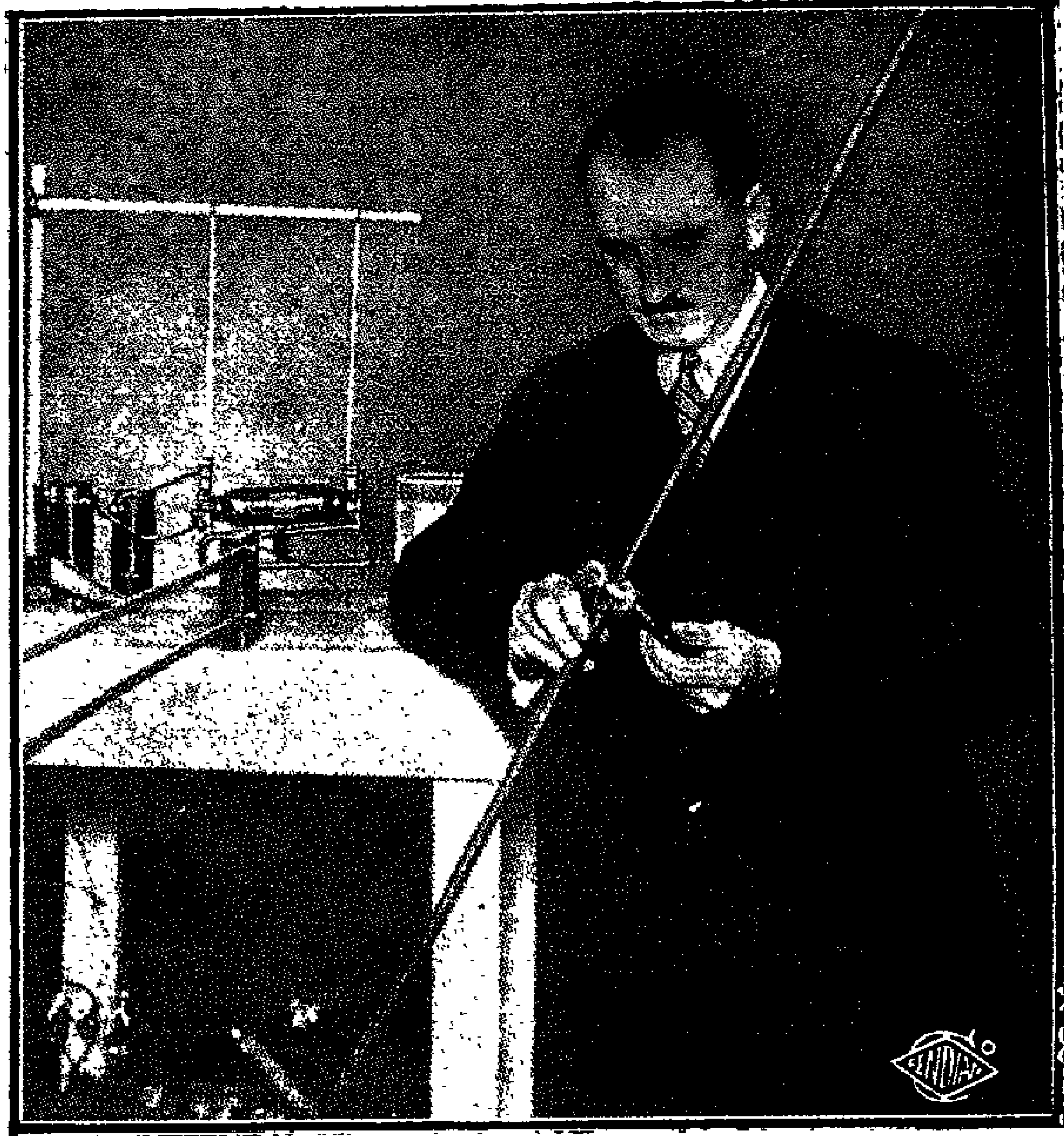
والباحثين حقيقة راهنة لم يبق امامهم سوى التوسُّع في تحقيقهِ حتى يستطاع استعمالهُ على وجهٍ تجاري . فقد اثبت الدكتور فيلبس توماس احد المهندسين المنقطعين للبحث الكهربائي في شركة وستهوس الكهربائية الاميركية في خطبة خطبها امام جماعة من المهندسين الاميركيين في يونيو الماضي ان ما ذكرناهُ قد خرج من حيز الفكر الى حيز العمل. فانهُ اخذ بيدهِ مصباحاً كهربائيًّا غير متصل بسلك ما ولكنهُ متصل بقضيب من النحاس طولهُ نحو متر ووقف على مسافة مترين من انبوب مفرغ فلما أُديرت الآلة المتصلة بالانبوب المفرغ وخرجت منهُ مجاري القوة الكهربائية التقطها القضيب النحاسي من الفضاء فأنار المصباح الكهربائي المتصل بهِ

اما مبدأ نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا فقديم قال بهِ هرتز العالم الكهربائي الالماني الذي يصح ان يدعى بحق « ابو اللاسلكية » . وتلاهُ نقولا تسلا المستنبط المشهور فابتكر نظاماً لنقل القوة الكهربائية من غير اسلاك وقد انقضت عليهِ بضع سنوات يمتحنهُ. وهو الآن مكبٌّ على وضع تصميم لبرج كهربائي ضخم يبنى على مقربة من شلالات نياغرا وتبعث منهُ القوة الكهربائية لاسلكيًّا . كذلك كان الدكتور شارل شتينمتز — وكان يحسب قبل وفاتهِ منذ سنتين من ابرع الكهربائيين في اميركا — ثابت الاعتقاد بانهُ لا بدَّ من ان يجيء عصر يصبح فيهِ نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا من الامور المألوفة وقد اقترح طريقة لتحقيق ذلك . واما السنيور مركوني منشئ المخاطبات اللاسلكية على وجه تجاري فيقول ان نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا امر قريب التحقيق

***

ولا يخفى ان مركوني يحاول منذ زمن استعمال امواج لاسلكية قصيرة للتخاطب اللاسلكي لانها تخضع لناموس الانعكاس الذي تخضع لهُ اشعة النور على ما اثبتهُ هرتز. وقد بنى عاكساً كهربائيًّا مغنطيسيًّا مقعراً وراء المحطة التي يذيع منها الامواج القصيرة فاستطاع ان يوجهها الى الجهة المطلوبة . وبعد تجارب وامتحانات كثيرة بنى على هذا المبدإِ نظاماً لاسلكيًّا جديداً يعرف بنظام البيم "beam" وقوامهُ توجيه الاشعة باستعمال اشعة لاسلكية قصيرة وعواكس مؤلفة من اسلاك دقيقة ممدودة بين اعمدة تعتمد عليها وتحيط بالمحطة المرسلة واسلاكها الهوائية في شكل اهليلجي (١). وقد تعاقدت شركتهُ مع مصلحة البريد الانكليزية فأُستعمل هذا النظام في ارسال الاشارات اللاسلكية من

(١) راجع تفصيل هذا النظام في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٤١٨



الدكتور توماس يجرب التجربة المذكورة في صفحة ٣٦٢



هرتز « ابو اللاسلكية »

مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٣٦٢

لندن الى كندا ومن لندن الى استراليا فنجح نجاحاً باهراً . وهو اقل نفقة من النظام المستعمل الآن لانَّ القوة الكهربائية اللازمة لاذاعة الامواج القصيرة اضعف من القوة اللازمة لاذاعة الامواج اللاسلكية الطويلة المستعملة في المخاطبات التلفونية الشائعة بين اوربا واميركا. وهي كذلك اوضح اشارة لان الامواج الموجهة في جهة واحدة افعل من الامواج المنتشرة في كل الجهات . فاذا كان في الامكان جمع الامواج اللاسلكية وتوجيهها فلا يتعذر على العلماء جمع امواج القوة الكهربائية وتوجيهها ايضاً

***

وقد جاء في جزء دسمبر من المقتطف سنة ١٨٩١ في وصف مباحث نقولا تسلا ما نصهُ : « تمكن الاستاذ نقولا تسلا من تنويع الكهربائية وجعلها تخترق الجدران وتنير المصابيح وهي غير متصلة بها ولا يبعد اننا نتمكن عن قريب من ارسال الكهربائية من مكان الى آخر بدون اسلاك وبدون موصلات » ثم عُقّب عليهِ في جزء ابريل سنة ١٨٩٢ في بحث مستفيض جاء فيه : —

« ومن رأي الاستاذ تسلا انهُ يمكن توليد هذه الكهربائية فوق البيوت والمدن حتى اذا وجد فيها آنية زجاجية مفرغة من اكثر هوائها انارت كما تنير المصابيح الكهربائية . . . فاذا حققت الاماني التي تعلق على هذا الرجل وغيره من الباحثين في هذا الموضوع انتقل الناس من حالٍ الى حال في جميع اعمالهم وشؤونهم الصناعية والصحية والاجتماعية . . . ويعيش الانسان في جوٍّ مشحون بالكهربائية .. فيستخدم ما شاء منها بلا تعب ولا مشقة »

كان ذلك قبلما كشفت الكهارب وعلاقتها ببناء المادة وطبيعة الكهربائية وقبلما تمكن مركوني من استخدام امواج هرتز الكهربائية في نقل الاشارات التلغرافية وقبلما تمكن جمهور العلماء والباحثين في مختلف البلدان مثل لودج ومركوني وبرانلي وفلمنغ وده فرست وبايرد وغيرهم من استنباط الانبوب المفرغ واستخدام الامواج اللاسلكية في المخاطبات التلفونية اللاسلكية ونقل الصور الفوتغرافية والمرئيات ذاتها . اما وقد تحقق كل ذلك فان نقل القوة الكهربائية على المنوال الذي ذكرهُ تسلا منذ ٣٥ سنة اصبح على قيد انملة منّا

***

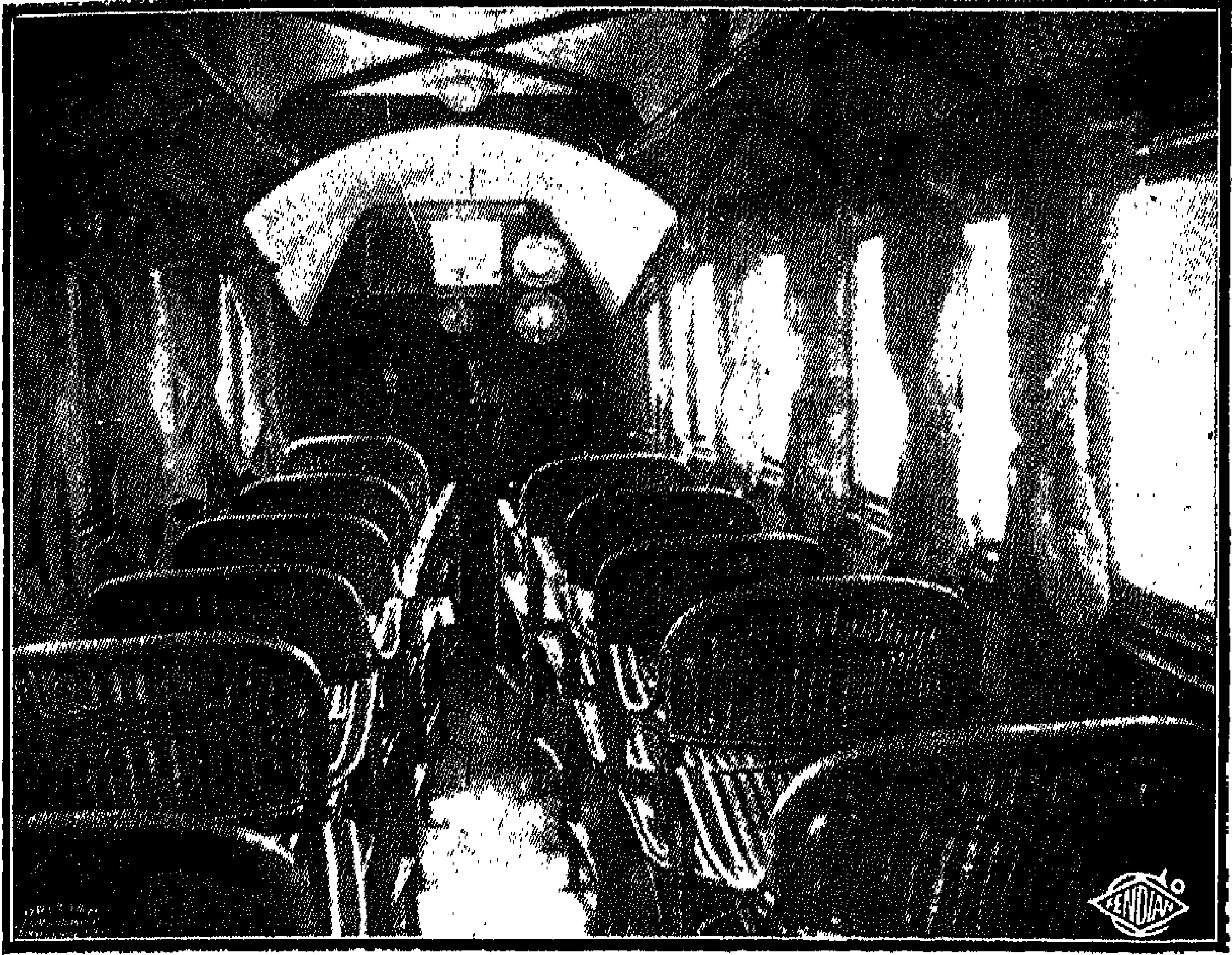
هذا وقد اثبتت التجارب ان طبقات الهواء العليا هي اصلح موصل لامواج القوة

الكهربائية لانها لطيفة فلا تفقد الامواج كثيراً من قوتها في اختراقها كما يحدث لها لدى اختراق الهواء عند سطح الارض . وعليهِ اقترح المهندس الانكليزي هيو پلرد ان تبنى ابراج ضخمة على قنن الجبال الشاهقة — كقنة جبل مكنلي في الاسكا وجبل هوتني بكاليفورنيا ومون بلان في فرنسا وغيرها في مختلف البلدان فتذاع منها القوة الكهربائية امواجاً خفية فيلتقطها الانسان متى شاء ويستخدمها في قضاء ما ربهِ

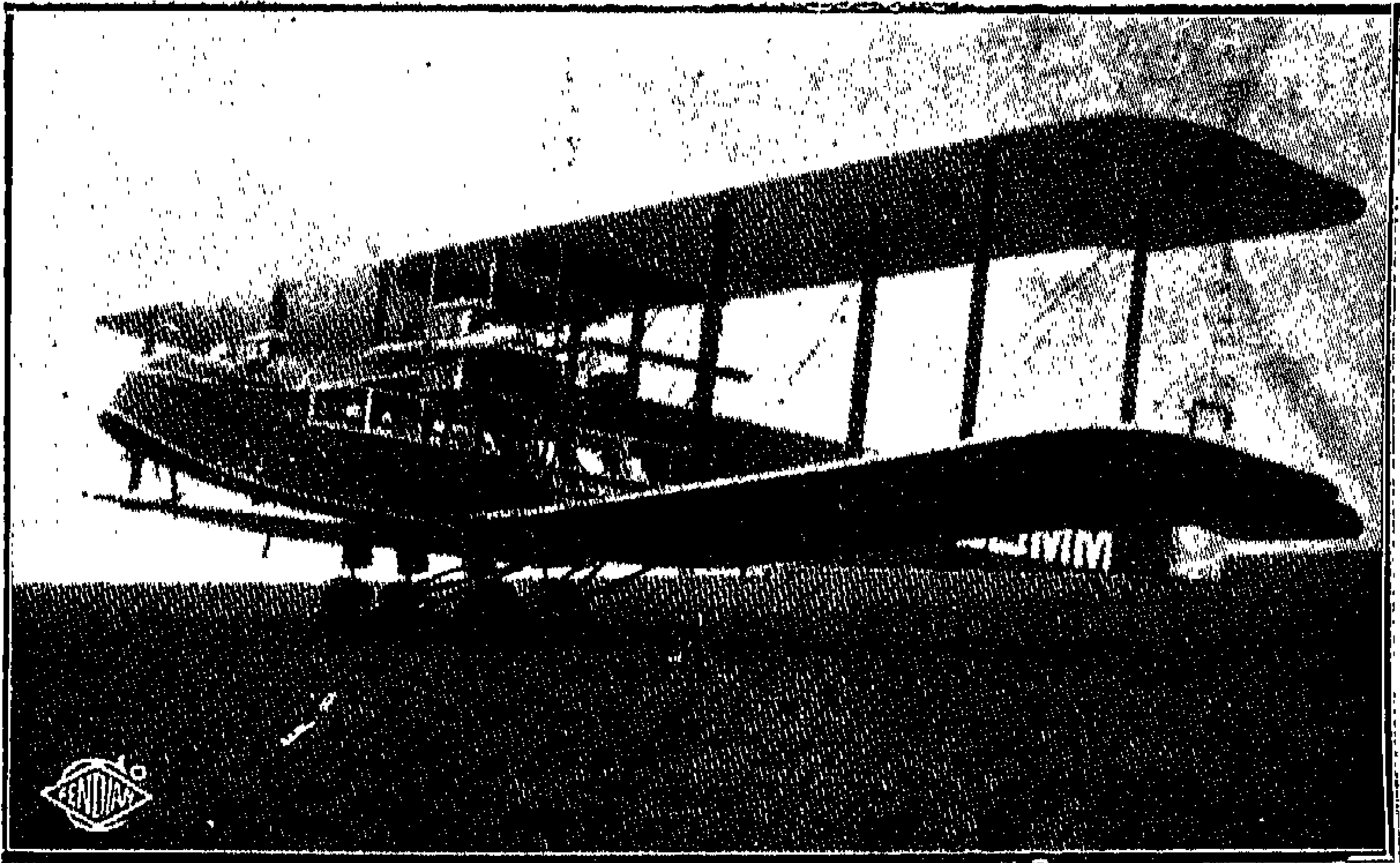
وقد ارتأى المهندس پلرد ايضاً ان يبنى برجان من هذا القبيل احدهما على مقربة من القطب الشمالي والثاني على مقربة من القطب الجنوبي لان طبقة الهواء اللطيفة هناك اقرب الى سطح الارض منها في المناطق الاستوائية والمعتدلة فلا يلزم حينئذٍ بناء الابراج على قنن الجبال . وقد اثبتت رحلات الروّاد الى الاصقاع المتجمدة ان في اراضيها كثيراً من الفحم وبعض البترول ولا يستطاع الاستفادة منهما الآن لان استخراجهما ونقلهما الى البلدان العامرة كثير النفقات . فاذا اقيم بعض هذه الابراج في الاصقاع المتجمدة امكن الاعتماد على ما فيها من وقود مطمور في ارضها لتوليد الكهربائية اللازمة

ويرى الدكتور توماس ان الاعتماد في نقل القوة الكهربائية لا سلكيًّا يجب ان يكون على الامواج القصيرة وغايتهُ ان يتمكن من استنباط آلة تولّد امواجاً لاسلكية قصيرة جدًّا من غير ان تفقد من قوتها ما يجعلها عديمة النفع . ثم يوجهها في شعاعة سعتها اربع بوصات بعدما يجمعها ويعكسها عن مرآة معدنية مقعرة : فاذا تمَّ لهُ ذلك اقام في بلدة من البلدان بضعة ابراج تبعث اشعتها في كل الانحاء فتتقاطع الاشعة ويصبح الجوُّ حافلاً بالكهربائية فتستطيع كل ربة بيت ان تستعمل آلة تقابل القضيب النحاسي الذي استعملهُ الدكتور توماس لتستمد بها القوة الكهربائية من الفضاء وتستعملها في قضاء اعمالها من طبخ وكنس وانارة وما اليها كما تلتقط الانغام او الخطب من الفضاء بآلة لاسلكية مستقبِلة

والعقبة الكبيرة التي تقف الآن حائلاً دون نجاح الدكتور توماس هو توليد امواج قصيرة جدًّا الى حدٍّ لا يضعف فعلها الكهربائي . فالامواج القصيرة لازمة حتى يكون جمعها وعكسها وتوجيهها والتقاطها سهل المنال . وهذا الامر رهن البحث والتحقيق . ولا بدَّ من ان يعنى العلماء بابتكار الوسائل للتحكم بهذه الامواج والسيطرة عليها لانها اذا جمعت وارسلت في شعاعة واصابت احداً من الاحياء في اثناء انبعاثها من ابراجها قتلتهُ شر قتلة فهي في الحرب اداة فتك وفي السلم ركن من اركان العمران



داخل الطيارة التي طار بها كاتب هذه المقالة من لندن الى باريس



احدى الطيارات الانكليزية التي تنقل المسافرين بين لندن وباريس

مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٣٦٥

الجناح الفضي

رحلة جوية بين باريس ولندن

مهما قيل في مخاطر الطيران فوق المحيط الاتلنتيكي والمهالك التي يتعرض لها رجال الطيران في الجيوش الاوربية والاميركية ، فلا شكَّ في ان الطيران التجاري في اوربا صار امراً واقعاً، وقد اصبحت خطوطهُ كخطوط السكة الحديدية منتشرة فوق وجه القارة الاوربية انتشار شبكة، وهي منتظمة المواعيد في القيام والوصول ، امينة الجانب ، قليلة النفقات وقد اخذ الاقبال عليها يزداد ازدياداً واضحاً في السنتين الاخيرتين حتى ليلزمك ان تشتري تذكرة السفر قبل ميعاد السفر بيوم او يومين

لذلك ما كدت اصل الى باريس في اول اغسطس الماضي حتى ذهبت الى مكتب شركة الطيران الانكليزية (Imperial Airways) في شارع ادوار السابع بباريس فتلقاني مديرهُ هاشاً باشاً وقال لي: لقد وصلني كتاب من مدير فرعنا في هليوبوليس يوصيني بك خيراً فاي يوم تريد ان تطير من باريس الى لندن وفي اية ساعة من ساعات النهار؟ فقلت : ما هي مواعيد الطيران؟ قال: الطيارة الاولى تبرح مطار لوربورجه حوالي الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين صباحاً ، والثانية تبرحهُ في الساعة الثانية عشرة، والثالثة في الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر. فقلت: اذاً اريد تذكرة على الطيارة التي تبرح لوربورجه حوالي الظهر وهي المعروفة بطيارة الجناح الفضي Silver Wing لما يتوافر فيها من اسباب الرفاهة فاعطاني التذكرة وقال لي : الاجتماع امام فندق ادوار السابع في شارع الاوبرا في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ومن ثم نذهب معاً الى لوربورجه في سيّارة الشركة فشكرت لهُ لطفهُ وودعتهُ وانصرفت

***

الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثون . اقبلتُ على فندق ادوار السابع ومعي حقيبة لا يقلُّ وزنها عن ٤٠ كيلو وانا غير واثق من امكان اصطحابها معي ، فاذا انا امام سيارة كبيرة فاخرة الاثاث وعلى ظهرها من حقائب المسافرين ما حيَّر لبي اذ جعلت اسأل نفسي ، وهل تتسع الطيارة ايضاً لمثل هذه الامتعة . واستقبلني على الرصيف مندوب الشركة فحيّاني وطلب ان يرى تذكرتي فاريتهُ اياها . ولما ازفت الساعة

المعينة صعد الواقفون امام السيارة اليها فاذا هم ثمانية عشر شخصاً نصفهم سيّدات وكنت قد طرت باحدى طيارات الشركة في هليوبوليس فكنا عشرة حين طرنا اذ لم تتسع الطيارة لاكثر من ذلك فحسبت فريقاً من الراكبين معنا في السيارة ذاهباً لتوديع اصدقائهم ولكن اخطأ ظني لان في بعض الطيارات التي تسيّرها شركة امبريال اروير بين لندن وباريس متسعاً لثمانية عشر من الركاب وسائقين وخادم. وقد كانت تسع عشرين راكباً قبلاً فأزيل مقعدا راكبين منها واقيم مكانهما « بار » يحتوي على كل ما يتطلبهُ المسافر من الاشربة الروحية وغيرها

وصلنا لوربورجه بعد مسيرة اربعين دقيقة فدخلنا مكتب الشركة حيث وُزن كل راكب مع ما يصحبهُ من الامتعة ،وكانوا اذا زاد وزن الامتعة عن ثلاثين كيلو يطلبون الى المسافر ان يدفع نحو غرش صاغ ونصف غرش صاغ عن كل كيلو زائد . ويجب ألا يزيد مجموع وزن المسافرين والسوّاقين والخادم والامتعة عن الوزن المقرّر للطيارة. وبعد ذلك اخذ احد الموظفين الفرنسيين جوازات السفر فختمها ثم انتقلنا الى الطيارة وكانت الامتعة قد سبقتنا اليها فدخلناها ثابتي الخطى لثقتنا بسلامة الذهاب والاياب ولاعتمادنا على مستحدثات العلم والصناعة . وكان بعض المسافرين قد اشتروا علباً تحتوي كل علبة منها على غذاء فاخر فتناول طعام الغداء في اثناء الطيران

وما لبثنا قليلاً حتى اقفل الباب ودارت المحركات فاحدثت صوتاً يصمّ الآذان ، فالتفتنا امامنا ووجدنا في ظرف مختوم قليلاً من القطن المعقم فوضعناهُ في آذاننا فضعف تأثير الصوت فيها قليلاً ، واذا الطيارة تجري على الارض فشعرنا كاننا في سيارة سريعة تجري على طريق ممهّد .ثم ارتفعت في الجوّ فلم نشعر الا ونحن على ارتفاع خمسمائة قدم عن سطح الارض . ولم تلبث ان استوت على عرشها فجرت الى هدفها بسرعة تتباين من ثمانين ميلاً الى ٩٥ ميلاً في الساعة وعلى ارتفاع يتراوح بين الف وخمسمائة قدم والف وثمانمائة قدم

كبساط الريح في القدرة او هدهد السيرة في صدق البلاء

اجتزنا فرنسا والبلاد تحتنا خمائل خضراء وجنان نضرة وبلدان عامرة وطرق معبدة وكلما مررنا فوق بلد مشهور مرَّ بنا خادم الطيارة ودلّنا على موقعهِ واسمهِ بالاشارة الى خريطة واضحة لشمال فرنسا وبحر المانش وجنوب انكلترا .وبقينا على هذا المنوال ساعتين ونصف ساعة اجتزنا في خلالها بحر المانش وكان ساجياً رهواً تجتازهُ

البواخر ونحن نسخر من بطئها ولونهُ كالفيروز المصقول هبَّ عليهِ نسيم لطيف فنسج على سطحهِ « درعاً من زرد »

نزلنا في كرويدون فتناول احد موظفي الشركة جوازات السفر ومررنا امام مأمور الجمارك فسألنا عما في حقائبنا وطلب الينا ان نوقع ورقة نذكر فيها ان ليس لدينا ما يجب ان يتقاضى عليهِ عوائد جمركية فكان يقبل توقيع الواحد ويطلب ان يرى امتعة الآخر . كذلك مأمورو الجمارك في كل البلدان التي زرناها لهم نظر في الاشخاص الذين يمرون امامهم مرور الصور المتحركة كسبوهُ من طول الخبرة والمرانة يصدّقون قول الواحد ويشكّون في قول الآخر وفي الغالب يصدقون . ثم مررنا امام مأمور الجوازات فما فتح جوازي حتى سمعت رجلا واقفاً الى جنبهِ يقول : انت من آل صرّوف اصحاب المقطم والمقتطف في مصر؟ قلت: نعم قال: كيف الدكتور صروف؟ قلت : لقد فجعنا بفقدهِ منذ ثلاثة أسابيع ، فضرب كفًّا على كفٍّ وقال: « خسارة كبيرة » ثم سألني عن الدكتور نمر واسرتهِ ولكن مأمور الجوازات لم يترك لهُ مجالاً للقول فاراد ان يتمادى معي في الاسئلة التي يلقيها عليَّ « ما هي الغاية من قدومك الى لندن» «وكم تنتظر ان تبقى فيها» «وما هو عنوانك».فقال لهُ رفيقهُ في دعة ولطف: « دعهُ فانهُ ولا شك قادم في عمل يتعلق بصحفهم » فشكرت للرجل لطفهُ وانصرفت

من كرويدن ركبنا سيارة الشركة فسرنا بها مدة نصف ساعة او اكثر قليلاً الى ان بلغنا بناية امبريال ايرويز في شارع شارلس قرب ميدان ولتن فتفرقنا هناك وذهب كل منا الى طيتهِ . وهكذا لم تنقض على مغادرتنا لباريس ثلاث ساعات ونصف ساعة حتى كنا في قلب لندن العظيمة نجول في شوارعها معجبين بساحاتها وآثارها ومبانيها القديمة والجديدة .ولما عدنا من لندن الى باريس في اوائل اكتوبر امتطينا طيارةمثل الطيارة التي طرنا بها اولاً وكان الجوُّ صافياً والنسيم عليلاً فسارت الطيارة لا تهتز ولا ترتجُّ فاجتزنا المسافة بين لندن.وباريس في ساعتين وثماني دقائق طالعنا في اثنائها ثلاث مقالات في مجلة السينتفك اميركان والمجلة الاميركية

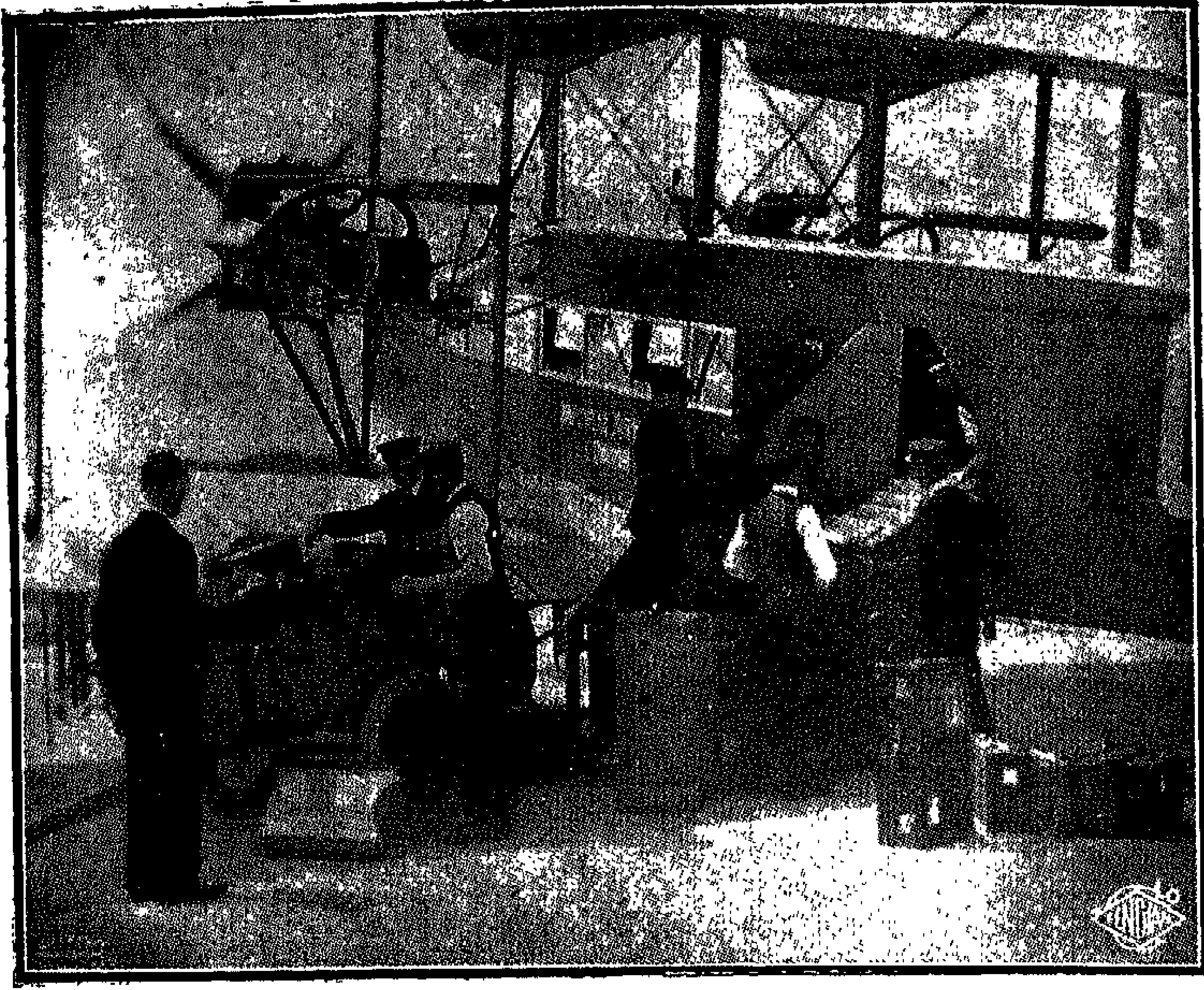
وعلى ما تقدم قس اعمال هذه الشركة.انها تسيّر طياراتها ثلاث مرات كل يوم بين لندن وباريس صيفاً ومرة في اليوم شتاءً وقد انقضى عليها ثلاث سنوات وبضعة اشهر اجتازت طياراتها في اثنائها بين باريس ولندن ما يزيد على مليوني ميل ونصف مليون ونقلت نحو ٤٧ الف راكب وما وزنهُ نحو ٢٥٠٠ طن من غير حادثة واحدة تعكر

صفو المسافرين او تعرضهم للخطر . وذلك لان الشركة تعنى كل العناية بالوسائل التي تكفل سلامة الركاب وراحتهم ولان الحكومة الانكليزية تراقب اعمالها مراقبة دقيقة لانها تمدّها بالمال. ففي كل طيارة من طيارات « الامبريال اروين » جهاز لاسلكي مرسل ومستقبل وفي كل دقيقة من ساعات السفر يستطيع السوّاق ان يبقى متصلاً بانباء الجوّ التي تذاع لاسلكيًّا من المطارات الكبيرة كمطار لوربووجه وكرويدن وغيرها . فاذا غادر السوّاق لندن والجوّ صافي الاديم والهواء عليل وكان الجو في باريس مكفهرًّا والريح عاصفةً والغيومُ متلبدةً عرف الطيار ذلك فادار طيارتهُ على وجه يكون اكفل لسلامة الركاب . واذا تعذر عليهِ النزول الى الارض في ساحة المطار لتلبد الغيوم وكثافتها تمكن مدير المطار الذي يقصد اليهِ من ان يواصلهُ بكل ما يحتاج اليهِ من الحقائق حتى يكون نزولهُ الى الارض امين الجانب

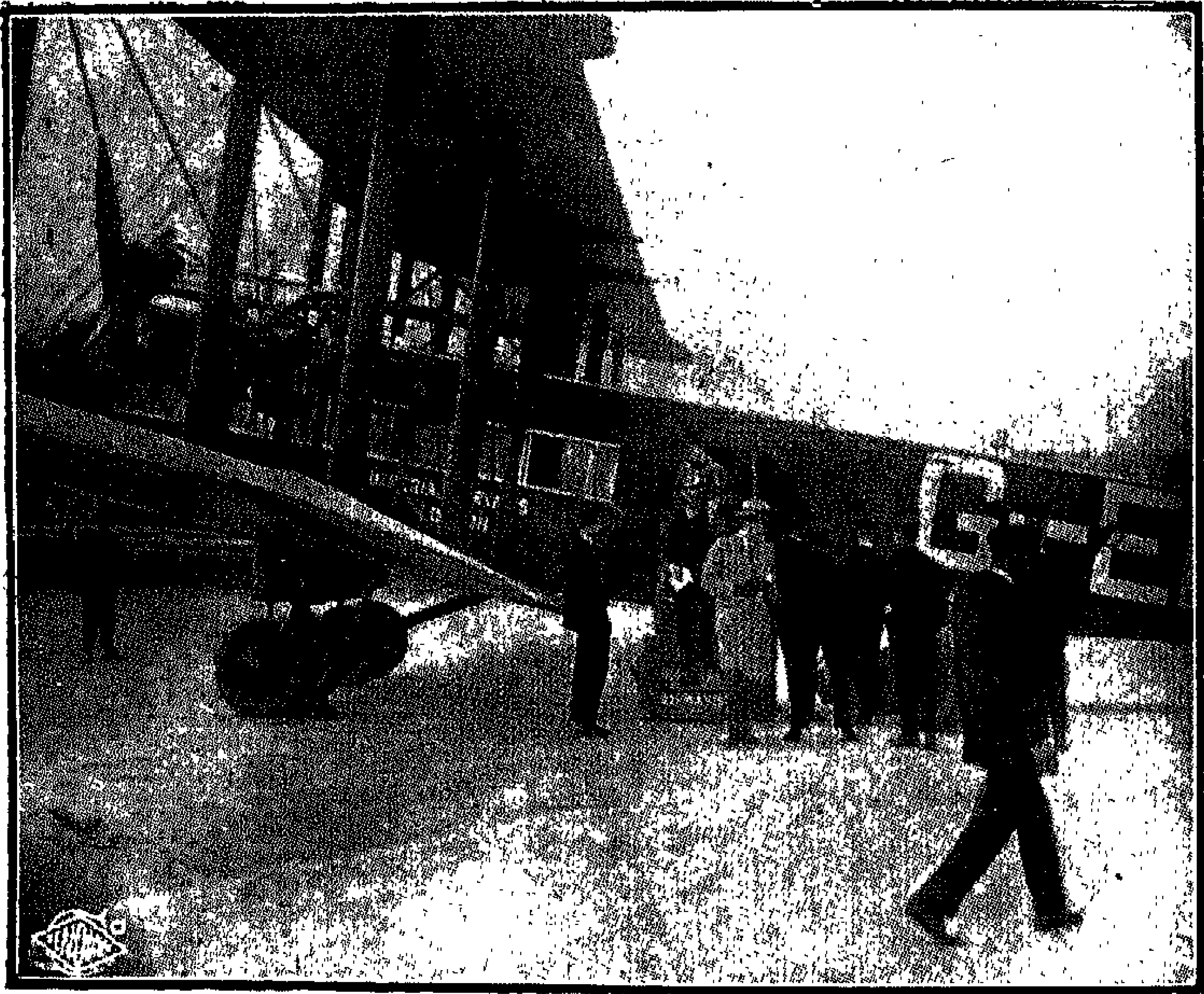
وقد انشأت هذه الشركة حديثاً خطًّا كان لهُ شأن كبير لدى السيدات في لندن . ذلك انها اعلنت انها ستسيّر طيارة في ايام خاصة من الاسبوع تبرح لندن صباحاً وتعود اليها مساءً فكل سيدة تريد الذهاب الى باريس لمشترى ما تحتاج اليهِ من الملابس وما اليها تستطيع ان تفعل ذلك في يوم واحد فتفطر صباحاً في بيتها بلندن وتتناول طعام الغداء في باريس ثم تعود مساءً وتتعشى في بيتها فكان الاقبال عليهِ كبيراً

ومن الصحف الانكليزية صحف تستأجر طيارات خاصة في الصيف لتنقل نسخها الى المصطافين من الانكليز على شواطئ فرنسا وبلجيكا وهولانده. ولما كنا في انكلترا في اثناء الصيف قرأنا في احدى الصحف ان احد راكبي خيول السباق كان قد اتفق على ان يركب حصاناً في سباق يجري في احدى ضواحي لندن وان يركب حصاناً آخر بعد ساعتين او ثلاث في سباق يجري في اوستند ببلجيكا . فركب الحصان الاول الساعة الثانية بعد الظهر في لندن ثم ركب سيارة الى كرويدن فطار بطيارة صغيرة منها الى اوستند فوصلها قبل ميعاد شوطهِ بنصف ساعة .ولهذه الشركة خطوط اخرى تصل لندن بمدن اوربا عدا طياراتها التي تسير من هليوبوليس الى بغداد فالبصرة . فاذا نظرنا الى اعمال هذه الشركة والى اعمال شركات الطيران التجاري في المانيا وهولانده وغيرها من بلدان اوربا جاز لنا ان نقول مع شوقي حيث يقول :

لسليمان بساط واحدٌ ولهم الف بساط في الفضاء
يركبون الشهب والسحب الى رفعة الذكر وعلياءِ الثناء



امتعة المسافرين تشحن في الطيارة التي تقلّهم



المسافرون ينزلون من الطيارة لدى وصولها الى كرويدن

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣٦٨

الرحلة الملكية الاوربية

ونتائجها العلمية والعمرانية

لعل كثيراً من الناس لا يعلمون من اسباب تلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب الجلالة الملك فؤاد في اوربا الا انها اسلوب من المجاملات السياسية التي تتجاذبها الامم ويتداولها الملوك. والحق ان الحفاوة التي لقيها ملك مصر في اوربا جاوزت ذلك الحد السياسي بين الامم والملوك. فان مظاهر الاجلال والتكريم التي استفاضت على الاندية العلمية والادبية والاجتماعية والصناعية وما اليهن من مواطن المدنية الصالحة ليس مما الفهُ الناس في مجاملاتهم السياسية للملوك الوافدين. ولقد هبط تلك الممالك التي هبطها الملك فؤاد كثير من ملوك اوربا انفسهم فما كان لهم فيها بعض ما كان لهُ من حفاوة سابغة في كل موطن حلَّ بهِ. وليس يعلم اسباب ذلك الاَّ من اتيح لهُ شرف مقابلة جلالتهِ وكان لهُ اثر من الآثار الصالحة في اي موطن من مواطن الحياة العاملة. هنالك ينثني زائرهُ وقد رأى من خلال ذلك الجلال تلك الدعة العذبة التي يستجم بها خاطرهُ وتسكن اليها نفسهُ وذلك العلم النافذ الذي يملك عليهِ مشاعرهُ ويحيط بكل غرض من اغراضهِ وكل معنى من معانيهِ. ومما نذكرهُ الآن لقاء تلك المناسبة حديث حدثنا بهِ استاذنا الاكبر الدكتور صروف رحمهُ الله قال:

«ذهبت الى قصر عابدين بعد ان حُدد لي الوقت الذي انال فيهِ شرف مقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد، وكان اكبر ظني الاَّ تستنفد تلك المقابلة اكثر من خمس دقائق استمع فيها حديث التشجيع السامي والعطف البالغ على المقتطف، ولكن اتعلم كم لبثت في حضرتهِ؟ لقد استطال بنا المقام ساعتين كاملتين تناول فيها جلالتهُ كل غرض ألمَّ بهِ المقتطف، واستفاض فيهِ الى ادق تفاصيلهِ واحدث ما جدَّ فيهِ من تقدم وابتكار. هنالك احسست اني لست في حضرة ملك لهُ من مشاغل الملك وشؤون الرعية ما يملك عليهِ وقتهُ وتفكيرهُ، بل في حضرة عالم ضليع العلم بديع التفكير لم تفتهُ فائتة من شؤون العلم والادب والاقتصاد والاجتماع»

وذلك الذي رآهُ الدكتور صروف من جلالة ملك مصر هو الذي رآهُ عظماء اوربا وعلماؤُها الذين وفدوا الى مصر ونالوا شرف مقابلتهِ

وانّا لنمعن في شجون الحديث امعاناً بعيداً اذا تكلمنا عن النفحات المالية العظيمة

وضروب العطف والتأييد التي نالها العلماء والروّاد من جلالتهِ . وكثير من الكتب العلمية الذائعة في ارجاء العالم الحديث صدرت بالتنويه بما لجلالة الملك فؤاد عليها من الفضل العظيم في تأليفها واذاعتها

لذلك كله سُبقت رحلة صاحب الجلالة بدعاية واسعة النطاق من علماء اوربا وكتابها الذين يعلمونهُ حق العلم ، ونهضت المجلات التي تصدرها الاندية العلمية تكتب الفصول الطوال في جلال اثر الملك القادم على كل شعبة من شعب الحياة الصالحة

ولقد تنتشي نفس المصري بعاطفة من الفخر والاعجاب حين يستمع لما قالهُ مكاتبو الصحف الانجليزية بعد اجتماعهم بجلالة الملك في مأدبتهم التي اعدوها لهُ . فقد قال بعضهم: انهُ لم يرَ ملكاً من ملوك اوربا اوتي ما اوتيه الملك فؤاد من نفاذ الرأي وسعة الاطلاع . والذين اقتصدوا في الحديث قالوا انهُ فاق كثيراً من ملوك اوربا في الاحاطة بالحياة العالمية والنفاذ الى ادق اسرارها واجمع مظاهرها . ومن قبل ذلك وقف الاستاذ العالم لوروا بوليو Beaulieu في احد المؤتمرات الاقتصادية في السربون فاثنى على منشئي جمعية الاقتصاد والتشريع وصاحب اليد الغراء فيما اذاعتهُ في ارجاء العالم من ابحاث وآراء ثناء اعجاب واحترام . وما كانت تلك الجمعية الا سانحة من سوانح صاحب الجلالة تتجها فكرهُ ورسمت منهاجها يده . كانت اذاً تلك الدعاية القوية اعظم ما جمع القلوب على الاحتفال بجلالة الملك وحفز المشاعر الى الالتفاف حولهُ

ولعل من التقصير في حق تلك الرحلة الموفقة ان نقتصر من نتائجها على الاشادة بذكر مصر والتنويه بامرها وتوثيق الصلات بين الشعب المصري وشعوب المدنية الحديثة ، فان جلالة الملك رأى من شؤون الابتكار في الزراعة والصناعة والعلم والآداب ما وصل الى اعماق ذلك كلهِ ، واذا عرفت حب جلالتهِ لان يرى امتهُ في مصاف الامم العظيمة رأيت من تلك الرحلة بادرة نهضة سامية ومقتبل تثقيف حصيف

وسنرى من بكرة تلك النتائج العظيمة هذين المشروعين اللذين اعتزم صاحب الجلالة البدء بهما ، واولهما عقد مجمع علمي عظيم يضم صفوة الناطقين بالضاد من الشرقيين والمستشرقين ليأخذوا بيد اللغة العربية الى نهضة مهذبة كتلك التي قام بها العباسيون في مبتكر عهدهم ، وكانت مناط فخر العرب ومشرق عظمتهم ، بل كانت مشرق عظمة العلم ومبعث فجر المدنية الحديثة . ولقد كان انشاء ذلك المجمع امنية ما زالت تخفق بنفوس العلماء منذ عهد اسماعيل العظيم ، بل لقد عملوا على القيام بهِ في آماد مختلفة فلم يوفقوا

لانهم لم يجدوا من الرعاية والتشجيع ما يكفل لعملهم الحياة السامية والبقاء الوطيد . اما الآن وقد اعتزمهُ صاحب الجلالة الملك فؤاد فاننا نهنيء العالم بانبثاق نور الشرق واتساقهِ في مجال الحياة الصاعدة والمدنية الحديثة

اما المشروع الثاني فمعرض افريقي عام يقام في مدينة القاهرة ، ولهذا المشروع حديث قديم ، فمنذ ستة عشر عاماً ابتكر صاحب السمو الامير احمد فؤاد (جلالة الملك) مشروع معرض يكشف من القارة الافريقية المحجبة كل ضروب الحياة والعمل والانتاج ليجلو للعلم والتاريخ والاقتصاد في مكان واحد أفضل ما تنفق الاعمار في ابتغائهِ واجتنائهِ ، ويثبت ما للمدنية المصرية في أطوارها المختلفة من خطر الشان وسمو المكان،وكان يعلم بحق أن معرضاً عالمياً يكشف للناس مظاهر إفريقية ومكامنها، وما تم من ضروب الحياة فيها ، وما يطلبهُ العلم والتاريخ من درسها لا بد أن يكون مثار اهتمام العالم بأسره ، فان هذه القارة التي بدأت المدنية الغربية تشارفها من بعض أطرافها لا تزال مطمح أنظار العالمين لما تحويهِ غياضها وغاباتها ومراتع وحشها واكنان صدرها من خير مذخور ويسر موفور . وان اتساع مصر لاقامة هذا المعرض لآية ناطقة على جدها الدائب في بلوغ ما تصبو اليهِ من غاية وما تسمو لهُ من منزلة . واي بلد أولى بهذا المعرض من ذلك البلد المتألق في جبين أفريقية والذي اجتمع فيهِ من اشراق الجو واتساق الموقع وطيب المقام ما لم يجتمع لبلد من بلاد افريقية ولا لقطر من أقطار الشرق قاطبة . واذا كان الاوربيون قد أتيح لهم أن يروا في معارضهم جانباً افريقيًّا يحوي طرائف ما اجتلبوهُ من إفريقية فما كان ذلك الا فكاهة يتفكه برؤيتها الزائرون ، وعلى الرغم من اتساق ذلك الجانب من المعارض الاوربية وحسن روائهِ لم يكن هناك الا أفانين من عجائب افريقية وملهياتها ، وهي تفاريق مختلفة لا تكاد تجمعها جامعة وليس فيها من روح التعميم بين أجزاء الفصيلة الواحدة ما ينقع غلة العالم ويمكنهُ من استحداث رأي صريح وحكم صحيح

ولكن المعرض الذي ابتكر فكرتهُ الامير فؤاد يكشف من إفريقية قديمها وحديثها، وسنيها ودنيها ، وباديها وحاضرها،وعامرها وغامرها ،وما اختلف من ضروب حياتها ومدارج مدنها وغلات ارضها وأشتات صناعتها وكل ما يهم العالم والتاجر والسائح من أمرها . ففيهِ تمثل على الخرائط فتوح مصر في إفريقية وما ساير تلك الفتوح من رود المواطن وكشفها ، وفيهِ تظهر خطوات المدنية في انشاء المدن ونهج الطرق وما

درج فيهِ كل ذلك من منازل الرقيّ في اشتات الزمن . ومما يعرض فيهِ من وسائل الاتصال قناة السويس ودروج خطاها منذ احتفارها ومدى ما يرجى من تقدمها وغاية ما يصل اليهِ العلم من امر مستقبلها . وفيهِ تجد ناس تلك القارة على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ومللهم ونحلهم وضروب حياتهم ومتشعب عاداتهم ومختلف اعمالهم ونماذج منازلهم ومعايشهم مما يجتلب انظار الجماهير بينما هو يستثير فكر علماء طبائع الامم وتاريخ الانسان ويمكنهم من دراسة مثمرة تنهج لهم سبيل الحكم الحاسم الصحيح . وفي قسم استثمار الماء تعرض انواع السمك في مختلف مواطنهِ من افريقية ومبلغ ما بذل وما سيبذل من الجهد في تنميتهِ وتربيتهِ واستكثارهِ وضروب الصناعات الخاصة بهِ. وفي قسمهِ الزراعي يعرض ما تخرج افريقية من حب وثمر وما نهج من السبل لري الارض وضبط الماء واحتفار مجاريهِ واسلوب تصريفهِ وما بذل في سبيل تزكية الغراس واصلاح المغارس من جهد وما شرع لهُ من سبيل . اما الحيوانات الافريقية فان لها جانباً واسع النطاق بما يحويهِ من مختلف نتاجها ونفاسة قيمتها ، فهناك سن الفيل وريش النعام وجلود الحيوان وفراء الوحش واشباه ذلك كثير لا حدَّ لهُ . وعلى الرغم من تأخر الصناعات الافريقية فقد يكون قسمهُ الصناعي كثير المرافق موفور النواحي

وهنالك في اظهر جانب واعزّهِ قسم لآثار مصر التليدة في العهد الفرعوني وآخر لمحدثاتها في العهد الفاطمي وما يليهِ من دول المماليك

وكان موعد افتتاح ذلك المعرض الذي يرفع مصر في عيون امم المدنية الحديثة الى أسمى مكان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أوذنت بذلك الدول فوافقت عليهِ واشتركت في لجنة تأسيسهِ . ولكن الامير في التقدير والله في التدبير . فقد توالت الحوادث الجسام في اوربا حتى أسلمتها الى الحرب العظمى واحتجب الامل واُجّل المشروع

هذه صورة المعرض الذي حملت الينا الانباء وصاحب الجلالة الملك في اوربا خبر عزمهِ اعزهُ الله على اقامتهِ في القاهرة . واذا كنا في حاجة الى الدعاية لمصر فان ذلك المعرض خير أنواع الدعايات لها لما فيهِ من اظهار ماضيها وحاضرها وأملها العظيم في غدها

اذاً فاننا سنعد تلك الرحلة السعيدة فاتحة عصر جديد في تاريخ مصر الحديثة ونعد هذين المشروعين باكرة خير عظيم ومشرق عهد سعيد يحوطهُ ويظلهُ الملك العادل العالم العطوف الرحيم احمد فؤاد حفظهُ الله وأتم لمصر في عهدهِ خير ما يرجى لها من عز واقبال

« مؤرخ »

ما يجب على المعلم

رسالة للمرحوم الدكتور صروف لم تنشر قبلاً

[في اوائل الربيع الماضي طُلب الى المرحوم الدكتور صرُّوف ان يزور القدس الشريف ليلقي خطبة في جمهور من اساتذة فلسطين فاعتذر عن تلبية الطلب ولما الحّوا عليهِ كتب الرسالة التالية لتتلى في الاحتفال الذي ينوى عقده. ولكن يظهر انهُ نسيها فبقيت مطويَّة بين اوراقهِ الى ان عثرنا عليها في الشهر الماضي فرأينا ان نذيعها لقراء المقتطف لما فيها من قواعد حكيمة وآراء صائبة هي خلاصة اختبارهِ وبحثهِ في شؤون التعليم والتهذيب مدى ستٍ وخمسين سنة]

اخواني اساتذة مدارس فلسطين

طُلِب مني ان اكتب لكم شيئاً عن اختباري في التعلُّم والتعليم فاعتذرت عن اجابة الطلب لان موضوعاً مثل هذا يشتمل ضرورة على كثير من الانانية ولكن الطالب لم يعفني بل لجَّ في الطلب الى ان وعدتهُ باجابة طلبهِ. ولا اراني في سعة من الوقت ولا في مقدرة من الصحة لابحث في هذا الموضوع طويلاً ولكن الذي اقترح عليَّ الكتابة فيهِ عفاني من التطويل وقال حسبي ما يملأ صفحة او صفحتين. فهل استطيع ان ادمج في صفحة او صفحتين ما لا يستوفى في مجلد كبير ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

***

تتمثل امامي الآن حادثتان وقعتا لي وكان لهما شأن كبير في نفسي. لما كنت اطلب العلم في مدرسة عبيه بلبنان كان احد معلميَّ فيها من اطيب الناس قلباً واشدهم تديُّناً وكان في ارض المدرسة حديقة صغيرة سمح لمن يشاء من التلاميذ ان يختط قطعةً منها ويزرعها كما يشاء فاخترتُ قطعةً مساحتها نحو متر مربع وزرعت فيها حبَّاً وبطاطساً. وارى الآن ان ذلك انفع عمل سُمح لي ان اعملهُ في صبايَ. واتفق ذات يوم وكان يوم احد انني رأيت زراعتي ذبلت من العطش فاتيت بابريق ماء ورويتها ورآني ذلك المعلم فانتهرني لانني رويتها يوم احد قائلاً ان هذا مخالف لوصية الله. فاجبتهُ على الفور ان الله يمطر النبات يوم الاحد كما يمطرهُ في غيرهِ. وكان يحسن بهِ حينئذٍ ان يبشَّ في

وجهي ويقول مثلاً « ان الله امرنا بالانقطاع عن العمل في يوم الراحة وهو لا يأمرنا الا بما فيهِ نفع لنا اما اعمالهُ فهو ادرى بها منا » لكنهُ لم يفعل ذلك بل بدت عليهِ علامات الغيظ من جوابي لهُ وفرض عليَّ قصاصاً كنت اكرههُ اشد الكره وهو ان اكنس الغرفة التي انام فيها اسبوعاً كاملاً . كان هذا المعلم قليل الحيلة فائل الرأي ترك التعليم بعد حين ولم يفلح في عمل من الاعمال التي تعاطاها وتعرَّض بقلة حكمتهِ لمرض قضى عليهِ . وقد تعلمت منهُ ان لا احذو حذوهُ

***

الحادثة الثانية حدثت لي وانا في صف المنتهين في المدرسة الكلية (جامعة بيروت الاميركية الآن) كنا اربعة ننام في غرفة واحدة واتفق ذات ليلة اننا جلسنا نلعب بالورق لعباً بسيطاً للتسلية وكانت ليلة احد ولا دروس في اليوم التالي تستدعي ان نستعد لها . وتملَّكنا اللعب فبقينا فيهِ الى الصباح ورفاقي الثلاثة يدخنون والتدخين محظور في غرف النوم . ودخل الرئيس الدكتور دانيال بلس غرفتنا في الصباح وانا فيها فشمَّ رائحة الدخان والبترول ورأى ورق اللعب فعبس وقال « تدخين في غرفة النوم ولعب بالورق الى الصباح ! » فقلت لهُ اني لا ادخن ولكنني لعبتُ وهذه آخر مرة امسك الورق فيها ومسكت الورق ومزقتهُ ورميتهُ من الشباك فزالت العبوسة من وجههِ وقال احسنت وخرج. ومضت سنون كثيرة بعد ذلك وانا اتذكر وعدي لهُ ولا امسك الورق بيدي . وبمثل هذا الشمم الممزوج باللطف كان ذلك الرئيس العظيم يعامل تلاميذ الكلية فاستفادوا كلهم من اخلاقهِ العالية ما يذكرونهُ بالشكر الجزيل

***

واذا راجعت ما اتذكرهُ من سير الذين علموني والذين علمتهم منذ كنت اتعلم مبادىء القراءة الى ان تركت التعليم من نحو اربعين سنة فاني استنتج منهُ النتائج التالية

الاولى ان تهذيب الاخلاق اهم جدًّا من تثقيف العقول . وهذا التهذيب يقتضي ان يكون المعلم على خلق عالٍ لا يكذب ولا يرائي ولا يداهن مترفعاً عن الدنايا يستعمل الشدة في محلها واللين في محلهِ . فاذا كان كذلك سهل عليهِ ان يهذب اخلاق تلاميذهِ لانهم يصيرون يقتدون بهِ ويهابونهُ ويحبونهُ . واذا كانت اخلاقهم فاسدة لا تصلح فاخراجهم من المدرسة ينفع غيرهم ولا يزيدهم ضرراً ومدرسة العالم تصلحهم او تحطّهم واسمى الاخلاق الفاضلة الصدق والشمم والشهامة

الثانية ان اكرام النفس في المنزلة الثانية بعد تهذيب الاخلاق. كل ولد اذا فُسح لهُ في الاجل صار عضواً عاملاً في الامة لنفعها او لضرها فعلى المعلم ان ينظر اليهِ هذا النظر وهو من هذا القبيل كالبستاني الذي يرى نبتةً صغيرة من التفاح اوالبرتقال فلا يحتقرها لصغرها بل ينظر الى ما تصير اليهِ فيربيها ويهذبها ويتعهدها بكل ما ينميها حتى تأتي بثمر جيد غزير واضرّ شيء بالتلميذ ان تظهر احتقارك لهُ. فاذا عمل عملاً يستحق الاحتقار فاظهر احتقارك للعمل لا للعامل واجتهد حتى تجعلهُ ينظر اليهِ كذلك ويأنف منهُ واذا عمل عملاً مجيداً فامدحهُ لهُ وامدحهُ عليهِ

الثالثة انهُ يطلب من المعلم تقوية ابدان التلاميذ وحفظ صحتهم بالحث على الرياضة البدنية ومنعهم عن كل ما يضعف الجسم او احد اعضائهِ ولاسيما العينين . ولا مانع من ان يشاركهم في بعض الالعاب الرياضية اذا كان يحسنها ولكن لا يليق بهِ ان يتبذَّل او يظهر انهُ اضعف من تلاميذهِ لئلا تقلَّ هيبتهُ في نفوسهم

الرابعة ان تثقيف العقل يأتي بعد كل ما تقدم ولو كان المفهوم ان تثقيف العقل هو الغرض الاول المقصود بالذات من التعليم لان من ينال الثلاثة الاولى اي تهذيب الاخلاق واكرام النفس وقوة البدن يصير عضواً عاملاً مفيداً في المجتمع الانساني ولو كان اميًّا ولكن اكبر العلماء والفلاسفة لا يستفيد ولا يفيد اذا كان فاسد الاخلاق صغير النفس عليل الجسم

***

وتثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة وحسبي ان اشير الى اثنين منها اراهما في الدرجة العليا من الاهمية . الاول التوفُّر على تعلُّم اللغة الوطنية او بذل المعلم همتهُ لكي يعلّم تلاميذهُ لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لان اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان مَن يحسن لغتهُ يزيد اكرامهُ لنفسهِ واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يقرؤهُ من العلوم والفنون. ويقوم اتقان اللغة بمطالعة نفائس الكتب نثراً ونظماً واستظهار الكثير منها ودرس قواعد الصرف والنحو والبيان والتمرُّن على الكتابة الصحيحة

والامر الثاني قرن العلم بالعمل في المدرسة. فاذا كان العلم لغةً وجب ان تقرن معرفة قواعدها بالتمرن في التفكيك والاعراب والانشاء الصحيح . واذا كان حساباً فيحلّ

المسائل المختلفة ولاسيما ما يتعلّق منها بالاعمال العادية تجارية كانت او مساحية ، واذا كان جغرافية فبرسم الخرائط وكتابة وصف البلدان وهلمّ جرًّا

وهنا اسمحوا لي ان اروي لكم نادرة تتعلّقُ بي وكان لها الشأن الاكبر في حياتي لما استعفى مدرس الفلسفة الطبيعية في المدرسة الكلية سنة ١٨٧٣ دعتني عمدة المدرسة لتدريس هذا الفن فيها وكنت صغير السن قليل الاختبار واساتذة العلوم العالية مثل فان ديك وورتبات من كبار العلماء وانا تلميذهم واصغر من اولادهم سنًّا فسألت الرئيس بلس عما اخطرني على بالهِ حتى اختارني لهذا المنصب الرفيع فقال: «الا تتذكر انك وانت تلميذ في السنة الثالثة ذهبت مع اخوانك الى النزهة قرب بيروت وصنعت هناك آلة من القصب تدور بانصباب الماء فيها وخروجهِ منها على مبدإ طاحونة باركر» قلت بلى فقال: «من ذلك الوقت رأيت انك تحب العلوم الطبيعية وتدرك مبادئها وتميل الى العمل بها ومن كان كذلك يحسن تعلمها وتعليمها». فشكرتهُ وزدت رغبة في الدرس والتدريس وبذلت جهدي حتى اجعل تلاميذي يقرنون العلم بالعمل فصنع واحد منهم آلة كهربائية وجرساً كهربائيًّا وانا ادرّسهُ الطبيعيات منذ نحو خمسين سنة . ومما يذكر من هذا القبيل اني وانا تلميذ في مدرسة عبيه لسخت ملحة الاعراب وشذور الذهب فزدت رغبة في اللغة ثم لما انتقلت الى المدرسة الكلية طلب مني رئيسها ان ادرّس احد الطلبة مبادئ الصرف والنحو فانجلت لي قواعدها بالتدريس اكثر مما انجلت وانا ادرسها

ومما يستحق الذكر هنا ان المعلمين في المدارس القروية التي كانت منتشرة في لبنان منذ اكثر من ستين سنة كانت تكل الى الكبار من التلاميذ تعليم الصغار منهم . وهذه الطريقة احكم الطرق فان الولد الذي يعلّم غيرهُ يصير يحترم نفسهُ فضلاً عن ان ما يعلمهُ لغيرهِ يرسخ في ذهنهِ . ويصير صغار التلاميذ يحترمون كبارهم وتطمح نفوسهم الى التمثل بهم متى كبروا

هذا واظنكم يا اخواني تعرفون هذه الحقائق كلها وقد تكونون عاملين بها لكن الذكرى تنفع على كل حال . والمعلم الذي يجعل خير امتهِ نصب عينيهِ لا تتعذر عليهِ معرفة الاساليب التي تؤدي الى ذلك . وارجو ان تغتفروا ما في كلامي من الانانية فاني انما ذكرت ما ذكرتهُ من قبيل ضرب المثل

سعد زغلول

٢

الثورة العرابية — المحاماة — القضاء

وقفنا في مقالنا الاول عند ماكان لتعاليم جمال الدين من الاثر في تكوين سعد ، ولقد روى الرواة أن سعداً قال — اول ما شهد دروس جمال الدين — «هذا بغيتي» وان جمال الدين بعد ما عرفهُ وخبرهُ قال : « هذا الشاب طلبتي » . وقيل ان سعداً ذكر امام جمال الدين رأياً للشيخ الانبابي ، فقال لهُ جمال الدين : ومن هو الشيخ الانبابي ! — ستكون عظيماً واعظم منهُ . وكتب سعد يوماً مقالاً عن الحرية أعجب به جمال الدين ، وقال : ان الدليل على انعدام الحرية في هذا البلد ألاّ يكتب عنها الاّ هذا الفتى الناشىء

***

وترك سعد منصبهُ بالوقائع المصرية وعُيّن معاوناً بالداخلية وكان هذا العمل من اثقل الوظائف عليهِ ظلاً . قص علينا رحمهُ الله اخيراً بمسجد وصيف انهُ كلف من قبل رئيس لهُ بالداخلية بان يستدعي سماحة السيد البكري ، فذهب لاستدعائهِ فلم ينجح ، قال: فعدت فرحاً لان هذا كان خير ضمين لي بألا اكلف بامثال هذا العمل في المستقبل . واتفق أن معاوناً آخر كان معهُ في الداخلية عرض ان يقوم بهذه المأمورية وكان خبيراً بالاساليب والوسائل التي تضمن النجاح فيها وفعلاً وفق واستدعاهُ « سيدنا » كما كان لقبهُ في ذلك الوقت

من اجل هذا لم يطل عهده في الداخلية ، وانتقل منها الى وظيفة طربت لها نفسهُ وهي وظيفة قلم قضايا الجيزة ، وكانت اشبه شيء بوظيفة القاضي ، اذ كان من خصائصهِ ان يصدر الاحكام في كثير من المواد الجزئية

وقد كانت الخبرة التي اكتسبها سعد في نقدهِ لاحكام المجالس الملغاة هي المدرسة التي هيأتهُ لان يشغل هذه الوظيفة بتمام الجدارة

سعد والثورة العرابية

مهما قيل عن اسباب الثورة العرابية فلا شك ان المظالم التي رزح تحتها الجيل الذي عاش فيهِ سعد من ضرائب كانت تجبى من غير حساب لتسديد الديون وفوائدها

المتراكمة ومن تحكم الدول في مصر وفي شؤونها ومن تسلطها على الخديو توفيق وتأييدها للحكم المطلق الى غير ذلك من المظالم التي كانت تصوَّر للشعب على يد خير المصورين وابرع الكاتبين وامهر الخطباء والواعظين أمثال جمال الدين والشيخ محمد عبده وعبد الله نديم واديب اسحق والبارودي وغيرهم،فكانت الثورة انتقاضاً على الحكم المطلق والتدخل الاجنبي ،ولقدكان سعد ممن تغذوا بهذه الحركة وغذوها باقلامهم، كما تدل عليهِ كتاباتهُ في جريدة الحكومة الرسمية نذكر منها كلامهُ عن الاستبداد والشورى : «ان الاستبداد المطلق ممنوع منابذ لحكمة الله في تشريع الشرائع ، ومعاندكل المعاندة لصريح الآيات الشريفة والاحاديث الصحيحة ، فانهُ نبذ للدين واحكامهِ ، وسعيٌ خلف الهوى ومذاهبهِ ، وذهاب الى خفض كلمة الله العليا ، وخرق لاجماع السلف الصالح ، اذ لم يبيحوا في جميع اطوارهم ان يتولى عليهم من يخالف الكتاب والسنة الى احكام شهوتهِ وهواهُ . يشهد بهذا صنيعهم في بيعة الامراء والعهد الى الولاة ، يقولون لمن يبايعونهُ : بايعناك على ان تكون خليفة رسول الله تتبع سنتهُ وتسلك طريقهُ ، ولم نرَ طائفة منهم ولا قوماً ولوا عليهم أميراً على كونهِ يتبع هواهُ ، او يعمل فيهم بما يراهُ »

وكانت صلة سعد بالعرابيين معروفة ، فكان الصديق الحميم للشيخ محمد عبده الذي يقول عنهُ محامي عرابي انهُ كان روح الثورة العرابية وملهمها ، وعلى مذكراتهِ عن الثورة اعتمد « برودلى » في دفاعهِ عن العرابيين ، وكان سعد من المعجبين بشعر البارودي خصوصاً ما نحا فيهِ نحو بشار من التغني بالإباء وعزة النفس

فكانت هذه الكتابات الثورية وتلك الصلات المعروفة كافية لان يحلّ بسعد غضب ولاة الامور فقبض عليهِ مع العرابيين ، وكان القدر قدكتب لهُ ان يشهد في فجر حياتهِ الامة المصرية تنتفض انتفاضة من في القبور ، وتهب وراء عرابي في طلب المجد والحرية ثم تصدمها خيبة الامل فتركن الى السكينة ، ثم يشهدها في شيخوختهِ وقد استجمعت قوتها وتأهبت للكفاح وانطلقت خلفهُ كالبركان يغلي ويثور

كان سعد في الثورة الاولى شابًّا يافعاً ، وفي الثورة الثانية شيخاً محنكاً ، وكان في الاولى نزيل السجون ، وفي الثانية رهن المنافي،وكان في الاولى بين الامة واحداً من انصار العرابيين ، وكان في الثانية على رأس الامة أبا للثورة ، والامة كلها من انصاره كان يمثل في الثورة الاولى مصر الشابة الضعيفة تحمل في قلبها مرارة الالم وتطوى

ضلوعها على الامل المحتبس يطالعها في كل صباح ، تجالد لاستبقاء شخصيتها رغم عوامل الفناء المسلطة عليها

وكان في الثورة الثانية يمثل مصر وقد كونتها الحوادث وعلمتها وألقت عليها الايام والليالي عبراً ودروساً وخرجت من المحن اوفر حكمة واعز نفساً واوفى كرامة

وبين الثورتين (١٨٨٢ — ١٩١٨) اتصلت حياة كلها عمل وتفكير وجهاد ، حياة متناسقة تسعى الى غاية مرسومة لا تعرف الانثناء ولا التراجع ، وبين التاريخين نور لا يعتريه ظلام انتظمت فيه حياة سعد يسير من مجد الى مجد ، ومن عظمة الى عظمة ، يشار اليه في كل مرحلة بالبنان ، متفوقاً في كل وسط ، ظاهراً في كل جماعة

على ان المجد الذي توج شيخوخته سنة ١٩١٨ والشعار الذي رفعته فوق رأسه ثورة سنة ١٩١٨ لم ينسه مجد سنة ١٨٨٢ . خطب في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ عقب عودته من جبل طارق فقال: « لست خالق هذه النهضة— كما قال بعض خطباؤكم — لا أقول ذلك ولا أدعيه ، بل لا أتصوره انما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد مؤسس الاسرة المالكة ، وللحركة العرابية فضل عظيم فيها ،وكذلك للسيد جمال الدين الافغاني واتباعه وتلاميذه أثر كبير ...... كل هذا حق ، ويجب علينا ان لا نكتمه ، لانه لا يكتم الحق الا الضعيف »

بدء اتصال سعد بالمحاماة

كان من نتائج الثورة ان فصل سعد من منصبه ، فلم يرقه أن يطرق باب أحد التماساً للرجوع الى منصبه أو الى منصب غيره ، ورأى اعراضاً ممن كان يتوسم فيهم الخير ونظر فاذا اخوانه وكبار اصدقائه بين منفى وسجين والجميع موضع سخط وغضب ، وماذا يعمل شاب مثله في هذه الاحوال ، قال رحمه الله : « نظرت الى المحاماة فاذا من رزئت به من الذين كانوا عنوان سمتها وذكرها كأنهم الشوك يؤذي الناس ويعذبهم ، وذلك انهم كانوا يسيئون الى عباد الله بخيانتهم وزيغهم عن طريق الحق والهدى، ولذلك ترددت بادىء بدء ، ثم قلت في نفسي : ما ضرك لو كنت وردة بين هاتيك الاشواك .... فلما استقر بخاطري أن القيام بواجبي خير للمرء حتى وان كان بحرفة هي باهلها من سقط المتاع . أقدمت مستحصد العزم على الاشتغال بهذه الحرفة بين اولئك الذين عددتهم شوكاً

..... هذا ما كان يحيط به حديث نفسي يوم أردت الاشتغال بحرفة المحاماة »

وان في العالم الكوني وجوداً يجب صاحبهُ ان يشعر بهِ ، ذلك هو الوجود الانساني، فكان يخيل اليّ ان استقامتي في حرفة منيت بالفساد والضلال لا بد ان يعرف قدرها الوجود فأجتنى ثمارها ، فكنت لذلك اتوسم أن تأتي ظروف أحبها وتحبني . . . . اشتغلت بالمحاماة متنكراً على أهلي واصحابي . . . . . واتصلت بها والخجل يستر وجهي لسقوط اعتبار من كانوا يتعاطونها . . . . كان اسم المحامي مساوياً لاسم المزور ، وكان لا يستطيع أن ينتسب لاي بيت من البيوت العالية ، وكنت أجتهد ألا يعرفني الاَّ ارباب القضايا ، وان كنت لا أجهل ماذا تكون العاقبة »

أما حال المحاماة وقت اتصال سعد بها ومقامه فيها فقد تعرفناهُ من الرجوع الى الخطب القيمة التي القيت في حفلة التكريم التي اقيمت لسعد في سنة ١٨٩٢ عند ما عين قاضياً بالاستئناف

خطب الهلباوي بك في تلك الحفلة يصف حال المحاماة فقال: «كانت المحاماة ابعد الاشياء عن الشرف والفضل ، فقد تعلمون ان المحاكم الاهلية حلت محل المجالس الملغاة التي كان امامها محامون يسمون بوكلاء الدعاوي ، صاحب السمعة فيهم من كان أدرى بأغراض القضاة وأعرف بحاجاتهم ، فكان لا شك هذا الفن ضائع الاعتبار

«فلما شكلت المحاكم الاهلية لم يجسر أحد ان يقدم نفسه قرباناً على باب هيكل هذا الفن الشريف غير صاحبنا (سعد) وظل يعالج مرضهُ ويرتق فتوقهُ ، ويجاهد في سبيل اعلاء كلمته حتى اسدل الستار على كثير من فضائحهِ ومعائبهِ ، فتشجع اذ ذاك أرباب الشرف واقدموا على الاشتغال بهِ

«لهذا كان اشتغالهُ بالمحاماة بادىء بدء جهاداً مستمراً لولاهُ ما استطاع أحد منا الاشتغال بهذه الحرفة ، فالفضل كل الفضل في سمو مكانتها لشخص سعد »

اشتغل سعد اذن بالمحاماة في هذا الوقت ، فكان اقدامهُ على الدخول فيها شجاعة واقداماً ، وكان اقتحامهُ لهذه المهنة في تلك الاحوال مؤذناً بما يحمل بين جنبيهِ من نفس ملئت جرأة واقداماً وشجاعة ، وتجلت في اختيارهِ لها روح المصلح الشجاع وقوة نفسهِ بنفسهِ ، فقدأ قدم عليها واثقاً من قدرتهِ على تطهير سمعتها ، وانهُ سيكون فيها وردة بين اشواك

القبض على سعد بعد الثورة

في اوائل عهد الاحتلال قبض على سعد للمرة الثانية هو وزميلهُ في المحاماة حسين

افندي صقر ضمن جماعة زعموا انهم الفوا جمعية سرية اسموها (جمعية الانتقام) .على ان التهمة لم تكن لتروع سعداً اذ لم تكن لهُ معرفة بأحد من رجال الجمعية

وشكلت لمحاكمتهِ هو والمرحوم حسين افندى صقر لجنة مختلطة تحت رآسة قاضي بلجيكي اسمهُ فلمنكس واعضاؤها (المسيو دوهلتس الذي كان فيما بعد مستشاراً لمحكمة الاستئناف الاهلية في نفس الدائرة التي كان سعد عضواً بها او رئيساً وهو الذي اختارهُ المستشارون سنة ١٩٠٦ ليكون خطيب محكمة الاستئناف في حفلة تكريم سعد عند تعيينهِ ناظراً للمعارف) وكان من اعضائها ايضاً هيبه واصف باشا والمرحوم حامد محمود بك. ومحمود سالم بك . فظهرت براءتهما للجنة ولكنهما ظلا سجينين بقشلاقات قصر النيل ثمانية وتسعين يوماً وقد حاول ولاة الامور نفيهما الى السودان ولكن نخري باشا ناظر الحقانية عارض في ذلك واعتبرهُ تحدياً للقضاة الاجانب الذين التجأت اليهم مصر لتعليم محاكمها — وظلا بالسجن حتى رفع امرهما الى المستر مكسويل وكان نائباً عمومياً فأمر باطلاقهما في الحال . وقد قصَّ علينا دولة سعد باشا قبيل وفاتهِ امر هذا السجن فقال: « لبثنا في السجن اشهراً رغم وضوح براءتنا واعلان رأي المحققين .وألح علينا بعض الصحاب ان نبلغ الامر الى الانجليز فرفضنا حتى تقدم الينا محام قديم كان من اصحاب الحيل الدفاعية والاساليب الطريفة في تخليص القضايا .وكان من الحيل التي لجأ اليها ان التمس لنا اصلاً مغربياً وكتب لنا نسبة كنا نحن اول المستغربين لها الضاحكين منها حين اطلعنا عليها بعد الافراج عنا . ومما الجأهُ الى هذه الحيلة ان فرنسا كانت قد استولت على تونس واخذت في الحاق التونسيين المقيمين في مصر برعاياها ... وكان بعض الناقمين منا يريد عقابنا وتلفيق الشهادات لالصاق التهمة بنا . ثم ارادوا ان ينفونا الى السودان . . . . . ولم تكن النسبة المغربية سبب نجاتنا كما اراد محامينا جزاهُ الله ولكنها بقيت فكاهة نتذاكرها ويتحدث بها اصدقاؤنا »

المحامي السجين

قال رحمهُ الله في خطبة لهُ : « وقدر لي اني حبست في اول اشتغالي بهذه الحرفة ظلماً وعدواناً فنفعني شروعي فيها وقد كنت ادافع عن الخصوم بالكتابة رداً على التقارير التي كانت تقدم اليَّ للاجابة على ما فيها من المسائل فانظروا يا اخواني في امر محام كان يناضل عن الحق وهو منهُ سليب »

سعد يعود للمحاماة

« و بعد ان انقضت مدة سجني عدت الى مزاولة هذه الصناعة لا ابغي بها غير الحقائق مطلباً ..... ودخلت في هذه الصناعة وتحملت ما تحملت ولم يكن هناك نقابة تدافع عن حقوقها بل كانت المحاماة تحت الاحكام العرفية وكان يكفي ان رئيس المحكمة يغضب على وكيل فيحرمه صناعته ...واذكر يوماً كنت اترافع فيهِ امام محكمة منها فطلب وكيل النيابة تأجيل القضية لاستيفاء بعض الاجراءات فقلت : لا يجب تأخير الدعوى لانهُ لا يصحّ اطالة سجن المتهمين، فقال لي رئيس المحكمة: اسحب كلامك فان المحكمة لا يجب عليها شيء ،فدفعتني شدة جرأتي على ان اقول لهُ باني لا اسحب فكرة اعتقدها حقاً فتداول مع زملائك وقرروا رفض طلبي او عدم رفضهِ . قلت هذا وانا متخوف ان يجر اليّ حرماني من صناعة المحاماة ولكن قدر القدر ان يكون بين القضاة قاض كان صديقاً لنا اخيراً وهو المرحوم علي بك فخري فعفوا عني » . اما مقام سعد في المحاماة ومكانهُ بين المحامين ، فقد اعتمدنا في تصويرها على ما قيل في الحفلة الكبرى التي أُقيمت لهُ في ١٨ يوليه سنة ١٨٩٢ عند ما اختير للقضاء في محكمة الاستئناف واقام لهُ المحامون حفلة في فندق الازبكية حضرها مائة محام وجميع قضاة الاستئناف وخطب فيها ثلاثة عشر محامياً رسموا في خطبهم صورة للمحامي النابه الذكر الذائع الصيت الابي النفس . خطب في تلك الحفلة اخوانهُ الذين ساجلهم وساجلوهُ . وناضلهم وناضلوهُ . وعرفوهُ في ساحة القضاء خصماً عنيداً قوياً . صلب القناة ابيًّا لا يغمز جانبهُ وعرفوا فيهِ لساناً قوالاً ينفث السحر . ومعارضة قوية . وصفاء في القول والخطاب لا يعادلهُ الاَّ صفاء قلبهِ . وسلاسة في التعبير وسهولة في البيان . وقوة في الاقناع والافهام . وقوة جدل تعرف كيف تهزم الباطل وتجعلهُ هباء وتعز الحق وترفع لهُ لواء . وكيف تخلص الحقائق من بين غياهب الضلال والشبهات. ولسان لا يعرف الفاحش من القول ولا اللغو من الكلام . قال رحمهُ الله في خطبة لهُ : «وكان المحامون مشهورين بمهارتهم في ان يشتم بعضهم بعضاً وقد اصابني في اول مرافعة امام محكمة الاستئناف ان زميلي كان رجلاً قديماً وكنت صغير السن اذ كان عمري ٢٢ سنة وكان مستاً نقاً فأخذ يطعن عليّ بدون ان يعرفني او اعرفهُ ونسب اليّ اني كنت محامياً قديماً وما كنت كذلك .. وبعد ذلك الهمت القول بان كلام زميلي ينحصر بعد حذف المطاعن في كذا .. وما جاريتهُ في شتائمهِ.وجريت على هذا الاسلوب

وجرى آخرون . . . قناعة وتعفف وتحصن ضد ضعف النفس واغرائها وميل الى اصلاح ذات البين وفض الخصام . قال في خطاب لهُ في سنة ١٩٢٤ :«اذكر اني عند ما كنت محامياً .. ويأتي موكلي مريداً للصلح لخشية خصمهِ من توكيلي عنهُ ارحب بهِ واسهل الامر عليهِ بان أرد اليهِ مقدم الاتعاب التي قبضتها منهُ .اني ما كنت اقيد مقدم الاتعاب في باب الايرادات بل في باب الامانات لا في نفسى ضعف نفسي حتى اذا اراد الموكل الصلح ارد لهُ مقدم الاتعاب واقول لهُ هذه اماتتك ردت اليك »

كان يحترم نفسه ويلزم الجميع باحترامهِ ، قال في خطبة لهُ: «كنت احب ابداً ان يحترمني القاضي فأحذر كل ما يؤدي الى غير ذلك . ولعل سعادة الرئيس (اشارة الى بليغ باشا) يذكر انهُ لما كان بين اعضاء لجنة الامتحان التي طلبتني امامها وسألتني ماهي واجبات المحامي .كان جوابي : درس القضية جيداً والمدافعة عن الحق واحترام القضاء .... ويعلم الله كم من ليال مضت ما كان امرّها عندي لا لاني كنت في عيش ضنك .ولا لاني قليل اليسر ولكن لان الحقيقة ضائعة لا اجدها في طريق نشداني لها بين اناس عهدت اليهم امانة ولا من يؤديها منهم لاهلها.وكنت أرى القانون يكرهني على احترام القضاة وضميري يأبى الامتثال لاحترام كثير منهم .فكنت اجمع بين الاحترام والتحقير ولا استطيع التوفيق بين الظاهر والباطن. كنت اسأل من القضاء حقاً ومن النيابة واجباً فلا أجد هذا ولا ذاك »

قال في وصفهِ نقولا توما : «كل من خاصمك من اقرانك كان لا يلبث ان يعترف بأنك صاحب الفضيلة الواجب ان يحترم . واني كنت اول محترم لك ومعترف بأنك الممتاز بالفضيلة . ولا أجد احداً ممن صافاك أو جافاك الا اقتنع بانك أولى الاخوان بالاحترام فلنشرب على سر اختصاصك بالفضيلة »

وقال عنهُ احمد حشمت بك الافوكاتو العمومي عند ما خطب في تلك الحفلة :« ان النيابة والمحاماة خصمان مختلفان وان كان كل منهما يناضل للحق والإنصاف . وقد كان سعد من اولئك الخصماء أقواهم حجة ودفاعاً عن الحق فحق للنيابة ان ترحب بهِ فيصلاً يقضي بالحق كما عهدتهُ في خصومتهِ نصيراً لهُ »

وقال حسن الشمسي:« بلغت مقام القضاء لا على رواحل الصدف ولا محركاً بعوامل الاغراض الذاتية بل بما عرفناهُ فيك من طهارة الذمة والصدق وقوة الحجة في البيان والبرهان . وقد امتزت بالسبق في كل هذه الصفات فلم يدرك شأوك فيها أحد . نشهد

انك كنت المرجع الاعلى لكل من اشكل عليهِ امر أو اغمض عليهِ حق . وكنت تشعر من نفسك بمنزلتك العالية في قلوبنا فاذا تكلمت أو تحركت رمقت العيون بالاجلال والاحترام والاعتبار . وقلنا قال الفاضل وجاء الفاضل . افئدتنا تنطق بذلك وان كانت ألسنتنا سكوت »

وقال ابراهيم بك الهلباوي : « اصبح الفلاح في زوايا القرى يعتمد على اسمه في مقاضاة خصمه ان كان محقًّا وتخور قواهُ وتنحلّ عزيمته عند ذكر اسمهِ ان كان مبطلاً : كانت اعمالهُ استاذاً لكل من اشتغل بحرفة المحاماة بل لكثير من القضاة . وهذه تقاريره الشرعية والعقلية محفوظة لدينا يرجع اليها كل من أبهم عليهِ أمر قانوني . لقد أتم دروسهُ علينا سواء من حيث الصدق والاستقامة وطهارة الذمة أو من حيث البلاغة والفصاحة او من حيث النقط القانونية الدقيقة »

وتكلم بمثل ذلك جبران كحيل واحمد الحسيني وحسن الشيمي وغيرهم

هكذا كان سعد في المحاماة مثلاً عالياً من غير مثال يحتذيهِ لشرف المحامي وكرامة المحاماة . وضع اساسها . ووطد دعائمها . وطهر ذكرها . ورفع شأنها . ونظم تقاليدها. ووهبها من سحر لسانهِ البيان المتدفق . والفصاحة المتدفعة . وكم من مظلوم تراءى لهُ الموت شبحاً في ظلام سجنهِ انقذهُ سعد بسحرهِ . وكم من محكوم عليهِ لجأ الى سعد في آخر الامر فانقذهُ من مخلب الموت

ولقد كان من الطبيعي ان يصبح سعد محامياً . فاي مجال يتسع لهذا القلم الخصيب الطيّع . وذلك اللسان الصوال القوال غير مجالها . واية ساحة يرن فيها هذا الصوت العالي وتبدو فيها تلك العارضة القوية غير ساحتها . ما خلق سعد ليجري قلمهُ في اوراق المكاتب والدواوين . وما كان لبيان سعد ان يحبس في ديوان . او يوقف على احدى المصالح بين اربعة جدران. بل لقد احس سعد يوم عزلوهُ من منصبهِ بأنهُ وإن عطل منهُ فليس بعُطل من المواهب. واحس بان في داخلية نفسهِ دافعاً يدفعهُ الى الاتصال بالجماهير عن طريق منبر المحاماة ، خطب مرة فقال : « ما سبقت الى اتخاذ فن المحاماة شعاراً الاَّ لانها الحرفة التي تستلزم بسط اراء المشتغل بها على حضرات القضاة والاقران وجماهير العامة فهي الحرفة التي تظهر فيها قيمة المرء في وسطهِ » أليست المحاماة خطوة الزعماء الاولى في الزعامة : لقد كان غمبتا محامياً . وكان جول فافر محامياً

محمد صبري ابو علم



صورة تمثال شكسبير في كنيسة الثالوث ببلدة
ستراتفورد مسقط رأسهِ



شكسبير عن النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٣

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣٨٥

شكسبير

دلائل شهرته — ولمحة من نشأته

[قدم القاهرة في اوائل نوفمبر الماضي جوق من اشهر اجواق التمثيل الانكليزية لتمثيل روايات شكسبير في دار الاوبرا . فرأينا ان ننشر المقال التالي فيها اتماماً للفائدة]

١

اتفق الذين كتبوا عن شكسبير على انهُ من المشهورين لكنهم اختلفوا في تحديد شهرتهِ فقال الذي كتب ترجمتهُ في انسكلوبيذيا ريس الانكليزية المطبوعة منذ مائة سنة إنهُ « شاعر انكليزي من مؤلفي الروايات التمثيلية وهو اشهر من الّف من القدماء والمحدثين » . وقال الاستاذ سبنسر بينس في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية إنهُ « شاعر انكلترا واعظم شعراء الروايات التمثيلية الذين نشأوا في اوربا في العصور الحديثة » . وقال العالم ادمند كرشفر تشمبرس في الطبعة الحادية عشرة من الانسكلوبيذيا البريطانية التي طبعت سنة ١٩١٣ إنهُ « شاعر انكليزي وممثل ومؤلف روايات تمثيلية »

وقال الاستاذ دودن في طبعة حديثة من سكلوبيذيا تشمبرس إنهُ « اكبر شاعر من شعراءِ الروايات التمثيلية » وقال الدكتور بنيامين سمث محرر سكلوبيذيا السنتشري إنهُ « شاعرٍ انكليزي مشهور وهو اشهر واضعي الروايات التمثيلية » . وقال يوليو في قاموس الاعلام الفرنسوي « إنهُ اول شاعر انكليزي صنف الروايات التمثيلية »وقال لاروس في الانسكلوبيذيا الفرنسوية « إنهُ شاعر من شعراءِ الروايات التمثيلية »

واثبت الاستاذ كاتل الاميركي بالاستقراءِ ان شكسبير اشهر رجل عند الاوربيين والاميركيين بعد نبوليون بونابرت . وذلك انهُ اخذ ستة من اشهر الانسكلوبيذيات الانكليزية والفرنسوية والالمانية والاميركية واوسعها وفتَّش في كلٍ منها عن الالف الذين شغلت ترجماتهم اوسع مكان فيهِ بالمقابلة مع غيرهم فاجتمع لديهِ ستة آلاف اسم فانتقى منهم الالف الذين ذكروا في هذه الانسكلوبيذيات الستة كلها وكانت ترجماتهم فيها اوسع من ترجمات غيرهم وقسمهم الى عشر طبقات حسب طول ترجماتهم ورتب اسماء كل طبقة حسب طول الترجمات فوجد رجالات الطبقة الاولى حسب الترتيب التالي:

نبوليون بونابرت . شكسبير . ڤولتر . باكون . ارسطوطاليس . غيتي . يوليوس

قيصر. لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . بترك . هوميروس . اسحق نيوتن. شيشرون .ملتون .الاسكندر المكدوني . بت" .وشنطون .اغسطس قيصر.ولنجتون. رفائيل . ده كارت . كولمبوس .كنفوشيوس .ولترسكوت . ميخائيل انجلو .سقراط الخ

واغفل الدكتور كاتل ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بأن شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر وعندهُ ان ما تقدم دليل استقرائي على ان الاوربيين والاميركيين يحسبون شكسبير اشهر الرجال كلهم ما عدا نبوليون واشهر الشعراء فلا يقاس احد بهِ من المتقدمين ولا من المتأخرين

واذا التفتنا الى ما كتب عن شكسبير ونبوليون في غير الانسكلوبيذيات ايضاً وجدنا شهرة شكسبير تفوق شهرة نبوليون كثيراً بل قد يكون سقراط وارسطو وافلاطون اشهر من نبوليون ايضاً من هذا القبيل

واشعار شكسبير ورواياتهُ التمثيلية تملأ مجلداً كبيراً ولو ترجمت الى العربية وطبعت بقطع المقتطف وحرفهِ لملأت ثلاثة آلاف صفحة ومع هذا قد طبعت بالانكليزية مراراً لا تحصى وعلى اشكال مختلفة عددت منها الانسكلوبيذيا البريطانية الاخيرة ٧١ شكلاً طبعت في انكلترا وكل شكل منها طبع مراراً . ولا نظن ان احداً قرأ اللغة الانكليزية من ابنائها او من غير ابنائها الاَّ قرأ روايات شكسبير كلها او بعضها واقتنى نسخة او اكثر منها . وفي مكتبتنا اربع نسخ مختلفة بعضها قديم وبعضها حديث عدا الاجزاء التي لروايات مخصوصة او لاقوال مخصوصة مما يستشهد بهِ من اقوالهِ . فكم منها عند المائة والستين مليوناً من ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا والهند وعند غيرهم من قرَّاءِ هذه اللغة . وكم من الملايين طُبع من هذه النسخ منذ اكثر من ثلثمائة سنة الى الآن . فاذا فرضنا ان بيوت ابناءِ اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا ثلاثون مليون بيت (لانهم نحو مائة وستين مليون نفس) وفي كل بيت منها نسخة واحدة ففيها الآن ثلاثون مليون نسخة كاملة عدا المختارات الكثيرة الانواع

وقد تُرجم شكسبير مراراً ترجمات مختلفة الى الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية والهولندية والدنماركية والاسوجية والبوهيمية والمجرية والبولونية والروسية وترجمت بعض رواياتهِ الى العربية باقلام كتاب مختلفين

وفي رواياتهِ اكثر من ٢٥٠٠ كلمة من الكلمات التي لم تعد مألوفة ولذلك عني الانكليز بتفسيرها ووضع الحواشي الكثيرة عليها . وعني المصورون والحفارون في كل اللغات

بتصوير المناظر التي ذكرت فيها وحفرها وطبعها على اساليب مختلفة . وقد عددت الانسكلوبيذيا البريطانية في طبعتها الاخيرة الكتب التي الفت على شكسبير في الانكليزية وغيرها من اللغات التي ترجم اليها شروحاً كانت او انتقادات او معجمات او ترجمات او تواريخ او ما اشبه فلات اسماؤها ما لو ترجم الى العربية لملأ اكثر من عشرين صفحة من صفحات المقتطف

وقد مرَّ على هذه الروايات الآن اكثر من ثلثمائة سنة وهي تمثل في اوربا واميركا وفي كل البلدان التي ترجمت الى لغاتها حتى في هذه العاصمة والناس لا يملونها . وعني اشهر الممثلين والممثلات بتمثيلها او نالوا شهرتهم بها . ولم يشتهر خطيب ولا منشىء في الانكليزية الاَّ وقد رصَّع اقوالهُ بعبارات من امثال شكسبير وجوامع كلِمهِ

والخلاصة اننا اذا استثنينا مشترعي الاديان الكثيرة الانتشار والاتباع فشكسبير اشهر رجل قام في كل العصور

وهذه الشهرة لم يحلم بها شكسبير ولا توخَّاها ولا كان له في عصرهِ شيء يذكر منها بل لو بنينا حكمنا على ما نالهُ منها وهو حيٌّ ثم وهو ميت الى ان مضى على وفاتهِ مائة عام لرأينا انهُ عاش ومات مثل اواسط الكتَّاب فلم يبلغ مبلغ كبار العلماء والشعراء وقواد الجيش وامراء البحر مثل نيوتن وتنسن وولنتن ونلسن بل كان كما قال فيهِ احد واصفيهِ كالمحارة التي تفرز المادة اللؤلؤية حول ذرة في جسمها فيتكون منها جوهرة غالية الثمن ترصَّع بها تيجان الملوك وهي لا تدري انها فعلت شيئاً

يدلُّك على انهُ لم يكن يعلم قيمة رواياتهِ انهُ لم يهتم بطبعها ونشرها والذين طبعوها ونشروها في حياتهِ لم يستأذنونهُ في ذلك ولا استشاروهُ ولا اعطوهُ شيئاً من ربعها ولعلهم غيَّروا وبدلوا فيها ما شاؤوا وهو لاهٍ عنهم مكتفٍ بالمال القليل الذي كسبهُ من تمثيلها . ولم يخلف اولاداً يغارون على اسمهِ ويستفيدون من شهرتهِ فيستخدمون وسائل الشهرة العادية كحفلات التأبين واستنشاد الشعراء والنشر في الجرائد فانهُ رزق ابناً وحيداً وابنتين فابنهُ توفي قبلهُ بعشرين سنة وابنتاهُ تزوجتا ولكن مات اولادهما في حياتهما وانقطع نسلهما

ولم يكن من بيت غنىً ومجد فان اباهُ كان لحَّاماً او بائع جلود وكان في اول امرهِ على شيءٍ من السعة ثم افتقر الى درجة الاملاق . وهو نفسهُ تزوج بفتاة اكبر منهُ سنًّا لانها كانت على شيءٍ من الثروة ثم هرب من وجه القضاء ولجأ الى التمثيل للتعيُّش

ولم يكن في اول الامر ممثلاً بل كان خادماً في دار التمثيل يمسك خيول الذين يأتون راكبين ولا خدَم معهم تمسك خيولهم . ثم لما انتظم بين الممثلين وظهرت براعتهُ في التمثيل وفي تأليف الروايات التمثيلية اكرمهُ اهل وطنهِ كما يكرمون كل ممثل بارع ومنشيء بليغ ولكنهم لم يغالوا في اكرامهِ. ولما توفي رثاهُ بعض اصدقائهِ ولم يبالغوا في مدحهِ بل وصفوهُ بالانس والظرف .ويستدلُّ من ذلك كلهِ ان الشهرة التي لهُ الآن مكتسبة ، نشأت بعد موتهِ وتزايدت على مرور الزمن. فكيف ذلك ؟

٢

التمثيل فن جميل وتجارة رابحة ومجالهُ واسع جدًّا عند الاوربيين والاميركيين لان النساء يشاركن الرجال فيهِ ولا تأنف اجمل النساء والبنات واطربهنَّ صوتاً ان تكون في عداد الممثلات . ولا يخفى ان المناظر الجميلة والاصوات المطربة تستهوي القلوب واذا اقترنت بروايات تاريخية او فكاهية كثيرة الحوادث غريبة النوادر مدهشة الوقائع مشتملة على تاريخ الامة صار لها اعظم وقع في النفوس . واذا كانت كثيرة الاشعار والاغاني وتكررت مرةً بعد اخرى استظهر السامعون كثيراً منها فالفتها آذانهم وادمغتهم فصاروا يرتاحون اليها ولا يصبرون على الانقطاع عنها . واذا كانت كثيرة النكات الادبية والفكاهية مملحة بالمواعظ والحكم وجوامع الكلم طرب لها كل احد حتى العلماء وخدمة الدين . واذا تناولت كل اعمال الناس ومعايشهم رجالاً ونساءً حتى يرى فيها كل احد شيئاً مما يعلمهُ او يسرُّ بهِ تناول الاقبال عليها كل الطبقات

ولكن ذلك كلهُ لا يكفي ليصير لها الشأن الذي صار لروايات شكسبير بل لا بدَّ من اناس يحملون الجمهور على الرغبة في مشاهدة الروايات بكل طرق الترغيب. واتفق ان رأى البعض في صناعة التمثيل مجالاً واسعاً للكسب لانها تحتمل الرواج الى ما لا حدَّ لهُ فاستخدموا لها امهر الرجال في الالقاء والتمثيل واجمل النساء واطربهنَّ صوتاً وارشقهنَّ حركةً ودفعوا لهم ولهنَّ الاجور الطائلة وجهزوا مشاهد التمثيل بما يمثلون بهِ ازياء الناس في كل العصور وانواع اسلحتهم واشكال منازلهم وطرق معيشتهم واختاروا امهر الكتَّاب لوصف التمثيل وانتقاد الممثلين والممثلات وصوروهم صوراً ترتاح لها النفوس وذكروهن بما لا مزيد عليهِ من المدح والتبجيل فصار المرءُ في اوربا واميركا يهيِّئ ما يدفعهُ لمشاهدة التمثيل كما يهيِّئ ما يدفعهُ لمشترى طعامهِ ولباسهِ ويهتم بهِ اكثر مما يهتم بالمال الذي ينفقهُ على تعليم اولادهِ . والكل في ذلك سواءٌ غنيهم

وفقيرهم . ورأى هؤلاء المتاجرون بالتمثيل المكتسبون منهُ ان روايات شكسبير مُلك مشاع لا صاحب لهُ ولا يطالبهم احد بحقٍ كما يطالبهم المنشئون فاكثروا من تمثيلها وترغيب الناس فيها فزاد اقبالهم عليها اقبالاً وصقلتها الالسنة على مرور الزمن واشربت الافئدة معانيها ومبانيها . وقد اجمع كبار المنتقدين من الانكليز انها حرية بذلك بل هي احرى بهِ من غيرها . وقد اجمع النقّاد على ان شكسبير كان من اعلم الناس بطبائع الناس حتى ان الذين طبعوا رواياتهِ في حياتهِ على غير علم منهُ جعلوا الوصف المرغّب في مشتراها انها تشرح طبائع الناس على اختلاف درجاتهم وعناصرهم . ولما رثاه صديقهُ الحميم بن جنصن جعل بيت القصيد في رثائهِ ما ترجمتهُ

ان الطبيعة فاخرت فيهِ الملا   وتسربلت ما حاكهُ في وصفها

ونظر اليهِ شعراء الانكليز كلهم من عهدهِ الى الآن نظر التلميذ الى استاذهِ حتى قال الشاعر دريدن اني بالرهبة والوقار اطلب بركتهُ وانا اكتب

فالشهرة التي حازها حازها بما في رواياتهِ واشعارهِ من البلاغة والتعبير عن عواطف الناس واميالهم في كل اطوارهم ودرجاتهم وبما بذلهُ اصحاب مشاهد التمثيل من العناية لترغيب الناس فيها ولولا ذلك لاهملت كما اهمل غيرها

***

الشهرة اثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الاَّ وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما ينيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحِكَم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت نجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسويسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم ومواقع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويتضلعوا ممَّا انشأهُ ارباب الكلام وناظمو جواهر المعاني من نحو العبرانيين والمصريين والاشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . فاذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكان بالفطرة الموروثة ميّالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من هذا القبيل كما سنبينهُ في هذه العجالة معتمدين على ما جاء في ترجمتهِ في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية بقلم

الدكتور ينس استاذ المنطق والبيان في جامعة سنت اندرو وعلى بعض ما جاء في الطبعة الحادية عشرة بقلم العالم هيوكريشلم :

٣

ولد شكسبير بمدينة ستراتفورد في اواخر شهر ابريل سنة ١٥٦٤ وهي مدينة قديمة على نهر اڤون عُرفت هي وما يحيط بها من قبل عهد الرومان الذين اجتاحوا البلاد الانكليزية واضافوها الى ممالكهم وانشأُوا فيها القصور والمعاقل. واشتهرت في الحروب الاهلية التي توالت بعد ذلك وتقام فيها سوق للمواشي من اشهر الاسواق في تلك البلاد

ولا يعرف جمال البلاد الانكليزية الاَّ من زارها وتنقل في ربوعها فصعَّد في جبالها وصوَّب في وهادها واوغل في حراجها وادغالها وراقب تحدُّر شلالاتها واجال طرفهُ فيما حولهُ من البلاد فرأى مشارفها بين كاسٍ تجللهُ الحراج والادغال وعارٍ علاهُ الثلج والغمام وقد قامت بينها القصور والابراج معاقل امرائها الاقدمين واغنيائها المحدثين وكل شرفة من شرفاتها تنبئك بتاريخ فارس مغوار او غادة حسناء واخبار تداولها الخلف عن السلف وبنوا عليها اشعارهم واغانيهم . هذه حال البلاد التي لم يفتح شكسبير طرفهُ الاَّ وقع عليها فاعادت اليهِ ذكرى سكانها السالفين . واهالي البلدان الجبلية يكثر تحدثهم باخبار اسلافهم فلا بدَّ من ان يكون شكسبير قد سمع الكثير منها ووعاهُ في ذاكرتهِ واستعادهُ حينما الَّف رواياتهِ بعد ان وقف على التواريخ المكتتبة واستخرج منها ما نظم منهُ تلك القلائد

وكان من بيت لهُ شأن في ستراتفرد فان جدَّه رتشرد كان يسكن بيتاً كبيراً على نحو ثلاثة اميال او اربعة من تلك المدينة ولهُ مزرعة واسعة هناك وكان لهُ ولدان جون وهنري فانتقل جون الى ستراتفورد واقام فيها تاجراً وهو ابو صاحب الترجمة وكان يبيع الجلود وما يصنع منها واشتغل ايضاً ببيع الصوف والخشب والحبوب ويقال انهُ كان لحَّاماً ايضاً ولا غرابة في ذلك لان ستراتفورد مركز بلاد زراعية وهي سوق لها ومن كان عملهُ الزراعة وانتقل اليها يغلب ان يتاجر بالسلع الزراعية . والظاهر انهُ كان عالي الهمة ذكيَّ الفؤاد مقداماً فلم يمضِ عليهِ خمس سنوات حتى جُعل من اعيان المدينة وتدرَّج الى ان صار عمدة لها ورئيساً لمجلسها البلدي ومحكمتها المحلية وكان ذلك سنة ١٥٦٨ . وتدلُّ الدلائل على انهُ كان قد صار من ذوي السعة فانهُ اشترى بيتين

في المدينة سنة ١٥٥٦ واقترن في السنة التالية بسيدة من بيت وجيه اسمها ماري اردن ورثت من ابيها جانباً من المال ومزرعة فيها نحو ستين فداناً وبيتين او ثلاثة فاتسعت ثروتهُ بذلك ثم اشترى بيتين آخرين ويقال ان ابنهُ صاحب الترجمة ولد في احدها . ثم قلب لهُ الدهر ظهر المجن فخسر اكثر ثروتهِ لأنهُ كان كريماً متلافاً قليل التدبير سريع التأثر لا يعنى بالطفائف ولا يدقق في اعمالهِ وكان فوق ذلك محبًّا للجاه والتأنق فلما كان عمدة للمدينة اتى بجماعات من الممثلين وجعلهم يمثلون في دار المجلس البلدي احتفالاً بارتقائهِ الى هذا المنصب فغرس في نفس ابنهِ محبة التمثيل لأن ما يشاهدهُ الفتى في حداثتهِ يؤثر فيهِ تأثيراً شديداً وقد يغير مجرى حياتهِ . وطلب من نقيب الاشراف حينئذٍ ان يحسبهُ بينهم ويعطيهُ سمة الشرف، اي ان نفسهُ كانت جانحة الى المعالي وحب الشهرة مع انهُ كان لا يزال تاجراً من عامَّة التجار في بلد صغير. فهذه الاخلاق كلها آلت الى فقدانهِ ما جمع من الثروة فرهن املاكهُ واستغرق في الدين واضطرت زوجتهُ ان تبيع املاكها لايفاء جانب من دينهِ وظل في حالة ضيق شديد الى ان افلح ابنهُ وساعدهُ على ايفاء ديونهِ واسترداد بعض الاملاك التي باعها . ولكن فقرهُ لم يحط منزلتهُ في عيون قومهِ لاسيما وانهُ بقي ينفق كاغنيائهم

اما زوجتهُ ماري اردن فكانت من عائلة قديمة وجيهة كما تقدم ومن اسلافها رجل اسمهُ الدن صاهر بيت الملك المعروف ببيت اثلستين ولذلك فدمها ممزوج بدم اشراف النورمنديين وقام من اسلافها رجال اشتهروا بمناصرة الملوك في حروبهم . ووجهاء الانكليز ممتازون عن عامَّة الشعب بآدابهم واخلاقهم امتيازاً كبيراً رجالاً ونساء وقد كانت ام شكسبير من الطبقة العليا ولا بدَّ انها اثرت فيهِ تأثيراً كبيراً بآدابها واخلاقها وبما يعرف من تاريخ اهلها ووجاهتهم لاسيما وانهُ بكرها والامهات الانكليزيات يعنين خاصة بتربية البكر من اولادهنَّ . فلما كان والداهُ في سعة تعلَّم وتهذب ورأى من بشاشة امهِ وطلاقة وجهها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في اوج مجدهنَّ ولما ضاقت الاحوال وجاءت ايام البؤس رأى من صبرها وطول اناتها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في حالة البؤس والشدَّة . فاليسر والعسر اللذان اصابا والديهِ اثرا في نفسهِ تأثيراً شديداً كما اثرت اخلاقها فيهِ . ثم إن ما حلَّ بهما من الضيق حملهُ على بذل اقصى جهدهِ لكي يكتسب مالاً يساعدها بهِ ويردها الى الحالة التي كانا فيها ففعل عن طيب نفس وزاد بذلك ليناً ودعة

متى يجوع العالم ؟

اذاع القس مالثوس الانكليزي منذ مائة وتسع وعشرين سنة مذهبهُ المشهور وهو ان سكان الارض سيزدادون في المستقبل زيادة كبيرة حتى لا يكفيهم الاكل على الارض فتعمُّ المجاعة الناس وتشتد المسكنة في كل اقطار المسكونة

فلو صحت نظرية العالم المذكور لكنا الآن في عداد الاموات لان انكلترا نفسها حسب زعمهِ كان يجب ان تحلّ بها المجاعة سنة ١٨٤٥ وتسبقها سائر بلدان الارض او تتبعها

على ان الذاهبين هذا المذهب يقولون « انهُ وإن لم تعمّ المجاعةُ الارضَ بعد فخطرها لا يزال قائماً انما ارجيء زمن وقوعها » ويصرحون ايضاً بانهُ اذا فرض ان الاكل وجد بوفرة فلا بُدَّ ان يأتي زمن يزدحم فيهِ السكان ازدحاماً شديداً حتى لا يجدوا لهم متسعاً على سطح الارض فيدوس بعضهم بعضاً ، ويبنون قولهم هذا على ازدياد سكان الارض ازدياداً متواصلاً في الماضي وهم يقدرون عددهم الآن بالف وثمانمائة مليون نسمة فاذا اطردت هذه الزيادة في المستقبل وتمشت على ما تمشت عليهِ في الماضي فالازدحام واقعٌ لا محالة

واسهل طريقة لفهم هذا المذهب هو النظر في الزمان الذي يلزم فئة من الناس حتى يتضاعف عددها . ففنلندا زاد سكانها منذ ١٧٤٩ الى الوقت الحاضر ثلاثة اضعاف مع نزوح قسم كبير من اهاليها عنها وقد تضاعف عدد سكان الولايات المتحدة مراراً ولكن بعض ذلك الازدياد يعزى الى مهاجرة الناس اليها من الخارج . والبلاد الفريدة التي لم يتضاعف عدد سكانها في القرن الاخير هي فرنسا ، على انهُ يمكننا ان نقول : ان عدد سكان الارض تضاعف على الاقل مرتين في المائة السنة الاخيرة

ونحن اذا اهملنا مسألة النزوح من بلاد والمهاجرة الى غيرها ناظرين فقط الى زيادة المواليد على الوفيات في امة من الامم رأينا زيادة السكان قليلة ، وبكلمة ثانية نقول : ان عدد سكان الارض يتضاعف مرة في المائة سنة على اكبر تعديل

والذي اضعف نظرية مالثوس الآن هو انهُ لما اذاعها كان يُظَن ان بقاعاً واسعة في اوربا واسيا واميركا واوستراليا لا تغل شيئاً فروج المجر وروسيا وسهولها كان

يُظَن في عهد مالثوس انها لا تصلح الاَّ لاقاتة المواشي وكما قال الاستاذ بروز في جامعة شيكاغو كان يُظن سنة اذاع مالثوس مذهبهُ ان مروج الولايات المتحدة وكندا وسهولها لا تصلح الاَّ لرعي الماشية اما الآن فقد أصبحت المراكز الرئيسية لانتاج الحنطة . وهكذا قل عن سهول افريقيا وسيبيريا

فهذه الزيادة في الحنطة لم يحلم بها مالثوس في ذلك العهد وهي ولا شكَّ تُبعد الى حدّ ما زمن حلول المجاعة العامة . يضاف الى الزيادة في الحنطة الترقي الكبير الذي طرأ على معدات الزراعة ووسائل النقل فبهذه الزيادة نتمكن من ارجاء زمن المجاعة الى سنة ١٩٣٥ .واذا اقتصدنا في مقدار ما نتناولهُ من الطعام وضربنا على نهمنا وتبذيرنا واتبعنا ما يوصي بهِ الاطباء من ان الناس يتضررون من وفرة الاكل اكثر مما يتضررون من قلتهِ ابعدنا زمن حلول المجاعة الى سنة ١٩٥٥

واذا توقفنا عن اقاتة كثير من الحيوانات التي لا نفع منها ارجأنا زمن المجاعة سنة او سنتين اي الى سنة ١٩٥٦

ويقول الثقات : انهُ باستطاعتنا زيادة الانتاج في الاراضي المهملة من ٢٥ بالمائة الى ٥٠ بالمائة فنبعد زمن المجاعة بذلك نحو ثلاثين سنة اي الى سنة ١٩٨٩ .كذلك نستطيع زيادة مساحة الاراضي المزروعة بواسطة اعمال الريّ والنزح نحواً من خمس وعشرين بالمائة فنبعد زمنها الى سنة ٢٠٠٩

ولنحول نظرنا الآن الى فريق النباتيين (الذين يعيشون على المواد النباتية) فهؤلاء يقولون : «ان اكل اللحوم عادة فيها كثير من الاسراف والضرر. ذلك اننا نطعم الحبوب للحيوانات طمعاً بلحمها ولبنها فكأننا نتلف من اربعة اخماس الى تسعة اعشار الحبوب التي تنتجها الاراضي المزروعة . ثم متى اكلنا لحم هذه الحيوانات حصلنا على خمس قيمة الطعام الذي تأكلهُ او عشرهُ لاغير . فاذا اتبع العالم رأي النباتيين خوفاً من حلول المجاعة اي اذا كانت الارض التي تستعمل لرعي المواشي تستعمل لانتاج القمح امكننا ابعاد زمن المجاعة الى سنة ٢٠٥٠

وعلاوة عن استخدام الاراضي المذكورة اعلاه لانتاج الحنطة كسهول الولايات المتحدة وسيبريا فهنالك اراضٍ في الاصقاع الشمالية يمكننا الانتفاع منها — وهي بقاع مكسوة بالحشيش والحراج الغضة وسهول فسيحة الارجاء تشبه سهول الولايات المتحدة

وسيبيريا . فهذه الاراضي لا تصلح لزرع الحنطة ولكن نستطيع الانتفاع بها لتربية المواشي اذا نحن وفقنا الى انتقاء الحيوان الداجن المناسب لها

فهذه جزيرة غرينلندا وهي اكبر جزيرة في الاصقاع الشمالية لا بل من اكبر جزائر الارض يمكن الانتفاع بعشر اراضيها لتربية المواشي عليها لان ما تبقى منها مغطى بالثلج على مدار السنة . وقد كان لهذه الجزيرة في الماضي شأن كبير في تربية المواشي فان الجالية الاسوجية التي كانت تقطن فيها بين القرنين العاشر والثالث عشر كانت تصدر الى بلادها والى سائر البلدان الاوربية كل ما يصنع من اللبن كالزبدة والجبن وما اليهما . ولكن هذه الصناعة زالت بنزوح هذه الجالية عنها حوالي سنة ١٤٥٠ بعد المسيح لاسباب لا تزال مجهولة . ويقال ان الدانماركيين يفكرون الآن في تربية المواشي في بعض الاماكن الصالحة لذلك كجزيرة اسلندا . وهنالك اراضٍ في غير هذه الجزيرة يمكن استخدامها لتربية المواشي كفرنز جوزف وسبتسبرجن وهيبرغ وألسمير ونورث ديفون وبعض الاماكن في الاسكا وكندا وسيبيريا وخصوصاً الاراضي الواقعة شمالي منطقة الحراج — فمعظم هذه الاراضي صالحة لتربية المواشي لكثرة الكلأ الذي فيها ويصلح للمعيشة فيها حيوان الرَّنة والثور الاميركي كل السنة ولا خوف عليهما من البرد الشديد

ولقد اهتمت دائرة التربية في الولايات المتحدة بتكثير حيوان الرنة فاحضرت منهُ ١٢٨٠ حيواناً منذ ثلاثين سنة من سيبيريا الى الاسكا فتضاعف عدد هذه الحيوانات كل سنة حتى بلغ ثلاثمائة الف الآن مع انهُ ذُبح منهُ مائة وخمسون الفاً فنشأ من ذلك صناعة كبيرة واخذ لحمهُ يُورَّد الى مطاعم نيويورك وفنادقها . وتقول دائرة علم الاحياء : انهُ لا تجيء سنة ١٩٤٠ حتى يكون منهُ في الاسكا من مليون حيوان الى اربعة ملايين حيوان ويكون المصدَّر من لحمهِ كل سنة الى الولايات المتحدة بين خمسين الف طن ومائة الف طن

الخلاصة : لكي ندرأ عنا حلول المجاعة العامة يجب ان نزيد مقدار الاطعمة التي تنتجها الارض فنعالج الاراضي الصالحة للمرعى لكي نحصل منها على كل ما يمكن الحصول عليهِ منها بتحويلها الى اراضٍ صالحة لزرع الحبوب والبطاطس والاثمار والراجح ان الاراضي الصالحة لرعي المواشي الآن تتغير في المستقبل (قد يكون ذلك في مدة مائة سنة) الى اراض تنتج الذرة والتفاح وغيرهما . ويرى اصحاب الزراعة ان في شمالي

منطقة الحراج حيث يعيش حيوان الرنة والثور الاميركي اراضي لا تصلح للزراعة ولكنها تصلح للمرعى وتقدر مساحتها بمساحة الولايات المتحدة ضعفاً ونصف ضعف وهي كما يأتي : ٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في الاسكا و ١٥٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في كندا و ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في شمالي اوربا واسيا وهذه كلها صالحة لتربية الرنة والثور الاميركي ويفضل الثاني لسهولة الاستفادة من صوفهِ الناعم

فهذه الزيادة تبعد زمن المجاعة الكبرى الى سنة ٢٠٨٠ ولكنها تبعدها لا غير اذ لا تجهز على العلة من اصلها . فالموت قادم والمجاعة واقعة الاَّ اذا تقدم العلم وصار في الامكان صنع الاطعمة المغذية في معامل الكيماويين من العناصر البسيطة

ويجب أن لا ننسى ما يمكننا الانتفاع بهِ من عالم البحر فهناك الاسماك على اختلاف انواعها والانكليس والحيتان وعجول البحر وبقره والنباتات البحرية وفي الامكان تربية بعض هذه النباتات على اليابسة بوضعها في احواض ملآنة بالمياه المالحة . فاذا اعتمدنا على هذا المورد الجديد ارجأنا زمن المجاعة مائة سنة اي الى سنة ٢١٨٠

نعود الآن فنسأل انفسنا السؤال الثاني : «هل يأتي يوم تغص فيهِ الارض بسكانها حتى لا يجدوا متسعاً لهم على سطحها يقفون فيهِ مع ما هنالك من الاماكن الواسعة الفارغة من السكان في افريقيا واسيا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية واستراليا ؟ »

نعم ان هذا السؤال حريٌّ بالاعتبار لان العوامل والمساعي المبذولة لزيادة عمر الانسان ووقايتهِ من الامراض كثيرة جدًّا ، فهناك التناقص الكبير في وفيات الاولاد وهنالك الوسائل الطبية الفعالة لايقاف الامراض الوافدة والاوبئة الجارفة عند حدٍّ لا تتعداهُ يضاف الى هذا مساعي الاطباء للقضاء على كثير من الامراض والاوبئة التي كانت تذهب قبلاً بحياة الالوف من البشر

فعلى ما يظهر ان ازدحام الارض بالسكان واقعٌ لا محالة ولا امل بارجائهِ الاَّ بالحروب والاوبئة وبتحديد عدد المواليد ما لم تظهر عوامل جديدة قد تغير وجوه هذه المشكلة تغييراً تامًّا

على كل لنعش هذه السنين مستريحي البال تاركين حلها لمن يأتي بعدنا والسلام

عن الانكليزية جامعة بيروت الاميركانية نجيب نصّار

الروابط التاريخية بين مصر وسورية

ان اول خطوة خطاها الفينيقيون بتجارتهم ومعارفهم كانت الى جارتهم مصر المحبوبة . كذلك كانت سورية مسرحاً لفراعنة مصر وملوكها ولاسيما الرعاة (الهكسوس)الساميون وغيرهم فنزلوا ربوعها على الرَّحب والسعة للاصطياف والارتباع وللاستشفاء والتنزه وللصيد والتجارة ولحمل خشب الارز وغيرهِ لبناء السفن ولنقل الاثمار والثلوج والعسل والالبان وما شابه وبالتالي جاءُوا هذه الربوع لنشر العبادات وتكريم الآلهة كما فعل سكان هذه البلاد فتمازج الشعبان منذ القديم وكانا كالشقيقين في الحقوق والولاء والاخلاص

شاعت عبادة المصريين في الشام فقيل ان السوريين نحتوا اصنام المصريين لاكرامهم لان سلطة ملوكهم بقيت في سورية رَدَحاً طويلاً ولاسيما في عهد الاسر المالكة الثلاث الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فامتزج الشعبان امتزاج الماء بالراح في الاخلاق والعبادات والعادات . فوحَّد اهل جبيل الاله اوزيريس كالههم أدونيس (تموز) وعبدوهما معاً ولقد ظهرت في العام الماضي آثار التقادم النفيسة التي حملها المصريون الى آلهة جبيل ومعظمها في متحف بيروت ومتحف اللوفر الفرنسي

وكُشفت في غربي حمص كتابة يونانية تدل على تعبد السوريين للاله اوزيريس ايضاً ووجدت تماثيل كثيرة لهُ احدها من الشبه (البرونز) رأيتهُ اخيراً مستخرجاً من ارض حوران

قال اوسابيوس المؤرخ : لاخفاء ان الفينيقيين والمصريين كانوا اول من ألَّهوا الشمس والقمر والنجوم واول من صرَّحوا بافضليتها وتعلق الحياة والموت بها فادخلوا بين الناس اساطير الآلهة ولشروها في كل محل

فلهذا اشبهت ديانة الفينيقيين في كثير من شؤونها ديانة مصر وآشور . فآلهة الفينيقيين هي آلهة ممالك النيل والفرات وهي التي اقتبسها منهم اليونان والرومان وحوَّلوها حسب عباداتهم فتطوَّرت الاديان وتمازجت بتطور الامم وتمازجها

ومما عرفهُ الاثريون اخيراً في احافيرهم وابحاثهم ان كثيراً من العبارات المصرية سامية الاصل حملها معهم الساميون الذين هجروا بلادهم شاخصين الى القطر المصري فقال بروغش الاثري الكبير : ان اقدم آلهة المصريين هو (فتاح) سامي الاصل

كذلك سمّى المصريون كثيراً من شعوب الشرق بلغاتهم مثل (الروتنّو) سكان سورية وهي كلة سامية تحريف (اللودنّو) وهم اولاد لود بن سام اخ آرام وكان أكبر منهُ فاندغم بهِ. واطلقوا على الساميين اسم (عمو) او (آمو) وهي سامية بمعنى الشعب والعامّة وسموا اهل البادية (شاسو) اي (البدو) او (العرب) وهم المعروفون باسم الرعاة حكام مصر الذين دعاهم اليونان (هكسوس) وهي من لفظتين هيروغليفيتين (هيك) اي ملك و (شاسو) البدو بمعنى ملك البدو

واطلقوا على الفينيقيين جيرانهم واصدقائهم اسم (خار) او (خال) وسموا بلاد العرب (الارض المقدسة) او (ارض الآلهة)

وسموا بلادهم اولاً بلغتهم (خيمي) ثم عمموا الاسم السامي (مصر) ونرى في هليوبوليس اي مدينة الشمس وهي المطرية او عين شمس حضارةً سامية لا تزال آثارها ماثلة الى عهدنا ونرى في هندسة ابي الهول المجنّح اسلوب هندسة العمالقة

ومنذ اربعين سنة اكتشفت كتابات تل العمارنة في جهات الفيوم المصرية وهي رسائل ومفاوضات دارت بين امراء سواحل الشام وفراعنة مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح باللغة الفينيقية والقلم الاشوري الشائع اذ ذاك بينهم. فذكروا فيها شؤون بلادهم وماكانت عليهِ الحضارة الفينيقية من وصف قصور وحصون ومدن واساطيل وحرب وسلم وعهود ولاء ونحو ذلك. ووجدت فيها اسماء مدن سورية كثيرة مثل عكا وصوري (صوز) و (صيدونا) صيدا وبيروتا (بيروت) وجبلة (جبيل) وارووادا (ارواد) ودمسقا (دمشق) وقطنا قربها. وفيها منح فرعون مصر حاكم جبيل (ريب ادّي) الولاية عليها وتسمى بلغتهم (خزانو)

وعرفت معاهدات اخرى سياسية وتجارية وعلمية بين القطرين الشقيقين في ازمنة مختلفة نحتاج في تفصيلها الى مجلدات

ومن غريب ذلك ما في العلاقات اللغوية من الادلة البينة. فان كثيراً من الالفاظ السامية والمصرية تتشابه تشابهاً بيّناً فصّلهُ صديقي العلاّمة المغفور لهُ احمد باشا كمال المصري في معجمهِ المطوّل منها الفاظ البيت والباب والبركة والبئر والكاهن والراس حتى اسم نهر النيل. ومن ذلك البرّ والقمح والحنث (الحنطة) والزت (الزيت) وحِرْمان (الرمّان) والجناح للطائر والمرّ للآلة التي يحتفر بها التراب والأزر بمعنى القوة والمساورة بمعنى المواثبة والأشر بمعنى البَطَر واليمّ بمعنى البحر الخ

واغرب من كلّ هذا ان بعض الالفاظ العامية بيننا اليوم هي الفاظ مصرية فصيحة مثل (َبقّ) الشيء اذا مجّه وبصقهُ و(عدّى) الى المكان اذا جاز ودخل و(العيش) بمعنى الخبز .و(هيّت) بهِ اي صاح وعامتنا تقول (هيّت)عليهِ وتبدلها فتقول(عيّط) بمعنى زجروصاح.وقد وُجدت في مصر ادوية طبية منسوبة الى بعض مدن سورية منها ما كان يتخذ لالتهاب العينين وهو (برشان مربيلوس) اي مدينة جبيل.وكان يسحق بدقة في الماء ويوضع ضمادة على ظاهر العين للشفاء كما ذكرت الآثار البردية في الادوية الطبية ونقل ذلك الدكتور الاثري حسن كمال في كتابهِ الطب المصري القديم (صفحة ١٦٨)

ولم يكن المصريون يعرفون الخيل قبل ان يدخل بلادهم ملوك الرعاة وقبل ان يغزو فراعنتهم هذه الديار فحملوا منها الخيل وصوروها وعرفت بلغتهم باسم (سوس) ولعلّ منها كلمة (السايس) عندنا لخادم الخيل وقيّمها

ولعل اقدم علاقة اثرية بين القطرين ما كشفهُ فلاح قرب نهر ابرهيم في لبنان منذ خمس عشرة سنة وهو فأس من الشبَه (البرونز) عليها كتابة هيروغليفية تذكر اسم (َشتْپُو) ملك مصر من السلالتين الثالثة او الرابعة تدل على ان المصريين كانوا يقطعون اشجار الارز لسفنهم وهياكلهم وذلك منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. وكذلك ما ظهر من افلاذ العاج التي حملها الملوك الى مصر في صيدهم الفيل في داخل ارباض الشام

واقدم ما عرفناهُ من دخول الفاتحين المصريين الى هذه الديار غزوة توطميس الاول من الاسرة السابعة عشرة المالكة في مصر فانهُ جاء الشام سنة ١٦٥٠ ق .م ودخل وادي العاصي والليطاني من سورية المجوفة وحارب (الروتنُّو) سكان البلاد الذين مرت الاشارة الى تسميتهم وذلك في شمالي سورية

وسنة ١٦٢٥ ق .م غزاهم توطميس الثالث ولعصيانهم عليهِ خرّب مدنهم ونكَّل بهم شأن الفاتحين للبلاد التي شقت عصا الطاعة . وسنة ١٣٥٠ ق .م كان سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشرة قد غزا الفينيقيين لعصيانهم ايضاً وتوغل في البلاد الداخلية ودوّخها ونقل خشب الارز من لبنان لاسطولهِ الضخم . وتبعهُ خلفهُ رعمسيس الثاني المسمى (سيزوستريس) فحارب الحثيين خلفاء الروتنو (الروتانيين) حرباً سجالاً ولاسيما على شاطىء بحيرة قدس (قطّينة قرب حمص) وكاد يهلك ولكنهُ تملص بحيلة من اظافر الموت. فعاهد ملك الحثيين وتزوّج بابنتهِ فجدّد العلاقات بين المملكتين. وكان شاعر هذا الملك هو (بنتاؤور) المصري فنظم قصيدة في وصف هذه المعركة

الماثلة ذكرتها كتب الآثار منعني عن نشرها ضيق المقام

ولقد توغل سيزوستريس في بلاد الشام حتى كيليكية وسهول الفرات وترك آثاره في درج نهر الكلب ممثلة رسمهُ في ثوبهِ الملكي امام معبودهِ (رع) ساجداً لهُ . وهناك كتابة هيروغليفية تصف فتوحاتهِ وغزواتهِ الكثيرة

وكان خلفاء الاسكندر المكدوني الذين عُرفت دولتهم بدولة البطالسة في مصر والسلوقية في سورية قد اتخذوا هذه البقعة (اي وادي الليطاني والعاصي والزبداني او سورية المجوفة) مباءة لهم وساحة عراك في القرون الثلاثة قبل الميلاد فكانوا يسيرون في هذه السهول الفيحاء بالسفن لانها كانت بحيرات واتخذ بعض ملوكهم هذه البقاع مهراً في الزواج وذكرت فيها مدينتان قديمتان (كَرا) و (بروشوم) وارجح ان (كرا) هي كرك نوح او كرخ نوح واللفظة سريانية بمعنى الحصن وهي في جوارنا (اي جوار زحلة) واما كلمة (بروشوم) فيونانية بمعنى الستر والحصن ولعلها كانت قلعة عنجر او خلكيس القديمة [1] . او ان (بوارش) فوق المريجات في سفح جبل الكنيسة الآن هي تحريف بروشوم والله اعلم

وكان الملوك والاعيان يهدون الى الهياكل في القطرين تماثيل وانصاباً وآنية عبادة ويبنون الهياكل وينحتون الآلهة كما ذكر المؤرخون وكما تشهد الآثار الباقية في تهاديهم . ففي بعلبك هياكل مصرية واصنام افريقية وكذلك في غيرها . وفي مدائن صالح بوادي موسى بناء فخم يسمى (خزنة فرعون) وهو من انفس آثارها . وفي هياكلنا القديمة واطلالنا كثير من الحجارة الاسوانية وغيرها التي نقلت من مقاطع مصر ولا تزال ماثلة بفخامتها وضخامتها تقاوي انياب الدهر . وكانت بين الحبشة واليمن علاقات قديمة امتدت الى سورية ومنها لفظة (البن) للشراب المعروف من مقتبسات اللغتين

وكفى بآثار الدير البحري دليلاً على مصاهرة ملوك القطرين الشقيقين ولاسيما لبنان . وبآثار الكرنك التي تبين العلاقات والمعاهدات شاهداً على هذا القول .

فبهذه الامتزاجات والمعاهدات والعبادات على اختلافها كانت العلائق بين القطرين وثيقة العرى فاقتبس كل منهما عن الآخر ما اقتبس

ومن تلك الادلة ادخال المصريين لعبادة الكنعانيين (البعل) الذي شبهوهُ بالشمس وعبدوا زوجته (استارتا) اي عشتروت المشبهة للقمر . واتخذوا من آسية

(١) راجع مقالة مطولة في عنجر وحصنها نشرتها في مجلة المقتطف مجلد ٦٥ ص٥٨ وص ١٩٤

آلهة اخرى . وهكذا جرى لسكان الشام وفلسطين فان الاسرائيليين اقتبسوا من المصريين عبادة العجل (ايبس المصري)

وثبت للباحثين المحققين ان كثيراً من آثار الفينيقيين مقتبس عن الهندسة المصرية ايام حكم الفراعنة للامتين حتى عهد اليونان . ومن ذلك اساليب بناء المعابد والمدافن ونحت التماثيل والنواويس وعمل الاسلحة والحلى والادوات واتخاذ الازياء فضلاً عما اقتبسوهُ من الاخلاق والعادات . وفي آثار البردي المصري وكتابات الشام الحجرية ما يدل على تبادل الامتين الحضارة الموحَّدة . وفي تواريخ القطرين وكتب التراجم لمشاهيرهم ما يدل على العناية بالتحقيق وصدق الولاء مما طبع او بقي محفوظاً وهو كثير في خفايا الخزائن

فكانت هذه العلاقات ولا تزال تتجدد رغم ما يفاجئها من التقاطع والتدابر كلما سنحت الفرص الى ان عادت الى مجاريها في العصر الماضي فصار كل من القطرين مطمح آمال الشعبين ينال الواحد في الآخر ما ينالهُ اخوهُ من التكريم والاجلال فكأن الوطنان واحداً والنازل من احدهما في الآخر ليس بغريب بل هو ابن البيت ومظهر التكريم

***

ومن الادلة الثابتة على الروابط بين القطرين ما في تحليل الاعلام الشامية التي اصلها مصريٌّ .وها انا اورد الآن بعضها مثالاً لغيره لما في هذه الاسماء من آثار الاساطير (الميثولوجية)

الليطاني: وهوالنهر الذي يتخلل البقاع (سورية المجوفة) ليس الاَّ اسماً مصريًّا تحريف اللوداني بالابدال. فقالوا نهر الروتاني (الروتانُّو) ثم انتقل الى هذه الصيغة

القرعون : اسم قرية في البقاع الغربي لعلها من (قب) بمعنى مركز و (رع) نور و (آون) الشمس فيكون معناها (مقر نور الشمس) .عرمان : قرية خربة قربها لعلها من (عين) و (رع) و (آون) اي عين نور الشمس . ولا عجب فان عبادة الشمس في هذا السهل عمت جميع المشارف وكثرت هياكلها وآثارها في كل قرية وبقعة

جبّ جنين — من (جب) بمعنى بئر و (جينون) الاهة مصرية من بنيها المريخ اله الحرب

مارع—قرب مشغره في غربي البقاع ويقال لها (باب مارع) وهي مسماة بالمعبودين

المصريين (ما) وشقيقها (رع) . فمحاربة العدل والحق . ورع من اسماء الشمس او انها تحريف (امون رع) وهي الشمس عند غروبها وقريبة منها قرية (قب الياس) و (بر الياس) [1] من اسماء الشمس وكذلك بقاع عزيز وعزيز اله سامي

يبوس — ومنها في البقاع الشمالي وبلاد بعلبك (يَبُوس) ولعلها تحريف (ابيس) اي العجل الذي عبده المصريون

طَلْيا — اسم قرية قرب رياق (موقف القطار الحديدي بين دمشق وحلب وبيروت) وفي مصر (طَلْيا) من اعمال المنوفية واليها ينسب عبد الرحمن بن سلام ابن اسمعيل الصعيدي الطلياوي ثم القاهري

بِسْتي — قرب الفرزل ولعلها من (باستْ) المصرية وهي ارطاميس وإلهة النار كانوا يصورونها براس عجل وراس اسد معاً ومنها (تل بست) في القطر المصري

رْعِيث — لعلها مؤنث (رع) اله الشمس ويقولون فيها (رعتي)

النبي شيت — ليست كلمة (شيت) هذه الا تحريف (سخِت) الاله المصري وهو يرسم بجسم امرأة وراس لبوءة عليها قرص شمس . ويقال في هذه اللفظة (شتّ) و(شتْخ) . ولعلَّ منها اسم (شَمَسْت) في بعلبك وقد ترجمت بالعبرية فسميت بها قرية (اللبوة) ولا اخالها مشهورة باسدها كما ظن صديقي الاب لامنس العلامة الاثري وتأتي ايضاً بمعنى (سعد) الصخرة التي عبدها العرب ومنها اسم (سعدنايل) قرب زحلة

حرْبتا — في مصر بلدة اسمها (حرْبُتا) فلعلها محرفة عنها او هي من كلمتين (حور) و (بتاح) وهما الهان مصريان لحور يسميه اليونان ابلون ويقال انهُ اسم سامي الاصل

عين حور — قرب الزبداني وبلودان لعلها تحريف (أنحوْر) الاله المصري او مركبة من (عين) السامية و(حور) المصرية

بْرُوْته — اطلال قرية قرب نبع الفاعور شرق معلقة زحلة الجنوبي ولعلها التي ذكرها الكتاب المقدس بهذا الاسم وظن العلامة الدكتور بوست الاميركي في (قاموس الكتاب) [2] انها (بريتان) . والراجح انها منحوتة من (بيت) و(روته) ولعل مثلها مدينة (بيروت) و (برتي) في جزين

بريتان — منحوتة من (بيت) و (روتان) اي بيت الروتيين وكان اسم(بلودان)

(١) راجع مقالتي في قب الياس وقلعتها في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٢ ص ٣٥٤
(٢) راجع في قاموس الكتاب المقدس لبوست (بيروثاي)

قرب الزبداني يدل على بيت اللوديين باللغة الآرامية كما يدل الاول عليهِ باللغة المصرية

الزيْرة — اسم محلات كثيرة في البقاع لعلها تحريف (اوزيريس) الهة الزراعة المصرية . وفوق بيروت بينها وبين قرية بيت مري محلة (الزيرة) لعلها لهذه العبادة

بيروت — مرَّ بنا الترجيح انها ربما كانت من (بيت) و (روت) اي بيت الروتيين

بيت مري — قرية في لبنان تشرف على بيروت لعلها من (بيت) و (موري) بمعنى البحيرة باللغة المصرية ،اي بيت البحيرة او البحر لانها تشرف عليهِ ومنظرها من اجمل المناظر

عَيْنتَات — في شوف لبنان لعلها من (عـنْـتَـات) الهة الحرب عند المصريين ولعل مثلها (عيناتا) و(عيثا) في البقاع وبعلبك

بَردى وبِرْدَوْني — واذا شئنا التوسع قليلاً وجدنا ان اسم هذين النهرين في دمشق وزحلة يرجع الى (اللوديين او الروتيين) وكلاهما في سورية المجوفة حيث كان هذا الشعب وفي بعلبك قرب مدينتها قرية (حوش بَرَدى)

فتوح كسروان — لعلها تحريف الاله (پتاح) او (فتاح) المصري ومما يؤيدهذا الرأي وجود صحيفة هيروغليفية في درج نهر الكلب تتضمن تقدمة لهذا الاله المصري

وعلى ذكر درج نهر الكلب اصف باختصار آثار مصر المنقوشة على صخورهِ :

(١) رقيم مصري فيهِ رسم الاله (عمُّون) او (آمون) وبعض الفراعنة

(٢) كتابة هيروغليفية تصف تقدمة للاله (فتاح) المصري

(٣) نصب مصري يمثل فرعوناً منتصباً امام (رع) اله الشمس يقدم لهُ ضحية

واقدم كتابات درج نهر الكلب الخطوط المصرية التي امر بنقشها رعمسيس الثاني او فرعون موسى . وهو الذي سماهُ اليونان (سيزوستريس) في آخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد وصف في هذه الكتابة غاراتهِ وفتوحاتهِ الكثيرة كما مرَّت الاشارة

ذلك الى كثير من اشباه هذه الادلة الاثرية الثابتة اذا استنطقتها على حدّ قول الشريف الرضي :

تصف الدار لنا قطَّانها والمعالي والمساعي والنجارا
واذا لم تدرِ ما قوم مضوا فاسأل الآثار عنهم والديارا

عيسى اسكندر المعلوف
زحلة لبنان صاحب مجلة الآثار

متحف الاسكندرية ومكتبتها

ولمحةٌ من تاريخها العلميّ في عهد البطالسة

[كنا بالامس نراجع فصولاً في كتاب «مختصر التاريخ» الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي المشهور المستر هربرت ج. ولز فوقع نظرنا على فصل طليّ عن تاريخ الاسكندرية العلمي في عهد البطالسة فاقتطفنا منهُ ما يلي]

كانت مصر الشطر الذي نالهُ القائد بطليموس من مملكة الاسكندر الكبير المترامية الاطراف بعد وفاة ذلك الفاتح العظيم. ساعدها موقعها الجغرافيّ على بلوغ رتبة رفيعة بين امم العصر لان بعدها عن قبائل الشمال الغازية وتحطيم اسطول الفينيقيين بعد حصار صور وافتتاحها عنوةً جعلها في مأمنٍ من هجمات الاعداء فرتع اهلوها في بحبوحةٍ من العيش والرخاء وتسنّى لهم ان ينصرفوا عن الاهتمام بامور معيشتهم والدفاع عن مواطنهم الى انشاء المدارس والاندية العلمية. فاصبحت الاسكندرية المدينة التجارية محطًّا لرحال الفلاسفة والعلماء ومقرًّا للمفكرين فامّها طلاب المعارف من كل البلدان المجاورة للبحر المتوسط، فتقدمت فيها المباحث العلمية تقدماً بيّناً لان بطليموس الاول كان محبًّا للعلم يعنى بارضاء العلماء والفلاسفة، وبما يكفل لهم امور معيشتهم ليتفرغوا للبحث والتنقيب

بنى بطليموس في الاسكندرية المتحف[1] المشهور الذي كان في ظاهرهِ مجتمعاً دينيًّا ولكنهُ كان في الحقيقة نادياً لاقطاب العلم والفلسفة والدين. وكان بطليموس قد علم ان الناس لا يقبلون على نصرة عمل كبير كهذا الاَّ اذا كان لهُ صبغة دينية — والدين في ذلك الزمان كان من اقوى العوامل في حياة الافراد والشعوب

كان ذلك المتحف نادياً للعلماء والمفكرين الذين جعلوا التنقيب العلمي غايتهم في الحياة وقد بلغت تعاليمهم الرياضية والجغرافية درجة بعيدة من الدقة والتحقيق. فبين الرجال الذين قدموا الاسكندرية لمتابعة المباحث العلمية المجردة فيها، نجد اقليدس

(١) ترجمنا كلمة «ميوزيم» بمتحف كما هو شائع ومعناها في الاصل «هيكل للآلهة» وهي من لفظتين يونانيتين الاولى موزيون ومعناها هيكل والثانية موز ومعناها الآهة. واللفظة تطلق الآن في اللغات الافرنجية على كل بناية او غرفة تحفظ فيها آثار علمية او فنية او ادبية

الرياضيّ الشهير صاحب القضايا الهندسية المعروفة . واراتستنيز Eratosthenes العالم الجغرافيّ الذي تمكن من معرفة حجم الارض وقياس طول قطرها على وجه التقريب فقال بطول يختلف ٥٠ ميلاً عن الطول المقرر لدى علماء اليوم ، وابولونيوس Apollonius صاحب الكتابات المعروفة في الاشكال المخروطية ، وهيبارخوس الذي جرّب ان يصنع ازياجاً دقيقة للكواكب المعروفة آنئذٍ ليلاحظ كلّ تغيير يقع في مراكزها ، وهيرو الذي صنع اول آلةٍ بخاريةٍ وارخميدس الذي جاء الاسكندرية وتوفّر فيها على البحث العلمي ولما برحها بقي على اتصال بعلمائها ، وهروفيلس Herophilus العالم التشريحي العظيم الذي كان يشرح اجسام المجرمين المحكومين وهم احياء ليكشف حقائق جديدة عن تركيب جسم الانسان

اما المكتبة التي بناها بطليموس الاول الى جانب بناية المتحف فكانت تمثالاً ناطقاً بهمة ذلك الملك المحب للعلم والعلماء — اذ جمع في هذا العمل الكبير بين مكتبة عمومية يؤمّها جماهير الطلاب والمفكرين للدرس والمطالعة وشركة تجارية لنسخ الكتب وبيعها. ولاتمام غرضه الاخير دعا طائفة من النساخ البارعين ليقوموا بهذا العمل ، ونيط ادارة فرعيْ المكتبة برجل كبير يدعى كاليماخس Callimanchus فنالت في ايامه نجاحاً باهراً ووضع للكتب التي كانت فيها بياناً (كاتالوج) وافياً يسهل على طلاب العلم مراجعة الكتب التي يريدونها في اقصر وقت واقل عناء

عند ما نذكر لفظة « كتاب » يتبادر الى الذهن هيئة مجلد حديث ، نظيف الطبع متقنهُ ، جيد الورق صقيلهُ ، حسن التبويب والتقسيم ، يسهل فتحهُ وتقليب صفحاته يحوي في آخره فهرساً لموضوعات الفصول المختلفة وآخر لاسماء الكتب التي اعتمد عليها الكاتب بل نرى في كثير من الكتب العلمية معاجم وافية لتفسير الكلمات الغامضة والدلالة على لفظها الصحيح . ولكن يجب الاّ يبرح من الذهن ان الكتب التي كانت في مكتبة الاسكندرية لم تكن على شيء من ذلك بل كان معظمها او كلها لفائف من البردي نسخت عليها اكثر المؤلفات القيمة القديمة . وكان يضطر المطالع ان يأخذ المؤلفات التي يريد درسها لفّةً لفّةً ويبسطها ، ليطّلع على محتوياتها ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على الكتاب او اللفّة لما يمحى منها بواسطة الطيّ والنشر ولما يعلق بها من الاقذار وعرق اليدين فلا تلبث ان تتلف

ولما رأى كاليماخس صعوبة استعمال المؤلفات الكبيرة كتاريخ هيرودتس قسمها الى لفّات صغيرة ودعى كلاًّ منها كتاباً او مجلداً

ويجدر بنا ونحن في هذا الصدد ان نقابل بين الاحوال التي كتب والّف فيها العلماء والفلاسفة الاقدمون ، والاحوال التي تحيط بعلماء العصر الحاليّ وكتّابه

يجلس الكاتب العصريّ اليوم الى مكتبتهِ ليكتب في الموضوع الفلاني فيجد بين يديهِ قاموساً دقيقاً ودائرة معارف حديثة تحوي كل ضروب العلم وانواع الفنون ، وقاموساً للاعلام وقاموساً جغرافيًّا واطلساً وغيرها من الكتب التي تقرّب للكاتب معرفة الحقائق وتسهّل عليهِ ضبطها . ولكن اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان علماء الاسكندرية وغيرها من المدن القديمة التي اشتهرت بالعلم والفلسفة لم يكن لديهم هذه الوسائل التي تمهد لهم سبيل البحث والتأليف فكان يتحتم عليهم ان يقضوا الساعات الطوال بل الايام والشهور باحثين ومنقبين عن حقائق لا تستغرق معرفتها الآن دقيقة اودقيقتين

وبعد ما ينهي الكاتب العصري مقالهُ او كتابهُ يرسلهُ الى المطبعة فتنضد حروفه وتطبع المسودّة وترسل اليهِ فينقّحها ويغير فيها ما شاء ويعيدها الى منضد الحروف فيصلح ما فيها من الخطإِ وفي مدة وجيزة يستطيع ان يطبع منها مئات بل الوف النسخ اما الكاتب القديم فكان يعطي كتابهُ للنسّاخ بعد اكمالهِ ولا يخفى كم في النسخ من المشقة وقلة التدقيق فتنقلب العبارات حتى تدلّ على ما يناقض معناها الاصليّ ولذلك كان سير العلم من الخاصة الى العامة بطيئاً كل البطء . فعلم كعلم التشريح مثلاً لم ينتشر ولم تعمّ حقائقهُ الاَّ بعد ما تمكن المستنبطون من استنباط اسلوب يمكنهم من طبع صور الاعضاء والعضلات والعظام وغيرها من اعضاء الجسم توضيحاً للمعنى على نسخ عديدة بنفقة قليلة

ليس في التاريخ ما ينبئنا ان علماء الاسكندرية جربوا ان يستعملوا الطباعة كما نستعملها الآن فيدهشنا ذلك لان الناس كانوا حينئذٍ متعطشين للارتواء من مناهل العلم والفلسفة ، مستعدين لشراء الكتب والمطبوعات التي تسهل عليهم قصدهم . وزد على ذلك ان مقتضيات العصر كانت تتطلب كثيراً من الاعلانات والنشرات ولكن مع كل هذه العوامل التي جعلت وجود الطباعة ضروريًّا لم تستعمل الطباعة الاَّ في اوربا بعد عصر النهضة . لكنّ مبدأَها كان معروفاً منذ فجر التاريخ، ولدى علماء التاريخ كثيرٌ من الادلة على ان الانسان الباليوليثي Paleolithic كان يطبع بعض الصور على الجلود . وليس

سكّ النقود القديمة الا نوعاً من الطباعة البسيطة . والسبب في اهمال الطباعة على الاساليب الحديثة حينئذٍ عائدٌ ولا ريب الى عدم الحصول على مادة كالورق تصلح للطباعة . نعم ان المصريين القدماء استعملوا البرديّ للكتابة وكتاب الاموات شاهد على ذلك، ولكن البرديّ لا يصلح للطباعة لان قطعهُ غير متساوية في الحجم والثخانة ، واما الورق على عهدنا بهِ في هذا العصر فاخترعهُ الصينيون ولم يكن قد وصل الى الشرق الادنى حينئذٍ ، ولو وجدت المطابع لاضطرت ان تتوقف عن العمل منتظرة تحضير لفائف البرديّ او وصول بالات الورق الصيني . ولكن هذا التعليل لاهمال الطباعة حينئذٍ لا يعلل اهمال استعمالها لطباعة الصور والرسوم بحفر الاصل على قطع خشبية او حجرية اولاً

نعم كان كلٌّ من متحف الاسكندرية ومكتبتها مصدر نور علمي باهر ولكنهُ كان نوراً تحيط بهِ الواح سوداء تمنع انتشار النور الى عامة الناس ولذلك بقي العلم محصوراً في طبقة خاصة منهم . وكان يتحتم على الانسان الذي يريد ان يتعمق في الدرس والعلم ان يهجر الحياة العمومية ويقطع المسافات الشاسعة حتى يهبط مدينة مشهورة بعلمائها فيدرس عليهم ويعاشرهم ويتثقف بتعاليمهم وحكمتهم . ولكن هذه الشعلة العلمية بل هذه الثورة الفكرية البعيدة المدى لم تدم اكثر من قرن واحد لان نظام المتحف نفسهُ لم يساعد على ذلك. فقد كان المتحف مشروعاً ملكيًّا وكان العلماء يتقاضون راتباً شهريًّا من الملك بطليموس ولذلك لما توفي كلٌّ من بطليموس الاول وبطليموس الثاني، خبت تلك الشعلة وسكنت تلك الثورة لان ملوك البطالسة الذين عقبوهما لم يكونوا من انصار العلم ومحبي الفلسفة

هجرت الحكمة الاسكندرية وتركت فيها التظاهرَ بالعلم والتصنع في الكلام ، وخلف الانتفاعَ بالكتب عبادتُها ، ولم يمرّ على الاسكندرية اكثر من قرنٍ حتى نزل في متحفها ومكتبتها رجال يختلفون كل الاختلاف عن علمائها الاول . رجال متعصبون ولكن لا مذابح لهم ، اعمالهم كالمشعوذين ولكن ليس لهم عصا السحر ولا كهوف الساحرين ، يهتمون بجزئيات الامور ولا يدركون كلياتها ، لا يثنيهم عن نسخ الكتب ثانٍ مهما صعب العمل ولا يردعهم عن طلاب الكتب النادرة رادع مهما بعد المنال ، ولكنهم بدلاً من ان يزيدوا تلك الشعلة الفكرية اتقاداً واشتعالاً ، قضوا عليها بتضييقهم وتقييدهم ، فخبت وانطفأت

مذهب دارون في الميزان

رأيه في اصل الانسان والبحث العلمي الحديث

للسر ارثر كيث

٢

ان الادلة المبنيّة على البحث في الآثار المتحجرة التي تثبت ارتقاء الانسان من كائن شبيهٍ بالقردة الى ما هو عليهِ الآن ادلة قاطعة. ولكن جمع هذه الادلة وتحقيقها كان اكبر مشقة وأكثر تعقيداً مما كان يظنُّ في ايام دارون . كان الرأيُ القديم في ارتقاء الانسان يمثل بسلسلة من صور الهياكل العظمية مطردة الارتقاء ادناها هيكل الجبون واعلاها هيكل الانسان . وقد كنا ننتظر لسذاجتنا ان نعثر على آثار متحجرة يمكن ترتيبها في شكل سلسلة تبين اطراد ارتقاء الانسان. ولو نحن ذكرنا ان الرائد الى درس الماضي هو العناية بدرس الزمن الحاضر لما ارتكبنا هذا الخطأ الفاحش. ان اجناس الناس في هذا الزمن كثيرة متشعبة الفروع منها الاسود والاسمر والاصفر والابيض والاحمر . ومن هذه الاجناس ما هو آخذ في التزايد والانتشار ومنها ماهو آخذ في الضعف والانقراض . وقد دلّت مباحثنا على ان سكان الارض منذ قرون كثيرة كانوا اجناساً ، بينها فروق واختلافات اكبر من الفروق والاختلافات التي نراها بين اجناس البشر الآن . وان ما نراهُ في هذا الزمن من تقدم بعض هذه الاجناس وتكاثرها وتأخر البعض الآخر وانقراضه كان قائماً في العصور المتوغلة في القدم . وعليهِ فيجب ألاَّ ننتظر الحصول على درجات ارتقاء الانسان كانها سلسلة مطردة الارتقاء بل يجب ان نكشف طريقنا الى اصلهِ في سبل معوجة آناً ومتقاطعة آونةً كانها شبكة من الشباك

ثم ارتكبنا خطأً آخر . عرفنا اننا ننتظر الوصول في بحثنا عن اصل الانسان — الى عصرٍ احياؤهُ اقرب الى القردة منهم الى البشر ، فكان لزاماً علينا ان نكون عارفين بالاحوال التي كانت تحيط بتلك القردة الشبيهة بالانسان في ذلك الزمان البعيد. وكان لزاماً علينا ان نكون مستعدين لان نعثر على قردة بينها من وجوه الاختلاف ما بين

الشمبانزي والاورانغ اوتان الآن ، ولان نرى بعض انواع القردة محصوراً في بقاع مختلفة على سطح الارض كما هي الحال في زماننا . وقد بدأنا لعرف هذه الحقيقة وكلما توغلنا في العصور القديمة ثبت لنا ان البشر كانوا حينئذٍ اجناساً مختلفة كما هم الآن لا بل ان اجناسهم كانت منقسمة الى فروع وانواع مختلفة ايضاً وكلما زدنا توغلاً في العصور القديمة وجدنا من وجوه الاختلاف بين هذه الانواع ما يحتم علينا حسبانها انواعاً مستقلة . ففي هذا التيه من متحجرات احياء منقرضة مطمورة هنا وهناك في انحاء الارض يجب علينا ان نكشف طريقنا المتعرج الى اصل الانسان . اتعجبون اذاً ، ان نحن تعثرنا احياناً واتبعنا خطأً طريق الضلال

ثم ارتكبنا خطأً آخر في البحث عن اصل الانسان . ذلك اننا كنا ننتظر ان نجد كل عضو من اعضاء الانسان — جمجمتهُ ودماغهُ وفكيهِ واسنانهُ وجلدهُ — مطرداً في ارتقائهِ من الشكل القردي الى الشكل البشري ، فكنا ننتظر ان نجد في كل مرتبة من مراتب ارتقاء الانسان كلاًّ من هذه الاعضاء وقد اصبح اكثر شبهاً بمميزات الانسان واقلّ اتصالاً بمميزات القردة . وقد دلّت مباحثنا ان ارتقاء الانسان لم يكن منتظماً هذا الانتظام الذي كنا ننتظر . ففي بعض الانواع المنقرضة نجد ان بعض الاعضاء ارتقت ارتقاء بيّناً والبعض الآخر بقي على حالهِ لا يصيبهُ الارتقاء والتطور باثر ما . واسمحوا لي الآن ان امثل على ذلك لان لهذا الوجه من البحث شأناً خطيراً في موضوعنا

اننا نعلم الآن انهُ لما كان داروِن جالساً في مكتبهِ بدوْن كان على ثلاثين ميلاً منهُ في طبقة من الحصى في بلد بلتدوْن باسكس جمجمة بشرية متحجرة وفك بشري متحجر . كُشف هذان الاثران المتحجران سنة ١٩١٢ بعد ما انقضى نحو ثلاثين سنة على وفاة داروِن ، كشفهما المستر شارلس دوسن واخذهما الى صديقي السر ارثر ودورد فوصفهما وصفاً دقيقاً وعرف ان الجمجمة والفك لانسان واحد وان هذا الانسان عاش في فاتحة عصر البلستوسين . ويحق لنا ان نقول الآن بان هذا الانسان يمثل الناس الذين كانوا يقطنون بلاد الانكليز في ذلك العصر القديم . اما الجمجمة فمع تحجرها وكثافة جدرانها تشبه جمجمة حديثة شبهاً كبيراً واما الفك فكان كثير الشبه بفكوك القردة بعيداً عن فك الانسان حتى لقد انكر بعض العلماء ان الفك والجمجمة لانسان واحد وحسبوا ان الفك الاسفل لنوع منقرض من انواع الشمبانزي . وما كان هؤلاء

الباحثون يرتكبون هذا الخطأ لو كانوا قد درسوا تشريح المقابلة . لان هذا الدرس كان يعدّهم لفهم ما يعرف الآن لدى العلماء « بمغايرات النشوء » وهذا التغاير في ارتقاء الاعضاء المختلفة ظاهر في تشريح « البثكانثروبوس » الذي وجدت آثاره المتحجرة في جزيرة جاوى .فان عظمة الفخذ الخاصة بانسان جاوى تشبه عظمة الفخذ في انسان معاصر واما جمجمتهُ فشبيهة بجمجمة قردٍ مع ان دماغهُ ارقى من دماغ القرد رقيًّا بيّناً . فلو ان عظمة الفك الاسفل من انسان بلتدوْن وجدت في بلتدون وحدها لكنا قلنا انها فك قرد شبيه بالانسان من رتبة عالية . ولو ان الباحث عثر على عظمة الفخذ من انسان بثكانثروبوس في جاوى من غير ان يعثر على الجمجمة ايضاً لكنا قلنا انها عظمة انسان راقٍ مع ان الاولى فك انسان راقٍ والثانية عظمة انسان شبيهة بالقرد وهو ادنى مراتب الانسان

ان هذه الامثلة تبين المصاعب والمخاطر التي نتعرض لها حين البحث عن اصل الانسان . ومع ذلك فامامنا مصاعب اخرى يجب التغلب عليها اذ في تاريخ الانسان الجيولوجي صفحات لا تزال غامضة . وكلما تقدمنا في مباحثنا ازيلت بعض هذه الغوامض . ولكن لنقف قليلاً ولنجيل الطرف في انواع هذه الغوامض ومداها

اعتماداً على كشف آثار الانسان المتحجرة تتبعنا اصل الانسان الى خاتمة عصر البليوسين — وهو عصر امتد نحو ربع مليون سنة . ولكننا لم نتمكن حتى الآن من معرفة تفاصيل ارتقائهِ في ذلك العصر معرفة دقيقة . وقد عثر الباحثون على اسنان متحجرة في طبقات من عصر البليوسين ولا نعلم هل هذه الاسنان اسنان رجل شبيه بالقردة او قرد شبيه بالانسان . هذا امر لا يمكننا الفصل فيهِ حتى نجد آثاراً متحجرة لاعضاء اخرى من اعضاء الاحياء العليا التي كانت عائشة في ذلك العصر . ومتى اتصلنا بعصر الميوسين وهو عصر امتد نحو نصف مليون سنة على الاقل بلغنا عصر القردة الشبيهة بالانسان . وقد ادت مباحث الدكتور بلغرم احد مديري مصلحة المساحة الجيولوجية ببلاد الهند الى معرفة عشرة انواع من هذه القردة كانت تعيش في ادغال حملايا في اواسط عصر الميوسين واواخرهِ . ثم عرف الباحثون ثلاثة انواع اخرى من هذه القردة كانت تعيش في ادغال اوربا. ولسوء الحظ لم نجد حتى الآن سوى الاجزاء الصلدة من هيا كلها العظمية كالاسنان والفكوك . أفي هذه الآثار ما يدل على ان هيكل الانسان نشأ منها ؟ لا نستطيع الحكم في هذا الموضوع حتى يتاح لاحد الباحثين العثور

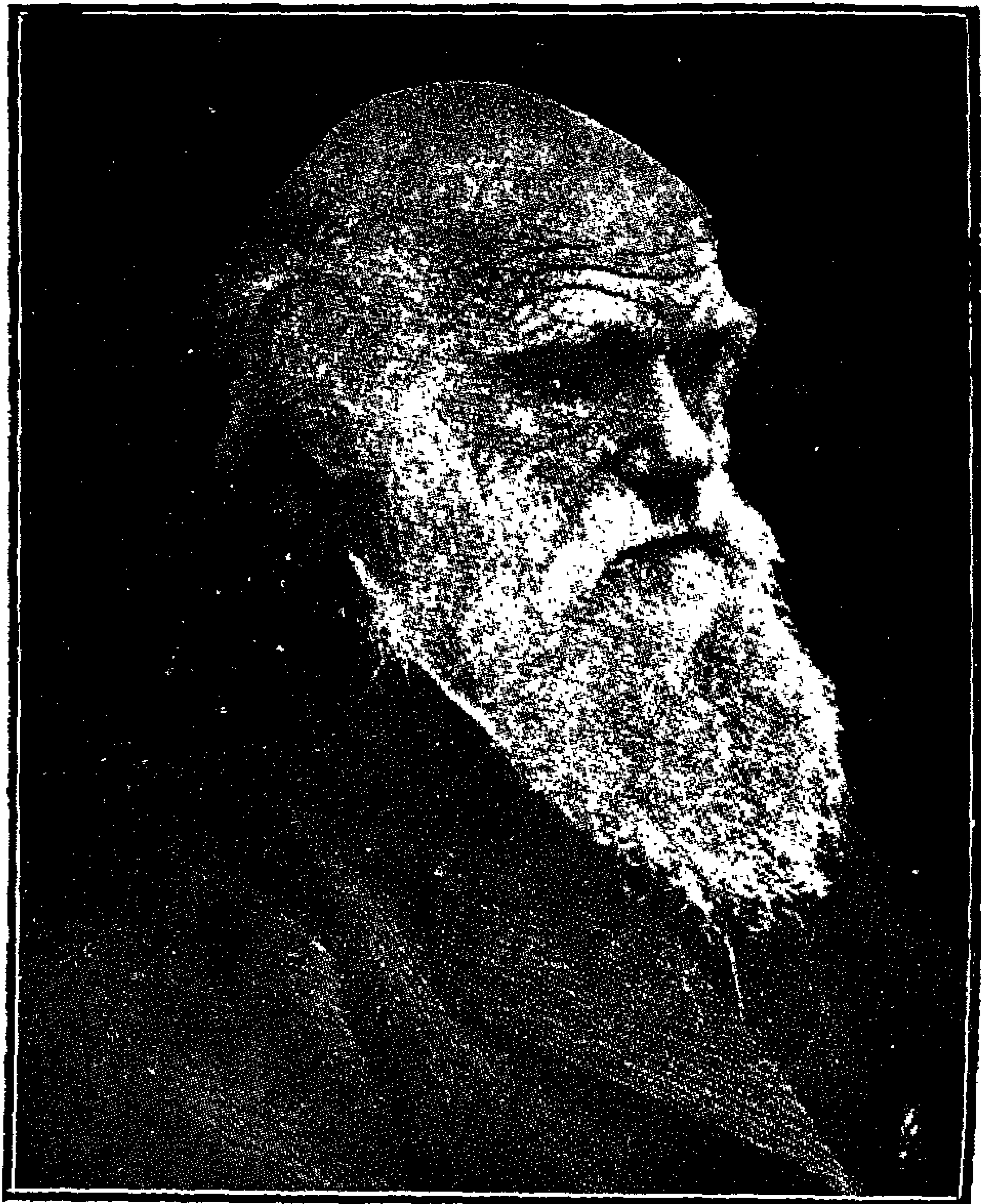
على عظمة ذراع او فخذ او جمجمة . ومع ذلك لا يستطيع الباحث ان يقارن اسنان هذه القردة الشبيهة بالانسان باسنان الانسان القديم كما فعل الاستاذ وليم غرغوري الا ويعتقد ان اسنان القردة التي كانت تقطن الادغال في عصر الميوسين هي الاصول التي نشأت منها اسنان الانسان

ومن العبث النقب في طبقات جيولوجية اقدم من طبقات عصر الميوسين للبحث عن اصل الانسان . ففي هذه الطبقات لن نجد سوى آثار نشوء القردة الشبيهة بالانسان . فكل الادلة المتجمعة لدينا الآن تؤيد رأي لامارك وداروين بان الانسان ارتقى من اصل قردي شبيه بالانسان لا يعلو في رتبتهِ الحيوانية عن الشمبانزي وان التاريخ الذي انفصل فيهِ أصل الانسان عن الاصل القردي الشبيه بالانسان قريب من فاتحة عصر الميوسين. أي ان اصل الانسان يرجع الى نحو مليون سنة على اوسط تعديل

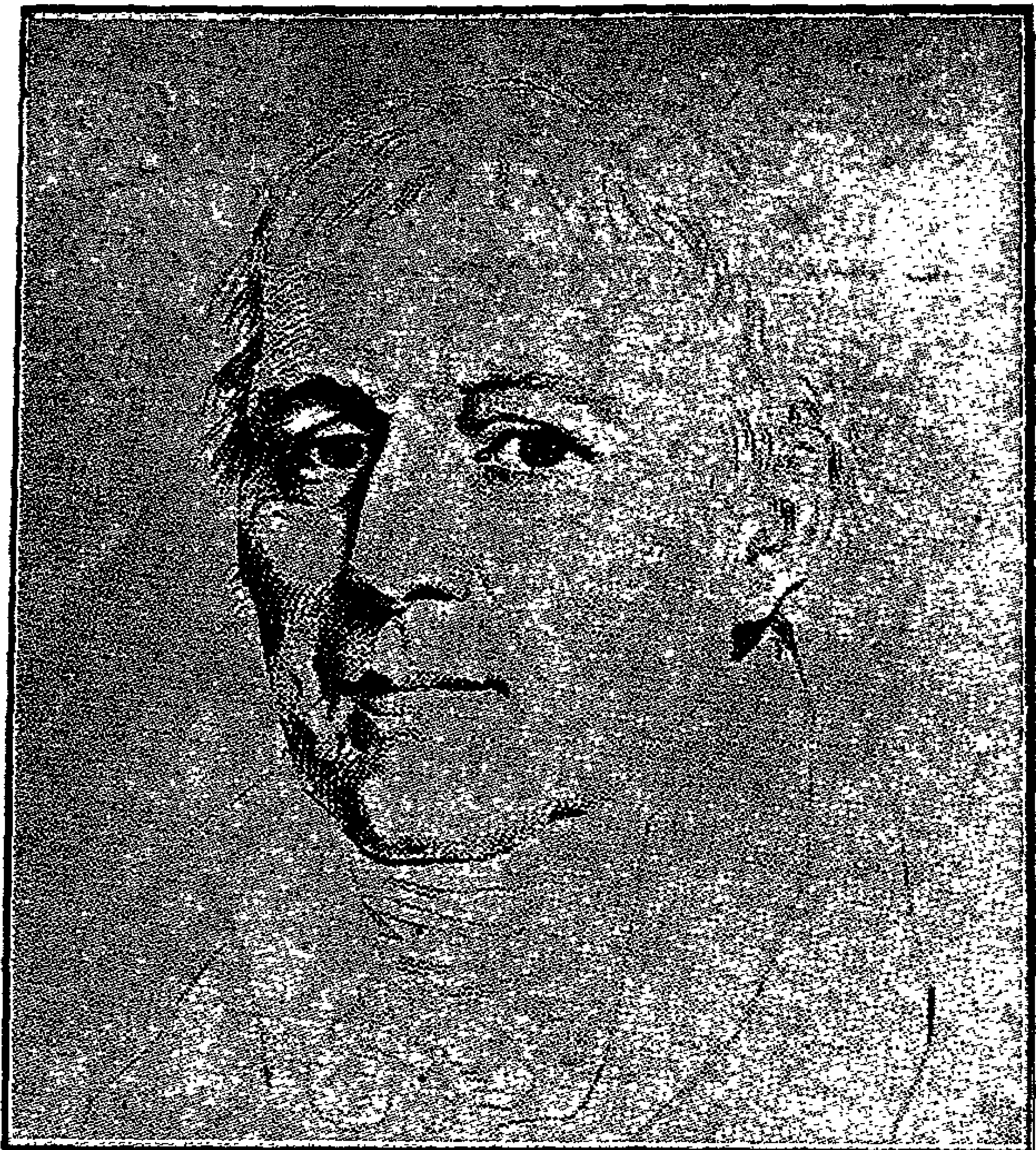
على ان بحثنا الجيولوجي الذي اوجزت وصفه كل الايجاز فيما تقدم لم يمكننا بعد من الحصول على الدليل القاطع على ان الانسان نشأ من اصل قردي شبيه بالانسان لاننا لم نعثر بعد على أثر انسان في طور الانتقال من اصل قردي شبيه بالانسان الى شكل انساني . فكيف نجد كلَّ العلماء باصل الانسان المعاصرين متفقين على الاعتقاد بان الانسان في اثناء نشوئهِ مرَّ بدور كان يمتُّ فيهِ بصلة الى القردة . ان هؤلاء العلماء غير عمي عن الفروق الكبيرة بين الانسان والقردة في التركيب والمظهر والتصرف . فلا بدَّ اذاً من الالمام بمصادر هذا الاعتقاد

في اوائل هذا القرن كشف الاستاذ نتُل احد اساتذة جامعة كمبردج طريقة دقيقة يصح الاعتماد عليها لمعرفة صلة نوع من انواع الاحياء بغيرهِ . وتلك الطريقة مبنية على مقارنة الفعل الذي تحدثهُ بعض المواد الكيماوية التي ترسب كريات الدم الحمراء في دم النوعين اللذين تراد معرفة صلتهما. وقد ثبت لهُ ان فعل هذه المواد في دم الانسان ودم القردة الشبيهة بالانسان واحد من هذا القبيل . وان فعل دم القردة الشبيهة بالانسان دون غيرها من البريماتيس شبيه بفعل دم الانسان في ذلك

وقد ثبت لعلماء البكتريولوجيا ان في اجسام القردة الشبيهة بالانسان استعداداً للعدوى كاستعداد جسم الانسان وانها تتصرف تحت تأثيرها تصرفهُ . ووجوه الشبه بين دماغ الانسان ودماغ القردة الشبيهة بالانسان في التركيب والنظام بالغة درجة تمكّن علماء الطب والفسيولوجيا من تجربة التجارب في الواحد وتطبيق نتائجها على الآخر .



داروين



لامارك

والادلة المستخرجة من علم الاجنة ليس أقل غرابة ولا أضعف دلالة مما تقدم. فكيف نستطيع تعليل هذا المشابهات الا بفرض اصلٍ واحد للنوعين ؟

بين الفصول التي كتبها داروِن في كتابهِ « تسلسل الانسان » لا نجد فصولاً ادق مقاماً وابعد أثراً من فصولهِ التي حاول أن يتتبع فيها نشوء دماغ الانسان ووصف الاعمال التي يقوم بها ؟ فما هو مقام هذه الفصول الآن ازاء البحث العلمي الحديث ؟

لم يكن داروِن عالماً من علماء التشريح ولذلك قبل قول هكسلي بانَّ كل جزء في دماغ الانسان لهُ ما يقابلهُ في دماغ القرد . فقد كان هكسلي يرى ان دماغ الانسان ليس سوى طبعة منقحة لدماغ القرد زيد عليها بعض الحواشي وان دماغ القرد كان كذلك طبعة منقحة لدماغ نوع من البريمايتس أقدم من القردة وابسط تركيباً. ولقد قام الوف من علماء التشريح والفسيولوجيا بمقابلة دماغ القرد بدماغ الانسان فايدوا رأيهُ. ومنذ اشهر فقط لخص الاستاذ اليوت سمث موقف العلماء في هذا الموضوع فقال « اننا لانجد تكويناً ما في دماغ القرد ولا نجدهُ في دماغ الانسان . كذلك لا نجد في دماغ الانسان تكويناً يتعذر وجود مقدماته في دماغ الغورلاً او الشمبانزي . فالميزة التي يمتاز بها دماغ الانسان على دماغ القردة العالية هي ميزة مقدار لا ميزة نوع » . فالفرق بين دماغ القرد ودماغ الانسان اذاً هو فرق كمي لا فرق نوعيّ . ومع ذلك فان خطورة هذا الفرق كبيرة جداً اذ في دماغ القردة الشبيهة بالانسان نجد اصول الاجزاء التي نمت وكبرت في دماغ الانسان . والانسان لم يحصل على قوى الفكر والفهم والادراك والذاكرة والنطق والتعلم الاَّ من نمو هذه المراكز وارتقائها

على ان داروِن اقبل على المسألة اقبال عالم بسيكولوجي لا اقبال عالمٍ من علماء التشريح وبعد ما قضى سنيناً عديدة في الملاحظة الدقيقة والبحث والمقارنة اقتنع ان الفروق بين عقل الانسان وعقل القرد على كبرها هي فروق كمٍّ لا فروق نوع . وقد اثبتت المباحث الدقيقة التي قام بها علماء السيكولوجيا بعدهُ ما حقق آراءهُ وزادها توسعاً . فالادلة التي جمعها علماء التشريح وعلماء تكون الاجنة وعلماء الفسيولوجيا وعلماء السيكولوجيا تثبت كلها ان دماغ الانسان نشأ من دماغ قرد شبيهٍ بالانسان وانهُ في اثناء هذا النشوء لم يتكوَّن شيء جديد فيهِ ولا اضيفت اليهِ مقدرة جديدة اوغريبة عن دماغ القرد

الحبشة تستيقظ

ان رسل العمران الاوربي يطرقون الابواب على بلاد الحبشة كما طرقوها من قبل على الصين واليابان وغيرها . فايطاليا تطلب امتيازاً بانشاء سكة حديدية فيها وقد زار الدوق ابروتزي عاصمة الحبشة لهذا الغرض . وبريطانيا تطلب امتيازاً بانشاء سدّ على بحيرة صانا لتتحكم في الماء الذي يجري منها الى النيل الازرق لاغراض الري في مصر والسودان. وجمعية الامم تطلب من حكومتها — والحبشة عضو في جمعية الامم — ان تضع حدًّا لتجارة الرقيق فيها. وقد اهتزت الاندية السياسية والمالية في القاهرة ولندن في اوائل نوفمبر الماضي حين اذيع نبأُ اتفاق الحبشة مع شركة اميركية على بناء السدّ الذي يطلب البريطانيون امتياز بنائهِ . فرأينا ان ننشر في المقتطف خلاصة مقالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة «عمل العالم» لعضو من اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز . وقد قدمنا لخلاصة مقالتهِ مقدمة وجيزة في جغرافية الحبشة ونشرنا خريطتها وفيها يستدل على موقع العاصمة اديس ابابا وبحيرة صانا وكيف ينبع النيل الازرق منها واين يسيل في تلك البلاد الى ان يصل الى بلاد السودان

١ — لمحة جغرافية

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري كما ترى في الخريطة المقابلة مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لايزيد على اثنى عشر مليوناً ويقدرهُ بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط . وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم نغوس نغستي (نجاشي النجاشين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم ونجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى البلاد الصومال [١] وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الاتبرا والبحر الازرق احد فرعي النيل وعليهِ يتوقف الفيضان

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن على يمينه

خريطة بلاد الحبشة والبلاد المجاورة لها

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١٢

ومبدؤهُ بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جدًّا مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً .

واقليم الحبشة حارٌّ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال فلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت. وقد نشر بروس ارصادهُ الجوية فيها سنة ١٧٧٠ في كتابهِ المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان اعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ ابريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً . واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحلهِ يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاتهِ الى اقليم بارد بكل مميزاتهِ

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعه فصل حار جاف ثم فصل المطر من يونيو الى اكتوبر . ويشتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخرهِ . والغالب انهُ لا يمر شهر من غير ان يقع فيهِ مطر . اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري اراضيها فقد تضر بالقطر المصري ضرراً كبيراً

اما نباتات البلاد وحيواناتها فمماثلة لما في المناطق الحارة والمعتدلة والباردة حسب كونها في السهول أو النجود أو الجبال. ففيها البن وقصب السكر والموز واللبان والقطن والنيل والسنط والزيتون والجميز والزنجبيل والغار والتين والبرتقال والليمون والرمان والمشمش والخوخ والصنوبر . وفيها من الحيوانات الخيل والحمير والبغال والكركدن وفرس النهر والتمساح والغنم والبقر والمعزى والاسد والنمر والضبع والذئب

٢ — خلاصة مقالة المستر راي

تاريخ الحبشة مزيج من الحقائق والاساطير والتقليد وهو مستغرق في القدم وقد دفع اليَّ الرأس تفري ماكونن ولي عهد المملكة بقائمة تحتوي على اسماء ٣١٢ ملكا حكموا ٦٣٠٠ سنة على ما يقولون ومعنى هذا ان اول ملك على الحبشة حكم في سنة ٤٥٣٠ قبل الميلاد او في السنة السابعة والتسعين للخليقة حسب معتقداتهم وفي جملة هؤلاء

الملوك سليمان ملك اسرائيل وملكة سبأ ومنها ولد منليك جد البيت المالك اليوم فكأنما يمتد حكم هذا البيت الى ٣٠٠٠ سنة وهو امر منقطع النظير

وقد كانت الامبراطورية الحبشية في العصور الغابرة تنبسط على شاطئي البحر الاحمر وتشغل على الساحل الافريقي البلاد الممتدة من سواكن الى رأس غردفوى على الاقل وكانت اساطيلها تجوب البحار الى الهند وفارس وربما مخرت فيها الى ما هو ابعد منهما وقوافلها التي تنقل بضائعها او تجلب اليها بضائع البلدان الاخرى تقطع مئات الوف الاميال خارج حدودها . ومما ينبئ بما كان لتلك الامبراطورية القديمة من عظمة ان احد اباطرة الرومان من ١٦٠٠ سنة ارسل الى الاحباش يسألهم النجدة وقد وجه كتابهُ في ذلك الحين الى « امراء الحبشة المسيحية »

وقد آوت الحبشة اقرباء النبي محمد وتحالفت منذ ٥٠٠ سنة مع البرتغاليين على الترك والعرب والصوماليين الذين استعبدوها ولكنها صارت بعد ذلك طعمة لنيران الحروب الاهلية واغارت عليها قبائل الجلاّ من الجنوب فانشطرت الى مملكتين منفصلتين وظلت هكذا الى ان وحدها الامبراطور تاوضروس ثم جاء الامبراطور منليك فاعاد تأسيس الامبراطورية الاثيوبية القديمة ووطد دعائمها اذ وسع حدودها وقضى على جميع الملوك الطامعين بها ودوخ اراضي الجلاّ وهزم دولة اوربية في حرب طاحنة وها نحن أولاء نرى الحبشة اليوم عضواً في جمعية الامم وان كانت قد فقدت كل اتصال لها بالبحار واصبحت سواحلها مملوكة للاجانب

والحبشة بلاد واسعة تتألف من سهلين مترامين يفصلها الواحد عن الآخر واد عظيم يقال لهُ وادي رفت وعلى حدودها صحار كبيرة وجبال شاهقة كأنها المعاقل

ويقدر عدد سكانها من ٨ ملايين الى ١٣ مليوناً وهم خليط من اجناس كثيرة فنهم الاحباش والجلاّ والشنكلاّ والصومال والجوراج والدناكل وسواهم ويتكلمون ٧٠ لغة مختلفة اهمها اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية وحروف هجائها ٢٥١ حرفاً

و يعيش احباش اليوم كما كان اجدادهم يعيشون منذ ٢٠٠٠ سنة فيفكرون كما كانوا يفكرون ويسكنون جميعاً — اذا استثنينا سراتهم — اكواخاً مبنية بالطين او الحجارة وترى عاصمتهم نفسها اديس ابابا « ومعناها الزهرة اليانعة » وقد اسسها منليك عقب انتصاره على ايطاليا سنة ١٨٩٦ غاصة بالوف الاكواخ وليس فيها من المباني الحديثة الاّ جانب يسير ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠ نسمة .

وقد اعتنق الاحباش النصرانية قبلما نعتنقها نحن (يقصد قومه الاميركيين) ولذلك قصة تشبه أن تكون خرافية تحدثنا عن شابين من اتباع عقيدة الطبيعة الواحدة (وهي التي يعتنقونها اليوم) تحطمت سفينتهما على شاطئها فهديا سكانها الى المسيحية

ولا يزال الاحباش الذين هم اكثر من ثلث السكان يرتدون اللباس القديم المؤلف من قميص من القطن وسراويل « وشامة » وهي ملحفة يلتحفون بها في النهار ويستعملونها شرشفاً لفراش النوم في الليل وهو لباس الرجال والنساء معاً من جميع الطبقات ولهم في امر الشامة عادة غريبة فاذا التقى لابسها برجل آخر وسدل هذه الشامة على وجهه فمعنى هذا انهُ اراد احتقارهُ واما خلع الشامة عن الكتفين ولها حول الخصر فهو عندهم غاية الاحترام

ومحاكم القضاء عندهم ارتجالية فيجوز ان يدعى اي عابر سبيل كان فيجلس للحكم وترى هذه المحاكم قائمة في زوايا الشوارع تصدر احكامها من غير حاجة الى بلاغة المرافعات او الى اضاعة الوقت في سماع المناقشات وتطبق الشريعة الموسوية في الجرائم الخطيرة. وكان من المناظر المألوفة الى عهد قريب ان يرى المرء في سوق البلدة اشخاصاً معلقين في المشانق او في جذوع الاشجار . اما اليوم فيعدم القاتل في داخل كوخ صغير وطريقة اعدامهُ هي ان يطلق اولياء الدم رصاص بنادقهم عليهِ

ومن العادات في الحبشة ان يأدب البلاط الامبراطوري من حين الى حين مآدب رسمية يدعو اليها جميع من في العاصمة من الضباط والجنود والموظفين والخدم والعبيد يأكلون فيها اللحم نيئاً فيجلس ١٥ الفاً او اكثر القرفصاء امام موائد ويطوف عليهم الخدم والجزارون بقطع كبيرة من اللحم فيأخذ منها كل منهم ما شاء . وقد شهدت انا وزوجتي وليمة من هذه الولائم حضرتها الامبراطورة وقد ضرب دونها ستار من الحرير الاخضر وجلس ولي العهد والرؤوس على منصة قريبة منا وجيء باللحم النيء فوزع على الوف المدعوين على النحو المتقدم وقد قيل لي ان ما ذبح لهذه الوليمة كان ٤٠٠ ثور وهذه عادة باقية من آثار العهد الاقطاعي.

ومن بقايا ذلك العهد ايضاً ان كل خادم او عامل يلتزم بان يتبرع لسيده بشغل عدة ايام في كل سنة بالمجان فيحرث لهُ ارضهُ او يقطع لهُ الحشيش او يمهد الطرق او ما شابه ذلك

ويحدث احياناً ان تعزم الامبراطورة على تأدية واجب العبادة في كنيسة بعيدة

فلاجل تعبيد الطريق الى هذه الكنيسة يأتي ولي العهد ويضع بيدهِ حجراً في اول الطريق ويحذو الرؤوس وكبار الموظفين حذوهُ وحينئذٍ ينبري الوف من الناس فيمهدونها

وليس في الحبشة مغازل ولا معامل للنسج بل ان القطن لا يزال يغزل باليد كما كان يغزل في العصور الماضية ومحاريث الزراعة هناك من الخشب تكاد لا تشق الاَّ سطح الارض والموتى يدفنون كيفما اتفق في مقابر هي في الوقت عينه طرق للسابلة فاذا جنَّ الليل نزلت الضباع عليها ونبشت على الجثث

هذه صورة للقديم ترى الى جانبها صورة للجديد اذ تجد طرقاً تمهد للسيارات التي يبلغ عددها نحو المائتين في اديس ابابا وتسمع نقرات آلات الخياطة في بعض الحوانيت وفي وسعك ان تتناول في بيت ولي العهد طعاماً طُهي على النمط الاوروبي المتقن

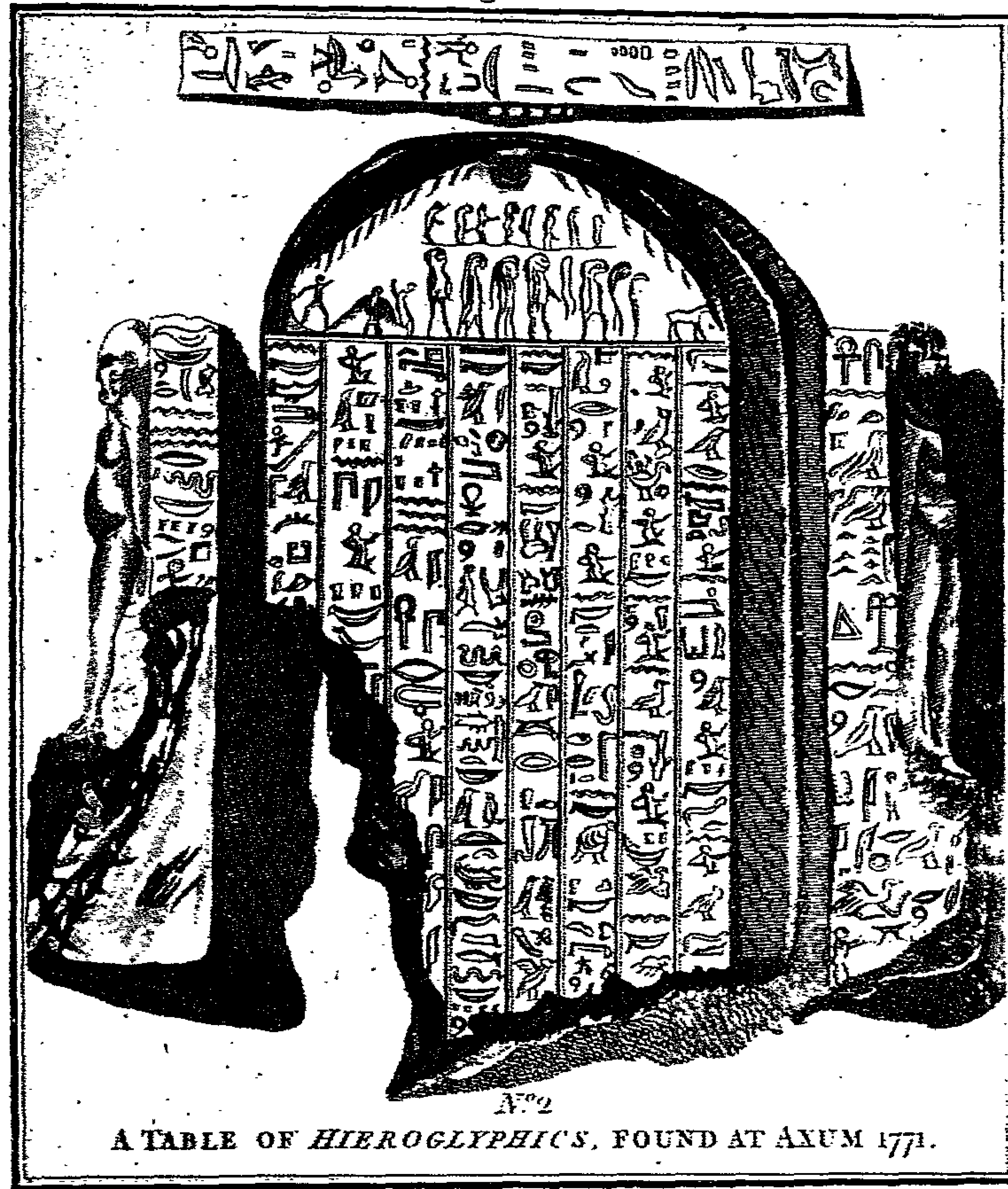
وليس في كل تلك البلاد الواسعة من خطوط المواصلات غير خط حديدي واحد (غير مزدوج) يصل اديس ابابا بثغر جيبوتي ميناء الصومال الفرنسي والمسافة بينهما ٥٠٠ ميل ولا تسير القطارات على هذا الخط الاَّ نهاراً واذا نزل السيل عطلهُ أما الطرق الزراعية فهي عبارة عن دروب للقوافل

ولا يجوز لاجنبي ان يسافر في داخلية البلاد من غير رخصة رسمية على ان الاهلين يعطفون على الاجانب وقد حدث مرة لزوجتي ان كسرت ذراعها ونحن نطوف في ارجاء مملكة قوجام واضطررنا ان نسير بها مسافات محمولة على سرير من الشبك يشبه الارجوحة فكنا كلما مررنا بقوم ووقفوا على جلية الخبر تقدم نفر منهم لحمل السرير مسافة غير قليلة والحوا في ذلك

واهل الحبشة اميّون ليس بينهم من يعرف القراءة والكتابة اذا استثنينا رجال الاكليروس وموظفي الحكومة في اديس ابابا

وتتألف الطبقة الحاكمة هناك من الامبراطورة وولي العهد والرؤوس وحكام المقاطعات او الممالك ولكن اعظمهم كفاءة ومقدرة ولي العهد وهو شاب في الخامسة والثلاثين يعمل يوميًّا في مكتبه من السابعة صباحاً الى العاشرة مساءً مكبًّا على ابتكار مشروعات الاصلاح الحكومية وانشاء المعاهد الحديثة . غير ان في البلاد قوى عظيمة تقف في وجه مشروعاتهِ لرغبتها في بقاء القديم على قدمهِ واخصها رجال الكنيسة

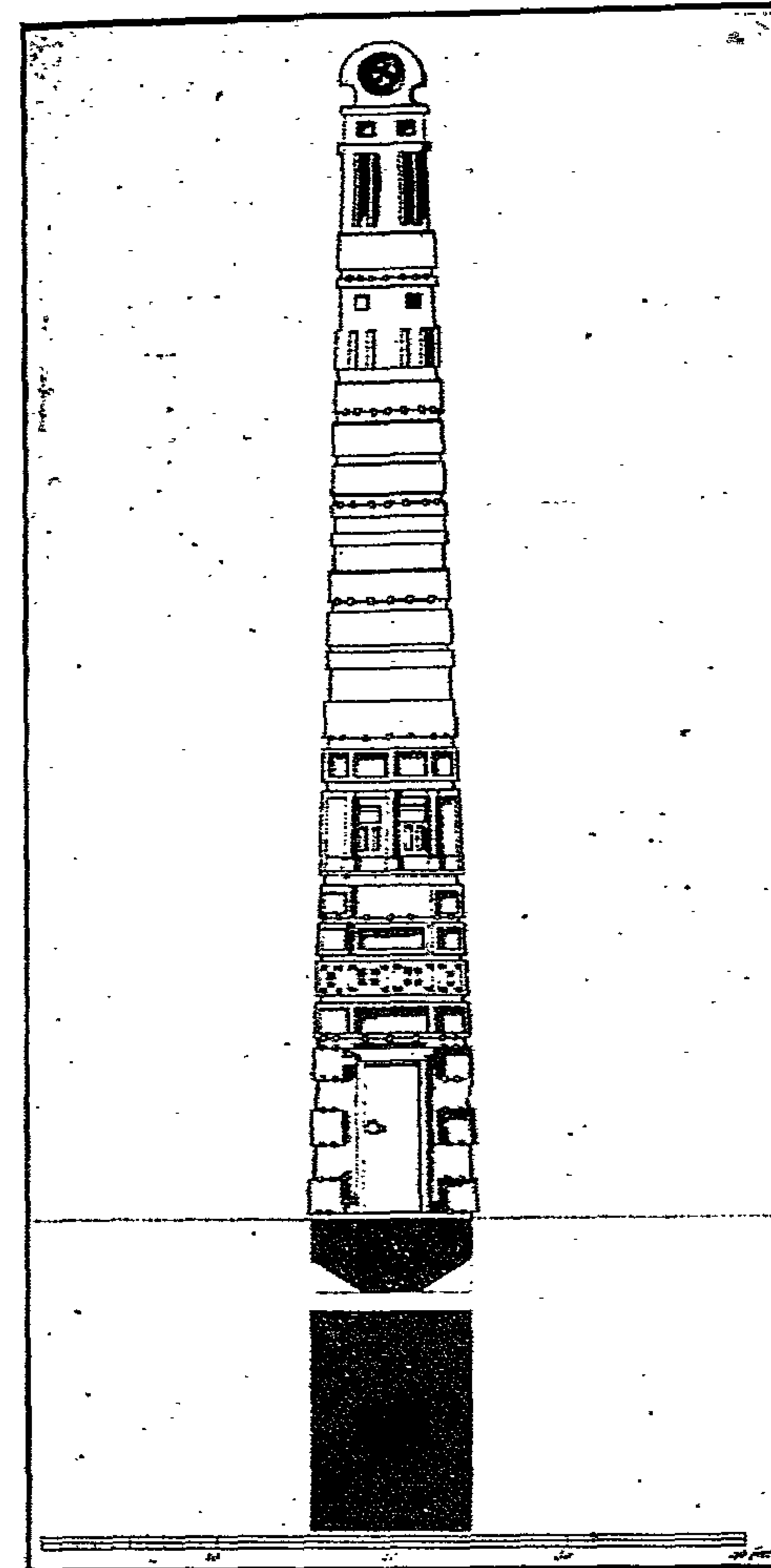
اما رؤوس الاحباش فعلى جانب عظيم من الغنى وبسطة النفوذ وحكام المقاطعات مستقلون تقريباً في مقاطعاتهم وهم لا يتناولون راتباً بل لهم سلطة فرض ضرائب على



لوح عليهِ كتابة هيروغليفية وجد في اكسوم ببلاد الحبشة

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١٧



مسلة من الغرانيت وجدت في اكسوم

الاهلين يجمعونها لأنفسهم ويرسلون منها جانباً الى الحكومة المركزية ويمكن ان يقال ان نفوذ هذه الحكومة لا يتجاوز اطراف اديس ابابا

وكذلك قل عن الكنيسة الحبشية فانها قوة ذات نفوذ وثروة وفي حيازتها ربع اراضي البلاد وقد امتلكتهُ منذ القرن الثالث عشر ورئيسها يقال لهُ (ابونا) وهو قبطي يعينهُ بطريرك الاسكندرية القبطي وقد اثارت وفاتهُ في سبتمبر الماضي خلافاً مدارهُ هل تستمر البلاد على العادة القديمة فتختار مطراناً من القبط او تنصب لها مطراناً حبشيًّا وكانت الغالبية في جانب الرأي الاول كما هي العادة في سائر الامور

وتجارة الحبشة لا تذكر في جانب ما يجب ان تكون عليهِ في بلاد غنية كهذه وقد لا تزيد على مليوني جنيه في السنة والعملة من عوائق نمو التجارة فانهم هناك لا يتعاملون الاَّ بريال ماريا تريزا النمسوي واذا اراد تاجر ان يبتاع محصولاً من الاهلين فعليهِ ان يبتاع كمية من هذه الريالات لدفعها ثمناً للمحصول ولا تخلو عمليات شراء العملة من خسارة قد تذهب بربح التجارة

ومما اذكرهُ للاحباش انهم شعب نخور أشم المعطس فتراهُ يتيه فخراً ببلاده وتاريخهِ وديانتهِ وانتصاراتهِ الحربية ولكن يعيبهم انهم شديدو الريبة بعضهم ببعض فولي العهد مثلاً يرى نفسه مكرهاً على ان يؤدي بنفسه اعمالاً هي من إختصاص صغار مرؤوسيه لانهُ لا يعتقد بوجود الرجل الامين الذي يكل اليهِ عملاً من هذه الاعمال ولولا ذلك لتفرغ للمشكلات الهامة التي تصادفها بلاده واهمها تنمية مواردها وتنظيم حكومتها ومعالجة الاضطرابات التي تقع على حدودها ومسألة بحيرة صانا والمصالح الايطالية والرقيق وجمعية الامم

ولا يتسع المقام للكلام باسهاب عن كل من هذه المشكلات فاذكر منها مشكلة الامتياز الذي تطلبهُ بريطانيا العظمى في بحيرة صانا بانشاء خزان عليها لري حقول القطن في السودان ومصر ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الزراع والتجار في مملكة قوجام يؤيدون مشروع هذا الخزان كل التأييد لانهم يعتقدون انهم ينتفعون بهِ ولكن رجال الحكومة في اديس ابابا يرتابون في نيات انكلترا والكنيسة تعارض فيهِ بدعوى ان مياه النيل الازرق مقدسة لا يجوز التعرض لها !

ثم ان ايطاليا تطلب امتيازاً بمد خط حديدي وتطلب دول اخرى امتيازات تجارية وهلمَّ جرًّا

ومما لا يقل عن كل ذلك شأناً مشكلة الرقيق وهي مشكلة عسيرة الحل في بلاد اعتاد اهلها إقتناء العبيد . نعم ان العبيد في الاسر الحبشية يعاملون معاملة حسنة جدًّا ويعتبرون كأعضاء في الاسرة ومتى تحرروا وقعوا فريسة البؤس والفاقة ولكن الدول الاوربية تعدهم رقيقاً وقد اصدر الرأس تفري مرسوماً يقضي بان ابن العبد يولد حرًّا واصدر مرسوماً آخر يقضي باعدام من يضبط متجراً بالرقيق فالرجل يعمل باخلاص في مكافحة هذه التجارة لولا العوائق الاجتماعية التي يصادفها من قومهِ

٣ — الحكومة المصرية وبحيرة صانا

وقد اوفدت الحكومة المصرية الدكتور غراهام الجيولوجي والمستر بلاك العالم الطبيعي من بضع سنوات للبحث عما يمكن ان يعمل للتحكم بماء بحيرة صانا حتى يبقى فيها جانب منهُ من زمن الفيضان الى زمن التحاريق فبحثا ٣٤ شهراً اي في مدة ثلاثة فيضانات فوجدا الامور الآتية

اولاً ان هذه البحيرة تكونت في عصر جيولوجي حديث من ثوران بركاني وقست حممهُ في وادٍ فسدَّتهُ حيث وقعت فصار ما فوق السد بحيرةً

ثانياً ان مساحة سطح البحيرة ٣٠٦٠ كيلومتراً مربعاً كأن طولها ٥٥ كيلو متراً وعرضها كذلك

ثالثاً انهُ يتبخَّر من مائها ما سمكهُ مايمتر ونصف في اليوم في شهر اغسطس ثم يزيد التبخر رويداً رويداً حتى يبلغ ستة مليمترات في اليوم في ابريل وفي السنة كلها ١٤٨٠ مليمتراً او نحو متر ونصف

رابعاً ان ما يجري منها من الماء في الثانية من الزمان يكون على اقلهِ في آخر فصل الجفاف وهو حينئذٍ ١٠ امتار مكعبة في الثانية من الزمان ثم يزيد حتى يبلغ ٥٠٠ متر مكعب في الثانية حينما يكون الماء في البحيرة على اعلاهُ وذلك في سبتمبر

وهذا المقدار اقل من جزء من خمسين جزءا من الماء الذي يجري في النيل في اصوان زمن الفيضان فلهذه البحيرة شأن قليل في فيضان النيل ولكن اذا اقيم لها سد عند مخرج البحر الازرق منها حتى يسهل التحكم بالماء الذي يجري منها الى النيل كان منها نفع كبير وقت التحاريق لانهُ يمكن ان يخزن فيها حينئذٍ ٣٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء . وبناء هذا السد يقتضي نحو مليونين ونصف من الجنيهات واذا اريد اصلاح الطريق من النيل إليها اقتضى ذلك نفقات اخرى

التباين الخلقي

المؤثرات الباطنية الموروثة والمؤثرات الطارئة

اوضحنا في مقالنا السابق ان في الجسم البشري مستودعين اشبه الاشياء بالدينامو تكمن فيهما قوتان كهربائيتان هما قوة النشاط وقوة الشعور والاحساس واليهما يرجع على الراجح التباين الخلقي

ونزيد على ذلك الآن بانهُ على ما يكون لدى الفرد من ألكترونات احدى هاتين القوتين يبدو منهُ استعداد خاص الى ترسم خطط معينة في المستقبل يجنح اليها عند دخولهِ في سن الشباب باساليب متنوعة مختلفة لا تخفى على القائمين بتربيتهِ والمخالطين لهُ وتزداد جلاء وبياناً كلما اكتمات لديهِ قوة التمييز والادراك. وينفرد بهذه الميول دون اخوتهِ أو اقاربهِ أو جيرانهِ او اقرانهِ بحيث تكاد لا تجد واحداً منهم يحاكيهِ في قوة اندفاعهِ اليها. وكما ترى تبايناً كبيراً في هذه الميول ترى تبايناً أوضح واجلى في قوى النفس على اختلافها كالنشاط والشعور والذكاء. ترى انساناً متفوقاً في النشاط مثلاً ولكنهُ دون الآخر في الشعور او دونه في الذكاء او دونهُ في الميل الى الخير او في اقتحام المخاطر او في المروءات او الهمم. وترى آخر يجهد نفسه ويتلذذ بالشقاء والعناء ليريح الآخرين وينيلهم ما بهِ يتهنون وينعمون. وكما نشاهد تفاوتاً كبيراً بين أعضاء الاجسام المختلفة في قواها ومدى وظائفها فيتفوق فرد ببصره الحاد او بعضله القوي وآخر بجهازه الهضمي وآخر بقوة قلبهِ او سمعه أو شمه الى ما لا يعد ولا يحصى، كذلك نرى ان القوى العقلية الكامنة التي نسميها بالمدارك غير متساوية بين الناس فهذا يمتاز بقوة الفكر وهذا وان كان دونهُ فيهِ الا انهُ يفوقهُ في قوة الذاكرة او قوة التصور او قوة الابداع او الاكتشاف او قوة الارادة او تألق الذكاء وهكذا الى مالا نهاية لهُ من هذا التفاوت المتأثر بحكم كميات الالكترونات المتوارثة عن الآباء والامهات

اختلاف الفلاسفة

ولقد كانت هذه المشاهدات علة انشقاق الاخلاقيين في ارجاع تباين الخلق في سجاياهم واخلاقهم الى اسبابها الاولى: فذهب بعضهم وعلى رأسهم الفيلسوف الشهير شوبانهاور Schopenhauer على ان الاخلاق في الانسان فطرية موروثة ولانها كذلك فهي لا تتغير ولا تتحول بل تثبت فيهِ وفي نفسهِ ثبوتاً راسخاً لا يتزعزع

لدخولها ضمن ذرات جسمهِ المتوارثة وان ما يبدو لاعيننا فيها من التبديل والتحويل هو عرضي طائش عامٌ لا جذور لهُ ولا يقوى ثباتاً امام الغرائز الفطرية المستكنة في النفس ، وهي التي فضلاً عن كونها ترسم لصاحبها خطط الحياة فانها تقودهُ الى ما يراهُ حسناً وخليقاً بهِ مهما اثار سخط الناس او غضبهم أو كان بعيداً عن ذوقهم او استحسانهم أو كان على العكس منطبقاً عليها . واضاف شوبنهاور بان قال قوله المشهور « كل امرئ يسير بطبيعتهِ الذاتية الثابتة التي لا تتحور وأن ما بهِ من طبائع وغرائز كامن في نفسهِ كموناً راسخاً لا يتحول »

وذهب آخرون على النقيض من المتقدمين وقالوا ان لا أثر في فطرة الانسان ولا في طبيعتهِ من الاخلاق والغرائز وان كل نفس بشرية تولد طاهرة خالية منها بتاتاً ثم تطرأ عليهِ بحكم البيئة والوسط ومختلف التعاليم التي يتلقاها طوارئ ، جميلة كانت أو دميمة . سامية أو سافلة . فاضلة او شريرة

نادى بهذا المذهب فلاسفة الاخلاق في القرن الثامن عشر أمثال هيلفيسيوس Helvétius وروسو Rousseau . وستيوارت ميل Stuart Mill وجميع من تأثر بفضل التربية في تقويم النفس وتهذيبها وقالوا بان ما نشاهدهُ من دلائل الرقي والتكمل الخلقي ليست لهُ أسباب وراثية مطلقاً وانها كلها اكتسابية طارئة بعد الولادة

واضاف على ما تقدم الفيلسوف پايوه Payot ان الطبيعة لا تكوّن من عندياتها أخلاقاً ولا غرائز بل ما قد يكوّن بها منها فانهُ طارئٌ عليها بعد الولادة يطرأ تدريجيًّا وببطء واضح بحسب تدرج المرء وتقدمهِ في السن وعليهِ يتعذر اعتبارها فطرية متوارثة »

هذا ومع احترامي التام لرأي كل فريق من هذين الفريقين فاني اجد كلاًّ منهما متطرفاً فيما ذهب اليهِ فان الاولين وان كان لهم الحق في الذهاب الى توارث الغرائز فانهم غضوا النظر عن امر جوهري اصبح عماد الحضارة الراهنة في تمدين الاجناس البشرية برمتها هو التربية والتعليم وفضلها في التهذيب والتمدين لا يحتاج الى تبيان . واجد الفريق الثاني وان كان محقًّا بارجاع الفضل في تهذيب الاخلاق الى التربية فقد انكر شيئاً ظاهراً لكل عين مدققة وهو توارث الكثير من الغرائز عن الاجداد والآباء توارثاً طبع اصحابها بطوابع خاصة يمتازون بها عن باقي الافراد سواء كانوا من العائلة نفسها او من البعيدين عنها

وليسمح لنا الفريقان في التدليل على رأينا هذا

تطرف الفيلسوف شوبنهاور

اغمض الفيلسوف شوبنهاور عينه عن مؤثرات التربية الفاضلة في تكون الكمالات في النفس البشرية ووقف جامداً عند مبدأ التوارث الخلقي عن الامهات . واني اسوق للدلالة على هذا التطرف مثلاً تاريخيًّا مشهوراً اخترتهُ لوقوعهِ في البلاد الغربية نفسها التي ولد فيها ذلك الحكيم الاخلاقي الشهير . وعندنا في الشرق امثلة كثيرة لا تحصى وكلها دلت على قابلية النفس البشرية للتطور والتأثر كلما وجدت لها مرشداً من التربية الحقة الى سبيلها القويم . واقصد بالتربية الحقة التربية الجسدية والعقلية والخلقية التي لاعتقادي التام في فضل تأثيرها في النفس ارجو ان تنهض حكومتنا المصرية ومختلف هيآتنا الدينية والعلمية والنيابية لجعلها الاساس الذي نقيم عليهِ صرح نهضتنا القومية جاعلين بهذا عصرنا الراهن عصر إحياء وتجديد وبناء لننال النعيم المرجو والمركز المحترم اللائق بتاريخنا بين باقي الامم

الحكيم فنيلون

في عصر لويس الرابع عشر ملك فرنسا كان الدوق دو بورجوني Le Duc de Bourgogne ناشئاً على طبائع شكسة وغرائز شريرة واخلاق دميمة وكان متغطرساً مختالاً صلفاً شامخاً جباراً عنوداً فاخافت هـذه الغرائز القبيحة الهمجية الملك فاراد تهذيبها فعهد الى ذلك المربي الحكيم الشهير بالتقوى وبمضاء العزيمة وتألق الذكاء فينيلون Fenelon [1] فتولى تربيتهُ فاجمع الناس في تلك الايام على تحتم فشلهِ في تقويم اخلاق سافلة منحطة انحطاطاً مريعاً كاخلاق الدوق دوبورجوني ولكن ذلك الفيلسوف الذي كان يعرف ما للتربية من القوة الفعالة في

(١) ولد فنيلون سنة ١٦٥١ من اسرة فرنسية عريقة في الشرف وكان في طفولته ضعيف البنية فتلقى مبادىء العلوم في البيت ثم قضى بضع سنوات في جامعة كاهور وانتقل سنة ١٦٦٦ الى باريس فدرس في مدرسة سانت سيلبيس اللاهوتية برعاية عمه المركيز انطوان ده فنيلون . وكان ميالاً الى القيام برحلة الى الشرق الادنى فلقي مقاومة من اهله فبقي في مدرسة سانت سيلبيس اللاهوتية الى سنة ١٦٧٩ ثم تقلب في مناصب الرهبنة الى ان عينه الملك لويس الرابع عشر معلماً لدوق برغندي (بورغونيه) وبقي معلماً له الى ان اختلف مع بوسيه على مسائل لاهوتية فالف كتاباً يدفع به عن رأيه ولكن نبأ الجدال اتصل بالبابا انوسنت الثاني عشر فحكم لبوسيه سنة ١٦٩٩ ففصل فنيلون من بلاط الملك لويس الرابع عشر وقضي باقي حياته في كمبري لم يبرحها الا مرة واحدة .

النفس اعتمد على مواهبهِ الفائقة ومعارفهِ وعلومهِ وآدابهِ وقبل التطوع لهذا العمل الشاق فاتبع في تهذيبهِ اسلوباً رائقاً تقوده الحكمة والتبصر والمهارة والصبر الى ان تمكن من شعور الشاب وعواطفهِ وقلبهِ فأثر فيها التأثير الباهر المحمود الذي نقلهُ من حال الى حال ومن طبيعة الى طبيعة وبعد ان نفره من خشونة اللفظ وهمجية الغرائز استدناه الى التواضع والمعاملة بالحسنى وما تنجذب اليهِ النفس من الكمالات والفضائل ومحبة الخير والتقوى ومخافة الله في السر والعلانية . فكان كلما استأصل منهُ عيباً اعاضهُ بدلاً منهُ فضيلة . وكان من اسباب التهذيب والتربية التي اعتصم بها انهُ الف لهذا الشاب كتابين في الآداب هما للآن اشهر من نار على علم يعرفهما المصري والهندي والياباني والاميركي معرفة جميع امم الغرب لانهما ترجما بجميع اللغات ونالا من الناس تقديراً ليس فوقهُ تقدير لما احتويا عليهِ من مختلف الكمالات والفضائل مفرغة في قوالب جذابة ضمن قصص منسقة تثير في النفس الاعجاب وتستهويها للاخذ بالمبادىء الفاضلة اهمها الشجاعة والصبر على الاهوال في سبيل الرغائب وبلوغ المآرب واستخدام الحذر والتبصر في عواقب الامور قبل الاقدام عليها . وتعلمها معاني الكرامة الذاتية وقيمة الشرف وحب الحرية والذود عن ذمار الوطن والتزام الرحمة والرأفة بالبؤساء والمرضى والمعوزين وهكذا من امثال هذه المواعظ الذهبية مكتوبة باساليب راقية تهواها وتنجذب اليها نفس كل قارئ . هذان المؤلفان هما تيلماك Télémaque واحاديث الاموات Les dialogues des morts ولم يكتف بهذين المؤلفين بل امده بروايات أدبية اخلاقية اخرى فكان لا بد لهذا الاسلوب التهذيبي البديع الذي اتخذه الفيلسوف فينيلون من اثر فضل نافذ في نفس الدوق الشاب فتغيرت اخلاقهُ وتلطفت طباعهُ تلطيفاً باهراً محموداً وتربت نفسه على ان تكون كريمة تجنح الى الاقدام على كل عمل جليل في ذاته نبيل في غاياته مسبوق بالروية والتبصر في اسبابهِ ومسبباته مقرون بالثبات والمضي فيهِ الى النهاية . فدهش الناس جميعاً اذ رأوا الدوق غير دوقهم الاول وقد تخلق باخلاق سامية وصفات فاضلة كانت سبب مجده وتقديره وانجذاب الخاص والعام اليه

وعليهِ فقد أقام الفيلسوف فنيلون بهذه الآية المأثورة اسطع الدلائل على ان طبائع البشر تحاكي بذور النبات فانها تنمو وتجود وتثمر متى صادفت ارضاً خصبة وعناية ورعاية وتربية ممن يهمهُ شأنها ويعني بزرعها وتعهدها

عثمان مرتضى

الاعتدال

بحث ادبي لغويّ

دعِ الإفراطَ والتفريطَ فيما تُحاولُ من مقالٍ او فَعالِ
فإنَّ سلامةَ الانسانِ ممَّا يُحاذرهُ تكونَ بالاعتدالِ

١ — تمهيد

الاعتدال التوسُّط بين حالين في كمٍّ او كيفٍ — بين الطول والقِصَر او بين العلوّ والانخفاض او بين الكثرة والقلّة او بين الشدّة واللين ونحوها من الاضداد. فنقول جسمٌ معتدل أي غير طويل ولا قصير. وماء معتدل اي ليس بارداً ولا حارًّا. ويوم معتدل اي طيّب الهواء خالٍ من لفح القيظ ونفح الزمهرير وقس عليهِ. وكلّ ما استقام او تناسب فقد اعتدل أي توسَّط بين طرفي الإفراط والتفريط غير مجاوزٍ حدَّهُ من جانب الزيادة ولا مقصّرٍ عنهُ من جانب النقصان. والاعتدال في كل شيء سرُّ حفظ الصحة وصفاء العيش ونعيم البال كما قال مولتكي القائد الالماني الشهير

٢ — الاعتدال في الطبيعة

وللاعتدال امثلة كثيرة في احوال الطبيعة ومظاهرها. ففي دوران الارض حول الشمس نشاهد كل سنة اعتدالين يتساوى فيهما الليل والنهار. أحدهما في آخر فصل الربيع والآخر في نهاية فصل الخريف. والماء في اعتدال درجة حرارتهِ يكون مائعاً كما نعرفهُ. فاذا اشتدّ ارتفاعها تبخر اي صار بخاراً واذا هبطت درجة حرارتهِ جمد وتحوّل الى جليد او ثلج. والمعتدل من سطح الارض منهُ الغيطان الفسيحة الارجاء والسهول الواسعة الاطراف التي حوّلها الانسان الحارث الهمَّام الى مزارع خصيبة ومغارس نضيرة وجنان فيحاء مستعيناً على إحيائها وإنمائها بشآبيب الامطار او بمياه الغدران والجداول والانهار. ومنهُ المفاوز القاحلة والصحارى المجدبة التي قصرت عن استعمارها يد الانسان فظلّ جيدها الى الآن عاطلاً من حليّ الحضارة والعمران. وما جاوز من سطح الارض حدّ الاعتدال ناشزاً عنهُ فهو الهضاب والجبال وما انخفض عنهُ فهو الوهاد والاودية

٣ — الاعتدال في احوال الانسان

والانسان وهو ابن الطبيعة يجري من هذا القبيل مجرى امّهِ محتذياً لمثالها وناسجاً

على منوالها . فترى هذا سالكاً في ما يعالجهُ ويزاولهُ من شؤونهِ سبيل الاعتدال وذاك مفرطاً أي مجاوزاً الحدّ من جانب الزيادة وذلك مفرّطاً اي مقصّراً عنهُ من جانب النقصان . فالشجاع الملتزم في إقدامهِ حدَّ التعقّل والرزانة وسطٌ بين مَن يغامر مستميتاً فينتهي الى الاقتحام والتهوُّر ومَن يبالغ في الحذر وإيجاس الخوف فيوجل وينكص وينحطُّ عن الشجاعة الى الجبانة . والمقتصد اي المعتدل في ما ينفقهُ من مالهِ وسطٌ بين المسرف المبذّر والبخيل المقتّر وقس عليهِ ما بقي من سائر احوال الإنسان كالأكل والعمل والكلام وهو موضوع البحث

٤ — أوجه الكلام ومزية المساواة

ويراد بالكلام في هذه المقالة كلُّ ما يُلقيهِ المحدّث والخطيب والواعظ على السامعين وما ينشرهُ الكاتب والشاعر في صحيفة او مجلّة اوكتاب على القرّاء . ولاجتناب تكرار هذه الانواع في اثناء البحث نُطلق الكلام عليها كلّها والمتكلّم على صاحب كلّ نوع منها فنقول :

قد يكون المتكلّم معتدلاً في كلامهِ اي مفرغاً للمعاني التي يروم إيصالها الى ذهن السامع او القارىء في قوالب ألفاظ على قدرها لا ناقصة عنها ولا زائدة عليها . وقد يختصر في التعبير عن مرادهِ اختصاراً يشدُّ المعنى بوثاق الغموض والخفاء ويسدُّ عليهِ منافذ الوضوح والجلاء . وقد يُسرف في الإفصاح عما في ضميرهِ إسرافاً يجلو المعنى القليل في ثوب لفظٍ فضفاض ضافي الذيول وكثير الحواشي . فالاعتدال في الكلام وسطٌ بين الاختصار والإطالة . وهذه الامور الثلثة تُعرَف عند أهل المعاني بالمساواة والايجاز والإطناب

وكثيراً ما نتغنَّى بجمال الاعتدال وفائدتهِ في الأكل والعمل والإنفاق وغيرها من أحوالنا ونتغاضى عن مزاياهُ في الكلام . ومحاسن المساواة وفوائدها انما تظهر جليًّا لعين المتأمّل عند ما يقابلها بعيوب الإيجاز والإطناب وبضدّها تتميز الاشياء

٥ — المستحسن والمستهجن من الإيجاز

فالاختصار او الإيجاز يظلُّ سالماً من الاعتراض ما دام نقص اللفظ وافياً بالمعنى غير مخلّ بهِ سواء كان النقص بتقصير العبارة ام كان بحذف شيء منها — جزء جملة او جملة او اكثر — بشرط سهولة الدلالة على وقوع الحذف وتعيين المحذوف . فكل ما يرد منهُ على هذا الوجه نثراً او شعراً مقبولٌ ومستحسنٌ بل هو دليل علو الكعب

ورسوخ القدم في امتلاك ناصية الإنشاء البليغ وإحراز قصب السبق في مضمار البيان

اما المكروه المستهجن من الكلام الموجز فهو ما كان قالب لفظهِ قصيراً ضيّقاً فيجيء المعنى مرصوصاً مضغوطاً وعليهِ من الغموض والإبهام حجاب اكثف من حجاب المعمّيات والاحاجي . ولشدة تناهيهِ في الخفاء والتعقيد اللفظيّ او المعنويّ يضطرّ السامع او القارئ أن يستكدّ ذهنهُ ويتجشم اشقّ ضروب الإعنات والإرهاق في فكّ ختمهِ وحلّ عقدتهِ مقلّباً في استكناهِ معناهُ وجوه التأويل والتفسير التي يتّسع امامهُ مجالها وضارباً في مفاوز التكهن والتخمين لعلّهُ يستطيع جلاء غيهب الشك بنور اليقين فيذهب عناؤهُ باطلاً ولا ينال من مرادهِ طائلاً

هذا هو الإيجاز المخلّ الذي يثقل على اذن السامع ويسمج في عين القارئ .

ومنهُ قول الحرث بن حلزّة اليشكريّ : —

« والعيش خيرٌ في ظلال الـ جهل ممّن عاش كدّا »

وقول الفرزدق في مدح ابرهيم بن هشام المخزومي : —

«وما مثلهُ في الناس الا مملكاً ابو أمّهِ حيٌّ ابوهُ يقاربهْ »

وقول العباس بن الاحنف : —

« سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا »

وقول ابي العلاء المعرّي يصف النوق : —

« طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهناً ما لهنّ ومالي »

وقول ابي تمام : —

« كوامنُ الحبّ فيكَ كونكَ في أفئدةِ العاشقين لم تكنِ »

وقول ابو الطيب المتنبي في مطلع قصيدة : —

« أُحادٌ ام سُداسٌ في احادِ لُيَيْلَتنا المنوطة بالتنادي »

وقولهُ من قصيدة أخرى : —

« فتى الف جزء رأيهُ في زمانهِ أقلُّ جزيءٍ بعضهُ الرأي أجمعُ »

وغير ذلك مما يطول استيفاؤهُ . وهو في النثر لا يقل عنهُ في الشعر

٦ — الإطناب

أما الإطناب فقد يهون الخطبُ فيهِ لو انحصر إسهاب بعض المتكلمين في الاغراض

التي نصَّ عليها علماءُ البيان كالايضاح بعد الإِبهام وذكر الخاصّ بعد العامّ تنبيهاً على فضله . والاحتراس لدفع التوهم . والتكرار للتأكيد . والإِيغال لزيادة المبالغة . والاعتراض للدعاءِ والتنبيه والبيان وغيرها . ولكنهم كثيراً ما يأتونهُ اعتباطاً لغير علة سوى إدخال السآمة والملل على قلوب السامعين والقرَّاءِ وامتحان مبلغ صبرهم على سماع اللفظ وتلاوة اللغو

يتصدَّى بعض الناس للحديث في المجالس او للخطابة والوعظ على المنابر فيقضون الدقائق والساعات في الكلام على موضوع يعبّر عنهُ غيرهم في بضع ثوانٍ .فيذهبون بصبر المنصتين لهم ويحملونهم على التبرُّم والتذمر والإِعراض عن الاستماع . ويكتب بعضهم نثراً أو ينظم شعراً أطول من شهر الصوم وقد عبث بهِ الاطناب ولعب وأكل عليهِ الإِسهاب وشرب . وليس فيهِ من المعنى ما تضيق بعض الجمل او بضعة الابيات عن استيعابهِ

ولهذا أجمع الادباءُ والحكماءُ من قديم الزمان على ذمّ كثرة الكلام والتحذير منها وآثروا حتى الايجاز على الإِطناب بل فضَّلوا الصمت عليهِ . لانَّ فيهِ منجاة من الاخطار التي يتعرَّض لها الثرثار المهذار وخلاصاً من سماع ما يذهب بصبر ايُّوب وتلاوة ما يُسقم النفوس ويعلّ القلوب . قال سليمان الحكيم في سفر الامثال «كثرة الكلام لا تخلو من معصية» . وقال ابو بكر الصديق «ان البلاءَ موكلٌ بالمنطق» وقال اكثم بن صيفي «مقتل الرجل بين فكَّيهِ» وقال الشاعر : —

« الصمتُ زينٌ والسكوتُ سلامةٌ فإِذا نطقت فلا تكن مهذارا
ما إن ندمتُ على سكوتي مرَّةً ولقد ندمت على الكلام مرارا »

٧ — طول الكلام وضيق الوقت

ومما يلاحظهُ المتأمل في اخلاق المولعين بإِطالة الكلام على غير طائل أنهم في الغالب أحرص الناس على كل شيء ما عدا الوقت فانهم يزدرونهُ ولا يعرفون لهُ أقل قيمة . ويظنون ان غيرهم مثلهم من حيث التفريط فيهِ وعدم الحرص عليهِ . فلا يهمهم أن يقضي السامعون والقرَّاءُ وقتهم باطلاً في الإِنصات والمطالعة لكلام طويلٍ مفعمٍ بتراكيب يتلو بعضها بعضاً وهي إن لم يتَّفق لفظها لم يختلف معناها ومحشوٍّ بتعابير حافلةٍ بالمترادفات والمتواردات

ولكنَّ السامعين والقرَّاء في هذه الايام ليسوا كما يتوهَّم بعض الخطباءِ والكتَّاب

فمعظمهم ان لم يكن كلهم مقيدون بأعمال وواجبات يستنفد قضاؤها أكبر جانب من وقتهم ولا يترك لهم من الفراغ لسماع ما يلقى وتلاوة ما يكتب سوى سويعات معدودة او دقائق محدودة . فإن استغرق السماع او المطالعة وقتاً اطول مما يستطيعون التفرّغ لهُ انصرفوا عنهُ وفاتهم النفع المقصود منهُ

ومهما يتسع لدى الناس مجال الفراغ للسماع والمطالعة فهم أحرص وأعقل من أن يشغلوهُ بالانصات والمطالعة إلاّ لما قلّ ودلّ ولم يطل فيملّ . ومن أهم مظاهر التمدّن الحديث عرفان قيمة الوقت والحرص عليهِ كما على أغلى الحلى وأنفس الذخائر . واذا كان الناس قديماً قد غفلوا عن هذه الحقيقة لاسباب مختلفة وكانوا لقلة قيمة الوقت عندهم يحصونهُ بالشهور والسنين فالناس في هذه الايام يحصونهُ بالدقائق والثواني . والذين يهمهم إحراز قصب السبق في مضمار التقدم والنجاح يقتّرون على نفوسهم حتى بساعات النوم ودقائق تناول الطعام

٨ — الاطناب المستحسن

او حشو اللوزينج

فمن الاطناب السائغ المقبول ما جاء فيهِ اللفظ زائداً على المعنى لنكتة أو لغرضٍ من الاغراضِ التي سبقت الاشارة اليها . ولذلك نستحسن كلّ الاستحسان زيادة « لو تعلمون» مثلاً في الآية الكريمة «وإنّهُ لقسمٌ لو تعلمون عظيم» . وزيادة « من غير سوء » في الآية الكريمة « وأدخلْ يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » . وزيادة « وبلّغتَها » في قول عوف بن محلم : —

« إنّ الثمانين وبُلّغتَهـا قد أحوجت سمعي الى ترجمانْ»

وهذا النوع من الزيادة اطلقوا عليهِ حشو اللوزينج وجعلوهُ مثلاً لكلّ ما يكون حشوهُ اجود من قشرهِ . وقالوا عن اللوزينج انهُ من الحلواء شبه القطائف تؤدَم بالسكر ودهن اللوز . فحشوهُ خير منهُ

ومن حشو اللوزينج في الكلام وقوع الوصل في مواطن الفصل اي زيادة الواو العاطفة بين لا النافية والجملة الدعائية بعدها . كقولهم « لا وأيّدك الله ». فان الفصل اي ترك الواو يوهم الدعاء بنفي التأييد اي يوهم الدعاء على المخاطب لا لهُ وهو خلاف المقصود . ويقال انّ أبا بكر الصديق اول من سبق الى زيادة هذه الواو . وذلك انهُ مرّ بهِ رجل معهُ ثوب . فسألهُ أبو بكر « أتبيعهُ ؟ » فاجابهُ « لا رحمك الله » . فقال

لهُ أبو بكر « قد قوَّمتُ ألسنتكم لو تستقيمون. هلاَّ قلت لا ورحمك الله ؟ » . وكان الصاحب اسمعيل بن عبَّاد يقول ان هذه الواو أجمل من واوات الاصداغ في خدود الحسان.

والاصداغ جمع صدغ وهو ما بين العين والاذن . ويطلق على الشعر المتدلي عليهِ ومنهُ قول البهاء زهير : —

« لله ايُّ قلمٍ لواو ذاك الصدغ خطّ
ويا لهُ من عجبٍ في خدّهِ كيف نقطْ »

وقولهُ : —

« عسى عطفةٌ للوصل يا واوَ صدغهِ عليَّ فإني اعرف الواو تعطفُ »

ومن حشو اللوزينج زيادة « ولا تكُنْـهُ » في قول عدي بن زيد : —

« فلو كنتَ الاسير ، ولا تكُنْـهُ إذَنْ علمتْ معدٌّ ما اقول »

وزيادة « من غير كفرٍ بربهِ » في قول بكر بن النطَّاح في مدح مالك بن طوق احد اجواد العرب

« ولو لم يجدْ في العمر قسماً لسائلٍ وجاز لهُ الإِعطاء من حسناتهِ
لجاد بها من غير كفرٍ بربهِ وشاركنا في صومهِ وصلاتهِ »

وعدّ صلاح الدين الصفديّ هذه الزيادة غاية في حسن الحشو وجودة الاحتراز

ومنهُ زيادة « غير معجّل » في قول ابي تمام : —

« وجُـزيتَ اعلى رتبة مأمولةٍ في جنة الفردوس غير معجل »

او زيادة «غير مفسدها » في قول طرفة : —

« وسقى ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي »

وزيادة « وحاشاك » في قول ابي الطيب المتنبي : —

« وتحتقر الدنيا احتقار مجرّبٍ يرى كلَّ ما فيها وحاشاك فانيا »

وزيادة « لاخلتْ ابداً » في قولهِ : —

« اذا خلت منك حمص لاخلت ابداً فلا سقاها من الوسميّ باكرهُ »

وزيادة « غير مطرود » في قول ابن الفياض كاتب سيف الدولة : —

« كأساً اذا ابصرت في القوم محتشماً قال السرور لهُ قمْ غير مطرودِ»

٩ — الاطناب المستهجن
او حشو الاكر

ومها يكثر الاطناب المستحسن او حشو اللوزينج فهو اقل جداً من الحشو الزائد بلا غرض ولا فائدة على الاطلاق . كزيادة « قبله » في قول زهير بن ابي سلمى : —

« وأعلم علم اليوم والامس قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ »

لان امس اي آخر يوم مضى لا يكون الا قبل اليوم . ومنهُ زيادة « في الانف » في قول علقمة الفحل يصف اترجّة (ضرباً من الليمون) : —

« يحملنَ اترجّةً نضخ العبير بها كأن تطيابها في الانف مشمومُ »

لان الشم لا يكون بغير الانف. وزيادة «من مقلة» في مطلع البردة للبوصيري: -

« أمن تذكّر جيران بذي سلمٍ مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ »

فانَّ الدمع لا يجري من غير المقلة . وزيادة «من الدهر» في قول بعضهم : —

« اعني فتى لم تذرّ الشمس طالعةً يوماً من الدهر إلاَّ ضرَّ او نفعا »

لأن اليوم لا يكون الاَّ من الدهر . وقد يكون الزائد متّعيناً كما في الامثلة المتقدمة . وقد لا يتعين كما في قول عمرو ابن عديّ اللخميّ : —

« وحكّمت الحديدَ براهشيهِ فالفى قولها كذباً ومينا »

فإنّ الكذب والمين بمعنى واحد لا فائدة من الجمع بينهما . ولا يتعين الزائد منهما لصلاحية كلٍّ منهما للزيادة. ومثل ذلك جمع طرفة بين « صوب الغمام » و « ديمة تهمي » في بيتهِ الذي سبق الاستشهاد بهِ . وقد يكون الزائد المتعين مفسداً للمعنى كما في قول غيلان الثقفيّ الملقب بذي الرمّة : —

« حراجيجُ لا تنفكُّ الاَّ مناخةً على الخسف او ترمي بها بلداً قفرا »

فان زيادة إلاَّ قد افسدت المعنى كما لا يخفى

ويقال لهذا النوع من الحشو المملّ حشو الاكر لانها لا تحشى الاَّ بكل سقط خسيس لا قدر لهُ ولا قيمة . قال جحظة : « انشدتُ ابا الصقر شعراً لي فقال : لا تزال تأتينا بالغرر والدرر اذا جاء غيرك بحشو الاكر » وحشو الاكر في النثر يشبّ عن طوق الحصر . فعلى المتكلمين كافّة ان يجتنبوا الايجاز والإطناب الا لمراعاة ما تقدم من الاسباب . وليعلموا ان الوقت أثمن جدّاً من ان يقضى بسماع ما يسّم ويملّ وتلاوة ما يسقم ويعلّ

القاهرة

اسعد خليل داغر

افي الأثير سر الحياة والعقل

آراء للسر اوليفر لدج

لا حسٌّ للجسم بعد الروح نعلمهُ فهل تحسُّ اذا بانت عن الجسد المعري

١ : مادة الحياة : ان وجود المادة ثابت ، لا سبيل الى انكارهِ . والمادة عديدة الصور متنوعة الاوصاف . كالجمادات والسائلات والغازات والبروتونات والكهارب . على انها قد توجد في صورة مركّب هلامي يدعى « بروتوبلازم » . والبروتوبلازم هو مادة ظهرت فيها مميزات الحياة فندعوها « المادة الحية ».ومع اننا لا نعرف ما هي الحياة ندرك المراد بها ، لاننا نشاهد صفاتها وافعالها . . فنميز بين الحي وعديم الحياة كما نميز بين صور النبات والحيوان . ونعلم ان كل حيٍ يلد كجنسهِ

٢ : الحي العاقل : وكما تظهر الحياة في المادة ، متى بلغت المادة درجة معلومة في سلم النشوءِ ، هكذا يظهر في المادة الحية ظاهرة نسميها ظاهرة « العقل » متى بلغت درجة معلومة في سلم النشوء . ويتفاوت الاحياء في درجة العقل . واعقل الاحياء الانسان بلا مراء . والذي نفهمهُ من امر العقلِ انهُ مرتبط بالحياة ارتباط الحياة بالمادة . فلا نعرف حياةً بدون مادة ، ولا عقلاً بدون حيّ . ونعلم ان الحياة والعقل يسودان المادة ويتصرفان بها ثم يختفيان ولم اقل يتلاشيان لانهما يخرجان عن طوق المعرفة الحسية ولا حكم للعالم الطبيعي على ما يخرج عن معرفتهِ الحسية

٣ : الاثير : ذهب علماء الطبيعة ، منذ عهد نيوتن الى ان الفضاء اللامتناهي ، مملوء بشيءٍ دعوهُ « اثيراً » في ذلك الحين وذاع هذا الرأي بين علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر كما ذاع رأي الجوهر الفرد . الاّ ان العلماء تمكنوا من اثبات وجود الجوهر الفرد بالامتحانات العلمية ، وعرفوا وزنهُ وحجمهُ ، وبناءهُ . وامّا الاثير فلم يتمكنوا من اخضاعهِ لقواعد التجارب العلمية ، لانهُ غير متشكل بالشكل المادي ، ولا هو مركّب من اجزاء ، ولا ينتقل من مكان الى مكان ، ولا يتكيّف باشكال مختلفة. ولكنهم اضطروا ان يعتقدوا بوجودهِ بسبب النور . فالنور اما انهُ مادة او ظاهرة طبيعية . فان كان مادّة منبعثة من الاجرام السموية في شكل ذرات دقيقة تقطع كذا الوفاً من الاميال في الثانية ، فيلزمهُ حتماً ، شيءٌ يحملهُ ، كما يحمل الماء البواخر ، وكما تحمل خطوط الحديد القواطر والقطارات . واذا كان النور ظاهرة طبيعية اي تموجاً

فيلزم ان يكون هنالك شيء يتموّج . وعلى كلا الحالين لا بدَّ من وجود شيء يحمل النور او يتموّج فيكوّن النور . وذلك الشيء على رأيهم هو « الاثير »

وقد كتب السر اوليفر لدج كتاباً في هذا الموضوع سماهُ « الاثير والحقيقة» طبع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات . وعنهُ اقتبسنا الآراء الواردة في هذا المقال

٤ : العلاقة الاثيرية : لسنا نعلم كيف تتصل الحياة بالمادة ، ولكننا نعلم انهما متصلتان — في الاجسام الحية — وظواهر ، ذلك الاتحاد واضحة لا يقوى عاقل على انكارها . فان الحي يقوم ويقعد ، ويعمل ، وفي كل ذلك يؤثر في المادة ويحركها . ولا شيء من ذلك التأثير في المادة عديمة الحياة . فاتصال الحياة والعقل بالمادة ثابت ولو كان تعليله غير مفهوم . فهل من صلة للاثير بالعقل والحياة كصلتهِ بالمادة ؟ لا نقدر ان نثبت ذلك الاتصال بالامتحانات العلمية لان الاثير خفي لا تدركهُ الحواس . ولكن ذلك الاتصال لا بد منهُ لشدة ارتباط المادة بالاثير — وقد ابان السر اوليفر ذلك في شرح طويل بسط فيهِ علاقة النور بالاثير ثم علاقة الكهربائية والمغنطيسية بهِ .وقال بعد ذلك : فماذا يحصل في الاثير حين ينحلُّ الجسم الحي وتبرحهُ ظاهرة الحياة ؟ ان الاثير لا ينحل كما ينحلُّ الجسم لانهُ غير مركب . فلا نقدر ان نقول ان الحياة تبرح الاثير كما تبرح المادة . ويريد السر اوليفر لدج من ذلك ان يجعل قبول الناس عقيدة الخلود بعد الموت بالوسائل العلمية الطبيعية امراً سائغاً

٥ : الحياة والعقل : قلنا ان من صور الحياة صوراً راقية متصفة بالادراك والشعور والذاكرة والحب ، وغير ذلك من الاوصاف السامية التي لا نعرف كنهها . ولسنا ننكر وجود هذه الصفات في الحيوانات ، كثيراً او قليلاً ، ولكن لا نستطيع ان ننكر انها في الانسان ارقى واوضح منها في الحيوان . فهل هذه القوى العقلية ملازمة الحياة او منفصلة فيها ؟ اعني هل تقوم بذاتها من غير ان تظهر في شكل حيّ ؟ اننا نعلم ان هذه الصفات غير مادية . ومع اننا لا نعرف كنهها فقد الفناها كما الفنا شروق الشمس كل صباح وغيابها كل مساء . فهل تفتقر هذه الصفات الى مطية في العالم المادي، كما تفتقر الحياة الى البروتوبلازم، او هل يمكن استقلالها بالوجود ؟ الامر واضح انها تفتقر الى مطية تمتطيها فلا نعرف عقلاً بدون عاقل ، كما لا نعرف حياة في غير جسم حي . ومع ان الشعور والذاكرة والارادة والحب ، ليست اشياء مادية ، فلسنا نفهمها بدون اتصالها بالمادة . وبناءً على وجود هذه الصفات فيَّ افهم وجودها في امثالي من الناس

٦ : تأثير العقل في المادة : هل تؤثر القوى العقلية في المادة مباشرة ، او بالواسطة؟ لقد وصلنا هنا الى منطقة قابلة للامتحان والتجربة فنقول كيف تؤثر انت في المادّة ؟ تتصل اجزاء اجسامنا ، بعضها ببعض اتصالاً غير ارادي لم تنشئهُ نحن ، ولكنا عرفناهُ منذ وجودنا . ونستخدمهُ في تصرفاتنا . نعلم مثلاً ان يدنا متصلة بنا فنمدها الى الكتاب حين نريد ذلك ونفتح الكتاب ونقرأ ما فيهِ ونفهمهُ . كذلك نحدث اهتزازات في الهواءِ وفي الاثير . فيحمل الهواء الاهتزازات التي احدثناها الى الاذن فتسمع الاصوات . ويحمل الاثير الاهتزازات التي احدثناها الى العين فيحصل النظر . ولذلك تنتقل الافكار مني اليك ومنك اليّ بواسطة استخدام المادة . واليك حلقات سلسلة التفاهم بين العقول

٧ : التفاهم : ان الكون الذي نحن فيهِ ليس ماديًّا فحسب ، بل هو اكثر من ذلك . هذا هو المذهب المعوَّل عليهِ اليوم عند اكثر المشتغلين بالفلسفة ، ويقبل ذلك اكثر العلماء ومنهم اوليفر لدج . ففي الكون ، مع المادّة ، شيء نسميهِ الحياة . وفي الحياة شيء ممتاز عنها ومقترن بها ، نسميهِ العقل . وذلك الشيء الذي لا نراهُ هو الذي يسود الشيء الذي نراهُ . فالحياة والعقل يسودان المادة ويسوسانها . وتبتدىء سلسلة التفاهم العقلي بواسطة المادة وتنتهي بواسطتها هكذا

ا : تبرز قوة في خلايا الدماغ بتأثير الفكر فيها بطريقة لا ندركها حتى الآن

ب : تسير تلك القوة او الاوامر من خلايا الدماغ الى الآلات او الاعضاء العاملة بواسطة الاعصاب الممتدة من خلايا الدماغ الى اجزاء الجسم المختلفة فتكتب اليد ، ويتكلم اللسان ، ويتصرف الانسان

ج : تحمل المادة الحرة — غير المرتبطة بالجسد — تلك التأثيرات ومنها الكلام في الهواء ، والكتابة على الورقة ، وكذلك البرقيات في التلغراف او الصوت في التلفون او الرسوم والصور ، او الابنية وتحفظ المادة الحرة تلك الآثار

د : توصل المادة تلك التأثيرات التي حملتها الى الاعضاء ، القابلة في اجسام الآخرين . فتسمع اذانهم ، وترى عيونهم ما احدثناهُ في المادة من التأثيرات

ه : تحمل اعصابهم الحساسة تلك التأثيرات من الاعضاء التي نقلتها عن المواد الحرة ، الى خلايا ادمغتهم

و : تدرك عقولهم ما وصل الى خلايا ادمغتهم وذلك يحصل بطريقة سرية لا نفهمها

الآن فترى ان دائرة التفاهم بين العقلين ، او العقول ، تمت بواسطة المادة . اولاً مادة الجسم ، ثم المادة الحرة ، ثم مادة الجسم الآخر . هكذا يتم التفاهم بين عقلين . ويعرف العقل الواحد ما اراد العقل الآخر ان يقولهُ لهُ

وهنالك تفاهم بين العقلين يحدث رأساً ، عن غير طريق المادة ، وندعوهُ تلبثي ، نعرض عنهُ الآن لانهُ ليس من اغراضنا .كذلك يتمشى التفاهم بين العقول كل يوم في كل مكان . فنكتب ونقرأ ونتكلم ونسمع ، ونضحك ونغضب الخ .وقد تحفظ تلك الآثار في المواد الحرة مئات من السنين . فيفهمها عقل آخر ، يقدر العقل الذي ابرزها . فيعرف الشاعر قدر هوميروس ، والمهندس قدر بناة الاهرام ، والمفكر قدر افلاطون، وقد مرَّ على اولئك الناس الوف من السنين . فيفهم العقلُ العقلَ بآثارهِ

اقول : وعلى هذه القاعدة وهذا القياس ، يفهم العقل الانساني اثار العقل الكلي في الطبيعة ، بما رسم العقل الكلي من الآثار على صفحات الطبيعة. او بما اودع في بحرها من لآلئ الحقائق والنواميس. ومن ذلك البحر تغترف عقول المخترعين وارباب الفن

وكل ارتقاء في التاريخ الانساني ناشيء عن اقتباس العقول لشرائع العقل الكلي المستودعة في دائرة الطبيعة . وهذا التفاهم بين العقل العام والعقل الخاص هو سلم الارتقاء . فهل يبقى الفكر المؤثر بعد فناء الجسم الذي كان يقارنهُ ، كما يبقى الاثر الذي نقلتهُ المادة الحرة عنهُ بعد موت صاحبهِ . او ان العقل يفنى بفناء الجسد مع بقاء اثره في الدنيا ! وبذلك يتم قول اليازجي

امضي وتبقى صورتي فتعجبوا   تمضي الحقائق والرسوم تقيمُ

اما انا فاقول — القائل هو اوليفر لدج — انهُ اذا كان الاثير هو الذي يحيا ، وبواسطتهِ اتصلت الحياة بالمادة ، فمن اقرب الممكنات اذاً بقاء الحياة والعقل بعد فناء الجسد وانحلال اجزائهِ . ثم قال : « ان المادة هي مطية الحياة والعقل ، وليس من المعقول فناء الفارس بفناءِ مطيتهِ . وبالاحرى ان العقل لا يفنى ، كما ان المادة نفسها لا تفنى ، على ما اثبتت العلوم الطبيعية ، اذ لا فناء في الكون ،وكل ما فيهِ تحوّل وتكيف . اعني تبدُّل في الصور ، وتغير في الاوضاع »

والخلاصة : ان ذاتيتنا ، لا تقوم بالجواهر المادية لان الجواهر آلة فقط او وسيلة لاظهارها . ولكن الآلة غير الذاتية كما ان القانون او العود غير الموسيقى التي تنطلق منهما

حنا خباز

شكسبير في وادي النيل

منزلة شكسبير — خلفاؤه في انكلترا وفرنسا والمانيا واسبانيا وايطاليا واميركا واراؤهم — حالة التمثيل الآن في مختلف الشعوب — فوائد التمثيل

قدم القاهرة في اوائل نوفمبر الماضي جوق من أشهر اجواق التمثيل الانكليزية برآسة المستر روبرت اتكنز ليمثل بعض روايات شكسبير في دار الاوبرا الملكية « للمرة الاولى تحت سماء افريقية » على ما جاء في الصحف الانكليزية وذلك بموجب اتفاق عقده معهُ صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف العمومية . فسنحت الفرصة لاتحاف قراء المقتطف باراء خبير فيما للتمثيل من مقام في العمران الحديث ومن هم حاملو لوائهِ في مختلف الامم الاوربية ، وما هو اثرهُ في الصور المتحركة وما هو اثرها فيهِ . فاوفدنا الى مدير الجوقة مندوباً من قلم التحرير فدار بينهما حديث طلي مفيد نلخصهُ فيما يلي، قال المندوب :

كان محدثي المستر ه . ر . بربر . مدير الجوق العام ، ومفوَّضهُ لدى جرائد اميركا في مدينة لندن . وهو رجل فوق الربعة ، في العقد الرابع من عمرهِ ، اشقر اللون ، انيس المحضر ، هادىء الروح ، ليّن العريكة ، دمث الاخلاق ، واسع الاطلاع في فن التمثيل ومتعلقاتهِ الفنية والاجتماعية . وقد قابلني في دار الاوبرا بكل بشاشة ، وافضى اليَّ بالحديث التالي ، قال : —

كان المستر اتكنز رئيس الجوق في مصر في اثناء الحرب العظمى . وهو ككل من زار هذا القطر السعيد يحنُّ اليهِ حنين الناقة الرؤوم الى فصيلها. وقد كان في خلال السنين الخمس الاخيرة يرنو الى مصر وكثيراً ما قال لي انهُ يرغب جدًّا في تمثيل روايات شكسبير تحت سمائها « لاوَّل مرة » فلما سألهُ معالي وزير المعارف ان يأتي الى القاهرة لتمثيل بعض هذه الروايات في دار الاوبرا ، قذف بقبعتهِ الى الجو سروراً وقال لي « ابشر فلقد صحَّت الاحلام ونحن ذاهبون الى مصر »

قلت : هل مُثّـل شكسبير للصور المتحركة كما مثل كثير من اشهر المؤلفات الروائية . قال : لم يبلغني ان شكسبير مثّـل للصور المتحركة ، لا في انجلترا ولا في اميركا . واظن ان السبب هو ما يأتي : ينقسم الناس في انجلترا ، ازاء شكسبير الى قسمين . قسم يقدّسهُ ، ويدرس رواياتهِ في الجامعات والكليات كما يدرس العلوم

والفنون والفلسفة . وهؤلاء هم طلاب الجامعات. وشكسبير عندهم المثل الاعلى في الشعر وفي فن التمثيل . وعندنا مدارس خصوصية تدرس رواياته كفن تمثيلي

والقسم الآخر لا يعبأ بشكسبير، ولا يميل اليهِ . وسبب ذلك هو أن ممثلي مسارحنا لا يخرجون روايات شكسبير كما هي بل يختارون من الرواية جزءًا يتخذونهُ هيكلاً يكسونهُ بما شاؤوا وشاء الهوى من الفصول والمشاهد . والناس في انجلترا لا يذهبون الى المسرح التمثيلي لمجرَّد التسلية وقتل الوقت. بل لاجتناء الفوائد، والوقوف على نفسية ارباب الفن ، ومشاهدة آثار عبقريتهم . فكانت النتيجة اللازمة عن تصرف ممثلينا بشكسبير تصرفاً اخرجهُ عن اصلهِ ، ومسخ رواياته مسخاً، ان اغفل القوم امرهُ في مشاهد التمثيل وشركات الصور المتحركة

فنهض المستر اتكنز منذ عشر سنوات يمثل شكسبير على ما هو في اصلهِ من غير ادنى تصرف فيهِ . وقد شرع بعض الممثلين يحذون حذوهُ ، وشرع شكسبير يعود الى المنزلة التي كانت لهُ في دور التمثيل فيما سلف

قلت : هل اضرَّ شيوع الصور المتحركة ورخصها بمشاهد التمثيل فقال : لم تضرَّ السينما بمشاهد التمثيل الراقية المفيدة ، بل ساعدتها مساعدة كبيرة ، فزاد اقبال الناس عليها . ولكنها اضرَّت ضرراً كبيراً بالمشاهد المنحطة التي تمثَّل فيها الروايات الخسيسة السافلة . لانها كشفت لعيون الناس ما تنطوي عليهِ الروايات من المخازي او المحاسن ، وما ينشأ عن فصولها من النتائج من خير او شر ، ونفع او ضر . فتجسمت الحقيقة للعيون بواسطة السينما ، ورأى القوم ما وراء فصول كلٍّ من الروايات من النتائج التي لها شديد العلاقة بمستقبلهم وسعادة حياتهم . فنبذوا الروايات الضارة الساقطة ، ولاذوا بالسامية النافعة . فلا خوف على المسارح الشريفة من السينما كما ثبت لنا بالاختبار

خلفاء شكسبير في هذا العصر

قلت : هل يمكنك ان تذكر لي مؤلفي الروايات التمثيلية في انكلترا الذين يحسبون من الطبقة الاولى وبماذا تتصف روايات كل منهم ، وهل تذكر رصفاءهم في غير انجلترا ؟

قال : في انجلترا ، في الوقت الحاضر ، مؤلفان من هذا القبيل يحسبون من رجال الطبقة الاولى وهما جورج برنارد شو، والسرجيمس بري. ومزايا كتاباتهما كما يأتي:—

تمتاز روايات برنارد شو بالحرص على الحقيقة، ولا حرص الغانية على جمالها. فيصونها قلمهُ من كل غاشية ، ويكره كرهاً شديداً كل ما هو من قبيل التلوين والتزويق والتزييف

ويكره اكثر من كل شيء « الرياء » والمواربة ويحاربهما حرباً شعواء ، كما يحارب الاستبداد والاستعباد والاستعمار والاستئثار . فالرجل اشتراكي النزعة . لكنهُ ليس اشتراكيًّا شيوعيًّا ولا يجيز الاعتصام بالقوة لنشر مبدإٍ من المبادئ وهو يصور العالم في رواياتهِ على ما هو في نفسهِ بافراحهِ واحزانهِ ، ومحاسنهِ ومساويهِ ، وفضائلهِ ورذائلهِ فيرى المشاهدون امامهم في المسرح « حقيقة » العالم كما رآها المؤلف. فبرنارد شو هو شكسبير العصر الحاضر

أما السر جيمس بري ، وهو لايكاد ينقص عن رصيفهِ برناردشو مكانة وشهرة كمؤلف تمثيلي الاَّ انهُ يختلف عنهُ بانهُ متفائل فهو لا يصوّر العالم كما هو في ذاتهِ ، بل كما يحب هو ان يراهُ .فلا ترمي رواياتهُ الى اعلان الحقيقة المجردة ، بل الى اعلان اشواق النفس ورغائبها فرواياتهُ جذابة فتّانة من هذا القبيل يرغب فيها العامة .ولكن الخاصة تعتصم بروايات برنادشو ولا ترضى بها بديلا

هذا ما اقولهُ في مؤلفي الروايات التمثيلية في انكلترا .اما فرنسا فليس فيها في الوقت الحاضر مؤلف تمثيلي من الطبقة الاولى.وحقيقة الحال هي ان فن التمثيل المسرحي فيها في جزرهِ.وقد كانت منذ قرن غنية بكبار المؤلفين الروائيين.وكان هذا الفن في جزره عندنا . فانعكست الاية الآن فهبط الفن المسرحي في فرنسا من الاوج الى الحضيض وارتفع عندنا من الحضيض الى الاوج . شأن الحوادث في الدنيا فهي بين صعود وهبوط ، وهجعة ويقظة ، ومد وجزر . على انهُ قد شرع بعض المؤلفين المحدثين يجدّون في احياء الفن المسرحي في فرنسا . ولاسيما بتويف الروسي الذي ابرز في باريس معجزات من الفن . واخذ الآخرون يحذون حذوه

والفرق بين التمثيل السكسوني والتمثيل اللاتيني هو هذا . ان الروايات التمثيلية السكسونية هي مزيج من نوعي الروايات « الكلاسك والرومانتك » اي الادبيـة والغرامية . اما الروايات التمثيلية اللاتينية عموماً ، والفرنسية خصوصاً فمقيدة بقواعد دقيقة يجب ان ترعى حرمتها في التأليف فيضطر المؤلف ان يطبق فصول الرواية عليها . وهنا يرد ذكر شكسبير مرّة ثانية فانهُ متمرّد على القيود ، لا يرضى ان يتقيَّد بعادة ولا بقاعدة ما ، بل يورد الامور كما هي وهذا الوصف يصح تعميمهُ على المسرح الانجليزي بازاء المسرح اللاتيني

وفي روسيا نهضة تمثيلية ظاهرة . وكذلك في اسبانيـا . ففيها مؤلف من الطبقة

الاولى هو السنيور مورتتيز سباما وفي ايطاليا مؤلف شهير من هذه الطبقة وهو السنيور لويجي بيرندللو . واما المانيا ففيها مؤلفان كبيران ، هما جرهاردت هوبتمان وهوجنز هو فا نستول

قلت : اي امة هي اسبق الامم في فن التمثيل في العصر الحاضر قال :

لقد احرزت المانيا اليوم قصب السبق في هذا المضمار كما احرزته اليونان في التاريخ القديم . فالقائمون بامور التمثيل في المانيا من مؤلفين ومديرين يجربون اليوم تجارب فنية خارقة ، وينشئون مشاهد جديدة عجيبة في مسارح برلين ومونيخ وفينا بل في كل اوربا الوسطى ، اعني اوربا الالمانية . والظاهر انهم سائرون بفن التمثيل الى طور جديد ، ولا بدّ ان يجري العالم وراءهم . ولا مندوحة عن القول ان الولايات المتحدة الاميركية سائرة في اثر المانيا في التجارب الجديدة ، وفي تزيين مشاهد التمثيل فيها وتزويقها وتجهيزها بالمشوقات والمرغبات . وقد اشتهر هنالك المؤلف اوجين او نيل الارلندي الاصل الذي يحاول الابداع في رواياته . ولكن الاميركيين عموماً ينسجون على منوال الالمان

قلت : ايدلك اختبارك على ان للتمثيل اثراً ادبيًّا في النفوس الناشئة ؟

قال : التمثيل ، في افضل حالاته وارقاها يؤثر في جميع طبقات الناس واثره المباشر هو تبادل التفاهم والتفاهم اساس المسالمة والسلام . والمثل الفرنسي يقول « من فهم الكل سامح الكل » . فالتمثيل الراقي يجمع العواطف ، ويوجهها معاً بالشوق والميل الى جهة معينة في مجرى الرواية . فتتوحد ميولها وتتحد خطوطها ، فتصير قلوب الجماعة في مشهد التمثيل كتلة واحدة ، كما تصير الجنود في جهة القتال . فالتمثيل من افعل الوسائل لائتلاف الشعوب . وهذا الذي قادنا مسرورين الى وادي النيل فاننا راغبون في التفاهم مع سكانه . اما اثر التمثيل في نفوس الشبان من الوجه الادبي فهو اثر مفيد اذا كانت الروايات سامية الغاية بليغة الاسلوب متقنة التمثيل وارى ان التمثيل من افعل الذرائع في تمدين الشعوب ، وتوسيع نطاق افكارها ، وتسديد آرائها ، وتحرير نفوسها

قلت : هل جال المستر اتكنز في اوربا . وهل ذهب الى اميركا ؟

قال : نعم قد جال في اوربا ، ومثل في عواصمها كباريس وبروكسل وغيرها . وقد زار اميركا مراراً وهو معروف فيها كثيراً . وفي انجلترا مدارس خصوصية لتعليم شكسبير وارجح ان المستر اتكنز تخرج في احداها فأخذ على عاتقه احياء شكسبير فافلح

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً الاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

وجهة التعليم العام

حضرة الفاضل محرر المقتطف الاغر

ان تحديد وجهة التعليم من الامور الهامة التي يجدر بالحكومات في الشرق الادنى ان تعنى بها وتضعها نصب عينها عند سن القوانين ووضع البرامج وتهيئة خطط التعليم والتهذيب العام. وكل خطة تعليمية توضع دون التفكير في الوجهة التي ينبغي تسيير التعليم اليها لا تساعد اية حكومة على تركيز قواعدها . او بعبارة اخرى يجدر بكل حكومة ان تتخذ من خطط التعليم وانظمة الدراسة عوناً على ترويج المبادىء التي يعتنقها اقطابها من فلسفية واقتصادية وسياسية . فالحكومات الملكية الدستورية مثلاً يجدر بها ان تجعل مدارسها ميادين لترسيخ قواعد الملكية الدستورية وكذلك الحكومات الجمهورية بل والحكومات الاوتوقراطية

ولقد كانت الامبراطورية الالمانية تغرس في قلوب فتيان الالمان حب العسكرية وحب التوسع وتمجيد القوة فلما ثلّ عرش الامبراطورية بعد الحرب العظمى وجدت الجمهورية الالمانية انهُ من المهم حذف الكتابات التي تمجد القوة العسكرية وتتغنى بافعال ابطال الالمان السالفين من مقررات التاريخ في المدارس. كذلك حكومة البولشفيك في روسيا لا تلقن الاطفال الروسيين مجد القياصرة الغابرين وانما تروج في مدارسها مبادئ الشيوعية وتغرس في نفوس الطلاب تعظيم أبطالها بل انها قد جعلت لزعيمها الاعظم (لنين) قبراً يزار وصيّرت ضريحهُ كعبة ترنو اليها الابصار . والكتب الدراسية

الامريكية حافلة بذكر المبادىء الديموقراطية التي قام عليها مجد الولايات المتحدة وسير الاعاظم من رؤسائها كوشنطن ولنكن وروزفلت

أما في مصر فانك تقلب صحائف الكتب المدرسية في انواع المدارس المختلفة وتستعرض ساعات اليوم المدرسي وما يلقى فيها من دروس وما يعرض للتلاميذ فيه من تجارب فلا تجد شيئاً يشعر باتجاه التعليم العام نحو غاية عمرانية معينة فلا يروَّج الحكم الدستوري في الادارة ولا في التعليم. واقصد بالادارة ان يمرَّن التلاميذ من الصغر على ممارسة الحكم الدستوري فيتعودون تأليف الجمعيات واختيار رؤسائها وادارة اعمالها كان الجمعية منها برلمان صغير. ولا يختلط بهم اساتذتهم اختلاطاً يحسون فيه بزوال الفوارق وعدم وجود الحواجز التي لا تدعو اليها ضرورة نظامية. وتراهم قلما ينشدون الاناشيد التي تحبب اليهم من الصغر مليكهم الدستوري واسرتهم المالكة أو تغرس فيهم اصول التعلق بالحكم النيابي والعناية بالحياة العامة كما تنطبق على مصر وليس ما يدرسونهُ من التاريخ والاخلاق قائماً على هذا الاساس الذي اشرنا اليه

قرأت في احدى الصحف التي تعنى بمسائل التعليم والمدارس الانكليزية ان في انكلترا لجنة للهيمنة على التعليم الوطني ولمعرفة مدى عناية رؤساء المدارس والمعلمين بغرس حب الاسرة المالكة والنظام الامبراطوري في قلوب احداث الانكليز. هذا عمل جليل للجنة اذ يجب ان تنشىء كل حكومة ابناء مدارسها على المبادىء والقواعد التي تريدها وتختارها ليكونوا في المستقبل عدتها وحماتها والمدافعين عن مبادئها دفاع حب واقتناع لا دفاع تقليد واستسلام. فعلى الامم الشرقية التي اطمأنت الى نوع مخصوص من انواع الحكم ان تبذر بذوره في المدارس وتجعل من ابنائها تربة خصبة صالحة ينمو فيها غراسه وتطيب بها ثمراته

حسين لبيب
ناظر مدرسة النحاسين

مقارنة بين نهضة الشرق الادنى ونهضة الغرب

رأي وانتقاد

طلب قلم تحرير المقتطف في السنة الماضية من جهابذة الكتاب في الشرق ان يبدوا آراءهم « في اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الحديثة وابقى آثارها » . وقد قابلت بين اراء الذين لبوا منهم دعوته حتى الآن وبين اظهر مظاهر نهضة الولايات المتحدة

وابقى آثارها لانها من ارقى الامم الراقية ان لم تكن ارقاها كلها ولدى هذه المقابلة دفعني حب الوطن الى ان ازجّ رأيي بين آراء هؤلاء الكتاب الكبار . ولا رائد لي الاَّ حب الحقيقة وحب الجهر بها

وبعد هذا التمهيد اقول : انهُ لا يخفى ان الشرق الادنى وخصوصاً سوريا كان منذ قرون كثيرة مطمح انظار الدول الكبرى الفاتحة من يونان ورومان وعرب واتراك وانكليز وفرنساويين . وقد تعاقبت تلك الدول في الاستيلاء عليهِ على هذه الصورة فكان كلما افتتحتهُ دولة منها تبقى فيهِ مدة ما حتى تغير عليها دولة اخرى اقوى منها فتغلبها على امرها وتطردها منهُ وتحلّ محلها . ولاحتكاك مصالح الشرق الادنى بمصالح تلك الدول الفاتحة دُفع الشرقيون الى المجاملات والتودد لاصحاب تلك المصالح لاجل مصالحهم. وهذا وذاك خولاهم التقرب اليهم والامتزاج معهم فتيسر لهم اذ ذاك الاطلاع على اسباب معايشهم ، وموارد رزقهم ، وعلة رقيهم ، ورأوا ان ذلك ينطبق على مقتضيات حاجاتهم تماماً وهم لا يستطيعون ابتكار وسائل كهذه لضعفهم وفقرهم فعمدوا مضطرين الى الاقتباس عن الدولة الحاكمة والى تقليدها واتباع حركاتها وسكناتها كما يتبع الظل الجسم المتحرك. واخذ الشرق يتوارث كل ذلك من السلف الى الخلف وعلى مر الزمان اصبح ذلك فيهِ مادة قوية فتقيد بقيودها . وهذه القيود اخرتهُ عن التقدم مع الامم الراقية وقعدت بهِ عن مباراتها وعن التفوق عليها في ميدان الابتكار والاختراع. والاكتشاف . والاستنباط . وهل يستطيع المقيَّد ان يجاري الطليق في امر ما ؟ لاسيما وان القيد ثقيل والطليق سريع. فيئس الشرقي اذ ذاك من هذه الحالة واستأسر لقيودهِ وجمد عليها — ومن العجب العجاب ان كبار الكتاب الذين كتبوا في موضوع اقتراح المقتطف عدّوا الجمود على تلك القيود اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الحديثة وابقى آثارها . ولاجل الاختصار اكتفي بذكر قول الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي بحروفهِ لانهُ يكاد يجمع ملخص آرائهم قال : (اما مصر وسوريا وفلسطين وهي البقية الباقية من الشرق الادنى. فاظهر مظاهر نهضتها «التطلع» الى «تقليد» اوربا في العلوم والفنون والآداب الاجتماعية وحياة الاسرة وحرية المرأة والصناعات والاعمال المالية واحياء اللغة العربية) ويا ليت هذا « التطلع » يكون الى المباراة في الابتكار والتجديد . لا الى الاتباع والاقتباس والتقليد . وهل عدت نهضة اليابان نهضة حقيقية لو لم تكن قد جارت الامم الراقية في رقيها وتخطتها في امور عديدة

مهمة ؟ ولقائل يقول ان هذا افضل ما هو في الشرق الادنى فعدٌ من اظهر مظاهر نهضتهِ وابقى آثارها . فاقول : لقد كان اجدر بجمهور الكتاب ان يدلوهُ على الاركان اللازمة التي تبنى عليها النهضة الحقيقية ويحضوهُ على هذا البناء . ولرب قائل آخر يقول ان الغرب أخذ اولاً المدنية والعلوم عن الشرق ويحق لهذا ان يأخذ ذلك عنهُ الآن .
فاجيب ان هذا قول لا يليق بالرجال وعلى الرجال ألا يكتفوا بالاخذ عن الغير بدلاً من ان يأخذ الغير عنهم وان يُقلدوا لا ان يقلدوا . لقد اخذ الغرب نهضتهُ اولاً عن الشرق لكنهُ زاد من مبتكراتهِ على ما اخذهُ من وسائل التحسين والاتقان والتوسع حتى لم يُعرف عندهُ الاصل المأخوذ عنهُ

فهل زاد الشرق على ما اخذهُ عن الغرب شيئاً ؟ عدا انهُ لا ناقة لهُ ولا جمل في الابتكارات والاكتشافات والاختراعات العديدة التي جاء بها الغرب ولاسيما العصرية منها ؟ يدلك على عظم تأثير ذلك في العمران الآن انهُ تحققت مسألة بساط الريح . وغلب النسر على عرشهِ واصبحت الطيارات تقل البريد والركاب وامتعتهم وغداً تقلُّ البضائع . وصار الانسان يستطيع ان يرسل خبراً ما بالتلغراف اللاسلكي فيدور حول الارض ويرجع اليهِ باقل من اربعة دقائق . وغدا هواة التليفون اللاسلكي في اوربا يطربون ويرقصون على الاغاني التي تغنى في اميركا وامسى هواتهُ في الشرق يرقصون على بعض الانغام الموسيقية التي تذاع في اوربا . وصنعت حديثاً سيارة في بلاد الانكليز بلغت سرعتها ٢٠٧ اميال في الساعة . واكتشفت مؤخراً آثار الانسان الاول في نبرسكا وأكلاهوما في اميركا وهذه الآثار ترجع الى ٢٥٢٠٠٠٠ سنة على رأي البعض وصارت الرؤية عن بعد والرؤية في الظلام حقيقة واقعة . واصبح الانسان قادراً ان يرفع بضغط يدهِ الواحدة ما ثقلهُ مئات من الاطنان الى العلو اللازم كما يرفع الولد الرغيف . وبلغ علو بعض القصور الشاهقة في نيويورك نحو الف قدم وكاد يمكن تحويل بعض المعادن المختلفة الى بعض او الى انواع قليلة . وكشف اثر الجراثيم المرضية التي كانت لا ترى قبلاً لصغرها . وكشفت الادوية المضادة لفعلها . فقلّت الوفيات واصبح الانسان لا يخشى شرها . وغدا حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابتهِ . وعولجت التربة بالاسمدة الكيماوية فزادت المحصولات اضعاف ما كانت . وزادت ثروة الامة زيادة عظيمة فشملها الرخاء وظللها الفلاح . واضحى يستطاع تبديل ما انتخر من الاسنان وقد لا يعسر غداً اعادة الشباب واني لا ابالغ اذا قلت انهُ لولا سعة ارض الشرق بالنسبة

الى سكانهِ وخصب تربتها وجودة مزروعاتها لا نقرض اكثرهم جوعاً .من يتصور عظم الضائقة التي تحل على القطرين المصري والسوري اذا امحل في الاول موسم القطن اربع سنوات اوخمساً متوالية او اذا امحل في الثاني موسم الحنطة والذرة والحرير اربع سنوات او خمساً متتابعة . لكن اذا وقعت ضائقة على الغرب لسبب محل مزروعاتهِ مدة ما فانهُ يدفعها عنهُ بما يستمطرهُ من الاموال الطائلة من سماء اختراعاتهِ ومكتشفاتهِ ومستنبطاتهِ الكثيرة . فهل ما ذكرهُ حضرات الكتاب الافذاذ على انهُ اظهر مظاهر نهضة الشرق الحقيقية وابقى آثارها هو من مبتكراتهِ ؟ أليس هو مديناً بهِ للغرب لانهُ أخذهُ عنهُ والمدين عبد للدائن . هل يحب الشرق ان يكون دائماً عبداً ؟ ومتى يتحرر ؟ والى متى يظل يرسف في قيود التقاليد التي ورثها من اسلافهِ ؟ اني شرقي واحب الشرق واغير عليهِ وليس سهلاً على المحب ان يقول لحبيبهِ انت مريض ولكن هذا خير ما يفعل

اعرض هذه النهضة على الغرب فينكرها عليك لانها ليست بالنهضة التي تزيحهُ قيد شعرة عن اعتقادهِ بان الشرق بارد الهمة خاملها جامد على قيود التقاليد التي ورثها من اسلافهِ . وافضل ما يقول فيهِ الغرب انهُ اي الشرق مقلد مقتبس لا يريد ان يمهد الطريق لذاتهِ ليسير عليهِ بل يحب ان يسير على الطريق الممهد وراء من يمهدهُ . لذلك ترى ان الشرقي في هذه الولايات حتى صغاره يخجل غالباً بوطنهِ ويخجل من الكلام بلغتهِ الاَّ همساً او على انفراد بينما ترى الايطالي يفتخر بالكلام بلغتهِ ويتباهى بذكر وطنهِ الذي انجب غليلو وماركوني. والانكليزي يفتخر بوطنهِ الذي ولد فيهِ اسحق ونيوتن وفراداي وداروين . والفرنساوي يفتخر بالوطن الذي نشأ فيهِ باستور ولافوازيه . والالماني يفتخر بوطنهِ الذي ولد فيهِ كانت وكوخ وهلمهتز . وقس على ذلك سائر الممالك الاوربية التي انجب كل منها رجالاً لا يقلون عن فرنكلن واديصن الاميركيين. حتى اليابان تفتخر بانها جارت الامم الراقية في رقيها وتخطتها في عدة اشياء هامة . فبمن نفتخر او بماذا ؟ أبالجمود على تلك القيود أنال احد منا جائزة من جوائز نوبل ؟ أيجوز بعد كل ما تقدم ان تدعى تلك الطفرة التقليدية نهضة حقيقية ! وهل يجوز ان الام وأسلق بالالسنة اذا قلت ان كل ما عدَّ انهُ اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الحديثة وابقى آثارها هو بالحقيقة اظهر مظاهر الاقتباس والاتباع والتقليد. وابقى آثارها

وعندي ان الشرق ينهض نهضة حقيقية تحسب من عندياتهِ . وتعد من مبتكراتهِ . ويقره عليها الغرب اذا بناها على خمسة اركان رئيسية (١) الجرأة في التحرّر من قيود

المذاهب القديمة واعتناق المذاهب الجديدة الحقيقية التي اثبتها العلم والبحث. اعني بذلك ان يحذو حذو غليليو وداروِن . اثبت الاول دوران الارض حول الشمس غير حافل بقيود المذهب القديم القائل ان الشمس تدور حول الارض ولما اكتشف الثاني ان الانسان متسلسل من الحيوان . طرح عنهُ قيود مذهب الاعتقاد القديم القائل ان الانسان خلق كما نصَّ على خلقهِ سفر التكوين وقد جاهر الاثنان بحقيقة مذهبهما على رؤوس الاشهاد . ولم يحفلا بما جرَّهُ ذلك عليهما من الاضطهاد (٢) التجديد او ترك القديم المفيد والتعويل على الجديد الافيد فقد ثبت لماركوني بعد البحث في طبائع الكهربائية ونواميسها ان افعال الامواج القصيرة في تلغرافهِ افضل من فعل الامواج الطويلة لاسباب يعرفها قراء المقتطف . فعدل عن استعمال هذه الامواج فيهِ وعول على استعمال تلك بدلاً عن هذه وذهب الى انكلترا وبين لها ذلك.وطلب منها ان تستعمل الامواج القصيرة في التلغراف اللاسلكي بدلاً من الامواج الطويلة ففعلت

(٣) المباراة في ميدان الابتكارات والاكتشافات والاختراعات.اكتشف باستور سر الاختمار وفساد القول بالتولد الذاتي فتلاهُ روبرت كوخ واكتشف مكروب التدرن وتبارى كثيرون آخرون في كشف المكروبات ودرس طبائعها

(٤) العزم على احراز قصب السبق او التفوق في ميدان الاعمال المثلى . مثال ذلك انهُ بينما كان تشمبرلين الطيار الاميركي يعد العدة لاتمام رحلتهِ الجوية من الولايات المتحدة الى باريس بلغهُ خبر فوز لندبرغ فلم يرد هذا ان يطير وراء لندبرغ على الخط الجوي الذي مهدهُ لنفسهِ من الولايات المتحدة الى باريس بل اراد ان يتفوق عليهِ بهذا الميدان فطار من الولايات المتحدة الى قرب برلين فوصل اليها سالماً بعد ٤٢ ساعة قطع في اثنائها نحو اربعة آلاف ميل . وعلى هذه الصورة ترى نوابغ الغرب يتسابقون في ميدان التفوق كما تتسابق الفرسان في حلبة السباق

(٥) ان يجود الاغنياء والحكومة بالاموال اللازمة لانشاء المعاهد العلمية ولمساعدة العلماء بما يقوم بمعايشهم ويسد حاجاتهم لكي يواظبوا على متابعة ابحاثهم في ترقية العلوم وتوسيع نطاق المعارف حتى يصلوا بها الى نتائج تنطبق على مقتضى حاجات الامة. فاذا حكّم الشرق الادنى نهضته على هذه الاركان يكون قد نهض نهضة حقيقية تحسب من مبتكراتهِ ، ويقرهُ عليها الغرب . ويصح ان ينظر اليهِ بعين التجلة والاعتبار ويصبح الشرقي في الغرب يفتخر بوطنهُ

كرنيجي بنسلفانيا حنا يوسف الاعضا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية افضل من المعالجة

٢

عمل الأم — مرض الزكام

١ — عمل الأم

ان عمل الام في تربية اولادها لا يقل شأناً عن أي عمل آخر يقوم باعبائهِ الرجل في مختلف مرافق الحياة . بل اقول ولا مغالاة كما يقول أعظم الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاخلاق وقادة الفكر : ان عمل الام أعظم قدراً وابعد أثراً وانبل قصداً من سائر الاعمال والصنائع التي يعالجها الرجال والنساء جميعاً من غير استثناء . ومن تصدى لمقارنة عمل الام في دارها وما يتم فيهِ على يديها من تنمية عود صغارها وتغذيتهم بدمها الذي هو حياتها وما تعانيهِ في غرس المبادئ القويمة والتعاليم الرشيدة وانمائهم على القواعدالصحية والعادات الطيبة في مختلف الاحوال والادوار اقول : إن من يتصدى لمقارنة عمل الام هذا باي عمل من اعمال الانسان مهما عظم قدرهُ وجل شأنه وجد ان المقارنة باطلة أو معدومة الاساس ومن يجرؤ على القول بان هناك اساساً للشبهِ بين ما تفعلهُ الام في منزلها وما يفعلهُ الموظف في ديوانه أو الصانع في معمله تصدى لدحض ما يقول بهِ علماء الاجتماع والاخلاق وقادة الفكر في كل الامم وكل عصور التاريخ ، ان عمل الام في تربية اولادها أهم من أي عمل او صناعة يقوم بهِ الانسان. واذا قلتَ ان بعض الامهات جاهلات لا يعلمن من اصول التربية اصلاً ولا يفقهن ان للصحة قواعد ولتغذية الاطفال نظاماً لهُ اثر بعيد في مستقبل ايامهم ونجاح اعمالهم اذا قلتَ هذا اجبتك : نعم انهُ يوجد بين الامهات اكثر من « بعض » ويؤسفني جدًّا الاسف ان اقول لا بل اكثر من ثمانين في المائة منهنَّ بحاجة الى العلم والهداية ولكن هذا لا ينفي قيمة ما

تقوم بهِ الام العاقلة من عمل ولا ينتقص من شأنها في اعداد الرجال ليخوضوا ميدان الحياة والاعمال انما يزيده عظمة ويزيدنا تبعة في تدريبها لانهُ اذا تحريت تاريخ العظماء في العصور الغابرة والحديثة من فلاسفة وعلماء وحللت العوامل التي دفعتهم في طريق الشهرة والنبوغ علمت ان الحجر الذي وضع في اساس حياة ذلك العظيم او الزعيم او من كان لهُ شأن يذكر في التاريخ انما وضعتهُ الامّ

نعم ان في استطاعتك ان ترجع فضل من نجح وتفوق وبرّز في مضمار الحياة الى التربية الاولى وبقدر ما تكون هذه التربية صالحة لانماء الجسم على القواعد الصحية وتغذية العقل بالعادات والاخلاق الحميدة يكون استعداد الطفل أتم لمقابلة الطوارئ وتقلبات الاحوال حين يبلغ الرجولة. وعلى هذه القاعدة ارسل ما اكتبهُ مصارحاً بهِ الام وهي في جلالة خدرها تعنى بشؤون طفلها ودارها . انها في نظري ملكة متوجة باكليل المجد والفخار لا ينازعها فيهما غير الجهل . أما العلم فيعضدها ويقوي ساعدها ويزيد في جلالة مجدها وعزة مقامها والعلم اذا اخذت بهِ وسارت في تربية أولادها على نورهِ اضاء لها سبيل الحياة وجعلها تحسُّ بالسعادة الصحيحة والتنعم بلذة الامومة الصادقة. فالام الفاضلة حقاً هي التي تغذى طفلها من ثديها وتحرص على صحتهِ وهناءتهِ وتعنى بتغذيتهِ على نظام لهُ اصولهُ المعقولة لا كما يعنّ لها او حسبما يسمح لها وقتها أو كلما بكى الطفل وشاءت اسكاتهُ . فقليل من العناية الدائمة بنظافة جسمهِ وثيابه يدفع عنهُ غائلة الامراض التي تتحين جراثيمها الفرص للاحتلال فيهِ واظهار بأسها عليهِ وتدفع عنها متاعب التمريض والخوف من خطر محدق بهِ

***

وجراثيم الامراض صغيرة الجسم لا تراها العين المجردة ولكن فعلها بالاجسام وما تتركهُ من اثار لا تحتاج الى تدليل وهي لا تعيش الاَّ على القذارة . فاذا كانت عناية الام بنظافة جسم طفلها وثيابه ونظام تغذيته تامة فلا سبيل للمكروبات اليهِ ولا خوف منها عليهِ . أما اذا كانت هذه العناية ناقصة في ناحية من نواحيها واذا كانت عناية الام بصحتها ونظام معيشتها ونظافة جسمها وثيابها غير تامة فانها تخلق لهذه الجراثيم اسباباً لاظهار فعلها في جسمها اولاً وفي جسم ابنها ثانياً وفتك هذه المكروبات بالارواح مروّع محزن لانها تقضي على عدد كبير من الاطفال الذين هم عماد الامة قبل ان يجتازوا العام الاول من أعمارهم فيذهبون ضحية الجهل والاهمال

٢ — الزكام ووقاية الاطفال منه

واني اسوق الى الامهات صورة لمرض الزكام البسيط فان ميكروبه منتشر في هذه الايام انتشاراً عظيماً وانهُ في نظر كل ام بل في نظر الناس جميعاً من اخفّ الامراض وطأة وأسلمها عاقبة فلا خوف منهُ ولا احتياط يتخذ لدرئهِ. كذلك لا طبيب ولا دواء لمداواته وتخفيف سورته . فهو يدخل الجسم اليوم ويتركهُ غداً او بعد الغد . ولكن هذا المرض لهُ في علم الوقاية شأن كبير وفيهِ خطر كسائر الامراض الخطيرة في تفشيها وفتكها وهو في نظر هذا العلم كالشرارة الصغيرة تتولد منها نار عظيمة تأكل الاخضر وتكتسح كل ما يعوق امتدادها بل هو أعظم من النار خطراً واشد منها وطأة كما ترين فيما اقصهُ من اخبار انتشارهِ وتأثيرهِ ومنهُ تعلمين اني لم اعرض لهذا المقال اعتباطاً وانما اردت فيهِ مقصداً لا بد من تفصيلهِ

فالزكام على بساطتهِ يصير مع الاهمال من اقوى الاسباب على ازهاق الارواح ففي مكروبه المجهول الاصل والشكل نزعة الى الكر والفر وميل الى المداعبة والمعاشرة ورغبة لعقد الاجتماعات ونشر الدعوة بين مختلف انواع المكروبات فهو في سليقتهِ كما نراهُ كثير التنقل رشيق الحركة اذا ما حل في جسم من افراد اسرة انتشر بين عشية وضحاها بين جميع افراد تلك الاسرة وانتقل من هؤلاء الى من يجاورهم او يكون قد ذهب لزيارتهم وينتقل من هؤلاءِ في عودتهم الى بيوتهم واختلاطهم بآخرين الى هؤلاء وفي مدة قصيرة يرفع علمه في صدر كل فرد من الجماعة ويصبح القسم الاكبر من الامة مزكوماً ولو اقتصر الحال في هذه الزيارات والتنقلات عليهِ فقط لهان شره وضعف امره ولكنهُ فضوليٌّ يحب المعاشرة ويسرف في نشر الدعوة وعقد الاجتماعات والباحث المدقق يشاهد في بصاق هؤلاءِ المزكومين ميكروبات لامراض خطرة نشأت بواسطة مكروب الزكام البسيط فهو من هذا القبيل يمهد في احتلالهِ للجسم السبيل الى غيرهِ من المكروبات التي من طبيعتها التكاثر والانتشار في هذا الفصل فتجد من مكروب الزكام اكبر مساعد لها على اجتياح الجسم من غير مقاومة تذكر. كأن هذا المكروب يفتح لها المنافذ والابواب ويعد الاغشية المخاطية في الحلق والانف والحنجرة والبلعوم فتصبح منابت صالحة لسواهُ بما يحدثهُ فيها من التهاب واحتقان وينحدر من هذه السطوح الى الاغشية الشعبية والرئوية ومن هنا ينشأ البلاء والخطر من الداء فلو قليلا من الوقاية في دفع الزكام او حصره لقلت اصابات الالتهابات الرئوية وبطلت مضاعفاتها الخطرة

فالام العاقلة لا تعرض طفلها للبرد ولا تصحبهُ معها في زياراتها بل تحترس اشد الاحتراس عليهِ منهُ ونراها عند ما تريد ان تغير ثيابه تختار الساعة العاشرة صباحاً ميعاداً لذلك لانها ترى الوقت انسب لها وللطفل معاً اذ يكون برد الليل قد تقلص امام حرارة الشمس وتكون قد فرغت من الشؤون الخاصة والعامة لتهتم بطفلها ولم يبق عليها من الاعمال غير هذا العمل المقدس. فتحضر لهُ الثياب النظيفة والماء الساخن ثم تقفل منافذ الحجرة وتبتدىء بنزع ثياب الطفل وبسرعة تمسح جسمه ان كان نحيفاً وتغسل وجههُ وبين فخذيهِ . واذ كان مملوء الصحة فتغسل رأسه ووجههُ اولاً ثم تغطس جسمهُ في المغطس وتغسلهُ جيداً ثم تنشفهُ بسرعة وتلبسهُ الثياب الملائمة للفصل. وفوائد هذه العادة اي عادة غسل الجسم كل يوم عديدة اهمها اعتدال الدورة الدموية ونظام توازنها بحيث يتوزع الدم الى اجزاء الجسم توزيعاً منظماً ومتوازناً وفي ذلك يحتفظ الجسم بحرارته على نسبة واحدة من غير ان يصيب جزءًا منهُ اكثر من الجزء الآخر وهذا التساوي يقي الجسم من الزكام ويدفع عنهُ مضاعفاته.وكذلك نراها عند ما تريد الذهاب بهِ الى نزهة في الخلاء فانها تحرص على أن يكون جسمه مصوناً من البرد بما تلبسهُ من ثياب اضافية وهي لا تنسى الرفادة المبلولة وتهمل ابدالها بسواها ناشفة لانها تعلم مقدار ما ينشأ عن هذا الاهمال من ضرر وهي حريصة ايضاً على ابطال عادة متأصلة فينا وهي «تقبيل الطفل» فلا تسمح لزائريها مهما كانت صلتهم بها قريبة بان يقبلوا طفلها وتقبيل الطفل عادة بريئة ولكنها تقضي عليهِ احياناً بما تنقل اليهِ عن طريقها من المكروبات والامراض وقوام هذه العادة المجاملة واللطف وليس في الاثنين شيءٌ جوهريٌ لحياة الطفل فهو يعيش ويحب من غير ان يشعر بالحاجة اليها وتتوافر لهُ اسباب الهناءة والطمأنينة في منعها عنهُ لانها عادة غير لازمة وفي استعمالها ضرر بليغ فالاقلاع عنها أولى الا اذا كان المقبل على ثقة من سلامة جسمهِ من الامراض وفي هذا الحال لا يحرم من التطيب بانفاس الطفل الزكية واليك أيتها الام سلامي وتحيتي

الدكتور شخاشيري

شجاعة النساء

ما من احد من قراء المقتطف يجهل اسم السيدة روزتيا فوربس التي واصل معها احمد حسنين بك رحلتهُ الاولى الى الكفرة (وهو الآن الامين الاول لجلالة مولانا

الملك) . قرأنا لهذه السيدة الآن فصلاً في مجلة وندزور موضوعها شجاعة النساء ذكرت فيهِ نوادر لها ولغيرها من النساء تدل على شجاعة فائقة في مواقف الخطر

قالت انها لما دارت حول الارض اول مرة كانت تسير بحراً غير مفضلة سفينة على اخرى واذا وصلت الى نهر قطعتهُ ولو على رمث وتركب في البر على كل مطية من الفيل الى الجاموس

كنت منذ عشر سنوات نزلت بيتاً في شمال استراليا حيث البلاد مراع للسائمة وحيث اراضي الانسان تقاس بالاميال لا بالفدادين وحيث يسير الانسان مسافة ثلاثة اشهر ولا يلتقي بآخر وكان في البيت الذي نزلتهُ رجل وزوجتهُ وطباخة صينية وخادمان فارسل الرجل احدهما ليلاقي نجاب البريد الذي يمرُّ مرةً كل شهر في مكان يبعد عن ذلك البيت عشرين ميلاً وارسل الآخر ليرى ترعة على ثلاثين ميلاً قيل ان ماءها غاض ووضع يدهُ على كتف زوجتهِ وقال لها اتخافين من البقاء وحدك وعندكِ مؤونة ثلاثة اشهر فرفعت رأسها وقالت عندي مسدس فلا تخف فضحك وقال لها انت اشجع من كل رجل ولكن اذا جاءك كوكافو بيت فاعطهِ كل ما يطلب واصرفيهِ وكوكافو هذا لص كبير وشيطان مريد. وقمنا بعد ذهابهِ نهتم بغسل الثياب ولم نكد نفعل ذلك حتى اقبل علينا هذا الشيطان من حيث لا ندري وبادأنا بقوله انكما وحيدتين الآن وانا لا اتعرض للنساء بسوء فجعلت صاحبة البيت تخادعهُ بالكلام فقال لها لا بدَّ من ان يكون المفتاح معك فقالت نعم وتناولتهُ من جيبها وفتحت درجاً واخرجت منهُ مسدساً وفي طرفة عين صوبتهُ الى رأس اللص وقالت: ارفع يديك والاَّ اطرت دماغك فوقف مبهوتاً ورفع يديهِ وقال لي من غير ان يلتفت اليَّ اذهبي ولاقي نجّاب البريد فخرجت وجعلت اسير على غير هدًى وكان عمري تسع عشرة سنة ولم اكن قد اعتدت الضرب في القفار وبعد عشر دقائق حسبتها عشر ساعات رأيت راكبين آتيين نحوي فترجلا ودنيا مني فاخبرتهما بواقعة الحال فعدنا الى البيت ولما سمع اللص وقع خطواتنا التفت وانزل يديهِ فناديناها اطلقي الرصاص وفي تلك اللحظة اخرج اللص مسدسهُ واطلقهُ فمرت الرصاصة فوق رأسها وصرخت انا لماذا لا تقتلينهُ يا مجنونة وكثر اطلاق المسدسات لكن بيت هرب من بيننا سليماً ولما سألناها لماذا لم تطلق الرصاص عليهِ ارتنا المسدس واذا هو فارغ لا رصاص فيهِ

اعرف امرأة اخرى في الهند جرى لها مع لص ما يماثل ذلك وكان هـذا اللص مشهوراً بالفتك بمن يريد سرقته وحدث ذات يوم ان زوجها وهو كولونل في الجيش كان غائباً وخدمها يتناولون عشاءهم وامام البيت رواق فيه رزمة كبيرة من البسط ملفوفة كالاسطوانة فجلست تقرأ مجلة ثم خرجت الى الرواق وجلست تستنشق نسيم المساء ثم حانت منها التفاتة الى رزمة البسط فرأت نعلي رجل بارزين منها فنادت خادمتها قائلة الهواء منعش هنا فأتيني بكتاب ولما اتتها به قالت لها ان ورقه غير مقصوص فأتيني بسكين لاقصه آتيني بخنجر سيدك اذا لم تجدي مقص الورق ولما اتتها به قالت لها لاداعي لجلب كرسي ثم جلست على رزمة البسط وكانت بدينة جداً وظلت جالسة الى ان جاء زوجها مع رجلين من جنوده والخنجر في يدها واللص لا يستطيع حراكاً

***

لما كانت نار الحرب مستعرة في العراق سنة ١٩١٥ حدثت معركة كبيرة بين جنودنا وفرسان العرب وقد اخبرني أحد الضباط بعد ذلك انهم لما جمعوا قتلى العرب ليدفنوهم وجدوا ثلثهم من النساء

***

لما كنت في الشتاء الماضي في بلاد الحبشة جاءني شيخ القرية التي كنت فيها وانا اتناول طعام الصباح وقال لي : هنا امرأة هرست يدها آتية لتداويهـا فقمت افتش في صندوق الادوية الذي معي عن رفادة وصبغة اليود أو الحامض اليود ودخلت واخرجت يدها من ازارها واذا اصابعها مهروسة كلها هرساً فدهشت اشد الدهشة اما هي فلم يظهر عليها انها كانت تشعر باقل ألم

عدم النوم يميت

اتمّ طائفة من الباحثين في المدرسة الطبية بجامعة وسكنكنصن سلسلة من التجارب اثبتوا فيها ان استمرار عدم النوم ينتهي باعياء عصبي شديد ثم تحدث الوفاة . فقد اخذوا بعض الحيوانات ووضعوها في اقفاص مستمرة الدوران فلم تستطع ان تنام فيها ثم فحصوا انسجتها فوجدوا ان خلايا بعض المواد الحيوية اللازمة لبناء الجسم قلّـت فيها قلّـة ظاهرة ثم اندثرت فحصلت الوفاة . وقبل اندثارها كان جسم الحيوان يصاب بحمى فيسرع النبض ويعسر التنفس

باب الزراعة

مناطق الارض وخصائصها

الوجه القبلي

وهو قسمان الاول جنوبي ويعرف بمصر العليا ويشمل مديريات اصوان وقنا وجرجا واسيوط واكثرها الآن من ارض الحياض. والثاني شمالي ويعرف بمصر الوسطى و يشمل مديريات المنيا وبني سويف والجيزة واكثر ارضها رواتب وتعرف هناك بارض المشروعات. اما الفيوم فستذكر على حدة

وكل ارض الوجه القبلي بقسميهِ من الارض العالية الزاكية الخصب والزرع الاَّ قليلاً في القسم الثاني ارضهُ ضعيفة

ومن اشهر ما يجود في ارضهِ الرواتب القصب والقطن الاسمر (الصعيدي) اشموني وزاجوراه ثم البصل المسقاوي والبعلي في نوعي ارضهِ الرواتب والملق . اما الاقطان البيضاء الناعمة كالسكالاريدس ونحوهِ فتفقد جودتها اذا زرعت فيهِ

وتكثر فيهِ كروم النخل وابراج الحمام ومن منتجاتهِ الجيدة السمن (المسلى) واللحوم لاسيما الضأن منها

الفيوم

وان عدَّتْ من شمالي الوجه القبلي لكنها منعزلة عنهُ اذ هي كواحة بصحراء ليبيا يصلها من الجنوب بارض بني سويف مجاز ضيق من الارض يشقهُ البحر اليوسفي ومنهُ تروى ارض الفيوم

وبعد ذلك المجاز تتسع وتنفرج ارض الفيوم اتساعاً كثيراً الى ان تنتهي الى بحيرة قارون وفيها تصب مصارفها كلها وتعرف هذه البحيرة هناك بالبركة فيقال بركة قارون

وكل ارضها الزراعية من الارض الرواتب وجنوبيها كشمالي الوجه القبلي من حيث زكاء الخصب والزرع. اما اطرافها القريبة من البحيرة فكارض براري الدلتا من حيث ملوحتها وقلة عمرانها

وتفترق الفيوم عن غيرها فيما يأتي :

اولاً انها بطبيعة تكوينها كثيرة الانحدار فان منسوب الفيضان عند قناطر اللاهون على البحر اليوسفي حيث يدخل الماء اليها نحو ٢٧٫٥٠ متراً فوق سطح البحر الابيض المتوسط ومنسوب بحيرة قارون الآن نحو ٤٥ متراً تحت سطحه والمسافة من القناطر الى البحيرة نحو ٤٠ كيلو متراً فمتوسط الانحدار اذاً في الكيلو متر الواحد ١٫٨٠ متراً ولكن الانحدار يبدأ قليلاً فمن اللاهون الى مدينة الفيوم (عاصمة مديرية الفيوم) ١٨ كيلو متراً كانحدار الوجه القبلي او نحو ٢٠ سنتمتراً في الكيلو متر الواحد ومن مدينة الفيوم الى خط يمتد من جرزا ويمر بطامية وكفر محفوظ وسنورس وسنهور وابو كساه وقصر الجبالي والمسافة ١٣ كيلو متراً يبلغ متوسطهُ متراً واحداً في الكيلو متر الواحد ومن هذا الخط الى بحيرة قارون والمسافة نحو ٩ كيلو مترات يشتد الانحدار ويصير متوسطهُ نحو ستة امتار في الكيلو متر الواحد والارض المجاورة للبحيرة ذاتها يتضاعف انحدارها عن ذلك حتى يبلغ في بعضها بضعة عشر متراً في الكيلو متر الواحد كما انهُ في جهات تتخلل المسافات الآنفة الذكر يعلو جزء من الارض عما يجاورهُ بضعة امتار كما يشاهد في ابو كساه وفيديمين مثلاً

وبسبب ذلك الانحدار :

(١) صار الري بالراحة سهلاً ودائماً مهما كان منسوب الماء واطياً الاَّ قليلاً في جنوبي الفيوم الذي يحتاج الى الري بالآلة احياناً وكذلك سهل الصرف كلهُ بالراحة في الجهات المحتاجة الى الصرف الصناعي وهي الجهات الشمالية من هذا الاقليم او اطرافهُ القريبة من البحيرة

(٢) يمكن ادارة بعض الآلات بقوة هدير الماء كالسواقي المائية وطواحين الهدير ووابور الماء والنور الخ

(٣) يصعب تسوية التربة في قطع مستطيلة (موارس) الاستطالة المعتادة في الوجه البحري مثلاً ولذلك تقصَّر الموارس وتقسم خصوصاً في الجهات البحرية الى اجزاء تعرف بالجِرَب واحدها جِربة وتُسوَّى كل جِربة وحدها فتعلو عما يليها وهكذا بالتدريج وذلك لتسهيل التقصيب (التجريف)

(٤) صارت عملية التجريف (التقصيب) هناك من العمليات الزراعية المعتادة في خدمة الارض لكثير من الزروع لاسيما في الجهات البحرية منها وهي الاكثر انحداراً

(٥) يكثر نحر الماء لمجاريهِ وللارض حال الري . ولملافاة ذلك يستكثر من عمل الاربطة في مجاري الري ومن تجريف (تقصيب) الارض وتقوية جسور موارسها وجسرِ بِها وتقوية فتحات ومصبات الماء فيها بالدقشوم واحياناً بكُتَل من الطين الخرس في المصبات الصغيرة جدًّا

ثانياً لكثرة ارتفاعها عن البحيرة مع كثرة انحدارها يسرع :

(١) غيض الماء في ثراها وانحدارهِ الى البحيرة ولذلك فان ماء نزّها (الماء الارضي) يظل منخفضاً كثيراً عن التربة فتبقى جافة حتى في الارض الواطية عما يجاورها ولا مصرف بينهما ولا يستثنى من هذا الا الارض القريبة من البحيرة لقلة ارتفاعها والارض الرملية اذا كانت هي العالية لسرعة سريان للماء منها الى الارض الواطية المجاورة لها واذاً فلا بد من المصارف لحماية الارض الواطية من رشح الارض العالية لاسيما اذا كانت هذه ذات تربة خفيفة صفراء او رملية

(٢) حاجتها للري المتقارب ولذلك امتازت مناوباتها بجعل ايام البطالة مساوية لايام الادارة بينما في غيرها تكون ضعفها وجعل مدة الجفاف الشتوي ٣٠ يوماً بدل ٤٠ يوماً في غيرها وسيأتي بعدُ كلام عن قلة الماء فيها

ثالثاً امتازت :

(١) بكثرة بساتين الفاكهة بها كالتين البرشومي وقد اشتهرت بزراعة دار الرماد ضواحي مدينة الفيوم ويقال لهُ هناك التين الرمادي وهو التين الفيومي في القاهرة — والعنب وقد اشتهرت بزراعتهِ ابوكساه . والليمون والزيتون واشتهرت بزراعتهما فيدمين والبرتقال بنوعيهِ البلدي واليوسفي واشتهرت بزراعتهِ طبهار — هذا عدا سائر الفواكه كالتين الشوكي والخوخ والتفاح والرمان

(٢) بصنف من الدجاج يعرف هنالك بالبيجاوى اختصت بهِ دار الرماد ويعرف في غير الفيوم بالدجاج الفيومي تمييزاً لهُ عن الدجاج البلدي المعتاد

(٣) بوجود بعض المناظر الطبيعية الشبيهة بمناظر الوديان الضيّقة الخصيبة المكسوة قيعانها وميولها وربواتها بالزروع اليانعة كما يُرى في بعض اجزاء بحر سنهور ومن اشهر مناظره عين السيليين « نسبة للبلد المجاورة لها » ينبثق منها الماء دواماً عذباً صافياً

رابعاً قلة نصيبها من الماء ماء الري كل فصول السنة ويقول بعض رجال الري ان السبب هو لان البحيرة مصرفها الوحيد تحده صحراء ليبيا المرتفعة ارتفاعاً عظيماً يتعذر معهُ

صرف ما يزيد من ماء البحيرة ويخشى اذا اعطى للفيوم نصيبها الكافي من الماء كغيرها يزداد ماء صرفها وماءها الارضي المنحدر الى البحيرة فيطغى ماؤها على الارض الزراعية وينتقصها من اطرافها نقصاً يزداد مع توالي السنين ، فلتلافي ذلك لا يعطى لها من الماء الاً بقدر محدود لا يذهب منهُ الى البحيرة الاً بمقدار ما يتبخر منها

ولقلة نصيبها من الماء :

(١) لا يمكن زرع زراعة صيفية في اوفر مناطقها ريًّا الاً في نحو ربع الزمام او ثلثهُ على الاكثر اذا كانت الارض سوداء حلوة

(٢) اذا كانت الارض غير سوداء حلوة اي صفراء او رملية او ملحية فان الماء لا يكفي لزراعتها كلها فيضطر زراعها لتبوير جزء منها واستعمال مائهِ لري باقيها

(٣) لا يصرح بزراعة الارز الصيفي في ارضها السبخة ولا تميز ارضها الرملية بمناوبات خاصة ومعلوم ان ذلك ضدّ ما يحصل في الوجه البحري

(٤) يصعب اصلاح الارض الموات وتحسين الارض الضعيفة ولتقليل هذه الصعوبة تُعطى مواسير نيلية لمسافة محدودة تبتدئ قبيل الفيضان النيلي وتنتهي في اثنائهِ واذاً يمكن ان يزرع بها مقدار محدود من الارز او الدنيبة لغسيلها

(٥) ان بعض نصيبها من الماء يأتيها من ماء صرف شمالي الصعيد وهو بطبيعة الحال اقل صلاحية للري من ماء الترع وذلك مما يزيد ازمة الماء فيها

(٦) ان الآبار الارتوازية لا تنفع فيها ولذلك يصعب تذليل صعوبات الري المشار اليها آنفاً

خامساً يوزع الماء ماء الري فيها من هدّارات او اعتاب ذات فتحات يمرُّ منها الماء الى المساقي حراً بدون حجز ما دام الماء جارياً في الترعة . والهدار هو قنطرة ري عادية « موازنة » مبنية بالطوب الاحمر والفتحات مبنية بالاسمنت ليتعذر العبث بها وذات ارتفاع وسعة محسوبين بنسبة ما تحملهُ الترعة من الماء ونسبة الزمام المنتفع من كل فتحة والوحدة المعبرة هناك ان السنتمتر الواحد سعة ل ٢٠ فداناً فاذا كانت سعة الفتحة ٥ سنتمترات كان الزمام المنتفع منها ١٠٠ فدان وهكذا

واذا كان بالهدار جملة فتحات تبعاً للفروع الآخذة منهُ يسمى (نَصْبة) وجمعها نُصب ، والهدارات والفتحات كلها موضوعة بحيث يمر منها الماء بنسبة واحدة متفقة مع حالة الارض فلا يأخذ هدار او فتحة اكثر مما يأخذ الآخر وهذه هي الميزة

الوحيدة النافعة في اعمال ري الفيوم

ويحسن ان نشير هنا :

(١) الى كيفية انتفاع الزراع بماء الري في سقي غيطانهم فانهُ لكثرة انحدار الارض وبالتالي كثرة انحدار مساقيها يتعذر على المنتفعين من مسقى واحد مشترك بينهم ان يفتحوا الماء منهُ لغيطانهم في وقت واحد لانهُ اذا انساب الماء فيهِ بدون حجز انحدر الى الارض الواطية وقصر عن الارض العالية فلذلك يأخذ كل زارع نصيبهُ في وقت يُحجز لهُ الماء في اثنائهِ وبيان ذلك في المثل الآتي

مسقى ينتفع منهُ ١٦٨ فدانا ومدة المناوبة ٧ ايام اي ١٦٨ ساعة فلكل فدان ساعة واحدة فاذا كانت مدة المناوبة ٨ ايام او ١٩٢ ساعة كان ما يخص الفدان ساعة و٨ دقائق وكسور

(٢) بعض الزراع او الملاك الذين بارضهم بور كثير لا يزرعونهُ يبيعون ما يزيد عن حاجتهم من الماء الى جيرانهم الذين يزرعون كل اراضيهم ويبلغ ثمن نصيب الفدان من الماء في السنة الى جنيهين واحياناً اكثر

هذا وقد اسهبت في ذكر خصائص ارض الفيوم لمباينتها للمعهود لجمهور الزراع في سائر انحاء القطر

طلخا احمد الالفي

زراعي عملي

خسائر فيضان المسيسبي

نشرت وزارة الزراعة الاميركية تقريراً مسهباً ابانت فيهِ فداحة الخسائر التي لحقت بالولايات الاميركية من فيضان المسيسبي. فقد جاء في هذا التقرير ان ١٨٤٤٣٠٠ فدان غمرت بالماء في ولاية اركنساس و١١١٢٢٠٠ فدان في ولاية لوزيانا و٨٦١٠٠٠ فدان في ولاية مسيسبي و٣٥٩٠٠٠ فدان في ولاية مسوري و١٩٥٠٠٠ فدان في ولاية تنيسي و٥٠٠٠٠ فدان في ولاية كنتكي . فمجموع ما غمر بماء الفيضان في هذه الولايات بلغت مساحتهُ ٧٠٠٠ ميل مربع . وفقد سكان هذه الولايات من ماشيتهم ٢٥ الف حصان وخمسين الف بقرة وثور و١٤٨ الف خنزير و١٢٧٦٥٦٠ دجاجةً وديكاً . ولا يزال ستون الفاً من سكان هذه الولايات يعتمد على مساعدة جمعية الصليب الاحمر في امور معيشتهم

اضرار تقريب الاشجار

يزرع اثنان بستانين في ارض واحدة فتخرج الاثمار من احدهما كبيرة جميلة تباع بثمن غال وتخرج من الثاني صغيرة دميمة لا تباع الا بثمن بخس . وقد يكون اعتناء البستانيين واحداً ببستانيهما ولا يفرق البستان الواحد عن الآخر الا في ان اشجار الواحد كثيرة قريبة جدًّا يضعف بعضها بعضاً وتتنازع الغذاء فلا تجد منهُ كفافها واشجار الثاني بعيد بعضها عن بعض فتجد ما يكفيها من الغذاء فتحولهُ الى اثمار جيدة

زرع بعضهم ثلثمائة شجرة من التفاح في بستان فنمت الاشجار جيداً واستغل منها غلة وافية ولكن لم يطل الامر حتى ضعفت وصغر ثمرها ولم تعُد غلتها تفي بنفقاتها . فاستشار بعض الخبيرين بالفلاحة فاشاروا عليهِ ان يقلع نصف الاشجار ويبقي النصف. فذهبت هذه الاشجار ضياعاً بما اخذتهُ من قوَّة الارض وما بُذِل عليها من التعب وتأخر البستان سنتين اخريين حتى اصطلحت اشجارهُ الباقية وعادت الى نضارتها . فلو اقتصر على زرع مائة وخمسين شجرة من اول الامر لنجا من هذه الخسائر الكثيرة. ولعلَّ ما اجراهُ هذا البستاني يجريهِ كثيرون في هذه البلاد في زرع اليوسف افندي وفي بلاد الشام في زرع التوت وغيرهِ من الاشجار المثمرة فاننا نرى بين اثمار اليوسف افندي اثماراً صغيرة جدًّا دميمة المنظر تدلُّ على انها نتجت من اشجار ضعيفة واثماراً اخرى كبيرة الجرم طيبة الطعم يدلُّ منظرها على انها من حمل اشجار في غاية القوَّة والنضارة . وكذا اشجار التوت في سورية فان البساتين القديمة البعيدة الاشجار اشجارها كبيرة جدًّا وقضبانها ضاربة في عنان الجو . والبساتين القريبة الاشجار ، اشجارها صغيرة وقضبانها قصيرة . فعسى ان ينتبه البستانيون الى ذلك ويعلموا ان الطمع مضرٌّ في الزراعة كما في غيرها

اختلاف الزبل

ان زبل البقر اكثر نفعاً للارض من زبل الخيل ولو أُطعمت الخيل والبقر علفاً واحداً . والسبب في ذلك ان البقر تجتر طعامها فتمضغهُ جيداً وتهضمهُ جيداً بخلاف الخيل فانها لا تجترُّ طعامها فلا تمضغهُ جيداً ولا تهضمهُ جيداً ولذلك تخرج حبوب الشعير مع زبل الخيل سليمة وتنبت وتنمو كأن الهضم لم يؤثر فيها

باب التقريظ والانتقاد

مجموعة خطب

محمد طلعت حرب بك — جمعها والتزمت طبعها مطبعة مصر — صفحاتها ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير

هذه مجموعة نفيسة من الخطب في موضوعات اقتصادية ومالية خطيرة تهم كلَّ مصريّ تلتهب في صدرهِ نار الغيرة على مصالح قومهِ واموالهم ويضن بها ان تسيطر عليها وتتصرف بها أيدي الاجانب . ولولا اتصال المطبعة التي جمعتها وطبعتها بطلعت بك حرب وبنك مصر لصحّ ان يجعل عنوانها « دستور مصر الاقتصادي » لان في هذه المجموعة من الآراء الخطيرة والاقوال الصائبة في مستقبل البلاد الاقتصادي وفي شؤون الزراعة والصناعة على اختلافها ما يصح ان يبنى عليهِ دستور يجري عليهِ رجال المال والاعمال في هذه البلاد . وقد اشار كاتب المقدمة الى ذلك في قولهِ : « ولما كانت هذه الخطب قيمة في ذاتها وكانت تعتبر في كثير من مناسباتها والوقائع الواردة فيها جزءاً من تاريخنا الاقتصادي والمالي في الوقت الحاضر ، فضلاً عن انها تدل على ناحية من نواحي تفكير هذا المالي الكبير ، فكّرت المطبعة في ان تجمع هذه الخطب في كتاب واحد حتى لا تعرّض للضياع والنسيان وكي يسهل الرجوع اليها لمن يشاء ان يستقصي اهم الحوادث والاخبار الخاصة ببنك مصر »

وسنعود الى هذه المجموعة النفيسة في الجزء التالي فنقتطف منها من الاقوال والآراء ما يؤيد رأينا ورأي كاتب المقدمة

وقد ازدانت المجموعة بصور بديعة لمعالي مدحت يكن باشا وطلعت حرب بك والدكتور فؤاد بك سلطان وغيرهم من اقطاب مصر الماليين الذين تعاونوا على النهوض ببنك مصر الى اعلى مرتبة بين البيوتات المالية ، كما ازدانت بصور دار البنك الجديدة من الخارج والداخل

امراض النساء

تأليف الدكتور نجيب محفوظ — طبع بمطبعة المعارف — صفحاته ٣٨٠ مصور

الدكتور نجيب محفوظ استاذ فن الولادة وامراض النساء بكلية الطب المصرية والجراح الخاص بالولادة وامراض النساء بمستشفى قصر العيني، فهو من مشهوري الأطباء المصريين الذي قرنوا العلم بالعمل وغرضهُ من وضع هذا الكتاب ان يضع امام الطلبة والاطباء وصفاً واضحاً للامراض النسائية وشرحاً وافياً لاساليب العلاج التي ثبت فضلها وتفوقها على غيرها من الاساليب. وقد عني عناية خاصة بمطالب التلميذ والطبيب المبتدىء فقرن وصف الحقائق والقواعد النظرية بوصف أساليب العلاج العملية التي يمارسها هو. ووضّح وصفهُ بصور كثيرة لبعض الآلات والعمليات الجراحية ولبعض اعضاء الجسم وانسجتهِ

ويسرنا ان النسخة التي أُهديت الينا مجلدة تجليداً متيناً فيستطاع حفظها في المكتبات. والكتاب جدير بذلك لانهُ من المراجع العلمية التي يعتمد عليها

الروائع

سلسلة مباحث في الادب — ومنتخبات من اشهر اعلامه — تصنيف الاستاذ فؤاد افرام البستاني
الحلقة الاولى — علي بن ابي طالب ونهج البلاغة — طبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت

قال الاستاذ البستاني في مقدمة الحلقة الاولى من هذه السلسلة ما يأتي:

«ما من احد ينكر ان ناشئتنا تجهل الآداب العربية جهلاً تُلام عليهِ. على ان هذا الجهل ناتج عن خلوّ لغتنا من المعدّات المتوفّرة في الآداب الغربية. ولا يخفى أن من اهمّ هذه المعدات فائدةً، واخصبها نتائج، كثرة الطبعات المدرسية. السهلة للآثار الادبية، ورخص ثمنها، مما يرغّب المتأدّب في الحصول عليها، وقراءتها، فالاستفادة منها. فاذا ما توفّر في لغتنا هذان الشرطان: طبعات مدرسية سهلة، ورخص ثمن، خطت آدابنا الى الامام خطوات

« ولما كانت هذه الآداب عزيزة علينا، وخدمتها واجبة، رأينا ان نحقق هذا الامل. فعزمنا على طبع مختارات من روائع آدابنا. طبعة مدرسية في اجزاء متتابعة فنخص كل مؤلف او كل تأليف بمجلد صغير. متوسط القطع. جميل الغلاف. متين الورق. واضح الحرف. نقدّم عليهِ بحثاً انتقادياً في حياة المؤلف وآثارهِ وشخصيتهِ

الادبية . مع تحليل للكتاب المطبوع .وتعاليق على النص عند اللزوم

«وتسهيلاً لاقتناء هذه السلسلة جعلنا ثمن النسخة خمسة غروش سورية او فرنكاً واحداً فقط »

اما الحلقة الاولى فخاصة بعلي بن ابي طالب ومنتخبات من كتابهِ نهج البلاغة وقد وقف المؤلف ٢٦صفحة من صفحاتها على البحث في سيرة علي وخلافتهِ ومقتلهِ وحياتهِ العائلية وصفاتهِ وآثاره الادبية من شعر ونثر وتحقيق في اصل نهج البلاغة

ومن الاقوال التي اختارها لهُ : اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان . واعجز منهُ من ضيّع من ظفر بهِ منهم

من نصب نفسهُ للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسهِ قبل تعليم غيرهِ وليكن تأديبهُ بسيرتهِ قبل تأديبهِ بلسانهِ . ومعلم نفسهِ ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم

اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع

ومن رجال الادب الذين عالجهم كما عالج علي بن ابي طالب: المهلهل وامرؤ القيس وابو العتاهية والمتنبي وابو فراس وابن بطوطة وابو العلاء والجاحظ وابن خلدون

مملكة الظلام

تأليف موريس مترلنك — ترجمة الدكتور نقولا فياض — نشرتها ادارة الهلال

موريس مترلنك من اشهر الكتاب والشعراء الاوربيين في هذا العصر. وُلد في البلجيك سنة ١٨٦٢ من اصل فلمنكي وبعد ما تلقى العلوم القانونية وانتظم في سلك المحامين ثم ذهب الى باريس واتصل بزعماء المدرسة الرمزية في الادب الفرنسي. ولدى وفاة والدهِ عاد الى البلجيك وانصرف الى النظم والتأليف. فنشرسنة ١٨٨٩ روايتين تلقاها الناقد الفرنسي ميربو بكثير من الترحيب واطلق على صاحبهما لقب« شكسبير بلجيكي » فذاع صيتهُ . ولكنهُ بقي عاكفاً على التأليف فاصدر روايات تمثيلية نالت رواجاً كبيراً ودواوين اشعار غنائية ومجموعات من رسائلهِ في موضوعات مختلفة

ومن أشهر كتبهِ كتاب اصدرهُ سنة ١٩٠١ اودعهُ « حياة النحل» كما شاهدها ودرسها بنفسهِ ومزج فيهِ العلم الطبيعي بالخيال والفلسفة . ومن هذا القبيل كتابهُ عن « النمل الابيض» الذي عني بنقلهِ الى العربية الدكتور فياض بعنوان« مملكة الظلام» واهدتهُ ادارة الهلال الى مشتركيها وقد قال الدكتور فياض فيطريقة مترلنك ما يأتي:

«فهو من الذين لا يكتفون بدرس حياة الحشرات وطبائعها بل يفتح لها طريقاً الى قلبه وعواطفه فيتأثر بها ويستمد الوحي منها فتجيء مباحثه العلمية من وراء الغاية اذ يلبسها ثوباً جميلاً من الخيال ويفرغ الحقيقة في قالب شعري ساحر بحيث يتناولها ذهن القارىء ايّاً كان دون كدّ او عناء»

ومع ان النقاد لا يرون ان قول ميربو السابق في مترلنك صحيح بحذافيره الا أنهم يكادون يجمعون على انهُ « نابغة لا شكَّ فيهِ ومظهر كبير من مظاهر القوة العقلية في القرن التاسع عشر » كما قال فيهِ كاميل موكلير

اليابان اليوم

انشأنا في مقتطف نوفمبر الماضي مقالة عن صحافة اليابان وما بلغتهُ من الرقي في سرعة جمع الاخبار ونشرها وسعة انتشار الجرائد وشدة الاقبال عليها واتساع نطاق الاعمال فيها وكثرة ربحها . وقد اهدى الينا جناب قنصل اليابان في الاسكندرية نسخة من ملحق انكليزي لجريدة طوكيو اساهي وهي احدى الجرائد الاربع الكبرى في اليابان عنوانهُ « اليابان اليوم » جُمع فيهِ كل ما يرغب القراء في معرفتهِ عن احوال اليابان في سنة ١٩٢٧ من سياسية وصناعية وزراعية وعلمية وفنية . والمقالات مكتوبة باقلام بليغة وقد طبعت كلها مع الصور على مبدإ الروتوغرافور وغلفت بغلاف ملون طبع أتقن طبع وتقع في ١٣٢ صفحة من ضعف حجم المقتطف وفيها كثير من الاعلانات التي يستدلّ منها على ما بلغتهُ هذه الامة الناهضة من المقام الرفيع بين ممالك الارض في كل مناحي العمران

مصر الحديثة — مجلة عمومية مصوَّرة تصدر مرة في الشهر موقتاً يتولى رآسة تحريرها الاستاذ توفيق افندي اليازجي الكاتب المشهور . وقد صدر منها عددان حافلان بالصور المتقنة الطبع ومقالات نفيسة في موضوعات قريبة من عقول القراء ونفوسهم . وكل عدد منها يحتوي على ٨٠ صفحة كبيرة متقنة الطبع . ويتخلل الصور والمقالات اعلانات لبعض المحال التجارية المشهورة . ويباع العدد منها بقرش صاغ واحد

—٥٠٥—

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) ترجمة كتب سبنسر

الكويت. مستفيد. هل ترجمت كتب الفيلسوف سبنسر وكيف يمكن الحصول عليها . واذا لم تترجم كيف يمكن الحصول على اصلها الانكليزي

ج . لخصنا مبادئ فلسفة سبنسر في المقتطف بعد وفاتهِ ، ونشرنا سنة ١٨٩٧ ملخصاً لكتابهِ في علم الاجتماع بقلم نسيم افندي برباري . ونذكر ان كتابهُ في التعليم ترجم في مصر منذ بضع سنين ولعلَّ مكتبة العرب بالفجالة بمصر تستطيع ان تهديكم الى نسخة منهُ . وللحصول على الاصل الانكليزي يجب ان تكتبوا الى احد باعة الكتب بلندن في ذلك وترسلوا اليهِ مقدماً مبلغاً من المال على الحساب فيرسل اليكم ما تريدون . ونحن نشير عليكم ان تتعاملوا مع

B. F. Stevens Brown & Co.
4 Trafalgar Square London

ولا يخفى عليكم ان مؤلفات سبنسر كثيرة اشهرها المجلدات التي كتبها فيما اطلق عليهِ « الفلسفة التركيبية » وهي مجلد في المبادئ الاولية ومجلدان في البيولوجيا ومجلدان في السيكولوجيا وثلاثة مجلدات في السُسيولوجيا ومجلدان في الآداب

(٢) التقدم في السن والاصطياف في اعالي الجبال

بيروت . هل تضرُّ الرجلَ البالغ سن الستين تمضيةُ الصيف في الجبال التي تعلو عن سطح البحر اكثر من ٧٠٠ متر اذا كان صحيح الجسم لا يشكو من علة في القلب

ج . يفضَّل ألاَّ يفعل ذلك . لان الانسان متى تقدم في السن وبلغ الستين من العمر يصاب بشيء من تصلب الشرايين يكثر او يقل حسب حالتهِ الصحية فيزداد ضغط دمهِ. وكلما ارتفع الانسان في الجبال خف ضغط الهواء على جسمهِ من الخارج

فيزداد ضغط الدم على جدران اوعيته الدموية. وقد يسبب اجتماع الضغط الناتج عن تصلب الشرايين والضغط الناتج عن الارتفاع انفجار وعاء من الاوعية الدموية وهذا ما يحاذره الاطباء

(٣) سبب الضباب

ومنهُ . ما هو سبب الضباب الذي يتكاثف في الجبال

ج. الهواء لا يخلو من بخار الماء لان حرارة الشمس تفعل بالمياه التي في البحار والانهار والنباتات فيصعد جانب منها بخاراً يمتزج بالهواء . ودقائق البخار صغيرة لا ترى لصغرها وتكون الحرارة قد ابعدت بعضها عن بعض فاذا بردت دنا بعضها من بعض فصار منهـا ذرات كبيرة نوعاً يكفي حجمها لعكس النور وتفريقهِ فتصير ترى بالنور المنعكس عنهـا او بحجبها لهُ وهي الضباب . ويحدث مثل ذلك في فم كل انسان في الشتاء ذلك اننا حينا تتنفس زفيراً اي حينما نخرج النفس من افواهنا يكون مع الهواء الذي نخرجهُ شيءٌ من البخار وهو لا يرى الا اذا برد الهواء فاذا كان الفصل شتاءً والهواءُ بارداً رأينا النفس خارجاً كالبخار الذي يخرج من انبوب ابريق يغلي على النار

وقد اثبت احد الاساتذة ان الضباب لا يتكون من البخار ولو بَرَدَ الا اذا كان في الهواء شيءٌ من الغبار ثم اثبت غيرهُ ان دقائق البخار لا تجتمع حول ذرات الغبار ما لم تكن تلك الذرات مما يمتص الماء كذرات الملح وذرات بعض الاتربة فتى امتصت بعض دقائق البخار سهل على سائر دقائقهِ الاجتماع حولها

(٤) المادة وهبوط درجة الحرارة

البصرة . لماذا تفقد المواد تفاعلهـا الـكيماوي عند تبريدها بالهواء السائل الى درجة منخفضة جدًّا مثل درجة ٢٣٠ تحت الصفر

ج . اثبت العلماء ان المادة مبنية من دقائق وان الدقائق مبنية من جواهر فردة وان الجواهر الفردة مبنية من الـكترونات (كهارب) وبروتونات . واثبتوا ايضاً ان دقائق المادة وجواهرها في حركة دائمة وان بين الدقيقة والاخرى وبين الجوهر والجوهر فراغاً يملؤهُ الاثير. وهذا الفضاء كبير في الغازات قليل في الجوامد بينَ بين في السوائل. وهو يكثر اذا ارتفعت حرارة المادة ويقلُّ اذا انخفضت . وقد ثبت انهُ اذا بلغت درجة الحرارة ٢٧٣ تحت الصفر وقفت الدقائق عن الحركة ولما كان التفاعل الـكيماوي هو اتحاد جواهر العنصر الواحد بجواهر العنصر الآخر فالقابلية لهذا الاتحاد تقلُّ حتماً كلما بردت المادة وقلت حركة دقائقها

وحتى الآن لم يتمكن العلماء من تبريد مادة من المواد الى درجة ٢٧٣ تحت الصفر وهي الدرجة المعروفة بالصفر المطلق ولكن احدهم تمكن من تجميد غاز الهليوم تحت ضغط شديد فوصل الى درجة ٢٧١ ونصف درجة تحت الصفر وهذه ادنى حرارة بلغها العلماء

(٥) دخول المسيحية الى القطر المصري

الاسكندرية . مشترك . كيف دخل الدين المسيحي مصر

ج . المظنون ان مرقس الرسول هو اول من دخل بلاد مصر وبشر فيها بالدين المسيحي وانشأ بالاسكندرية اول كنيسة مسيحية في القرن الاول من التاريخ المسيحي . وكانت الاسكندرية حينئذٍ مركزاً لعلوم اليونان وكعبة يقصدها اهل العلم والمعارف من مختلف الاقطار فما لبث الدين المسيحي ان دخل اليها حتى انتشر فيها وانبثَّ منها الى بلاد مصر كلها وقام في الاسكندرية رجال يضرب المثل في علمهم ودينهم وادبهم وتقواهم كاوريجنس واكليمنضس واثناسيوس وغيرهم

(٦) دخول الاسلام الى القطر المصري

ومنهُ . كيف دخل الاسلام الى القطر المصري أبحرب ام بدون حرب ومن كان متسلطاً عليها حينئذٍ

ج . كان متسلطاً على مصر رجل قبطي اسمهُ يوحنا المقوقس من قبَل قياصرة القسطنطينية فلما فرغ عمرو بن العاص من الشام اتى مصر وكانت قصبتها منف وهي ممفيس القديمة وكانت حصينة جدًّا فحاصرها سنة وسبعة اشهر وفتحها عنوة واقتداراً وقيل بخيانة المقوقس ثم عاد الى الاسكندرية وافتتحها عنوة واقتداراً بعد حصار دام اربعة عشر شهراً فاستولى على القطر كلهِ

(٧) كثرة الموت في الليل

لبنان . م . ع . لماذا يكثر الموت في الليل ولاسيما في الثلاثة الارباع الاخيرة منهُ

ج . قد علم بالبحث الطويل ان الوفيات في الساعة الاولى بعد نصف الليل اقل من معدل الموت في اية ساعة اخرى بثلاثة وثمانين في المائة . والوفيات بين الساعة الثالثة والسادسة بعد نصف الليل اكثر من المعدل بثلاثة وعشرين ونصف في المائة . وبين الساعة الثالثة والساعة السابعة بعد الظهر اكثر من المعدل بخمسة ونصف في المائة. وخلاصة هذه المباحث تدلُّ على ان اكثر الموت يقع بين الساعة الثالثة والساعة السادسة صباحاً واقلهُ في منتصف النهار . اما سبب كثرة الموت في بعض الساعات وقلتهُ في البعض الآخر فغير معلوم. ولعل كثرتهُ في الساعات التي تسبق الفجر عائد الى قلة حيوية الجسم حينئذٍ فيضعف عن مقاومة مرض يستطيع مقاومتهُ

حين يكون الجسم متنبهاً وحيويته على اشدها

(٨) اول من انشأ البريد

ومنهُ . قرأنا كثيراً عن احوال المصريين القدماء ولكننا لم نجد ذكراً للبريد فهل كان للبريد استعمال عندهم

ج . لم يكن البريد معروفاً عند قدماء المصريين واول من انشأهُ داريوس الكبير ملك فارس

(٩ علاج الشمس

نيويورك. سائل. انا واولادي نريد ان نتعالج بتعريض اجسامنا لاشعة الشمس من غير ان نتعرض لخطر ما . فماذا يجب ان نفعل أنعرّض الجسم كلهُ ام نبدأ اولاً بتعريض عضوٍ من اعضائهِ ؟ وهل نجني فائدة ما من تعريض الحلق واللسان والاسنان واللثة لنور الشمس

ج . الخطة المتبعة الآن في التعرض لاشعة الشمس تقوم بتعريض الرجلين خمس دقائق في اليوم الاول ثم تعرض الرجلان عشر دقائق في اليوم الثاني والفخذان خمس دقائق. وفي اليوم الثالث تعرض الرجلان ربع ساعة والفخذان عشر دقائق والبطن خمس دقائق . وفي اليوم الرابع تعرض الرجلان ثلث ساعة والفخذان ربع ساعة والبطن عشر دقائق والصدر خمس دقائق . ثم يعرض الرأس رويداً رويداً حتى تصير مدة تعريض الرجلين نحو ٣٥ دقيقة

ولا نعلم سبباً يمنع تعريض اللثة والحلق والاسنان للشمس بضع دقائق كل يوم ولكننا لم نطلع على بحثٍ طبي اثبت فائدتهُ . وفي بدء المعالجة لنور الشمس يفضل التعرض لها في الصباح او بعد الظهر حين تكون اشعة الشمس منحرفة. والظاهر ان التعرض لنور الشمس المستطير كافٍ من حيث التأثر بالاشعة التي فوق البنفسجي بشرط ألا يمرَّ النور بالواح من الزجاج العادي لان الواح الزجاج العادي تحجب الاشعة التي فوق البنفسجي . ونفضل ان تستشيروا طبيباً في ذلك

(١٠) فيء الاشجار

البحرين. مستفيد. اي افياء الاشجار انفع للانسان

ج . كل الافياء على حدٍّ سوى ولكن بعض الاشجار يفرز مفرزات عطرية يطيب بها الهواء كالارز والصنوبر وبعضها لا يفرز شيئاً من ذلك وهذا متعلق بالشجر لا بفيئهِ

(١١) مستنبط الكتابة

ومنهُ . من استنبط الكتابة اولاً

ج. المعروف حتى الآن ان الفينيقيين اي سكان سواحل سورية هم اول من استنبط الكتابة الحقيقية والراجح انهم توصلوا الى ذلك من رؤيتهم الكتابات

المصرية القديمة . وكتابة الصينيين والاشوريين والمصريين القدماء اقدم من الكتابة الفينيقية ولكنها لم تكن كتابة بالمعنى الذي نفهمهُ الآن بل اشارات يستدلُّ بها على الالفاظ والمعاني . أما الفينيقيون فهم اول من حلل كلمات اللغة الى نحو عشرين صوتاً ووضع لكل صوت علامة خاصة فصارت الكلمات تتألف من هذه العلامات فقط

(١٢) اختراع البنادق

ومنهُ . مَن اول مَن اخترع البنادق

ج . عرف الصينيون تركيب البارود قبل التاريخ المسيحي بقرون كثيرة واستعملتهُ امم المشرق في قذف المقذوفات منذ عهد طويل . والظاهر ان العرب كانوا يستعملونهُ احياناً لقذف القنابل وادخلوا استعمالهُ معهم الى اوربا حينما افتتحوا الاندلس وملكوها . ثم تدرج الناس في تنويع آلات القذف حتى صنعوا منها شيئاً يشبه البنادق في اواخر القرن الخامس عشر

باب الأخبار العلمية

مقتطف دسمبر

افتتحنا مقتطف هذا الشهر بمقالة علمية عنوانها « نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا » وفيها وصف لاحدث التجارب التي تجرب في هذا الصدد وتؤذن بفاتحة عصر جديد في استعمال القوة الكهربائية اللاسلكية لقضاء مآرب الناس

ويليها وصف للرحلة الجوية التي رحلناها في الصيف الماضي بين باريس ولندن ذهاباً واياباً على متن طيارة من طيارات شركة المواصلات الهوائية الامبراطورية . وفيها اربع صور للطيارة من الخارج والداخل

وبعدهُ مقالة لمؤرخ محقق وكاتب بليغ عنوانها «الرحلة الملكية الاوربية:فوائدها العلمية والعمرانية »

ثم رسالة للمرحوم الدكتور صروف لم تنشر قبلاً موضوعها« ما يجب على المعلم» فيها خلاصة اختبارهِ وبحثهِ في موضوع التعليم والتهذيب مدة ٥٥ سنة

فجانب آخر من البحث الممتع الذي

ينشئهُ النائب المحترم الاستاذ صبري ابو علم في سيرة المغفور لهُ سعد زغلول باشا . وهذا الجانب يتناول طرفاً من سيرة الزعيم الجليل في الثورة العرابية والمحاماة والقضاء

فمقالة عن شكسبير ودلائل شهرتهِ ونبوغهِ ولمحة من نشأتهِ الاولى وفيها صورتان احداهما صورة منقولة عن طبعة قديمة لكتبهِ طبعت سنة ١٦٢٣ والاخرى صورة نصب لهُ اقيم في كنيسة الثالوث بستراتفورد مسقط رأسهِ

ثم كلام عمراني اقتصادي عنوانهُ « متى يجوع العالم ومتى تضيق الارض بسكانها » نقلهُ عن الانكليزية الاستاذ نجيب نصار

وبعدهُ فصل تاريخي نفيس يدور على الروابط التاريخية القديمة بين مصر وسورية للمؤرخ المشهور الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

ويليهِ جانب آخر من الخطبة النفيسة التي خطبها السر ارثر كيث في مجمع تقدم العلوم البريطاني وعنوانها « مذهب دارون في الميزان » وفيهِ صورتا دارون ولامارك

وبعدهُ مقالة عنوانها « الحبشة تستيقظ » تحتوي على لمحة جغرافية ونظرة في تاريخها وعمرانها واوصاف بحيرة صانا التي دارت عليها في اوائل الشهر الماضي ضجة كبيرة في الاندية السياسية والمالية في نيويورك ولندن والقاهرة. وفي المقالة خريطة لبلاد الحبشة والبلدان المجاورة لها وصورتا اثرين مصريين وجدا ببلدة اكسوم فيها

ثم فصل لصاحب السعادة عثمان مرتضى باشا عنوانهُ « التباين الخلقي واثر العوامل الباطنية الموروثة والعوامل الطارئة على الانسان »

فبحث ادبي لغوي عنوانهُ الاعتدال للكاتب المشهور الاستاذ اسعد خليل داغر

وبعدهُ مقالة علمية فلسفية موضوعها « أفي الاثير سر الحياة والعقل » تحتوي على اراء السر اوليفر لدج لخصها من كتابهِ الذي عنوانهُ « الاثير والحقيقة » الاستاذ حنا خباز

ثم حديث لمندوب من قلم تحرير المقتطف مع مدير جوقة شكسبير الانكليزية بمصر عن اثر التمثيل في التعليم والتمدن وخلفاء شكسبير في هذا العصر في مختلف الامم الغربية

وفي باب المراسلة مقالة للاستاذ حسين لبيب ناظر مدرسة النحاسين نوجه اليها نظر القائمين بامور المعارف في البلدان الشرقية عنوانها « وجهة التعليم العام »

وفي باب تدبير المنزل مقالة صحية للدكتور شخاشيري واخرى طلية عنوانها شجاعة النساء ملخصة عن روزيتا فوربس

وفي باب الاخبار العلمية سيرة العالم الكيماوي الاسوجي سفنته ارهينيوس وصورتهُ

اوجه القمر في دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٤	١٥ صباحاً
البدر	٨	٧	٣٢ مساءً
الربع الاخير	١٦	٢	٤ صباحاً
الهلال	٢٤	٦	١٣ »
الربع الاول	٣١	١	٢٢ مساءً
الحضيض	٧	٣	٠ صباحاً
الاوج	١٩	٠	٢٤ صباحاً

السيارات في دسمبر

عطارد والزهرة والمريخ. كواكب مساء

المشتري. يغرب نحو منتصف الليل

زحل. لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في أواخره

سفنته ارهينيوس
SVANTE ARRHENIUS

عالم اسوجي من أكبر علماء الكيمياء والطبيعيات في هذا العصر. وسيرته كسير العلماء موجزة تتلخص في انهُ وُلد في ١٩ فبراير سنة ١٨٥٩ في بلدة شُلسُ وجك قرب مدينة أپسالا المشهورة بجامعتها التاريخية وكان ابوهُ مهندساً ولعلَّ اهتمام ابيهِ بالمسائل العلمية من هندسية وطبيعية وما اليها بثّت فيهِ الميل الى الرياضيات والعلوم الطبيعية فلما أخذ يتلقى العلوم في جامعة اپسالا تفوَّق فيها على الاقران في العلوم الرياضية والطبيعية والكيماوية والبيولوجية. ثم انتقل الى جامعة استوكهلم فبقي فيها ثلاث سنوات من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٤ عاد بعدها الى اپسالا لتدريس الكيمياء الطبيعية. وأُتيحت لهُ فرصة الارتحال في اوربا فزار مدرسة ريغا البوليتكنيكية واشتغل مع الاستاذ اوستولد بالمباحث الطبيعية ثم زار جامعات ورزبرج وغراتس وامستردام وليبتزج. وعُرض عليهِ سنة ١٨٩١ منصب استاذ في جامعة غسن فرفضهُ مؤثراً التدريس في احدى مدارس بلادهِ فعيّن محاضراً في الطبيعيات في جامعة استوكهلم ثم استاذاً كاملاً فيها وسنة ١٨٩٥ جعل مديراً لها. وعُرض عليهِ سنة ١٩٠٥ منصب استاذ في برلين يتصل بهِ معمل طبيعي وكيماوي مجهز بكل وسائل البحث والامتحان فاعتذر عن قبولهِ وعيّن في السنة ذاتها مديراً لمعهد نوبل في استوكهلم فبقي فيهِ الى حين وفاتهِ في ٢٥ اكتوبر الماضي. وسنة ١٩٠٢ اهدت اليهِ الجمعية الملكية بلندن وسام دايفي ثم انتخب عضواً فيها سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٠٣ منح جائزة نوبل للطبيعيات. وقد اهدت اليهِ اكبر جامعات العالم أعلى القابها العلمية منها جامعات هيدلبرج



العالم الاسوجي سفنته ارهنيوس

وغرونتجن وليبتزج بالمانيا واوسلو ببلاد نروج واكسفرد وكمبردج وبرمنغهام في انكلترا وانتخب عضو شرف في كثير من الجمعيات العلمية في اوربا واميركا

كان ارهينيوس لا يزال طالباً في جامعة استوكهلم لما كشف مبدأ الانحلال الكهربائي في مذوبات المواد التي توصل الكهربائية Ionization فذكرهُ في رسالتهِ التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه فلم يسلّم بهِ اساتيذهُ ولكنهُ وجد انصاراً بين علماء الطبيعة في انحاء اوربا منهم ڤانت هف واوستولد . وقد قيل ان هؤلاء الثلاثة — اي ارهينيوس وڤانت هف واوستولد — هم واضعو الكيمياء الطبيعية . وكان لهذا المذهب الجديد اثر بعيد في تعليل بعض الافعال الكيماوية والطبيعية تعليلاً معقولاً بسيطاً وفتح الباب امام الباحثين لكشف كثير من حقائق التركيب الكيماوي وتصرف المركبات المختلفة لدى انحلالها في الماء او غيرهِ من المذوبات فقالت التيمس في ذلك يوم نعتهُ : كان لمذهبهِ آثار بعيدة المدى في كل فرع من فروع الكيمياء لانهُ جلا كثيراً من الغوامض ومهّد السبيل لمكتشفات جديدة. ولم ينحصر اثرهُ في الكيمياء بل تعداها الى الفسيولوجيا وما اليها

حداد على الدكتور صروف في البرازيل

جاءنا من سكرتير جمعية المتخرجين من جامعة بيروت الاميركية المقيمين بالبرازيل ما يأتي :

« في بدء الجلسة العمومية التي عقدتها جمعيتنا يوم الخميس الواقع في العشرين من اكتوبر — وهي اول جلسة قانونية عقدت بعد وفاة الفقيد الجليل — طلب رئيس الجمعية الدكتور سعيد ابو جمره إيقاف العمل مدة خمس دقائق حداداً على كبير المتخرجين العلامة الدكتور يعقوب صروف قائلاً إن امنا الجامعة الاميركية في بيروت تباهي بهِ دور العلم في الشرق والغرب وان الوف المتخرجين من تلك الجامعة الشهيرة المنتشرين في سائر اقطار العالم يذكرون اسم الفقيد الكبير بمزيد الاحترام والفخر والاعجاب لما اشتهر عنهُ من حبهِ العظيم للعلم الصحيح وما تحلى بهِ من الادب الجم والفضل الغزير وما افاد بهِ الشرق من الفوائد الخالدة الذكر والدائمة الاثر

« ثم نهض بعدهُ الاديب توفيق افندي قربان فارتجل تأبيناً بليغاً شرح بهِ اثر المقتطف ومحرر المقتطف الدكتور صروف في سبيل العلوم الطبيعية بوجه

خاص قائلاً انهُ نسج على منوال الفيلسوف باكون في حثهِ قومهُ على درس هذه العلوم لمعرفة اسرار الطبيعة واستخدام قواها في نفع بني الانسان وانماء ثروتهم وازدياد قواهم المادية التي عليها المعول وخصوصاً في عصرنا هذا عصر تنازع البقاء وبقاء الاقوى . وتلك هي حاجة الشرق الكبرى في الزمن الحاضر

« وفي ختام تأبينهِ البليغ ثنى استدعاء الرئيس الدكتور ابو جمره فوافق الحضور باجماع الاصوات على هذا الطلب واوقفت الجلسة خمس دقائق حداداً »

ونحن بلسان المقتطف نشكر لرئيس الجمعية ولجميع اعضائها عنايتهم بتكريم ذكر العلماء وتخليد اسمائهم رفعاً لمقام العلم وتشجيعاً للمشتغلين بهِ

جوائز نوبل

منحت جائزة نوبل للطب والفسيولوجيا عن سنة ١٩٢٦ للاستاذ جوهانس فيبجر من اساتذة جامعة كوبنهاغن وعن سنة ١٩٢٧ للاستاذ يوليو ڤاغنر فن يورغ من اساتذة جامعة فينا . وقد اشتهر الاول بتجاربهِ في سرطان الجرذان . والثاني بابتكار علاج الملاريا في حالات الشلل العام الذي يصيب المعتوهين

ومنحت جائزة نوبل للآداب عن سنة ١٩٢٦ للكاتبة الايطالية جراتزيا ديلده وهي السيدة الثانية التي نالت جائزة نوبل للآداب سبقها الى هذا الشرف الكاتبة الاسوجية سلمى لجرلُف . ولا يخفى ان مدام كوري نالت مع زوجها جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٠٣

ومنحت جائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٢٧ للاستاذ كمتن احد اساتذة جامعة شيكاغو وللاستاذ ولسن احد اساتذة كمبردج وكلاهما من المشتغلين بمسائل بناء المادة الكهربائي . وقد لقينا الاستاذ كمتن في مجمع تقدم العلوم البريطاني بترنتو سنة ١٩٢٤ وحضرنا خطبة لهُ خطبها في المذهب الجديد في ماهية النور

اما جائزة الكيمياء عن سنة ١٩٢٧ فلم تمنح

الطب والجراحة في مصر القديمة

نشر الدكتور ورن دوسن مقالة ممتعة بهذا الموضوع في مجلة تقدم العلم قال فيها ان بحثهُ المستفيض في النصوص المصرية القديمة دلهُ على ان ما يعرف عن معارف المصريين الطبية ليس سوى اقوال عامة بعضها خطأ لانهُ بني على قراءات مخطوءة للنصوص المصرية القديمة ثم تناقلها الكتاب في الخمسين السنة الاخيرة . واشهر القراطيس الطبية المصرية هو قرطاس

ايبرس ويظهر منهُ ان الطب المصري كان مبنيًّا على السحر والشعوذة كما يتضح من ورود كلمات تدل على ان قصد الطبيب هو « طرد » المرض ومن صنع بعض العقاقير الطبية كريهة الطعم يكرهُ روح المرض طعمها فيطرد . اما معارفهم الجراحية كما يظهر من قرطاس ادون سمث فكانت مبنية على علم دقيق يعود الفضل فيهِ الى براعتهم في التحنيط لان ممارسة فنون التحنيط علمتهم حقائق تشريح المقابلة . وقد قادهم التحنيط الى معرفة كثير من الحقائق الفسيولوجية اذ نجد في قرطاس ايبرس عبارات مسهبة تتناول القلب وعملهُ

وقد ثبتت معرفتهم لكثير من الامراض التي تصيب الفلاحين بمصر الآن كادواء المعدة الناجمة عن شرب المياه القذرة والديدان وغيرها من الطفيليات ومرض الاوبتلميا وغيرهُ من امراض العين وامراض الجلد والبلهارسيا وهلمَّ جرًّا

ازدياد سرعة الطيران

ذكرنا في مقتطف نوفمبر الماضي ان الطيّار وبستر الانكليزي فاز بكاس شنيدر في سباق الطيارات البحرية الذي جرى في ٢٦ سبتمبر الماضي قرب مدينة البندقية وان متوسط سرعتهِ بلغ ٢٨١ ميلاً في الساعة . واليك بياناً فيهِ اسماءُ الذين فازوا بهذه الكأس قبلهُ وسرعة كلٍّ منهم

السنة	الاسم	والمملكة	السرعة بالميل بالساعة
١٩٢٠	بولونا	ايطالي	١٠٧٫٩٥
١٩٢١	ده بريقانتى	ايطالي	١١٧٫٩٤
١٩٢٢	بيارد	انكليزي	١٤٦٫٩٥
١٩٢٣	رتنهوس	اميركي	١٧٧٫٣٨
١٩٢٥	دولتل	اميركي	٢٣٢٫٥٧
١٩٢٦	برناردي	ايطالي	٢٤٦٫٤٩
١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٢٨١٫٥٤

فيتضح من هذا البيان ان سرعة هذا النوع من الطيارات زاد اكثر من ضعفين ونصف في ٧ سنوات ومتوسط زيادة السرعة كل سنة يبلغ نحو ٢٦ ميلاً في الساعة . فاذا استمرت هذه الزيادة للسنة القادمة بلغت سرعة الفائزة في المباراة المقبلة نحو ٣٠٧ اميال في الساعة

انباء طبية

في مجلة العلم العام الاميركية ان الدكتور شارل دوفال من جامعة تولين تمكن من عزل مكروب الحصبة وينتظر ان يخلص من ذلك الى صنع مصل يقي من المرض ويشفيهِ

وفي انباء المانيا ان الدكتور كارل رَبل استنبط طريقة لتقويم عظام الاطفال المعوجة بتليينها اولاً ويلزم لذلك اتباع

نظام خاص في التغذية والتعرض لنور الشمس

وقدم الدكتور وليم هنتر المختص بدرس الاعصاب ادلة تثبت ان الاسنان النخرة قد تكون سبباً من اسباب الجنون. وايدهُ في ذلك الدكتور جولدبرج الاميركي اذ اثبت ان اصابات جذور الاسنان المزمنة تؤدي الى خلل في الجهاز العصبي

جوائز واوسمة علمية

منحت الجمعية الملكية الانكليزية مدالية كوبلي للسر شارلس شرنغتن لمباحثهِ القيمة في علم الاعصاب والسر شارلس كان رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٢٢ وقد ترجمنا لهُ خطبتهُ حينئذٍ بعنوان آلات الاعضاء الحية

ومنحت اوسمة الجمعية للسر توماس لوس لمباحثهِ في نظام الاوعية الدموية وللاستاذ مكلنان الكندي لمباحثهِ في الحل الطيفي وللماجور جرينوود لمباحثهِ الاحصائية في موضوع الصحة العامة. ومنحت مدالية دايفي للاستاذ نويز لمباحثهِ في الكيمياء الطبيعية ومدالية هيوز للدكتور كولدج الاميركي لمباحثهِ في اشعة اكس

وقد انتخب المستر بولدين رئيس الوزارة البريطانية عضواً في الجمعية الملكية بمقتضى بندٍ من قانونها جاء فيهِ انهُ يحق للجمعية ان تنتخب عضواً فيها كل رجل ادى خدمة جليلة للعلم اويعود انتخابهُ على الجمعية بفائدة كبيرة

البحث الاثري في الفيوم

جاء في ناتشر ان المس كايتون طمسن برحت لندن قاصدة الى مصر لتستأنف مباحثها الاثرية في شمال الفيوم. وستقف وقتها في الشتاء القادم على البحث في المدافن التي كشفتها في السنة الماضية وتأمل ان تعثر فيها على آثار توسع نطاق معرفتنا عن تاريخ هذه البقعة المجيد المتوغل في القدم حسب رأي بعض العلماء. فاذا تحققت بعض آمال المس طمسن كان عملها ذا قيمة تاريخية كبيرة. وهي موفدة هذه السنة من قبل الجمعية الملكية الانثربولوجية بلندن التي عقدت اتفاقاً مع مصلحة الآثار المصرية في هذا الصدد

وزن دم الانسان

ثبت من المباحث الطبية الحديثة على ما جاء في مجلة العلم العام، ان وزن دم الانسان يعدل ٤،٩ في المائة من وزن جسمهِ او نحو جزء من عشرين جزءًا من وزن الجسم اي اذا كان وزنك ١٦٠ رطلاً فوزن دمك يجب ان يكون نحو ثمانية ارطال

جبل يتحرك

على ثلاثة اميال الى الشمال من بحيرة ماجيورى الايطالية جبل يدعى مونتي ارينو ارتفاعهُ ٥٥٦٠ قدماً . وقد ثبت لمصلحة المساحة الجيولوجية بايطاليا سنة ١٩٠٥ ان هذا الجبل يتحرك منذ سنة ١٨٨٨ وان قنتهُ زاحت نحو ستة اقدام الى الشرق في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٥ وقد اخذت سرعة تحركهِ تزداد حتى بلغت قدماً في سنة ١٩٢٦ وقد ظهر ذلك بميل الاشجار المغروسة على جانبهِ الشرقي بعدما كانت قائمة . فصدرت الاوامر الى سكان مقاطعة تيشينو ان يخلوا منطقة الخطر الواقعة حولهُ . ويرى موظفو مصلحة المساحة الجيولوجية ان الجبل يندكُّ قريباً فتمتلئ بهِ وادي اريدو الواقعة الى شرقهِ

الطيران الى الاصقاع الشمالية

يعدُّ الجنرال نوبلي معدات بعثة جوية الى الاصقاع المتجمدة الشمالية. وقد قدمت لهُ الحكومة الايطالية البلون N4 وهو شبيه بالبلون نورج الذي طار بهِ امندصن ونوبلي والزورث وصحبهم من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي سنة ١٩٢٦ وينتظر الجنرال نوبلي ان يجعل سبتسبرجن قاعدتهُ فيطير منها في اوقات مختلفة الى جهات سيبيريا والبحار المتجمدة شمالها والى القطب الشمالي. وقد وعد كل من الحكومة البلشفية والنادي الجوي النروجي والجمعية الجغرافية الايطالية بامداد هذه البعثة بكل ما يلزم لها من المعونة

مثال جغرافي بارز لايطاليا

اقترح المهندس المعاري پيو فرانكي على السنيور موسوليني ان يصنع مثالاً بارزاً لشبه الجزيرة الايطالية من جبال الالب الى راس پسارد في صقلية يمثل عليهِ كل جبالها ووهادها وانهارها وفرضها البحرية ومدنها وسككها الحديدية ويوضع هذا المثال في بحيرة صناعية قطرها ستون متراً وتمثل الانهار الكبيرة كالپو والتيبر والارنو بجداول جارية ويحفظ هذا المثال في فلاّ اومبرتو فيطلع عليهِ طلاب المدارس . وقد وافق السنيور موسوليني على هذا الاقتراح وسيشرع قريباً في تحقيقهِ

التحليق في الجوّ

فاز الملازم تشامپين الاميركي بقصب السبق في التحليق بطيارة الى اعلى ما بلغهُ الانسان اذ بلغ ارتفاعهُ بطيارتهِ ٤٨ الف قدم فوق سطح البحر

الجزء الرابع من المجلد الحادي والسبعين

